

الأوراق العلمية لمؤتمر

تدبر القرآن الكريم « أعلام ومناهج »

## تدبر القرآن الكريم

### أعلام ومناهج

### تنظيم

الهيئة العالمية لتدبر القرآن الكريم  
بالشراكة مع جامعة الحسن الثاني في الدار البيضاء

المملكة المغربية

١٤٣٧هـ - ٢٠١٥م









## المقدمة

اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، والصلاة والسلام على رسولك الكريم، وعلى آله وأصحابه أجمعين، أمّا بعد:

فبين يديك أخي المبارك (٢١) ورقة علمية هي حصيلة المحاور العلمية لمؤتمر: (تدبر القرآن الكريم.. مناهج وأعلام)، والذي يعقد في مدينة الدار البيضاء بالمملكة المغربية، خلال الفترة (١٥-١٦ محرم ١٤٣٧هـ) بالتعاون مع جامعة الحسن الثاني في الدار البيضاء.

ويهدف إلى: إبراز الأسس المعرفية لتدبر كتاب الله من خلال المنهجية التي سار عليها أعلام المتدبرين خلال القرون الماضية، مع رصد أبرز الإصدارات والكتب العلمية التي كُتبت في فن التدبر، وقراءة المناهج المعاصرة التي اختطت منهجية جديدة في أصول التدبر وتقويمها، وتعزيز التواصل والتعارف بين أهل القرآن والمهتمين بتدبره.

ويأتي إكمالاً للمسيرة العلمية التي بدأتها الهيئة العالمية لتدبر القرآن الكريم، وتحقيقاً لأهدافها التي رسمتها، وما خرجت به من رؤى وتوصيات في مؤتمر تدبر الأول الذي عقد في دولة قطر.

وقد استكتب في أوراق هذا المؤتمر جمع من المتخصصين المتميزين ثم حكمت وجمعت جمعاً أولياً في هذا الكتاب الذي سينشر لاحقاً بعد التحرير والتحقق والإثراء بإذن الله عز وجل.

وفي هذا المقام أشكر الله - عز وجل - أهل الشناء والشكر على توفيقه وتيسيره،  
ثم أشكر الأساتذة الكرام الذين كتبوا هذه البحوث المتميزة؛ كتب الله أجرهم، وبارك  
في أوقاتهم.

سائلاً المولى القدير أن يبارك في الجهود ويُسدّد الخطى، هذا والله تعالى أعلم، وصلى  
الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

رئيس اللجنة العلمية

أ.د. محمد بن عبدالعزيز العواجي

الجلسة الأولى: أعلام المتدربين (مدرسة المتقدمين)  
رئيس الجلسة: أ. د. مراد موهوب

ابن عباس رضي الله عنه ومنهجيته في تدبر القرآن الكريم  
د. أحمد بن محمد العمراني

الحسن البصري ومنهجه في التدبر  
د. عادل رفوش

ابن جرير الطبري ومنهجيته في التدبر  
فواز بن منصر سالم الشاوش

الإمام القصاب ومنهجه في تدبر القرآن من خلال كتابه  
«تكت القرآن»  
أ. د. عبد الرحمن بن معاضة الشهري

الجوانب التدرجية في تفسير ابن كثير وطرق استخلاصها  
د. محمد بن عبد الله الربيعة





## السيرة الذاتية لرئيس الجلسة الأولى

« الاسم: أ. د. مورد موهوب.

« مكان وتاريخ الميلاد: من مواليد ١٩٦٣ بالدار البيضاء بالمملكة المغربية.

« جهة العمل:

- عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية عين الشق بجامعة الحسن الثاني بالدار البيضاء - المملكة المغربية.

- أستاذ التعليم العالي متخصص في علم الأصوات وعلم اللغة وعلم اللغة النفسي والترجمة.

« المؤهلات العلمية.

- حاصل على دكتوراه الدولة سنة ٢٠٠١ من جامعة القاضي عياض بمراكش - المملكة المغربية.

- حاصل على دكتوراه فرنسية من جامعة السوربون باريس الثالثة سنة ١٩٩٢ بفرنسا.

« المشاركة في العديد من الندوات والمؤتمرات العلمية الوطنية والدولية.

« تأليف عدة مقالات علمية في مجالات علوم اللغة والأصوات وعلم اللغة النفسي والترجمة والتواصل.



ابن عباس رضي الله عنه ومنهجيته فيه  
تدبر القرآن الكريم

إعداد

د. أحمد بن محمد العمراني

أستاذ الفقه المقارن والتفسير بجامعة شعيب الدكالي الجديدة المغرب.





## السيرة الذاتية للباحث

« الاسم: أحمد بن محمد العمراني.

« عنوان المراسلة: ص ب ٣٠٨٠، الجديدة - ٢٤٠٠٠ - المغرب.

« الهاتف الأرضي: ٠٠٢١٢-٥-٢٣-٣٥-٢٧-٤١.

« شواهد:

- الاجازة في الدراسات الإسلامية من جامعة سيدي محمد بن عبد الله كلية الآداب فاس المغرب ١٩٨٦.

- دبلوم الدراسات العليا الماجستير في الدراسات الإسلامية تخصص (تفسير القرآن وعلومه) من جامعة سيدي محمد بن عبد الله كلية الآداب والعلوم الانسانية - فاس - المغرب ١٩٩١.

- دكتوراة الدولة في الدراسات الإسلامية تخصص (تفسير القرآن وعلومه) من جامعة سيدي محمد بن عبد الله كلية الآداب - فاس. - المغرب . سنة ٢٠٠٢.

« مهام حالية:

- أستاذ الفقه المقارن والتفسير بجامعة شعيب الدكالي. الجديدة المغرب.

- رئيس المجلس العلمي المحلي لإقليم سيدي بنور.

« مهام موازية:

-عضو اللجنة العلمية لاختيار الأساتذة بدار الحديث الحسنية .

-عضو خبير محكم في ترقية الأساتذة بجامعة الملك محمد سعود.

-عضو محكم في وضع معايير محتوى برنامجي الدراسات والقرآنية والقراءات

ودبلوماتها في الجامعات السعودية.

-عضو رابطة المتخصصين في الدراسات القرآنية .

« إسهامات علمية:

- مقالات علمية منشورة في عدد وافر من المجلات العربية والإسلامية منها:

مجلة دعوة الحق المغربية، ومجلة نشرة الأئمة المغربية، ومجلة كلية الآداب بالجديدة، ومجلة الرسالة التي يصدرها المجلس العلمي المحلي لإقليم الجديدة، ومجلة الوعي الإسلامي، ومجلة منار الإسلام، ومجلة البيان.

« كتب مطبوعة :

١- «خيرية الأمة بين «كنتم» ومتى «تكون».

٢- «جدد ولادتك» -١-.

٣- نظرات في فن الخطابة.

٤- مدرسة مكة في التفسير: «جمع وتحقيق ودراسة» ٨ مجلدات.

٥- سددوا وقاربوا (بين الغفلة والغلو).

٦- باقات من منبر العيدين.

« كتب مرقونة:

١- مشاركات علمية في الدراسات القرآنية.

٢- باقات من منبر الجمعة .

٣- نظرات في فقه الخلاف.

٤- «جدد ولادتك» -٢-.

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد أفضل الصلاة وأزكى التسليم، وبعد:

لا يكاد التاريخ يعرف أمة من الأمم عنيت بكتاب ربها كما عرف ذلك للأمة الإسلامية، فمن يوم نزل القرآن غضاً طرياً على قلب النبي ﷺ والأمة في عناية به، فمن حفظ في الصدور إلى كتابته في السطور إلى فهم لمعناه واستكناه له وكشف عن أسراره وغوص على درره وعجائبه التي لا تنقضي.

ولم يكن هم سلف الأمة حفظ لفظ القرآن الكريم فحسب، بل كانت غايتهم العظمى تدبره والعمل بكل ما جاء به، فقد كانوا ينظرون إلى القرآن على أنه كتاب هداية وإرشاد يطهر القلوب ويزكي النفوس ويثقف العقول ويهدي للتي هي أقوم، فلا هداية تداني هدايته ولا صلاح للبشرية بدون الأخذ بأحكامه وآدابه، وبهذا أمكن لسلف هذه الأمة أن يكونوا مدينة فاضلة ذكرها شذى يتضوع، وأن يسودوا العالم في أقل من قرن.

ومن البدهي أن العمل بالقرآن والاهتداء بهديه في العقائد الصحيحة والأحكام السامية والآداب العالية لن يكون إلا بعد فهمه وتدبره والوقوف على ما حوى من نصح ورشد، وهذا لا يتحقق إلا بالتأمل الدقيق والفهم العميق من أجل الكشف والبيان لما تدل عليه ألفاظه ومعانيه.

وقد قيض الله سبحانه وتعالى لقرآنه من الصحابة الكرام علماء أجلاء فضلاء تركوا لنا في تدبره ثروة قيمة، بما روه عن صاحب الرسالة وما استنبطوه بعقولهم الصائبة وأذواقهم المرهفة.

وحديثي في هذا العرض العلمي سيتجه لبيان ما حوته كتب التفسير وغيرها من المظان من تدبر لآيات القرآن، واستنباط منهجية تدبر القرآن لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما أحد أبحار الأمة في تأويل القرآن، ومن نقل عنه كل الأقطاب، والأتباع، وهذا يقتضي مني تحديد مجموعة من المفاهيم الواردة في عنوان العرض، مثل: التدبر، والمنهج، ومنهج تدبر القرآن، بإيجاز غير مخل، إضافة إلى الحديث عن صاحب هذا المنهج التدبري لكتاب الله، وهو عبد الله بن عباس.

مما يعني أن العرض سينقسم إلى ثلاثة مباحث، يتحدث المبحث الأول عن حبر الأمة من حيث النشأة والمكانة، والمبحث الثاني: عن المفاهيم الواردة في عنوان العرض، والمبحث الثالث، عن منهجية ابن عباس في تدبر القرآن الكريم..

## المبحث الأول

### عبد الله بن عباس: ولادته ومكانته:

#### (١) ولادته ونشأته:

ليس من نافلة القول إذا قلنا بأن عبد الله بن عباس ليس بحاجة رجل إلى ترجمة، لأن جل كتب التراجم عرفت به، وكل كتب الحديث روت له، رجل عاش في بيت النبوة، وعاش بين كنفه محاطاً برعايته. دعا له الحبيب المصطفى قبل ولادته، حيث أخبر العباس ابن أخيه رسول الله ﷺ بمحمل زوجته أم الفضل<sup>(١)</sup> فقال رسول الله ﷺ: عسى أن يبيض وجوهنا بغلام، فولدت عبد الله بن عباس<sup>(٢)</sup>. استهل قبل الهجرة بثلاث سنين<sup>(٣)</sup>، لتحتضنه الأيدي العطوف وتنطلق به إلى صاحب الرسالة، حيث أخذه ﷺ بين ذراعيه وجعله في حجره، وحنكه بريقه الشريف<sup>(٤)</sup>.

كانت ولادته من أبوين نجيبين، شريفين في الجاهلية والإسلام، فأبوه العباس بن عبد المطلب، سيد قريش ومن ذوي الحكمة والرأي فيها، وأمه أم الفضل لبابة الكبرى بنت الحارث بن حزم بن مجير الهلالية، أخت ميمونة زوج النبي ﷺ<sup>(٥)</sup>، وخالة خالد

(١) تاريخ دمشق لابن عساکر. ٢٩/ ٢٨٥ و ٢٨٩.

(٢) تاريخ دمشق لابن عساکر. ٢٩/ ٢٨٥ و ٢٨٩.

(٣) المستدرک للحاکم، کتاب معرفة الصحابة، ح: ٦٢٧٧، ج: ٣/ ٦٩٥. وجمهرة أنساب العرب: ١٨، ومشكاة المصابيح: ص: ٦٩٦.

(٤) تاريخ الإسلام للذهبي: ٣/ ٣٠، والاستيعاب: ٢/ ٣٤٢، وأسد الغابة: ٢/ ١٩٢، وغاية النهاية:

ص: ٤٢٦، أنساب الأشراف للبلاذري: ١/ ٢٣٣.

(٥) انظر الاكمال في أسماء الرجال لمحمد بن عبد الله الخطيب: ص: ٦٩٦.

ابن الوليد<sup>(١)</sup>.

نشأ إذن عبد الله بن عباس كأعز فتى في قريش، وترعرع في أحضان الإسلام، ورضع خلاصته منذ نعومة أظفاره، حتى ذاع صيته وعلا شأنه، ولعل لرابطة النسب - التي كانت تربطه ببيت النبوة - أثرها البالغ في حياته ودرجة ثقافته، وهو لا يزال يافعاً، حيث كان يسمح له بأن يتردد على بيت النبي ﷺ وفيه خالته ميمونة زوج النبي ﷺ فتؤنسه وتلاطفه، ويراه النبي ﷺ الذي يتوسم فيه الخير ويدعو له بقوله: «اللَّهُمَّ آتِهِ الْحِكْمَةَ»<sup>(٢)</sup> وفي رواية: «اللَّهُمَّ بَارِكْ فِيهِ وَانْشُرْ مِنْهُ»<sup>(٣)</sup>، وفي رواية أخرى: «اللَّهُمَّ احْشُ بَدَنَهُ حَكْماً وَعِلْماً»<sup>(٤)</sup>، ودعا له بالحكمة مرتين، كما قال هو عن نفسه<sup>(٥)</sup>. وبالفقه في الدين بقوله: «اللَّهُمَّ فَفِّهِهِ فِي الدِّينِ وَعَلِّمَهُ التَّأْوِيلَ»<sup>(٦)</sup> وفي رواية: «اللَّهُمَّ عِلْمَهُ الْقُرْآنَ»<sup>(٧)</sup>.

(١) أسد الغابة ٣/١٩٢، وتاريخ بغداد: ١/١٧٣، والاستيعاب: ٢/٣٤٢، وتذكرة الحفاظ: ١/٤٠، والاصابة: ٢/٣٢٢، وتهذيب التهذيب: ٥/٢٤٦، وتلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير: ص: ١٢، بالهامش.

(٢) سنن الترمذي، كتاب المناقب باب: ٤٣، ج: ٥/٦٨٠. وقال حسن صحيح، الطبقات الكبرى: ٢/٣٦٥، ومصنف ابن أبي شيبة: ٣/٢٥٣، والحلية لابي نعيم: ١/٣١٦، الاستيعاب: ٢/٣٤٤، وتذكرة الحفاظ: ١/٤٠، والاصابة: ٢/٣٢٢، والتهذيب: ٥/٢٤٥.

(٣) الحلية: ١/٣١٥ و٣١٦.

(٤) الحلية: ١/٣١٥ و٣١٦.

(٥) سنن الترمذي: ٥/٦٧٩، كتاب المناقب. والتهذيب: ٥/٢٤٧، والطبقات: ٢/٣٦٥، و٣٧٠.

(٦) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ٣/٢١١، بدون وعلمه التأويل. والمستدرک: كتاب معرفة الصحابة، ج: ٣/٦٢٨، وأحمد في المسند: ٤/١٢٧، ح: ٢٣٩٧، وأيضاً: ح: ١٨٤٠، وح: ٢٤٢٦، ومصنف ابن أبي شيبة: ٦/٣٨٣. ومجمع الزوائد: ٩/٢٦٧، وفي صحيح مسلم: اللهم فقهه، كتاب فضائل الصحابة، ١٦/٣٢، باب: ٣٠، ح: ١٣٨، ٧.

(٧) المستدرک: ٣/٦١٨، ح: ٦٢٦٨، وإن قال فيه الذهبي في التلخيص: فيه شيب وهو لين.

تميز بين أقرانه بالفهم والعلم، جعل الفاروق عمر رضي الله عنه يأخذ بقوله في كل معضلة ولا يدعو سواه، ويقول له: «أنت لها ولأمثالها»<sup>(١)</sup>. وجعلت أبي بن كعب يقول فيه: «هذا يكون حبر الأمة أوتي عقلاً وفهماً»<sup>(٢)</sup>. وأبا هريرة يسأل الله أن يجعله خلفاً لزيد بن ثابت بعد وفاته بقوله: «مات اليوم حبر هذه الأمة، ولعل الله يجعل في ابن عباس منه خلفاً»<sup>(٣)</sup>.

## ٢ علمه ومكانته:

تعلم القرآن وعلومه منذ الصغر حيث قال: «جمعت المحكم في عهد رسول الله وأنا ابن عشر حجج»<sup>(٤)</sup>، ليصل إلى مرتبة الأستاذية، ويتفرغ في عهد عمر للإلقاء بدل التلقي، فعلم الصغار والكبار وعمره لم يتجاوز سن المراهقة<sup>(٥)</sup>، حيث قال: «كنت أقرئ عبد الرحمن بن عوف في خلافة عمر»<sup>(٦)</sup>. وما أن توفي عثمان حتى كان على رأس المفتين بالمدينة، قال ابن حزم: «وقد جمع أبو بكر محمد بن موسى بن يعقوب بن أمير المؤمنين المأمون فتيا ابن عباس في عشرين كتاباً»<sup>(٧)</sup>.

وقُصد (رضي الله عنه) من كل حذب وصبوب للشعر، وللأنساب، ولأيام العرب ووقائعها، وللفقه، والتفسير، فعن أبي صالح قال: «لقد رأيت من ابن عباس مجلساً

(١) لاستيعاب: ٢/٣٤٤، والطبقات: ٢/٣٦٩، و٣٧٠ بمعناه.

(٢) لطبقات الكبرى لابن سعد: ٢/٣٧٠.

(٣) لمستدرك: ٣/٤٨٣، كتاب معرفة الصحابة، ح: ١٨٣، والتهديب: ٥/٢٤٧، و٣/٣٤٨ والطبقات:

٢/٣٦٢.

(٤) لمستند: ح: ٣١٢٥، و: ٢٢٨٣، وح: ٢٦٠١، وح: ٣١٢٥، وح: ٣٣٥٧.

(٥) مقدمة كتاب المباني لنظم المعاني ص: ٥٧.

(٦) مقدمة كتاب المباني لنظم المعاني ص: ٥٧.

(٧) علام الموقعين: ١/١٢.

لو أن جميع قريش فخرت به لكان لها فخراً، لقد رأيت الناس اجتمعوا حتى ضاق بهم الطريق، فما أحد يقدر على أن يجيء، ولا أن يذهب، قال: فدخلت عليه فأخبرته بمكانهم على بابه، فقال لي: ضع لي وضوءاً، قال: فتوضأ وجلس وقال له: اخرج وقل لهم من كان يريد أن يسأل عن القرآن وحروفه وما أراد منه، فليدخل، قال: فأذنتهم، فدخلوا حتى ملؤوا البيت والحجرة، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به، وزادهم مثل ما سألو عنه، أو أكثر، ثم قال إخوانكم، فخرجوا، ثم قال: اخرج فقل: من أراد أن يسأل عن تفسير القرآن وتأويله فليدخل، قال: فخرجت فأذنتهم فدخلوا حتى ملؤوا البيت والحجرة، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثله، ثم قال إخوانكم فخرجوا، ثم قال أخرج فقل: من أراد أن يسأل عن الحلال والحرام والفقهاء فليدخل، فخرجت فقلت لهم، قال: فدخلوا حتى ملؤوا البيت والحجرة، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثله، ثم قال: إخوانكم فخرجوا ثم قال: اخرج فقل: من أراد أن يسأل عن الفرائض وما أشبهها فليدخل قال: فخرجت فأذنتهم، فدخلوا حتى ملؤوا البيت والحجرة، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثله، ثم قال إخوانكم، فخرجوا، ثم قال: اخرج فقل: من أراد أن يسأل عن العربية والشعر والغريب من الكلام فليدخل قال: فدخلوا حتى ملؤوا البيت والحجرة، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به، وزادهم مثله»<sup>(١)</sup>.

ويصور عبيد الله بن عبد الله بن عتبة هذه الثقافة التي أمدت تفسير ابن عباس بقوله: «كان ابن عباس قد فات الناس بخصال: بعلم ما سبقه، وفقه ما احتجج إليه من رأيه، وحلم، ونسب، وتأويل، وما رأيت أحداً كان أعلم بما سبقه من حديث رسول

(١) صفة الصفوة: ٣١٦/١، الحلية: ٣٢٠/١، الطبقات: ٣٦٧/٢، المستدرک: ٦١٩/٣، ح: ٦٢٩٣،



الله ﷺ منه، ولا بقضاء أبي بكر وعمر وعثمان، ولا أفاقه في رأي منه، ولا أعلم بشعر ولا عربية ولا بتفسير القرآن ولا بحساب ولا بفريضة منه، ولا أثقب رأياً فيما احتيج إليه منه، ولقد كان يجلس يوماً ولا يذكر فيه إلا الفقه ويوماً التأويل ويوماً المغازي ويوماً الشعر ويوماً أيام العرب، ولا رأيت عالماً قط جلس إليه إلا خضع له، وما رأيت سائلاً قط سأله إلا وجد عنده علماً<sup>(١)</sup>.

فكان فعلاً ممن آتاه الله علماً غزيراً وحظاً من المواهب وفيراً، نال الذروة وقاد الفكر والرأي، علم وأفاد، فما من آية إلا وله فيها كلام أو للتابعين الآخذين عنه. ولن أغالي إذا قلت إن تأويله للكتاب ما زال هو الشمعة التي يستضيء بها كل المفسرين إلى اليوم.

بدأ في حفظ القرآن الكريم وهو صغير، حيث روى ابن أبي مليكة قال: سمعت ابن عباس يقول: سلوني عن سورة النساء فإني قرأت القرآن وأنا صغير<sup>(٢)</sup>.

كما عبر غير ما مرة عن علمه بالتأويل حيث نقل روى له الطبري قوله في تفسير قوله تعالى: «وما يعلم تأويله إلا الله». قال: «أنا ممن يعلم تأويله»<sup>(٣)</sup>. وفي قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةَ قَامَاتِهِمْ كُلُّهُمْ قُلُوبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [الكهف: ٢٢]، قال: «أنا من أولئك القليل وهم سبعة»<sup>(٤)</sup>.

(١) أسد الغابة لابن الأثير: ٣/٣٨٣.

(٢) المستدرک للحاکم: ٢/٣٣٠، ح: ٣١٧٨، وقال الذهبي: على شرطها، ونقله السيوطي عنه: ٢/٤٢٢. وأيضاً أخرجه ابو عبيد في فضائل القرآن: ١/٢٨٠، باب فضل العلم.

(٣) جامع البيان: ٣/١٨٣، ونقله السيوطي: ٢/١٥٢، عن ابن جرير وابن المنذر وابن الأنباري من طريق مجاهد.

(٤) الطبقات الكبرى: ٢/٣٦٦، وذكره الفراء في معانيه: ٢/١٣٨، وعبد الرزاق في التفسير: ١/٣٣٧، والطبري: ١٥/٢٢٦، ونقله السيوطي: ٥/٣٧٥، عن عبد الرزاق والفريابي وابن سعد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم من طرق به.

استوعب بحق القرآن كله، واستفاد من رسول الله ﷺ معلمه الأول، حيث أخرج الطبري في جامعه بسنده عن ابن عباس قال: كنت ردف النبي ﷺ، فقال: يا ابن عباس: ارض عن الله بما قدر وإن كان خلاف هواك، فإنه مثبت في كتاب الله، قلت: يا رسول الله فأين وقد قرأت القرآن؟ قال في قوله سبحانه: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦] (١).

نال ابن عباس عدة ألقاب أذكر منها: ترجمان القرآن (٢)، وفارس القرآن (٣)، وحرر الأمة (٤)، وحرر العرب (٥)، وبحر الأمة (٦)، وشيخ المفسرين (٧)، والأب الأول لتفسير القرآن (٨)، ورباني الأمة (٩)، وأفقه من مات وعاش (١٠)، ورباني العلم (١١)، ومن

- 
- (١) جامع البيان: ٣٤٦/٢، والدر المنثور للسيوطي: ٥٨٧/١، نقلاً عن ابن جرير.  
 (٢) الطبقات الكبرى: ٣٦٦/٢، الحلية: ٣١٦/١، ومصنف ابن أبي شيبة: ٣٨٣/٦، والمستدرک: ٦١٨/٣، ح: ٦٢٩١، والتهذيب: ٢٤٧/٥، والاتقان: ٢٣٤/٤.  
 (٣) سفينة البحار: ١٥٠/١.  
 (٤) التهذيب: ٢٤٧/٥، والحلية: ٣١٦/١، والمستدرک: ٦١٦/٤، ح: ٦٢٨٤، كتاب معرفة الصحابة، والاتقان: ٢٣٤/٤.  
 (٥) جامع البيان: ٤٣/٢٠، التهذيب: ٢٤٥/٥، والطبقات: ٣٦٦/٢.  
 (٦) الطبقات: ٣٦٦/٢، والحلية: ٣١٦/١، والمستدرک: ٦١٦/٤، ح: ٦٢٨٥، كتاب معرفة الصحابة، والاصابة: ٣٣٣/٢.  
 (٧) تفسير المراغي: ٦/١.  
 (٨) مذاهب التفسير: ص: ٨٩.  
 (٩) الطبقات الكبرى لابن سعد: ٣٧٠/٢، وتهذيب التهذيب: ٢٤٧/٥، والمستدرک على الصحيحين: ٦٢٦/٣، ح: ٦٣١٠، والاصابة: ٣٣٤/٢.  
 (١٠) الطبقات: ٣٧٩/٢.  
 (١١) مصنف ابن أبي شيبة: ١٦/٧.

الراسخين في العلم<sup>(١)</sup>، وأعلم الناس<sup>(٢)</sup>.

إنه بحق «قلعة من السداد والحكمة»<sup>(٣)</sup>، ضاهى هبة الزمان في جيله وبعد جيله إلى اليوم، إذ كان يمثل حاجة الجيل الذي تلا جيل الرسول ﷺ إلى الوسائل والأساليب التي يستعين بها على فهم القرآن وتدبر معانيه، وكان أول باحث عن هذه الأسباب والوسائل<sup>(٤)</sup>.

ولعل خير شهادة يختم بها هذا المبحث ما جاء على لسان الحبر نفسه - حين شتمه رجل - حيث قال له: إنك تشتمني وفي ثلاث خصال: «إني لآتي على الآية من كتاب الله فلو ددت أن جميع الناس يعلمون منها ما أعلم، وإني لأسمع بالحاكم من حكام المسلمين يعدل في حكمه فأفرح به ولعلي لا أقاضي إليه أبداً، وإني لأسمع بالغيث قد أصاب البلد من بلاد المسلمين فأفرح وما لي به من سائمة»<sup>(٥)</sup>.

عمر طويلاً، وتوفي رحمه الله عن عمر يقارب السبعين وكانت سنة ٦٨ هـ، وهو ابن خمس وسبعين سنة ٧١٨ ميلادية. ومات بالطائف ودفن بها وتولى وضعه في قبره محمد بن الحنفية، قال عنه تلميذه سعيد بن جبير: «مات ابن عباس بالطائف فجاء طير لم تر عين خلقته، فدخل نعشه، ثم لم ير خارجاً منه، فلما دفن تليت هذه الآية على شفير القبر لا يدري من تلاها»<sup>(٦)</sup>، ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ اذْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر: ٢٧ - ٣٠].

(١) الطبقات: ٢/ ٣٧٠.

(٢) الطبقات: ٢/ ٣٦٩. والتهذيب: ٥/ ٢٤٧.

(٣) تاريخ القرآن لعبد الصبور شاهين ص: ١٦١.

(٤) مناهج في التفسير، الصاوي الجويني: ص: ٢٤.

(٥) الحلية: ١/ ٣٢٢.

(٦) المستدرک: ٣/ ٦٢٧، والتهذيب: ٥/ ٢٤٧.

ومما قيل بعد موته، مات أعلم الناس وأحلم الناس، ولقد أصيبت به هذه الأمة مصيبة لا ترتق وهو قول جابر<sup>(١)</sup>. وقال رافع بن خديج: «مات اليوم من كان يحتاج إليه من بين المشرق والمغرب»<sup>(٢)</sup> وقال: ابن الحنفية يوم موته: «اليوم مات رباني هذه الأمة»<sup>(٣)</sup>.

---

(١) الطبقات: ٢/ ٣٧٢.

(٢) الطبقات: ٢/ ٣٧٢.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم: ٤/ ١١٤٠.

## المبحث الثاني

### تحديد بعض المفاهيم:

#### (١) المنهج لغة واصطلاحاً:

لغة: كلمة مأخوذة من فعل نهج ينهج نهجاً، قال ابن فارس: النون والهاء والجيم أصلان متباينان: الأول النهج، الطريق؛ ونهج الأمر: أوضحه، وهو مستقيم المنهاج، والمنهج الطريق أيضاً، والجمع المناهج. وهو ما ذهب إلى مثله ابن منظور والزيدي والفيروزآبادي وغيرهم<sup>(١)</sup>. والمعنى الذي يناسبنا في هذا المقام هو الطريق الواضح. واصطلاحاً: له تعاريف متعددة بحسب الحقول المعرفية، لكن نختار من بينها: «الطريقة التي ينهجها الفرد للوصول إلى هدف معين<sup>(٢)</sup>، أو خطوات منظمة يتبعها الباحث في معالجة الموضوعات التي يقوم بدراستها إلى أن يصل إلى نتيجة معينة»<sup>(٣)</sup>. وجاء ابن عباس في بيان قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]. قال: سبيلاً وسنة. فالشريعة والمنهاج الطريق الواضح<sup>(٤)</sup>. وفي السنة النبوية: «تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون... ثم تكون خلافة على منهاج النبوة»<sup>(٥)</sup>، وفي

(١) معجم مقاييس اللغة، ولسان العرب، والقاموس المحيط، ومختار الصحيح وتاج العروس: مادة: نهج.

(٢) محاضرات في العلوم التربوية والسلوكية، أ.د. محمود أبو دف، د. حمدان الصوفي، د. يحيى موسى، ص ٩٢، مكتبة آفاق، غزة، ٢٠٠٣م.

(٣) مناهج البحث العلمي، د. عمار بوحوش، د. محمد الذنبيات، ص ١٣، مكتبة المنار، الأردن، ط ١، ١٩٨٩م.

(٤) تفسير سفيان: ص: ١٠٣، وعبد الرزاق في التفسير: ١/١٨٧، والطبري: ٦/٢٧٠، ٢٧١، وابن أبي

حاتم: ٤/١١٥١، ونقله السيوطي: ٣/٩٦، عن عبد بن حميد وسعيد بن منصور والفريابي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وإبي الشيخ وابن مردويه.

(٥) مسند أحمد مخرجا (٣٠/٣٥٦) ١٨٤٠٦.

حديث الرؤيا التي عبرها أبو بكر رضي الله عنه: «ثم يكون من بعدك رجل على منهاجك»<sup>(١)</sup>. وعن العباس رضي الله عنه: «إن رسول الله ﷺ والله ما مات حتى ترك السبيل نهجاً واضحاً...»<sup>(٢)</sup>. ويتضح لنا من هذه النصوص وغيرها أن كلمة المنهج أو النهج أو المنهاج في الاصطلاح وفي الشرع، لا تخرج عن المعنى اللغوي الذي ذكرناه سابقاً، وهو ما تواتر في الدراسات الإنسانية عامّة، ويختلف معنى هذه الكلمة بحسب السياق الذي ترد فيه.

## ٢) التدبر لغة واصطلاحاً:

الدال والباء والراء. أصل هذا الباب أنّ جُلّه في قياس واحد، وهو آخر الشيء<sup>(٣)</sup>. والتدبّر هو: النظر في عواقب الأمور<sup>(٤)</sup>. وفي اللسان: «النظر الثاقب في أدبار الأمور والوقوف على ما تنتهي إليه»<sup>(٥)</sup>. واصطلاحاً: «عبارة عن النظر في عواقب الأمور، وهو قريب من التفكير الذي يعني تصرف القلب بالنظر في الدليل، والتدبر تصرفه بالنظر في العواقب»<sup>(٦)</sup>. وباختصار عند بعض العلماء: «العمل على تحقيق وتحديق النظر في ما يبلغه المعنى القرآني المديد من درجات الهداية إلى الصراط المستقيم. وهذا نظر لا يتناهى، فإن المعنى القرآني له أصل يبدأ منه، ولكن منتهاه لا يكاد يبلغه أحد من

(١) مسند أحدث شاکر (٢/ ٥٢٥) ٢١١٣.

(٢) سنن الدارمي: ١ / ٢٢١ / ٨٤. تعليق المحقق رجاله ثقات غير أنه مرسل.

(٣) معجم مقاييس اللغة لابن فارس.

(٤) دستور العلماء جامع العلوم في اصطلاحات الفنون لنكري: ١ / ١٩٤. والتعريفات: ١ / ٥٤.

والقاموس الفقهي: ١ / ١٢٨.

(٥) لسن العرب مادة دبر.

(٦) التعريفات للجرجاني... بتصرف. ١ / ٥٤.

العباد، فصاحب القرآن الكريم في سفر دائم طلباً للمزيد من المعنى القرآني<sup>(١)</sup>. «وَكَلَّ تَعْقُلٍ وَتَفَكُّرٍ وَتَفَقُّهِ وَتَفَهِّمٍ لِلْبَيَانِ الْقُرْآنِيِّ لَا يَحْقُقُ الْعِلْمَ بِدَرَجَةٍ مِنْ دَرَجَاتِ الْهُدَايَةِ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ لَا يَكُونُ مِنْ تَدْبِيرِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي شَيْءٍ»<sup>(٢)</sup>. وجاء عن ابن عباس في بيان قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾، قال: فيتفكرون فيه، فيرون تصديق بعضه لبعض، وما فيه من المواعظ والذكر، والأمر والنهي، وأن أحداً من الخلائق لا يقدر عليه<sup>(٣)</sup>. وعلى هذا يكون المقصود من الحديث عن منهجية تدبر القرآن الكريم عند ابن عباس الطريقة والخطوات المنظمة التي اتبعها أو نهجها حبر الأمة في تدبره لآيات الكتاب لإيصال الخطاب إلى عقول وقلوب العباد.

(١) العزفُ على أنوار الذِّكر معالم الطريق إلى فقه المعنى القرآنيّ في سياق السورة. لمحمود توفيق. ١١ / ١.

(٢) العزفُ على أنوار الذِّكر: ١١ / ١.

(٣) زاد المسير لابن الجوزي: ٤٣٨ / ١، لباب التأويل للخازن: ٤٠٢ / ١.

## المبحث الثالث

### منهجية ابن عباس فيه تدبر القرآن:

مدخل:

تخبرنا مرويات التفسير والحديث وكتب التراجم والتاريخ، عن اكتمال الفهم والمعرفة لأصول الدين جميعاً لدى الصحابة رضي الله عنهم، وكان ذلك بفضل تدبرهم لآيات القرآن تمثلاً لقوله تعالى: ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ ﴾ [ص: ٢٩]. ومن المسلم به، أن الرسول ﷺ قد بلغ الرسالة كما أمر، ولم يكتف منها شيئاً امتثالاً لقوله تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل: ٤٤] ويقرار الرسول ﷺ بذلك: «لَيْسَ مِنْ شَيْءٍ يُقَرَّبُكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ، وَيُبَاعِدُكُمْ مِنَ النَّارِ، إِلَّا قَدْ أَمَرْتُكُمْ بِهِ، وَلَيْسَ شَيْءٌ يُقَرَّبُكُمْ مِنَ النَّارِ، وَيُبَاعِدُكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا قَدْ نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ...»<sup>(١)</sup>. وقول عائشة رضي الله عنها فيما رواه عنها مسروق قال: «كُنْتُ مُتَكِيًّا عِنْدَ عَائِشَةَ، فَقَالَتْ: يَا أَبَا عَائِشَةَ، ثَلَاثٌ مَنْ تَكَلَّمَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ، قُلْتُ: مَا هُنَّ؟ قَالَتْ: [...] وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَتَمَ شَيْئًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ، وَاللَّهُ يَقُولُ: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾ [المائدة: ٦٧]<sup>(٢)</sup>. [...] وقال أبو ذر: «تَرَكْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَمَا ظَانِرٌ يُقَلَّبُ جَنَاحِيهِ فِي الْهَوَاءِ، إِلَّا وَهُوَ يُدَكِّرُنَا مِنْهُ عِلْمًا»<sup>(٣)</sup>. كان من سماهم القرآن «أشداء على الكفار رحماء بينهم» حريصين على الاستيعاب الدقيق لكل ما يسمعونه أو يتعلمونه،

(١) شرح السنة للبخاري (١٤ / ٣٠٣) ٤١١١.

(٢) صحيح مسلم (١ / ١٥٩) ١٧٧ / ٢٨٧.

(٣) المعجم الكبير للطبراني (٢ / ١٥٥) ١٦٤٧.



حيث روي عن أبي عبد الرحمن قال: حَدَّثَنَا مَنْ كَانَ يُقْرِئُنَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُمْ كَانُوا «يَقْتَرُونَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَشْرَ آيَاتٍ»، فَلَا يَأْخُذُونَ فِي الْعَشْرِ الْأُخْرَى حَتَّى يَعْلمُوا مَا فِي هَذِهِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، قَالُوا: فَعَلِمْنَا الْعِلْمَ وَالْعَمَلَ<sup>(١)</sup>، وقام عبد الله بن عمر رضي الله عنه يحفظ سورة البقرة في ثمان سنين لاستغراقه في المعرفة والفهم<sup>(٢)</sup>. وكانت أم الدرداء رضي الله عنها تصف زوجها بأن أفضل عمله التفكير<sup>(٣)</sup>. وعلى هديهم صار عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في تعلم القرآن وفهمه وتدبر معانيه، حيث استوعب القرآن جملة وتفصيلاً، ونقل عنه في تفسيره وبيان معانيه من النصوص أكثر من أن يحصى أو يعد، حيث يقول تلميذه مجاهد: «عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته، أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها»<sup>(٤)</sup>، وفي رواية<sup>(٥)</sup> ثلاثين عرضة<sup>(٦)</sup>. وروى ابن جرير عن ابن أبي مليكة قال: «رأيت مجاهداً سأل

(١) مسند أحمد ط الرسالة (٣٨ / ٤٦٦) ٢٣٤٨٢. إسناده حسن. وأخرجه ابن أبي شيبة ١٠ / ٤٦٠ - ٤٦١ عن محمد بن فضيل، هذا الإسناد. وأخرجه ابن سعد ٦ / ١٧٢. والطبري في «تفسيره» ١ / ٣٦ والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (١٤٥١) و(١٤٥٢). وأورده الدارقطني في «العلل» ٣ / ٦٠ والحاكم ١ / ٥٥٧، وعنه البيهقي ٣ / ١١٩ - ١٢٠.  
(٢) الفتاوى الكبرى ج ٥ ص ١٥٥، ١٥٦.  
(٣) منهج علماء الحديث والسنة في أصول الدين لد مصطفى محمد حلمي: ١ / ٢٢. نقلا عن نقض النطق: ٨٧.

(٤) المعرفة والتاريخ: ١ / ٧١٢، وجامع البيان: ١ / ٤٠، والحلية: ٣ / ٢٧٩، والبداية: ٩ / ١٨٩، والتهذيب: ١٠ / ٣٩، ومصنف ابن أبي شيبة: ٦ / ١٥٤، والمستدرک للحاكم: ٢ / ٣٠٧، كتاب التفسير ح: ٣١٠٥، ومقدمة ابن تيمية: ص: ٧.

(٥) الحلية: ٣ / ٢٨٠، وطبقات ابن سعد: ٥ / ٤٦٦، وتهذيب الأسماء: ١ / ٨٣، والعبر للذهبي: ١ / ١٢٥، ميزان: ٣ / ٤٣٩، وطبقات الداودي: ٢ / ٣٠٧، والتهذيب: ١٠ / ٣٨، والبداية: ٩ / ١٨٩، وغاية النهاية: ٢ / ٤٢. وزاد فيها أن ١٩ مرة من العرضات المذكورة كلها يأمره فيها أن يكرر من سورة ألم نشرح.

(٦) وهذا لا يعني أبداً التعارض، لأن الاخبار بالقليل لا ينافي الإخبار بالكثير، ولعله عرض القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة لتنام الضبط ودقة التجويد وحسن الأداء، وعرضه بعد ذلك ثلاث مرات طلباً لتفسيره ومعرفة ما دق من أسراره وخفي من معانيه، كما تشعر بذلك ألفاظ الرواية..

عن تفسير القرآن ومعه ألواحه، قال ابن عباس: «اكتب حتى سأله عن التفسير كله»<sup>(١)</sup>. وبالرجوع إلى الآثار المروية عن ابن عباس في مختلف المظان، من كتب تفسير وحديث وطبقات ومصنفات ومسانيد وغيرها التي تتجاوز ٧٥٠٠ أثر دون المكرور، يتبين لكل ذي عينين، أن ابن عباس رضي الله عنه كان له منهج تدبري مؤسس على ما استفاده وتعلمه من معلمه الأول محمد رسول الله، ثم الشيوخ الكبار من الصحابة الأجلاء. هذا المنهج بني بناء سليماً على ست صفات أحسب أهميتها في كل متدبر لكتاب الله، وهي صفات تمثلها ابن عباس حبر الأمة وهي: العلم والمعرفة، واللين والرقّة، والخوف والخشية، والتلاوة بالأسوة والقدوة، والاستماع بالإصغاء والسكينة، والبكاء بغزارة الدمع. تمثلها بكل وعي وقوة عند تعامله مع أي الكتاب، سواء في تفكره أو قراءة ما بين أسطر الآيات، أو في مواعظه وذكره، أو في تعامله مع الأوامر والنواهي، أو في نظرتة لعظمة الخالق وكتابه. ويمكن بيان تجليات ذلك في جملة من العناصر الأساسية ممثلة في:

---

(١) جامع البيان: ٤٠ / ١.

## المطلب الأول: إحسان البيان لتقوية الإيمان:

وهذا لا يتحقق إلا بما يلي:

أولاً: تقديس الآيات ابتداء:

١- بيان تعظيم الخالق: لا شك أن السلف الصالح، وخاصة الجيل الأول كانوا يحتاطون لعقيدتهم قولاً وفعلاً ونظراً، وقد شغلهم الاهتمام بتوعية العامة و تثقيف تلامذتهم بما يحصن عقيدتهم ويقوي إيمانهم، بمنهج سليم واضح ميسر، اتضح هذا في بيان ابن عباس حبر الأمة لآيات الكتاب، أذكر من ذلك نماذج صرح فيها بما اختلج في كيانه من الدعوة إلى تصحيح العقيدة بتوجيه التفكير بقوله: «تفكر ساعة خير من قيام ليلة»<sup>(١)</sup> حيث بين ما ينبغي التفكير فيه وكيفية ذلك، من ذات إلهية وصفات وأسماء، وكون وإنسان، وحقيقة الشيطان ووساوسه، وقدر، وغير ذلك مما حوته آيات الكتاب من قضايا عالجهما ابن عباس في تدبره. حيث دعا للتفكر في الخلق لا في الذات، بقوله: «تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذاته»<sup>(٢)</sup>. وفي رواية قال: «تفكروا في كل شيء ولا تفكروا في ذات الله، فإن بين السماء السابعة إلى كرسيه سبعة آلاف نور، وهو فوق ذلك»<sup>(٣)</sup>. كما كان يبدع في الجواب إن تعلق الأمر بالأمر الغيبية، حيث سأله أحدهم مرة عن الولدان أفي الجنة هم؟ قال: حسبك ما اختصم فيه موسى والخضر<sup>(٤)</sup>. كما انتقل بحديثه عن أسماء الله وصفاته، حيث تحدث عن

(١) العظمة أبو الشيخ: ١/ ٢٩٧/ ٤٢ ما ذكر من الفضل في المتفكر في ذلك، والدر المنثور: ٢/ ٤١١ نقلًا عن أبي الشيخ.

(٢) الدر المنثور: ٢/ ٤٠٩. نقلًا عن البيهقي.

(٣) الدر المنثور: ١/ ١١٠.

(٤) المستدرک: ٢/ ٤٠١/ ٣٣٩٨/ كتاب التفسير، وقال الذهبي: على شرطها، ونقله السيوطي: ٥/ ٤٢٦،

عن ابن أبي حاتم والحاكم عن ابن أبي مليكة به،

قوله: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾ [النحل: ٦٠] فقال: ﴿أَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]<sup>(١)</sup>. وعن الرحمان الرحيم، فقال: «الرفيق الرفيق بمن أحب أن يرحمه، والبعيد الشديد على من أحب أن يعنف عليه، وكذلك أسماءه كلها.»<sup>(٢)</sup> وعن «الحمد لله رب العالمين»، فقال بلسان جبريل يحدث محمداً ﷺ: «قل الحمد لله الذي له الخلق كله، السماوات كلهن ومن فيهن، والأرض كلهن ومن فيهن وما بينهن مما يعلم وما لا يعلم، يقول: اعلم يا محمد أن ربك هذا لا يشبهه أحد»<sup>(٣)</sup>. وعن قوله: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦] «وفوق كل ذي علم عليم». فقال لرجل قال: الحمد لله فوق كل ذي علم عليم، فقال ابن عباس: بئس ما قلت، الله العليم وهو فوق كل عالم<sup>(٤)</sup>. وقال: يكون هذا أعلم من هذا، وهذا أعلم من هذا، والله فوق كل عالم<sup>(٥)</sup>. وزاد الأمر بياناً عندما تحدث عن قوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥] قال: إن بني إسرائيل قالوا: يا موسى هل يصلي ربك؟ قال: اتقوا الله، قالوا: فهل ينام ربك؟ قال: اتقوا الله، قالوا: فهل يصبغ ربك؟ قال: اتقوا الله، فناداه ربه عز وجل يا موسى سألوكم هل يصلي ربك فقال نعم أنا أصلي وملائكتي على أنبيائي ورسلي، فأنزل الله عز وجل على نبيه ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٦]، إلى آخرها. وسألوكم هل ينام ربك فخذ زجاجتين بيديك فقم الليل ففعل موسى صلى الله على نبينا وعليه وسلم، فلما ذهب

(١) الدر المنثور: ١٣٩/٥.

(٢) جامع البيان: ٥٤/١، وذكره ابن أبي حاتم بنفس السند: ٢٦/١، والسيوطي: ٢٤/١، عن البيهقي في الأسماء والصفات مع بعض الزيادات.

(٣) جامع البيان: ٦٢/١، وذكره ابن أبي حاتم: ٢٧/١، بنفس السند، وذكره ابن كثير: ٤٢/١،

(٤) تفسير عبد الرزاق: ٢٨٤/١، والطبري: ٢٦/١٣، و٢٧/١٣، وابن أبي حاتم: ٢١٧٧/٧، ونقله السيوطي: ٥٦٢/٤، عن عبد الرزاق وسعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ والبيهقي في الأسماء والصفات.

(٥) الدر المنثور: ٥٦٢/٤.

من الليل ثلث نعس فوقع لركبتيه ثم انتعش فضبطهما، حتى إذا كان آخر الليل نعس فسقطت الزجاجتان فانكسرتا، فقال: يا موسى لو كنت أنام لسقطت السماوات على الأرضين فهلكت كما هلكت الزجاجتان بيديك، فأنزل الله عز وجل على نبيه ﷺ آية الكرسي، وسألوك هل يصبغ ربك؟. فقل: نعم، أنا أصبغ الألوان الأحمر والأبيض والأسود والألوان كلها في صبغي، فأنزل الله على نبيه ﷺ: ﴿صَبَّغَةَ اللَّهُ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صَبَّغَةً﴾ [البقرة: ١٣٨]، إلى آخرها..<sup>(١)</sup>

٢- بيان خطورة وساوس الشيطان العقدية وغيرها وردها: وهذا أمر عقدي، ومن المعلوم أن كيد إبليس مع أمة محمد انتقل إلى الوسوسة، لهذا أمرنا رب العالمين أن نستعيذ منه بالموذنين، بلفظ «قل أعوذ برب الناس ملك الناس من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس». كما جاء في حديث النبي ﷺ الذي رواه ابن عباس قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، إن أحدنا يجد في نفسه، يُعَرِّضُ بِالنَّيِّءِ، لَأَنْ يَكُونَ حَمَمَةً أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ، فقال: «اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ» الحمد لله الذي ردَّ كيده إلى الوسوسة» قال ابن قدامة: «ردَّ أمره» مكان: «ردَّ كيده».<sup>(٢)</sup> وهي أمور عالجه ابن عباس بدقيق تدبره في آيات الله، حيث أخرج أبو داود عن أبي زميل قال: سألت ابن عباس فقلت: ما شيء أجده في صدري قال: ما هو؟ قلت: والله لا أتكلم به، فقال لي: شيء من شك؟ وضحك، قال: ما نجا من ذلك أحد حتى أنزل الله تعالى: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ [يونس: ٩٤]

(١) العظمة لأبي الشيخ: ٢/٤٥٢-٤٥٣/٢٢، والدر المنثور: ٦/٦٤٦، نقلًا عن أبي الشيخ وابن أبي

حاتم وابن مردويه.

(٢) سنن أبي داود ت الأرئووط ٧/٤٣٥/٥١١٢. إسناده صحيح. وأخرجه النسائي في «الكبرى»

(١٠٤٣٥) و(١٠٤٣٦) من طريق شعبة، وأخرجه النسائي (١٠٤٣٤)، ومسند أحمد (٢٠٩٧)،

وصحيح ابن حبان ١٤٧.

وقال لي: إذا وجدت ذلك في نفسك شيئاً فقل: هو الأول والآخِر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم<sup>(١)</sup>. وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: أتاه رجل فقال: يا أبا عباس: سمعت الله يقول: «وكان الله» كأنه شيء كان، فقال ابن عباس: أما قوله: «وكان الله» فإنه لم يزل ولا يزال، وهو الأول والآخِر والظاهر والباطن<sup>(٢)</sup>. وعنه قال: قال يهودي: «إنكم تزعمون أن الله كان عزيزاً حكيماً، فكيف هو اليوم؟ قال ابن عباس: إنه كان من نفسه عزيزاً حكيماً<sup>(٣)</sup>. كما حرص رضي الله عنه على توجيه المسلمين إلى الكيفية التي يجب أن يواجهوا بها كيد الشيطان ووساوسه، حيث روي عنه قوله: «إذا رأيت الشيطان فلا تخافوه واحملوا عليه إن كيد الشيطان كان ضعيفاً»<sup>(٤)</sup>. وقيل له يوماً: هل لك في عبيد بن عمير إذا سمع النداء خرج فتوضأ، فقال ابن عباس: هكذا يصنع الشيطان إذا جاء فأذونني، فلما جاء أخبروه، فقال: ما يملك على ما تصنع؟ فقال: إن الله يقول: «إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم» فتلا الآية، فقال ابن عباس: ليس هكذا، إذا توضأت فأنت طاهر ما لم تحدث<sup>(٥)</sup>. وروي عنه مرة أنه قال: «أيما رجل منكم تخيل له الشيطان حتى يراه فلا يصدن عنه وليمض قدماً، فإنهم منكم أشد فرقاً منكم منهم، فإنه إن صد عنه ركبته، وإن مضى هرب منه، قال مجاهد: أنا ابتليت به حتى رأيتته فذكرت قول ابن عباس رضي الله عنهما فمضيت قدماً فهرب مني<sup>(٦)</sup>. وبين لعبد الله بن عمرو أرجى آية في الكتاب وهي قوله

(١) الدر المنثور: ٤٩/٨.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم: ٨٩٩/٣، و: ٩٤٤/٣، و: ١١١٢/٣ و ٢٧١١/٨.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم: ١١١٢/٤، ونقله عنه السيوطي: ٧٣٢/٢.

(٤) تفسير ابن أبي حاتم: ١٠٠٣/٣، ونقله السيوطي: ٥٩٣/٢، عن عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٥) مصنف ابن أبي شيبة: ٥٧/١.

(٦) العظمة لأبي الشيخ: ١٦٨٦/٥، ونقله عنه السيوطي في الدر المنثور: ٤٣٦/٣.

تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمَ تُوْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠] قال: قال ابن عباس: فرضي منه بقول بلي، قال: فهذا لما يعترض في الصدور مما يوسوس به الشيطان.<sup>(١)</sup> وليس كما فهم عبد الله بن عمرو: قول الله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ [الزمر: ٥٣].

٣- تعظيم آيات الكتاب: فمن عرف قيمة الشيء اهتم به، ومن أقواله المأثورة: «تضمن الله لمن قرأ القرآن واتبع ما فيه أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ثم تلا هذه الآية: ﴿فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ [طه: ١٢٣]<sup>(٢)</sup>. وقال: «من سمع آية من كتاب الله تتلى كانت له نوراً يوم القيامة»<sup>(٣)</sup>. وكان إذا رأى المصحف قد فضض أو ذهب، قال: أتغرون به السراق وزينته في جوفه»<sup>(٤)</sup>. وهذا قد يشترك فيه مع الكثيرين ممن تعاملوا مع كتاب الله قراءة وتفسيراً وتعليماً وتدبراً، لكن ابن عباس صدر منه أثناء قراءته للكتاب ما يؤكد نظرتَه الخاصة له، وهي تتضح في جملة عناصر منها:

أ- أصل القرآن وصفته: حيث روي عنه أنه صلى على جنازة، فقال رجل: اللَّهُمَّ رب القرآن العظيم اغفر له، فقال ابن عباس: ثكلتك أمك! إن القرآن منه، إن القرآن منه»<sup>(٥)</sup>. وروى عنه ابن أبي حاتم في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٧]، قال: «إن هذا القرآن ذو شجون وفنون وظهور

(١) فضائل القرآن: ٨٦/٢، وذكره عبد الرزاق في تفسيره: ١١٦/١، والطبري: ٤٩/٣، وابن كثير: ٥٦٠/١، والحاكم في المستدرک: ١/١٢٨/ح: ١٩٨/كتاب الايمان، وقال الذهبي: فيه انقطاع، والسيوطي: ٣٤/٢، عن عبد الرزاق وابن جرير، وأيضاً عن عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والحاكم وابن أبي حاتم.

(٢) جامع البيان: ١٤٧/١، وتفسير ابن كثير: ١٤٣/١.

(٣) فضائل القرآن: ١/٢٤٩، وذكره عبد الرزاق في مصنفه: ٣/٣١٠.

(٤) فضائل القرآن لأبي عبيد: ٢/٢٣٤، وذكره ابن أبي شيبه: ٦/١٤٩/٣٠٢٣٣، في المصحف يحلى.

(٥) شعب الإيثار: ١/١٨٨/١٦٨، ونقله عنه السيوطي في الدر المنثور: ٧/٢٢٤.

وبطون لا تنقضي عجائبه، ولا تبلغ غايته، فمن أوغل فيه برفق نجا، ومن أوغل فيه بعنف غوى، أخبار وأمثال، وحرام وحلال، وناسخ ومنسوخ، ومحكم ومتشابه، وظهر وبطن، فظهره التلاوة، وبطنه التأويل، فجالسوا به العلماء وجانبوا به السفهاء، وإياكم وزلة العالم»<sup>(١)</sup> وجاءه يوماً رجل من حضرموت سائلاً عن القرآن، أكلام من كلام الله أم خلق من خلق الله؟ قال: بل كلام من كلام الله، أو ما سمعت الله يقول: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ﴾ [التوبة: ٦]، فقال له الرجل: أفرأيت قوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣] قال: كتبه الله في اللوح المحفوظ بالعربية، أما سمعت الله يقول: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ﴿١٢﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [البروج: ٢١، ٢٢]. المجيد: هو العزيز، أي: كتبه الله في اللوح المحفوظ<sup>(٢)</sup>.

ب- مكانة القرآن بين الكتب: حيث روى عنه ابنه عبيد الله أنه قال: «يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزل عليكم بين أظهركم محصن ولم يشب، فهو أحدث الأخبار بالله، وقد أخبركم الله عن أهل الكتاب أنهم كتبوا بأيديهم كتباً ثم قالوا هذا من عند الله «ليشتروا به ثمناً قليلاً» فبدلوها وحرفوها عن موضعها أفما ينهاكم ما جاءكم الله عن مسألتهم؟ فوالله ما رأينا أحداً منهم يسألكم عن الذي أنزل إليكم»<sup>(٣)</sup>.

(١) الدر المنثور: ٢/ ١٥٠، وروح المعاني للألوسي: ٧/ ١.

(٢) الدر المنثور: ٧/ ٣٦٥.

(٣) المصنف لعبد الرزاق: ٦/ ١١٠، وفتح الباري شرح صحيح البخاري كتاب التوحيد، ١٣/ ٦٠٧، رقم الحديث: ٧٥٢٢، ٧٥٢٣، وذكره أيضاً في كتاب الشهادات، باب لا يسأل أهل الشرك عن الشهادة وغيرها، ٥/ ٣٦٥، رقم الحديث: ٢٦٨٥، وتكرر أيضاً في الحديث رقم: ٧٣٦٣، وذكره ابن أبي حاتم: ١/ ١٥٤، والبيهقي: ١٠/ ٢٧٤، وابن أبي شيبة: ٥/ ٣١٣. والحاكم في المستدرک: ٢/ ٢٨٩ / ٣٠٤١ / كتاب التفسير، وهو على شرطها، وذكره ابن كثير: ١/ ٢٠٦. والسيوطي: ١/ ٢٠٢، عن عبد الرزاق والبخاري وابن أبي حاتم والبيهقي في الشعب.



ج-دقة أحرفه وكلماته: وهذا لا يخفى على مطلع حصيف، فحبر الأمة عاش مع القرآن وغاص في أحرفه كما في جملة، يتجلى هذا في كثير مما روي عنه، من ذلك: أنه كان يقرأ ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءَ﴾ [الأنبياء: ٤٨] قال: خذوا هذه الواو واجعلوها ههنا ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٧٣] الآية<sup>(١)</sup>. وكان يقرأ قوله تعالى: ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفتح: ٩] قال: إذا أشكل ياء أو تاء فاجعلوها على ياء فإن القرآن كله على ياء<sup>(٢)</sup>. وقال: «كل شيء نسبه الله إلى غير أهل الإسلام من اسم مثل خاسر، فإنما يعني به الكفر وما نسبه إلى أهل الإسلام فإنما عنى به الذنب»<sup>(٣)</sup>. وفي قوله تعالى: ﴿فَدَبَّحُوا بِهَا آيَاتِنَا تَتَحَدَّثُونَ﴾ [البقرة: ٧١] قال: كادوا لا يفعلون، ولم يكن الذي أرادوا لأنهم أرادوا أن لا يذبحوها، وكل شيء في القرآن كاد أو كادوا أو لو فإنه لا يكون، وهو مثل قوله: ﴿أَكَاذُ أَخْفِيًا﴾ [طه: ١٥]<sup>(٤)</sup>. وقال: «عسى من الله واجب»<sup>(٥)</sup>. وقال: «كل سلطان في القرآن حجة»<sup>(٦)</sup>. وكل شيء في القرآن قتل فهو لعن<sup>(٧)</sup>. وقال مرة للضحك: «احفظ عني كل شيء في القرآن ﴿وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [التوبة: ٧٤] فهي

(١) الدر المنثور: ٦٣٤/٥.

(٢) الدر المنثور: ٥١٦/٧.

(٣) جامع البيان: ١/١٨٥، وذكره ابن كثير: ١/١١٦ به، والسيوطي: ١/١٠٥، عن ابن جرير وابن أبي حاتم.

(٤) جامع البيان: ١/٣٥٤، وابن أبي حاتم: ١/١٤٣، وابن كثير: ١/١٩٤.

(٥) الدر المنثور: ١/٥٨٧، ولم أعثر على الأثر عند البيهقي منسوباً لابن عباس لكنني وجدته عنده منسوباً للشافعي، ٩/١٣.

(٦) تفسير ابن أبي حاتم: ٥/١٤٧١، ونقله السيوطي: ٢/٧٢١، عن عبد الرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه،

(٧) جامع البيان: ١٠/١١٣، وابن أبي حاتم: ٦/١٧٨٣، ونقله السيوطي: ٤/١٧٣، عن ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

للمشركين، فأما المؤمنون فما أكثر شفعاؤهم وأنصارهم<sup>(١)</sup>. إنها إشارات مختصرة في استيعابه وتدبره لأحرف وكميات الآيات، لا يسع التفصيل في كل ما ذكر وفصل، يتبين من خلالها حسن تدبره لآيات الكتاب وبعد نظره في أجزائه كما في كلياته.

ثانياً: تقديس الآيات امثالاً:

١- الإنصات والتسليم: وبهذا حصل لهم الفلاح، لأن مشكلة أبناء الأمة اليوم هي في ضعف الإنصات، وغياب التسليم، ولا فوز لنا إلا باتباع نهج الأوائل، وقد وردت عن حبر الأمة في هذا أقوال تعبر عن هذا المنهج الأمثل والأقوم تعبر عن حسن نظرهم لكتاب الله وحسن توجيههم لعامة الناس، حيث جاءه رجل فقال: اعهد إلي فقال: إذا سمعت الله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فأوعها سمعك، فإنه خير يأمر به أو شر ينهى عنه<sup>(٢)</sup>. وكان رضي الله عنه يعيش مع القرآن بالفعل قبل القول، حيث يروي عنه زيد بن علي بن الحسين عن أبيه عن ابن عباس قال: «جاءه نعي بعض أهله وهو في سفر فصلى ركعتين ثم قال: فعلنا ما أمر الله: ﴿اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: ١٥٣]<sup>(٣)</sup>. ويلتزم حرفية النص، حيث قال: إنما أمرتم بالطواف ولم تؤمروا بدخوله<sup>(٤)</sup>. وكان يقول: «حق على المسلمين إذا نظروا إلى هلال شوال أن يكبروا الله حتى يفرغوا من عيدهم لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلْيُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلْيُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا

(١) - الدر المنثور: ٤/ ٢٤٥، ولم أعثر على الأثر عند أبي الشيخ في العظمة.

(٢) الدر المنثور: ١/ ٢٥٢، وقد بحث عن النص في الكتب التي نقل عنها السيوطي فوجدت النص مسندا لابن مسعود، انظر: الزهد لابن حنبل: ١/ ١٥٨، والبيهقي في شعب الایمان: ٢/ ٣٦١/ ٢٠٤٥، وحلية الأولياء: ١/ ١٣٠.

(٣) المستدرک: ٢/ ٢٩٦، حديث رقم: ٣٠٦٧، وقال: صحيح، ونقله ابن كثير عن ابن جرير: ١/ ١٥٢،

(٤) جامع البيان: ٢/ ٢٣.

هَذَا كُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿ [البقرة: ١٨٥] <sup>(١)</sup>. وكان يقول: الله أكبر كبيراً، الله أكبر كبيراً، الله أكبر وأجل، الله أكبر والله الحمد <sup>(٢)</sup>. وروى قيس بن أبي حازم قال: صليت خلف بن عباس بالبصرة فقراً في أول الركعة بالحمد لله وأول آية من البقرة ثم ركع، ثم قام في الثانية فقراً الحمد لله والآية الثانية من البقرة، ثم ركع فلما انصرف أقبل علينا فقال: إن الله يقول: ﴿فَاقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنْهُ﴾ [المزمل: ٢٠] <sup>(٣)</sup> وقال: من نذر أن ينحر نفسه أو ولده فليذبح كبشاً ثم تلا ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١] <sup>(٤)</sup>. وقال لرجل قال: «نذرت لأنحرن نفسي، قال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾، ثم تلا: ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصفوات: ١٠٧]، ثم أمره بذبح كبش <sup>(٥)</sup>. وعن عمرو بن دينار قال: رأيت ابن عباس يكبر يوم النحر ويتلو: ﴿وَأذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٠٣] <sup>(٦)</sup>. وطاف يوماً مع معاوية بالبيت فجعل معاوية يستلم الأركان كلها فقال له ابن عباس: لم تستلم هذين الركنين ولم يكن رسول الله ﷺ يستلمهما؟ فقال معاوية: ليس شيء من البيت مهجوراً، فقال ابن عباس: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ

(١) جامع البيان: ١٥٧/٢، وذكره ابن كثير: ٣٨٤/١، بلفظ: ما كنا نعرف انقضاء صلاة رسول الله إلا

بالتكبير. ونقله عنه السيوطي في الدر المنثور: ٤٦٨/١.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة: ٥٦٥٥/٤٩٠/١، والدر المنثور: ٤٦٨/١، عن ابن أبي شيبة والمروزي والبيهقي في سننه.

(٣) سنن البيهقي الكبرى: ٢/٤٠/٢٢٠١، وقال علي بن عمر هذا إسناد حسن وفيه حجة لمن يقول إن معنى قوله فاقروا ما تيسر منه إن ذلك إنما هو بعد قراءة فاتحة الكتاب والله أعلم، وسنن الدارقطني: ٣٢٣/٨، والدر المنثور: ٣٣٨/٢.

(٤) المعجم الكبير: ١١/٣٥٣/١١٩٩٥، ونقله عنه السيوطي في الدر المنثور: ١١٤/٧.

(٥) مصنف عبد الرزاق: ٨/٤٦٠/١٥٩٠٤، المعجم الأوسط: ١/٧٤/٢٠٨، والدر المنثور: ١١٤/٧، عن عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر والطبراني وابن مردويه.

(٦) الدر المنثور: ٥٦٢/١.

أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴿﴾. فقال معاوية: صدقت<sup>(١)</sup>.

٢- التأثير دون تكلف: وهذا من حسن تدبره، وتعليمه لغيره، فقد جاء أبو جهمرة نصر بن عبد الرحمان وقال لابن عباس إني سريع القراءة وإني أقرأ القرآن في ثلاث، فقال: لأن أقرأ البقرة في ليلة فأدبرها وأرتلها أحب إلي من أن أقرأ كما تقول. وفي رواية: أحب إلي من أقرأ القرآن هذرمة<sup>(٢)</sup>. وقال ابن أبي مليكة: «صحبت ابن عباس من مكة إلى المدينة ومن المدينة إلى مكة، فكان إذا نزل منزلاً قام شطر الليل فأكثر في ذلك النسيج، قلت: وما النسيج؟ قال: النحيب البكاء، ويقرأ ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٩]<sup>(٣)</sup>. وقال: «إذا قرأتُم سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا، فإن لم تبك عين أحدكم فليبك قلبه»<sup>(٤)</sup>.

٣- العزيمة بدل الرخصة: وهذا في نفسه قبل غيره، ثم في أقرب الناس إليه، ثم لكل الناس المتأملين في أقواله، حيث روى عكرمة أن ابن عباس لما سقط في عينيه الماء أراد أن يخرج من عينيه، فقيل له: إنك تستلقي سبعة أيام لا تصلي إلا مستلقياً، قال: فكره ذلك وقال: أنه بلغني أنه من ترك الصلاة وهو يستطيع أن يصلي لقي الله تعالى وهو عليه غضبان<sup>(٥)</sup>. ولما اشتكى بصره قيل له: «نداويك وتدع الصلاة أياماً؟

(١) مسند أحمد: ٣/٢٦٦، ١٨٧٧، وذكره الحاكم في المستدرک: ٣/٦٢٤/٦٣٠٥. وقال صحيح.

(٢) فضائل القرآن: ١/٣٢٦، ونقله السيوطي: ٨/٣١٣، عن الفريابي بلفظ: يقرأ آيتين ثلاثة ثم يقطع لا يهدم.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة: ٧/٢٤٤/٣٥٧٢٠، والزهد: ٢٧٨/١٠٤٣. وذكره أبو نعيم في الحلية: ١/٣٢٧ ونقله السيوطي: ٧/٥٩٨، عن ابن أبي شيبة واحمد في الزهد عن ابن أبي مليكة.

(٤) الكشف للزمخشري: ٣/٢٥.

(٥) سنن البيهقي الكبرى: ٢/٣٠٩/٣٤٩٩، ونقله السيوطي في الدر المنثور: ١/٧١٢، و٧١٣، ولم أعثر عليه في كتابه الطبقات.

قال: لا، لأن رسول الله ﷺ قال: من ترك الصلاة لقي الله وهو عليه غضبان»<sup>(١)</sup>. وعن مجاهد أنه دعا سمياً وكريباً وعكرمة فقال لهم: «إنكم قد بلغت ما يبلغ الرجال من شأن النساء، فمن أحب منكم أن أزوجه زوجته، لم يزن رجل قط إلا نزع الله منه نور الإسلام، يرده الله إن شاء أن يرده أم يمنعه إن شاء أن يمنعه»<sup>(٢)</sup>.

٤- اعتبار أوليات القرآن: حيث رويت عنه آثار متعددة في جملة مواضع مختلفة، ففي أمور تتعلق بالحج، روي أن رجلاً أتاه فقال: يا ابن عباس، ابدأ بالصفة قبل المروة أو ابدأ بالمروة قبل الصفا أو أصلي قبل أن أطوف، أو أذبح قبل أن أحلق أو أحلق قبل أن أذبح؟ فقال ابن عباس: خذ ذلك من قبل القرآن فإنه أجدد أن يحفظ، قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨] فالصفا قبل المروة وقال تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَحْلِقُوا زُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ﴾ [البقرة: ١٩٦] فقال بالذبح قبل الحلق، وقال تبارك وتعالى: ﴿طَهَّرْنَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ﴾ [البقرة: ١٢٥] فالطواف قبل الصلاة<sup>(٣)</sup>. وقيل له مرة كيف تأمر بالعمرة قبل الحج؟ والله يقول: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ﴾ [البقرة: ١٩٦]، فقال: كيف تقرؤون إن الدين قبل الوصية أو الوصية قبل الدين؟ قالوا: الوصية قبل الدين، قال: فبأيهما تبدؤون؟ قالوا: بالدين، قال: فهو ذلك<sup>(٤)</sup>.

(١) الدر المنثور: ٧١٢/١، و٧١٣، ولم أعثر على الأثر بلفظه عند البزار والطبراني.

(٢) سنن سعيد بن منصور: ١/١٤٠، باب الترغيب في النكاح، وذكره عبد الرزاق في المصنف: ٧/٤١٧، وذكره ابن أبي شيبة: ٤/٤٦٤٠/١٧٦٤٠، باب ما ذكر في الزنا وما جاء فيه، وذكره ابن أبي شيبة: ٦/١٦٠/٣٠٣٣٠، ما قالوا في صفة الايمان، وأيضاً: ٦/١٦٣/٣٠٣٥٢.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة: ٣/٣٣٢، وذكره ابن أبي حاتم: ١/٣٣٧، وذكره الدارقطني: ٢/١٧٩، ح رقم: ٢٤٣٠، والحاكم: ٢/٢٩٣، حديث رقم: ٣٠٥٦، وقال: صحيح، وأيضاً: ٣٠٥٧، وقال: صحيح، وأيضاً: ٢/٢٩٧.

(٤) مسند الشافعي: ١/٣٨٤/١٧٦٢، وقال الشافعي رضي الله عنه يعني أن التقديم جائز. وسنن البيهقي الكبرى: ٦/٢٦٨/١٢٣٤٤، ونقله السيوطي الدر المنثور: ١/٥٠٣-٥٠٤، عن الشافعي والبيهقي.

وقال مرة: من كان له مال يبلغه حج بيت ربه أو تحب عليه فيه الزكاة، فلم يفعل سأل الرجعة عند الموت، فقال رجل: يابن عباس: اتق الله إنما سأل الرجعة الكفار، قال: سأتلو عليك بذلك قرآناً: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ [المنافقون: ٩، ١٠] إلى قوله: ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ١١] قال: فما يوجب الزكاة؟ قال: إذا بلغ المال مائتي درهم فصاعداً، قال: فما يوجب الحج؟ قال: الزاد والبعير<sup>(١)</sup>. وفي قوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٢٠٣] قال: قد غفر له، إنهم يتأولونها على غير تأويلها، إن العمرة لتكفر ما معها من الذنوب فكيف بالحج؟<sup>(٢)</sup>

وفي الصلاة سئل مرة عما يقطع الصلاة، لورود أحاديث في الموضوع فقال: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠] وما يقطع هذا؟<sup>(٣)</sup>. وفي حديثه عن صلاة الضحى في القرآن، قال: لا يغوص عليها إلا غائص، ثم قرأ: يسبحن بالعشي والإشراق<sup>(٤)</sup>. وسئل عن صلاة الفجر، فقال: إنها لفي كتاب الله، ولا يقوم عليها، ثم قرأ ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ [النور: ٣٦]... الآية<sup>(٥)</sup>.

(١) جامع البيان: ١١٨/٢٨.

(٢) جامع البيان: ٣٠٧/٢، والسيوطي: ٥٦٨/١، عن ابن جرير.

(٣) المصنف لعبد الرزاق: ٢٩/٢، وذكره ابن أبي شيبة: ٢٥٨/٢، وسنن البيهقي الكبرى:

٣٣٢٨/٢٧٩/٢، ونقله السيوطي: ١٠/٧، عن عبد الرزاق وابن أبي شيبة والبيهقي في سننه.

(٤) مصنف عبد الرزاق: ٤٨٧١/٧٩/٣، وأيضاً: ٤٨٧٠/٧٩/٣، عن معمر عن عطاء الخراساني بلفظ:

لم يزل في نفسي من صلاة الضحى شيء حتى قرأت: «سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق»،

ونقله السيوطي في الدر المنثور: ٢٠٦/٦، عن ابن أبي شيبة والبيهقي في الشعب.

(٥) جامع البيان: ١٦٧/٩.

وفي الصدقة في قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٥]، قال: لأن أقرض مائة درهم مرتين أحب إليّ من أن أتصدق بها مرة<sup>(١)</sup>.

٥ - إنزال الآيات على الواقع: حيث روي أن رجلين سألاه عن الاستئذان في الثلاث عورات التي أمر الله بها في القرآن، فقال لهم: إن الله ستير يحب الستر، كان الناس ليس لهم ستور على أبوابهم ولا حجال في بيوتهم فربما فاجأ الرجل خادمه أو ولده أو يتيمة في حجره وهو على أهله، فأمرهم الله أن يستأذنوا في تلك العورات التي سمى الله، ثم جاء الله عز وجل بعد بالستور فبسط عليهم في الرزق فاتخذوا الستور واتخذوا الحجال، فرأى الناس أن ذلك قد كفاهم من الاستئذان الذي أمروا به<sup>(٢)</sup>.

٦ - حسن الإفهام لأهل الكتاب والمخالفين: حيث روي أن رجلاً من أهل الكتاب جاءه فقال: تقولون جنة عرضها السموات والأرض، فأين النار؟ فقال ابن عباس: أرايت الليل إذا جاء أين يكون النهار، وإذا جاء النهار أين يكون الليل<sup>(٣)</sup>. وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّمُ بِتَحِيَّةٍ﴾ [النساء: ٨٦] قال: من سلم عليك من خلق الله فاردد عليه وإن كان مجوسياً ذلك أن الله يقول: ﴿وَإِذَا حُيِّمُ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ [النساء: ٨٦]<sup>(٤)</sup> وفي رواية قال: «لو قال لي فرعون خيراً لرددت عليه»<sup>(٥)</sup>. وقال:

(١) مصنف ابن أبي شيبة: ٤/٤٧٣/٤٠/٢٢٢٤٠/ ما جاء في ثواب القرض والمنيحة.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم: ٨/٢٦٣٢، وقال فيه ابن كثير: هذا صحيح إلى ابن عباس، وسنن البيهقي الكبرى: ٧/٩٧/١٣٣٣٧، ونقله السيوطي: ٦/٢١٩، عن أبي داود وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في السنن.

(٣) جامع البيان: ٤/٩٢، ونقله السيوطي: ٢/٣١٥، عن عبد بن حميد وابن جرير.

(٤) تفسير ابن أبي حاتم: ٣/١٠٢٠-١٠٢١، ونقله السيوطي: ٢/٦٠٦، عن ابن أبي حاتم.

(٥) كتاب الصمت لابن أبي الدنيا ٥/١٩٩، وأيضاً: ٥/١٩٨، والطبري: ٥/١٨٩، وابن أبي حاتم: ٣/١٠٢٠، ١٠٢١، والحلية: ١/٣٢٢، ونقله السيوطي: ٢/٦٠٦، عن البخاري في الأدب وابن

إني لأرى لجواب الكتاب حقاً كرد السلام<sup>(١)</sup>.

- وفي القدرية، يحكي تلميذه طاوس قال: كنت عند ابن عباس ومعنا رجل من القدرية فقلت: إن أناسا يقولون لا قدر قال: أو في القوم أحد منهم؟ قلت: لو كان ما كنت تصنع به؟ قال: لو كان فيهم أحد منهم لأخذت برأسه ثم قرأت عليه آية كذا وكذا: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٤]<sup>(٢)</sup>. وذكر له أن قوماً يقولون في القدر فقال ابن عباس: إنهم يكذبون بكتاب الله فلاخذن بشعر أحدهم، فلأنصينه، إن الله كان على عرشه قبل أن يخلق شيئاً، وأول شيء خلق القلم، وأمره أن يكتب ما هو كائن، وإنما يجري الناس على أمر قد فرغ منه<sup>(٣)</sup>. وقال: ما في الارض قوم أبغض إلي من القدرية، وما ذاك إلا لأنهم لا يعلمون قدرة الله تعالى، قال الله: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]<sup>(٤)</sup>. وذكر القدرية، فقال: لو أدركت بعضهم لفعلت به كذا وكذا، ثم قال: الزنا والسرقة بقدر وشرب الخمر بقدر<sup>(٥)</sup>.

- وعن الخوارج روى أبو زميل الحنفي عن ابن عباس قال: لما اعتزلت الحرورية قلت لعلي: يا أمير المؤمنين أبرد عني الصلاة لعلي آتي هؤلاء القوم فأكلمهم، قال: إني أتخوفهم عليك، قال: قلت كلا إن شاء الله، فلبست أحسن ما أقدر عليه من هذه

(١) الأدب المفرد: ١/٣٨٢/١١١٧، وشعب الإيمان: ٦/٥١٠/٩٠٩٧ ونقله السيوطي في الدر المنثور:

٦٠٨/٢، عن البيهقي.

(٢) المستدرک: ٢/٣٩٢/٣٣٧٢/كتاب التفسير، وقال الذهبي على شرطها، ونقله السيوطي: ٥/٢٣٩،

عن ابن المنذر والحاكم.

(٣) الدر المنثور: ٧/٦٨٦.

(٤) الدر المنثور: ٥/٦٢٢.

(٥) - الدر المنثور: ٧/٦٨٦.



اليمانية، ثم دخلت عليهم وهم قائلون في نحر الظهيرة، فدخلت على قوم لم أر قوماً قط أشد اجتهاداً منهم، أيديهم كأنها ثفن إبل، ووجوههم مقلبة من آثار السجود، قال: فدخلت: فقالوا: مرحباً بك يا ابن عباس، ما جاء بك؟ قال: جئت أحدثكم على أصحاب رسول الله ﷺ نزل الوحي، وهم أعلم بتأويله، فقال بعضهم لا تحدثوه، وقال بعضهم لتحدثته قال قلت: أخبروني ما تنقمون على ابن عم رسول الله وختنه، وأول من آمن به وأصحاب رسول الله معه؟ قالوا: ننقم عليه ثلاثاً، قلت وما هن؟ قالوا: أولاً أنه حكم الرجال في دين الله وقد قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾ قال: قلت وماذا؟ قالوا: قاتل ولم يسب ولم يغنم لئن كانوا كفاراً لقد حلت له أموالهم، وإن كانوا مؤمنين لقد حرمت عليه دماؤهم، قال: قلت وماذا؟ قالوا: قالوا ومحا نفسه عن أمير المؤمنين، فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين، فقال: رأيتم إن قرأت عليكم من كتاب الله المحكم، وحدثتكم من سنة نبيكم ﷺ ما لا تنكرون أترجعون؟ قالوا: نعم، قال: قلت: أما قولكم إنه حكم الرجال في دين الله فإنه يقول ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمَّداً فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ [المائدة: ٩٥] وقال في المرأة وزوجها «وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها» أنشدكم الله أفحكم لرجال في حقن دمائهم وأنفسهم وصلاح ذات بينهم أحق أم في أرب ثمنها ربع درهم؟ فقالوا: اللهم في حقن دمائهم وصلاح ذات بينهم، قال: أخرجت من هذه؟ قالوا اللهم نعم، قال: وأما قولكم إنه قاتل ولم يسب ولم يغنم؟ أتسبون أمكم ثم تستحلون منها ما تستحلون من غيرها؟ فقد كفرتم، وإن زعمتم أنها ليست بأمكم فقد كفرتم وخرجتم من الإسلام، إن الله عز وجل يقول: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦] فأنتم تتردون بين ضالتي فاختاروا أيهما شئتم، أخرجت من

هذه؟ قالوا: اللَّهُمَّ نعم، قال: وأما قولكم محاً نفسه من أمير المؤمنين فإن رسول الله دعا قريش يوم الحديبية على أن يكتب بينه وبينهم كتاباً، فقال: أكتب هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله، فقالوا، والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب محمد بن عبد الله، فقال: والله إني لرسول الله، وإن كذبتموني أكتب يا علي، محمد بن عبد الله، فرسول الله كان أفضل من علي أخرجت من هذه قالوا: اللَّهُمَّ نعم، فرجع منهم عشرون ألفاً وبقي أربعة آلاف فقتلوا<sup>(١)</sup>.

- وجاءه مرة رجل من أصحابه، فقال: يا أبا عباس، زعم أبو اسحاق أنه أوحى إليه الليلة، يعني المختار بن أبي عبيد فقال ابن عباس: صدق، فنفرت فقلت: يقول ابن عباس صدق؟ فقال ابن عباس: هما وحيان: وحي الله، ووحى الشيطان فوحى الله إلى محمد، ووحى الشياطين إلى أوليائهم، ثم قال: ﴿وَلَا وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ﴾ [الأنعام: ١٢١] وأما الأولياء، فهم النصراء والظهراء في هذا الموضع<sup>(٢)</sup>.

(١) - حلية الأولياء: ١/٣١٨-٣١٩، وذكره عبد الرزاق في مصنفه: ١٠/١٥٧، و١٠/١٦٠، وابن أبي شيبه: ٧/٥٥١/٣٧٨٧٣، والحاكم في المستدرک: ٢/١٦٤/٢٦٥٦ كتاب قتال اهل البغي وهو آخر الجهاد، وقال الذهبي: على شرط مسلم، ونقله السيوطي: ٢/٥٢٧، عن أبي نعيم والطبراني والحاكم والبيهقي في سننه.

(٢) جامع البيان: ٨/٢٠، وذكره ابن أبي حاتم: ٤/١٣٧٩، عن ابيه عن أبي حذيفة عن عكرمة بن عمار عن أبي زميل به، ونقله السيوطي: ٣/٢٥١، عن ابن أبي حاتم.

## المطلب الثاني: تنويع الأقوال وحسن الاختيار مع المناقشة والحوار:

أولاً: تقديس الآيات إلهاماً:

١- النظر فيما أشكل على الأفهام: وهي آثار أشكلت على مجموعة من الصحابة، وأخرجتهم في حياتهم، استأثر بحسن التدبر فيها حبر الأمة، وكان له فيها فهم صائب عالج بها ما أصابهم منها، حيث أجاب عن إشكال في الفهم حصلت للصحابي الجليل معاوية بن أبي سفيان الذي قال له: إني قد ضربتني أمواج القرآن البارحة في آيتين لم أعرف تأويلهما ففرغت إليك، قال: وما هما؟ قال: قول الله ﴿وَذَا الثُّونِ إِذ ذُهِبَ مُغَاصِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [الأنبياء: ٨٧] وأنه يفوته إن أراده، وقول الله ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا﴾ [يوسف: ١١٠] كيف هذا يظنون أنه قد كذبهم ما وعدهم؟ قال ابن عباس: أما يونس، فظن أن لن تبلغ خطيئته أن يقدر الله عليه فيها العقاب ولم يشك أن الله إن أراده قدر عليه. وأما الآية الأخرى، فإن الرسل استيأسوا من إيمان قومهم وظنوا أن من عصاهم لرضى في العلانية قد كذبهم في السر، وذلك لطول البلاء عليهم ولم يستيئس الرسل من نصر الله، ولم يظنوا أنهم كذبهم ما وعدهم، فقال معاوية: فرجت عني يابن عباس فرج الله عنك<sup>(١)</sup>. وأجاب عن إشكال وقع لعمر بن الخطاب في المرأة التي أنكر الناس حملها، حيث روي عن ابن عباس أنه قال: إني لصاحب المرأة التي أتى بها عمر وضعت لسته أشهر فأنكر الناس ذلك، فقلت لعمر: لم تظلم؟ فقال: كيف؟ قال: قلت له: «اقرأ» ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥] وقال: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ [البقرة: ٢٣٣] كم الحول؟ قال: سنة، قال: قلت كم السنة؟ قال: اثني عشر شهراً قال: قلت: فأربعة وعشرون شهراً حولان كاملان، ويؤخر من الحمل ما شاء الله ويقدم فاستراح

(١) الدر المنثور: ٦٦٧/٥.

عمر إلى قولي<sup>(١)</sup>. كما وضع لابن عمر إشكالاً وقع له في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرْ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٨٤] ثم قال: ابن عمر: لئن أخذنا بهذه الآية لنهلكن، ثم بكى ابن عمر حتى سالت دموعه، قال: ثم جئت عبد الله بن العباس، فقلت يا أبا عباس، إني جئت ابن عمر فتلا هذه الآية ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ...﴾ الآية، ثم قال: لئن أخذنا بهذه الآية لنهلكن، ثم بكى حتى سالت دموعه، فقال ابن عباس: يغفر الله لعبد الله بن عمر لقد فرق أصحاب رسول الله ﷺ منها كما فرق ابن عمر منها، فأنزل الله ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦] فنسخ الله الوسوسة وأثبت القول والفعل<sup>(٢)</sup>.

٢- النظر في مقاصد الآيات: عن ابن عباس قال: كان عمر بن الخطاب يأذن لأهل بدر، ويأذن لي معهم، فقال بعضهم: يأذن لهذا الفتى معنا، ومن أبنائنا من هو مثله؟! فقال عمر: إنه ممن قد علمتم، قال: فأذن لهم ذات يوم وأذن لي معهم، فسألهم عن هذه السورة ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾؟، فقالوا: أمر نبيّه ﷺ إذا فتح عليه أن يستغفره ويتوب إليه، فقال لي: ما تقول يا بن عباس؟، قال: قلت: ليست كذلك، ولكنه أخبر نبيّه عليه الصلاة والسلام بحضور أجله، فقال: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ فتح مكة ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ فذلك علامة موتك ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾

(١) المصنف لعبد الرزاق: ٣٥٢/٧، وأيضاً: ٣٥١/٧، وذكره سعيد بن منصور: ٦٦/٢ باب المرأة التي تلد لسته أشهر، ونقله السيوطي: ٤٤٢/٧، عن عبد الرزاق وابن المنذر عن نافع بن جبير به، وأيضاً عن سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن أبي حاتم.

(٢) صحيح مسلم: كتاب التفسير، ج: ١٢/١٢٦، رقم الحديث: ٢٠٠، وذكره عبد الرزاق في التفسير: ١/١٢١، وذكره الطبري: ٣/١٤٤، وذكره الطبري: ٣/١٤٤، ونقله ابن كثير: ١/٦٠١، والسيوطي: ٢/١٢٧، عن عبد الرزاق واحمد وابن جرير وابن المنذر عن مجاهد به، وأيضاً عن عبد بن حميد وابي داود في ناسخه وابن جرير والطبراني والبيهقي في الشعب عن سعيد بن مرجانة به، وأيضاً ٢/١٢٨، عن ابن أبي شيبة وابن جرير والنحاس في ناسخه والحاكم به.

وَاسْتَغْفِرُهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿١﴾، فقال لهم: كيف تلوُموني على ما ترون؟<sup>(١)</sup>. ويروى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال: كنت قاعداً عند عمر بن الخطاب إذ جاءه كتاب أن أهل الكوفة قد قرأ منهم القرآن كذا وكذا فكبر رحمه الله فقلت: اختلفوا فقال: أف وما يدريك؟ قال: فغضب فأتيت منزلي قال: فأرسل إلي بعد ذلك فاعتللت له فقال: عزمت عليك ألا جئت فأتيته فقال: كنت قلت شيئاً استغفر الله لا أعود إلى شيء بعدها، فقال: عزمت عليك ألا أعدت علي الذي قلت: قلت: قلت كتب إلي أنه قد قرأ القرآن كذا وكذا فقلت: اختلفوا قال: ومن أي شيء عرفت؟ قلت: قرأت ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ﴾ [البقرة: ٢٠٤] حتى انتهيت إلى ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥] فإذا فعلوا ذلك لم يصبر صاحب القرآن ثم قرأت: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [البقرة: ٢٠٦] ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [البقرة: ٢٠٧] قال: صدقت والذي نفسي بيده<sup>(٢)</sup>. وعنه أن عمر بن الخطاب جلس في رهط من

(١) مسند أحمد ت شاكر (٣/ ٣٥٤) ٣١٢٧. إسناده صحيح، ونقله ابن كثير في التفسير بمعناه ٩: ٣٢٢ - ٣٢٣ عن البخاري. وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦: ٤٠٧ ونسبه لسعيد بن منصور وابن سعد والبخاري وابن جرير وابن المنذر والطبراني وابن مردويه والبيهقي وأبي نعيم في الدلائل، ولم ينسبه للمسنند. مسند أحمد: ٥/ ١٢٠/ ٣٣٥٣، وأيضاً: ٥/ ٣١٢٧/ ٥٠، وأيضاً: ٣/ ٢٦٥، وأيضاً: ٥/ ٧٢/ ٣٢٠١، وفتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب المناقب: ٦/ ٧٧٩/ ٣٦٢٧، وأيضاً تكرر تحت رقم: ٤٢٩٤ و٤٩٦٩ و٤٩٧٠، وذكره الترمذي: ٥/ ٤٥٠/ ٣٣٦٢، وعبد الرزاق في التفسير: ٢/ ٣٣٠، وذكره الطبري: ٣٠/ ٣٣٣، وأيضاً ٣٠/ ٣٣٤، والحلية: ١/ ٣١٧، والطبراني في الأوسط: ١/ ٣١٩، وأيضاً: ١/ ٤٨٦، وأيضاً: ٣/ ١٥، ونقله السيوطي: ٨/ ٦٦٢، عن الطبراني وابن مردويه بنحوه جواباً عن سؤال عمر.

(٢) الأحكام لابن العربي: ١/ ١٤٥، وذكره السيوطي: ١/ ٥٧٨، عن ابن جرير. وينحوه عن المستدرک: ٣/ ٦٢٢/ ٦٣٠١، هذا حديث صحيح على شرط الشيخين تعليق الذهبي في التلخيص: على شرط البخاري ومسلم، ونقله عنه السيوطي في الدر المنثور: ١/ ٥٧٨، وأيضاً المستدرک: ٣/ ٦٢٣/ ٦٣٠٢، تعليق الذهبي في التلخيص: سكت عنه الذهبي في التلخيص ونقله عنه السيوطي في الدر المنثور: ١/ ٥٧٨.

أصحاب رسول الله من المهاجرين، فذكروا ليلة القدر فتكلم منهم من سمع فيها بشيء مما سمع، فتراجع القوم فيها الكلام، فقال عمر: مالك يا بن عباس صامت لا تتكلم؟ تكلم ولا تمنعك الحداثة، قال ابن عباس: فقلت يا أمير المؤمنين: إن الله تعالى وتر يحب الوتر، فجعل أيام الدنيا تدور على سبع، وخلق الإنسان من سبع، وخلق أرزاقنا من سبع، وخلق فوقنا سماوات سبعاً، وخلق تحتنا أرضين سبعاً، وأعطى من المثاني سبعاً، ونهى في كتابه عن نكاح الأقربين عن سبع، وقسم الميراث في كتابه على سبع، ونقع في السجود من أجسادنا على سبع، وطاف رسول الله ﷺ بالكعبة سبعاً، وبين الصفا سبعاً، ورمى الجمار بسبع لإقامة ذكر الله مما ذكر الله في كتابه، فأراها في السبع الأواخر من شهر رمضان والله أعلم، فتعجب عمر وقال: ما وافقني فيها أحد عن رسول الله إلا هذا الغلام الذي لم تستو شئون رأسه إن رسول الله ﷺ قال: التمسوها في العشر الأواخر. <sup>(١)</sup> وفي رواية قال: «ما من أحد يموت ولم يؤد زكاة ماله ولم يحج إلا سأل الكرة، فقالوا: يا أبا عباس: لا تزال تأتينا بالشيء لا نعرفه، قال: فأنا اقرأ عليكم في كتاب الله: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [المنافقون: ١٠] قال: أؤدي زكاة مالي ﴿وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ قال: الحج <sup>(٢)</sup>.

(١) حلية الأولياء: ٣١٧/١، وذكره الحاكم في المستدرک: ١/٦٠٤/١٥٩٧/١ كتاب الصوم، وهو صحيح على شرط مسلم، ونقله السيوطي: ٨/٥٧٦، عن محمد بن نصر وابن جرير والحاكم والبيهقي من طريق عاصم، وأيضاً عن عبد الرزاق وابن راهويه ومحمد بن نصر والطبراني والبيهقي بنحوه، وأيضاً: ٨/٥٧٧، عن ابن سعد وعبد بن حميد، وأيضاً: ٨/٥٧٨، عن أبي نعيم في الحلية من طريق محمد بن كعب القرظي.

(٢) سنن الترمذي: ٥/٤١٨/٣٣١٦، وذكره الطبري: ٢٨/١١٨.

ثانياً: تقديس الآيات إرشاداً:

### ١- العلاج الروحي بالقرآن:

وهذا يظهر معرفته الدقيقة للكتاب وحسن تدبره لآياته، حيث روي عنه في عسر المرأة قوله: «إذا عسر على المرأة ولدها، فيكتب هاتين الآيتين والكلمات في صحيفة ثم تغتسل فتسقى منها: «بسم الله لا إله إلا هو الحليم الكريم، سبحان الله رب السماوات السبع ورب العرش العظيم ﴿كَانَتْهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ [النازعات: ٤٦] و ﴿كَانَتْهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الأحقاف: ٣٥]»<sup>(١)</sup>.

وقال: من اشتكى ضرسه فليضع يده عليه وليقرأ ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [الأنعام: ٩٨] الآية<sup>(٢)</sup>.

وقال لمن وفد عند سلطان وخافه على نفسه: «إذا أتيت سلطاناً مهيباً تخاف أن يسطو عليك فقل: الله أكبر، الله أعز من خلقه جميعاً، الله أعز مما أخاف وأحذر، أعوذ بالذي لا إله إلا هو، الممسك السماوات السبع أن يقعن على الأرض إلا بإذنه من شر عبدك فلان وجنوده وأتباعه وأشياعه من الجن والإنس، اللَّهُمَّ كن لي جاراً من شرهم جل ثناؤك وعز جارك وتبارك اسمك ولا إله غيرك ثلاث مرات»<sup>(٣)</sup>.

(١) مصنف ابن أبي شيبة: ٥/٣٩٠٨/٢٣٥٠٨ في الرخصة في القرآن يكتب لمن يسقاه.

(٢) الدر المنثور: ٣/٣٣٢، ولم أعر على الأثر عند أبي الشيخ في العظمة.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة: ٦/٢٣/٢٩١٧٧، والأدب المفرد: ١/٢٤٧/٧٠٨، وصححه الألباني،

والمعجم الكبير: ١٠/٢٥٨/١٠٥٩٩، ونقله عنه السيوطي في الدر المنثور: ٧/٣٤، وعن أبي الشيخ

في العظمة، ولم أعر عليه في كتاب العظمة.

## ٢- العلاج الروحي بالقرآن:

أ- وعظ العقل والقلب: عن الضحاك قال: «جاء رجل فقال: يا ابن عباس إني أريد أن آمر بالمعروف وأنهاي عن المنكر، قال: أو بلغت؟ قال: أرجو، قال: فإن لم تحش أن تفتضح بثلاثة أحرف في كتاب الله عز وجل فافعل قال: وما هن؟ قال: قوله عز وجل: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٤] أحكمت هذه الآية؟ قال: لا قال: فالحرف الثاني قال قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ ﴿٢﴾ كَبِيرٌ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢، ٣] أحكمت هذه الآية؟ قال: لا قال: فالحرف الثالث قال قول العبد الصالح شعيب عليه السلام ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَأَكُمُ عَنْهُ﴾ [هود: ٨٨] أحكمت هذه الآية؟ قال: لا قال فابدأ بنفسك<sup>(١)</sup>.

ب- وعظ المجالس: حيث روى وهب بن منبه قال: أقبلت مع عكرمة أقود ابن عباس بعدما ذهب بصره، حتى دخل المسجد الحرام، فإذا قوم يمترون في حلقة لهم عند باب بني شيبه، فقال: أمل بي إلى حلقة المراء، فانطلقت به حتى أتاهم فسلم عليهم، فأرادوه على الجلوس، فأبى عليهم، وقال: انتسبوا إلي أعرفكم فانتسبوا إليه فقال: أما علمتم أن لله عباداً أسكتتهم خشيته من غير عي ولا بكم، إنهم لهم الفصحاء النطقاء النبلاء العلماء بأيام الله، غير أنهم إذا ذكروا عظمة الله طاشت عقولهم من ذلك، وانكسرت قلوبهم وانقطعت ألسنتهم حتى إذا استقاموا من ذلك، سارعوا إلى الله بالأعمال الزاكية، فأين أنتم منهم؟ ثم تولى عنهم فلم ير بعد ذلك رجلاً<sup>(٢)</sup>.

(١) شعب الإيمان للبيهقي: ٦/٨٨/٧٥٦٩، وتفسير ابن كثير: ١/١٥٠، ونقله السيوطي في الدر المنثور:

١/١٥٨، عن ابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان وابن عساكر به.

(٢) الدر المنثور: ٧/٢١.



ج- وعظ القدر: وهو منهج النبي، عنه تلقاه حبر الأمة وتمثله، حيث يروي ابن عباس قال: كنت ردف النبي ﷺ، فقال: يا ابن عباس ارض عن الله بما قدر وإن كان خلاف هواك، فإنه مثبت في كتاب الله، قلت: يا رسول الله فأين وقد قرأت القرآن؟ قال: في قوله ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦] (١). وقال مرة: في القرآن ما أنزل الله جملة واحدة ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾ [المجادلة: ١] كان هذا قبل أن تخلق خولة، لو أن خولة أرادت أن لا تجادل لم يكن ذلك، لكن الله كان قد قدر ذلك عليها قبل أن يخلقها (٢).

وعلى النهج سار مع تلاميذه ومن يتلقى عنه أقواله، حيث روى عنه سعيد بن جبير يوماً أنه قال له: «أحفظ عني ثلاثاً: «إياك والنظر في النجوم فإنه يدعو إلى الكهانة، وإياك والنظر في القدر فإنه يدعو إلى الزندقة، وإياك وشم أصحاب رسول الله ﷺ فيكبك الله على وجهك يوم القيامة» (٣).

د- نصح المذنبين: عن الضحاك عن ابن عباس أنه قال: يا صاحب الذنب لا يأمن سر عاقبتك ولما يتبع الذنب أعظم من الذنب إذا عملته، فإن قلة حياثك ممن على اليمين وعلى الشمال وأنت على الذنب من الذي عملته، وضحكك وأنت لا تدري ما الله صانع بك أعظم من الذنب وفرحك بالذنب إذا ظفرت به، وخوفك من الريح إذا حركت ستر بابك وأنت على الذنب أعظم من الذنب إذا عملته، ويحك هل تدري ما

(١) جامع البيان: ٣٤٦/٢، والسيوطي: ٥٨٧/١، عن ابن جرير.

(٢) الدر المنثور: ٧٢/٨.

(٣) طبقات المحدثين بأصبهان: ٣١٥/١، ونقله السيوطي: ٣٢٩/٣، في الدر المنثور عن المرهبي بلفظ:

أنه قال: ذلك علم ضيعه الناس النجوم.

كان ذنب أيوب فابتلاه الله بالبلاء في جسده وذهاب ماله، إنما كان ذنب أيوب أنه استعان به مسكين على ظلم يدرؤهُ عنه ولم يأمر بمعروف وبنه الظالم على ظلم هذا المسكين فابتلاه الله عز وجل<sup>(١)</sup>.

هـ- الذكر الحسن: حيث روي عنه أنه كان يقول عندما يقرأ في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥]. اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، أَنْ تَجْعَلَنِي فِي حِرْزِكَ وَحِفْظِكَ وَجِوَارِكَ وَتَحْتَ كَنْفِكَ<sup>(٢)</sup>.

(١) تاريخ دمشق: ١٠ / ٦٠، ونقله عنه السيوطي في الدر المنثور: ٥ / ٦٥٣.

(٢) المعجم الكبير: ١٠ / ٢٥٩ / ١٠٦٠٠، ونقله عنه السيوطي في الدر المنثور: ٦ / ١٩٦.

### المطلب الثالث: النظر في الآيات جملة وتفصيلاً:

#### أولاً: النظر في الآيات جملة:

وهذا من عظيم تمكنه واستيعابه لآيات الله حفظاً وفهماً، فهو حال مرتحل به وفيه، كأنه ينظر إليه كله في لوح واحد، حيث غاص في كتاب الله ليستقرئ الآيات فيضع المسهب أمام الموجز، والمجمل قرب المبين، والخاص أمام العام، وربط بين السياقات، واستقرأ الآيات المشابهة، كل هذا بعلم جم، ودقة متناهية تتجلى بوضوح في الأمثلة التي سأقدمها، ومنها:

١- الربط بين الموجز والمسهب: وأعني به ما ورد من آيات في كتاب الله تتحدث عن بعض القضايا أو المواضيع أو الشخصيات بإيجاز، لتقوم آيات أخرى بشرحها بتفصيل، وذلك كثير في كتاب الله كقصص الأنبياء وقصة آدم وإبليس، وخلق الإنسان... حيث روي عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٢٧] قال: قوله: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]<sup>(١)</sup>. ليفصل القول فيهما بقوله: «إن آدم عليه السلام طلب التوبة مائتي سنة حتى أتاه الله الكلمات، ولقنه إياها، بينما آدم عليه السلام جالس يبكي، واضع راحتيه على جبينه إذ أتاه جبريل فسلم عليه، فبكى آدم وبكى جبريل لبكائه فقال له: يا آدم ما هذه البلية التي أحجف بك بلاؤها وشقاؤها، وما هذا البكاء؟ قال: يا جبريل وكيف لا أبكي وقد حولني ربي من ملكوت السماوات إلى هوان الأرض، ومن دار الظعن إلى دار الزوال ومن دار النعمة إلى دار البؤس والشقاء، ومن دار الخلد إلى دار الفناء؟ كيف أحصي يا جبريل هذه المصيبة؟ فانطلق جبريل إلى ربه فأخبره بمقالة آدم فقال الله عز وجل: انطلق

(١) الدر المنثور: ١/ ١٤٤، وأيضاً عن ابن المنذر من طريق ابن جريج به.

يا جبريل إلى آدم فقال: يا آدم ألم أخلقك بيدي؟ قال: بلى يا رب، قال: ألم أنفخ فيك من روحي؟ قال: بلى يا رب، قال: ألم أسجد لك ملائكتي؟ قال: بلى يا رب، قال: ألم أسكنك جنتي؟ قال: بلى يا رب قال: ألم أمرك فعصيتني؟ قال: بلى يا رب، قال: وعزتي وجلالي وارتفاعي في علو مكاني لو أن ملء الأرض رجالاً مثلك ثم عصوني لأنزلتهم منازل العاصين، أي أنه يا آدم قد سبقت رحمتي غضبي، قد سمعت صوتك وتضرعتك، ورحمت بكاءك، وأقلت عثرتك، فقل: لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك، عملت سوءاً وظلمت نفسي فارحمي إنك أنت خير الراحمين، لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك عملت سوءاً وظلمت نفسي، فتب علي إنك أنت التواب الرحيم. فذلك قوله: ﴿فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ [البقرة: ٣٧] (١).

٢- الربط بين المجرم والمبين: إذ كثيرة هي الآيات التي لو قرأها الإنسان لما خرج منها بفهم كبير ودقيق لكل حيثياتها، ولكن إذا صال وجال مع القرآن اتضحت له معانيها، وهذا ما فعله ابن عباس ليبين كلام الله وآياته المجملة بما وضحته وبينته آيات أخرى. ومن الأمثلة على ذلك ما روي عنه في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا﴾ [الأنعام: ١٣٦] قال: جعلوا لله من ثمراتهم وما لهم نصيباً، وللشيطان والأوثان نصيباً، فإن سقط من ثمره ما جعلوا لله في نصيب الشيطان تركوه، وإن سقط مما جعلوه للشيطان في نصيب الله التقطوه وحفظوه وردوه إلى نصيب الشيطان، وإن انفجر من سقى ما جعلوه لله في نصيب الشيطان تركوه، وإن انفجر من سقى ما جعلوه للشيطان في نصيب الله سدوه، فهذا ما جعلوا من الحرث وسقى الماء، وأما ما جعلوا للشيطان من الأنعام فهو قول الله: ﴿مَا

(١) تاريخ دمشق: ٤٣٦/٧. ونقله عنه السيوطي في الدر المنثور: ١/١٤٥-١٤٦.

جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ﴿ [المائدة: ١٠٣] <sup>(١)</sup>.

٣- الربط بين السياقات: وأعني به النظر في الآية بما يذكر قبلها أو بعدها، وهذا كثير ما يغيب عن الدارسين، وهذا خطأ جلل، يجب الانتباه إليه، والاحتياط من الجهل به. ومن الأمثلة على ذلك: ما رواه عكرمة أن نافع بن الأزرق، قال لابن عباس: تزعم أن قوماً يخرجون من النار، وقد قال الله جل وعز ﴿ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا ﴾ [المائدة: ٣٧] فقال ابن عباس: ويحك، اقرأ ما فوقها هذه للكفار <sup>(٢)</sup>. وجاء نفر من أهل اليمن إلى ابن عباس فسأله رجل: رأيت قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى ﴾ [الإسراء: ٧٢] فقال ابن عباس: لم تصب المسألة، اقرأ ما قبلها ﴿ رَبُّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ ﴾ [الإسراء: ٦٦] حتى بلغ ﴿ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٠] فقال ابن عباس: فمن كان أعمى عن هذا النعيم الذي قد رأى وعان، فهو في أمر الآخرة التي لم تر ولم تعانين ﴿ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٢] <sup>(٣)</sup>.

٤- الربط بين الموضوعات: وتتجلى هذه الناحية بالخصوص حين جمعه بين الآيات المتقاربة في السياق، وربطها برباط موضوعي، ومن ذلك ما بينه ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ ﴾ [البقرة: ٢٩] قال: إن الله تبارك وتعالى كان عرشه على الماء فلم يخلق شيئاً غير ما خلق قبل الماء، فلما أراد أن يخلق الخلق أخرج من الماء دخاناً فارتفع فوق الماء فسماه عليه، فسماه سماء، ثم أيبس الماء فجعله أرضاً واحدة، ثم فتقها فجعل سبع أرضين

(١) جامع البيان: ٤٠/٨، وابن أبي حاتم: ٤/١٣٩٠ من طريق علي به، ونقله السيوطي: ٣/٣٦٢، عن ابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في سننه.

(٢) جامع البيان: ٦/٢٢٨. ونقله السيوطي: ٣/٧٢، عن ابن جرير.

(٣) الدر المنثور: ٥/٣١٧.

في يومين في الأحد والإثنين فخلق الأرض على حوت، والحوت هو النون الذي ذكره الله في القرآن ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم: ١] والحوت في الماء، والماء على ظهر صفاة، والصفة على ظهر ملك، والملك على صخرة، والصخرة في الريح، وهي الصخرة التي ذكر لقمان ليست في السماء ولا في الأرض، فتحرك الحوت فاضطرب، فتزلزلت الأرض، فأرسي عليها الجبال فقرت، فالجبال تفخر على الأرض، فذلك قوله: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [لقمان: ١٠] وخلق الجبال فيها وأقوات أهلها وشجرها وما ينبغي لها في يومين في الثلاثاء والأربعاء وذلك حين يقول: ﴿قُلْ أَنتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أُنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [٩] وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا﴾ [فصلت: ٩، ١٠] يقول: أنبت شجرها ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ يقول: أقواتها لأهلها ﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ﴾ يقول: قل لمن يسألك هكذا الأمر ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ [فصلت: ١١] وكان ذلك الدخان من تنفس حين تنفس، فجعلها سماء واحدة، ثم فتقها فجعلها سبع سماوات في يومين في الخميس والجمعة، وإنما سمي يوم الجمعة لأنه جمع فيه خلق السماوات والأرض ﴿وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ [فصلت: ١٢] قال: خلق في كل سماء خلقها من الملائكة والخلق الذي فيها، من البحار وجبال البرد وما لا يعلم ثم زين السماء الدنيا بالكواكب، فجعلها زينة وحفظاً تحفظ من الشياطين، فلما فرغ من خلق ما أحب استوى على العرش، فذلك حين يقول: ﴿كَانَتْ رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ [الأنبياء: ٣٠]<sup>(١)</sup>.

(١) جامع البيان: ١/١٩٤، وذكره ابن كثير: ١/١١٨، عن السدي في تفسيره. والسيوطي: ١/١٠٦، عن ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الاسماء والصفات من طريق السدي به، والمتأمل في النص يجد أن ابن عباس رحمه الله في معرض حديثه عن قصة خلق السماوات والأرض استعرض مجموعة نصوص من سور شتى تتناول نفس الموضوع ببعض التفصيل.

- وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ [الأنعام: ٦٨] وقوله: ﴿الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا﴾ [الأنعام: ١٥٩]، وقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٥] وقوله: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣] ونحو هذا في القرآن قال: أمر الله المؤمنين بالجماعة، ونهاهم عن الاختلاف والفرقة، وأخبرهم أنه إنما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله<sup>(١)</sup>.

هكذا يجمع ابن عباس ويستحضر كل الآيات التي تتعلق بموضوع الاختلاف المذموم، وختم تدبره بكلمة: «نحوه» ليبين أنه لم يشأ الاستقراء، وإنما أراد بيان المنهج المتبع من أجل فهم الكتاب.

- وروي عنه أنه قال: «ما بعث الله نبياً إلا وهو شاب، ولا أوتي العلم عالم إلا وهو شاب، وقرأ: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتَى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ [الأنبياء: ٦٠]، ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ﴾ [الكهف: ٦٠]، ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ﴾ [الكهف: ١٣]<sup>(٢)</sup>.

- وفي قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١] يعرف البر والفاجر، ألم تسمع إلى قوله تعالى لفرعون: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَورُودُ﴾ [هود: ٩٨]، وقال: ﴿وَتَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرْدًا﴾ [مريم: ٨٦] فسمى الورود في النار دخولاً، وليس بصادر<sup>(٣)</sup>.

- وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦]، وقوله: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ

(١) جامع البيان: ٧/٢٢٩ و ٥/٣٣٠. وذكره ابن أبي حاتم: ٤/١٠٩٣. و: ٤/١٣١٤، ونقله السيوطي:

٣/٢٩١، عن ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) الدر المنثور: ٥/٣٧١.

(٣) جامع البيان: ١٦/١١٠، ونقله السيوطي: ٥/٥٣٥، عن عبد بن حميد وابن أبي حاتم.

صَدْرُهُ ضَيْقًا حَرَجًا ﴿ [الأنعام: ١٢٥]، وقوله: ﴿ مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ [الأنعام: ١١١]، وقوله: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا ﴾ [السجدة: ١٣]، وقوله: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا ﴾ [يونس: ٩٩]، وقوله: ﴿ جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا ﴾ [يس: ٨]، وقوله: ﴿ مَنْ أَعْقَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا ﴾ [الكهف: ٢٨]، وقوله: ﴿ إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى ﴾ [المل: ٨٠]، وقوله: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ [القصص: ٥٦]، ونحو هذا من القرآن فإن رسول الله ﷺ كان يحرص أن يؤمن جميع الناس ويتبعوه على الهدى، فأخبره الله أنه لا يؤمن إلا من سبق له من الله السعادة في الذكر الأول ولا يضل إلا من سبق له من الله الشقاء في الذكر الأول<sup>(١)</sup>.

### ثانياً: النظر في الآيات تفصيلاً:

#### ١ - استعمال الإيجاز والتفصيل حسب الحاجة عند البيان:

حيث نجد رضي الله عنه يتعامل في تدبره للآيات بحسب السائل مرة أو الموضوع ثانياً، أو الأهمية ثالثاً: ففي بيانه لقول الله تعالى: ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ... ﴾ [البقرة: ١٢٤] قال: لم يبتل أحد بهذا الدين فأقامه إلا إبراهيم ابتلاه الله بكلمات فأتتهن، قال: فكتب الله له البراءة فقال: ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴾ [النجم: ٣٧] قال: عشر منها في الأحزاب، وعشر منها في براءة، وعشر منها في المؤمنين، وسأل سائل وقال: إن هذا الإسلام ثلاثون سهماً<sup>(٢)</sup>. وقال: «الإسلام ثلاثون سهماً، وما ابتلى بهذا الدين أحد فأقامه إلا إبراهيم لقوله: ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴾ فكتب الله براءة من النار<sup>(٣)</sup>. وقال

(١) جامع البيان: ٥٨/١٩.

(٢) جامع البيان: ٥٢٤/١، وذكره ابن أبي حاتم: ٢٢٠/١، والسيوطي: ٢٧٤/١، عن ابن أبي شيبة وابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم وابن مردويه وابن عساكر به.

(٣) جامع البيان: ٥٢٤/١، وذكره ابن كثير: ٢٩٠/١.



أيضاً: «ابتلاه الله بالطهارة، خمس في الرأس، وخمس في الجسد، في الرأس: السواك، والاستنشاق، والمضمضة، وقص الشارب، وفرق الرأس وفي الجسد خمسة: تقليم الأظافر، وحلق العانة، والختان، والاستنجاء من الغائط والبول، ونتف الإبط<sup>(١)</sup>». وقال مرة أخرى: «سته في الإنسان وأربعة في المشاعر، فالتى في الإنسان: حلق العانة والختانة، ونتف الإبط، وتقليم الأظافر وقص الشارب، والغسل يوم الجمعة، وأربعة في المشاعر: الطواف والمسعى بين الصفا والمروة، ورمي الجمار والإفاضة<sup>(٢)</sup>». وأضاف في أخيرة: «الكلمات التي ابتلى بهن إبراهيم فأتهم فراق قومه في الله حين أمر بفراقهم، ومحاجته نمرود في الله حتى وقفه على وقفه عليه من خطر الأمر الذي فيه خلافهم، وصبره على قذفه إياه في النار ليحرقوه في الله على هول ذلك من أمرهم، والهجرة بعد ذلك من وطنه وبلاده في الله حين أمره بالخروج عنهم، وما أمر به من الضيافة والصبر عليها، وماله وما ابتلى به من ذبح ولده حين أمره بذبحه، فلما قضى على ذلك من أمر الله كله وأخلصه البلاد قال الله له أسلم قال: أسلمت لرب العالمين، على ما كان من خلاف الناس وفراقهم<sup>(٣)</sup>».

- وهو صنيعه في بيانه لقول الله تعالى: ﴿صَبَغَةَ اللَّهُ وَمَنْ أَحْسَنَ مِنَ اللَّهِ صَبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ [البقرة: ١٣٨] حيث قال: ﴿صَبَغَةَ اللَّهُ﴾ قال: دين الله<sup>(٤)</sup>. وقال أيضاً:

(١) تفسير عبد الرزاق: ٧٦/١، وذكره الطبري: ٥٢٤/١، وذكره ابن أبي حاتم: ٢١٩/١، وذكره الحاكم: ٢٩٣/٢، كتاب التفسير، وذكره البيهقي: ٥٦٤/٨، عن عبد الرزاق، في كتاب الطهارة، ونقله ابن كثير عن عبد الرزاق: ٢٨٩/١، والسيوطي: ٢٧٣/١، عن عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم والبيهقي في سننه.

(٢) جامع البيان: ٥٢٥/١، والسيوطي: ٢٧٤/١، عن ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم، والأثر رقم: ٤٧١.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم: ٢٢٠/١ وابن كثير: ٢٩٠/١، والسيوطي: ١٧٣/١، عن ابن اسحاق وابن أبي حاتم.

(٤) جامع البيان: ٥٧١/١، وذكره ابن أبي حاتم: ٢٤٥/١، وابن كثير: ٣٣٠/١، والسيوطي: ٣٤٠/١،

عن ابن جرير وابن أبي حاتم.

«البياض»<sup>(١)</sup>. وفي جوابه على قول بني إسرائيل لموسى هل يصبغ ربك؟ قال: اتقوا الله، فناداه ربه يا موسى سألوكم هل يصبغ ربك؟ فقل: نعم، أصبغ الألوان الأحمر والأبيض والأسود والألوان كلها في صبغتي، فأنزل الله على نبيه ﷺ: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

- وعند حديثه عن الريح تحدث أيضا بتفصيل وعمق كبيرين، حيث قال: «الماء والريح جندان من جنود الله عز وجل والريح جند الله الأعظم»<sup>(٣)</sup>. وقال أيضاً: الريح ثمان؛ أربع رحمة وأربع عذاب، الرحمة المبشرات والمنتشرات والمرسلات والرخاء، والعذاب العاصف والقاصف وهما في البحر والعقيم والصرصر وهما في البر<sup>(٤)</sup>. وجاء عنه: «لا تسبوها فإنها تجيء بالرحمة وتجيء بالعذاب ولكن قولوا اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذاباً»<sup>(٥)</sup>.

- وبالنسبة للمس الحائض تحدث بتفصيل وتدبر بالغ، حيث بين أن القرآن أنزل في شأن الحائض، والمسلمون يخرجونهن من بيوتهن كفعل العجيم ثم استفتوا رسول الله ﷺ في ذلك، فجاء القرآن في ذلك، فقال الله لرسوله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَرِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ [البقرة: ٢٢٢] فظن المومنون أن الاعتزال كما كانوا يفعلون، يخرجونهم من بيوتهم حتى إذا قرأ آخر الآية فهم المومنون ما الاعتزال إذ قال

(١) الدر المنثور: ١/ ٣٤١.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم: ١/ ٢٤٥، والسيوطي: ١/ ٣٤٠، عن ابن أبي حاتم وإبي الشيخ في العظمة موقوفاً.

(٣) العظمة لأبي الشيخ: ٤/ ١٣٣٦، ونقله عنه السيوطي في الدر المنثور: ١/ ٣٩٧.

(٤) العظمة لأبي الشيخ: ٤/ ١٣٣٤، ونقله عنه السيوطي في الدر المنثور: ١/ ٣٩٧، وعن ابن أبي الدنيا.

(٥) مصنف ابن أبي شيبة: ٦/ ٢٧/ ٢٩٢٢٠، ونقله عنه السيوطي في الدر المنثور: ١/ ٣٩٩.

الله: ﴿وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾<sup>(١)</sup>. وأجاب مرة سائلاً بغية الشفاء من آية المحيض فقراً ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾ حتى بلغ آخر الآية، فقال ابن عباس: من حيث جاء الدم، ثم أمرت أن تأتي<sup>(٢)</sup>. وقال: «طواهر من غير جماع ومن غير حيض من الوجه الذي يأتي المحيض ولا يتعدى إلى غيره، قال سعيد: ولا أعلمه إلا عن ابن عباس<sup>(٣)</sup>. وقال: «يعني أن يأتيها طاهراً غير حائض»<sup>(٤)</sup>. وقال: «اسق نباتك من حيث نباته»<sup>(٥)</sup>. وأجاب رجلاً سأله عن إتيان المرأة في دبرها فقال: تسألني عن الكفر<sup>(٦)</sup>. وقال لآخر: «أي ويحك وفي الدبر من حرث؟ لو كان ما تقول حقاً لكان المحيض منسوخاً إذا اشتغل من ههنا جئت من ههنا، ولكن أنى شئتم من الليل والنهار»<sup>(٧)</sup>. وقال مرة: «من حيث جاء الدم، ثم أمرت أن تأتي، فقال له الرجل: يا أبا الفضل كيف بالآية التي تتبعها ﴿يَسْأَلُونَكَ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣] فقال: أي ويحك وفي الدبر من حرث؟ لو كان ما تقول حقاً لكان المحيض منسوخاً إذا اشتغل من ههنا جئت من ههنا، ولكن أنى شئتم من الليل والنهار»<sup>(٨)</sup>. وسئل عن العزل فقال: ما كان ابن آدم

(١) تفسير ابن أبي حاتم: ٢/٤٠٠، والسيوطي: ١/٦١٩، عن ابن أبي حاتم.

(٢) جامع البيان: ٢/٣٨٧، وابن أبي حاتم: ٢/٤٠٢، وذكره ابن كثير: ١/٤٦١.

(٣) جامع البيان: ٢/٣٨٨.

(٤) جامع البيان: ٢/٣٨٨، والسيوطي: ١/٦٢٤، عن ابن جرير.

(٥) جامع البيان: ٢/٣٩٣، وذكره البيهقي: ٧/٣١٨، والسيوطي: ١/٦٣١، عن سعيد بن منصور والبيهقي في سننه.

(٦) المصنف لعبد الرزاق: ١١/٤٤٢، ونقله عنه ابن كثير: ١/٤٦٥، وقال: إسناده صحيح، قال وكذلك رواه النسائي من طريق ابن المبارك عن معمر بنحوه، والسيوطي: ١/٦٣٣، عن عبد الرزاق وعبد بن حميد والنسائي والبيهقي في الشعب عن طاوس به.

(٧) جامع البيان: ٢/٣٩٤، وذكره ابن أبي حاتم: ٢/٤٠٥، والسيوطي: ١/٦٣٠، عن ابن جرير وابن أبي حاتم.

(٨) جامع البيان: ٢/٣٩٤، وذكره ابن أبي حاتم: ٢/٤٠٥، والسيوطي: ١/٦٣٠، عن ابن جرير وابن أبي حاتم.

ليقتل نفساً قضى الله بخلقها هو حرثك إن شئت سقيت وإن شئت أعطشت<sup>(١)</sup>. وفي واقعة حدثت له، يحكي تلميذه سعيد بن جبير أنه دخل عليه في صدر النهار فوجدناه صائماً ثم رحنا إليه من العشي فوجدناه مفطراً فقلنا له، ألم تك صائماً؟ قال: بلى، ولكن جارية لي أتت علي فأعجبني فأصبت منها، وإنما هو تطوع وسأقضي يوماً مكانه، وأزيدكم أنها كانت بغياً فحصنتها، وأنه قد عزل عنها، قال سعيد: فعلمنا أربعة أشياء في حرث واحد<sup>(٢)</sup>. وقال لرجل جاءه قائلاً: «كنت آتي أهلي في دبرها وسمعت قول الله: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ قال: فظننت أن ذلك لي حلال، فقال: يا لكع إنما قوله: ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ قائمة وقاعدة ومقبلة ومدبرة في أقبالهن لا تعدو ذلك إلى غيره<sup>(٣)</sup>.

- وقال في الكبائر: «هي أكثر من سبع وتسع، فما أدري كم قالها من مرة<sup>(٤)</sup>». وقال أيضاً: «هي إلى السبعين أقرب<sup>(٥)</sup>» وقال: «إلى سبعمائة أقرب منها إلى سبع، غير أنه لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع إصرار<sup>(٦)</sup>». وقال: كل شيء عصى الله فيه فهو كبيرة<sup>(٧)</sup>.

(١) المصنف لعبد الرزاق: ١٤٦/٧، وذكره الطبري: ٣٩٥/٢، وسعيد بن منصور في سننه: ٩٩/٢/

جامع الطلاق، والسيوطي: ٦٤٠/١، عن عبد الرزاق والبيهقي به.

(٢) سنن سعيد: ٥٩/٢، باب الرجل يكون له الأمة.

(٣) تفسير ابن كثير: ٤٦٦/١، والسيوطي: ٦٣١/١، عن عبد بن حميد.

(٤) جامع البيان: ٤١/٥، وابن أبي حاتم: ٩٣٤/٣.

(٥) المصنف لعبد الرزاق: ٤٦٠/١٠، وذكره أيضاً في تفسيره: ١٥٣/١، وذكره الطبري: ٤١/٥، ونقله

السيوطي: ٤٩٩/٢، عن عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في

الشعب، وأيضاً: ٥٠٠/٢، عن ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم من طريق سعيد.

(٦) جامع البيان: ٤١/٥، وذكره ابن أبي حاتم: ٩٣٤/٣، ونقله السيوطي: ٥٠٦/٢، عن البيهقي في

الشعب.

(٧) جامع البيان: ٤١/٥، ونقله السيوطي: ٤٩٩/٢، عن ابن أبي حاتم، وأيضاً: ٥٠٠/٢، عن البيهقي

في الشعب.

- وفي قوله تعالى: ﴿أَنَا نَاتِي الْأَرْضَ نَقْصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ [الرعد: ٤١] قال: أولم يروا أنا نفتح لمحمد الأرض بعد الأرض<sup>(١)</sup>. وقال: «أولم يروا إلى القرية تخرب حتى يكون العمران في ناحية»<sup>(٢)</sup>. وقال: «نقصان أهلها وبركتها»<sup>(٣)</sup>. وقال: «ذهاب علمائها وفقهائها وخيار أهلها»<sup>(٤)</sup>،

## ٢- الاستفادة من اللغة ومضامينها، شعراً ونثراً:

وهذا لا يخفى على متأمل لترجمته، ولا لتفسيره وبيانه، ولولا تمكنه من اللغة والبيان، ما كان ليكون كلامه بهذا التدبر والعمق في الجواب، وقد رويت له أكثر من ثلاثمائة توضيح في آيات الكتاب، أجاب عنها بالشعر والأدب واللغة، وبحكمة بالغة وتدبر حكيم، اقتصر في التمثيل له على بعض النصوص منها قوله: إن داود عليه السلام يوضع له ستمائة ألف كرسي، ثم يجيء أشرف الإنس حتى يجلسوا مما يلي الأيمن، ثم يجيء أشرف الجن حتى يجلسوا مما يلي الأيسر، ثم يدعو الطير فتظلمهم، ثم يدعو الريح فتحملهم، فيسير في الغداة الواحدة مسيرة شهر، فبينما هو ذات يوم يسير في فلاة من الأرض فاحتاج إلى الماء فدعا الهدهد فجاء فنقر الأرض فأصاب موضع الماء ثم تجيء الشياطين ذلك الماء فتسلخه كما يسلم الإهاب فيستخرجوا الماء منه، قال: فقال له نافع بن الأزرق: قف يا وقاف رأيت قولك الهدهد يجيء

(١) جامع البيان: ١٧٢/١٣، ونقله السيوطي: ٦٦٦/٤، عن ابن جرير، وأيضاً عن ابن مردويه وابن جرير.

(٢) جامع البيان: ١٧٣/١٣، ونقله السيوطي: ٦٦٧/٤، عن ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) جامع البيان: ١٧٣/١٣، ونقله السيوطي: ٦٦٦/٤ عن ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم، وأيضاً عن ابن المنذر بنحوه: ٦٦٧/٤.

(٤) جامع البيان: ١٧٤/١٣، وذكره الحاكم: ٣٣٣٤/٢/٣٨١، كتاب التفسير، وقال الذهبي: طلحة بن عمرو متروك، ونقله السيوطي: ٦٦٥/٤، عن عبد الرزاق وابن أبي شيبة ونعيم بن حماد في الفتن، وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه.

فينقر الأرض فيصيب موضع الماء كيف يبصر هذا ولا يبصر الفخ يجيء إليه حتى يقع في عنقه؟. فقال له ابن عباس: ويحك إن القدر حال دون البصر<sup>(١)</sup>. ومنها قوله في بيان لفظ «الورد» في القرآن، قال: الورد في القرآن أربعة أوراد في هود، قوله (وبئس المورود) وفي مريم: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١]، وورد في الأنبياء: ﴿حَصَبٌ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]، وورد في مريم أيضاً: ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ [مريم: ٨٦]، كان ابن عباس يقول: كل هذا الدخول، والله ليردن جهنم كل بر وفاجر ﴿ثُمَّ نُتَجَّى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًا﴾ [مريم: ٧٢]<sup>(٢)</sup>. ومنها جوابه عن سؤال نافع بن الأزرق عن الورد؟ قال: الدخول، قال: إنما الورد الوقوف على شفيرها قال: فقال ابن عباس: والله لأردنها ولتردنها وإني لأرجو أن أكون من الذين قال الله: ﴿ثُمَّ نُتَجَّى الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ وتكون أنت من الذين قال الله تعالى: ﴿وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًا﴾، قال: وكذلك كان يقرؤها، ويحك يا نافع بن الأزرق أما تقرأ كتاب الله ﴿وَمَا أَمْرٌ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٧٩﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ [هود: ٩٧، ٩٨] أفتراه ويحك إنما أقامهم على شفيرها والله تعالى يقول: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]<sup>(٣)</sup>. ومرة أخرى بلفظ: «الورد، الدخول»، وقال: نافع فقرأ ابن عباس ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨] أورد هو أم لا؟ وقال ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمُؤْرَدُ﴾ [هود:

(١) مصنف ابن أبي شيبة: ٦/٣٣٦/٣١٨٥٢، والمستدرک: ٢/٤٤٠/٣٥٢٦، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، تعليق الذهبي في التلخيص: على شرط البخاري ومسلم. وأيضاً المستدرک: ٢/٦٤٤/٤١٤٢ تعليق الذهبي في التلخيص: صحيح، ونقله السيوطي عنهما في الدر المنثور: ٥/٦٥١.

(٢) جامع البيان ١٢/١١٠، وذكره ابن أبي حاتم: ٦/٢٠٨١، ونقله السيوطي: ٤/٤٧٢، عن ابن جرير وابن أبي حاتم.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم: ٦/٢٠٨١.

[٩٨] أورد هو أم لا؟ أما أنا وأنت سندخلها، فانظر هل نخرج منها أم لا، وما أرى الله مخرجك منها بتكذيبك، قال: فضحك نافع، فقال ابن عباس: فقيم الضحك إذن؟<sup>(١)</sup>. وفي بيان قوله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ﴾ [المرسلات: ٣٥]، و﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: ١٠٨]، و﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [الطور: ٢٥]، و﴿هَاؤُمِ اقْرَءُوا كِتَابِيَةَ﴾ [الحاقة: ١٩]، قال له نافع فما هذا؟ قال: ويحك، هل سألت عن هذا أحدا قبلي؟ قال: لا، قال: أما أنك لو كنت سألت هلكت أليس قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧]، قال: بلى، وأن لكل مقدار يوم من هذه الأيام لون من هذه الألوان<sup>(٢)</sup>.

(١) تفسير عبد الرزاق: ١١/٢، وذكره الطبري: ١٠٨/١٦، عن الحسن بن يحيى عن عبد الرزاق به، ونقله السيوطي: ٥٣٥/٥ عن عبد الرزاق وسعيد بن منصور وهناد وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في البعث عن مجاهد به.

(٢) المستدرک: ٤/٦١٧/٨٧١٠/ كتاب الأهوال، وقال الذهبي: يحيى ضعفه النسائي.

## خاتمة

وبعد، فقد أفرغت قلبي من مداده ليتوقف عن الكتابة في هذا الموضوع الذي لا يحده عرض، ولا تنهيه ورقة، إذ كيف يمكن تحقيق ذلك والرجل عاش طيلة عمره يخدم القرآن، وترجمته خير معبرة عن هذا الكلام، لكن التوقف أمر لا غنى عنه لأي باحث في أي ميدان، ليفسح للآخرين بالتحدث والإدلاء بالرأي فيما سطر بالبنان، فإن كان صواباً فمن الحكيم الديان، وإن كان به هنات، فذاك من طبيعة الإنسان، فنسأل القبول وحسن التعقيب وجميل الاستدلال.

هذا، وقد سعيت جهدي أن أستقرئ النصوص، وأكتشف المنهج، وأرتب الأفكار، لعلني أصل إلى استلهام المنهج التدبري لرجل القرآن في تدبره للقرآن، فكان كما تقرأون مقسماً إلى ثلاثة مباحث، تكمل بعضها وبعضاً، من تعريف بالشخصية لضرورة ذلك، ولتحقيق الجواب عن سؤال طبيعي قد يطرحه الباحث، لماذا ابن عباس؟ ومبحث ثان في توضيح المفاهيم الواردة في العنوان، إذ بدون تحديد المفاهيم لا يستقيم البيان. ومبحث ثالث، حاولت أن أغوص في تراث ابن عباس التفسيري من خلال رسالتي: «مدرسة ابن عباس في التفسير، جمع وتحقيق ودراسة»، تواصلت مع أكثر من ٧٥٠٠ أثر، لأختار منها ما ذكر، احتاجت مني وقتاً في القراءة والتدبر، لأحسن ترتيبها وفهم أبعادها، واستنباط دررها. اقتصرت في كثير منها على قول ابن عباس وتدبره فيه، دون مقارنته مع الأقوال الأخرى، ودون الاستطراد في التأصيل لما ذهب إليه من حسن فهم وتدبر، ولعل ذلك يحتاج إلى بحث مستقل إن شاء الله.

وهي في الأخير إشارات تدبرية في آيات الله، من رجل شهد له الخاص والعام بفقهاء التأويل، وشهدت له النصوص بحسن تدبره وتفكره، والمقام لا يسع لمزيد من التفصيل



والأمثلة، حيث اقتصر على ما ذكر، سائلاً العلي القدير أن يجعلنا من المتدبرين  
لآياته، العاملين بها.  
والسلام عليكم ورحمة الله.

## المصادر والمراجع مرتبة ترتيباً ألفبائياً.

١- القرآن الكريم.

٢- الاتقان في علوم القرآن للسيوطي، قدم له وعلق عليه: د محمد شريف سكر، وراجعته: د: مصطفى القصاص، ط: ١/١٤٠٧. دار إحياء العلوم، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم ط: ٣/١٤٠٥/١٩٨٥، مكتبة دار التراث القاهرة.

٣- أحكام القرآن لابن العربي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط: ١/١٤٠٨/١٩٨٨. دار الكتب العلمية.

٤- الأدب المفرد لمحمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي دار البشائر الإسلامية - بيروت ط ٣، ١٤٠٩ - ١٩٨٩، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. الأحاديث مزيلة بأحكام الألباني عليها.

٥- الاستيعاب لأسماء الصحابة لابن عبد البر، تحقيق: محمد الجاوي نهضة مصر القاهرة.

٦- أسد الغابة في معرفة الصحابة دار الفكر بيروت.

٧- الإصابة في معرفة الصحابة لابن حجر، ت: ٨٥٢هـ، ١٣٥٨/١٩٣٨، مطبعة مصطفى الحلبي.

٨- أعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم حقه محمد محيي الدين دار الفكر بيروت لبنان.

٩- الإكمال في أسماء الرجال لمحمد بن عبد الله الخطيب نشر المكتب الإسلامي دمشق.

- ١٠- أنساب الاشراف للبلاذري ط: ١٩٥٩/دار المعارف بمصر.
- ١١- البداية والنهاية، لابن كثير، تحقيق: د: أحمد أبو محمود: فؤاد السيد، ود/علي نجيب عطوي ود/ نهدي ناصر الدين، وذ/علي عبدالستار، دار الكتب العلمية، ط: ١٩٨٩/٥.
- ١٢- تاج العروس من جواهر القاموس لمحمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (ت: ١٢٠٥هـ) تحقيق مجموعة من المحققين نشر دار الهداية
- ١٣- تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والاعلام للذهبي مطبعة السعادة: ١٣٦٨هـ وطبعة الهيئة العامة ١٩٧٥/ القاهرة بتحقيق محمد عبد الهادي أبو شعيرة.
- ١٤- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي دار الكتاب العربي بيروت، ١٣٣٩/ وطبعة المكتبة السلفية.
- ١٥- تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من واردتها وأهلها تصنيف الإمام العالم الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر ٤٩٩ هـ - ٥٧١ هـ، دراسة وتحقيق علي شير دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- ١٦- تاريخ القرآن لعبد الصبور شاهين. القاهرة دار القلم ١٩٦٦.
- ١٧- تدبر القرآن، لسليمان بن عمر السندي نشر: مجلة البيان، كتاب المنتدى ط١٤٢٣/٢.
- ١٨- تذكرة الحفاظ للذهبي دار إحياء التراث العربي وط: دار الكتب العلمية، وط: ١٣٣٣/٢هـ دائرة المعارف النظامية حيدرآباد الدكن.

١٩- تفسير سفیان الثوري، تحقيق: امتياز علي عريشي، ط: ١/١٩٨٣، دار الكتب العلمية.

٢٠- التعريفات لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ) تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء. نشر دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ط١/١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٢١- تفسير ابن عباس ومروياته في التفسير من كتب السنة، د عبد العزيز بن عبد الله الحميدي، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية مكة المكرمة.

٢٢- تفسير ابن عباس المسمى صحيفة علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في تفسير القرآن العظيم اعتنى بها وحققها راشد عبد المنعم الرجال ط: ٢/١٩٩٣، مؤسسة الكتب الثقافية.

٢٣- تفسير القرآن لعبد الرزاق الصنعاني، تحقيق: مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد الرياض، ط: ١/١٩٨٩.

٢٤- تفسير القرآن العظيم لابن كثير ط: ١/١٩٨٠، دار الفكر للطباعة والنشر.

٢٥- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، إعداد: مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار الباز، ط: ١/١٩٩٧، مكتبة نزار مصطفى الباز مكة المكرمة الرياض.

٢٦- التفسير المأثور عن عمر بن الخطاب جمعه وعلق عليه وقدم له: إبراهيم بن حسن، ط: ١٩٨٣، الدار العربية للكتاب.

- ٢٧- تفسير المراغي دار احياء التراث العربي بيروت، ط: ١٩٨٥/٢.
- ٢٨- التفسير والمفسرون للذهبي، توزيع المكتبة السلفية المدينة المنورة وطبعة دار الكتب الحديثة ط: ١٩٧٦/٢.
- ٢٩- تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير لابن الجوزي القاهرة مكتبة الآداب ١٩٧٥.
- ٣٠- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس جمعه مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي مطبعة الحلبي ١٩٥١/١٣٧٠.
- ٣١- تهذيب الأسماء واللغات، لأبي زكريا محيي الدين بن شرف الدين النووي ت: ٦٧٦هـ، دار الكتب العلمية بيروت.
- ٣٢- تهذيب التهذيب لأبي أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) نشر مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند ط: ١٣٢٦هـ/ج ١٢.
- ٣٣- تهذيب الكمال لأبي الحجاج يوسف بن الزكي المزي ت: ٧٤٢، مؤسسة الرسالة.
- ٣٤- جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري، تحقيق: محمود محمد شاكر وتخرير أحمد شاكر دار المعارف، وطبعة دار الفكر.
- ٣٥- الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمن من السنة وآي الفرقان للقرطبي، صححه أحمد عبد الحلیم ط: ١٩٨٢، توزيع دار الرشاد الحديثة.
- ٣٦- الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي لأبي عيسى الترمذي، تحقيق وتخرير وتعليق: محمد فؤاد الباقي دار عمران بيروت.

٣٧- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر نشر دار طوق النجاة مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم فؤاد عبد الباقي ط ١/، ١٤٢٢هـ، ج ٩.

٣٨- جمهرة أنساب العرب لابن حزم تحقيق: ليفي بروفنسال، دار المعارف مصر. ونسخة بتحقيق عبد السلام هارون القاهرة دار المعارف ١٣٨٢.

٣٩- حبر الأمة عبد الله بن عباس ومدرسته في التفسير بمكة المكرمة، للدكتور عبد الله محمد سلقيني دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ط ١/١٤٠٧/١٩٨٦. القاهرة. أبو هاجر محمد السعيد زغلول دار الكتب العلمية.

٤٠- حلية الأولياء وطبقة الأصفياء لأبي نعيم الأصبهاني أحمد بن عبد الله ت: ١٩٨٠هـ، ط: ٣/١٩٨٠.

٤١- الدر المنثور في التفسير المأثور للسيوطي، ط: ١/١٩٨٣، دار الفكر للطباعة والنشر.

٤٢- دستور العلماء جامع العلوم في اصطلاحات الفنون القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمـد نكري (ات ق ١٢هـ) عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص نشر دار الكتب العلمية - لبنان / بيروت ط ١/، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م ج ٤.

٤٣- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي ط: ١٩٨٧، دار الفكر. بيروت لبنان.

٤٤- زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي، تحقيق: محمد بن عبد الرحمان، وتخرّيج: أبو هاجر زغلول ط ١٩٨٧، دار الفكر ودار الرشد الحديثة.

- ٤٥- الزهد لأحمد بن حنبل ت: ٢٤١هـ، دراسة وتحقيق: محمد السعيد بسيوني، ط: ١٩٨٦/١، دار الكتاب العربي بيروت لبنان.
- ٤٦- سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار لعياش بن محمد رضا المعروف بالحدث القمي، إيران ١٣٥٠هـ.
- ٤٧- سنن أبي داود لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي ت: ٢٧٥هـ، مراجعة وضبط وتعليق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر للطباعة والنشر.
- ٤٨- سنن ابن ماجه لأبي عبد الله محمد بن يزيد القرشي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- ٤٩- سنن الدارقطني لعلي بن عمر الدارقطني ط: ١٩٩٤، طبعة جيدة ومنقحة بضبط الأحاديث والأسماء دار الفكر بيروت لبنان.
- ٥٠- سنن الدارمي للدارمي، حققه وشرح ألفاظه وجمعه وعلق عليه ووضع فهرسه د/مصطفى ديب البغاء، أستاذ بجامعة دمشق، ط: ١٩٩٦/٢، دار القلم.
- ٥١- سنن سعيد بن منصور تحقيق حبيب الرحمان الأعظمي ط: ١٩٨٥/١، دار الكتب العلمية بيروت.
- ٥٢- السنن الكبرى للبيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ط: ١٩٩٤/١، دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
- ٥٣- سنن النسائي المجتبى لأبي عبد الرحمان أحمد بن شعيب النسائي ت: ٣٠٣هـ، ط: ١٩٣٠/١ دار الفكر للطباعة والنشر.
- ٥٤- شرح السنة القولية والفعلية والآثار لابن مسعود الفراء البغوي ت: ٥١٦هـ، تحقيق: زهير الشاويش ط ١٩٧١، دار الفكر للطباعة.

- ٥٥- شعب الإيمان للبيهقي تحقيق: ابو هاجر ومحمد السعيد زغلول، ط ١/١٩٩٠، دار الكتب العلمية.
- ٥٦- شرح مشكل الآثار لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (ت: ٣٢١هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط نشر مؤسسة الرسالة ط ١/١٤١٥ هـ، ١٤٩٤م.
- ٥٧- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت: ٣٥٤هـ) تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت ط ١٤١٤/٢ - ١٩٩٣.
- ٥٨- صحيح مسلم لمسلم بن الحجاج شرح النووي، ضبط النص ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه على طبعة التي حققها محمد فؤاد عبد الباقي ط: ١/١٩٩٥، دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
- ٥٩- صفة الصفوة، لابن الجوزي، تحقيق: محمود فاخوري ط: ٤/١٩٨٦، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، وأيضاً طبعة المطبعة الهندية حيدرآباد: ١٣٥٥هـ.
- ٦٠- الصمت وآداب اللسان لعبد الله بن محمد بن عبيد بن أبيس الدنيا أبو بكر دار الكتاب العربي بيروت ط ١، ١٤١٠ تحقيق: أبو إسحاق الحويني.
- ٦١- طبقات الفقهاء لأبي إسحاق الشيرازي تحقيق: إحسان عباس ط: ١٩٧٠، دار الرائد العربي.
- ٦٢- الطبقات الكبرى لابن سعد، ت: ٢٣٠هـ، ط: ١٩٦٠، دار بيروت للطباعة والنشر، وطبعة دار صادر بيروت.



- ٦٣- طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها لأبي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري المعروف بأبي الشيخ الأصبهاني ت: ٣٦٩هـ تحقيق عبد الغفور عبد الحق حسين البلوشي نشر مؤسسة الرسالة - بيروت ط ٢، ١٤١٢ - ١٩٩٢.
- ٦٤- طبقات المفسرين للسيوطي تحقيق علي محمد عمر ط ١/١٩٧٦/مكتبة وهبة القاهرة.
- ٦٥- طبقات المفسرين للداودي ط: ١/١٩٨٣، دار الكتب العلمية.
- ٦٦- العبر في خبر من غير للذهبي تحقيق صلاح الدين المنجد الكويت سلسلة التراث العربي رقم: ١٩٦٠/٤.
- ٦٧- العزف على أنوار الذكر معالم الطريق إلى فقه المعنى القرآني في سياق السورة. لمحمود توفيق...
- ٦٨- العظمة لعبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصبهاني أبو محمد دار العاصمة الرياض الطبعة الأولى، ١٤٠٨ تحقيق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري.
- ٦٩- العلل الواردة في الأحاديث النبوية. لأبي الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني ت: ٣٨٥هـ المجلدات من ١-١١ تحقيق وتخرىج: محفوظ الرحمن زين الله السلفي. نشر دار طيبة الرياض. ط ١/١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م. والمجلدات من ١٢-١٥. علق عليه: محمد بن صالح بن محمد الدباسي نشر دار ابن الجوزي - الدمام ط ١، ١٤٢٧هـ.
- ٧٠- الفتاوى الكبرى لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية ت: ٧٢٨هـ نشر دار الكتب العلمية ط ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

٧١- فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر، عن الطبعة التي حقق أصلها عبد العزيز بن عبد الله بن باز ورقم كتبها فؤاد عبد الباقي ط: ١/١٩٨٩، دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

٧٢- فضائل القرآن ومعالمه وآدابه لأبي عبيد القاسم بن سلام تحقيق: د/أحمد بن عبد الواحد الحياطي، ط: ١٩٩٥، مطبعة فضالة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

٧٣- في تدبر القرآن الكريم، لأبي بدر محمد بن بكر بن إبراهيم آل عايد، بحث محكم ومنشور في مجلة الجامعة الإسلامية. ١٤٣٢-٢٠١١.

٧٤- القاموس الفقهي لغةً واصطلاحاً، الدكتور سعدي أبو حبيب نشر دار الفكر. دمشق سورية ط ٢/ ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

٧٥- قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله للشيخ عبد الرحمن حنيفة الميداني، نشر: دار القلم، ١٤١٩/٢.

٧٦- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للزمخشري، الدار العالمية.

٧٧- لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن ط: ١/١٩٥٥، مطبعة الاستقامة.

٧٨- لسان العرب لابن منظور تحقيق: عبد الله علي الكبير محمد أحمد حسب الله هاشم أحمد الشاذلي مطبعة دار المعارف.

٧٩- اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان لمحمد فؤاد عبد الباقي ط: القاهرة ١٩٤٩.

٨٠- مجمع الزوائد لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ت: ٨٠٧هـ : ١٤٠٢هـ، دار الكتاب العربي.

- ٨١- محاضرات في العلوم التربوية والسلوكية، أ.د. محمود أبو داف، د. حمدان الصوفي، د. يحيى موسى، مكتبة آفاق، غزة، ٢٠٠٣م.
- ٨٢- مختار الصحاح لزين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت: ٦٦٦هـ) تحقيق يوسف الشيخ محمد نشر المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا ط ٥/١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
- ٨٣- مذاهب التفسير الإسلامي لجولد سيهر نقله إلى العربية د: عبد الحلیم النجار: ١٩٨٣/٢، دار اقرأ.
- ٨٤- المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ط: ١/١٩٩٠، دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
- ٨٥- المسند لأبي عبد الله الشافعي ت: ٢٠٤هـ، ط: ١/١٩٨٠، دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
- ٨٦- المسند لأحمد بن حنبل تحقيق: أحمد محمد شاكر مكتبة التراث الإسلامي مصر.
- ٨٧- مشكاة المصابيح للتبريزي منشورات المكتب الإسلامي دمشق. وطبعة ١/١٩٦١، بتحقيق ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر.
- ٨٨- المصنف في الأحاديث والآثار لابن أبي شعبة تحقيق وتعليق: سعيد محمد اللخام ط: ١/١٩٨٩، دار الفكر.
- ٨٩- المصنف لعبد الرزاق الصنعاني ت: ٢١١هـ، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي ط: ١/١٩٧٠، المكتب الإسلامي. بيروت لبنان.

- ٩٠- معاني القرآن للفراء ت: ٢٠٧هـ، ط: ١٩٨٠/٢، عالم الكتب. ونسخة بتحقيق محمد علي النجار القاهرة دار المصرية للتأليف ١٩٦٦.
- ٩١- معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ت: ٣١١هـ، شرح وتحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، ط: ١٩٨٨/١، عالم الكتب.
- ٩٢- المعجم الأوسط للطبراني تحقيق: محمود الطحان ط: ١٩٨٥/١، مكتبة المعارف الرياض.
- ٩٣- المعجم الكبير لسليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني مكتبة العلوم والحكم - الموصل الطبعة الثانية، ١٤٠٤ - ١٩٨٣ تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي.
- ٩٤- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقي ط: ١٩٨١/٢، دار الفكر للطباعة والنسر.
- ٩٥- معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين ت: ٣٩٥هـ تحقيق عبد السلام محمد هارون نشر دار الفكر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م. ج ٦.
- ٩٦- المعرفة والتاريخ لأبي يوسف يعقوب بن سفيان ت: ٢٧٧هـ، تحقيق: أكرم ضياء العمري، ط: ١٤٠١/٢هـ، مؤسسة الرسالة، وط: ١٩٧٤، مطبعة الإرشاد بغداد.
- ٩٧- مفاتيح تدبر القرآن الكريم للدكتور خالد عبد الكريم اللاحم الرياض، ط ١٤٢٥/١.
- ٩٨- مفاتيح التعامل مع القرآن، للدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي نشر مكتبة المنار ط ١٤٠٦/١.

- ٩٩- مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر لد مساعد بن سليمان بن ناصر الطيّار نشر دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية ط ٢/، ١٤٢٧ هـ.
- ١٠٠- مناهج في التفسير للساوي مصطفى الجويني، المعارف الإسلامية، ١٩٧١ م.
- ١٠١- مناهج البحث العلمي، د. عمار بوحوش، د. محمد الذنبيات، مكتبة المنار، الأردن، ط ١، ١٩٨٩ م.
- ١٠٢- منهج تدبر القرآن الكريم، د حكمت بن بشير ياسين، ط ١/١٤٢٥، دار الحضارة للنشر والتوزيع.
- ١٠٣- منهج علماء الحديث والسنة في أصول الدين لد مصطفى محمد حلمي نشر دار الكتب العلمية - بيروت ط ١/ - ١٤٢٦ هـ.
- ١٠٤- ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي تحقيق علي البجاوي عيسى الحلبي. المجلات والدوريات والمنشورات.
- ١٠٥- مجلة أخبار التراث الإسلامي، نشرة علمية تصدر عن مركز المحفوظات والتراث والوثائق، العدد: ٢١/١٩٩٠/فقرة رسائل جامعية.
- ١٠٦- مجلة الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية الرياض، السعودية.
- ١٠٧- منشورات معهد الدراسات المصطلحية بجامعة سيدي محمد بن عبد الله كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس.



# الحسن البصري ومنهجه في التدبير

إعداد

د. عادل رفوش

المشرف العام والمدير العلمي لمؤسسة ابن تاشفين للدراسات والأبحاث والإبداع.





## مقدمة

الحمد لله، وصلى الله على نبيه ومصطفاه، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه ومن والاه.  
أما بعد؛ فلم أكن متهيئاً للمشاركة في هذا المؤتمر السنّي السني؛ الذي يعقد لأخيراً  
ما يأتئمُّ الناس حوله ويتنادون من أجله: كتاب الله تعالى.  
وفي لب لباب علومه المرشد إلى هداياته: علم تدبره؛ وكيف تعاطاه العلماء الأجلاء  
عبر قرون منذ أزمنة السلف الصالح إلى زماننا المعاصر...  
فلما طُلب مني ذلك غير بعيد عن قرب الانعقاد، وفي ظرفية تتسم بالازدحام  
لتداخل المواسم والانشغالات؛ لم أستطع إلا تلبية الدعوة لما فيها من السعادة بالقوم  
الذين لا يشقى بهم جليسهم.  
وإني لأرجو من الله تعالى أن يتقبلنا وإياهم في الصالحين...  
ومما زاد من رغبتني في المشاركة اقتراحهم «الإمام الحسن البصري» موضوعاً لعرضي  
المقتضب الوجيز...  
وللرابطة السلفية التي تعلق قلوبنا بأولئك الأئمة الأعلام؛ فإن للإمام الحسن  
وقعاً متميزاً لما يحظى به من رفيع المقام بين أعلام الإسلام...  
غير أنني صرت متردداً في اقتفاء منهجه رضي الله عنه حتى أوفيه بعض حقه  
الواجب له علينا:  
فالإمام معلمة في الفقه؛ حتى يكاد يتميز له بين الفقهاء مذهب خاص؛ ولكن  
هذا الباب ليس مباشراً فيما نحن بصدده...

والإمام معلمة في القراءات؛ حتى صار له في القراء مقرراً خاص ما زلنا نرويّه عن شيوخنا في الأربع الزوائد على العشر؛ بل صنف في مفردته مصنفات، وذكر له في ثنايا المطولات مئات الحروف التي تروى عنه؛ وتشكل الوجه القرآني لأئمة البصرة وللقراءات القرآنية عموماً...

والإمام معلمة في التفسير؛ فلا تكاد تطالع تفسيراً إلا وأحصيت للإمام فيه مئات النقول المسندة والمرسلة في بيان معاني كلام الله تعالى...

وإذا أردنا أن نوفي العَرَضُ حقه -من غير تكلف ولا توليد- فإن استقراء خطاه في تدبر كلام الله؛ يستدعي الإحاطة بنظرة الفقهي والقرآني والتفسيري جميعاً...

ولو أردنا الاقتصار على النوع الثالث لكونه مباشراً؛ فإننا سنجابه بمانع آخر متمثل في أن الإمام لم يؤلف تفسيراً يسهل هذا المبتغى؛ وإنما الموجود مجاميع جمعت كلامه المتناثر في التفسير كما هو الدأب في عموم أئمة هذه الحقبة التي كانت علومها في الصدور أكثر من السطور...

وأما المانع الأبرز الذي أراه أكثر حضوراً في التأثير على ماهية العَرَضُ المقترح من اللجنة المنظمة وفقها الله؛ وهو مناهج التدبر عند الإمام الحسن البصري؛ فهو عسر استخراج المقصود حسب المصطلح المتواضع عليه؛

فإن كلمة «مناهج» تقتضي «المعالم والقواعد».

وكلمة «التدبر» تقتضي البحث في أدبار المعاني ونكات الدلالات، وشفيف الاستنباطات؛ وهذا بحسب ما آلت إليه علوم التفسير ومناهج البحث في دقائقه عند المتأخرين والمعاصرين؛ يعسر تطبيقه عند تفاسير الأولين؛ لا لخلو تفاسيرهم منه، ولا لعدم عطائهم فيه؛ كلاً..

وكيف يُدعى ذلك وهم أساطين الكلام ودواوين العلم والإيمان؟  
وكل كلام لا يستند لعلومهم وسلوكهم؛ فهو إلى اللغظ والغلط أقرب...  
ولكن المراد هو المطابقة بين آفة المصطلح وحتمية التطبيق:

□ فسعة علوم السلف.

□ وفصاحة سليقتهم لساناً وبياناً.

□ وتقدم زمانهم.

□ واعتمادهم على المشافهات أكثر من المكاتبات...

هذه الدواعي الأربعة هي التي تدعو لمزيد استخراج من كلام الله؛ ولذا يكثر  
التثوير عند المتأخرين، لأن الدواعي الأربعة اجتمعت فيهم وزادت.

وأما الأولون فما احتاجوا إلا بمقدار؛ فما أشبههم بعهد النبي صلوات ربي وسلامه  
عليه! -لقربهم منه- في أنه لم يحتاج إلى التأليف فيه أو تفسير كل حرف منه؛ فضلا  
عن ذكر ما يمكن تنزيل كتاب الله عليه، واستخراج ما يحتمله من دلالات لم تظهر  
قبل لديه.

إذاً؛ فنحن أمام واقع يلزمنا ونحن نتباحث «مناهج التدبر» أن لا نكلف كلام  
الأولين ما لم يقتضه زمانهم ولا دعت إليه حاجاتهم؛

وفي الوقت نفسه نتغيا ما زبره المتأخرون؛ كالذي نلحظه عند القرطبي مثلا في  
استخدام علوم القرآن وآياته العظام في ذكر أحوال من تاريخ الأندلس وأوضاع  
الطوائف ورد المقولات ونحو ذلك...

وعليه فإنني بادئ ذي بدء أنبه على هذا المعطى؛ لكي أكون معتذراً بين يدي الإمام  
وبين يدي هذا المؤتمر الكريم؛

لقد اعتمدت في تتبع تفسير الإمام رحمه الله على سرده كاملاً من الفاتحة إلى الناس  
- في أيام معدودات بعد الحج-؛ والذي وفق لجمعه الأستاذ الشيخ أحمد فريد الزبيدي،  
وطبع عن دار الكتب العلمية في جزأين ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م؛  
مع التأمل فيما هو منقول عنه في ثنايا المطولات..

وكنت رأيت في إحدى مكتبات المدينة المنورة مجموعاً آخر لتفسير الحسن البصري  
في خمسة مجلدات، ولكنني لم أستطع الحصول عليه هذه الفترة وأنا بالمغرب؛ وهو من  
تأليف الأستاذين الدكتور علي شاه الباكستاني والدكتور محمد عبد الرحيم المصري نفع  
الله بهما...

أقول: لقد حاولت من خلال هذا المجموع لتفسيره أن أتمسك بعض ما يتطابق  
مع الاصطلاح؛ فلم أسلم من الفقد الذي ادعيته سلفاً؛ لأن عادة تلك التفاسير هي  
المعاني المجملة وتفسير بعض الغريب وذكر بعض أحوال النزول؛ وإن كان للإمام  
الحسن تميز ظاهر حتى عُدد أصل تفاسير التابعين؛

وله ميزة أخص في استخلاص مواعظ القرآن وبحث المواعظ من القرآن؛ حتى  
صار يسميه بعض الناس بالتفسير الوعظي؛ وهو باب عظيم القدر بالغ الأهمية بل  
هو القلب واللب؛ مع ما للإمام من تواجد في أحداث زمانه التاريخية والسياسية كما  
يعلم من مطولات سيرته والكتابات حوله...

وباب المواعظ هو أغلب ما استخلصنا منه بعض معالم التدبر عند هذا الإمام  
رضي الله تعالى عنه وأرضاه...

وإن كان الأليق لرسم معالم التدبر عند الإمام الحسن البصري هو قَصُّ أثره من خلال ثلاث شعب ذات ظل ظليل:

- ١) في علم القراءات؛ وهو ذو مقراً ما زال يروى ويسند.
  - ٢) وفي علم الفقه؛ وهو ذو مذهب ما زال يذكر ويفرد.
  - ٣) وفي علوم التفسير؛ وهو فيه آية لا تخطئها العين.
- ولكن سراديب الوقت ومعدود الصفحات لم يسعفنا لتناول كل ذلك؛ فاقصرنا منه على معالم المعاني، ومن تلك المعاني انتقينا الأظهر والأهم؛ محاولين بحول الله تقريب ذلك بالقاعدة والمثال في فصلين.

وقد ذكرت في هذا العرْض:

- ١) مقدمةً ذكرت فيها مفهوم التدبر الاصطلاحي ودواعيه عند المتقدمين والمتأخرين بإيجاز.
  - ٢) ثم تمهيد في لمحة عن سيرة الإمام، والكتب التي اعتمدها أصالة لهذا العرض -دون المراجع-
  - ٣) ثم فصلاً في مقدمات التدبر عند الإمام في خمس مسائل.
  - ٤) ثم فصلاً في نماذج من تطبيق التدبر عنده من أول القرآن إلى آخره -دون مقارنات لضيق المحل-
  - ٥) ثم خاتمةً في التذكير بأهم القضايا والاستنتاجات.
  - ٦) مع الفهارس.
- والله تعالى أعلم.

## هذا الإمام

رجلٌ ملاً ذكره الآفاق، ولم تكد تخلو من ترجمته الكتب العتاق؛  
بل أفرد سيرته جماعة؛ كابن الجوزي رحمه الله في كتابه: (آداب الحسن البصري  
ومواعظه)؛ ط دار الصديق.

وكتاب شيخنا صالح أحمد الشامي: (مواظ الحسن البصري)؛ ط المكتب الإسلامي.  
مع بحث لطيف استفدت منه كثيراً: (وصايا الإمام الحسن البصري لأهل القرآن)  
لمؤلفه: أبي عبد الله حمزة النايلي؛ ط دار الإمام البخاري.

ورسالة علمية محكمة في سبر مرويات الإمام الحسن البصري في الكتب الستة...  
ورسالة علمية في فقهه المقارن في أربعة أجزاء مع جزء وافٍ في ترجمته؛ للدكتورة  
روضة جمال الحصري..

وغير ذلك؛ وهو كثير...

وُلد الحسن البصري سنة إحدى وعشرين في خلافة عمر رضي الله عنه.

وترعرع في خلافة عثمان، وشب في خلافة علي رضي الله عنهم أجمعين.

زَرَعَ فيه حب العلم وحفظ القرآن والعمل به؛ جيلُ الصحابة الفريد ومجتمع  
المدينة دار الهجرة التي كانت حديثة عهد بالوجود النبوي، وزاخرة بوفرة كبار  
الصحابة والتابعين؛ ناهيك عن كفالةٍ في بيت أمنا أم سلمة رضي الله عنها زوج  
النبي ﷺ؛ التي كانت أمه خَيْرُهُ مولاةً عندها؛ وتلمذة مباشرة من ابن عباس وبين  
يدي أنس بن مالك -رحل معه بعد إلى البصرة ولم يخرج بعد منها إلا للحج مرتين-؛

وما زال يستمد من نور الصحبة حتى كان يشبه في كلامه بالأنبياء، وفي فصله بعمر ابن الخطاب، وفي هديه بعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم؛ وبه تخرج سادات السلف الصالح؛ كأيوب السختياني وبكر بن عبد الله المزني وقتادة ومنصور بن المعتمر... ولا نستطيع في قبس من ترجمته إلا أن نشير إلى ما نقل الذهبي في وصف مجلسه، إذ قال في النبلاء:

«وقال جعفر بن سليمان: «كان الحسن من أشد الناس، وكان المهلب إذا قاتل المشركين يقدمه».

وقال أبو سعيد بن الأعرابي في «طبقات النساك»:

«كان عامة من ذكرنا من النساك يأتون الحسن، ويسمعون كلامه، ويدعون له بالفقه، في هذه المعاني خاصة».

وكان عمرو بن عبيد وعبد الواحد بن زيد من الملازمين له، وكان له مجلس خاص في منزله؛ لا يكاد يتكلم فيه إلا في معاني الزهد والنسك وعلوم الباطن؛ فإن سأله إنسان غيرها، تبرم به وقال: «إنما خلونا مع إخواننا نتذاكر».

فأما حلقتة في المسجد فكان يمر فيها الحديث، والفقه، وعلم القرآن، واللغة، وسائر العلوم.

وكان ربما يسأل عن التصوف فيجيب، وكان منهم من يصحبه للحديث، ومنهم من يصحبه للقرآن والبيان، ومنهم من يصحبه للبلاغة، ومنهم من يصحبه للإخلاص وعلم الخصوص؛ كعمرو بن عبيد وأبي جهير وعبد الواحد بن زيد وصالح المري وشميط وأبي عبيدة الناجي؛ وكل واحد من هؤلاء اشتهر بحال -يعني في العبادة- أهد من السير للإمام الذهبي.

فتأمل حياة هذا العَلَم بين العِلْم والنسك والجهاد في سبيل الله تعالى..

ولذلك قال الذهبي: «كان سيد أهل زمانه علماً وعملاً»<sup>(١)</sup>.

قال الأعمش: «ما زال الحسن البصري يعي الحكمة حتى نطق بها، وكان إذا ذكر عند أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين قال: «ذاك الذي يشبه كلام الأنبياء»<sup>(٢)</sup>.

وقال الذهبي في تاريخ الإسلام<sup>(٣)</sup>:

«مناقبه كثيرة ومحاسنه غزيرة؛ كان رأساً في العلم والحديث، إماماً مجتهداً كثيراً الاطلاع، رأساً في القرآن وتفسيره، رأساً في الوعظ والتذكير، رأساً في الحلم والعبادة، رأساً في الزهد والصدق، رأساً في الفصاحة والبلاغة، رأساً في الأيد والشجاعة».

ذلكم شيخ الإسلام الحسن بن يسار أبو سعيد البصري، المتوفى بالبصرة سنة عشر ومائة ١١٠ هـ رحمه الله تعالى.

(١) سير أعلام النبلاء (٤/٥٦٥).

(٢) الحلية لأبي نعيم (٢/١٤٧).

(٣) (ج ٧ / ص ٤٩).



## الفصل الأول

### التهيؤ للتدبر عند الحسن البصري

إذا سلمنا بضرورة حسن الإقبال على القرآن ليتحقق كسر أقفال القلوب بحسن التأديب؛ وتبديد غشاوة النفس وران الطبع الخاتم عليها - عياداً بالله - بحسن التوكل والتفهم؛ فإننا سنجد الإمام الحسن البصري يجعل من التزكية للتعليم شعار حياة لكل المسلمين عموماً ولأهل القرآن خصوصاً:

#### العلم العملي:

فهو يرى التأثير بالقرآن عملاً واتباعاً أهم درجات قراءته والعلم به؛ فالتدبر الأمثل هو العمل المستقيم؛ وأن أهل القرآن حقاً - كما قال ابن القيم رحمه الله<sup>(١)</sup> -:

«أهل القرآن هم العالمون به والعاملون بما فيه؛ وإن لم يحفظوه عن ظهر قلب؛ وأما من حفظه ولم يفهمه ولم يعمل بما فيه فليس من أهله؛ وإن أقام حروفه إقامة السهم».

قال الإمام الحسن البصري رحمه الله: «إنَّ أولى الناس بهذا القرآن من اتبعه وإن لم يكن يقرؤه»<sup>(٢)</sup>.  
أي: يحفظه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «من تدبر القرآن طالباً للهدى منه؛ تبين له طريق الحق»<sup>(٣)</sup>.

(١) في الزاد (١/٣٣٨).

(٢) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن (ص. ١٣٦).

(٣) المجموع (٣/١٣٧).

ومن هذا القبيل ما رواه ابن عبد البر<sup>(١)</sup> قال: «الذي يفوق الناس في العلم جديرٌ أن يفوقهم في العمل».

ويجلي الإمام الحسن هذا التدبر بألوان من التشخيص الظاهري على سيما المتدبرين فيقول: «والله لا يؤمن عبد بهذا القرآن إلا حزن وذبل، وإلّا نَصَبَ وإلّا ذابَ وإلّا تعب»<sup>(٢)</sup>.

وقال: «إن الرجل إذا طلب القرآن والعلم لله عز وجل لم يلبث أن يرى ذلك في خشوعه وزهده وحلمه وتواضعه»<sup>(٣)</sup>.

وذكر الغزالي في الإحياء<sup>(٤)</sup> عنه قوله: «والله ما أصبح اليوم عبد يتلو القرآن يؤمن به إلا كثرَ حزنه وقَلَّ فرحُه وكثرَ بكاءُه وقلَّ ضحكُه، وكثرَ نصبه وشغله وقلت راحته وبطالته»<sup>(٥)</sup>.

### التلازم واللزوم:

وأن هذا التدبر يستحق من المتدبر «حياة يحياها مع القرآن»، و«عيشة راضية به ومعه في كل الأحوال».

وهذا هو ما عبر عنه الإمام بمصطلح «اللزوم» إذ يقول: «الزموا كتاب الله وتتبعوا أمثاله وكونوا فيه من أهل البصر»<sup>(٦)</sup>.

(١) في الجامع (٢/ ١٠).

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية (٢/ ١٣٣).

(٣) ذكره ابن الجوزي (ص. ٩٤).

(٤) (الصفحة ١٢٨٥).

(٥) نقلا عن رسالة: وصايا الإمام الحسن لأهل القرآن ص ٥٣، جمع وتعليق الأخ الفاضل حمزة النابلي.

(٦) رواه الأجرى في أخلاق حملة أهل القرآن (ص ٤).

فلا بصيرة بلا لزوم والتزام؛ ولا تدبر بلا تتبع واستقراء؛ ويرتكز هذا الأساس عند الإمام الحسن على أحد أهم علوم القرآن؛ وهو السَّبْح الطويل في «أمثال القرآن» التي تعتبر جوامع العلوم، ومفاتيح الرّيبين إلى الربانية؛ لما ترشد إليه من «التذكير والوعظ والحث والزجر والاعتبار والتقرير؛ وتقريب المراد للعقل، وتصويره في صورة المحسوس؛ بحيث يكون نسبته للعقل كنسبة المحسوس إلى الحس، مع بيان موازين المدح والذم، والثواب والعقاب، وتفخيم الأمر أو تحقيره؛ وعلى تحقيق أمر، وإبطال أمر»<sup>(١)</sup>.

### عَرَضُ النَفْسِ:

ومن تجليات هذا اللزوم «دوام العَرَض» على القرآن في حياة التوبة الدائمة؛ حياة محاسبة للنفس ومراجعة للفكر وتقويم للقناعات؛ ووزن للموازين بأعدل ميزان وأصدق لسان: كتاب الله تعالى..

وهو معنى ما أرشد إليه الحسن إذ قال: «رحم الله عبداً عرض نفسه وعمله على كتاب الله؛ فإن وافق كتاب الله حمد الله وسأله الزيادة، وإن خالف كتاب الله أعتب نفسه ورجع من قريب»<sup>(٢)</sup>.

وقال رحمه الله: «من أحب أن يعلم ما هو فليعرض نفسه على القرآن»<sup>(٣)</sup>.

ورحم الله الحافظ المناوي إذ قال<sup>(٤)</sup>:

«فمن لم يجعل القرآن إمامه؛ فقد بنى على غير أساس؛ فانهار به في نار جهنم».

(١) بدائع الفوائد لابن القيم (٤/٨١٥).

(٢) الآجري ص ٣، وابن الجوزي (ص. ٩٤).

(٣) رواه ابن المبارك في الزهد (ص. ١٣).

(٤) في الفيض (٤/٥٣٥).

قال ابن تيمية: «من أراد السعادة الأبدية فليلزم عبته العبودية»<sup>(١)</sup>.

### اللذة والذوق:

ومن تجليات هذا اللزوم الهادي إلى حسن التدبر: «التذوق والتلذذ»؛ فإن العلم والإيمان ليس طقوساً جوفاء ولا قوانين صامتة بلا طعم شهى ولا لون بهي ولا ريح زكي؛ ولكنه نور وروح وقرّة عين.

وقد كان الإمام يقف أمام مائدة القرآن وفي ضيافة الرحمن مع أهل الله وخاصته أهل القرآن؛ وكأنني به يعايش تلك الموائد وذلك الحضور بكل أسباب الإدراك الظاهرة والخفية والعلية؛ انتهاجاً لمقام الإحسان «أن تعبد الله كأنك تراه»، وأن تستأنس بالوادي القرآني المقدس الذي بورك من حوله؛ فلا ترجع من ميعاده إلا بالوواح النور والهداية تنطبع في قلبك وروحك من مناجاة الذي قال لكليمه موسى عليه السلام: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤].

ثم قال له: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ [الأعراف: ١١٧].

فالحضور بين يديه والتجرد إلا منه في التوجه إليه؛ مطلب هام في تدبر كلماته التي تمت صدقاً وعدلاً؛ وهذا لا يتأتى إلا بالرضى به والتذوق لطعم خطابه الأقدس؛

ولذا قال الإمام الحسن:

«تفقدوا الخلاوة في ثلاث: في الصلاة وفي القرآن وفي الذكر؛ فإن وجدتموها فامضوا وأبشروا؛ وإن لم تجدوها فاعلم أنّ بابك مغلق»<sup>(٢)</sup>.

(١) نقله ابن القيم في المدارج (١/ ٤٣١).

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية (٦/ ١٧١) والبيهقي في الشعب (٥/ ٤٤٧).

## حجب التدبير:

حماية المتدبر نفسه من موانع التدبير؛ وهي ألوان من أدران النفوس ورعوناتها؛ قسوة في القلب وتفريطاً في العمل وطمعاً في الدنيا وحرصاً على أهلها وتملقاً إلى سلاطينها؛ ولذلك لما دخل الحسن رحمه الله على الوزير ابن هبيرة واعظاً ناصحاً، ثم خرج من عنده؛ فإذا بجمع من علماء التملق على الأبواب منتظرين!..

فقال لهم<sup>(١)</sup>: «ما يجلسكم هاهنا؟ تريدون الدخول على هؤلاء الخبثاء! أما والله ما مجالستهم مجالسة الأبرار؛ تفرقوا فرق الله بين أرواحكم وأجسادكم، قد فرطحتم نعالكم، وشمرتم ثيابكم، وجززتم شعوركهم؛ فضحتم القراء فضحككم الله، والله لو زهدتم فيما عندهم، لرغبوا فيما عندكم، ولكنكم رغبتم فيما عندهم، فزهدوا فيكم، أبعد الله من أبعد».

وقال السيوطي في (ما رواه الأساطين في عدم المجيء إلى السلاطين):

عن الحسن أنه مر ببعض القراء على بعض أبواب السلاطين، فقال:

«أقرحتم جباهكم، وفرطحتم نعالكم، وجثتم بالعلم تحملونه على رقابكم إلى أبوابهم!»

أما إنكم، لو جلستم في بيوتكم لكان خيراً لكم؛ تفرقوا فرق الله بين أعضائكم».

وأخرج ابن النجار عن الحسن أنه قال: «إن سرّكم أن تسلموا ويسلم لكم دينكم، فكفوا أيديكم عن دماء المسلمين، وكفوا بطونكم عن أموالهم، وكفوا

(١) السير (٤ / ٥٨٦).

ألسنتكم عن أعراضهم، ولا تجالسوا أهل البدع، ولا تأتوا الملوك فيلبسوا عليكم دينكم. (المورد العذب المعين في آثار أعلام التابعين (١٩٤/٢)).

## الفصل الثاني

### حياة التدبر عند الحسن البصري: نماذج وأقوال

#### المبحث الأول: فيه تدبر مقرآته:

إذا اعتبرنا - كما أشرنا سابقاً لمقرآ الإمام الحسن - قراءته رافداً من روافد التدبر عنده؛ واستحضرنا جانب الاختيار في رواية القراءة كما هو معروف عند أهل الأداء؛ فلا شك أن النظر في بعض حروفه يجعل المتدبر والمفسر؛ أمام معاني أرحب ودلالات لآيات القرآن أكثر إشراقاً وإخباتاً؛ كما في:

(١) قراءته: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣] على معنى الأفضلية في الحسن المأمور به في تبليغ رسالة الإسلام<sup>(١)</sup>.

(٢) وفي قراءته: «تلك أمانيتهم» بمد الياء ساكنة، ووافقه من العشرة أبو جعفر المدني؛ وما تضيفه على الآية من التحذير من معنى «القراءة الجوفاء» التي تجعل العلم قراطيس وتجعل الفكر أوهاماً؛ فلا تنفع إذ ذاك أمانيت الأمانيت<sup>(٢)</sup>.

(٣) وقراءته: «فَنظَرَةٌ إِلَى ميسرة» بإسكان الظاء؛ ما يضيف على معنى الإنظار المتواتر؛ معنى النظر العطوف والشفقة على المدين وتخفيف وطأة المعرم عليه؛ برأ وإحساناً رجاء الإحسان من الله الذي يحب المحسنين<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر مفردة الحسن (ص. ٢١٨)، وإتحاف فضلاء البشر (١/ ٤٠١).

(٢) انظر المفردة (ص. ٢٢٠)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٢١٧).

(٣) انظر المفردة (ص. ٢٣٣)، والبحر المحيط (٢/ ٣٤٠)، والدر المصون للسمين الحلبي (٢/ ٦٤٦)، والإتحاف (١/ ٤٥٨).

- ٤) وقراءته: «فالتَّى الأصباح» بالفتح على الجمع لا بالكسر على المصدرية؛ وما تدل عليه من تعدد الإشراقات على مختلف الأكوان؛ ونعمة النور التي تعم كل الشعوب وكل الكائنات وفي كل الأصقاع<sup>(١)</sup>.
- ٥) وقراءته: «إنهم لا إيمانَ لهم» كابن عامر في السبعة لا على جمع يَمِينٍ كالجمهور «أَيْمَانٍ»؛ بل على معنى نفي الإيمان وإثبات الكفر لهم؛ بما قام فيهم من نواقضه التي تلغي كل عهد وتبطل كل نفاق<sup>(٢)</sup>.
- ٦) وقراءته: «ولا أَدْرَأْتُكُمْ به» في يونس<sup>(٣)</sup>؛ على معنى الإعلام وعدم الحرص على مبارزتهم بالمخالفة؛ وهو معنى مهم يضاف لمعنيها عند ابن كثير بخلف عن البرزي: «ولأَدْرَأَكُمْ» بلام الابتداء للتأكيد؛ وعند باقي القراء العشرة على نفي الدراية لولا أن الله علمه ما لم يكن يعلم<sup>(٤)</sup>.
- ٧) وقراءته: «في غَيْبَةِ الجب» التي أفادتنا إلى ظلمات غيابات الجب وقعره السحيق؛ معنى المدة الزمنية الطويلة التي غاب فيها يوسف عليه السلام عن العالمين لولا رعاية رب العالمين سبحانه<sup>(٥)</sup>.
- ٨) وقراءته: في خاتمة سورة الرعد: «قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده عِلْمُ الكتاب».

(١) انظر المفردة (ص. ٢٧٧)، والدر المصون (٥/ ٥٩). والإتحاف (٢/ ٢٣).

(٢) انظر المفردة (ص. ٣٠٥)، والبحر المحيط لأبي حيان (٥/ ١٥).

(٣) وذكرها بعضهم «ولا دَرَأْتُكُمْ به».

(٤) انظر المفردة (ص. ٣١٥)، والبحر المحيط (٥/ ١٣٣)، والقراءات الشاذة للشيخ القاضي (ص. ٥٢).

(٥) انظر المفردة (ص. ٣٢٧). وانظر الإتحاف (٢/ ١٤١). والقراءات الشاذة للقاضي ص ٥٥.



ولا يخفى على المتدبر كم لهذا الحرف من ظلال وارفة وزلاات عذبة؛ يذوب لها قلب الناظر رقة وخشوعاً؛ فلا يطمع في علم إلا من الله تعالى، ولا يفتح باباً لاستنباط فتوحاته إلا بالتذلل بين يدي عالمه ومُنزله سبحانه؛ فمنه وبه تنزله وحفظه وقراءته وفهمه وعلمه، وإليه يعود كل شيء؛ لا علم لنا إلا ما علمنا تبارك وتعالى<sup>(١)</sup>.

(٩) وقراءته: في فاتحة القصص «وَيَرَىٰ فرعونُ وهامانُ وجنودُهُما» على الفاعلية لا على المفعولية؛ وبمثله قرأ حمزة والكسائي وحَلَفَ خلافاً لباقي العشرة؛ وإليه أشار ولي الله الشاطبي في الحرز بقوله:

وَفِي نُرِي الْفَتْحَانَ مَعَ أَلِفٍ وَيَا

ئِهِ، وَثَلَاثُ رَفْعَهَا بَعْدُ (ش) كَلَا

(١٠) وقراءته في حرف سورة الرحمن عز وجل: «يرسل عليكما شواظ من نارٍ ونَحْسٍ»؛ فأضاف لقراءة الجمهور التي أفادت العذاب الحسي بالنحاس المُحمى الصَّاهِرِ المذاب؛ العذابَ المعنوي الذي يلقاه أهل النار فيه عياذاً بالله غضباً ومقتاً ونَحْساً حتى تكاد بهم تَمَيِّزُ مُنْفَجِرَةً غِيظاً<sup>(٢)</sup>.

فهذه عشرة كاملة من مواضع تحييط بالقرآن كله؛ أردنا أن نبرز بها ما لاختياره في روايته من تأثير على معالم التدبر عنده؛ وكأني بالحسن البصري رحمه الله يؤكد لنا ضرورة الإحاطة بحروف القرآن وظواهر قراءاته وصنوف علومه؛ لمن أراد أن يحقق التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل.

(١) انظر المفردة (ص. ٣٤٠). والطبري (١٣/١٧٧) والمحتسب لابن جني (١/٣٥٨)

(٢) انظر المفردة (ص. ٥٠٥) والقرطبي (١٧/١٧٢) والإتحاف (٢/٥١١) والقاضي في القراءات الشاذة (ص. ٨٥).

وأن الإمام رضي الله عنه أفادنا بتميز قراءته معاني غزيرة واستبطات جليلة؛ وأن قراءته مجردة هي تدبر عملي حاصل بالتلاوة والسماع؛ قبل التفسير والتأويل؛ ناهيك عن التدبر والاستنباط والثوير.

## المبحث الثاني

### فيه معاني مغايبه

وإذا أردنا أن ندخل «بوابة التأمل» عند سيدنا الإمام، وباستحضار ما سبق وأشرنا إليه من طبيعة تفاسير تلك الحقبة؛ وحاولنا أن نتلمس ما هو حري «بمصطلح التدبر» وداخل في المراد منه؛ وغير منصاعين إلى تكثير الصفحات بما هو شرح أو تفسير أو توضيح؛ فإننا لن نجد تلك الوفرة التي نطمح إليها؛ والتي لا نشك بأن أئمتنا كالحسن البصري كانوا أعلاما فيها؛ ولو أنه وصلنا كل ما قالوه وجميع ما كتبوه؛ أو لو أنهم عاشوا إلى زماننا وتأولوا عليه الكتاب المحكم؛ لرأينا من تدبرهم العجب العجاب؛ لأنهم جمعوا كل وسائله؛ وأخصها: القلب الطاهر، واللسان الذاكر، والعقل الطاهر، مع التوفيق الوثيق من الأوّل الآخر سبحانه؛

أولئك الذين كان الواحد منهم يدخل الناس من يهود ونصارى في دين الله أفواجا؛ بمجرد سماعهم له وهو يفسر القرآن، ويُفتق معاني الإيمان منه، ويفجر أودية المعرفة فيه؛ كما ذكروا في سيرة ترجمان القرآن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما..

إذا فالذي سنعرضه بعد استعراضنا تفسيره القرآن كاملاً مع بعض المقارنات والمقاربات؛ هو بمثابة الفوائد التدبرية عنه رضي الله عنه؛ وليس هو قواعد بمعنى الحصر الكلي لمجموعات كثيرة من الجزئيات...

لأننا لا نستطيع أن نتكلف ما ليس موجوداً؛ والله تعالى أعلم.

نعم؛ لو أنه اجتهد أصحاب هذا المؤتمر الكريم؛ واستغلوا هذه الجهود المباركة من أفاضل العلماء والباحثين المشاركين؛ فضموا ما ذكر عن الحسن البصري إلى

غيره من نظائره وتفسير أهل حقبته؛ فيمكن إذ ذاك أن تستقى من الأمثلة العديدة قواعد معدودة محددة؛ يُلخص بها «تعميد التدبر»<sup>(١)</sup> عند الطبقة العليا من مفسري السلف...

فإذا استفتحنا بالذي هو خير - وهو فاتحة الكتاب-؛ فإننا نلاحظ في إمامنا:

### (١) اعتماد الرواية أصلاً للتدبر:

فلا يصح عنده الافتيات على المنقول أو تجاوز دلالاته لما هو دونها، فضلاً عن المجيء بما هو أجنبي عنه أو معارض له؛ فهذا يجعل من دعاوى الابتكار في التدبر؛ أشبه بالعبث والتقول والتكلف؛ ولا يسلم من ذلك إلا من استوعب المنقول وأحاط بالمأثور ثم هو بعد ذلك بين يدي مآدبة الله فليظهر من فتوحاته ما يشاء؛

ولذلك يكثر إمامنا من الرواية عن الرسول ﷺ، وعن الصحابة رضي الله عنهم؛ ويجعلها أصلاً لكل اجتهاد واستنباط؛ كما في تفسيره السبع المثاني والقرآن العظيم بالفاتحة؛ وكان يكره تسميتها بأمر الكتاب - في قول - لظاهر آية الرعد: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٣٩]<sup>(٢)</sup>.

### (٢) بنية الكلمة هي المعنى الأقرب:

أ) فالكلمة من حيث أساس تركيب الكلام؛ لا يتجاوز بناؤها في عملية التدبر؛ بل ينظر في الكلمة: أصلها وزوائدها وتصرفات اشتقاقها؛ فتؤخذ منها المعاني الأولية لأي إرشاد تدبري؛ كما ستأتي الإشارة إليها في الاستخدام اللغوي عند الإمام رحمه الله تعالى؛ ولذا نراه حينما تأول «السبع المثاني» بأنها سورة الفاتحة؛

(١) وليس مطلق التفسير! فتنبه.

(٢) تفسير الحسن البصري (١/ ٢١).

قال رحمه الله: «لأنها تُتَنَّى في كل صلاةٍ وفي كل قراءة».

وكذلك في تفسيره التقوى «بالتقاء» الذي يقتضي الابتعاد والترك والتفادي...

فقال رحمه الله: «ما زالت التقوى بالمؤمنين حتى تركوا كثيراً من الحلال مخافة الحرام».

فيجعل الأقرب في بنية الكلمة هو الأول دخولاً كما رأيت.

(ب) ومن المعنى الأقرب الذي تدل عليه الحقيقة اللغوية؛ فإنه يعطي الأولوية

للمعنى الأقرب للحقيقة الشرعية:

كما في حمله إقامة الصلاة في «يقيمون الصلاة» على المفروضة؛ لأنها أساس الحفاظ

ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع.

ويبرز الزكاة المفروضة في مضمون ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [البقرة: ٣].

(ت) كما أنه يحتاط لذلك المعنى الأقرب أن يدخل فيه ما ليس منه فيحترز بإبعاده؛

كقوله عن قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ

هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ٤].

قال: «القرآن والتوراة والإنجيل والزيور؛ يصدقون بها ولا يعملون إلا بما في

القرآن»<sup>(١)</sup>.

وهذا من دقيق فهمه الذي بفقده وقع بعض أهل زماننا من دعاة العلمانية

ومرتزة الغرب الليبراليين؛ في دعوى تقارب الأديان ووحدة الأديان، وتحريف معنى

أن التوراة فيها هدى ونور... كما هو معروف في محله؛ فخلطوا بين التزكية الماضية

والتصديق بالكتب، وبين داعي التشريع والهيمنة...

(١) تفسيره (١/٢٥).

كما قال ربنا: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرَعًا وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة: ٤٨].

وهو عين ما بينه رضي الله عنه عن اليهودية والنصرانية حماية لعروة الإسلام من كل الأباطيل؛ فقال رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْبَسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٤٢].

قال: «لا تلبسوا اليهودية والنصرانية بالإسلام وأنتم تعلمون أن دين الله الإسلام؛ وأن اليهودية والنصرانية بدعة ليست من الله»<sup>(١)</sup>.

ث) ورغم الاهتمام الملحوظ «باللفظة» استخداماً واحتراساً؛ فإنه لا يبالغ باستقصاء ما لا يظهر له فيها؛ وذلك دأب منه على منهج السلف الكرام في ترك تكلف ما لم يبلغه علمه؛

ومنه قوله في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ﴾ [الغاشية: ٦].

«لا أدري ما الضريح؟ ولم أسمع فيه من الصحابة شيئاً».

وفي قولٍ عنه فسرته: بالزقوم؛ قال: «وهو بعض ما أخفاه الله من العذاب»<sup>(٢)</sup>.

ومن صور تركه التكلف اللفظي والمعنوي؛ كاختياره عدم تفسير الحروف الفواتح؛ كفاتحة الأعراف (٢٩٠/١)، وسائر مواضعها في القرآن العظيم.

(١) تفسيره (٣٧/١). وانظر كما أفاد محققه تفسير ابن كثير (٢٤٥/١). وزاد المسير لابن الجوزي (٥٤/١).

(٢) (٤٢٧/٢). وانظر تفسير القرطبي (٣٠/٢٠).

وتركهُ التباحثَ في الفرق بين السيئة والخطيئة كما يلوح من ظاهر التعاطف بينهما؛ في قوله تعالى: ﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٨١].

فيقول<sup>(١)</sup>:

«السيئة ها هنا الشرك أو الكبيرة من الكبائر، وما ندري ما الخطيئة؟»

يا بُنَيَّ اتل القرآن فكل آية وعد الله عليها النار فهي الخطيئة».

فهو يوقظ لما ينبني عليه عمل وما تتعلق به النجاة؛ دون تكلف ما لا يحتمل...

والله تعالى أعلم.

### (٣) التقييد باللفظ القرآني:

أ - فحينما يحلو لفظ النظم القرآني من الحكم المقيد لظاهر الإطلاق؛ فإنه يتخذ ذلك قرينة على الرخصة كما هو مذهبه في الترخيص للمتوفى عنها زوجها بالترزين والتصنع ولا يرى الإحدادَ شيئاً؛ وذلك - والله - أعلم لأن لفظ القرآن خلا منه؛ واقتصر على ذكر العدة أربعة أشهر وعشراً براءةً للرحم؛ وما زاد اعتبره حسناً وليس لازماً؛ على ما يعرف تفصيله في كتب الفروع عند الفقهاء.

ب - وكان إذا قرأ آية ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيَضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٥].

يفسر الأضعاف بتدبر عجيب وتأمل يأخذ بمجامع الأفتدة بخمسة أنواع:

«أن الله أعطى الناس الدنيا قرضاً وسألهم إياها قرضاً:

(١) (١/٤٧). وانظر زاد المسير (١/٩٠).

- ١) فما أعطوه فلهم به العشرة إلى السبعمائة إلى ما لا يعلمه إلا الله.
- ٢) فإن أخذ منه مُصيبةً فعليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون.
- ٣) وإن شكروا بلسانهم فالله يزيد في آلائهم.
- ٤) وإن اقترفوا به الخطايا فهو يقبل التوبة منهم.
- ٥) والخامسة من العطاء والمضاعفة وهي ربيع القلوب؛ قوله سبحانه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

ثم قال عن الخامسة: «فلو أعطيتها جبريل وميكائيل عليهما السلام وجميع النبيين لكان قد أجزل لهم العطاء»<sup>(١)</sup>.

ج - وهكذا نرى الحسن البصري لا يميل مع المعنى الذي يتبادر منه خلاف الأصل فيحمل المحتمل على الأليق والأحوط؛ كما نراه في تفسير الذين يتبعون المتشابه بالخوارج؛ ثم يقول في آية التزيين مبينا الفاعل المبهم في الفعل الذي لم يسم فاعله ﴿زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْخَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَبَإِ﴾ [آل عمران: ١٤].

مستبعداً حمل التزيين على الله جل جلاله مع احتمال القوي ووروده المعترض؛ فيقول:

«المزين هو الشيطان؛ من زينها؟ ما أحد أشد لها ذمّاً لها من خالقها»<sup>(٢)</sup>.

وقريب منه قوله في قوله تعالى في آية النساء: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ

(١) (١/٨٧ بتصرف).

(٢) (١/١١٧).



اللَّهُ أَوْ أَشَدَّ حَشِيَّةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظَلِّمُونَ فَتِيلًا ﴿[النساء: ٧٧].

قرأها وقال: «رحم الله عبداً صحبتها على ذلك؛ ما الدنيا كلها من أولها إلى آخرها إلا كرجلٍ نامَ نومةً؛ فرأى في منامه بعض ما يجب، ثم انتبه فلم ير شيئاً»<sup>(١)</sup>.

ومن هذا الباب تفسيره معمول قوله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ [النساء: ١٥٧].

قال: «أي: وما قتلوا ظنهم يقيناً».

بمعنى أنهم لا يقضون على ريب الاختلاف وعالم الشكوك بدواء العلم والقطع واليقين.

د - مع أنه قد يميل مع الظاهر - كما أشرنا - كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٢٨].

قال: «أي قدر؛ فلا تصافحوهم ومن صافحهم فليتوضأ»<sup>(٢)</sup>.

ولكن أخذه بالظاهر أحياناً يجعل قوله مرجوحاً وخلاف الأقوى؛ ولذا رد عليه قتادة وابن المسيب؛ حلفه بأن الابن المذكور في قصة نوح ليس ولده؛ لظاهر: «ليس من أهلك» وقرينة «فخانتاهما»<sup>(٣)</sup>.

هـ - ومن أخذه بخلاف الظاهر حملة النجوم على المصدرية لا على الجمع في قوله تعالى في شأن إبراهيم في سورة الصافات: ﴿فَنظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾ [الصافات: ٨٨].

(١) (١٩٤/١).

(٢) (٣٤٩/١).

(٣) (٤٠١/١). وانظر الطبري (٣٤٠/١٥). القرطبي (٤٦/٩). ابن كثير (٣٢٦/٤).

أنه «نظر فيما نجم من قولهم؛ وتفكر فيما يعمل إذا كلفوه الخروج». وكأنه يريد تنزيه الخليل عليه السلام من شبهة احتمال علم التنجيم<sup>(١)</sup>. والله تعالى أعلم.

#### (٤) العناية بسنن العرب ونظائر القرآن:

(١) أصالة هذا المعلم في «عبادة التدبر» لعموم المكلفين ولخصوص العلماء والمستنبتين؛ لا تحتاج منا إلى تأكيد؛ فذلك مما تواتر في الأدلة والشواهد، وصنفت فيه المصنفات الصوامد؛

والمراد تأكيد ما سبق من عناية الإمام بالكلمة العربية واللفظة القرآنية من مختلف الوجوه؛ وأن ذلك فرع عن سليقة العربية التي يرشح بها بيانه؛ فيأخذ رضي الله عنه من لغة العرب واشتقاقها؛ وهو الذي كان يُحتج بفصاحته ويُلحَّن كبار شعراء عصره كالكُمَيْتِ وأضرابه..

وقد ذكر ابن الجزري عن الشافعي قوله: «لو أشاء وأقول: إن القرآن نزل بلغة الحسن البصري؛ لقلت ذلك لفصاحته وبلاغته».

أ- ومما يؤكد هذا المعنى تدبره لإبطال عقيدة النصارى -وعقيدة القاديانية في زماننا-؛ بأوجز لفظ حين يبرز أن معنى «كلمة الله» خلق بكلمة الله وهي «كن»؛ وأن «التوفية» راجعة لمعنى حمايته من أذى يهود:

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ إِنِّي فَاعِلٌ بِكَ وَإِيَّاكَ وَمُطَهِّرٌ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلٌ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فِرْقًا فُورًا الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ

(١) تفسير الحسن البصري (٢/٢٠١) وانظر تفسير ابن عاشور.

تَخْتَلِفُونَ ﴿[آل عمران: ٥٥].

قال: «أي قابضك من الأرض وافيأ تاماً؛ من غير أن ينال منك اليهود شيئاً»<sup>(١)</sup>.

وقال في آية النساء: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٧].

قال: «وفاة الرَّفْعِ إِلَى السَّمَاءِ».

ب- ومن تمام أخذه عن لغة العرب؛ أنه يربط القرآن بأيامها وعاداتها؛ لأنه يضي بصيرةً على كتاب الله لا يبلغها من لم يكن خبيراً بأحوال العرب ومعيشتهم كما فصله الشاطبي في الموافقات؛ وتجد من شواهد عند إمامنا في قوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مریم: ٦٢].

«كانت العرب تعد الأنعم فيها من يتغدى ويتعشى؛ فنزل القرآن على ما في أنفسهم من النعيم»<sup>(٢)</sup>.

وكما قال في قوله تعالى: ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ﴾ [الجناتية: ٥].

«جعلت الرياح على الكعبة؛ فإذا أردت أن تعلم ذلك فأسند ظهرك إلى باب الكعبة؛ فإن الشمال عن شمالك وهي مما يلي الحَجْرَ؛ والجنوب عن يمينك وهو مما يلي الحَجْرَ الأسودَ؛ والصَّبَا مُقَابِلَكَ وهي مستقبل باب الكعبة؛ والدَّبُورُ مِنْ دَبْرِ الكعبة»<sup>(٣)</sup>.

(١) (١/١٢٦).

(٢) (٢/٢٧).

(٣) (١/٦٥).

ج- ويتفنن في لغات أهلها كما في تفسيره اللهو بالمرأة على لسان أهل اليمن في قوله تعالى: ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْنَا مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٧].  
وقال: «اللهو الولد أيضاً»<sup>(١)</sup>.

(٢) نظائر القرآن:

د- ويحيل على المعنى الأوضح باللفظ الأبعد مع حصر النظائر؛ كما في حمله «إن» على معنى «ما النافية»؛ فقال:  
«خمسة في القرآن»:

١- ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لَيَتَزَوَّلُ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ [إبراهيم: ٤٦].

أي: وما كان مكرهم لتزول منه الجبال.

٢- ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْنَا مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٧] أي ما كنا فاعلين.

٣- ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ [الزخرف: ٨١] أي ما كان للرحمن ولدٌ.

٤- ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٦] أي في الذين ما مكناهم فيه.

٥- والخامس الأخير: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يُقْرَأُونَ الْكِتَابَ

(١) (٢/٤٧). سورة الأنبياء (٢/١٤٨). آخر سورة العنكبوت.

مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿يونس: ٩٤﴾ أي: فما كنت في شك<sup>(١)</sup>.

ه- ومن أمثلة تدبره بحصر النظائر قوله رحمه الله:

«ثلاث آيات في كتاب الله اكتفيت بهن عن جميع الخلائق:

- أولهن: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ

يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧].

- والثانية: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ

بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [فاطر: ٢].

- والثالثة: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي

كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [هود: ٦]<sup>(٢)</sup>.

ومن النظائر عنده: حصر مواطن حساب الكفار يوم القيامة:

- مواطن يُقْرُونَ فيه.

- ومواطن ينكرون فيه.

- ومواطن يختم على أفواههم فتشهد جوارهم- (٤٦٩/١) سورة النحل عند قوله تعالى

عنهم: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٢٨].

و- ومن جمعه النظائر ما ذكر في آداب القضاة وذكره ابن كثير في تفسيره وعنه

القاسمي في محاسن التأويل وغيرهما؛ قال (١١/سورة الأنبياء):

(١) (١٣٩١).

(٢) (٣٩٣/١)، وانظر الدر المنثور: (٥/٢٧٢).

«وروى ابن أبي حاتم أن إياس بن معاوية، لما استقضى أتابه الحسن، فبكى. فقال: ما يبكيك؟ قال: يا أبا سعيد بلغني أن القضاة رجل اجتهد فأخطأ فهو في النار، ورجل مال به الهوى فهو في النار، ورجل اجتهد فأصاب فهو في الجنة.

فقال الحسن البصري: «إن فيما قص الله من نبأ داود وسليمان عليهما السلام والأنبياء، حكما يرد قول هؤلاء الناس عن قولهم؛ قال الله تعالى: {وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث} الآية. فأثنى الله على سليمان، ولم يذم داود».

ثم قال الحسن: «إن الله اتخذ على الحكماء ثلاثا:

- لا يشتروا به ثمنا قليلا

- ولا يتبعوا فيه الهوى

- ولا يخشوا فيه أحدا».

ثم تلا: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص: ٢٦].

وقال: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَخَشَوُا اللَّهَ﴾ [المائدة: ٤٤] وقال: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [المائدة: ٤٤].

وقال الحسن في آية الأنبياء هذه:

«لولا هذه الآية، لرأيت الحكام قد هلكوا، ولكن الله حمد هذا بصوابه، وأثنى على هذا باجتهاده».

وفي شأن القضاة وآدابهم يستنبط معنى لطيفاً في ضرورة هيبة القاضي وتهيئة مقامه بالوجه اللائق بشرف الفصل بين الناس فيقول في قوله تعالى:

﴿وَحَيْرٌ لِّسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [النمل: ١٧].

حين ولي قضاء البصرة قال: «لا بد للحاكم من وَزْعَةٍ؛ وقال: «يتقدمون»، وقال: «يدفعون»<sup>(١)</sup>.

#### (٥) رعاية علم الفواصل والوقف والابتداء:

وإذا كانت الآية هي مجموع كلمات قرآنية؛ فإن هذه الآية بعدما دخلت باب التراكيب؛ صارت المعاني أكثر وروداً كما هو معلوم؛ وصار لسنة الفواصل والعدد؛ وبلاغة الوقف والوصل والبدء والختام؛ أجمل الوقع وأوفر المدد؛ وهو ما كان حاضراً في تدبر سيدنا الإمام رحمه الله؛

فهو يتخذ من الفواصل أوقافاً للأداء؛ ولكنه ينبه على احتمال اتصال المعنى، فليس كل وقف انفصالياً؛ بل قد يستحسن ترك أولوية الوقف على الفواصل أي رؤوس الآي؛ لمصلحة أولوية المعنى البليغ الذي لا يظهر جلياً إلا بالوصل؛ وذلك كما في قوله تعالى في آية سورة البقرة: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْمِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَتَاعٌ لِلنَّاسِ وَإِنَّهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٠].

(١) (١٢٤/٢). تفسير الطبري (٤٣٨/١٩).

فقال الحسن مبرزاً تعلق فعل التفكير بالجار والمجرور بعده؛ وأن مقتضى العربية هو استحباب تعاقب العامل ومعموله؛ وخاصة في الفضلات -كالظرف والجار والمجرور؛ كما يعبر النحويون لأنها شديدة الضعف فكما أنه يتوسع في تحركها بين أعمدة الكلام تقديماً وتأخيراً؛ فإنها تضعف عن الاستقلال عن مُتَعَلِّقِهَا...

قال رحمه الله: «لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة»؛ «والله لمن تفكر فيها ليعلم أن الدنيا دار بلاء ثم دار فناء».

فإرشاد الآية عند الحسن البصري هو وجوب التأمل في المصيرين والمقارنة بين الدارين؛ فمن أيقن بأن الآخرة دار جزاء وبقاء؛ وأن الدنيا دار ابتلاء وانقضاء؛ سهل عليه الائتمار بالشرعية والإذعان لأحكام الله والشعور بجلاوة منفعتها وحسن عاقبتها في الدنيا والآخرة؛ سواءً في تحريم الخمر والميسر أو في تحريم العدوان على اليتامى وفي كل ما ورد السؤال عنه أو تشريعه دون سؤال؛ فإن المتفكر سيوقن بأنه عين الإصلاح الكاشف للعتن عن البشرية لأنه بعزة وحكمة العزيز الحكيم.

### (٦) التدبر في خدمة الإصلاح:

-فكان رحمه الله يجعل من تدبره تأثيراً في الواقع أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر؛ كقوله عند قوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ زُؤُوسٌ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٩].

«والله إن هؤلاء الصيارفة لأكلة الربا؛ وإنهم قد أذنوا بحرب من الله ورسوله؛ ولو كان على الناس إمامٌ عادلٌ لاستتابهم؛ فإن تابوا وإلا وضع فيهم السلاح»<sup>(١)</sup>.

(١) (١/١١٠). ذكره ابن كثير في تفسيره (١/٧١٦).



وإذا كان رحمه الله قد جعل من تدبره رسائل للعلماء والقضاة والحكام وعموم الناس؛ فإنه يعطينا على ذلك مثلاً آخر أكثر جلاءً؛ في إعلائه من قيمة الشورى وأنها تشريع رباني يصلح الله به دين الناس ودنياهم؛ فقال رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْزُهُمْ شُرَكَاءَ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الشورى: ٣٨].

«ما تشاور قومٌ قط إلا هدوا لأرشد أمورهم - ثم يقرؤها - قال: «والله ما تشاور قوم بينهم إلا هداهم لأفضل ما يحضر بهم»<sup>(١)</sup>.

فمبدأ الشورى من المبادئ الإسلامية المهمة التي توفر الأمن والطمأنينة للأفراد والاستقرار السياسي للدولة، ويؤدي إلى إشاعة المحبة وبث روح التعاون والتناصح بين الحاكم والرعية، وهو ضروري حتى لا ينفرد الحاكم بالأمر ولا يستبد بالرأي الذي قد لا يكون صواباً؛ فإن رأي الجماعة خير من رأي الواحد؛ لأنه يأتي بعد نظر ودراسة وتفكير في الأمر وعواقبه؛ ومن ثم تضمن الأمة أكبر قدر من إصابة الحق؛

قال ابن عطية في المحرر: «الشورى من قواعد الشريعة، وعزائم الأحكام؛ ومن لا يستشير أهل العلم والدين فعزله واجب» اهـ

وقال القرطبي عند تفسير هذه الآية:

«كان الأنصار قبل قدوم النبي ﷺ إليهم إذا أرادوا أمراً تشاوروا فيه ثم عملوا عليه فمدحهم الله به».

ونقل عن الحسن البصري أنه قال: «إنهم لانقيادهم إلى الرأي في أمورهم متفقون لا يختلفون فمدحوا باتفاق كلمتهم» اهـ

(١) (٢/٢٤٧) وانظر الدر المنثور (٩/٧٨).

وقال تعالى مخاطباً رسول الله ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

أخرج ابن أبي حاتم بسند حسن - كما قال الحافظ في الفتح شرح كتاب الاعتصام - عن الحسن البصري قال:

«قد علم أنه ما به إليهم حاجة ولكن أراد أن يستن به من بعده».

فالشورى مشاركة في المسؤولية وضمانة من الانحراف والاستبداد.

ولهذا بوب البخاري رحمه الله في صحيحه بهاتين الآيتين باباً في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة؛ وهذا فقه عميق ونظر دقيق من البخاري رحمه الله لأهمية الشورى وكون العمل بها اعتصاماً بالكتاب والسنة، وبعداً عن الانحراف والبدعة؛ فما أحوج دعاة الإسلام اليوم إلى تدبره وتفهمه لتسلم دعوتهم من القرارات العشوائية والاتجاهات الفردية.

وقد وردت الآثار عن الأئمة في مدح الشورى وبيان فضائلها؛ كالذي نقلناه عن إمامنا الحسن البصري.

وفي لفظ عنه: «إلا عزم الله لهم بالرشد أو بالذي ينفع»<sup>(١)</sup>.

والله تعالى أعلم.

(٧) التدبير لإصلاح الأسرة والنفوس:

أ- ومن تدبره لإصلاح شؤون الأسرة التي هي «المجتمع الأوسط» بين «مجتمع

(١) (٢/٢٤٧). وانظر الدر المنثور (٧٨/٩). وانظر موسوعة الرسائل للأستاذ نايف الشحود.

النفس» و«مجتمع الأمة»؛ قوله رحمه الله عند ذكر نبي الله إسماعيل في سورة مريم: «مَنْ كَانَ لَهُ وَاعِظٌ مِنْ نَفْسِهِ كَانَ لَهُ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، فَرَحِمَ اللَّهُ مَنْ وَعَظَ نَفْسَهُ وَأَهْلَهُ، فَقَالَ: يَا أَهْلِي، صَلَاتِكُمْ صَلَاتِكُمْ، زَكَاتِكُمْ زَكَاتِكُمْ، حَيْرَانِكُمْ حَيْرَانِكُمْ، مَسَاكِينِكُمْ مَسَاكِينِكُمْ، لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَرْحَمَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَثْنَى عَلَى عَبْدٍ كَانَ هَذَا عَمَلَهُ، فَقَالَ: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾»<sup>(١)</sup>.

كما سجد الإمام رضي الله عنه في آية آل عمران يعمق مفهوم الصلاح وبلوغ درجة الإحسان؛ وأنه لا يتنافى مع تقصير معيب ملحوظ وتفريط مذموم غير محمود؛ وأن دنو هذا لا يمنع من علو ذلك رجاء بلا غرور وخوفاً بلا قنوط؛ فيقول في آيتي آل عمران: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤] وقوله تعالى: {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ} [آل عمران: ١٣٥].

قال: «إن هذين النعتين لنعت رجل واحد»<sup>(٢)</sup>.

ب- ومع هذا التفاؤل الشديد الذي يبثه الإمام رضي الله عنه إلا أنه لا ينساق معه؛ بل يتخذ من مرهبات القرآن مناسبة لتوطين المؤمن على عدم الاغترار بكرم الله تعالى؛ فيضرب المثل بأصحاب رسول الله ﷺ في «وقعة أحد» فيقول عن مضمون قصتها: «ولقد عفا عنكم حين لم يستأصلكم».

ويصفق الحسن بيديه! ويقول: «وكيف عفا عنهم وقد قُتِلَ منهم سبعون؛ وقتل

(١) (٢٦/٢). رواه ابن أبي الدنيا في العيال (ص. ٣٣٠).

(٢) (١٤٦/١).

عم رسول الله ﷺ، وكسرت رباعيته، وشح في وجهه؛ قال: ثم يقول الله عز وجل: «قد عفوت عنكم إذ عصيتموني -أي بالنزول من جبل الرماة- ألا أكون استأصلتكم؛ فقال الحسن:

«هؤلاء مع رسول الله وفي سبيل الله؛ غضابٌ لله يقاتلون أعداء الله؛ نهوا عن شيء ففصنوه؛ فوالله ما تركوا حتى عُموا بهذا الغم؛ فأفسق الفاسقين اليوم يتجرم كلٌ كبيرةً ويركب كلٌ داهيةً؛ ويسحب عليها ثيابه ويزعم ألا بأس عليه؛ فسوف يعلم؛ والله ذو فضل على المؤمنين»<sup>(١)</sup>.

وقال رحمه الله في قصة الثلاثة الذين خلفوا:

«سبحان الله! والله ما أكلوا مالاً حراماً ولا أصابوا دماً حراماً ولا أفسدوا في الأرض؛ غير أنهم أبطؤوا عن شيءٍ من الخير الجهادُ في سبيل الله؛ وقد والله جاهدوا وجاهدوا وجاهدوا؛ فبلغ منهم ما سمعتم؛ فهكذا يبلغ الذنبُ من المؤمن»<sup>(٢)</sup>.

قلت: ولا يخفى أن مقام صحابة رسول الله ﷺ في مثل هذه الهنات دائر بين الأجر والأجرين، بين الشهادة والتطهير؛ كما هو جلي في بقية القصة في سورة آل عمران؛ وأن الموعدة بهم واجبة على من بعدهم كما قال الحسن.

وقريب منه قوله في آية الأعراف: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٢].

(١) (١/١٥٢).

(٢) (١/٣٧٣).

وفي قوله ﷺ: «فمن رغب عن سنتي فليس مني»<sup>(١)</sup>.

قال رحمه الله: «فما أكثر الراغبين عن سنته التاركين لها! ثم إن علوجاً فساقاً أكلة الربا والغلول قد سفههم ربي ومقتهم؛ زعموا ألا بأس عليهم فيما أكلوا وشربوا وزخرفوا هذه البيوت؛ يتأولون «قل من حرم زينة الله»<sup>(٢)</sup>.

وفي معناه كلامه في الأعراف عن قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَاللَّذَاذِ الْأَخْرَةَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٩].

قال: «والمنافق يسيء العمل ويتمنى ويقول سواد الناس كثير وسيغفر لي ولا بأس علي»<sup>(٣)</sup>.

فهذا ورعٌ زائف ورجاء كاذب وغرور خادع وأمنٌ من مكر الله؛ وكذلك دأب إبليس مع أهل النفاق وأشباههم؛ يبحثون عن الرخص للتملص؛ ويعتذرون بالأيمان الكاذبة للتخلص؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: ٤٩].

قال الإمام:

يقول المنافق لرسول الله ﷺ: «لا تكسبني الإثم بأمرك إيتاي بالخروج وهو غير متيسر لي؛ فأتم بالمخالفة»<sup>(٤)</sup>.

(١) متفق عليه.

(٢) (١/٢٩٧). وعنه عبد الرزاق في المصنف: (٢٩٥٦٨). كما أفاد محققه جزاه الله خيراً.

(٣) (١/٣٢١). زاد المسير (٣/٥٠). والدر المنثور (٤/٣٥٦). محققه.

(٤) (١/٣٥٥) وانظر النكت والعيون للهاوردي: (٢/١١٢) وزاد المسير (٣/١٨٦).

ج- ومع حزمه في الترهيب فإن الإمام يفتح باب الطمع في الترغيب كما أمر الله في آيات عدة؛ ومن أرجاها قول الحق سبحانه: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

وقد نزلت فيمن سلف منه الشرك والقتل والزنا وأنواع الكبائر قبل توبتهم وقبل إسلامهم؛ قال رحمه الله: «انظروا إلى هذا الكرم والجود؛ قتلوا أوليائه وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة»<sup>(١)</sup>.

#### (٨) التدبر بتصوير المشاهد:

كثير من الناس يُحَال في مثل هذا التعبير على كتابات بعض نبهاء المعاصرين كسيد قطب رحمه الله؛ لكثرة ما يكرر هذا المضمون «التصوير» و«المشاهد»؛ فيخيل للبعض أن هذا من تزييدات المعاصرين!

وربما خطأهم البعض فيه؛ مع أن كلا المصطلحين سائغ المعنى شرعاً؛ وورد في تطبيق التدبر عند العلماء سلفاً وخلفاً؛ ومنهم إمامنا الحسن رضي الله عنه:

ومن بديع مواعظه في تصوير معنى (هجر القرآن ونبذه)؛ عند قوله تعالى: ﴿فَتَبَدُّوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

قال: «حفظوا حروفه وضيعوا حدوده؛ طلوه بالمسك وحلوه بالذهب والورق؛ وأدرجوه بالدباج وزينوه بالذهب؛ ولم يحلوا حلاله ولم يحرموا حرامه؛ فذلك التبذ وراء ظهورهم؛ واشتروا بآيات الله ثَمَنًا قليلاً.. اشتروا النار بالجنة؛ كتموا وباعوا فلا يبدون شيئاً إلا بثمن؛ فالثمن قليل؛ ولو الدنيا بجذافيرها؛ فبئس ما يشترون»<sup>(٢)</sup>.

(١) (٢/٢٢٤) وانظر تفسير ابن كثير (٧/١٠).

(٢) (١/١٦١).

وقال في قصة سحرة فرعون في سورة طه: «سبحان الله لقوم كفارهم أشد الكافرين كفرا ثبت في قلوبهم الإيمان بطرفة عين، ولم يتعاضم عندهم أن قالوا لفرعون في أبهته ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾ في ذات الله والله إن أحدهم - يريد أهل زمانه - اليوم ليصحب القرآن ستين عاما ثم يبيع دينه بشيء حقير»<sup>(١)</sup>.

ومن ذلك في موعظته عن موقف من مواقف القيامة في قوله تعالى من سورة الرحمن: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آن﴾ [الرحمن: ٤٤].

قال: «معشر الناس؛ ما ظنكم بقوم وقفوا في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة؛ فلما انقطعت أعناقهم من العطش والجوع والخوف أمر بهم ربهم إلى النار وحميم؛ اللهم بك العناية وأنت المستعان؛ وإليك الملجأ وعليك التوكل؛ فنجنا برحمتك من عذابك يا غفور»<sup>(٢)</sup>.

ويحرص رحمه الله في تدبره على تصور المشهد بما يعين على تدبره لا بما يجعله متكلفاً ما ليس مراداً؛ وذلك كذكره عدد سحرة فرعون الذين ناظروا موسى عليه السلام في قوله تعالى: ﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١١٨].

قال: «ظهر الحق وكان عدد السحرة الذين عارضوا موسى خمسة وعشرين ألفاً»<sup>(٣)</sup>.

وقال في آية طه: ﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى﴾ [طه: ٦٤].

قال: «كان السحرة خمسة وعشرين صفاً، كل ألف ساحر صف»<sup>(٤)</sup>.

(١) (٣٩/٢). انظر القرطبي (٢٢٦/١١) والرازي (٤٤٠/١٠).

(٢) (٣١٠/٢).

(٣) (٣١٠/١).

(٤) (٣٧/٢).

وفي حال أشبهه بالشاعر الوهّان والعايد المسّهام؛ ينطلق لسان الإمام وهو يتلو قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

فيقول: «هذا حبيب الله هذا ولي الله؛ هذا صفوة الله هذا خيرة الله؛ هذا أحب الخلق إلى الله أجاب الله في دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته؛ وعمل صالحاً في إجابته وقال: إنني من المسلمين هذا خليفة الله»<sup>(١)</sup>.  
ومن لطيف ذلك -وغريب ما أثير عنه- ما استطرده عند ذكر كلب أصحاب الكهف؛ أنه قال رحمه الله:

«في الكلب عشر خصال محمودة، ينبغي أن تكون في كل فقير:

الأولى: أنه لا يزال جائعاً، وذلك من آداب الصالحين.

الثانية: أنه لا يكون له موضع يعرف به، وذلك من علامات المتوكلين.

الثالثة: أنه لا ينام من الليل إلا قليلاً، وذلك من صفات المحبين.

الرابعة: أنه إذا مات لا يكون له ميراث، وذلك من خصال الزاهدين.

الخامسة: أنه لا يهجر أخاه وإن جفاه وطرده، وذلك من شيم المريدين.

السادسة: أنه يرضى من الدنيا بأدنى يسير، وذلك من علامات المتواضعين.

السابع: أنه إذا غلب عن مكانه تركه وانصرف إلى غيره، وذلك من علامات

الراضين.

(١) (٢/٢٣٩)، وانظر القرطبي (١٥/٣٦٠) وابن كثير (٧/١٧٩).



الثامنة: أنه إذا طرد ثم دعي أجاب ولم يحقد، وذلك من أخلاق الخاشعين.  
التاسعة: أنه إذا حضر شيء من الأكل وقف ينظر من بعيد، وذلك من أخلاق  
المساكين.

العاشرة: أنه إذا رحل من مكانه لا يرحل بشيء، وذلك من علامات المتجردين.  
(أو: المحزونين)» اه<sup>(١)</sup>.

وكان بعض شيوخنا يذكرها فائدة لنا في شرح الشاطبية عند قول ولي الله الشاطبي  
رضي الله عنه - ناصحاً قارئ القرآن -:

وقد قيل كن كالكلب يقصيه أهله

وما يأتي في نصحهم متبذلاً

والله تعالى أعلم.

(٩) التدبر سلوك وأخلاق:

لعل شهرة الإمام بالتفسير الوعظي وإمامته في الزهد والقناعة؛ يجعل هذا من أجلى  
صور التدبر عنده؛ وكثيراً مما سبق يمكن إدراجه في هذا المعلم؛ ولكننا آثرنا إبرازه  
بأوضح شواهد؛ أعني في التنسك والسلوك الذي هو من أعلام أئمة:

- فيتحفنا بنظر بالغ اللطافة؛ حين يأخذ من ابتهالات آخر سورة آل عمران؛  
ضرورة الإلحاح في الدعاء وتكرار الثناء على الله فيقول: «ما من عبدٍ يقول: يا رب يا  
رب يا رب - ثلاث مرات - إلا نظر الله إليه؛ أما تقرأ القرآن؟

(١) (٢/ص٦) وانظر زاد المسير ٢٤٢/٤ وتفسير الماوردي ٤٦٨/٢ وذكره المقرئ في «نفح  
الطيب» (٢/٦٩٨) نقلاً عن شمس الدين المرعي في - شرحه للألفية.

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ (١٩٦) رَبَّنَا إِنَّنا سَمِعنا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١٩٦﴾ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿آل عمران: ١٩٢ - ١٩٥﴾.

- ويعطينا في درس الأخلاق معنى للبر بحيث يحصره في الامتناع عن الإيذاء، فيقول في قوله تعالى: ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٨].

قال: «هم الذين لا يؤذون الخلق»<sup>(١)</sup>.

- وسأله مالك بن دينار عن قوله: ﴿وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يوسف: ٥٧].

ما هي؟

فقال: «يا مالك! اتقوا المحارم؛ خمصت بطونهم تركوا المحارم وهم يشتهونها»<sup>(٢)</sup>.

- وقال في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

«إذا أردت أن تكون مع الصادقين؛ فعليك بالزهد في الدنيا؛ والكف عن أهل المِلَّة»<sup>(٣)</sup>.

(١) (١/١٦٤).

(٢) (١/٤٢٢).

(٣) (١/٣٧٤) وانظر تفسير ابن كثير (٤/٢٣٤).

- وقيل له: أيحسد المؤمنُ المؤمنَ؟ قال: «لا أبا لك؛ ما نسأك بني يعقوب»؟<sup>(١)</sup>.

ومن ذلك كلامه على آية الصبر في سورة الشورى (٢٤٧/٢):

قال: «سَبَّ رجل رجلًا من الصدر الأول، فقام الرجل وهو يمسح العرق عن وجهه، وهو يتلو: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣].»

قال الحسن: «عقلها والله وفهمها إذ ضيعها الجاهلون»<sup>(٢)</sup>.

وهذا الذي أرشد إليه الإمام هو عين الصبر الجميل كما ورد عن السلف كعمرو ابن قيس الملائي فَصَبْرٌ جَمِيلٌ قال: «الرضا بالمصيبة، والتسليم»<sup>(٣)</sup>.

وعن ميمون بن مهران قال: «ما نال عبد شيئاً من جسم الخير من نبي أو غيره إلا بالصبر»<sup>(٤)</sup>.

وقد سبق له في سورة البقرة عند قوله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥] ما يجعلك تستحضر في التدبر عظمة «اللفظ القرآني» و«الكلمة الإلهية»؛ بما يرفعك لاستقبال الخطاب الإلهي وكأنه لك خاصةً من دون الناس وينبغي وجوباً أن تعمل به؛ وأن الصبر هو لتحمل الدين كله ولتعلمه وتبليغه؛ وأن الصبر عند المصائب حسنٌ؛ وأحسن منه الصبر عن المحارم والمناهي؛ وأن لا دواء عند فساد الزمان أنجع من الصبر؛ فاصبر على الفقر وإن طُلَّت الغنى؛ وتصبر على البغضاء وإن زُيِّنَت لك المحبة؛ وتصبر على الذل وإن مُهِّد لك العز...

(١) (١/٤١٤) الدر المنثور (٥/٤٥٧).

(٢) ابن أبي الدنيا في الصبر (ص ١٢٣).

(٣) (الصبر لابن أبي الدنيا (ص ٨٦).

(٤) روضة العقلاء لابن حبان البستي (ص ١٦٢).

وأرسل في معناه عن رسول الله ﷺ أن من كان كذلك كان له أجر خمسين صديقاً<sup>(١)</sup>.  
والله تعالى أعلم.

### (١٠) التدبير لإصلاح عالم العالم:

فينبها في باب العلم إلى عظيم ما جعل الله من التفاوت بين العلماء وأنه  
فاضل بينهم في الفضل والفهم والدرجة؛ بما هو من محض كرمه وأن ذلك ملحوظ  
في الاعتماد عليهم في الدين؛ فأولو الأمر منهم أخص من أولي الأمر؛ الذين لهم  
رعاية للمسلمين وعناية بأمورهم؛ ثم بعد الاثنين تأتي درجة المستنبطين وهم المؤهلون  
للاستنباط في نوازل الأمور..

ثم تأتي درجة الموفقين من المستنبطين، وهم الذين جمعوا مع الأهلية أغلبية  
الصواب ودوام التوفيق فهم أربع درجات -والله أعلم-.

ولعل هذا ما عناه رضي الله عنه بجعله الاستثناء في قوله: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ  
أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ  
وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٨٣].

راجعاً إلى المستنبطين: أي لعلمه الذين يستنبطونه منهم إلا قليلاً منهم<sup>(٢)</sup>.

وقال في قوله تعالى: ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ  
كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ وَفَوْقَ  
كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦].

(١) تفسيره (٣٩/١) وانظر ابن كثير (٢٥١/١) والدر المنثور (١٠٧/١).

(٢) (١٩٦/١).

قال: «إِنَّهُ وَاللَّهِ مَا أَمْسَى عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ عَالِمٌ؛ إِلَّا فَوْقَهُ مِنْهُ هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُ، حَتَّى يَعُودَ الْعِلْمُ إِلَى الَّذِي عَلَّمَهُ»<sup>(١)</sup>.

- ويأخذ من ظاهر جمع الملوك - مع امتناع تعدد الحكام - على معنى النعمة الشاملة والمنة الكافية؛ فقال: «من كانت له دار وزوجة وخادم فهو ملك؛ وهل الملك إلا مركبٌ وخادمٌ ودارٌ»<sup>(٢)</sup>.

أخذاً من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يَأْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: ٢٠].

وأن نعم الله عليك التي جعلتك في مصاف الملوك لا ينبغي أن تجعلك متواكلاً لا تتخذ الأسباب؛ ولا غافلاً فلا تذكر الله إلا قليلاً؛ ولذا قال في آية النور: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيمُ تِجَارَةً وَلَا بَيْعًا عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [النور: ٣٧].

«أما إنهم كانوا يتجرون، ولم تكن تشغلهم تجارة عن ذكر الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة».

ويؤكد ما روي عن ابن مسعود رضي الله عن أنه رأى قوماً من أهل السوق سمعوا الأذان، فتركوا ببيعاتهم، وقاموا إلى الصلاة، فقال: «هؤلاء من الذين ﴿لَا تُلْهِيمُ تِجَارَةً وَلَا بَيْعًا عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾»<sup>(٣)</sup>.

(١) (١/٤٢٥).

(٢) (١/٢٢٨).

(٣) (٢/٩٦) وانظر ابن كثير (٦/٧٠) الدر المنثور (٧/٣٠٩).

- ومن الحمل على الأولى:

لما قيل له في قوله تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ [المائدة: ٣٢].

قيل له: يا أبا سعيد: أهي لنا كما كانت لبني إسرائيل؟

قال: «إي والذي لا إله غيره كما كانت لبني إسرائيل؛ وما جعل دماء بني إسرائيل أكرم على الله من دمائنا؛

قال: «عظم والله في الوزر كما تسمعون؛ ورعب والله في الأجر كما تسمعون؛ إذا ظننت يا ابن آدم أنك لو قتلت الناس جميعاً؛ فإن لك من عملك ما تفوز به من النار؛ كذبتك والله نفسك وكذبك الشيطان»<sup>(١)</sup>.

- وقال في آية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ١٠٥].

قال: «يا لها من سعة ما أوسعها! ويا لها من ثقة ما أوثقها! الحمد لله بها، والحمد لله عليها؛ ما كان مؤمناً فيما مضى ولا مؤمناً فيما بقي؛ إلا وإلى جانبه منافق يكره عمله»<sup>(٢)</sup>.

- وقد ذكروا في ترجمته رحمه الله أنه توارى من الحجاج تسع سنين فلما بلغه موته قال: «اللهم قد أمته فأمث سنته، وسجد شكراً وقرأ آية إبراهيم: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم: ٥]»<sup>(٣)</sup>.

(١) (١/٢٣١).

(٢) (١/٢٤٩).

(٣) (١/٤٤٧)، والقرطبي (٩/٣٤٢).

- وكان يتأول في آيات الوعيد في الأنعام ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ ﴿٣٦﴾ قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَذِبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ هُوَ الْفَادِرُ عَلَيَّ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٥٦﴾ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَنْسُتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِكُلِّ نَبَأٍ مُّسْتَقَرًّا وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ ﴿[الأنعام: ٦٣ - ٦٧].

أنه الفتنة التي كانت بين أصحاب رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>.

وقريب منه قوله في آية آخر الأنعام: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيْعًا لَنْسُتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

قال: «رأيت يوم قتل عثمان ذراع امرأة من أزواج النبي قد أخرجت من بين الحائط والستر؛ وهي تنادي: أَلَا إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ بَرِيتان من الذين فارقوا (هكذا بالألف لا بالتضعيف) دينهم وكانوا شيعاً»<sup>(٢)</sup>.

- وقريب من هذا تدبره في حقيقة العلم؛ وأن العلم يشخص بأثره وأنه بمثابة صفقة البيع والشراء؛ فمن عقدها على باطلٍ أو حرامٍ أو تافهٍ؛ فما هو بالعالم المرتجى ولا بالتقي الحصيف؛ وهذا حال سحرة بابل مع الشياطين بعد ملك سليمان عليه السلام؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

قال رحمه الله: «لو كانوا علماء أتقياء ما اختاروا السحر».

(١) (١/٢٦٨).

(٢) (١/٢٨٨).

وقال: «لو كانوا علماء لآمنوا بعلمهم ذلك واتقوا».

ثم يمعن رضي الله عنه في التدبر فيأخذ من الآية معنى جليلاً فيقول: «ولا يوصف الكفار بأنهم علماء»<sup>(١)</sup>.

(١١) تعميم الوعيد أسلم:

-ولا يمنع من تعميم الوعيد بجامع الترهيب كما في تشبيهه أهل البدع وأهل المعاصي بأصحاب العجل وأن الذلة والصغار يلحقهم حتى يتوبوا إلى الله تعالى؛ فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٢].

«إِنَّ ذُلَّ الْبِدْعَةِ عَلَى أَكْتَاْفِهِمْ وَإِنْ هَمَلَجْتَ بِهِمِ الْبِغْلَاتِ وَطَقَطَقْتَ بِهِمِ الْبِرَازِينَ»<sup>(٢)</sup>.

ومثله في قصة أصحاب السبت قال رحمه الله:

«فكان يأتيهم في اليوم الذي حرمه الله عليهم كأنه المخاض لا يمتنع من أحد؛ وقلما رأيتُ أحداً يكثر الاهتمام بالذنب إلا واقعه؛ فجعلوا يهتمون ويمسكون حتى أخذوه؛ فأكلوا أوخم أكلة أكلها قوم قط؛ أبقاه خِزياً في الدنيا وأشد عقوبة في الآخرة؛ وأيمُ الله ما حوتُ أخذه قوم فأكلوه أعظم عند الله من قتل رجلٍ مؤمن؛ وللمؤمن أعظمُ حُرمةً عند الله من حوتٍ؛ والله ما لحوم هذه الحيتان بأعظم عند الله من دماء قومٍ مسلمين ولكن الله جعل موعد قوم الساعة والساعة أدهى وأمر»<sup>(٣)</sup>.

(١) (٥٣/١) وانظر الطبري (٤٤٣/٢) وابن أبي زمنين (٢٦/١) وابن كثير (٣٥٠/١).

(٢) (٣١٧/١)، وبنحوه في آخر سورة الحجر (٤٦٢/١)، وانظر تفسير ابن أبي حاتم (١٩٩/٦) وابن كثير (٤٧٨/٣).

(٣) (٣١٩/١).



-ومن لطيف تدبره في هذا السياق قوله في مسألة «الطوائف الثلاث»:

﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّنُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ٨١].

«نجت الفرقتان وهلكت العاصية؛ لأنهم لما قالوا: لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم» دَلَّ على أنهم أنكروا أشد الإنكار، وأنهم إنما تركوا وعظهم؛ لأنه غَلَبَ على ظنهم أنهم لا يلتفتون إلى ذلك الوعظ»<sup>(١)</sup>.

فالخض على العمل هو أساس الرفعة بالعلم وأرفع الأعمال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ ولذا قال رحمه الله في قوله تعالى من سورة فاطر: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبْزَوْنَ﴾ [فاطر: ١٠].

قال: «لا يقبل الله قولاً إلا بعملٍ من قال وأحسن العمل قبل الله منه؛ وقال: فيعرض القول على العمل فإن وافقه رُفِعَ وإلَّا رُدَّ؛ وقال: بالعمل قبل الله».

وعنه قال: «لَيْسَ الْإِيمَانُ بِالتَّحَلِّيِّ وَلَا بِالتَّمَنِّيِّ، وَلَكِنْ مَا وَقَرَ فِي الْقَلْبِ، وَصَدَّقْتُهُ الْأَعْمَالُ، مَنْ قَالَ حَسَنًا وَعَمِلَ غَيْرَ صَالِحٍ رَدَّهُ اللَّهُ عَلَى قَوْلِهِ، وَمَنْ قَالَ حَسَنًا وَعَمِلَ صَالِحًا رَفَعَهُ الْعَمَلُ، ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ، وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾»<sup>(٢)</sup>.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

(١) (١/ ٣٢٠). انظر الرازي (٧/ ٢٨٢) واللباب لابن عادل (٨/ ٤٦). محققه.  
(٢) (٢/ ١٨٥). ورواه ابن بطة في الإبانة الكبرى (٣/ ١٢٠). والخطيب البغدادي في اقتضاء العلم العمل (ص ٥٦) والبيهقي في الشعب (١/ ١٥٨).

«إذا كان القلب صالحا بما فيه من الإيمان علما وعملا قلبيا لزم ضرورة صلاح الجسد بالقول الظاهر والعمل بالإيمان المطلق، كما قال أئمة أهل الحديث: «قول وعمل»، قول باطن وظاهر، وعمل باطن وظاهر، والظاهر تابع للباطن لازم له، متى صلح الباطن صلح الظاهر، وإذا فسد فسد، ولهذا قال من قال من الصحابة عن المصلي العابد: لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه»<sup>(١)</sup> اهـ.

وَكَانَ الْحَسَنُ إِذَا أَتَى خَتَمَ سُورَةَ مَرْيَمَ، يَقُولُ فِي مَوْعِظَتِهِ: «الْمُبَادَرَةُ عِبَادَةٌ، الْمُبَادَرَةُ، فَإِنَّمَا هِيَ الْأَنْفَاسُ، لَوْ قَدْ حُبِسَتْ انْقَطَعَتْ عَنْكُمْ أَعْمَالُكُمْ الَّتِي تُقَرَّبُونَ بِهَا إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، رَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا نَظَرَ لِنَفْسِهِ، هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ [مريم: ٨٤]، ثُمَّ يَبْكِي وَبَكَى عَلَى ذُنُوبِهِ، ثُمَّ قَرَأَ وَيَقُولُ: «آخِرُ الْعَدَدِ خُرُوجُ نَفْسِكَ، آخِرُ الْعَدَدِ فِرَاقُ أَهْلِكَ، آخِرُ الْعَدَدِ دُخُولُكَ فِي قَبْرِكَ»<sup>(٢)</sup>.

وعنه في قوله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَلًا فُخُورًا﴾ [النساء: ٣٦].

قال: «عجبا لابن آدم يغسل الخراء بيده في اليوم مرتين ثم يتكبر يعارض جبار السماوات».

وقيل له إنه يشار إليك بالأصابع!؟

فقال: «إنما المراد من يشار إليه في دينه بالبدعة وفي دنياه بالفسق»<sup>(٣)</sup>.

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ١٨٧).

(٢) (٣٠/ ٢) ورواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل (ص. ١٤٦).

(٣) (١٥٧/ ٢) وانظر تفسير ابن كثير (٦/ ٣٤٣).

ومن لطيف تدبره في آخر سورة لقمان: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [لقمان: ٣١].

قال: «مفتاح البحار السفن، ومفتاح الأرض الطرق، ومفتاح السماء الدعاء».

وقال في آية سورة إبراهيم: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم: ٥].

قال: «هو المؤمن»<sup>(١)</sup>.

### (١٢) التدبر في تواقع جامعة:

-ولا يخلوا تدبره من عبارات مصكوكة؛ يظهر عليها توقيع الحسن البصري من بعيد؛ فيقول تحت الآيات كلمات محكمات من سجعات الحكم الماثورات؛ ما يجعلك تطرب لمعنى الآية وتؤثر في حياة خشوعك لها:

قال رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٢].

«كم مستدرج بالإحسان إليه! وكم مفتون بالثناء عليه! وكم مغرور بالستر عليه»<sup>(٢)</sup>.

-وقال في قوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُوهَا بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١١٠].

(١) (١٥/٢).

(٢) (٣٢٣/١) وانظر القرطبي (٢٥١/١٨) واللباب (٤٢٤/١٥) محققه.

«أي لا تحسنُ علانيتها وتسيء سريرتها»<sup>(١)</sup>.

- ومن بديع جوامع كلامه رحمه الله قوله في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذِكْمُ الشَّيْطَانِ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

«ولا يخاف الشيطان إلا وليُّ الشيطان»<sup>(٢)</sup>.

- وقوله في سورة الحج لما سئل عن التجرد في الحج قال: «جرد قلبك من السهو، ونفسك من اللهو، ولسانك من اللغو؛ ثم يجوزُ كيف شئت»<sup>(٣)</sup>.

- ويستنبط التعازي من القرآن فيقول في قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُزُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] «عزى الله رسوله والمؤمنين عن الدنيا وأخبرهم أن ذلك يصير باطلاً»<sup>(٤)</sup>.

- ولأن الآخرة ركن الإيمان الأعظم بعد الإيمان بالله؛ فقد كان تدبر الإمام دائراً في فلكه استنباطاً وموعظةً كما قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٩٨].

قرأها باسم الفاعل «مُسْتَقَرٌّ».

وفسرها بقوله: «المستقر في القبر والمستودع في الدنيا وأوشك أن يلحق بصاحبه؛ فالمستقرُّ هو الذي قد مات فاستقر به عمله»<sup>(٥)</sup>.

(١) (١/٥٠٧) وانظر الطبري (١٧/٥٧٨) زاد المسير (٤/٢٠١) ابن كثير (٥/١٢٩).

(٢) (١/١٥٨).

(٣) (١/٦٩).

(٤) (١/١٦١).

(٥) (١/٢٧٣).

- ويأخذ ميزان العذر في المناظرة وعند الخلاف؛ في قوله تعالى: ﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جِئْتُمْ فِيهَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٦].

فيقول: «يعذر من حاج بعلم ولا يعذر من حاج بغير علم»<sup>(١)</sup>.

وهو صاحب مقولة: «أول من قاس إبليس»؛

عند قوله تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢]<sup>(٢)</sup>.

- وقال في قوله تعالى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَيْدِيَّ وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٧].

«لا يزال الناس على دين ما حجوا البيت واستقبلوا القبلة»<sup>(٣)</sup>.

ويقول في آية هود: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهَبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤].

«استعينوا على السيئات القديمات بالحسنات الحديثات؛ وإنكم لن تجدوا شيئاً أذهب لسيئة قديمة من حسنة حديثه؛ وقرأ الآية»<sup>(٤)</sup>.

(١) (١/١٢٨).

(٢) (١/٢٩١).

(٣) (١/٢٤٧).

(٤) (١/٤٠٩).

- وقال في قول الله تعالى: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ﴾ [الطور: ٤٠].  
«كُلُّ غَرِيمٍ مَفَارِقٌ غَرِيمُهُ إِلَّا النَّارُ»<sup>(١)</sup>.

- وقال في قوله: ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ [يوسف: ٨٩].  
«أي إذ أنتم شباب ومعكم جهل الشباب»<sup>(٢)</sup>.

- ودخل عليه قوم فقالوا يا أبا سعيد: إنا نغشى الذكر وإنَّ قوماً دخلوا يبيكون؛  
وإنَّا لا نبكي؛ قال: «فإن لم تَبِكِ العيون، فلتبك القلوب والأعمال، فَرَبَّ عَيْنٍ بَاكِئَةٍ  
كاذبةٌ ثم تلا: ﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾ [يوسف: ١٦]»<sup>(٣)</sup>.

- ويقول في سياق قصة يعقوب وجميل تحمله صبراً وصفحاً؛ ما من جرعتين  
يتجرعهما العبد أحب إلى الله من جرعة مصيبة؛ يتجرعها العبد بحسن صبر وحسن  
عزاء؛ وجرعة غيظٍ يتجرعها العبد بحلم وعفو.. وأنه ليس في الحزن عارٌ»<sup>(٤)</sup>.  
«ومن ابتلي ببلاء فكتمه ثلاثاً لا يشكو إلى أحدٍ أتاه الله برحمته»<sup>(٥)</sup>.

- وإذا قرأ قوله: ﴿اذْكُرْني عِنْدَ رَبِّكَ﴾ [يوسف: ٤٢].

بكى وقال: «نحن إذا نزل بنا أمرٌ فزعنا إلى الناس.. ولا يبتغي الفرج من عند غير  
الله»<sup>(٦)</sup>.

(١) (٣٦٣/٢).

(٢) (٤٢٨/١) تفسير البغوي (٤/١٩٥).

(٣) (٤١٥/١) عن الأشراف لابن أبي الدنيا (٤٨٠) المحقق.

(٤) (٣١٥/١).

(٥) (٤٢٧/١) وانظر: الطبري (١٥/٥٨٠) القرطبي (٩/٢٤٧) الدر المنثور (٥/٣٨٦).

(٦) (٤٢٠/١).

- وقال في قوله تعالى في سورة العنكبوت: ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت: ٦].

«إن الرجل ليجاهد وما ضُرب يوماً من الدهر بسيف»<sup>(١)</sup>.

وقال في سورة الفلق في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: ٥]

قال: «أول ذنب كان في السماء الحسد، واليهود حسدة الإسلام»<sup>(٢)</sup>.

- وفي قصة يوسف عند قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٢٢].

قال: «من أحسن عبادة ربه في شببته آتاه الله الحكمة في اكتهاله»<sup>(٣)</sup>.

(١) (١٤٣/٢) تفسير ابن كثير (٢٦٤/٦).

(٢) (٤٥٧/٢) وانظر الدر المنثور (٤٠٠/١٠).

(٣) (٤١٦/١) وانظر القرطبي (٣٥٣/١٤).

## الخاتمة:

### خلاصات وتوصيات

١. البحث في مناهج الأعلام في التدبير؛ أدق من البحث في مناهجهم في الرواية والتفسير والوعظ ونحو ذلك.
٢. الحسن البصري إمام التابعين تربي في مدرسة الصحابة؛ فتشكل منهاجه على أيديهم.
٣. إمامته شاملة لأبواب الخير؛ ومن أهمها منهجه في التدبير.
٤. صياغة منهاج متكامل للتدبير؛ يتوقف على استقرار طرائق العلماء من السلف، وجمع ذلك في صعيد واحد ودراسة مقارنة.
٥. في طريق التدبير عند الإمام الحسن البصري معالم جامعة دالة هادية.
٦. التدبير عند الإمام الحسن البصري امتزج بحياته وأنفاسه.
٧. التدبير عند الإمام الحسن البصري يتجلى في علمه المستبحر ومواقفه المتنوعة.
٨. التدبير رافد من روافد الإصلاح عند الإمام الحسن البصري.
٩. الإصلاح عند الإمام الحسن البصري منظومة شمولية لا تتجزأ.
١٠. تدبر القرآن والتخلق بأخلاقه متلازمان عند الإمام الحسن البصري.
١١. تأسيس هيئة متخصصة في تدبر القرآن العظيم؛ خطوة مهمة تقرب إلى المقصد الأم الذي يتوقف عليه صلاح الأمة؛ ألا وهو التمسك بكتاب الله، والعمل بتوجيهاته من الفرد والمجتمع والدولة:



عن ابن عباس، أن رسول الله ﷺ خطب الناس في حجة الوداع، فقال: «قد يئس الشيطان بأن يعبد بأرضكم، ولكنه رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحاقرون من أعمالكم، فاحذروا يا أيها الناس إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا كتاب الله وسنة نبيه ﷺ» الحديث<sup>(١)</sup>.

١٢. من المهم في نظري إحداث تنسيق محكم بين جميع الهيئات والمؤسسات المهمة بكتاب الله تعالى.

والحمد لله رب العالمين.

---

(١) رواه الحاكم في مستدركه، وهو في الموطأ بلاغا.



ابن جرير الطبري  
ومنهجيته في التدبر

إعداد

فواز بن منصر سالم الشاوش

ماجستير في التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.



## السيرة الذاتية للباحث

« الاسم: فواز مِنصَّر سالم علي الشاوش.

« مكان الميلاد: اليمن - عدن.

« تاريخ الميلاد: ١٥/١٢/١٩٨٣ م.

« هاتف محمول: ٠٠٩٦٦٥٦٩٢١٥٩٩٠.

« المؤهل العلمي:

- طالب دراسات عليا في مرحلة الدكتوراه، قسم التفسير وعلوم القرآن بالجامعة

الإسلامية بالمدينة المنورة.

« المؤلفات:

- الأساليب العربية الواردة في القرآن الكريم وأثرها في التفسير من خلال جامع

البيان للطبري، وأصل هذا الكتاب رسالة علمية نال بها الباحث درجة الماجستير من

قسم التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٤٣٤ هـ



## ملخص البحث

تحدث هذا البحث عن (ابن جرير الطبري ومنهجيته في التدبر).

واشتمل على مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة.

تضمنت المقدمة: بيان أهمية تدبر القرآن الكريم، وأهمية تفسير الطبري.

وتضمن التمهيد: تعريفاً موجزاً بالإمام الطبري، وبيان معنى التدبر في اللغة.

وتناول المبحث الأول: بيان مفهوم التدبر عند الإمام الطبري، وخلص إلى أن مفهوم التدبر عند الطبري يشمل النظر في الآيات الشرعية، والتفكر في الآيات الكونية، وبهذا المعنى العام يشمل: (التفسير، والتأويل، والاستنباط، والتفكر)، فكلها عنده داخله في نطاق التدبر.

وتناول المبحث الثاني: شروط التدبر عند الإمام الطبري، وهما شرطان، الأول: فهم المعنى - ولا يكون إلا بتعلم اللغة العربية وأساليبها- والثاني: ألا يكون المعنى مما استأثر الله بعلمه.

وتناول المبحث الثالث: المعاني المقاربة للتدبر عند الإمام الطبري، وهذه المعاني هي: (الاعتبار، والتفكر، والتذكر، والنظر، والتأمل)، فكلها عنده متقاربة المعنى، وإن كان لكل واحد منها ما يميّز به عن الآخر.

وتناول المبحث الرابع: نماذج من تطبيقات التدبر عند الإمام الطبري، واقتصر على أمثلة تطبيقية للطبري أعمل فيها التدبر بمعناه اللغوي في نقد الأقوال، والروايات التفسيرية، ودفع الإشكال المتوهم في بعض المعاني، وبيان الخطأ في التفسير الناتج عن عدم التدبر والنظر.

ثم خاتمة البحث وفيها: ذكر أهم النتائج، والتوصيات، والفهارس.  
والله الموفق والمعين سبحانه.



## المقدمة

الحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن خير ما صرفت فيه الأوقات، وأثمن ما بُذلت له الجهود، وأشرف ما وُجِّهت إليه الهمم، هو العلم الشرعي؛ لأنه الكفيل بسعادة الدارين.

والقرآن الكريم هو أصل العلوم وأشرفها، وهو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، لا يعلم من جهله، ولا يجهل من علمه، والناس في فهمه وتدبره متفاوتون، فمستقل ومستكثر، كلُّ بقدر ما أُوتي فيه من العلم والمعرفة، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

ولا شك أن كلَّ من تأمَّل في القرآن وأطال النظر فيه وتدبره زاده ذلك إيماناً بالله تعالى، وبقيناً بكتابه، وهذا هو المقصد من إنزاله، يقول تبارك وتعالى: ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [ص: ٢٩]، ويقول جلَّ في علاه: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد: ٢٤]، ويقول عز وجل: ﴿ أَفَلَمْ يَتَذَكَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأُولِينَ ﴾ [المؤمنون: ٦٨]، ويقول جلَّ جلاله: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الزخرف: ٣].

ولهذا حث السلف الصالح على تدبر القرآن وتأمله، فقد روى ابن أبي شيبة بإسناده إلى محمد بن كعب القرظي رضي الله عنه أنه كان يقول: «لأن أقرأ: ﴿ إِذَا زُلْزِلَتْ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾ [الزلزلة: ١] والقارعة ليلة أرددُهما، وأتفكَّرُ فيهما، أحبُّ إليَّ من أن أبيت أهدد القرآن»<sup>(١)</sup>.

(١) المصنف لابن أبي شيبة: (٥٣/٦)، (كتاب الصلاة، باب في قراءة القرآن)، برقم (٨٨٢٤).

ويقول ابن القيم: «فلو علم الناس ما في قراءة القرآن بالتدبر لاشتغلوا بها عن كل ما سواها... فقراءة آية بتفكير وتفهّم خير من قراءة ختمة بغير تدبر وتفهم»<sup>(١)</sup>.  
وآثار السلف في ذلك معلومة، وقصصهم في تدبر القرآن مشهورة، فمن ابتغها وجدها.

ومن أولئك الأعلام المتدبرين إمام المفسرين محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) رحمه الله تعالى، فإنه ألّف كتاباً عظيماً في التفسير، أصبح عمدة للمتقدمين والمتأخرين؛ لما يحويه من علوم كثيرة، وفنون مختلفة، حتى قال فيه أحد تلاميذه: «فلوا ادّعى عالم أن يُصنّف منه عشرة كتب، كل كتاب منها يحتوي على علم مُفردٍ عجيب مستقصى، لفعل»<sup>(٢)</sup>.

إضافة إلى كون هذا التفسير يحوي خزانة عظيمة من أقوال السلف ومروياتهم بالأسانيد المتصلة إليهم، قلّ أن تجد مثل ذلك في كتب المتقدمين، مما جعل أهل العلم يرتبطون به قراءة وفهماً وتدریساً.

وبما أن الإمام الطبري قد نال هذه المرتبة العالية في فهم القرآن وتدبره فإنّي رأيت في هذا البحث أن ألمح إلى الملاحظة يسيرة إلى موضوع التدبر عند الطبري ومنهجيته فيه، وإلا فمثل هذا الموضوع لا يمكن أن يحيط به بحث مختصر كهذا، والله المستعان.

وقد جعلتُ البحث في مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة.

المقدمة: وفيها: بيان أهمية تدبر القرآن الكريم، وأهمية تفسير الطبري.

التمهيد: وفيه: تعريف موجز بالإمام الطبري، وتعريف التدبر لغة.

(١) مفتاح دار السعادة: (١/١٩٢، ١٩٣).

(٢) تاريخ دمشق: (٥٢/١٩٦).

المبحث الأول: مفهوم التدبر عند الإمام الطبري.

المبحث الثاني: شروط التدبر عند الإمام الطبري.

المبحث الثالث: المعاني المقاربة للتدبر عند الإمام الطبري.

المبحث الرابع: نماذج من تطبيقات التدبر عند الإمام الطبري: وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: إعمال التدبر في نقد الأقوال.

المطلب الثاني: إعمال التدبر في نقد الروايات.

المطلب الثالث: إعمال التدبر في دفع الإشكال المتوهم.

المطلب الرابع: عدم التدبر سبب في الخطأ في التفسير.

الخاتمة: وفيها: نتائج البحث، وتوصياته، وفهارسه.

هذا وأسأل الله تعالى الإعانة والسداد، والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد

وعلى آله وصحبه أجمعين.

## التمهيد

أولاً: تعريف موجز بالإمام الطبري:

(أ) اسمه وكنيته ونسبته<sup>(١)</sup>:

أما اسمه: فهو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، وقد اتفق المؤرخون على اسمه واسم أبيه، واختلفوا في جده، فأكثرهم يذكر أنه يزيد، والأقل يذكر أنه كثير، وأما كنيته: فإنه يكنى بأبي جعفر، وعُرف بذلك، ولم يكن له ولد اسمه جعفر؛ لأنه كان أعزباً غير متزوج، وأما نسبه: فهي (الطبري) نسبة إلى (طَبْرِستان)، بفتح أوله وثانيه وكسر الراء، وهي بلدان واسعة كثيرة من بلاد فارس يشملها هذا الاسم<sup>(٢)</sup>.

(ب) مولده ورحلاته في طلب العلم ووفاته<sup>(٣)</sup>:

أما مولده: فإنه ولد في آخر سنة أربع وعشرين ومائتين، وقيل أول سنة خمس وعشرين ومائتين للهجرة، في مدينة (أَمْل) -بضم الميم واللام- بطبرستان<sup>(٤)</sup>، وأما رحلاته في طلب العلم: فإنه كان ينتقل من بلدة إلى أخرى، ومن مكان إلى آخر، فرحل إلى العراق ثم الشام ثم مصر، وأخذ عن علمائها ومشايخها، ثم اتجه آخر حياته إلى بغداد وأقام بها وانقطع فيها للتدريس والتأليف إلى حين وفاته، وأما سنة وفاته: فالأشهر أنها في شوال سنة عشر وثلاثمائة، وقد جاوز الثمانين بخمس أو ست سنين،

(١) انظر معجم الأدباء: (٦/ ٢٤٤٥-٢٤٤٩)، وغاية النهاية في طبقات القراء: (٢/ ١٠٦).

(٢) انظر معجم البلدان: (٤/ ١٣).

(٣) انظر نظر تاريخ بغداد: (٢/ ٥٤٨)؛ ومعجم الأدباء: (٦/ ٢٤٤١-٢٤٤٩)، والبداية والنهاية:

(١٤/ ٨٤٨، ٨٤٩).

(٤) انظر معجم البلدان: (١/ ٥٧).

وفي شعر رأسه ولحيته سواد كثير، ودفن في داره، رحم الله أبا جعفر الطبري، وأسكنه فسيح جناته، وجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيراً.

### ثانياً: تعريف التدبر لغة:

التدبر مشتق من مادة (د ب ر)، وهذه المادة تدل على عدة معان بتصاريفها المختلفة ترجع إلى معنى كلي وهو (آخر الشيء)، ذكره ابن فارس بقوله:

«الذال والباء والراء، أصل هذا الباب أن جُلَّه في قياس واحد، وهو آخر الشيء، وخَلْفُه خلاف قُبْلُه... والتدبير: أن يُدبِّر الإنسان أمره، وذلك أنه ينظر إلى ما تصير عاقبته وآخِرُه»<sup>(١)</sup>.

وعليه فإن التدبر في اللغة هو: النظر في عواقب الأمور وأواخرها، ثم استعمل في كل تأمل يقع من الشخص سواء أكان نظراً في حقيقة الشيء، أم أجزائه، أم سوابقه وأسبابه، أم لواحقه وأعقابه<sup>(٢)</sup>.

(١) مقاييس اللغة: (٢/٣٢٤)، مادة (دبر).

(٢) انظر روح المعاني: (٣/٨٩).

## المبحث الأول

### مفهوم التدبر عند الإمام الطبري:

ولمعرفة مفهوم التدبر عند الإمام الطبري لا بد أولاً من ذكر تفسيراته لآيات التدبر الأربع، والوقوف على بعض تفسيراته التي ورد فيها ذكر التدبر في أثناء تفسيره لبعض الآيات، ثم دراسة ذلك وتحليله واستخلاص مفهوم التدبر عنده.

#### أولاً: تفسيرات الطبري لآيات التدبر:

(١) قال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]:

يقول الطبري: «يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ أفلا يتدبر المبيتون غير الذي تقول لهم يا محمد كتاب الله، فيعلموا حجة الله عليهم في طاعتك واتباع أمرك، وأن الذي أتيتهم به من التنزيل من عند ربهم، لاتساق معانيه، وائتلاف أحكامه، وتأييد بعضه بعضاً بالتصديق، وشهادة بعضه لبعض بالتحقيق؛ فإن ذلك لو كان من عند غير الله لاختلفت أحكامه، وتناقضت معانيه، وأبان بعضه عن فساد بعض»<sup>(١)</sup>.

(٢) قال الله عز وجل: ﴿أَفَلَمْ يَذَكِّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٦٨].

يقول الطبري: «يقول تعالى ذكره: أفلم يتدبر هؤلاء المشركون تنزيل الله وكلامه، فيعلموا ما فيه من العبر، ويعترفوا بحجج الله التي احتج بها عليه فيه؟»

(١) جامع البيان: (٧/ ٢٥١).

﴿أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾، يقول: أم جاءهم أمر ما لم يأت من قبلهم من أسلافهم، فاستكبروا ذلك وأعرضوا، فقد جاءت الرسل من قبلهم، وأنزلت معهم الكتب.

وقد يحتمل أن تكون (أم) في هذا الموضع بمعنى: (بل)، فيكون تأويل الكلام: أفلم يدبروا القول؟ بل جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين، فتركوا لذلك التدبر وأعرضوا عنه، إذ لم يكن فيمن سلف من آبائهم ذلك<sup>(١)</sup>.

٣ قال تبارك وتعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩].

يقول الطبري: «وقوله: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ﴾ يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: وهذا القرآن كتاب أنزلناه إليك يا محمد ﴿مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾، يقول: ليتدبروا حجج الله التي فيه، وما شرع فيه من شرائعه، فيتعظوا ويعملوا به.

واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة القراء: ﴿لِيَدَّبَّرُوا﴾ بالياء، يعني: ليتدبر هذا القرآن من أرسلناك إليه من قومك يا محمد، وقرأه أبو جعفر وعاصم: (لتدبروا آياته) بالتاء<sup>(٢)</sup>، بمعنى: لتدبره أنت يا محمد وأتباعك، وأولى القراءتين عندنا بالصواب في ذلك أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان صحيحتا المعنى، فبأيهما قرأ القارئ فمصيب<sup>(٣)</sup>.

(١) جامع البيان: (١٧/ ٨٧).

(٢) قراءة: (لتدبروا) بالتاء وتخفيف الدال هي قراءة أبي جعفر، وجاء كذلك عن عاصم في رواية الكسائي وحسين عن أبي بكر، وقرأ الباقون: [لِيَدَّبَّرُوا] بالياء وتشديد الدال، انظر السبعة لابن مجاهد: ص (٥٥٣)، والنشر في القراءات العشر: (٢/ ٣٦١).

(٣) جامع البيان: (٢٠/ ٧٩، ٨٠).

٤ قال سبحانه وتعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤].  
يقول الطبري: «يقول تعالى ذكره: أفلا يتدبر هؤلاء المنافقون مواعد الله التي يعظم بها في آي القرآن الذي أنزله على نبيه عليه الصلاة والسلام، ويتفكرون في حججه التي بينها لهم في تنزيله فيعلموا بها خطأ ما هم عليه مقيمون، ﴿أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ يقول: أم أقفل الله على قلوبهم فلا يعقلون ما أنزل الله في كتابه من المواعد والمعبر»<sup>(١)</sup>.

ثانياً: تفسيرات للطبري ورد فيها ذكر التدبر: ومن أمثلة ذلك:

١ قال تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ [يوسف: ١]:

يقول الطبري: «وأما قوله: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله، فقال بعضهم: معناه: تلك آيات الكتاب المبين: بين حلاله وحرامه، ورشده وهده... وقال آخرون... بين الحروف التي سقطت عن ألسن الأعاجم، وهي ستة أحرف.

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: معناه: هذه آيات الكتاب المبين، لمن تلاه وتدبر ما فيه من حلاله وحرامه ونهيه وسائر ما حواه من صنوف معانيه؛ لأن الله جل ثناؤه أخبر أنه مبين، ولم يخص إبانته عن بعض ما فيه دون جميعه، فذلك على جميعه، إذ كان جميعه مبيناً عما فيه»<sup>(٢)</sup>.

٢ قال الله عز وجل: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٥].

(١) جامع البيان: (٢١/٢١٥).

(٢) جامع البيان: (١٣/٦٠٥).



يقول الطبري: «يقول تعالى ذكره: أولم ينظر هؤلاء المكذبون بآيات الله في ملك الله وسلطانه في السموات وفي الأرض، وفيما خلق جل ثناؤه من شيء فيهما، فيتدبروا ذلك ويعتبروا به ويعلموا أن ذلك ممن لا نظير له ولا شبيهه، ومن فعل من لا ينبغي أن تكون العبادة والدين الخالص إلا له، فيؤمنوا به، ويصدقوا رسوله، وينيبوا إلى طاعته، ويخلعوا الأنداد والأوثان، ويحذروا أن تكون آجالهم قد اقتربت فيهلكوا على كفرهم ويصيروا إلى عذاب الله وأليم عقابه»<sup>(١)</sup>.

٣ قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٢].

يقول الطبري: «وقوله: ﴿وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ يقول: وهؤلاء المشركون عن آيات السماء ويعني بآياتها: شمسها، وقمرها، ونجومها، ﴿مُعْرِضُونَ﴾، يقول: يعرضون عن التفكير فيها، وتدبر ما فيها من حجج الله عليهم، ودلالاتها على وحدانية خالقها، وأنه لا ينبغي أن تكون العبادة إلا لمن دبرها وسواها، ولا تصلح إلا له»<sup>(٢)</sup>.

٤ قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّا فِي

ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [القل: ٨٦].

«يقول تعالى ذكره: ألم ير هؤلاء المكذبون بآياتنا تصريحنا الليل والنهار، ومخالفتنا بينهما بتصويرنا هذا سكناً لهم يسكنون فيه، ويهدؤون لراحة أبدانهم من تعب التصرف والتقلب نهاراً، وهذا مضيئاً يبصرون فيه الأشياء، ويعاينونها فيقبلون فيه لمعايشهم، فيتفكروا في ذلك، ويتدبروا ويعلموا أن مصرف ذلك كذلك هو الإله الذي لا يعجزه شيء...»<sup>(٣)</sup>.

(١) جامع البيان: (٦٠٣/١٠).

(٢) جامع البيان: (٢٦٣/١٦).

(٣) جامع البيان: (١٣٠/١٨، ١٣١).

### ثالثاً: الدراسة والتحليل:

من خلال التأمل في تفسيرات الإمام الطبري لهذه الآيات نجد أن تدبر القرآن عنده يكون في الأمور الآتية:

- (١) تدبر حجة الله تعالى على خلقه.
- (٢) تدبر شرائع الله تعالى.
- (٣) تدبر مواعظ الله تعالى.
- (٤) تدبر الحلال والحرام والنهي وسائر صنوف معانيه.
- (٥) تدبر الآيات الكونية.

وهذا يعني أن مفهوم التدبر عنده يشمل ذلك كله، النظر في الآيات الشرعية<sup>(١)</sup>، والتفكر في الآيات الكونية<sup>(٢)</sup>، وبهذا المعنى العام يشمل: (التفسير، والتأويل، والاستنباط، والتفكر)، فكلها عنده داخله في نطاق التدبر، وهو بذلك لم يخرج عن معناه اللغوي، الذي هو النظر في عواقب الأمور وأواخرها.

ويتضح لنا إضافة إلى ما سبق أن التدبر المأمور به عند الإمام الطبري ليس خاصاً بالكافرين والمنافقين، وإنما يشمل كذلك المؤمنين؛ وذلك لتصويبه قراءة: ﴿لِيَذَّبَرُوا آيَاتِهِ﴾ [ص: ٢٩]، بالتاء: (لِتَدَبَرُوا)، أي لتدبره أنت يا محمد وأصحابك.

(١) ولمعرفة المزيد من كلام الطبري في تدبر الآيات الشرعية انظر جامع البيان: (١/٧٦-٧٨)، (٢/٥٣)، (٤/٦٩٣)، (٩/١٩٦)، (١٢/٦٢٧، ٦٢٨)، (١٦/٢٢٢)، (١٧/٨٧).

(٢) ولمعرفة المزيد من كلام الطبري في تدبر الآيات الكونية انظر جامع البيان: (٦/٣٠٨، ٣٠٩)، (٩/٤٣١-٤٣٢)، (١٢/٣٠٠).

## المطلب الثاني: شروط التدبر عند الإمام الطبري:

بالنظر إلى ما ذكره الطبري في مقدمة تفسيره من مباحث نفيسة تتعلق بالقرآن الكريم وعلومه يمكن لنا أن نستخرج شرطين للتدبر عنده، وهما:

### الشرط الأول: فهم المعنى:

وهذا الشرط مهم عنده لمن أراد تدبر القرآن، إذ لا يُتصور أن يتدبر شخص كلاماً وهو جاهل بمعناه.

يقول الطبري: «محال أن يقال لمن لا يفهم ما يقال له ولا يعقل تأويله: اعتبر بما لا فهم لك به، ولا معرفة من القيل والبيان والكلام إلا على معنى الأمر بأن يفهمه ويفقهه، ثم يتدبره ويعتبر به، فأما قبل ذلك، فمستحيل أمره بتدبره وهو بمعناه جاهل، كما محال أن يقال لبعض أصناف الأمم الذين لا يعقلون كلام العرب ولا يفهمونه لو أنشد قصيدة شعر من أشعار بعض العرب، ذات أمثال ومواظ وحكم: اعتبر بما فيها من الأمثال، وأدكر بما فيها من المواظ إلا بمعنى الأمر له بفهم كلام العرب ومعرفته، ثم الاعتبار بما نبه عليه ما فيها من الحكم، فأما وهي جاهلة بمعاني ما فيها من الكلام والمنطق؛ فمحال أمرها بما دلت عليه معاني ما حوته من الأمثال والعبر، بل سواء أمرها بذلك وأمر بعض البهائم به، إلا بعد العلم بمعاني المنطق والبيان الذي فيها.

فكذلك ما في أي كتاب الله، من العبر والحكم والأمثال والمواظ، لا يجوز أن يقال: اعتبر بها، إلا لمن كان بمعاني بيانه عالماً، وبكلام العرب عارفاً، وإلا بمعنى الأمر لمن كان بذلك منه جاهلاً، أن يعلم معاني كلام العرب، ثم يتدبره بعد، ويتعظ

بحكمه وصنوف عبره»<sup>(١)</sup>.

وحصول هذا الفهم للمعنى عنده لا يكون إلا بمعرفة لغة العرب وأساليبها؛  
لقوله:

□ (... إلا بمعنى الأمر له بفهم كلام العرب ومعرفته).

□ (... إلا لمن كان بمعاني بيانه عالماً، وبكلام العرب عارفاً).

والسبب في اشتراطه معرفة اللغة العربية في فهم المعنى هو أن القرآن عربي نزل  
على وفق ما تعرفه العرب من كلامها، يقول الطبري مبيئاً ذلك:

«واتضح بما قلنا ووصفنا أن كتاب الله الذي أنزله إلى نبينا محمد ﷺ بلسان محمد  
ﷺ، وإذا كان لسان محمد ﷺ عربياً، فبين أن القرآن عربي، وبذلك أيضاً نطق محكم  
تنزيل ربنا... وإذا كانت واضحة صحة ما قلنا، بما عليه استشهدنا من الشواهد  
ودللتنا عليه من الدلائل، فالواجب أن تكون معاني كتاب الله المنزل على نبينا محمد  
ﷺ، لمعاني كلام العرب موافقة، وظاهره لظاهر كلامها ملائماً، وإن باينه كتاب الله  
بالفضيلة التي فضل بها سائر الكلام والبيان بما قد تقدم وُصِفْنَا»<sup>(٢)</sup>.

ونلاحظ أن الإمام الطبري اشترط لتدبر القرآن فهم المعنى، ومعاني القرآن الكريم  
عنده ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ما خصَّ الله نبيه محمداً ﷺ بعلمه دون سائر أمته:

يقول الطبري: «فقد تبين ببيان الله جلَّ ذكره، أن مما أنزل الله من القرآن على نبيه

(١) جامع البيان: (٧٧/١)؛ وانظر: (١١/١).

(٢) جامع البيان: (١٢/١).

ﷺ، ما لا يوصل إلى علم تأويله إلا ببيان الرسول ﷺ، وذلك تأويل جميع ما فيه من وجوه أمره: وواجبه، وندبه، وإرشاده، وصنوف نهيه، ووظائف حقوقه، وحدوده، ومبالغ فرائضه، ومقادير اللازم بعض خلقه لبعض، وما أشبه ذلك من أحكام آيه التي لم يُدرك علمها إلا ببيان رسول الله ﷺ لأمته، وهذا وجه لا يجوز لأحد القول فيه إلا ببيان رسول الله ﷺ له تأويله، بنص منه عليه، أو بدلالة قد نصبها دالة أتمته على تأويله»<sup>(١)</sup>.

القسم الثاني: ما كان علمه عند أهل اللسان الذي نزل به القرآن:

يقول الطبري: «... وأن منه ما يعلم تأويله كل ذي علم باللسان الذي نزل به القرآن، وذلك إقامة إعرابه، ومعرفة المسميات بأسمائها اللازمة غير المشترك فيها، والموصوفات بصفات الخاصة دون ما سواها، فإن ذلك لا يجمله أحد منهم، وذلك كسامع منهم لو سمع تالياً يتلو: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١١، ١٢] لم يجمل أن معنى الإفساد هو ما ينبغي تركه مما هو مضر، وأن الإصلاح هو ما ينبغي فعله مما فعله منفعه؛ وإن جهل المعاني التي جعلها الله إفساداً، والمعاني التي جعلها الله إصلاحاً»<sup>(٢)</sup>.

القسم الثالث: ما لا سبيل إلى الوصول إليه، وهو الذي استأثر الله بعلمه:

وسياتي كلام الطبري في ذلك مفصلاً في موضعه بإذن الله تعالى.

وقد أشار إلى نحو هذا الكلام ابن عباس رضي الله عنهما بقوله: «التفسير على

(١) جامع البيان: (٦٨/١).

(٢) جامع البيان: (٦٩/١).

أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله<sup>(١)</sup>.

ومن خلال تقسيمات الطبري لمعاني القرآن نستنتج الآتي:

- ١) أن القسم الأول: لا يحصل فيه التدبر إلا بعد معرفة بيان النبي ﷺ.
- ٢) أن القسم الثاني: يحصل فيه التدبر ولا يحتاج إلى تفسير؛ لظهور معناه.
- ٣) أن القسم الثالث: لا يقع فيه التدبر أصلاً، كما سيأتي بيانه.

#### الشروط الثاني: ألا يكون المعنى مما استأثر الله بعلمه:

يرى الطبري أن المعاني التي استأثر الله بعلمها، وحجب عن العباد تأويلها، لا يقع فيها التدبر؛ كحقائق وكيفيات المغيبات، ووقت وقوعها، وإليك نص كلام الطبري في ذلك:

يقول بعد ذكره آيات التدبر: «... وما أشبه ذلك من آي القرآن، التي أمر الله عباده، وحثهم فيها، على الاعتبار بأمثال آي القرآن، والاتعاظ بمواعظه، ما يدل على أن عليهم معرفة تأويل ما لم يُحجب عنهم تأويله من آيه»<sup>(٢)</sup>.

ويقول أيضاً بعد اشتراطه حصول فهم المعنى للمتدبر:

«فإذ كان ذلك كذلك، وكان الله جل ثناؤه قد أمر عباده بتدبره، وحثهم على الاعتبار بأمثاله، كان معلوماً أنه لم يأمر بذلك من كان بما يدل عليه آيه جاهلاً، وإذا لم يجز أن يأمرهم بذلك، إلا وهم بما يدلهم عليه عالمون، صح أنهم بتأويل ما لم يُحجب عنهم

(١) انظر جامع البيان: (١/٧٠).

(٢) جامع البيان: (١/٧٦).

علمه من آية- الذي استأثر الله بعلمه منه دون خلقه الذي قد قدمنا صفته آنفاً- عارفون، وإذا صح ذلك، فسد قول من أنكروا تفسير المفسرين من كتاب الله وتنزيله، ما لم يُجِب عن خلقه تأويله»<sup>(١)</sup>.

ويقول أيضاً في أثناء حديثه عن أقسام معاني القرآن: «...وأن منه ما لا يعلم تأويله إلا الله الواحد القهار، وذلك ما فيه من الخبر عن آجال حادثة، وأوقات آتية، كوقت قيام الساعة، والنفخ في الصور، ونزول عيسى ابن مريم، وما أشبه ذلك؛ فإن تلك أوقات لا يعلم أحد حدودها، ولا يعرف أحد من تأويلها إلا الخبر عن أشرائها؛ لاستئثار الله بعلم ذلك على خلقه»<sup>(٢)</sup>.

فالأمور الغيبية التي استأثر الله بعلمها -وهي المتشابه الكلي- لا يقع فيها التدبر من جهة الوقت والكيفية، أما من جهة الإيمان بها، وبيان الحكمة منها فيقع فيها التدبر<sup>(٣)</sup>.

(١) جامع البيان: (٧٨/١).

(٢) جامع البيان: (٦٨/١).

(٣) انظر مفهوم التدبر تحرير وتأصيل: ص (٧٣، ٧٤)، ورقة عمل الدكتور مساعد الطيار بعنوان (مفهوم تدبر القرآن)، ضمن أوراق عمل الملتقى العلمي الأول لتدبر القرآن الكريم في الرياض بتاريخ: (١٤٢٩/٦/١هـ).

## المبحث الثالث

### المعاني المقاربة للتدبر عند الإمام الطبري:

استعمل الإمام الطبري عدة معانٍ مقاربة لمعنى التدبر أثناء تفسيره لبعض الآيات، ومن هذه المعاني:

#### (١) الاعتبار:

ويقصد به أحياناً التدبر والتذكر، كما في قوله:

«وفي حث الله عز وجل عباده على الاعتبار بما في آي القرآن من المواعظ والبيّنات، بقوله جل ذكره لنبيه ﷺ: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٢٧﴾ قُرْآنًا غَرِيْبًا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٢٧، ٢٨]، وما أشبه ذلك من آي القرآن»<sup>(١)</sup>.

وكثيراً ما يقرن الطبري بين التدبر والاعتبار في سياق واحد، ومن أمثلة ذلك:

- قوله: «... فاتلوه واعتبروا به وتدبروه كي إذا فعلتم ذلك تتقوني»<sup>(٢)</sup>.
- وقوله: «... تدبروا أيها الناس واعتبروا ففيها أنشأته فخلقته من السماوات والأرض لمعاشكم وأقواتكم وأرزاقكم... معتبر ومدكر، وآيات وعظات»<sup>(٣)</sup>.
- وقوله: «... ما اعتبر هؤلاء المشركون بآيات الله ولا تدبروا ما احتج عليهم من

(١) جامع البيان: (١/٧٦).

(٢) جامع البيان: (٢/٥٣).

(٣) جامع البيان: (٦/٣٠٨، ٣٠٩).



الحجج والدلالة على قدرته على فعل كل ما يشاء»<sup>(١)</sup>.

### (٢) التَّفَكُّرُ:

كثيراً ما يقرن الطبري بين التفكير والتدبر، ومن أمثلة ذلك:

□ قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِّنْ جَنَّةٍ﴾ [الأعراف: ١٨٤]:

«يقول تعالى ذكره: أولم يتفكر هؤلاء الذين كذبوا بآياتنا فيتدبروا بعقولهم، ويعلموا أن رسولنا الذي أرسلناه إليهم، لا جنة به ولا خبل»<sup>(٢)</sup>.

□ وقوله في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الزمر: ٤٢]:

«يقول تعالى ذكره: إن في قبض الله نفس النائم والميت، وإرساله بعد نفس هذا ترجع إلى جسمها، وحبسها لغيرها عن جسمها؛ لعبرة وعظة لمن تفكر وتدبر»<sup>(٣)</sup>.

□ وقوله: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ يقول: أفليس لكم عقول تدبرون بها وتفكرون»<sup>(٤)</sup>.

### (٣) التَّدَكُّرُ:

أحياناً يفسر التذكر بالتدبر، وكثيراً ما يقرن بينهما، ومن أمثلة ذلك:

□ قوله: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ يقول: أفلا تدبرون ما تقولون؟ فتعرفوا خطأه فتنتهوا

(١) جامع البيان: (٩٧/١٧).

(٢) جامع البيان: (٦٠٢/١٠).

(٣) جامع البيان: (٢١٦/٢٠).

(٤) جامع البيان: (٦٢٣/١٩)، ولزيد من الأمثلة انظر: (١٤٦/٦)، (٨٦/١٦)، (٢٦٣، ٥٩٥)،

(٥٤٩/١٧)، (١٣٠، ١١٧، ٥/١٨).

عن قيله»<sup>(١)</sup>.

□ وقوله في تفسير قوله: ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر: ٩]:

«يقول تعالى ذكره: إنما يعتبر حجج الله، فيتعظ، ويتفكر فيها، ويتدبرها أهل العقول والحجى، لا أهل الجهل والنقص في العقول»<sup>(٢)</sup>.

وقوله: «... إذ كانوا لا يتدبرون حجج الله، ولا يعتبرون آياته، ولا يتذكرون فينجزون عما هم عليه من تكذيب رسل الله وخلافهم»<sup>(٣)</sup>.

٤ التَّنْظَرُ:

أحياناً يفسر النظر بالتدبر، ويقرن بينهما، ومن أمثلة ذلك:

□ قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿ أَوْلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [الأعراف:

: ١٨٥]

«يقول تعالى ذكره: أولم ينظر هؤلاء المكذبون بآيات الله في ملك الله وسلطانه في السموات وفي الأرض، وفيما خلق جل ثناؤه من شيء فيهما، فيتدبروا ذلك ويعتبروا به»<sup>(٤)</sup>.

□ وقوله: «... فكذلك الكافر، مثله في قلة فهمه لما يؤمر به ويُنهى عنه بسوء تدبره

إياه، وقلة نظره وفكره فيه، مثل هذا المنعوق به فيما أمر به ونهى عنه»<sup>(٥)</sup>.

(١) جامع البيان: (١٩/٦٤٣).

(٢) جامع البيان: (٢٠/١٧٨).

(٣) جامع البيان: (٩/٢٢٩).

(٤) جامع البيان: (١٠/٦٠٣).

(٥) جامع البيان: (٣/٤٨).

٥) التأمل:

كثيراً ما يقرن الطبري بين التأمل والتدبر، ومن أمثلة ذلك:

□ قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ [الدخان: ١٩]:

«إني آتيكم بحجة على حقيقة ما أدعوكم إليه، وبرهان على صحته، ﴿مُبِينٍ﴾ لمن تأملها وتدبرها أنها حجة لي على صحة ما أقول لكم»<sup>(١)</sup>.

□ وقوله في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأنعام: ٧]:

«أي ما هذا الذي جئتنا به إلا سحر سحرت به أعيننا، ليست له حقيقة ولا صحة، ﴿مُبِينٍ﴾ يقول: مبين لمن تدبره وتأمله أنه سحر لا حقيقة له»<sup>(٢)</sup>.

□ وقوله: ﴿﴿وَقُرْآنٍ﴾﴾ يقول: وآيات قرآن، [مُبِينٍ] يقول: يبين لمن تأمله وتدبره رُشده وهداه»<sup>(٣)</sup>.

فهذه المعاني: (الاعتبار، والتفكير، والتذكر، والنظر، والتأمل) متقاربة المعنى عند الإمام الطبري، وإن كان لكل واحد منها ما يميّز به عن الآخر.

يقول ابن القيم: «... هذا يُسمى تفكيراً وتذكراً ونظراً وتأملاً واعتباراً وتدبراً واستبصاراً، وهذه معانٍ متقاربةٌ تجتمع في شيء وتنتفرق في آخر»<sup>(٤)</sup>.

(١) جامع البيان: (٣٠/٢١).

(٢) جامع البيان: (١٥٨/٩).

(٣) جامع البيان: (٥/١٤).

(٤) مفتاح دار السعادة: (١٨٨/١).

## المبحث الثالث

### نماذج من تطبيقات التدبر عند الإمام الطبري:

تقدم أن مفهوم التدبر عند الإمام الطبري يشمل النظر في الآيات الشرعية وما فيها من الأحكام والمواعظ والحلال والحرام وغير ذلك، ويشمل كذلك التفكير في الآيات الكونية من سماء وأرض وجبال وغيرها، فالتدبر عنده حينئذ يشمل: (التفسير، والتأويل، والاستنباط والتفكير)، وذكُر نماذج على ذلك مما يطول به البحث؛ لأن أساس تفسيره قائم على ذلك؛ ولكني وقفتُ على أمثلة استعمل فيها الطبري مصطلح التدبر بمعناه اللغوي - وهو النظر في عواقب الأمور وأواخرها- في نقد الأقوال والروايات التفسيرية، وفي دفع إشكال متوهم في بعض المعاني، وبيان الخطأ في التفسير، فرأيت أن أقصر على ذلك في هذا المبحث.

**المطلب الأول: إعمال التدبر فيه نقد الأقوال: ومن أمثلة ذلك:**

#### المثال الأول:

ذكر الطبري خلاف أهل العلم في المراد بالأحرف السبعة الوارد ذكرها في حديث النبي ﷺ: (إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف)<sup>(١)</sup>، وكان مما ذكر من الأقوال قول مَنْ قال: إن المراد بها سبع لغات متفرقة في جميع القرآن من لغات أحياء من قبائل العرب مختلفة الألسن<sup>(٢)</sup>.

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه: (٦/١٨٤)، في كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، برقم (٤٩٩٢)؛ ومسلم في صحيحه: (١/٥٦٠)، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه، برقم (٢٧٠).

(٢) انظر جامع البيان: (١/٤٩، ٥٠).

ثم رد هذا القول قائلاً: «إِنْ كَانَتْ الْأَحْرَفُ السَّبْعَةُ الَّتِي نَزَلَ بِهَا الْقُرْآنُ عِنْدَكَ كَمَا قَالَ هَذَا الْقَائِلُ مُتَّفِرِّقَةً فِي الْقُرْآنِ، مَثْبُتَةً الْيَوْمَ فِي مَصَاحِفِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ فَقَدْ بَطَلَتْ مَعَانِي الْأَخْبَارِ الَّتِي رُوِيَتْهَا عَمَّنْ رُوِيَتْ عَنْهُ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُمْ اخْتَلَفُوا فِي قِرَاءَةِ سُورَةِ الْقُرْآنِ، فَاخْتَصَمُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَمَرَ كُلًّا أَنْ يَقْرَأَ كَمَا عُلِّمَ؛ لِأَنَّ الْأَحْرَفَ السَّبْعَةَ إِذَا كَانَتْ لُغَاتٍ مُتَّفِرِّقَةً فِي جَمِيعِ الْقُرْآنِ، فَغَيْرِ مُوجِبٍ حَرْفٍ مِنْ ذَلِكَ اخْتِلَافاً بَيْنَ تَالِيهِ؛ لِأَنَّ كُلَّ تَالٍ فَإِنَّمَا يَتْلُو ذَلِكَ الْحَرْفَ تِلَاوَةً وَاحِدَةً عَلَى مَا هُوَ بِهِ فِي الْمَصْحَفِ، وَعَلَى مَا أَنْزَلَ... مَعَ أَنَّ الْمُتَدَبِّرَ إِذَا تَدَبَّرَ قَوْلَ هَذَا الْقَائِلِ فِي تَأْوِيلِهِ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ أَنْزَلَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ وَادْعَاؤُهُ أَنْ مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهَا سَبْعُ لُغَاتٍ مُتَّفِرِّقَةً فِي جَمِيعِ الْقُرْآنِ، ثُمَّ جَمَعَ بَيْنَ قِيلِهِ ذَلِكَ وَاعْتِلَالِهِ لِقِيلِهِ ذَلِكَ بِالْأَخْبَارِ الَّتِي رُوِيَتْ عَنْ رُوِيٍّ ذَلِكَ عَنْهُ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ... عَلِمَ أَنَّ حُجْجَهُ مَفْسُودَةٌ فِي ذَلِكَ مَقَالَتِهِ، وَأَنَّ مَقَالَتَهُ فِيهِ مُضَادَةٌ حُجْجِهِ»<sup>(١)</sup>.

نجد أن الإمام الطبري نقد قول هذا القائل وردّه من خلال إعمال التدبر والنظر فيما يؤول إليه هذا القول من إبطال ما رُوِي عن الصحابة الكرام من أخبار صحيحة.

### المثال الثاني:

ذكر الطبري خلاف أهل التأويل في تأويل قوله تعالى: ﴿أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٣١]، ثم ذكر قول بعض نحوي أهل البصرة أن المراد بقوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ذَلِكَ، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ لِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ ادْعَاوُ شَيْئاً، إِنَّمَا أَخْبَرَهُمْ عَنْ جَهْلِهِمْ بِعِلْمِ الْغَيْبِ وَعِلْمِهِ بِذَلِكَ وَفَضْلِهِ<sup>(٢)</sup>.

(١) جامع البيان: (١/٥١).

(٢) انظر جامع البيان: (١/٥٢٥).

ثم رد هذا القول فقال:

«وهذا قول إذا تدبره مُتدبِّر علم أن بعضه مفسدٌ بعضًا، وذلك أن قائله زعم أن الله جل ثناؤه قال للملائكة إذ عرض عليهم أهل الأسماء: ﴿أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ﴾، وهو يعلم أنهم لا يعلمون ذلك، ولا هم ادعوا علم شيء يوجب أن يُوجَّحوا بهذا القول، وزعم أن قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ نظير قول القاتل: أنبئني بهذا إن كنت تعلم، وهو يعلم أنه لا يعلم؛ يريد أنه جاهل، ولا شك أن معنى قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ إنما هو: إن كنتم صادقين، إما في قولكم، وإما في فعلكم؛ لأن الصدق في كلام العرب إنما هو صدق في الخبر لا في العلم؛ وذلك أنه غير معقول في لغة من اللغات أن يقال صدق الرجل بمعنى علم...»<sup>(١)</sup>.

فرد الطبري هذا القول من خلال تدبره وما يؤول إليه من تعارض وفساد، إضافة إلى كونه مخالف لأقوال المتقدمين والمتأخرين من أهل التأويل والتفسير<sup>(٢)</sup>.

### المثال الثالث:

ذكر الطبري خلاف أهل التأويل في بيان حقيقة الإمامة التي في قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَشْوَاثًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٨]، ثم ذكر قول ابن زيد فقال: «وأما ابن زيد فقد أبان عن نفسه ما قصد بتأويله ذلك، وأن الإمامة الأولى عنده إعادة الله جل ثناؤه عباده في أصلاب آبائهم بعد ما أخذهم من صلب آدم، وأن الإحياء الآخر: هو نفخ الأرواح فيهم في بطون أمهاتهم، وأن الإمامة الثانية: هي قبض أرواحهم للعود إلى التراب والمصير في البرزخ إلى اليوم

(١) جامع البيان: (١/٥٢٥، ٥٢٦).

(٢) انظر جامع البيان: (١/٥٢٦).

البعث، وأن الإحياء الثالث: هو نفخ الأرواح فيهم لبعث الساعة ونشر القيامة، وهذا تأويل إذا تدبره المتدبر وجده خلافاً لظاهر قول الله الذي زعم مفسره أن الذي وصفنا من قوله تفسيره، وذلك أن الله جل ثناؤه أخبر في كتابه عن الذين أخبر عنهم من خلقه أنهم قالوا: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَخْيَبْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ [غافر: ١١]، وزعم ابن زيد أن تفسيره أن الله أحياهم ثلاث إحياءات، وأماتهم ثلاث إمامات<sup>(١)</sup>.

نلاحظ أن الإمام الطبري نقد قول ابن زيد في تفسير الإمامة وردّه، وذلك لما تدبره وتأمّل فيه ورأى أنه يؤول إلى ثلاث إمامات، وثلاث إحياءات، وهذا مخالف لظاهر القرآن في أن كلاً من الإمامة والأحياء اثنتان لا ثلاث كما في سورة غافر.

#### المطلب الثاني: إعمال التدبر فيه نقد الروايات:

مثال ذلك أن الإمام الطبري ذكر إشكالاً في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠]، والإشكال هو: كيف قالت الملائكة ذلك لربها ولم يكن آدم بعد مخلوقاً ولا ذريته، فيعلموا ما يفعلون عياناً؟ أعلمت الغيب فقالت ذلك أم قالت ذلك ظناً؟ فذلك شهادة منها بالظن، وقول بما لا تعلم، وذلك ليس من صفتها<sup>(٢)</sup>.

ثم ذكر في الجواب عن ذلك أقوالاً وروايات، وكان مما ذكره رواية طويلة عن ابن عباس رضي الله عنها من طريق أبي صالح عنه، ووردت أيضاً عن ابن مسعود رضي الله عنه من طريق مروة عنه، وجاء في بدايتها أن الله تعالى قال للملائكة: إني جاعل

(١) جامع البيان: (١/٤٤٨، ٤٤٩).

(٢) انظر جامع البيان: (١/٤٨٢).

في الأرض خليفة، قالوا: ربنا وما يكون ذلك الخليفة؟ قال: يكون له ذرية يفسدون في الأرض ويتحاسدون، ويقتل بعضهم بعضاً، قالوا ربنا ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

ثم جاء في آخر الرواية: أن الله تعالى علّم آدم الأسماء كلها، ثم عرض الخلق على الملائكة فقال: ﴿أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٣١] أن بني آدم يفسدون في الأرض ويسفكون الدماء، فقالوا له: ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢]<sup>(٢)</sup>.

ثم قال الطبري معلقاً على ما ذكر في هذه الرواية:

«وهذا إذا تدبّره ذو الفهم، علم أن أوله يفسد آخره، وأن آخره يبطل معنى أوله؛ وذلك أن الله جل ثناؤه إن كان أخبر الملائكة أن ذرية الخليفة الذي يجعله في الأرض تفسد فيها وتسفك الدماء، فقالت الملائكة لربها: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ فلا وجه لتوبيخها على أن أخبرت عنم أخبرها الله عنه أنه يفسد في الأرض ويسفك الدماء بمثل الذي أخبرها عنهم ربها، فيجوز أن يقال لها فيما طوي عنها من العلوم: إن كنتم صادقين فيما علمتم بخبر الله إياكم أنه كائن من الأمور، فأخبرتم به، فأخبرونا بالذي قد طوى الله عنكم علمه، كما قد أخبرتمونا بالذي قد أطلعكم الله على علمه، بل ذلك حُلْفٌ من التأويل، ودعوى على الله ما لا يجوز أن يكون له صفة، وأخشى أن يكون بعض نقلة هذا الخبر هو الذي غلط على من رواه عنه من الصحابة...»<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر جامع البيان: (١/٤٨٦، ٤٨٧).

(٢) انظر جامع البيان: (١/٤٨٨).

(٣) جامع البيان: (١/٤٨٩، ٤٩٠).



نلاحظ أن الإمام الطبري من خلال تدبره وتأمله في هذه الرواية حكم عليها بالتعارض والتناقض؛ لمخالفة أولها آخرها، إذ إنَّ المذكور في أول الرواية أن الله تعالى أخبر الملائكة بجعل ذرية له في الأرض يفسدون فيها، ويتحاسدون، ويسفكون الدماء، ثم ذُكر في آخر الرواية أن الله تعالى وبَّخهم على قولهم: (أتجعل فيها من يفسد فيها...)، فكيف يوبخهم الله تعالى على قولهم ذلك، وهو الذي أخبرهم به ابتداءً؟!، مما جعل الطبري ينفي ذلك أن يكون من صفة الله تعالى، وحكم على الرواية بالغلط والتناقض.

### المطلب الثالث: إعمال التدبر في دفع الإشكال المتوهم:

مثال ذلك أن الإمام الطبري فسَّر قوله تعالى: ﴿قَالُوا اذْعُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقْرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٧٠]، بأن قوم موسى طُلب منهم ذبح أي بقرة؛ ولكنهم تعنتوا وشددوا على أنفسهم بكثرة أسئلتهم عن صفتها ولونها وسنها، وذكر أقوالاً للسلف مما يؤيد قوله<sup>(١)</sup>، ثم قال بعد ذلك:

«وقد زعم بعض من عظمت جهالته واشتدت حيرته أن القوم إنما سألو موسى ما سألو بعد أمر الله إياهم بذبح بقرة من البقر؛ لأنهم ظنوا أنهم أمروا بذبح بقرة بعينها حُصَّت بذلك، كما حُصَّت عصا موسى في معناها، فسألوه أن يُحَلِّيَهَا لهم ليعرفوها، ولو كان الجاهل تدبَّر قوله هذا، لسُهل عليه ما استُصعب من القول؛ وذلك أنه استعظم من القوم مسألتهم نبيهم ما سألو تشدداً منهم في دينهم، ثم أضاف إليهم من الأمر ما هو أعظم مما استنكره أن يكون كان منهم، فزعم أنهم كانوا يرون أنه جائز أن يفرض الله عليهم فرضاً ويتعبد لهم بعبادة، ثم لا يبين لهم ما يفرض عليهم

(١) انظر جامع البيان: (٩٧/٢-١٠١).

ويتعبد لهم به حتى يسألوا بيان ذلك لهم، فأضاف إلى الله تعالى ذكره ما لا يجوز إضافته إليه، ونسب القوم من الجهل إلى ما لا ينسب المجانين إليه، فرغم أنهم كانوا يسألون ربهم أن يفرض عليهم الفرائض، فنعوذ بالله من الحيرة، ونسأله التوفيق والهداية»<sup>(١)</sup>.

ف نجد أن قائل هذا القول استشكل أن يكون سؤال قوم موسى ربهم من باب التعنت والتشدد، ورأى أن الله أمرهم بذبح بقرة بعينها ولم يُبينها لهم، ولو تدبر قوله هذا وما يؤول إليه مما لا يجوز إضافته إلى الله تعالى، من كونه فرض عليهم عبادة غير معلومة حتى يضطروهم إلى السؤال عنها، فلو تدبر هذا لسهل عليه ما استصعب من القول، ولعلم أن أسئلتهم هذه إنما كانت تعنتاً منهم وتشدداً، ولو أنهم ذبحوا أي بقرة لأجزأت عنهم؛ ولكنهم شددوا فشد الله عليهم.

**المطلب الرابع: عدم التدبر سبب فيه الخطأ فيه التفسير: ومن أمثلة ذلك:**

**المثال الأول:**

قال الطبري بعد ذكره معنى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام: ٢٧]:

«وكان بعضهم ينكر أن يكون الجواب بالواو، ومحرف غير الفاء، وكان يقول: إنما الواو موضع حال... وكان معنى صاحب هذه المقالة في قوله هذا: ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا: قد وقفنا عليها مكذبين بآيات ربنا كفاراً، فيا ليتنا نرد إليها فنوقف عليها غير مكذبين بآيات ربنا ولا كفاراً، وهذا تأويل يدفعه ظاهر التنزيل، وذلك قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٨]، فأخبر الله

(١) جامع البيان: (٢/١٠٢، ١٠٣).

تعالى أنهم في قيلهم ذلك كذبة، والتكذيب لا يقع في التمني، ولكن صاحب هذه المقالة أظن به أنه لم يتدبر التأويل، ولزم سنن العربية»<sup>(١)</sup>.

### المثال الثاني:

قال الطبري عند قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]:

«فإن قال: فما وجه تكراره: ﴿إِيَّاكَ﴾ مع قوله: ﴿نَسْتَعِينُ﴾، وقد تقدم ذلك قبل نعبد؟ وهلا قيل: إياك نعبد ونستعين، إذ كان المخبر عنه أنه المعبود هو المخبر عنه أنه المستعان؟... وقد ظن بعض من لم يُنعم النظر أن إعادة إياك مع نستعين بعد تقدمها في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ بمعنى قول عدي بن زيد العبادي:

وجاعلُ الشمسِ مِصْرًا لا خفاءَ به... بين النهار وبين الليل قد فَصَّلا

وكقول أعشى همدان:

بين الأشجِّ وبين قيسٍ باذخٍ

بَنخٍ بَنخٍ لوالده وللمولود

وذلك جهل من قائله؛ من أجل أن حظ (إياك) أن تكون مكررة مع كل فعل لما وصفنا أنفا من العلة، وليس ذلك حكم (بين)؛ لأنها لا تكون إذا اقتضت اثنين إلا تكريرا إذا أعيدت، إذ كانت لا تنفرد بالواحد، وأنها لو أفردت بأحد الاسمين في حال اقتضاها اثنين كان الكلام كالمستحيل؛ وذلك أن قائلًا لو قال: الشمس قد فصلت بين النهار، لكان من الكلام خلفا لنقصان الكلام عما به الحاجة إليه من تمامه الذي يقتضيه (بين)، ولو قال قائل: اللَّهُمَّ إياك نعبد لكان ذلك كلاماً تاماً، فكان

(١) جامع البيان: (٩/٢٠٩، ٢١٠).

معلوماً بذلك أن حاجة كل كلمة- كانت نظيرة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ -إلى (إياك) كحاجة (نعبد) إليها، وأن الصواب أن تكون معها (إياك)، إذ كانت كل كلمة منها جملة خبر مبتدأ، وبيننا حكم مخالفة ذلك حكم (بين) فيما وَفَّقَ بينهما الذي وصفنا قوله<sup>(١)</sup>.  
فيتبين من خلال هذين المثالين أن من أسباب الخطأ في التفسير، وعدم إصابة الصواب في القول هو ترك التدبر، وعدم إمعان النظر فيما تؤول إليه هذه الأقوال من معانٍ فاسدة مخالفة لظاهر القرآن، أو لما تعرفه العرب من كلامها، أو لاشتمالها على ما لا يليق نسبته إلى الله جل في علاه كما في قصة بقرة بني إسرائيل في المثال الآنف الذكر.

---

(١) جامع البيان: (١/١٦٣-١٦٥).

## الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على خير خلق الله محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد:

فإن من نعمة الله عليّ إتمام هذا البحث المتواضع الذي لا أدعي فيه الإحاطة بجميع موضوع التدبر عند الطبري ومنهجيته فيه؛ ولكن بحسب ما سمح به الوقت والجهد، وفيما يلي بعض نتائج هذا البحث، وتوصياته:

### نتائج البحث:

(١) التدبر في معناه اللغوي هو النظر في عواقب الأمور وأواخرها، ثم استعمل في كل تأمل يقع من الشخص سواء كان نظراً في حقيقة الشيء، أو أجزائه، أو سوابقه وأسبابه، أو لواحقه وأعقابه.

(٢) مفهوم التدبر عند الإمام الطبري يشمل النظر في الآيات الشرعية، والتفكير في الآيات الكونية، وهو بهذا المعنى يدخل فيه (التفسير والتأويل والاستنباط والتفكير).

(٣) التدبر المأمور به عند الإمام الطبري ليس خاصاً بالكافرين والمنافقين، وإنما يشمل كذلك المؤمنين، وذلك على قراء قوله (ليدبروا آياته)، بالتاء: (لتدبروا).

(٤) لم يُفرّق الطبري بين مصطلح التدبر والمصطلحات الأخرى القريبة من معناه؛ ك(الاعتبار، والتفكير، والتذكر، والنظر، والتأمل)، فكلها عنده متقاربة المعنى، وإن كان لكل واحد منها ما يميّز به عن الآخر.

(٥) يُشترط في حصول التدبر عند الطبري شرطان هما: فهم المعنى، وألا يكون

مما استأثر الله بعلمه.

- (٦) استعمل الطبري التدبر بمفهومه اللغوي- وهو النظر في عواقب الأمور وأواخرها- في نقد الأقوال، والروايات التفسيرية، وفي دفع إشكال متوهم في بعض المعاني، وبيان الخطأ في التفسير.
- (٧) ترك التدبر من أسباب الخطأ في التفسير، ومجانبة الصواب.

## توصيات البحث

(١) جعل مادة تدرس في المدارس والجامعات تهتم بتدبر القرآن الكريم، وبيان ضوابطه وتحريم المسائل المتعلقة به.

(٢) تتبع كلام السلف والعلماء والمفسرين في التدبر، واستخراج قواعد التدبر عندهم وصياغتها صياغة محكمة، مع شرحها وتوضيحها، وضرب أمثلة لها، فعلى سبيل المثال من قواعد التدبر عند الطبري:

□ مستحيل تدبر القرآن لمن هو جاهل بمعناه.

□ لا يجوز تدبر القرآن إلا لمن كان بمعاني بيانه عالماً وبكلام العرب عارفاً.

□ لا يقع التدبر فيما استأثر الله بعلمه.

□ عدم التدبر سبب في القول على الله بلا علم.

وفي الختام أسأل الله تعالى أن يوقفنا للعلم النافع، والعمل الصالح، وأن يجعل ما كتبته خالصاً لوجه الكريم، وأن يجزي مشايخي خيراً، والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ،

كتبه: فواز بن مُنصّر سالم الشاوش

ashawoosh@hotmail.com

## فهرس المصادر والمراجع

- البداية والنهاية: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ط: الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.
- تاريخ بغداد: أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: بشار عواد، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.
- تاريخ دمشق: أبو القاسم علي بن الحسن المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١هـ)، تحقيق: عمر بن غرامة العمروي، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الرياض: دار عالم الكتب، ط: الأولى، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: محمود الألوسي البغدادي (ت ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، بيروت: دار الكتب العلمية، ط: الأولى، ١٤١٥هـ.
- صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ.
- صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي.



- غاية النهاية في طبقات القراء: أبو الخير محمد بن محمد ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ)،  
عُني بنشره: برجستراسر، القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ١٣٥١هـ.
- كتاب السبعة في القراءات: أبو بكر أحمد بن موسى بن العباسي بن مجاهد  
التميمي (ت ٣٢٤هـ)، تحقيق: شوقي ضيف، القاهرة: دار المعارف، ط: الثانية،  
١٤٠٠هـ.
- المصنف لابن أبي شيبة: أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة (ت ٢٣٥هـ)،  
تحقيق: محمد عوامة، السعودية: دار القبلة، سوريا: مؤسسة علوم القرآن، ط:  
الأولى، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
- معجم الأدباء: الشيخ الإمام شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله  
الحموي الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ)، ط: الأولى، تحقيق: إحسان عباس،  
بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- معجم البلدان: الشيخ الإمام شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله  
الحموي الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ)، بيروت: دار صادر، ١٣٩هـ-  
١٩٧٧م.
- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة: ابن قيم الجوزية (ت  
٧٥١هـ)، بيروت: دار الكتب العمية، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
- مفهوم التدبر تحرير وتأصيل: (أوراق عمل الملتقى العلمي الأول لتدبر القرآن  
الكريم)، الرياض: مركز تدبر للاستشارات التربوية والتعليمية، ١٤٣٠هـ-  
٢٠٠٩م.

- مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، بيروت: دار الجليل، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
- النشر في القراءات العشر: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت ٨٣٣هـ)، تحقيق: علي محمد الضباع، بيروت: دار الكتب العلمية.

**الإمام القصاب ومنهجه فيه تدبر القرآن**  
**من خلال كتابه «نُكَّتَ الْقُرْآنُ»**

إعداد

**أ.د. عبد الرحمن بن معاضة الشهري**

أستاذ القرآن وعلموه بجامعة الملك سعود، كلية التربية، قسم الدراسات القرآنية.



## السيرة الذاتية للباحث

- « أ.د. عبدالرحمن بن معاضة الشهري .
- « أستاذ القرآن وعلومه بقسم الدراسات القرآنية بجامعة الملك سعود بالرياض.
- « المشرف على كرسي القرآن الكريم وعلومه بجامعة الملك سعود
- « مدير عام مركز تفسير للدراسات القرآنية .
- « عضو مجلس أمناء الهيئة العالمية لتدبر القرآن الكريم .
- « رئيس تحرير مجلة العلوم الشرعية واللغة العربية بجامعة الأمير سطاتم بن عبدالعزيز.
- « من مؤلفاته :
- الشاهد الشعري في تفسير القرآن الكريم دراسة تأصيلية ، ط. دار المنهاج بالرياض.
- القول بالصَّرْفَةِ في إعجاز القرآن الكريم: دراسة نقدية، ط. دار المنهاج بالرياض.
- تحقيق متن ألفية السيوطي في البلاغة (تحت الطباعة) .
- منهج الشيخ عبدالله بن محمد فودي في منظومته للإتقان في علوم القرآن (المفتاح للتفسير).
- تحقيق كتاب «مواقع العلوم في مواقع النجوم» في علوم القرآن لجلال الدين البلقيني.



## المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإنَّ البحث في مناهج العلماء الراسخين في تدبر القرآن وفهمه أمرٌ في غاية الأهمية لتتيمم قواعد الفهم الصحيح، والتدبر المنضبط لآيات القرآن الكريم، ودعم تلك القواعد بالمزيد من الأمثلة والنماذج التي حررها العلماء الأفاضل. وقد وقع اختياري على دراسة منهج العلامة الجليل محمد بن علي الكرجي القصاب رحمه الله لما له من الرسوخ في علوم الشريعة عامةً، ولما اشتمل عليه كتابه الوحيد الذي وصل إلينا «نُكَّتُ الْقُرْآنُ» من الاستنباطات واللطائف التي تدل على دقة فهمه، وحسن تدبره للقرآن الكريم.

وقد جاء هذا البحث الوجيز متناسباً مع الوقت المتاح لعرضه ضمن أوراق المؤتمر العلمي الدولي الثاني لتدبر القرآن الكريم الذي تنظمه الهيئة العالمية لتدبر القرآن تحت عنوان «تدبر القرآن الكريم .. أعلامٌ ومناهج». وقد جاء البحث في مقدمة وخاتمة وثلاثة مباحث على النحو التالي:

**المبحث الأول:** القصاب وكتابه «نكت القرآن»، وقد اشتمل على التعريف بالمؤلف والكتاب وقيمه العلمية ومنهج المؤلف فيه على وجه الاختصار، مع ذكر بعض الدراسات العلمية التي كتبت عنه وعن كتابه.

**المبحث الثاني:** منهجه في التدبر من خلال كتابه، وقد اشتمل على أربعة مطالب

هي:

المطلب الأول: الحرص على فهم المعنى .

المطلب الثاني: تحريره للألفاظ وإعماله لدلالاتها.

المطلب الثالث: الجمع بين النظائر من الآيات المتشابهة الألفاظ.

المطلب الرابع: مراعاة السياق.

وأما المبحث الثالث فجاء تحت عنوان: مقومات حسن تدبر القصاب، واشتمل

على ثلاثة مطالب هي:

المطلب الأول: صحة المعتقد.

المطلب الثاني: تنوع العلوم والمعارف.

المطلب الثالث: العناية بعلوم العربية.

ثم خاتمةً تُجمل البحث، وبعض التوصيات العلمية.

وقد حرصت على قراءة كتاب «نكت القرآن» مرتين من أجل الخروج بتصويرٍ دقيقٍ للمنهج العلمي الذي سار عليه القصابُ في استنباطه وفهمه للقرآن، والقواعد التي اعتمد عليها في ذلك، كما انتفعتُ كثيراً برسالة علمية للباحث الدكتور محمد بن عبدالعزيز الصعب، بعنوان (الاستنباط عند الإمام القصاب من خلال تفسيره نكت القرآن: دراسة نظرية تطبيقية)، وقد أجاد فيها الباحث، وتتبع استنباطات القصاب ودرسها دراسةً وافيةً.

وأرجو أن يكون هذا البحث كاشفاً لمنهج هذا العلامة الجليل في تدبره للقرآن، نافعاً لقارئه، والله الموفق للصواب .



## المبحث الأول

### القصاب وكتابه «نُكَّتُ الْقُرْآنُ»

المطلب الأول: ترجمة القصاب<sup>(١)</sup>:

اسمه، ونسبه، وكنيته:

هو: محمد بن علي بن محمد، الحافظ، الكرجي، المجاهد.

والكرجي -بفتح الكاف والراء، وبعدها جيم-: نسبة إلى الكرج، وهي بلدة بين أصبهان وهمدان (غرب إيران حالياً)<sup>(٢)</sup>.

وأما (القصاب) فهو لقب لُقِّبَ به لكثرة ما قتل من الكفار في الجهاد، ولشجاعته في شدة الفتك برقابهم في ساحات القتال<sup>(٣)</sup>.

مولده:

لم تُورد المصادر سنة مولد القصاب، ولكن بالنظر في تراجم شيوخه نجد أن أقدمهم وفاة كان قد توفي سنة (٢٨٩هـ)، فيكون الإمام القصاب ولد في حدود سنة ٢٨٠هـ<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر ترجمته في: نزهة الألباب في الألقاب لابن حجر (٢/٩٢)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٢٦/٢٣٧)، وتذكرة الحفاظ للذهبي (٣/١٠٠)، وهدية العارفين لإسماعيل البغدادي (٢/٤٧)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (١٦/٢١٣)، ومعجم المؤلفين لعمر رضا (١١/٥٨)، والوفاي بالوفيات (٤/٨٥)، وطبقات علماء الحديث لابن عبد الهادي (٣/١٣٢).

(٢) انظر: الأنساب للسمعاني (٥/٤٦)، ومعجم البلدان لياقوت الحموي (٤/٤٤٦).

(٣) انظر: نزهة الألباب في الألقاب (٢/٩٢)، وتاريخ الإسلام (٢٦/٢٣٧)، وتذكرة الحفاظ وذويله (٣/١٠٠)، وسير أعلام النبلاء (١٦/٢١٣)، والوفاي بالوفيات (٤/٨٥)، وطبقات علماء الحديث (٣/١٣٢).

(٤) انظر: رسالة جهود الإمام القصاب في بيان عقيدة السلف والرد على مخالفهم في كتابه النكت، رسالة ماجستير في قسم العقيدة في الجامعة الإسلامية، لحميد بن أحمد نجيعات (ص ٣٧)، وترجمة المصنف في مقدمة تحقيق الجزء الأول من كتاب نكت القرآن، تحقيق: د. علي بن غازي التويجري (ص ٢٣).

### نشأته:

نشأ القصاب في بيت علمٍ ساعده على بناء مَلَكتِهِ العلمية، وتكوين قلبه الفكري والتربوي.

فوالده علي بن محمد الكرجي كان ممن يروي الحديث ويُروى عنه، وهو من أصحاب الإمام المحدث علي بن حرب الطائي، وقد روى المصنف عن والده الحديث<sup>(١)</sup>.

### صفات القصاب:

كان القصاب من أئمة الدين الجامعين بين العلم والعمل، الناصرين لدين الله، الذابّين عن حياض السنة وعقيدة السلف الصالح. وكان إماماً حافظاً لعلوم الكتاب والسنة، متصدياً للفرق المبتدعة في زمانه، متمسكاً باتباع الدليل، بعيداً عن تقديس الرجال، كما كان مجاهداً في سبيل الله أهل الكفر بالسّنن<sup>(٢)</sup>.

### ثناء العلماء عليه:

وصفه شيخ الإسلام ابن تيمية بأنه: «الإمام المشهور»<sup>(٣)</sup>. ووصفه الحافظ الذهبي بأنه: «الإمام، العالم، الحافظ»<sup>(٤)</sup>. كما وصفه بالإمامة الصفدي<sup>(٥)</sup>، وابن حجر<sup>(٦)</sup>، وابن

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (٢١٣/١٦)، وتذكرة الحفاظ وذيلوه (١٠٠/٣)، وتاريخ الإسلام (٢٣٨/٢٦).

(٢) انظر: رسالة الاستنباط (٢٥/١).

(٣) درء تعارض العقل والنقل (٢٥٢/٦).

(٤) سير أعلام النبلاء (٢١٣/١٦).

(٥) الوافي بالوفيات (٨٥/٤).

(٦) نزهة الألباب في الألقاب (٩٢/٢).

عبدالهادي<sup>(١)</sup>، والسيوطي<sup>(٢)</sup>.

وفيه يقول أبو الحسن الكرجي<sup>(٣)</sup>:

وفي الكرج النَّرَاءُ أَوْحَدُ عَصِرِهِ  
تصانيفُهُ تُبَدِي غَزِيرَ عُلُومِهِ  
أبو أحمد القصابُ غيرُ مغالبٍ  
فلست ترى علماً له غيرَ شاربٍ

عقيدته:

كان القصاب على عقيدة أهل السنة والجماعة، وعلى طريقة السلف الصالح ومنهجهم، ويظهر ذلك من خلال عدة أمور، وهي:

(١) تعظيمه للنصوص الشرعية، ومحاربتة لمنهج المعتزلة القائم على تقديم العقل على النقل.

(٢) قوله بأن الإيمان قول وعمل، وأنه يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، ورده لقول المرجئة المناقض لذلك.

(٣) رده على الخوارج في مسألة تكفير مرتكب الكبيرة<sup>(٤)</sup>.

(٤) إبطاله قول المعتزلة في خلود مرتكب الكبيرة في النار، وأنه في منزلة بين المنزلتين.

(١) طبقات علماء الحديث (٣/١٣٢).

(٢) طبقات الحفاظ للسيوطي (ص ٣٨٠).

(٣) طبقات علماء الحديث (٣/١٣٢).

(٤) نكت القرآن (٤/١٧٦).

- ٥) إثباته أسماء الله وصفاته على طريقة السلف؛ من غير تأويل، ولا تعطيل، ولا تشبيه، ولا تمثيل<sup>(١)</sup>.
- ٦) إثباته المشيئة لله، وأن مشيئة العبد تابعة لها غير مستقلة عنها<sup>(٢)</sup>.
- ٧) قوله بحجية خبر الواحد.
- ٨) رده على الصوفية في باب التوكل.
- ٩) بالإضافة إلى اعتماد العلماء الأعلام على كتابه (عقيدة الكرجي) الذي كان يُدرّس كمتنٍ في العقيدة<sup>(٣)</sup>.

#### مذهبه الفقهي:

يظهر أن القصاب كان شافعيًا، لكنه غير متعصبٍ لمذهبه، شديد الزم للتقليد، فكان يجتهد، ولا يلتزم بقول ولا بمذهب؛ فكثيراً ما كان يورد أقوال الأئمة ويناقشها ويردها<sup>(٤)</sup>.

#### شيوخه:

روى القصاب عن علماء كثير، منهم الحافظ إبراهيم بن محمد بن يعقوب الهمداني البزاز، ووالده علي بن محمد الكرجي، ومحمد بن إبراهيم الطيالسي، ومحمد بن العباس الأخرم، والحسن بن يزيد الدقاق<sup>(٥)</sup>.

(١) رسالة الاستنباط (١/٢٨).

(٢) نكت القرآن (١/٥٧٩).

(٣) حيث كان ينقل منه ابن تيمية، وابن القيم، والحافظ الذهبي. انظر: ترجمة القصاب في مقدمة تحقيق الجزء الأول (ص ٣٣-٣٩).

(٤) الاستنباط عند الإمام القصاب من خلال تفسيره نكت القرآن للدكتور محمد الصعب (١/٣٠-٣١).

(٥) الاستنباط عند الإمام القصاب من خلال تفسيره نكت القرآن للدكتور محمد الصعب (١/٣١-٣٢).

### تلاميذه:

حدّث عن القصاب وروى عنه طائفة من طلبة العلم؛ منهم ابنه أبو الحسن علي، وأبو الفرج عمار، كما أخذ عنه المنصور مظفر بن محمد البروجردي، وطائفة من غيرهم<sup>(١)</sup>.

### مؤلفاته:

للقصاب عددٌ من المؤلفات، كلها اليوم مفقودة، عدا كتاب واحد، وهذه التصانيف هي:

- (١) كتاب ثواب الأعمال.
- (٢) كتاب عقاب الأعمال السيئة.
- (٣) كتاب شرح السيئة.
- (٤) كتاب تأديب الأئمة<sup>(٢)</sup>.
- (٥) الرد على أهل الأهواء بالأخبار.
- (٦) الرد على المخالفين.
- (٧) كتاب الزكاة.
- (٨) كتاب الطهارة.

---

(١) الاستنباط عند الإمام القصاب من خلال تفسيره نكت القرآن للدكتور محمد الصعب (١/٣٢).  
(٢) انظر: تاريخ الإسلام للذهبي (٢٦/٢٣٧)، وتذكرة الحفاظ وذيوله (٣/١٠٠)، وسير أعلام النبلاء (١٦/٢١٣)، ومعجم المؤلفين (١١/٥٨)، والوفائي بالوفيات (٤/٨٥)، وهدية العارفين (٢/٤٧)، وطبقات علماء الحديث (٣/١٣٢).

(٩) كتاب الصلاة.

(١٠) وصف الإيمان وشرح زيادته ونقصه<sup>(١)</sup>.

(١١) نكت القرآن<sup>(٢)</sup>.

(١٢) شرح النصوص<sup>(٣)</sup>.

(١٣) كتاب السنة<sup>(٤)</sup>.

وفاته:

توفي القصاب قرابة سنة الستين والثلاثمائة<sup>(٥)</sup>، رحمه الله رحمة واسعة.

---

(١) انظر: ترجمة القصاب في مقدمة تحقيق الجزء الأول من المطبوع (ص ٣١).

(٢) وهو محقق في عدة رسائل جامعية، ومطبوع.

(٣) ذكره القصاب في كتابه نكت القرآن (٣/٥٣٤).

(٤) وقد نقل عنه عدد من الأئمة؛ كالصفدية لابن تيمية (٢/١٦٢)، وبيان تلبيس الجهمية لابن تيمية

(٢/٣٣١)، والعلو للعلي الغفار للذهبي (ص ٢٣٩).

(٥) تذكرة الحفاظ وذيلوله (٣/١٠٠)، وسير أعلام النبلاء (١٦/٢١٣)، ومعجم المؤلفين (١١/٥٨)،

والوافي بالوفيات (٤/٨٥)، وهدية العارفين (٢/٤٧)، وطبقات علماء الحديث (٣/١٣٢).

## المطلب الثاني: التعريف بكتاب «نكت القرآن»

يتميز كتاب (نكت القرآن) بتقدم زمانه نسبياً، وتركيزه على استخراج الأحكام والفوائد واللطائف من آيات الكتاب، كما أنه يجوي جوانب من بيان معنى الآية.

### طريقة الكتاب:

لقد جاء كتاب النكت على النحو التالي:

- ١) جاء الكتاب مرتب الآيات والسور كما هي في ترتيب المصحف.
- ٢) ارتكز الكتاب على ذكر النكات واللطائف والفوائد، ولم يكن تفسير الآيات والمعاني هدفاً أولاً للكتاب؛ بقدر ما كان الاهتمام منصباً على النكات والفوائد.
- ٣) كانت بعض الفوائد تسبق بعناوين معبرة عن الفائدة المذكورة.
- ٤) كان الكتاب شاملاً لجميع سور القرآن، غير أنه لم يتعرض لجميع الآيات في السورة، بل ينتقي من الآيات ما يستخرج منه الثُّكَّات والفوائد.
- ٥) تنوعت الاستنباطات والفوائد والنكات في معظم أبواب العلوم؛ من العقيدة، والفقه، واللغة، والتفسير، وغيرها<sup>(١)</sup>.

### مميزات الكتاب:

- ١) تقدم عصر تأليف الكتاب؛ فهو من الكتب المتقدمة المؤلفة في علم التفسير.
- ٢) قوة المؤلف العلمية، واجتهاده الفقهي والتفسيري؛ مما أضفى على الكتاب

(١) الاستنباط عند الإمام القصاب من خلال تفسيره نكت القرآن للدكتور محمد الصعب (١/٣٩).

صبغة علمية قوية.

(٣) تنوع العلوم التي حواها الكتاب.

(٤) الاستقرار الواسع وتتبع شواهد المعنى من مجموع القرآن الكريم.

(٥) المناقشات الرصينة لأصول المبتدعة؛ من خلال الوقوف مع كل شاهد قرآني يرد عليهم، بالإضافة إلى المناقشات العقلية الموسعة.

(٦) دقة استنباط المؤلف.

(٧) تلخيص المسائل في عناوينها بدقة بالغة<sup>(١)</sup>.

عيوب الكتاب:

يمكن تلخيص عيوب الكتاب في النقاط التالية:

(١) الظاهرية التي نحا إليها المؤلف في بعض الأحيان، بالرغم من وجود ما يخالف هذه الظاهرية من قرائن في الآية أو في غيرها من الآيات، ومن ذلك قوله في قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٥]: «دليل على أن الله جل جلاله قد بعث إليهم قبل نوح غيره فكذبوه»<sup>(٢)</sup>. وعند قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المجادلة: ٦] قال: «دليل على أن مراعاة عدد الذنوب واجبة؛ إذ لا يجعل نسيانها في جملة ما يعييبهم إلا وقد أوجب عليهم حفظها»<sup>(٣)</sup>.

(١) الاستنباط عند الإمام القصاب من خلال تفسيره نكت القرآن للدكتور محمد الصعب (١/ ٤٠).

(٢) نكت القرآن (٣/ ٥٣٢).

(٣) نكت القرآن (٤/ ٢٥٣).



(٢) إنكاره لأصل من أصول الفقه، وهو «القياس» المتفق على صحته بين علماء الأصول، حيث بالغ في رده وإبطاله<sup>(١)</sup>.

### جهود المعاصرين حول الكتاب:

(أ) حَقَّقَ الكتابَ ثلاثة من الباحثين، ثم طُبِعَ الكتاب بعد ذلك، وهم الدكتور علي بن غازي التويجري، وقد طبعت رسالته في الجزء الأول من المطبوع، والدكتور إبراهيم بن منصور الجنيدل، وقد طبعت رسالته في الجزئين الثاني والثالث من المطبوع، والدكتور شايح بن عبده بن شايح الأسمري، وقد طبعت رسالته في الجزء الرابع من المطبوع<sup>(٢)</sup>.

(ب) رسالة «جهود الإمام القصاب في بيان عقيدة السلف والرد على مخالفهم في كتابه النكت»<sup>(٣)</sup>.

(ت) دراسة متعلقة بالاستنباط عند المصنف، جاءت بعنوان: (الاستنباط عند الإمام القصاب من خلال تفسيره نكت القرآن: دراسة نظرية تطبيقية)<sup>(٤)</sup>.

---

(١) الاستنباط عند الإمام القصاب من خلال تفسيره نكت القرآن للدكتور محمد الصعب (١/ ٤١).

(٢) الاستنباط عند الإمام القصاب من خلال تفسيره نكت القرآن للدكتور محمد الصعب (١/ ٣٩).

(٣) وهي رسالة ماجستير مقدمة في قسم العقيدة في الجامعة الإسلامية، لحميد بن أحمد نجيعات.

(٤) وهي رسالة دكتوراه في التفسير وعلوم القرآن، قدمت لقسم الكتاب والسنة، في كلية الدعوة وأصول الدين، في جامعة أم القرى، بالمملكة العربية السعودية، عام ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م، قدمها الباحث: محمد بن عبدالعزيز بن محمد الصعب، وبإشراف: د. سليمان الصادق البيره.

## المبحث الثاني

### منهجه فيه التدبر من خلال كتابه

المطلب الأول: الحرص على فهم المعنى:

فهم كلام الله عز وجل شرط أساسي للتدبر، وهذا الفهم لا بد أن يكون فهمًا صحيحًا سليمًا منطلقًا من فهم السلف الصالح لكتاب الله عز وجل، مجانًا لمعتقدات أهل الزيغ والضلال وتحريفاتهم حتى يصح التدبر، وتسلم الفوائد والاستنباطات الناتجة عنه، ومثل ذلك لا يتأتى إلا من عالم بالتفسير، مُلمِّمٌ بالأقوال فيه، مطلع على آثار السنة وأسباب النزول والناسخ والمنسوخ ولغة العرب، إذ هي أصول التفسير السليم، ومقومات فهم المعنى الصحيح. قال الشاطبي رحمه الله: «لا ينبغي في الاستنباط من القرآن الاقتصارُ عليه دون النظر في شرحه وبيانه وهو السنة؛ لأنه إذا كان كليًا وفيه أمورٌ جُمليّة كما في شأن الصلاة والزكاة والحج والصوم ونحوها؛ فلا محيص عن النظر في بيانه، وبعد ذلك ينظر في تفسير السلف الصالح له إن أعوزته السنة؛ فإنهم أعرّف به من غيرهم، وإلا؛ فمطلق الفهم العربي لمن حصّله يكفي فيما أعوز من ذلك، والله أعلم»<sup>(١)</sup>.

وقد كان للإمام القصاب حظ كبير من هذه الأصول، والناظر في كتابه يجد إلمامًا دقيقًا بمعنى الآيات وسبب نزولها والنسخ فيها وأقوال المفسرين في معانيها؛ سواء أقوال السلف أو اللغويين ومن بعدهم، وأحيانًا يسرد أقوالهم ويناقشها ويرجح بينها مستدلًا بالسنة واللغة وأقوال السلف؛ قبل أن يستنبط نكاتها وفوائدها، من أمثلة ذلك:

(١) الموافقات (٤ / ١٨٣).

في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٧ - ٧٩] قال: «هو - والله أعلم - الكتاب الذي في السماء، وقد قال المفسرون فيه ألوانا، لقوله: ﴿فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾، وهذا الذي عندنا ينشر، ويبتذل، وأدل الأشياء على ﴿لَا يَمَسُّهُ﴾ أن يكون خبرًا لا نهياً؛ لأن أكثر كلام العرب على نصب المضاعف في مواضع الجزم، لخفة الفتح عندهم، وقد رفعوه - أيضاً - إلا أن الفتح أكثر، ورأينا الله أظهر هذا اللفظ في الشرط والجزاء - وهو جزم - فقال: ﴿إِنْ تَمَسَّسْكُمُ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾ [آل عمران: ١٢٠]، وقال: ﴿إِنْ يَمَسَّسْكُمُ فَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَرْحٌ مِثْلُهُ﴾ [آل عمران: ١٤٠] فأشبهه أن يكون لما ترك إظهاره - في هذا الموضع - ورفع صار خبرًا عن الملائكة المطهرين، فهذا أدل وأكثر، ولا أحتم به، لاحتماله أن يكون نهياً على جواز رفع المضاعف - في موضع الجزم - كقوله تبارك وتعالى: ﴿إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ [آل عمران: ١٢٠] اتفق القراء على رفعه. فأحب أن لا يمس القرآن أحد من البالغين إلا طاهرًا بطهارة الصلاة احتياطًا، ولا أوجبه إيجابًا، لما دللنا عليه من إمكان الخبر في ﴿لَا يَمَسُّهُ﴾ وفي ﴿مَكْنُونٍ﴾، ولاتفاق أهل الصلاة على إجازة مسه للصبيان، وهم غير متوضئين، ولو توضؤوا قبل أن يعقلوا الوضوء ونيته ما طهروا به، ولو كان نهياً متحققًا لمنع الأطفال من مسه حتى يبلغوا، وحديث رسول الله ﷺ في كتابه إلى عمرو بن حزم في ترك مسه إلا للطاهرين مرسل لا يثبت متصلًا، والله أعلم كيف هو<sup>(١)</sup>.

فهذا مثالٌ صريحٌ على حُسن فهم القصاب رحمه الله لتفسير الآي والممامه بالأقوال والآثار فيها، لذا نجد في تدبره آيات الله ينطلق من خلال فهم معانيها، وسير أغوارها،

(١) نكت القرآن (٤ / ٢١٥). ينظر أمثلة أخرى: (١ / ١٧٥، ٢٤٠ - ٢٤٣، ٦٣٩، ٢ / ٣٨٣ - ٣٩٣).

والغوص في دقائقها، ومن هنا أبدع في استنباط الفوائد الجليلة، واستخراج النكات الدقيقة والمعاني البديعة، التي تنم عن فقه عميق، وعلم دقيق، ورأي ثاقب، وفيما يلي أمثلة لذلك:

(١) في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٤١] ينطلق من خلال فهم معنى الآية وألفاظها وما تعود إليه ضمائرُها ليقرر حكماً فقهياً دقيقاً، فيقول عن الآية: «حجة في إيجاب العُشرِ على الشمر قوتاً كان أو غيره؛ لدخول الزيتون والرمان تحت أداء الحق يوم الحصاد بالتسمية وسائر شمار في الجنات في الجملة، والهاء في: (أكله) و (ثمره) و (حقه) راجعة - والله أعلم - على جنس المذكورات كلها، والجنس مذكر موحد».

ثم يورد مأخذاً على قوله ويناقشه ويوجب عليه مستنداً إلى الكتاب والسنة واللغة قائلاً: «فإن قيل: كيف يشتمل أداء الحق على جميع ما ذكر في الآية، ولا يكون مقصوداً به الزرع وحده لذكر الحصاد والحصاد واقع عليه دون سائر؟ قيل: هو عند العامة كذلك، فأما العرب التي نزل القرآن بلغتها فإنهم يوقعون اسم الحصاد على الزرع وغيره، إذ الحصاد عندها قطع الشيء واستئصاله قال الله تبارك وتعالى مخبراً عن أهل القرية الظالمات: ﴿فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ﴾ [الأنبياء: ١٥] أي: مستأصلين بالعذاب والموت، والله أعلم. قال محمد بن علي [وهو القصاب رحمه الله]: فما كان من الحبوب والنخل والأعنان محدوداً بمبلغ الأوساق فالعشر ساقطة عنه دون بلوغ الحد فصاعداً. وما كان لا حد فيه فالقرآن يوجب على جملته ولم يسقط عنه بترك تسمية الحد، فعلى ما حصد من قليله وكثيره العُشر بجملة الكتاب ولقول

رسول الله ﷺ: «فيما سقت السماء والعيون أو كان عثرياً العشر، وما سُقي بالنواضح والسواني»<sup>(١)</sup>.

(٢) وينطلق من خلال فهم معنى قوله تعالى: ﴿وَاللَّائِي يَيْسَنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أَرْبَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ﴾ والفاظه ليقدر أن فيه «دليل واضح على أن الأقراء الحيض، لذكره المحيض بلفظه، وجعله الأشهر الثلاث عوضاً منه»<sup>(٢)</sup>.

(٣) ومن خلال فهم معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ [الإسراء: ٣١] يستخرج لنا أحكاماً فقهية دقيقة واستنباطات سلوكية بديعة وفوائد تربوية جلييلة فيذكر:

□ أن فيه «حجة في وجوب نفقة الآباء على الأبناء، إذ لو كانت النفقة غير واجبة لهم عليهم لكان في الناس من تسمح نفسه بترك الإنفاق، وكان مع عدم الإيجاب عليه آمناً من الإملاق». مستندا إلى أن «الآية عامة المخرج على جميع الآباء، فلا تدل إلا على الوجوب بل على الإيجاب مع المنع».

□ وفيها عظة للمغتربين بكثرة ولادة الأولاد خشية العجز عن القيام بنفقاتهم ومؤوناتهم، وفي ضمانه تبارك وتعالى نفقتهم أماناً للمضمون له ما يتقيه من العجز، ويحذره من دخول الفقر عليه بسبب أولاده، وبشارة يسكن إليها المؤمن ويوزل اضطراب قلبه بها لا يخلف ضامنه من وعده، وإذا كان في حياته مضموناً له رزق أولاده وهو قيمهم؛ فبعد وفاته أحرى أن تحسن

(١) نكت القرآن (١/ ٣٧٨ - ٣٧٩).

(٢) نكت القرآن (٢/ ١٢٧).

خلافة ضامنه عليهم، وفي ذلك تطيب أنفس من يترك بعده أصاغر،  
وسكون قلوبهم إلى من لا يخلف ميعادًا، ولا يضيع لهالك أولادًا»<sup>(١)</sup>.

(٤) ويستخرج من ظاهر الآية الثانية في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَزُمُونَ الْمُبْحَنَاتِ  
ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ  
هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٤﴾﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤٥﴾  
[النور: ٤، ٥] معنى عزيزًا في الآداب والأخلاق والسلوك فيقول: "دليل واضح  
على أن من اغتاب مسلمًا، وأوصل إليه أذى القول في شتم نفس أو آباء  
فتوبته منه تحط ذنبه، وتغفر خطيئته؛ وإن لم يُجَلِّله صاحبه، ألا ترى أن  
القاذف قد عمَّ المذدوف، وآذاه بقذفه ثم أوجب الله له المغفرة والرحمة بتوبته  
منه، ولم يشترط عليه تحليل المذدوف عنه، فالقصاص والمظالم ما كان في  
مالٍ أو نفسٍ أو جرح دون الكلام. والله أعلم».

ثم يورد إيرادًا على ما ذهب إليه يدل على علمه بالحديث وعلمه، ويناقش ذلك  
المأخذ فيقول: «فإن قيل: أفليس قد روي أن النبي ﷺ قال لعائشة حين قالت: ما أطول  
ذيل امرأة مرت بها، وما أقصر أخرى! فقال النبي ﷺ: «اغتبتهما، قومي فتحليلهما»،  
قيل: هي أخبار واهية الأسانيد، وليس لها من القوة ما يُنسخ بها القرآن، أو يُخص بها،  
فيحتاج لمن وصل إلى استحلال من آذاه بكلامه أو قفاه بغيبة أن يستحله، فإن لم  
يصل إليه أو وصل فلم يفعل فحكم الآية ما أخبرتك به»<sup>(٢)</sup>.

(٥) وكذلك إمامه بتفسير الآيات المتعلقة بالنساء وغوصه في معانيها آذاه إلى  
استنباط أحكام مهمة تتعلق بآداب المرأة ولبسها، تتضمن ردًا على الدعاوى

(١) نكت القرآن (٢/ ١٢٨).

(٢) نكت القرآن (٢/ ٤٢٢ - ٤٢٣).

المعاصرة المتعلقة بخروج المرأة واختلاطها والتساهل في ذلك، من ذلك: في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]: قال «دليل على أن المرأة منهيّة عن إبراز كل ما دعا إلى شهوتها، وإن كان مباحاً لبسه لها»<sup>(١)</sup> وكذا في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٣٢]: قال «دليل على أن على المرأة احتراز كل ما دعا إلى شهوتها، والفتنة عليها»<sup>(٢)</sup>.

(١) نكت القرآن (٢/ ٤٤٤).

(٢) نكت القرآن (٣/ ٦٥٣).

### المطلب الثاني: تحديره للألفاظ وإعماله لدلالاتها:

عند إرادة تدبر الكلام واستنباط أحكامه واستخراج نكته وفوائده فلا بد من إدراك دلالات الألفاظ على المعاني المرادة منه، ومن هنا كانت عناية علماء أصول الفقه بمبحث دلالات الألفاظ، وتأصيله، وتقرير قواعده وأنواعه، وذلك لتوظيفها في فهم نصوص الوحيين.

وأنواع دلالة الألفاظ على المعنى «تنحصر في: المطابقة، والتضمن، واللزوم»<sup>(١)</sup>، أما دلالة المطابقة فهي: دلالة اللفظ على كامل معناه، كدلالة لفظ «البيت» على البيت كاملاً بجميع أجزائه. وأما دلالة التضمن فهي: دلالة اللفظ على جزء المعنى، كدلالة لفظ «البيت» على «السقف» لأنه جزء من البيت. وأما دلالة الالتزام فهي: دلالة اللفظ على أمر خارج عن معناه، لكنه لازم له لا يفارقه، كدلالة لفظ «السقف» على الحائط؛ إذ ليس جزءاً من السقف، لكنه لا ينفك عنه، فهو كالرفيق الملازم<sup>(٢)</sup>. والذي يعيننا في باب التدبر والاستنباط هو دلالة التضمن والالتزام، لأنه لا يقع في استخراج المعنى الخفي إعمالاً لدلالة المطابقة.

وقد وظّف الإمام القصاب هذه الدلالات في تدبره لكلام الله، واستخرج بإعمالها أحكاماً نفيسة، ونكتاً بديعة، وفوائد جليّة، ولطائف عزيزة، منها<sup>(٣)</sup>:

أولاً: فوائد مستخرجة بدلالة التضمن:

□ في قوله تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنَّ أَمْرًا هَلَكًا لَيْسَ لَهُ

(١) روضة الناظر وجنة المناظر لابن قدامة (١ / ٧٠).

(٢) المرجع السابق (١ / ٧١).

(٣) انتفعت في هذا من بحث «الاستنباط عند الإمام القصاب من خلال تفسيره نكت القرآن» للدكتور

محمد الصعب (١ / ٥٦-٧٢)



وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ ﴿ [النساء: ١٧٦]

قال: «دليل على أن الإخوة والأخوات لا يرثون مع إناث الأولاد، كما لا يرثون مع ذكورهم، لشمول اسم الولد لمن كشموله لهم، ولا يجوز ترك نص القرآن وتوريثهم معهن بغير طائل من حجة»<sup>(١)</sup>.

□ في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ﴾ [النساء: ٥] قال: «يثبت نفقة الزوجات، وصغار الأولاد، لأن السفهاء في هذا الموضع النساء والصبيان، فلما أمر -جل وتعالى- برزقهم وكسوتهم علمنا أنهم نساؤه وصبيانها، إذ ليس ذلك بفرض عليه في الأجنبيين»<sup>(٢)</sup>.

□ في قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠]

قال: «دليل على أن ولد الولد وإن سفل لا يزول عن اسم البنوة، إذ لا نشك أن من خوطب بهذا من بني إسرائيل أسباط أسباط إسرائيل بدرجات كثيرة، وقد ساهم الله بنيه»<sup>(٣)</sup>.

□ في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظَلِّعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مَنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [آل عمران: ١٧٩] قال: «ردُّ على الإمامية فيما يزعمون أن الإمام لا بدُّ من علمه الغيب؛ لأن الله نفاه عن جميع خلقه نفيًا عامًا، ومنهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فلم يستثن به ولا بأحد من ولده، وأكد ذلك بقوله: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مَنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ أي يجتبيه فينزل عليه الغيب، إنه لا يعلمه

(١) نكت القرآن (١ / ٢٨٢).

(٢) نكت القرآن (١ / ٢٣٩).

(٣) نكت القرآن (١ / ١١١).

إلا بالوحي لا بغيره، والإمام لا يوحى إليه، وكذلك في سورة الجن: ﴿عَالِمٌ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنْ أَرْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧] (١).

ثانياً: فوائد مستخرجة بدلالة الالتزام:

تشمل دلالة الالتزام أنواعاً عديدة (٢) وفيما يلي نقف على أهمها في باب الاستنباط مع شواهد إعمال القصاب لها:

#### (١) دلالة الإشارة:

«هي دلالة اللفظ على معنى ليس مقصوداً باللفظ في الأصل، ولكنه لازم للمقصود فكأنه مقصود بالتبع لا بالأصل» (٣)، كدلالة قوله تعالى: ﴿وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥] مع قوله: ﴿وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾ [لقمان: ١٤] عل أن أقل أمد الحمل ستة أشهر (٤).

ومن تطبيقاتها لدى القصاب:

□ في قوله تعالى إخباراً عن إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ [البقرة: ١٢٨] قال: «رد على المرجئة فيما يزعمون أن الاستثناء في الإيذان شك فيه، أفترى إبراهيم وإسماعيل عندهم كانا شاكّين في إسلامهما حيث دعوا ربهما أن يجعلهما مسلمين وهما

(١) نكت القرآن (١/ ٢٣٧).

(٢) ينظر: أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله لعياض بن نامي السلمي ص ٢٥٩

(٣) مذكرة في أصول الفقه للشنقيطي ص ٢٨٣.

(٤) المرجع السابق ص ٢٨٣.

مسلمان؟ أم لم يكونا أسلما عندهم قبل الدعاء فدعوا أن يرزقاه؟ أو لا يعتبرون -ويجهم- أنهما كانا لا محالة مسلمين، ومع الإسلام نبين، فرغبا أن يزداد في إسلامهما الذي لا نهاية لفضائله وزيادة الخشية في إقامة فرائضه»<sup>(١)</sup>.

□ في قوله تعالى: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣] قال: «دليل على أن المرأة لا توطأ إلا حيث تكون حرثا، والحرث ما ينبت»<sup>(٢)</sup>.

□ في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ﴾ [الأنفال: ٦٠] قال: «دليل على أن التحرز وأعمال الواسطات غير مؤثرة في توكل المؤمنين»<sup>(٣)</sup>.

□ في قوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ [التوبة: ٩٢] قال: «دليل على أن تمنى المال ليطاع الله فيه، والحزن على فواته - طاعة، ورد على من يزعم من منتطعي المتصوفة أن عدم المال أربح للمرء من وجوده، وإن كان ناويا طاعة الله فيه للمخاطرة دون القيام بها وأداء حق الله فيها»<sup>(٤)</sup>.

## ٢ دلالة المفهوم:

المفهوم: هو ما دل عليه اللفظ لا في محل النطق، فهو المعنى المستفاد من حيث السكوت اللازم للفظ<sup>(٥)</sup>.

(١) نكت القرآن (١/ ١٣٩).

(٢) نكت القرآن (١/ ١٦٦).

(٣) نكت القرآن (١/ ١٣٩).

(٤) نكت القرآن (١/ ٥٦٩).

(٥) ينظر: معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة (ص: ٤٤٨).

وهو نوعان: مفهوم موافقة، ومفهوم مخالفة، وفيما يلي بيانها مع شواهد تطبيقاته كل منهما عند القصاب:

(أ) مفهوم الموافقة: هو ما يكون فيه المسكوت عنه موافقاً لحكم المنطوق مع كون ذلك مفهوماً من لفظ المنطوق<sup>(١)</sup>. ومن أمثله عند القصاب:

□ في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَؤُلَاءِ قَوْمٌ يَمُوتُونَ﴾ [التوبة: ٧٤] استنبط «أن المرتد تُقبل توبته، ولا يُقتل بتبديل دينه كما روي في ظاهر الخبر: «من بدل دينه فاقتلوه»، فكان معنى «فاقتلوه»: إن لم يتب وبقي على الردة»<sup>(٢)</sup>.

□ وفي قوله تعالى حكاية عن المتحاكمين إلى داود عليه السلام: ﴿فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾ [ص: ٢٢] قال: «دليل على أن الخصوم إذا خاطبوا الحاكم بمثله، وقالوا: اعدل في حكمك، ولا تجر علينا لم يكن ذلك منها سوء أدب، ولا يجاز للحاكم أن يجد عليهما ولا يعاقبهما»<sup>(٣)</sup>.

□ وفي قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٢٨] استنبط «أن النية الحسنة في ظاهر فعل منكر لا تنفع، واستعماله لا يجوز،

(١) مذكرة في أصول الفقه (ص: ٢٨٤).

(٢) نكت القرآن (١/ ٥٤٩).

(٣) نكت القرآن (٣/ ٧٥٢).

فقد دخل الآن في هذا ما حُكي عمن كان يُجِنُّ نفسه، ويفعل أفعالاً ظاهرها منكر طلباً للخمول والسقوط من أعين الخلق؛ لئلا يُشار إليه بالأصابع فيفتن، لإنكار الله جل وتعالى على رسول الله ﷺ ما أنكر من ترك جلسائه والإقبال على من أغفل قلبه عن ذكره مع إرادة رسول الله ﷺ في ذلك ما أراد، وحرصه على إسلام من أقبل عليه<sup>(١)</sup>.

ب) مفهوم المخالفة: هو أن يكون المسكوت عنه مخالفاً لحكم المنطوق، كقوله ﷺ: «في الغنم السائمة الزكاة»، فالمنطوق: السائمة، والمسكوت عنه: المعلوفة، والتقييد بالسوم يفهم منه عدم الزكاة في المعلوفة<sup>(٢)</sup>. ومن أمثلته عند القصاب:

□ في قوله تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ [الدخان: ٢٩] قال: «دليل على أن في الناس من يكيان عليه، إذ لا يُخصُّ أولئك بذلك ويُجعل عقوبة لهم إلا وغيرهم مكرم به»<sup>(٣)</sup>.

□ وفي قوله تعالى: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ﴾ [الطلاق: ٧] قال: «دليل على أن التقتير في الإنفاق - مع السعة - على الأنفس والعيال مذموم، ولا نعلم رسول الله ﷺ ولا الخلفاء بعده قترُوا على أنفسهم مع السعة، وكانوا كما قال الله سبحانه وتعالى في هذه الآية ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قَدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾»<sup>(٤)</sup>.

(١) نكت القرآن (٢/ ١٩٦).

(٢) مذكرة في أصول الفقه (ص: ٢٨٥).

(٣) نكت القرآن (٤/ ١٣٧).

(٤) نكت القرآن (٤/ ٣٤٧).

□ وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا﴾ [الإنسان: ٤] قال: «دليل على أن المؤمن وإن دخل النار بعصيانه وجرمه وأحرق في النار بقدر جنائته لم يُغَل، ولم يُجعل في السلاسل حتى يعتقه الله برحمته، ويذر الكافرين في السلاسل والأغلال، والسعير الذي يستعر عليهم، كلما نَضَّجَ له جلدًا استعر على الجلد الذي يبذل له، خالدًا مخلدًا»<sup>(١)</sup>.

(١) نكت القرآن (٤ / ٤٥٩).

### المطلب الثالث: الجمع بين النظائر من الآيات والمثابفة الألفاظ:

القرآن مصدر من مصادر التفسير المتفق عليها، بل إن التفسير بالقرآن هو أجل أنواع التفسير وأشرفها بالإجماع<sup>(١)</sup>، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فإن قال قائل: فما أحسن طرق التفسير؟ فالجواب: إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن؛ فما أجمل في مكان فإنه قد فُسِّرَ في موضع آخر، وما اختُصر من مكان فقد بُسِّط في موضع آخر»<sup>(٢)</sup>. ومن تفسير القرآن بالقرآن جمع النظائر - وهي الآيات الواردة في المعنى الواحد - أو جمع الآيات المتشابهة الألفاظ وكذلك المتقاربة المعنى وضمتها بعضها إلى بعض ثم النظر إليها نظرة شمولية وتدبرها جميعا لاستخراج الأحكام والفوائد واللطائف التي لا يمكن استنباطها إلا بمجموع تلك الآيات، وهي رتبة عالية في التدبر، تتطلب استحضارا واسعا لآيات القرآن ومعانيها، ونظرة شاملة لتفسيرها، وقد كان للإمام القصاب رحمه الله قدم راسخة في هذا المجال، والناظر في كتابه يجد أن له أساليباً في جمع النظائر واستخراج النكت منها، فمن ذلك:

#### ١) تدبر عدة آيات لاستخراج المدلول من مجموع تركيبها:

كثيراً ما يكون استخراج الفائدة من خلال تدبر آية بمفردها، وأحياناً يكون من خلال تدبر الآية مع نص آخر من القرآن أو السنة لاستخراج المدلول من مجموعها، وقد تميز القصاب رحمه الله بذلك في تدبره لآيات الله، من أمثلة ذلك عنده:

- في قوله عز وجل: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾

[المائدة: ٢] قال: «دليل على أن العدوان غير المقابلة، وهو ما زاد عليها، ألا تراه - جل

(١) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٨/١.

(٢) مقدمة في أصول التفسير، ص ٩٣.

جلاله- يقول: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾ [النحل: ١٢٦]، وقال: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠] فالمقتصر على مثل ما فعل به مقابل، والزائد عليه متعدي، ويؤيده من السنة حديثه ﷺ: «المستبان ما قالوا فعلى البادئ، ما لم يعتد المظلوم»<sup>(١)</sup>.

□ في قوله تعالى: ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمَنْ فَوْقَهُمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعراف: ٤١] قال: «دليل على أن الشيء وإن كان موضوعاً لمعنى فجائر أن يُسمى به ضده؛ لأن المهاد اسم موضوع للراحة والوطء قال الله تبارك وتعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا﴾ [النبا: ٦]»<sup>(٢)</sup>.

□ في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ [الفرقان: ٧٤] قال: «دليل على أن قوله في سورة التغابن: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ﴾ [التغابن: ١٤] خصوص لا محالة بمن، إذ قد جعل دعاءهم هاهنا في إعطائه إياهم الصالحين منهم في جملة ما أثنى عليهم به، ولو كانوا كلهم صالحهم وطالحهم على العموم فتنة ما كان الدعاء به ثناء»<sup>(٣)</sup>.

ووضحه أكثر في وقفته مع قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلْتَهُمْ وَمَا يُعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ ٤٩ ﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ [مريم: ٤٩، ٥٠] حيث قال: «... أن الولد الصالح من نعم الله على أبيه وجده وليس بفتنة عليهما، وأن الولد الذي قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ

(١) نكت القرآن (١/ ٢٨٩). والحديث رواه مسلم ٤/ ٢٠٠٠ (٢٥٨٧).

(٢) نكت القرآن (١/ ٤٢٣).

(٣) نكت القرآن (٣/ ٥١٧).



﴿فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥] هو الطالح لا الصالح، فتكون الآية عامة المخرج خاصة المعنى، إذ محال أن يمتنّ على إبراهيم ياسحاق وابنه يعقوب وهما فتنة، والدليل على صحة ذلك أنه قد قال قبل تلك الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: ١٤] فجعله خاصًا، فمن كان عدوًّا لأبيه فهو الذي فتنة عليه، ولا يجوز أن يكون يحيى بن زكريا فتنة على أبيه، ولا إسماعيل وإسحاق فتنة على إبراهيم، وقد يجوز أن يكون الولد الصالح فتنة على أبيه وجدّه ما دام صغيرًا، فإذا كبر وظهر صلاحه وبانت طاعته عاد نعمة عليه، والدليل عليه أن النبي ﷺ أبصر الحسن والحسين وهو على المنبر، عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران، فنزل إليهما وحملهما وعاد إلى المنبر ثم قال: «صدق الله: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾، إني لما نظرت إلى هذين الغلامين يمشيان ويعثران لم أتمالك أن نزلت إليهما فحملتهما». فقال هذا فيهما وهما صغيران، فلما كبرا عادا نعمةً عليه بما صار لهما من الجلال والمحل في الإسلام، فلم يجوز أن يُعدّا حينئذٍ في عداد الفتن»<sup>(١)</sup>.

## ٢) تكرار المعنى واستقراء شواهد:

وهي سمة بارزة عند المصنف خصوصًا فيما يتعلق بالرد على المبتدعة وأهل الأهواء، لا سيما المعتزلة، ومن أوضح الأمثلة في ذلك الرد عليهم في مسألة خلق القرآن، حيث أورد أكثر من عشرين شاهدًا قرآنيًا<sup>(٢)</sup>، من ذلك:

في قوله تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ﴾

(١) نكت القرآن (٢/ ٢٤٣). ينظر أمثلة أخرى في كتابه النكت: (١/ ٣٤٦)، (١/ ٥٤٩)، (٢/ ٢٤١).

(٢) تنظر هذه الآيات مجموعة تحت عنوان واحد في رسالة الاستنباط عند الإمام القصاب من خلال

تفسيره نكت القرآن للدكتور محمد الصعب ١/ ٣٣٦-٣٤٣.

[البقرة: ٧٥] قال: «دليل واضح على أن القرآن غير مخلوق، وأن التوراة غير مخلوقة، وأنه ليس بحكاية، قد جمع كل هذا الإضافة إياه إلى الله، وهم لم يسمعه من رسول الله ﷺ، فلو لم يكن القرآن بجميع جهاته غير مخلوق لقال -والله أعلم-: حتى يسمع مثل كلام الله، أو حكاية كلام الله، أو قراءة كلام الله، فلما قال: كلام الله، أبطل كل ذلك، فمن ادعى شيئاً منه خالف الله تعالى، وكان قوله مردوداً، ومثله: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]...»<sup>(١)</sup>، وقد استطرده كثيراً في بيان ذلك ومناقشة ما قد يرد عليه.

### مثال آخر:

في قوله: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾ [يوسف: ٤٢]. قال: «نظير ما مضى في إباحة تسمية المخلوق بأسمي الخالق، ألا ترى أنه أخبر به عن نبيه ﷺ، ثم ذكره هو جل وعز، وكذلك قوله ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ﴾ [يوسف: ٥٠]، وكذلك قوله: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي﴾ [يوسف: ٥٤]، ﴿قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ﴾ [يوسف: ٥١]، وكل هذا حجة واضحة في إباحة ذلك، وقد لخصناه في سورة آل عمران»<sup>(٢)</sup>.

وقد كرر هذا المدلول مستنبطاً من عدة آيات، من ذلك: ﴿يُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ مُصَدَّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾ [آل عمران: ٣٩]<sup>(٣)</sup>، ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾

(١) نكت القرآن (١/ ١٢٥-١٢٩).

(٢) نكت القرآن (١/ ٦١٧).

(٣) نكت القرآن (١/ ٢٠٥).

[يوسف: ١٣] <sup>(١)</sup> ﴿وَأَلْفَيْهَا لَدَى النَّبَابِ﴾ [يوسف: ٢٥] <sup>(٢)</sup> ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥] <sup>(٣)</sup> ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩] <sup>(٤)</sup>، ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨] <sup>(٥)</sup>، وغيرها من الآيات <sup>(٦)</sup>.

وهذا الجمع ليس بمقتصر على الآيات فحسب بل أيضاً يجمع معها نصوص السنة ويعضد معانيها بالآيات، مما يجعلنا نضيف أسلوباً ثالثاً:

### ٣ تعضيد معاني النصوص الأخرى بدلالات الآيات:

حيث يستخرج القصاب رحمه الله من الآيات معنى يعضد به خبراً من السنة سواء في معناه أو ثبوته، كاستنباطه من قوله تعالى إخباراً عن زكريا: {قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا} إلى قوله: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾ [مريم: ٨-١٠] أن فيه «دليل على تثبيت الخبر المروي وصحته: «ليس الخبر كالمعاينة». ثم وضع ذلك بقوله: «وذلك أن زكريا عليه السلام لم يشك إلى ربه وهن عظمه، واشتعال الشيب في رأسه إلا وهو موقن بإجابة دعوته، ثم بشره الله ببشارة الغلام فقال ما قال وهو عالم بأن ربه يقدر عليه، فلا وجه له -والله أعلم- غير ما قلنا من أن المعاينة في الأشياء أبلغ من

(١) نكت القرآن (١/ ٦١٢).

(٢) نكت القرآن (١/ ٦١٣).

(٣) نكت القرآن (١/ ٦١٨).

(٤) نكت القرآن (٤/ ١٣٨).

(٥) نكت القرآن (٤/ ١٩٠).

(٦) وهو بهذا استنبط معنى جزئياً من هذه الآيات مما يجعل هذا المدلول كالقاعدة العامة، وهذا الأسلوب متكرر عند القصاب لذا جعله صاحب رسالة «الاستنباط عند الإمام القصاب من خلال تفسيره نكت القرآن للدكتور محمد الصعب» من قواعد الاستنباط عند القصاب. ينظر (١/ ١٠٢)، وفيها أمثلة أخرى.

الخبر، وإن كان الخبر بالغًا عند المؤمنين. ومثل هذا -والله أعلم- قصة إبراهيم -صلى الله عليه- حيث سأل ربه عن كيفية إحياء الموتي فقال له: ﴿قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠] (١).

---

(١) نكت القرآن (٢) / ٢٢٤).

### المطلب الرابع: مراعاة السياق:

للنظر في سياق الكلام أهمية كبيرة لفهم مقصود المتكلم، يقول الشاطبي رحمه الله: «فلا محيص للمتفهم عن رد آخر الكلام على أوله، وأوله على آخره، وإذ ذلك يحصل مقصود الشارع في فهم المكلف، فإن فرق النظر في أجزائه؛ فلا يتوصل به إلى مراده»<sup>(١)</sup>، ومن هنا نجد إمام المفسرين محمد بن جرير الطبري كثيراً ما يقرر أهميته في تفسير كلام الله تعالى، ويستند إليه في ترجيحاته، وفي ذلك يقول: «فغير جائز صرف الكلام عما هو في سياقه إلى غيره إلا بحجة يجب التسليم لها من دلالة ظاهر التنزيل أو خبر عن الرسول تقوم به حجة»<sup>(٢)</sup>، وقال الزركشي عن دلالة السياق: «...فإنها ترشد إلى تبين المجل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة، وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظيره، وغالط في مناظراته، وانظر إلى قوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩] كيف تجد سياقه يدل على أنه الذليل الحقير»<sup>(٣)</sup>. ومن هنا تظهر أهمية النظر إلى السياق في تدبر كلام الله تعالى والتعمق في فهم معانيه، واستنباط درره وفوائده.

وقد اعتنى القصاب بذلك كثيراً، وراعى دلالة السياق في فهم معاني كلام الله وتدبره، واستنباط نكته ودرره، من ذلك:

(١) قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ [البقرة: ٣٥] ذكر مستنداً إلى السياق أن فيه: «حجة في اختصار الكلام، وإشارة إلى المعنى، لإحاطة العلم بأنهما لم

(١) الموافقات (٤/ ٢٦٦).

(٢) تفسير الطبري (٧/ ٦٧٥).

(٣) البرهان في علوم القرآن للزركشي (٢/ ٢٠٠).

ينها عن الدنو، إنما نهيا عن أكلها، فلما لم يوصل إلى الأكل إلا بالاقتراب منها استغنى -والله أعلم- به من ذكر الأول»<sup>(١)</sup>.

(٢) قوله تعالى في عيسى عليه السلام: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٤٩] ذكر مستنداً إلى السياق أنه: «دليل على أن من وضع الكلمة موضع غيرها لا يكون كاذباً، إذ لا يشك أحد من المسلمين أن عيسى ليس بخالق، وإنما أراد -والله أعلم- أني أصور لكم صورة طير، فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله»<sup>(٢)</sup>.

(٣) ومن ذلك تحريه لمعنى الظن في الآيات هل هو الشك أم اليقين:

نحو قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُّلاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ٤٦] حيث قال مستنداً إلى السياق: أن فيه «دليل على أن الظن من الأضداد: يكون بمعنى اليقين والشك، وهو هنا يقين لأنه مدح للخاشعين»<sup>(٣)</sup>. وفي قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَخْتَلِفُونَ فِي الْكِتَابِ إِلَّا أَنفَاءً وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [البقرة: ٧٨] قال مستنداً إلى السياق: «فالظن بمعنى الشك، وقد صح التضاد فيه لشهادة القرآن بكلا المعنيين»<sup>(٤)</sup>. وفي قوله: ﴿وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ﴾ [ص: ٢٤] قال مستنداً إلى السياق ومستدلاً به: «الظن بمعنى العلم -والله أعلم- أي علم داود، والدليل عليه استغفاره وتوبته، لأن

(١) نكت القرآن (١/ ١٠٨).

(٢) نكت القرآن (١/ ٢١٢).

(٣) نكت القرآن (١/ ١١٧).

(٤) نكت القرآن (١/ ١٢٠).

بالشك لا يتحقق الذنب»<sup>(١)</sup>. وفي قوله: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٤، ٢٥] قال: «الظن فيها بمعنى العلم، وهو كلمة من الأضداد، قد ذكرناها في غير هذا الموضع، وهكذا ﴿وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ﴾ [القيامة: ٢٨] أي: وعلم، والله أعلم»<sup>(٢)</sup>.

وكما وظف دلالة السياق في فهم كلام الله تعالى كذلك أعمله في تعضيد ما يتوصل إليه من نكت وفوائد، من ذلك:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦] ذكر أن فيه «إثبات القدر، ونفي الاستطاعة، وختم على نفي الإيمان عنهم. ودليل على أنهم بعد وضوح الطريق لهم بندارة النبي ﷺ محتاجون إلى توفيق به يؤمنون، إذ لو كان ضلالهم عن الإيمان بجهلهم بسبيله لسااروا فيه بعد التذارة»، ثم عضد كلامه بسياق الآيات فقال: «وقد أزال الريب تعالى عن ذلك، وأغنى عن الإغراق وحققه بقوله: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾»<sup>(٣)</sup>.

(١) نكت القرآن (٣/ ٧٥٥).

(٢) نكت القرآن (٤/ ٤٥٥).

(٣) نكت القرآن (١/ ٩١). وينظر مثال آخر: ١/ ٨٦.

## المبحث الثالث:

### مقومات حسن تدبر القصاب

لمتدبر القرآن شروط ومقومات لا بد أن تتوفر فيه حتى يتأهل لتدبر القرآن وتصح استنباطاته منه، وأهم تلك الشروط والمقومات: صحة الاعتقاد، ومعرفة التفسير الصحيح، ومعرفة اللغة العربية وقواعد التدبر والاستنباط<sup>(١)</sup>، وقد استجمع إمامنا القصاب تلك الشروط والمقومات، فكان من نتاج ذلك كتابه النفيس «نُكَّت القرآن»، وفي المطالب التالية توضيح موجز لذلك، وقد سبقت الإشارة لشرط معرفة التفسير الصحيح في المطلب الأول من المبحث الثاني.

#### المطلب الأول: صحة المعتقد:

لا شك أن صحة المعتقد كان لها شأن كبير في حسن تدبر الإمام القصاب للآيات، وقد سبق وأن بيَّنا أن الإمام القصاب يعتبر من أئمة أهل السنة والجماعة.

وقد ظهر أثر حسن اعتقاده في استنباطاته؛ حيث احتلَّت الاستنباطات العقديّة المجال الأكبر والأوسع في استنباطاته، فقد بلغت استنباطاته في الرد على الفرق المختلفة قرابة (٣٢٧) سبعة وعشرين وثلاثمائة استنباطاً<sup>(٢)</sup>، ولقد تنوعت الفرق التي ردَّ عليها المؤلف، فمنها:

---

(١) منهج الاستنباط من القرآن الكريم لفهد الوهبي ص: ٢٠١.  
(٢) وقد جمعها صاحب رسالة «الاستنباط عند الإمام القصاب من خلال تفسيره نكت القرآن للدكتور محمد الصعب» تحت مبحث يحمل عنوان ذلك (١/ ٢٨٥ - ٣٩٩).



(١) الرد على المرجئة. ومن أمثلة ذلك: عند قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنفال: ٧٤] قال القصاب: «رد على المرجئة: فيما أضاف الهجرة والجهاد والنصرة والإيواء إلى الإيمان، وقد شهد لقوم في أول السورة تحقيقه، ولم يذكر هذه الشرائط، وذكر لأولئك شرائط لم يذكرها لهؤلاء، فدل على أن الإيمان ذو أجزاء، وأن كل خير يفعله المؤمن متقرباً به إلى الله، فهو من الإيمان فرضاً كان أو تطوعاً»<sup>(١)</sup>.

(٢) الرد على المعتزلة. ومن أمثلة ذلك: عند قوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةً﴾ [الحاقة: ١٧] قال القصاب: «رد على من يزعم من المعتزلة: أن العرش ملكه، فكيف يكون محمولاً؟! أم كيف يكون الملائكة خارجين من الملك؟! فقد بان بغير إشكال: أنه السرير»<sup>(٢)</sup>.

(٣) الرد على الجهمية. ومن أمثلة ذلك: عند قوله تعالى: ﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ [مريم: ٤٢] قال القصاب: «رد على المعتزلة والجهمية؛ إذ لا ينكر إبراهيم على أبيه ما لا يسمع ولا يبصر إلا ومعبوده يبصر ويسمع ويغني عن كل شيء»<sup>(٣)</sup>.

(٤) الرد على القدرية. ومن أمثلة ذلك: عند قوله تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة:

(١) نكت القرآن (١/١٣٩، ٤٧٦).

(٢) انظر: نكت القرآن (٤/٣٩٤).

(٣) نكت القرآن (٣/٧٤١).

١٠٢] قال القصاب: «مثبت مقالتنا في الرد على القدرية؛ لإضافة فعل التفرقة بالسحر إليهم، ونفي ضرهم به إلا بإذنه، كقولنا: إن فعل المعصية منسوب إلى العبد، وقضاءها إلى الرب. فمن آمن بالتفرقة وكفر بالإذن كفانا مؤنة الاشتغال به، ومن آمن بهما رجع إلى قولنا فيه»<sup>(١)</sup>.

(٥) الرد على الرافضة. ومن أمثلة ذلك: عند قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاكُمْ﴾ [التحریم: ٤] قال القصاب: «دليل على أن المولى هو الناصر، لا المالك، إذ لو كان مالكا لما شاركه فيه جبريل وصالح المؤمنين. فهو الآن رد على الرافضة فيما يحملون عليه قول النبي ﷺ: «من كنت مولاه فعلي مولاه»<sup>(٢)</sup> أنها ولاية النصر، لا ولاية التملك»<sup>(٣)</sup>.

(١) نكت القرآن (١/١٣١).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، وهو صحيح.

(٣) نكت القرآن (٤/٦٦٥).

## المطلب الثاني: تنوع العلوم والمعارف.

لقد ظهرت في استنباطات القصاب علومه ومعارفه المتنوعة، ولا شك أن هذا قد ساعده على حسن تدبره وتأمله، وأعطى قيمةً علميةً لاستنباطاته ونكاته وفوائده.

فمن العلوم التي ظهرت عند القصاب:

(١) أصول الفقه: وقد ظهر ذلك جلياً من خلال إعماله دلالة الألفاظ بأنواعها، وقد تقدم بيان أمثلة لذلك في المبحث السابق.

أيضاً كانت له استنباطات بديعة في هذا العلم تدل على تضلعه فيه بلغت (٤٥) استنباطاً<sup>(١)</sup>، من أمثلة ذلك: استنباطه الحجة في قبول خبر الواحد من قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥] موضحاً ذلك بقوله: «لأن موسى ﷺ ترك ما عرفه من تحريم القتل، وخرق السفينة بخبر الخضر، إذ كان عنده صادقاً ولزمته الحجة بقوله: حتى عاد الحرام عنده حلالاً»<sup>(٢)</sup>. كما استدل أيضاً على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١] إلى قوله: ﴿وَأَعْلَمَ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٣٣]، وبقوله: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفُرُوا كَافَّةً﴾ [التوبة: ١٢٢]، وقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحي إِلَيْهِمْ﴾ [الأنبياء: ٧]، وغيرها من الآيات<sup>(٣)</sup>.

(١) وقد جمعها صاحب رسالة «الاستنباط عند الإمام القصاب من خلال تفسيره نكت القرآن» تحت مبحث يحمل عنوان ذلك (٢/٤٢٨-٤٥٩).

(٢) نكت القرآن (٢/٢١٨).

(٣) ينظر: الاستنباط عند الإمام القصاب من خلال تفسيره نكت القرآن للدكتور محمد الصعب (٢/٤٣٧-٤٣٩).

(١) الفقه: وقد تبين هذا في استنباطاته التي أيد بها بعض الأحكام الفقهية، والتي بلغت (٩٠) تسعين استنباطاً<sup>(١)</sup>، ومن أمثلة ذلك: عند قوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ﴾ [التوبة: ٢٩] يقول القصاب: «دليل على أن نساءهم وصبيانهم لا جزية عليهم؛ لأنهم لا يقاتلون، بل قد نهي عن قتلهم»<sup>(٢)</sup>.

---

(١) جمعها صاحب رسالة الاستنباط تحت مبحث يحمل عنوان ذلك (٢/٤٦١ - ٥١٠).

(٢) نكت القرآن (١/٥١٨).

### المطلب الثالث: العناية بعلوم العربية:

لا شك أنّ اللغة العربية لها القدم الراسخ في حسن التأمل والتدبر لمعاني ألفاظ وآيات القرآن الكريم، وقد كان للقصاب إمام واسع بأصولها ومسائلها، وعناية كبيرة بعلومها وفنونها، يظهر ذلك جلياً من خلال مناقشاته واستدلالاته، ومن ثم برز أثر ذلك خلال استنباطاته، التي بلغت مجموعها (١٢٩) تسعة وعشرين ومائة استنباط<sup>(١)</sup>.

كما أن هذه الاستنباطات لم تكن مقتصرةً على فرع واحد من فروع اللغة العربية؛ بل قد شملت النحو، والبلاغة، وفقه اللغة، وغيرها<sup>(٢)</sup>.

فمن أمثلة الاستنباطات البلاغية: عند قوله تعالى: ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهَ بُنْيَانُهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٢٦] يقول القصاب: «دليل على إجازة التأكيد في الكلام؛ إذ السقف لا يخر إلا من فوق الإنسان، وقد أكدّه الله»<sup>(٣)</sup>.

ومن أمثلة الاستنباطات النحوية: عند قوله تعالى: ﴿ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ [التوبة: ٨٦] قال القصاب: «دليل من جهة الإعراب: على أن المذكر يغلب على المؤنث في اللفظ؛ إذ الخوالب كُنَّ لا محالة مع القاعدتين من الضعفاء والمرضى وعادي النفقة الموضوع عنهم الحرب»<sup>(٤)</sup>.

ومن أمثلة استنباطه في فقه اللغة: عند قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ [التوبة: ٢٨] قال القصاب: «دليل على أن

(١) الاستنباط عند الإمام القصاب من خلال تفسيره نكت القرآن للدكتور محمد الصعب (١/٩٦).

(٢) الاستنباط عند الإمام القصاب من خلال تفسيره نكت القرآن للدكتور محمد الصعب (١/٩٦).

(٣) نكت القرآن (٢/٥٣).

(٤) نكت القرآن (١/٥٦٦)، وانظر أيضاً: (٤/٣٩٧).

النجس نجسان: نجس فعل، ونجس ذات. وهو في هذا الموضع -والله أعلم-: نجس فعل، وهو شركهم، لا أن أبدانهم نجسة، وكيف تكون نجسة وليست بين خلقتهم وخلقة المؤمنين فرق في شيء من الأشياء، وقد أباح الله لنا أكل طعامهم في ديارهم وقد مسوها بأيديهم<sup>(١)</sup>.

---

(١) نكت القرآن (١/٥٠٦).

## خاتمة

بعد هذا البحث الوجيز من خلال كتاب العلامة القصاب رحمه الله «نكت القرآن» تتضح لنا بعض النقاط المهمة في خاتمة المطاف منها:

(١) ضرورة دراسة منهجية أمثال العلامة القصاب في تدبرهم للقرآن، وتعاملهم مع آياته، وإبراز أمثال هذا العالم السلفي الفذ، حتى يجد طالب العلم بين يديه نماذج وافرة من العلماء الراسخين في فهمهم للقرآن، وحسن التعامل معه.

(٢) أظهر البحث أهمية إتقان علوم الآلة التي لا بد منها للمفسر للقرآن كعلوم العربية وأصول الفقه ونحوها، وقد ظهر أثر إتقانها على حسن فهم القصاب للقرآن.

(٣) تبين لنا حسن توظيف القصاب لفهمه للقرآن في الرد على الفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة، وأهمية ذلك لطالب العلم.

(٤) أظهر البحث أيضاً أن الكمال في البشر عزيزٌ، حيث وجدنا للعلامة القصاب بعض الخلل في الاستنباط بسبب اضطراب بعض الأصول التي يعتمد عليها، كنفية للقياس وخطئه في فهمه لبعض الآيات، مما يحتم على طالب العلم أن يكون حذراً في قبوله لكلام العلماء مهماً بلغ علمهم، ومحاکمتهم إلى الأصول والقواعد الصحيحة للعلم وفهمه الفهم الصحيح.

## أهم المصادر والمراجع

- ١) جهود الإمام القصاب في بيان عقيدة السلف والرد على مخالفهم في كتابه النكت، رسالة ماجستير في قسم العقيدة في الجامعة الإسلامية، لحميد بن أحمد نجيحات
- ٢) نكت القرآن، تحقيق: د. علي بن غازي التويجري وزملائه، دار ابن القيم وابن عفان، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ
- ٣) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم.
- ٤) سير أعلام النبلاء للذهبي، تحقيق شعيب الأرنؤوط وفريقه، دار الرسالة ببيروت، ١٤٠٧هـ
- ٥) الاستنباط عند الإمام القصاب من خلال تفسيره نكت القرآن للدكتور محمد الصعب، رسالة دكتوراه في التفسير وعلوم القرآن، قدمت لقسم الكتاب والسنة، في كلية الدعوة وأصول الدين، في جامعة أم القرى، بالمملكة العربية السعودية، عام ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م، قدمها الباحث: محمد بن عبدالعزيز بن محمد الصعب، وبإشراف: د. سليمان الصادق البيه.
- ٦) الموافقات للشاطبي، تحقيق مشهور حسن سلمان.
- ٧) روضة الناظر وجنة المناظر لابن قدامة.
- ٨) أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله لعياض بن ناي السلمي، دار التدمرية، ١٤٣٢هـ



- ٩) مذكرة في أصول الفقه للشنقيطي.
- ١٠) معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة، للدكتور محمد الجيزاني، دار ابن الجوزي.
- ١١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي، دار عالم الفوائد.
- ١٢) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية، تحقيق عدنان زرزور.
- ١٣) تفسير الطبري، تحقيق عبدالله التركي، دار هجر للنشر.
- ١٤) البرهان في علوم القرآن للزركشي، تحقيق المرعشي، الطبعة الأولى لدار المعرفة ١٤١٠هـ
- ١٥) منهج الاستنباط من القرآن الكريم لفهد الوهبي، نشر معهد الإمام الشاطبي بجدة.



# الجوانب التدبرية فيه تفسير ابن كثير وطرق استخلاصها

إعداد

د. محمد بن عبد الله الربيعة

الأستاذ المشارك بقسم القرآن وعلومه، جامعة القصيم



## السيرة الذاتية للباحث

« الاسم: د. محمد بن عبدالله بن عبدالرحمن الربيعه.

« الجنسية: سعودي.

« تاريخ الميلاد: ١٣٨٩ هـ - مكان الميلاد: القصيم - المذنب.

« رقم الجوال: ٠٥٠٤٨٨٢٣٤٤٢ - رقم الهاتف الثابت: ٠٦٣٤٢٤٥٦٣.

« رقم الفاكس: ٠٦٣٤٢٤٥٦٣ - البريد الإلكتروني: mr6060@gmail.com

« الدرجة العلمية: أستاذ مشارك في قسم القرآن وعلومه جامعة القصيم.

« المؤهلات العلمية:

- باكالوريوس: من جامعة الإمام كلية الشريعة واصول الدين بالقصيم - التخصص: أصول الدين.

- الماجستير: جامعة الإمام كلية اصول الدين - التخصص: القرآن وعلومه

- الدكتوراه: جامعة الإمام كلية اصول الدين - التخصص: القرآن وعلومه

« البحوث والمؤلفات العلمية:

- منهج الدوسري في تفسيره (صفوة الآثار والمفاهيم) [رسالة ماجستير]

- أثر السياق في التفسير دراسة نظرية تطبيقية على سورتي الفاتحة والبقرة [رسالة دكتوراه].

- علم مقاصد السور [مطبوع].

- مفهوم التدبر [مطبوع].

- منهج السلف في تدبر القرآن [مطبوع].

- تدبر المفصل [مطبوع].

- مقاصد سور القرآن عرض وبيان.

- تحقيق العبودية في ضوء سورة الفاتحة.

- عضوية الهيئات العلمية واللجان والجمعيات.

- عضو الهيئة العالمية لتدبر القرآن.
- المشرف العام على مركز النبا العظيم بمكة.
- عضو الجمعية العلمية السعودية للقرآن وعلومه.
- عضو رابطة علماء المسلمين.
- عضو الجمعية العمومية لهيئة الإغاثة الإسلامية.

« المناصب الإدارية:

المشرف العام على برنامج جودة تعليم القرآن سابقاً.

« المؤتمرات والندوات

- المؤتمر العالمي الأول للتدبر في قطر.
- المؤتمر العالمي الأول لتطوير الدراسات القرآنية في جامعة الملك سعود بالرياض.
- ملتقى التدبر الأول والثاني بالرياض.
- مؤتمر المفسرين المغاربة المعاصرين بالمغرب.

« الدورات (التي ألقيتها):

- الدورة التأهيلية لمجالس المدارس القرآنية.
- دورة تكوين ملكة التدبر والمدارسة.
- دورة مقاصد سور القرآن.
- دورة مهارات الاستنباط.

« المشاركات الإعلامية:

- مشارك في برنامج (يتدارسونه بينهم) في قناة المجد.
- مشارك في برنامج (التفسير المباشر) في قناة دليل.
- مشارك في بعض الدورات العلمية في التفسير وعلومه.

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.  
أما بعد.

فإن المفسرين مع كثرتهم وتعدد مناهجهم يتفاوتون في عنايتهم بالجوانب التدرية التي تتعلق بما وراء المعنى من الدلالات والهدايات والأثر الإيماني والعملي والواقع، وحين نسير التفاسير ذات العناية بالجانب التدريري نجد أن تفسير ابن كثير يعد من أبرزها، لما يتميز به من العناية بالاستشهاد بالقرآن والسنة وآثار السلف وبهدايات الآيات.

وقد كتب الله تعالى لهذا التفسير القبول والأثر المبارك لما تتميز به من تيسير للعبارة وعناية بالتفسير بالمأثور مع بيان لجوانب الهداية في الآيات.

وقد وفق الإخوة في اللجنة العلمية في مؤتمر تدبر باختيار ابن كثير ضمن المفسرين الذين عنوا بالتدبر، وطلبوا مني الكتابة عن منهجه في التدبر، وقد كانت لي صحبة مع هذا التفسير عدة سنوات في مجلس تدارس مع بعض الإخوة، كما كانت لي دراسة لمنهجه في التدبر في معاهد تدبر في الرياض ومكة، فتكشفت لي فيه وجوه وجوانب متعلقة بالتدبر، أرجو أن يوفقني الله تعالى لإبرازها في هذا البحث.

وقد ركزت في البحث على استخلاص الجوانب التي عني بها ابن كثير مما يتعلق بما وراء المعنى، مع بيان منهج عرضها.

وقد قسمت البحث إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الجوانب التدرية عند ابن كثير

المبحث الثاني: الاستشهاد بالنصوص والآثار في الجوانب التدبرية.

المبحث الثالث: الطرق المثلى لاستخلاص الجوانب التدبرية من تفسير ابن كثير

أسأل الله تعالى أن ينفع بهذا البحث وأن يحقق فيه المأمول.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



## المبحث الأول

### الجوانب التدرية عند ابن كثير

تفسير ابن كثير يعتبر نموذجاً في تنوعه وشموله لجوانب مختلفة من التفسير، فهو غير مقتصر في معنى الآية وأقوال السلف فيها والترجيح بينها، إنما له عناية بما وراء ذلك مما يجعلنا نعيد النظر في هذا التفسير لنبرز فيه الجوانب الأخرى في التفسير، ومن أبرزها الجوانب التدرية التي تركز على أغراض الآيات وهداياتها وجانب العمل منها. ولعلي في هذا المبحث أن أجلي ذلك بما يلي:

#### المطلب الأول: عنايته فيه بيان غرض الآيات ومقصودها.

يستفتح ابن كثير تفسيره للآيات كثيراً ببيان مقصود الآية وغرضها قبل بيان معناها وإيراد أقوال السلف والمفسرين فيها، وهذا جانب من أبرز جوانب التدبر كما قال الشاطبي: «التدبر إنما يكون لمن التفت إلى المقاصد»<sup>(١)</sup>، ومن هذا الباب نستطيع القول بأن ابن كثير من أبرز المفسرين عناية بهذا الجانب أعني - بيان أغراض الآية ومقصودها - . ولعلي أجلي ذلك بالأمثلة:

(١) قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١٢) الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿ [البقرة: ٢١، ٢٢] قال ابن كثير: «شرح تبارك وتعالى في بيان وحدانية ألوهيته، بأنه تعالى هو المنعم على عباده»<sup>(٢)</sup>.

(١) الموافقات (٤ / ٢٠٩).

(٢) تفسير ابن كثير (١ / ١٩٤).

فتجد أن ابن كثير ذكر غرض الآية ومقصودها، وهو جانب تدبري له ارتباط بالمناسبات.

٢ قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٢٣) فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٣، ٢٤] قال ابن كثير في فاتحة كلامه عن الآية: «شرح تعالى في تقرير النبوة بعد أن قرر أنه لا إله إلا هو..»<sup>(١)</sup>.

فذكر هنا غرض الآيات وهو أنها في تقرير النبوة. وهذا وإن كان متعلقاً بالمناسبات إلا أنه بيان للغرض من الآية، وهو جانب تدبري.

٣ قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (٣٢) قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٣١ - ٣٣] قال ابن كثير في فاتحة كلامه عن الآيات: «هذا مقام ذكر الله تعالى فيه شرف آدم على الملائكة، بما اختصه به من علم أسماء كل شيء دونهم»<sup>(٢)</sup>.

فنجده قبل تفسير الآية يبين غرضها وما تدور حوله، وهو جانب تدبري.

(١) تفسير ابن كثير (١ / ١٩٨).

(٢) المصدر السابق (١ / ٢٢٢).

### المطلب الثاني: عنايته ببيان دلالات الآيات وهداياتها.

مما تميز به ابن كثير استنباطه لدلالات الآية وهداياتها بأنواعها: ومنها الدلالات العقدية والفقهية والتربوية والاجتماعية وغيرها، وهذا جانب متعلق بالتدبر أكثر من تعلقه بالتفسير.

ومن أمثلة ذلك:

(١) قوله تعالى ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢] قال ابن كثير: «هذه الآية دالة على توحيدته تعالى بالعبادة وحده لا شريك له، وقد استدل به كثير من المفسرين كالرازي وغيره على وجود الصانع فقال: وهي دالة على ذلك بطريق الأولى، فإن من تأمل هذه الموجودات السفلية والعلوية واختلاف أشكالها وألوانها وطبايعها ومنافعها ووضعها في مواضع النفع بها محكمة، علم قدرة خالقها وحكمته وعلمه وإتقانه وعظيم سلطانه»<sup>(١)</sup>.  
فنجده قد علق على الآية ببيان دلالة متعلقة بالعقيدة. وهو جانب تدبري.

(٢) قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٦] قال ابن كثير في تعليقه على هذه الآية مستنبطاً دلالة دقيقة لطيفة: «وهذه الآية فيها تعريض بل تصريح بأن عيسى ابن مريم عبد مخلوق، كما خلق الله سائر البشر؛ لأن الله تعالى صوره في الرحم وخلقته، كما يشاء، فكيف يكون إلهاً كما زعمته النصارى -عليهم لعائن الله...»<sup>(٢)</sup>.

(١) تفسير ابن كثير (١/ ١٩٧).

(٢) المصدر السابق (٢/ ٦).

فنجده قد علق على الآية ببيان دلالة متعلقة بالعقيدة. وهو جانب تدبري.

٣ قوله تعالى: ﴿ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ﴾ [آل عمران: ٢٠] قال ابن كثير: «... وهذه الآية وأمثالها من أصرح الدلالات على عموم بعثته، صلوات الله وسلامه عليه، إلى جميع الخلق، كما هو معلوم من دينه ضرورة<sup>(١)</sup>.

٤ قوله تعالى: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [٢٦] تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَتُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَزُزُّقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [آل عمران: ٢٦، ٢٧] قال ابن كثير: «... وفي هذه الآية تنبيه وإرشاد إلى شكر نعمة الله تعالى على رسوله ﷺ وهذه الأمة؛ لأن الله حول النبوة من بني إسرائيل إلى النبي العربي القرشي المكي الأمي خاتم الأنبياء على الإطلاق»<sup>(٢)</sup>.

٥ قال تعالى: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا ﴾ [آل عمران: ٣٢] قال ابن كثير: «أي: خالفوا عن أمره فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٣٢] فدل على أن مخالفته في الطريقة كفر»<sup>(٣)</sup>.

٦ قوله تعالى: ﴿ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ ﴾ [آل عمران: ٣٦] قال ابن كثير: «فيه دلالة على

(١) المصدر السابق (٢ / ٢٦).

(٢) تفسير ابن كثير (٢ / ٢٩).

(٣) المصدر السابق (٢ / ٣٢).

جواز التسمية يوم الولادة كما هو الظاهر من السياق»<sup>(١)</sup>.

(٧) قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾ [آل عمران: ٢٧] قال ابن كثير: «وفيه دلالة على كرامات الأولياء»<sup>(٢)</sup>.

(٨) قَوْلُهُ تَعَالَى إِخْبَارًا مَرِيْمَ: ﴿قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنَسِيًّا﴾ [مريم: ٢٣] قال ابن كثير: «فيه دليل على جواز تمني الموت عند الفتنة»<sup>(٣)</sup>.

(٩) قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا﴾ [آل عمران: ١٤٥] قال ابن كثير: «وهذه الآية فيها تشجيع للجبناء وترغيب لهم في القتال، فإن الإقدام والإحجام لا ينقص من العمر ولا يزيد فيه»<sup>(٤)</sup>.

(١٠) قوله تعالى: ﴿وَالْكَافِرِينَ الْغَيْظُ﴾ قال ابن كثير: ﴿وَالْكَافِرِينَ الْغَيْظُ﴾ ثم قال تعالى: ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ أي: مع كف الشر يعفون عن ظلمهم في أنفسهم، فلا يبقى في أنفسهم موجدة على أحد، وهذا أكمل الأحوال، ولهذا قال: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤] فهذا من مقامات الإحسان»<sup>(٥)</sup>.

فهذه الأمثلة كلها متضمنة لدلالات وهدايات مستنبطة، غير متعلقة بمعنى الآية التفسيري اللغوي، إنما هي دلالات ما وراء المعنى، وهو جانب تدبري.

(١) المصدر السابق (٢/ ٣٣).

(٢) المصدر السابق (٢/ ٣٦).

(٣) المصدر السابق (٥/ ٢٢٣).

(٤) تفسير ابن كثير (٢/ ١٢٩).

(٥) المصدر السابق (٢/ ١٢٢).

## المطلب الثالث: فيه بيان الدروس والعبر من القصة.

ابن كثير برز في تفسيره للقصص بذكر الروايات فيها وهو إمام في السيرة وله كتاب البداية والنهاية، إلا أننا نجد أحياناً يعلق على الآية بذكر مواضع الاقتداء أو الاعتبار فيها، ومن ذلك مثلاً:

(١) قوله تعالى عن يوسف: ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥] قال ابن كثير: «مدح نفسه، ويجوز للرجل ذلك إذا جهل أمره، للحاجة»<sup>(١)</sup>.

(٢) قال تعالى: ﴿وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾ [يوسف: ٧٢] قال ابن كثير: «وهذا من باب الجعالة»، ﴿وَأَنَا بِهِ رَعِيمٌ﴾ وهذا من باب الضمان والكفالة»<sup>(٢)</sup>.

(١) قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ [يوسف: ٧٦] قال ابن كثير: «وهذا من الكيد المحبوب المراد الذي يحبه الله ويرضاه، لما فيه من الحكمة والمصلحة المطلوبة»<sup>(٣)</sup>.

(١) قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٧] قال ابن كثير: «وفي هذا تحذير للعلماء أن يسلكوا مسلكهم فيصيبهم ما أصابهم، ويُسلِّكَ بهم مسلكهم، فعلى العلماء أن يبذلوا ما بأيديهم من العلم النافع، الدال على العمل الصالح، ولا يكتموا منه شيئاً، فقد ورد في الحديث المروي من طرق متعددة عن النبي ﷺ أنه قال: «من سُئِلَ عن عِلْمٍ فَكْتَمَهُ

(١) المصدر السابق (٤/ ٣٩٥).

(٢) المصدر السابق (٤/ ٤٠١).

(٣) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٠١).

أَلْجِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ»<sup>(١)</sup>«<sup>(٢)</sup>.

### المطلب الرابع: عنايته ببيان الصور والأمثلة علمه الآية:

من الجوانب التدرية التي عُنِيَ بها ابن كثير، بيانه لبعض الصور والأمثلة التي تؤكد مضمون الآية ودلالاتها، وهو جانب تدريري، ومن الأمثلة في ذلك:

(١) قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]، قال ابن كثير: «وهذه عامة في كل من دعا إلى خير، وهو في نفسه مهتد»<sup>(٣)</sup>.

(٢) قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾ [الشورى: ٣٩]، قال ابن كثير: «أي: فيهم قوة الانتصار من ظلمهم واعتدى عليهم، ليسوا بعاجزين ولا أذلة، بل يقدرون على الانتقام ممن بغى عليهم، وإن كانوا مع هذا إذا قدروا عفوا، كما قال يوسف، عليه السلام، لإخوته: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩٢]، مع قدرته على مؤاخذتهم ومقابلتهم على صنيعهم إليه، وكما عفا رسول الله ﷺ عن أولئك النفر الثمانين الذين قصدوه عام الحديبية، ونزلوا من جبل التنعيم، فلما قدر عليهم من عليهم مع قدرته على الانتقام، وكذلك عفوه عن غورث بن

(١) سنن الترمذي، أبواب العلم، باب ما جاء في كتاب العلم (٥ / ٢٩) (٢٦٤٩)، سنن أبي داود، كتاب العلم، باب كراهية منع العلم (٣ / ٣٢١) (٣٦٥٨)، مسند الإمام أحمد، مسند المكثرين، مسند أبي هريرة (١٣ / ١٧) (٧٥٧١) وغيرهم، قال العجلوني في كشف الخفاء (٢ / ٢٥٤): حسنه الحاكم وصححه البيهقي عن أبي هريرة مرفوعا، وهو عند الحاكم أيضا وغيره وصححه عن ابن عمر. اهـ، وكذا صححه الألباني في صحيح الترغيب (١ / ١٦٠) (١٢٠).

(٢) تفسير ابن كثير (٢ / ١٨١).

(٣) المصدر السابق (٧ / ١٧٩).

الحارث، الذي أراد الفتك به -عليه السلام - حين اخترط سيفه وهو نائم، فاستيقظ، عليه السلام، وهو في يده صلتا، فانتهره فوضعه من يده، وأخذ رسول الله ﷺ السيف من يده، ودعا أصحابه، ثم أعلمهم بما كان من أمره وأمر هذا الرجل، وعفا عنه. وكذلك عفا عن لبيد بن الأعصم، الذي سحره، عليه السلام، ومع هذا لم يعرض له، ولا عاتبه، مع قدرته عليه. وكذلك عفوه، عليه السلام، عن المرأة اليهودية - وهي زينب أخت مرحب اليهودي الخيبري الذي قتله محمود بن مسلمة - التي سمت الذراع يوم خيبر، فأخبره الذراع بذلك، فدعاها فاعترفت فقال: ما حملك على ذلك؟ قالت: أردت إن كنت نبياً لم يضرك، وإن لم تكن نبياً استرحنا منك، فأطلقها، عليه الصلاة والسلام، ولكن لما مات منه بشر بن البراء قتلها به، والأحاديث والآثار في هذا كثيرة جداً، والحمد لله<sup>(١)</sup>.

(٣) قوله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾ [الذاريات: ٢٠]، قال ابن كثير: «أي: فيها من الآيات الدالة على عظمة خالقها وقدرته الباهرة، مما قد ذرأ فيها من صنوف النبات والحيوانات، والمهاد والجبال، والقفار والأنهار والبحار، واختلاف ألسنه الناس وألوانهم، وما جبلوا عليه من الإرادات والقوى، وما بينهم من التفاوت في العقول والفهوم والحركات، والسعادة والشقاوة، وما في تركيبهم من الحكم في وضع كل عضو من أعضائهم في المحل الذي هو محتاج إليه فيه»<sup>(٢)</sup>.

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ٢١١).

(٢) المصدر السابق (٧/ ٤١٩).



(٤) قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١]، قال رحمه الله: «وهكذا نصر الله سبحانه نبيه محمداً ﷺ وأصحابه على من خالفه وناوأه، وكذبه وعاداه، فجعل كلمته هي العليا، ودينه هو الظاهر على سائر الأديان. وأمره بالهجرة من بين ظهرائي قومه إلى المدينة النبوية، وجعل له فيها أنصاراً وأعواناً، ثم منحه أكتاف المشركين يوم بدر، فنصره عليهم وخذلهم له، وقتل صناديدهم، وأسر سراتهم، فاستاقهم مقرنين في الأصفاد، ثم من عليهم بأخذه الفداء منهم، ثم بعد مدة قريبة فتح عليهم مكة، فقرت عينه ببلده، وهو البلد المحرم الحرام المشرف المعظم، فأنقذه الله به مما كان فيه من الشرك والكفر، وفتح له اليمن، ودانت له جزيرة العرب بكاملها، ودخل الناس في دين الله أفواجاً. ثم قبضه الله، تعالى، إليه لما له عنده من الكرامة العظيمة، فأقام الله أصحابه خلفاء بعده، فبلغوا عنه دين الله، ودعوا عباد الله إلى الله. وفتحوا البلاد والرّساتيق والأقاليم والمدائن والقرى والقلوب، حتى انتشرت الدعوة المحمدية في مشارق الأرض ومغاربها. ثم لا يزال هذا الدين قائماً منصوراً ظاهراً إلى قيام الساعة؛ ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾<sup>(١)</sup>.

(٥) قوله تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الفتح: ٢٣]، قال ابن كثير: «هذه سنة الله وعادته في خلقه، ما تقابل الكفر والإيمان في موطن فيصل، إلا نصر الله الإيمان على الكفر، ورفع الحق ووضع الباطل، كما فعل تعالى يوم بدر بأوليائه المؤمنين، نصرهم على أعدائه من المشركين، مع قلة عدد المسلمين وعددهم، وكثرة المشركين وعددهم»<sup>(٢)</sup>.

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ١٥١).

(٢) المصدر السابق (٧/ ٣٤١).

### المطلب الخامس: عنايته ببيان تطبيقات علمه الآيات وتنزيلها علمه الواقعي:

مما تميز به ابن كثير أنه يورد عند بيانه للآيات تطبيقات عليها من واقع السلف أو غيرهم أو من واقعه، وهذا جانب تدبري ينبغي على القارئ المتدبر للتفسير أن ينتبه له.

ومن الأمثلة الواردة في تفسيره في هذا الجانب:

(١) قوله تعالى: ﴿تَقَشَعْرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣]، قال ابن كثير: «... كما كان الصحابة، رضي الله عنهم عند سماعهم كلام الله من تلاوة رسول الله ﷺ تقشعر جلودهم، ثم تلين مع قلوبهم إلى ذكر الله»<sup>(١)</sup>.

(٢) قوله تعالى: ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الرؤف: ٨٩]، قال ابن كثير: «هذا تهديد منه تعالى لهم، ولهذا أحل بهم بأسه الذي لا يرد، وأعلى دينه وكلمته، وشرع بعد ذلك الجهاد والجلاد، حتى دخل الناس في دين الله أفواجا، وانتشر الإسلام في المشارق والمغرب»<sup>(٢)</sup>.

(٣) قوله تعالى ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ [الأحقاف: ١١]، قال ابن كثير: «وأما أهل السنة والجماعة فيقولون في كل فعل وقول لم يثبت عن الصحابة: هو بدعة؛ لأنه لو كان خيراً لسبقونا إليه؛ لأنهم لم يتركوا خصلة من خصال الخير إلا وقد بادروا إليها»<sup>(٣)</sup>.

(١) تفسير ابن كثير (٧ / ٥٥).

(٢) المصدر السابق (٧ / ٢٤٤).

(٣) المصدر السابق (٧ / ٢٧٨-٢٧٩).

(٤) قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩]، قال ابن كثير: «...وكل من اقتفى أثر الصحابة فهو في حكمهم، ولهم الفضل والسبق والكمال الذي لا يلحقهم فيه أحد من هذه الأمة رضي الله عنهم وأرضاهم، وجعل جنات الفردوس مأواهم، وقد فعل»<sup>(١)</sup>.

---

(١) المصدر السابق (٧/ ٣٦٣).

## المبحث الثاني

### الاستشهاد بالنصوص والآثار في الجوانب التدبرية

**المطلب الأول: التفسير بالمأثور وعلاقته بالتدبر عند ابن كثير:**

يعتبر ابن كثير من أبرز المفسرين عناية بالتفسير بالمأثور بأنواعه، بل هو الأشهر في العناية بتفسير القرآن بالقرآن والسنة، وهذا الذي أعطاه ميزة بين التفسير.

وقد أخذ ابن كثير بقاعدة شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية في أحسن طرق التفسير الذي ذكرها في المقدمة بقوله: «إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أُجْمِلَ في مكان فإنه قد فُسِّرَ في موضع آخر، وما اختُصِرَ من مكان فقد بُسِطَ في موضع آخر، فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة، فإنها شارحة للقرآن وموضحة له... وإذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدري بذلك لما شاهدوه من القرآن، والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، والعمل الصالح، لا سيما علماءهم وكبرائهم، كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين؛ مثل عبد الله بن مسعود...»<sup>(١)</sup>.

ولذلك سلك ابن كثير مسلكاً بديعاً في الترتيب، فبعد أن يذكر الآية وغرضها ومناسبتها، يذكر الآيات الشاهدة عليها إن وجدت ثم يذكر الأحاديث الواردة في موضوعها، ثم يذكر أقوال السلف في معناها، وربما يجمع أو يرجح بينها، ويعقب على الآيات أحياناً بما يناسب.

(١) مقدمة في أصول التفسير ص ٩٢، تفسير ابن كثير (١ / ٧).

وهذا المسلك الذي سلكه ابن كثير لانه ظاهرًا عند غيره من التفاسير بهذا الترتيب، وهذا ما يميز ابن كثير عن غيره.

والذي يزيد من تميزه في هذه الجانِب هو أنه لا يكتفي في إيراد الآيات والأحاديث والآثار في جانب المعنى فقط بل إنه يستشهد بها في جوانب متعددة، ومنها:

□ أن تكون الآية أو الحديث أو الأثر شاهداً على غرض الآية وموضوعها.

□ أن تكون مؤكدة لدلالاتها وهداياتها.

□ أن تكون متضمنة صورة أو مثلاً للآية.

□ أن تكون تطبيقاً من النبي ﷺ أو الصحابة والتابعين لها.

وهذه الجوانب متعلقة بالتدبر أكثر من تعلقها بالتفسير من جهة أن التدبر يتعلق بالمقاصد والموضوعات والدلالات والهدايات والصور والأمثلة والتطبيقات أكثر من تعلقه بالمعنى التفسيري، إذ أن هذه الجوانب تأتي وراء المعنى.

المطلب الثاني: استشهاده بالنصوص والآثار علمه غرض الآية وموضوعها:

كثيراً ما يستشهد ابن كثير بالنصوص والآثار في بيانه للآية تأكيداً لغرضها وموضوعها، وهذا جانب متعلق بالتدبر كما ذكرت من جهة أنه خارج حدود المعنى إلى آفاق الآية ومضمونها.

ومن أمثلة ذلك:

### (١) الاستشهاد بالقرآن:

□ قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ قال رحمه الله في بيانه لهذه الآية: «يخبر تعالى إخباراً عاماً يعم جميع الخليقة بأن كل نفس ذائقة الموت، كقوله: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ. وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾... وقوله: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ تصغير الشأن الدنيا، وتحقيراً لأمرها، دينية فانية قليلة زائلة، كما قال تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [الأعلى: ١٦، ١٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾ [الرعد: ٢٦]، وقال تعالى: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾، [النحل: ٩٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [القصص: ٦٠]»<sup>(١)</sup>.

□ قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩] قال ابن كثير: «هذه الآية الكريمة شبيهة بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]»<sup>(٢)</sup>.

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ١٧٧-١٧٩).

(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ١٤٨).

## ٢) الاستشهاد بالسنة.

□ قال تعالى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤] قال ابن كثير: «والمقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من الأمة متصدية لهذا الشأن، وإن كان ذلك واجباً على كل فرد من الأمة بحسبه، كما ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيذان»<sup>(١)</sup>. وفي رواية: «وليس وراء ذلك من الإيذان حبة خردل»<sup>(٢)</sup>.

□ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٤٣] قال ابن كثير: «أي: قد كنتم -أيها المؤمنون- قبل هذا اليوم تتمنون لقاء العدو وتتحرقون عليهم، وتودون مناجزتهم ومصابرتهم، فها قد حصل لكم الذي تمنيتموه وطلبتموه، فدونكم فقاتلوا وصابروا. وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «لا تمنوا لقاء العدو، وسلوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف»<sup>(٣)</sup>»<sup>(٤)</sup>.

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيذان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيذان (١/ ٦٩) (٤٩-٥٠)، سنن أبي داود، تفريع أبواب الجمعة، باب الخطبة يوم العيد (١/ ٢٩٧) (١١٤٠)، سنن الترمذي، أبواب الفتن، باب ما جاء في تغيير المنكر باليد.. (٤/ ٤٧٠) (٢١٧٢).

(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٩١).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب لا تمنوا لقاء العدو (٤/ ٦٣) (٣٠٢٤)، صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب كراهة تمني لقاء العدو (٣/ ١٣٦٢) (١٧٤٢)، سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب كراهة تمني لقاء العدو (٣/ ٤٢) (٢٦٣١).

(٤) تفسير ابن كثير (٢/ ١٢٧).

٣ الاستشهاد بالآثار:

□ قوله تعالى: ﴿فِيمَا رَحْمَةً مِّنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، قال ابن كثير:  
«قال الحسن البصري: هذا خلق محمد ﷺ بعثه الله به»<sup>(١)</sup>.

---

(١) المصدر السابق (٢/ ١٤٨).



### المطلب الثالث: الاستشهاد بالنصوص والآثار علمه دلالة الآية وهداياتها:

يستشهد ابن كثير على الآية بالنصوص والآثار في تأكيد دلالة الآية وهداياتها. ومن أمثلة ذلك:

#### ١) الاستشهاد بالقرآن:

- قوله تعالى: ﴿غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ﴾ [المائدة: ٣] قال ابن كثير: «أي: غير متعاط لمعصية الله، فإن الله قد أباح ذلك له وسكت عن الآخر، كما قال في سورة البقرة: ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٣]»<sup>(١)</sup>.
- قوله تعالى: ﴿وَأَيِّدِيكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ [المائدة: ٦] قال ابن كثير: «أي: مع المرافق، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٢]»<sup>(٢)</sup>.

#### ٢) الاستشهاد بالسنة:

- قوله تعالى: ﴿مُكَلِّبِينَ﴾ [المائدة: ٤] قال ابن كثير: «أي: وما علمتم من الجوارح في حال كونهن مكليات للصيد... وقد وردت السنة بمثل ما دلت عليه هذه الآية الكريمة، كما ثبت في الصحيحين عن عدي بن حاتم قال: قلت: يا رسول الله، إني أرسل الكلاب المعلمة وأذكر اسم الله. فقال: «إذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله، فكل ما أمسك عليك...»<sup>(٣)</sup>»<sup>(٤)</sup>.

(١) المصدر السابق (٣/ ٣١).

(٢) المصدر السابق (٣/ ٤٩).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب الماء الذي يغسل به شعر الإنسان، (١/ ٤٦) (١٧٥) وكتاب الصيد والذبائح، باب ما أصاب المعراض بعرضه (٧/ ٨٦) (٤٥٧٧)، صحيح مسلم، كتاب الصيد والذبائح، باب الصيد بالكلاب المعلمة، (٣/ ١٥٢٩) (١٩٢٩)، سنن أبي داود، كتاب الصيد، باب في الصيد (٣/ ١٠٨) (٢٨٤٧).

(٤) تفسير ابن كثير (٣/ ٣٤).

□ قوله تعالى: ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٧] قال ابن كثير: «دل على فضيلة الاستغفار وقت الأسحار.... وثبت في الصحيحين وغيرهما من المساند والسنن، من غير وجه، عن جماعة من الصحابة، أن رسول الله ﷺ قال: «ينزل الله تبارك وتعالى في كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: هل من سائل فأعطيه؟ هل من داع فأستجيب له؟ هل من مستغفر فأغفر له؟»<sup>(١)</sup> الحديث.»<sup>(٢)</sup>.

### (٣) الاستشهاد بالآثار:

□ قوله تعالى ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَجْعَلْ جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مريم: ٣٢] قال ابن كثير: «قال بعض السلف: لا تجد أحداً عاقاً لوالديه إلا وجدته جباراً شقيماً، ثم قرأ: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَجْعَلْ جَبَّارًا شَقِيًّا﴾، قال: ولا تجد سيئ الملكة إلا وجدته مختالاً فخوراً، ثم قرأ: ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣]»<sup>(٣)</sup>.

(١) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب الدعاء نصف الليل (٨ / ٧١) (٦٣٢١)، صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل (١ / ٥٢١) (٧٥٨)، سنن أبي داود، أبواب قيام الليل، باب أي الليل أفضل (٢ / ٣٤) (١٣١٥).

(٢) تفسير ابن كثير (٢ / ٢٣).

(٣) تفسير ابن كثير (٥ / ٢٣٠).

## المطلب الرابع: الاستشهاد بالنصوص والآثار فيه ذكر الصور وأمثلة علمه الآية:

يستشهد ابن كثير على الآية بصور وأمثلة على ماتضمنته الآية.  
ومن أمثلة ذلك:

### (١) الاستشهاد بالقرآن:

- قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [يونس: ٢]، قال ابن كثير: «يقول تعالى منكراً على من تعجب من الكفار من إرسال المرسلين من البشر، كما أخبر تعالى عن القرون الماضية من قولهم: ﴿أَبَشِّرْ يَهُودُنَا﴾ [التَّغَابُنُ: ٦]، وقال هود وصالح لقومهما: ﴿أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ﴾ [الأَعْرَافِ: ٦٣: ٦٩]، وقال تعالى مخبراً عن كفار قريش أنهم قالوا: ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥]»<sup>(١)</sup>.
- قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنَّ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢] قال ابن كثير في بيانها: «...وكذلك قال الجهلة من الأمم السالفة، كما قال قوم شعيب له: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الشعراء: ١٨٧]، وقال هؤلاء: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢]»<sup>(٢)</sup>.

(١) المصدر السابق (٤/ ٢٤٥).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ١٦).

## ٢) الاستشهاد بالسنة:

□ قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٧] قال الإمام أحمد: «حدثنا أبو كامل، حدثنا حماد، عن أبي غالب قال: سمعت أبا أمامة يحدث، عن النبي ﷺ في قوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾ قال: «هم الخوارج»، وفي قوله: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦]، قال: «هم الخوارج»<sup>(١)</sup> «<sup>(٢)</sup>».

□ قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٧٧] قال ابن كثير: «قد وردت أحاديث تتعلق بهذه الآية الكريمة فلنذكر ما تيسر منها: الحديث الأول: قال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا شعبة قال: علي بن مدرك أخبرني قال: سمعت أبا زرعة، عن خرشة بن الحر، عن أبي زر، قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم» قلت: يا رسول الله، من هم؟ خابوا وخسروا. قال: وأعاد رسول الله ﷺ ثلاث مرات قال: «المسيل، والمنفق سلعته بالخلف الكاذب، والمنان»<sup>(٣)</sup>. وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ، وَأَهْلُ السُّنَنِ، مِنْ حَدِيثِ شُعْبَةَ، بِهِ<sup>(٤)</sup>.

(١) مسند الإمام أحمد، تمة مسند الأنصار، مسند أبي أمامة الباهلي (٣٦/ ٥٩٤) (٢٢٢٥٩)، والترمذي في كتاب التفسير، باب ومن سورة آل عمران (٧٦/ ٥) (٣٠٠٠) وقال: حديث حسن، والطبراني في المعجم الكبير (٨/ ٢٧١) (٨٠٤٦) وغيرهم، قال في مجمع الزوائد (٦/ ٢٣٣): رواه الطبراني ورجاله ثقات. اهـ وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح (٢/ ١٠٥٥٩) (٣٥٥٤).

(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٩).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار... (١/ ١٠٢) (١٧)، سنن أبي داود، كتاب اللباس، باب ما جاء في إسبال الإزار (٤/ ٥٧) (٤٠٨٧)، مسند الإمام أحمد، مسند الأنصار، حديث أبي ذر الغفاري (٣٥/ ٢٤٥) (٢١٣١٨).

(٤) تفسير ابن كثير (٢/ ٦٢-٦٣).

## المطلب الخامس: الاستشهاد بالأحاديث والآثار فيه تطبيق الآية والعمل بها:

يستشهد ابن كثير على الآية بذكر أحاديث أو آثار في تطبيقها.  
ومن الأمثلة:

### (١) الاستشهاد بالسنة في تطبيق الآيات:

□ قوله تعالى ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١] أورد ابن كثير حديثاً في تأويل النبي ﷺ للآية فقال: «قال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن مسلم البطين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ كان إذا قرأ: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ قال: «سبحان ربي الأعلى»<sup>(١)(٢)</sup>.

□ قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: ١] السورة، أورد ابن كثير حديثاً في عمل النبي ﷺ بالسورة فقال: «وقال الطبراني: حدثنا زكريا بن يحيى، حدثنا أبو كامل الجحدري، حدثنا أبو عوانة، عن هلال بن خباب، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: لما نزلت: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ حتى ختم السورة، قال: نعت لرسول الله ﷺ نفسه حين نزلت، قال: فأخذ بأشد ما كان قط اجتهاداً

(١) سنن أبي داود، تفريع أبواب الركوع والسجود، باب الدعاء في الصلاة (٢٣٣/١) (٨٨٣)، مسند الإمام أحمد، مسند بني هاشم، مسند عبد الله بن عباس (٣/٤٩٥) (٢٠٦٦)، المعجم الكبير للطبراني (١٢/١٦) (١٢٣٣٥)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح و (١/٢٧١) (٨٥٩)، وصحيح أبي داود (٣٨/٤) (٨٢٦).

(٢) تفسير ابن كثير (٨/٣٧٨).

في أمر الآخرة<sup>(١)</sup>»<sup>(٢)</sup>.

□ قوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩] قال ابن كثير: «ولذلك كان رسول الله ﷺ يشاور أصحابه في الأمر إذا حدث، تطيباً لقلوبهم، ليكونوا فيما يفعلونه أنشط لهم كما، شاورهم يوم بدر في الذهاب إلى العير... وشاورهم - أيضاً - أين يكون المنزل؟ حتى أشار المنذر بن عمرو بالتقدم إلى أمام القوم، وشاورهم في أحد في أن يقعد في المدينة أو يخرج إلى العدو، فأشار جمهورهم بالخروج إليهم، فخرج إليهم. وشاورهم يوم الخندق في مصالحة الأحزاب بثلاث ثمار المدينة عامئذ، فأبى عليه ذلك السعدان: سعد بن معاذ وسعد بن عباد، فترك ذلك. وشاورهم يوم الحديبية في أن يميل على ذراري المشركين، فقال له الصديق: إنا لم نجئ لقتال أحد، وإنما جئنا معتمرين، فأجابه إلى ما قال. وقال عليه السلام في قصة الإفك: «أشيروا علي معشر المسلمين في قوم أنبوا أهلي ورموهم، وإيم الله ما علمت على أهلي من سوء، وأبنوهم بمن - والله - ما علمت عليه إلا خيراً»<sup>(٣)</sup>. واستشار علياً وأسامة في فراق عائشة، رضي الله عنها»<sup>(٤)</sup>.

(١) المعجم الكبير للطبراني (١١ / ٣٢٨) (١١٩٠٣)، ورواه النسائي في الكبرى في كتاب التفسير، سورة النصر (١٠ / ٣٤٩) (١١٦٤٨)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧ / ١٤٤): وفي إسناده هلال بن خباب، قال يحيى: ثقة مأمون لم يتغير، ووثقه ابن حبان، وفيه ضعف، وبقيه رجاله رجال الصحيح. اهـ وقال الألباني في حاشية المشكاة (٣ / ١٦٨٤): وإسناده حسن. اهـ.

(٢) تفسير ابن كثير (٨ / ٥١٠).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب إذا عدل رجل أحداً فقال لا نعلم إلا خيراً... (٣ / ١٦٧)

(٤) (٢٦٣٧)، صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب في حديث الأفك وقبول توبة القاذف (٤ / ٢١٢٩)

(٥) (٢٧٧٠)، سنن الترمذي أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة النور (٥ / ٣٣٢) (٣١٨٠).

(٤) تفسير ابن كثير (٢ / ١٤٩).



## المبحث الثالث

### كيف نستخرج الجوانب التدرية من تفسير ابن كثير

من أفضل ما يوصى به المتدبرون من كتب التفسير تفسير ابن كثير، وذلك لما تضمنه من الجوانب التدرية وأعني بها ما واره المعنى مما سبق عرضه. ولعلي في هذا المبحث أن أبين للقارئ الكريم منهجاً لقراءة تفسير ابن كثير قراءة تدرية واستخراج الجوانب التدرية منه:

#### المطلب الأول: معرفة الجوانب التدرية التي تضمنها التفسير:

من المهم للقارئ المتدبر أن يكون له منهج في قراءته لكتب التفسير قراءة تدرية، وذلك من خلال التركيز على تلك الجوانب التدرية، ومعرفة طريقة المؤلف في عرضها وبما أننا نتحدث عن ابن كثير فإنني سأذكر أهم ما وقفت عليه من الجوانب التدرية التي تضمنها التفسير مما فصلته في المبحث السابق، لتكون منطلقاً للقارئ في قراءته للتفسير.

#### أولاً: بيان غرض الآية ومناسبتها.

من أبرز ما تميز به ابن كثير أنه يستفتح الآية بذكر غرضها ومناسبتها وهو جانب زائد على المعنى مما يمكن دخوله في التدبر من حيث أن التدبر كما قال الشاطبي: «إنما التدبر لمن التفت إلى المقاصد»<sup>(١)</sup>.

وقد أوردت في المبحث السابق أمثلة على ذلك، فليراجعها القارئ الكريم.

(١) الموافقات (٤ / ٢٠٩).



ثانياً: إيرادُه للشواهد من القرآن والسنة وآثار السلف في جوانب غير متعلقة بالمعنى مباشرة بل هي تابعة له، وهي أقرب في تعلقها بالتدبر، ومنها:

(١) الاستشهاد بالآيات والأحاديث والآثار على غرض الآية ومقصودها. الاستشهاد بالآيات والأحاديث والآثار على موضوع الآية، بذكر أدلة تشهد على الموضوع التي تضمنته الآية.

(٢) الاستشهاد بالآيات والأحاديث والآثار على دلالات الآية وهداياتها تأكيداً على ما يستنبطه منها.

(٣) الاستشهاد بالآيات والأحاديث والآثار في بيان صور وأمثلة على ماتضمنته الآية.

(٤) وكل ذلك بينته مفصلاً بالأمثلة في المبحث الأول والثاني<sup>(١)</sup>.

ثالثاً: بيان ماتضمنته الآية من دلالات وهدايات مستنبطة:

وهذا الجانب ظاهر في تفسير ابن كثير، فإنك حين تقرأ فيه تجده يستخرج من الآية بعض الدلالات والهدايات اللطيفة مما يتعلق بالعمل بها. وهو جانب تدبري.

وقد أوردت في المبحث السابق أمثلة على ذلك، فليراجعها القارئ الكريم<sup>(٢)</sup>.

رابعاً: إيراد صور وأمثلة وتطبيقات على الآية وتنزيلها على الواقع.

يذكر ابن كثير أحياناً صوراً وأمثلة على ماتضمنته الآية أو تطبيقات عليها من واقع السلف أو من واقعه، وهذا جانب تدبري، ينبغي للقارئ أن يتوقف عنده.

(١) ينظر: (ص: ٥٠، ٧، ٩).

(٢) ينظر: (ص: ١٥).

وقد أوردت في المبحث السابق أمثلة على ذلك، فليراجعها القارئ الكريم<sup>(١)</sup>.

خامساً: ذكر الدروس والعبر في القصص القرآني:

مما يعنيه ابن كثير أحياناً أنه يورد بعض الدروس والعبر في بيانه للقصص القرآني، وهو جانب تدبري، ينبغي على القارئ المتدبر أن ينتبه له.

وقد أوردت في المبحث السابق أمثلة على ذلك، فليراجعها القارئ الكريم<sup>(٢)</sup>.

فهذه أبرز الجوانب التدبرية التي تضمنها التفسير، فلو أن القارئ المتدبر ركز عليها في قراءته للتفسير لاستفاد كثيراً وازداد ملكة ودربة على معرفة وبيان ماتضمنته الآية من جوانب تدبرية.

---

(١) ينظر: (ص: ١٩، ٢٢).

(٢) ينظر: (ص: ١٨).

### المطلب الثاني: طرق استخراج الجوانب التدبرية فيه تفسير ابن كثير:

لاشك أن طريقة القراءة والمنهج الذي يتبعه القارئ له أثر في النتيجة والأثر الذي يحصل عليه، فلعلنا هنا أذكر بعض الطرق المثلى لقراءة تفسير ابن كثير قراءة تدبرية واستخراج الجوانب التدبرية منه لعلنا أن تعين القارئ الكريم في قراءته واستفادته المثلى من هذا التفسير المبارك:

#### الطريقة الأولى: القراءة الجماعية وتدارس جوانب التدبر:

(١) يجتمع مجموعة من طلبة العلم، أو طالب علم مع طلاب الحلقة أو المسجد أو الجامعة.

(٢) يتفقون على مجلس تدارس أسبوعي.

(٣) يقرؤون كل أسبوع مقداراً معيناً من التفسير (ما بين ثمن - وجهان ونصف - إلى جزء)، ويكلف كل واحد منهم في استخلاص الجوانب التدبرية.

(٤) يتم التدارس في المجلس في بيان ما ذكره ابن كثير من جوانب تدبرية، بحيث يأخذون مقطعاً من الآيات بحسب تقسيم ابن كثير ويتدارسونه.

(٥) في ختام المجلس يتدارسون في أثر الآيات على أنفسهم، ويخرجون بتوصيات عملية يطبقونها.

ويمكن استثمار هذه الطريقة في قروبات الواتساب ووسائل التواصل الاجتماعي، وهي طريقة ناجحة بإذن الله.

#### الطريقة الثانية: القراءة الفردية مع الحزب اليومي.

من المهم أن يخصص الحافظ لكتاب الله تعالى أو المسلم عموماً وطالباً العلم

خصوصاً وقتاً لحزبه من القرآن يومياً، بحيث يختم في الشهر مرة أو في الشهرين مرة مع اصطحابه لتفسير من التفاسير يرجع فيما يتعلق بالمعنى وما وراءه من جوانب تدبرية. ومن أفضل التفاسير التي يحسن اصطحابها تفسير ابن كثير وتفسير السعدي. وهنا سأذكر منهاجاً مقترحاً للقارئ للجمع بين قراءة القرآن وقراءة التفسير.

(١) أن يقرأ كل يوم نصف جزء إلى جزء.

(٢) يطالع بعد قراءته تفسير ابن كثير للفهم العام للآيات مع تركيزه على الجوانب التدبرية التي ذكرتها.

(٣) يجتهد في الخروج بفوائد وهدايات يزي بها نفسه.

الطريقة الثالثة: التدرب الجماعي أو الفردي على طريقة ابن كثير في ذكر الجوانب التدبرية.

هذه الطريقة هدفها تكوين الملكة التدبرية في الجوانب التي يذكرها ابن كثير، وهي تتلخص فيما يلي:

(١) تلاوة الآية أو الآيات.

(٢) استحضار غرضها والشواهد عليها من القرآن والسنة.

(٣) استخلاص دلالات الآية وهداياتها.

(٤) استحضار صور وتطبيقات عليها.

(٥) الرجوع إلى تفسير ابن كثير للنظر فيما ذكره من الجوانب السابقة فينظر القارئ فيما ذكره ابن كثير زيادة على ما استحضره، وبذلك ينمي القارئ ملكة التدبر عنده.

## الخاتمة

الحمد لله وبعد...

فقد كان هذا البحث المختصر عن تفسير ابن كثير ومنهجه في التدبر، ولعلي أذكر أهم ما خلصت إليه:

(١) أن ابن كثير يعتبر من أبرز التفاسير التي عنيت بالجواب التدبرية. وهو بذلك يعتبر مرجعاً في التدبر.

(٢) أن ابن كثير قد عنى في التدبر بمجالات مختلفة وهي:

أ) بيان أغراض الآيات ومناسباتها.

ب) بسط الكلام فيما يتعلق بموضوع الآية.

ت) بيان دلالات الآية وهداياتها.

بيان الصور والتطبيقات وتنزيل الآية على الواقع.

(٣) أن ابن كثير في عنايته بالتفسير بالمأثور لم يكتفي بما يتعلق بالمعنى، بل إنه يورد الآيات والأحاديث والأثار في جوانب متعلقة بما وراء المعنى من المقاصد والموضوعات والدلالات والصور والتطبيقات.

## التوصيات

- ١) أدركت من خلال هذا البحث منزلة ابن كثير وتميزه في الجوانب التدبرية، مما يدعو إلى أهمية دراسة تدريس ابن كثير من خلال الجوانب التدبرية فيه.
  - ٢) أدركت أهمية ارتباط المتدبر بكتب التفسير لمعرفة جوانب التدبر فيها.
  - ٣) أوصي بطرح برامج تدبرية تنطلق من هذا التفسير بقراءة جماعية لاستخلاص الجوانب التدبرية وتكوين الملكة التدبرية من خلالها.
- هذا وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

## فهرس المصادر والمراجع.

- (١) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.
- (٢) التفسير بالمأثور مفهومه وأنواعه وقواعده، محمد بازمول.
- (٣) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، ط: دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
- (٤) السنة، أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المرّوزي، ط: مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨.
- (٥) سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السّجستاني، ط: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.
- (٦) سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، ط: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥ م.
- (٧) مسند ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي، ط: دار الوطن - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٩٩٧ م.
- (٨) مسند الإمام أحمد بن حنبل، ط: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١ م.

٩) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

١٠) مشكاة المصابيح، محمد بن عبد الله الخطيب العمري، ت: الألباني، ط: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٩٨٥.

١١) المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، دار النشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة، الطبعة: الثانية.



الجلسة الثانية: أعلام المتدبرين (مدرسة المعاصرين)  
رئيس الجلسة: حسن عباس

مظاهر التدبر عند الشيخ المفسر محمد الأمين رحمه الله تعالى  
أحمد بن محمد الأمين حسن الشنقيطي

وقفات مع مجالس القرآن  
للشيخ الدكتور فريد الأنصاري رحمه الله تعالى  
د. مولاي عمر بن حماد

منهجية التدبر عند الشيخ ابن عثيمين  
د. عبد الله بن عبد العزيز العواحي

محمد الطاهر بن عاشور ومنهجه في تدبر القرآن  
د. جمال محمود أحمد أبو حسان

تدبر القرآن



## السيرة الذاتية لرئيس الجلسة الثانية

« الاسم: حسن بن مسعود عباس.

« مكان وتاريخ الميلاد: تونسي ألباني - ٨/١٠/١٩٦٧م.

« الجوال: ٠٠٣٥٥٦٧٣٨٤٠٥١١

« البريد الالكتروني:

Hasanma2013@gmail.com

Skype: hasanma00

« المؤهلات العلمية:

- الإجازة العالية في الشريعة-الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة.

- إجازة في الحقوق جامعة كريستال تيرانا ألبانيا.

- ماجستير في القانون العام - جامعة كريستال تيرانا ألبانيا.

« المؤهلات العملية:

- العمل بمؤسسات اسلامية بين الإدارة والدعوة والتدريس لما يزيد عن ٢٠ سنة

بألبانيا وكوسوفو.

- مدير مركز البحوث والدراسات الاستراتيجية بمؤسسة الوقف الاسلامي ٢٠٠٧

برشتينا كوسوفا.

- مدير عام مؤسسة فونداكوس الخيرية بكوسوفو ٢٠١٠ - إلى شهر يوليو ٢٠١١م.

- رئيس جمعية المحافظة على القرآن الكريم والأخلاق الفاضلة بصفاقس الغربية  
تونس ٢٠١١- إلى ٢٠١٤ م.

- إمام وخطيب جامع الصافي بصفاقس ٢٠١٢ م.

- نائب رئيس مرصد الحقوق والحريات بتونس حالياً.

- الأمين العام لرابطة علماء المغرب العربي حالياً.

- عضو رابطة علماء المسلمين حالياً.

**مظاهر التدبر عند الشيخ المفسر  
محمد الأمين رحمه الله تعالى**

إعداد

**أحمد بن محمد الأمين حسن الشنقيطي**

.....



## السيرة ذاتية للباحث

« الاسم: أحمد بن محمد الأمين بن حسن الشنقيطي

« الجنسية: سعودي، ولد في المدينة المنورة عام ١٤٠٤ هـ.

« العمل: محاضر بقسم القراءات في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

« حصل على شهادة البكالوريوس من كلية القرآن الكريم في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٤٢٧ هـ.

« حصل على شهادة الماجستير من قسم القراءات في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٤٣٤ هـ.

« في طور إعداد رسالة الدكتوراه حالياً.

- مجاز بالقراءات العشر الصغرى والكبرى من الشيخ إيهاب فكري.

- مجاز بالقراءات العشر الصغرى والكبرى من الشيخ حامد أكرم بخاري.

- مجاز بالقراءات العشر الصغرى من الشيخ محمد بيبا فاليل.

- مجاز برواية حفص من الشيخ إبراهيم الأخضر والشيخ محمد أبو رواش والشيخ

عبد الله عمر وغيرهم.





## المقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب، هدىً وذكرى لأولي الألباب، وحلاه بالأحرف السبعة، وكمال الشرعة، وفصل الخطاب، وأودع فيه من الأسرار العجب العجاب، وصانه من شين اللحن، وطرو المحو، ومن كل ما يستراب، وجعله الآية الباقية على امتداد الأحقاب، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الكريم الوهاب، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله النبي الأواب، صلى الله عليه وعلى آله والأصحاب، أما بعد:

فإنّ من دواعي سروري وشكري لله جل وعلا أن أتقدم للهيئة العالمية لتدبر القرآن الكريم بهذا البحث؛ للحصول على شرف المشاركة في مؤتمرها الدولي الثاني، وعنوان هذا البحث: «مظاهر التدبر عند الشيخ المفسر محمد الأمين»، وهذه المظاهر تُدَوّن في أوسع من ذلك، ولكني أوردتها على سبيل الإجمال والإيجاز، واستغنيت بظهور المثال عن التعليق وإبراز وجه الاستشهاد؛ خشية أن يطول البحث، ويخرج عن المقصود.

واقترضت طبيعة هذا البحث أن ينقسم إلى مبحثين وخاتمة، على النحو التالي:

المبحث الأول: التعريف بالشيخ الأمين، وبيان المراد بمظاهر التدبر، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: نبذة يسيرة عن الشيخ محمد الأمين رحمه الله.

المطلب الثاني: المراد بظواهر التدبر.

المبحث الثاني: مظاهر التدبر عند الشيخ محمد الأمين رحمه الله، وقد اشتمل على

عشرة مظاهر.

## المبحث الأول

### التعريف بالشيخ الأمين، وبيان المراد بمظاهر التدبر،

#### وفيه مطلبان:

المطلب الأول: نبذة يسيرة عن الشيخ محمد الأمين رحمه الله:

هو العلامة محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر بن محمد بن أحمد نوح بن محمد بن سيدي بن أحمد بن المختار، من أولاد يعقوب بن جاكان الأبر؛ جد القبيلة الكبيرة المشهورة المعروفة بالحكنيين، ويعرفون بتجكانت، ويرجع نسب القبيلة إلى حمير. ويُلقب الشيخ بـ«آبا»؛ بمد الهمزة.

ولد رحمه الله (عام ١٣٢٥هـ)، وكان مسقط رأسه رحمه الله في موريتانيا، في كيفا.

نشأ - أحسن الله مثواه - في جو يغلب عليه طلب العلم، وقد نما وترعرع وشب متأثراً بالوسط القبلي المحيط به؛ وهو وسط تحتضنه البادية، ويغلب عليه التنقل من مكان إلى آخر طلباً للمناخ الأصح، تحدّث عن طفولته فقال: «توفي والدي وأنا صغير أقرأ في جزء عم، وترك لي ثروة من الحيوان والمال، وكانت سكناي في بيت أخوالي، وأمّي ابنة عم أبي، وحفظت القرآن على خالي عبد الله بن محمد المختار بن إبراهيم بن أحمد نوح؛ جد الأب المتقدم»، وبعد أن رسخت قدمه في العلم قرر الخروج من بلاده لأداء فريضة الحج في السابع من شهر رجب، عام (١٣٦٧هـ)، على نية العودة، وكان سفره برأ، وقد كتب أثناءه رسالة سماها رحلة الحج، ضمنها مباحث جليلة، وبعد وصوله إلى هذه البلاد في أواخر شهر ذي القعدة، من عام (١٣٦٧هـ) تجددت نية بقائه في المملكة العربية السعودية.

وكان زاهداً ورعاً، لم تكن الدنيا تساوي عنده شيئاً، فلم يكن يهتم لها، ومنذ وجوده في المملكة العربية السعودية وصلته بالحكومة حتى فارق الدنيا لم يطلب عطاءً، ولا مرتباً، ولا ترفيحاً لمرتبه، ولا حصولاً على مكافأة أو علاوة، ولكن ما جاءه من غير سؤال أخذه، وما حصل عليه لم يكن يستبقيه، بل يوزعه في حينه على المعوزين؛ من أرامل ومنقطعين، وكان مستغنياً بعفته وقناعته، بل إنّ حقه الخاص ليتركه تعففاً عنه؛ كما فعل في مؤلفاته وهي فريدة في نوعها، لم يقبل التكسب بها، وتركها لطلبة العلم، وكان يقول: «لقد جئت معي من البلاد بكنز عظيم يكفيني مدى الحياة وأخشى عليه الضياع، فقبل له: وما هو؟ قال القناعة».

توفي رحمه الله ضحى يوم الخميس الموافق: ١٧/١٢/١٣٩٣هـ، وكانت وفاته بمكة المكرمة، مرجعه من الحج، ودفن في مقبرة المعلاة<sup>(١)</sup>.

(١) ينظر ترجمة الشيخ في: أضواء البيان: (٩/٤٧٩-٤٨٣)، وجهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف لعبد العزيز الطويان: (١/٢٩-٣٣).

## المطلب الثاني: المراد بظواهر التدبر.

إن عبارات العلماء اختلفت في تبين المراد بالتدبر، وإن كانت عبارتهم متقاربة من حيث المقصود العام للتدبر، ومن باب الاختصار، أقتصر على كلام الإمام ابن القيم - رحمه الله - في تبين معنى التدبر، حيث قال: «هو تحديق ناظر القلب إلى معانيه، وجمع الفكر على تدبره وتعقله، وهو المقصود بإنزاله، لا مجرد تلاوته بلا فهم ولا تدبر، قال الله تعالى: ﴿ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [ص: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَذَّبَرُوا الْقَوْلَ ﴾ [المؤمنون: ٦٨]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الزخرف: ٣]»<sup>(١)</sup>.

وأما بالنسبة لمرادي بظواهر التدبر في هذا البحث فهو: كل ما كان ناتجاً بسبب الفهم الصحيح للقرآن الكريم، والتفكير والتأمل في معانيه، سواء كان هذا الناتج حسياً أم معنوياً، ويشمل ذلك ما كان على سبيل الاستنباط؛ إذ الاستنباط الغالب أن يكون ناتجاً عن التدبر.

(١) مدارج السالكين: (١/٤٤٩).

## المبحث الثاني

### مظاهر التدبر عند الشيخ محمد الأمين رحمه الله

#### المظهر الأول: مؤلفاته المتعلقة بالقرآن الكريم:

إنّ مؤلفات الشيخ -رحمه الله- المتعلقة بالقرآن التي خلفها للأمة هي نتيجة تفكير وتأمل وتدبر عميق في القرآن الكريم، وأبرز هذه المؤلفات سفره العظيم الموسوم بـ «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن»، حيث رسم فيه المنهج السليم لتفسير القرآن الكريم، وفسر كلام الله بعضه ببعض، وأبان أحكامه وحكمه، وفتح كنوزه، وأظهر نفائسه، ونشر درره بين يدي طلبة العلم. إنّ تفسير القرآن بالقرآن كان معروفاً عند المفسرين المتقدمين، وكان مضمّناً في تفاسيرهم، ولكن الجديد عند الشيخ هو: أفراد تفسير القرآن بالقرآن في تفسير مستقل، وإلزام نفسه بإيضاح القرآن بالقرآن، وهذا العمل كلّف الشيخ الكثير من الفكر والتأمل في آيات القرآن<sup>(1)</sup>، حتى ظهرت الفوائد والدرر النفيسة، التي يتلذذ بها كل من تناول تفسيره بالمطالعة أو الدراسة.

ومن هذه المؤلفات: «منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز»، حيث ضمن هذا المؤلف إبطال إجراء المجاز في آيات الأسماء والصفات، وإبقائها على الحقيقة، وهذا مبحث دقيق نتج عن فهم عميق لمعاني القرآن الكريم.

ومن هذه المؤلفات: «دفع إيهاّم الاضطراب عن أي الكتاب»، أبان فيه نوعاً من أنواع المشكل، وهو: ما يوهم التعارض والاختلاف في القرآن كاملاً، وهذا المؤلف كذلك نتيجة فهم عميق وتأمل في القرآن الكريم.

(1) وهذا ذكره طلابه الذين كان يملئ عليهم تفسيره.

## المظهر الثاني: الاستنباطات التفسيرية التي لم يسبق إليها:

إنَّ القرآن الكريم مجرد لا تكدره الدلاء، مشتمل على الكثير من الكنوز والدرر، ولا تنقضي عجائبه، ولا تنضب مشاربه، والعلماء متفاوتون في إدراك عجائب القرآن وأسراره، فالله عز وجل يفتح على من يشاء من عباده، ويكشف له عن شيء من أسرار القرآن، وربما فتح الله عليه بما لم يخطر على بال أحد ممن تقدمه من العلماء، وهذا لا يخفى على من طالع كتب المفسرين الراسخين في العلم، والاطلاع على أسرار القرآن لا يكون إلا بعد تأمل وتدبر للقرآن، والشيخ الأمين -رحمه الله- فتح الله عليه باستنباطات لم يسبق إليها، فإليك نموذجان من هذه الاستنباطات:

**النموذج الأول:** قال رحمه الله: «اعلم أولاً أنَّ ابن عباس رضي الله عنهما سئل عن الجمع بين آية «السَّجْدَة»<sup>(١)</sup> وآية «التَّازِعَات»<sup>(٢)</sup>، فأجاب: بأنَّ الله تعالى خلق الأرض أولاً قبل السَّماء غير مدحوة، ثم استوى إلى السَّماء فسَوَّاهنَّ سبعاً في يومين ثمَّ دحا الأرض بعد ذلك وجعل فيها الرِّواسي والأنهار وغير ذلك، فأصل خلق الأرض قبل خلق السَّماء ودحوها بجبالها وأشجارها ونحو ذلك بعد خلق السَّماء... وهذا الجمع الذي جمع به ابن عباس بين هاتين الآيتين واضح لا إشكال فيه، مفهوم من ظاهر القرآن العظيم، إلا أنَّه يرد عليه إشكال من آية «البقرة»<sup>(٣)</sup> هذه، وإيضاحه: أنَّ ابن عباس جمع بأنَّ خلق الأرض قبل خلق السَّماء، ودحوها بما فيها بعد خلق السَّماء.

وفي هذه الآية التصريح بأنَّ جميع ما في الأرض مخلوق قبل خلق السَّماء؛ لأنَّه قال فيها: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ﴾ [البقرة: ٢٩]، وقد مكثت

(١) يقصد آية سورة فصلت، وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ أَيُّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَقَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾.

(٢) هي قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾.

(٣) هي قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾.

زمناً طويلاً أفكر في حلّ هذا الإشكال، حتّى هداني الله إليه ذات يوم، ففهمته من القرآن العظيم، وإيضاحه أنّ هذا الإشكال مرفوع من وجهين، كلٌّ منهما تدلُّ عليه آية من القرآن: الأول: أنّ المراد بخلق ما في الأرض جميعاً قبل خلق السماء: الخلق اللغويّ الذي هو التقدير، لا الخلق بالفعل الذي هو الإبراز من العدم إلى الوجود، والعرب تُسمّي التقدير خلقاً... والدليل على أنّ المراد بهذا الخلق التقدير، أنّه تعالى نصّ على ذلك في سورة «فصلت» حيث قال: ﴿وَقَدَرْنَا فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ [فصلت: ١٠]، ثم قال: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ [فصلت: ١١].

الوجه الثاني: أنّه لما خلق الأرض غير مدحوة، وهي أصل لكل ما فيها، كان كل ما فيها كأنه خلق بالفعل لوجود أصله فعلاً، والدليل من القرآن على أنّ وجود الأصل يمكن به إطلاق الخلق على الفرع، وإن لم يكن موجوداً بالفعل، قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ ﴿الْأعراف: ١١﴾، قوله: خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ: بِخَلْقِنَا وَتَصْوِيرِنَا لأبيكم آدم الذي هو أصلكم»<sup>(١)</sup>.

النموذج الثاني: سئل الشيخ -رحمه الله- عن رأيه فيما يزعمه الغرب من وصولهم إلى القمر. فقال: «إن الكتاب العزيز يقول: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا﴾ [الأنبياء: ٣٢]، ويقول: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ [نوح: ١٥ - ١٦]، وقال تعالى: ﴿نَبَارَكُ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ [الفرقان: ٦١]، إلى غير ذلك من الآيات التي يدل ظاهرها على أنّ القمر في السماء، بمعنى (في) المتبادر منها.

وإذا كان ذلك كذلك فإنّ الله تعالى يقول في كتابه العزيز: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا﴾، وقال تعالى: ﴿وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ﴾ [الصافات: ٧]، ومعلوم أنّ من

(١) دفع إيهام الاضطراب: (١٦-١٨).

الإنس شياطين كما تكون من الجن، يتحصل منه أن الواجب علينا حمل الوحي على الظاهر المتبادر منه، وهو: أنّ القمر في السماء، وأنّ السماء محفوظة بحفظ الله من أن يصلها أي شيطان كائناً ما يكون إنساناً أم جنّاً.

إذا ثبت -بما يثبت شرعاً- أنّ هؤلاء وصلوا القمر فعلاً بوسائلهم الخاصة قلنا: إننا لم نفهم ما يقوله القرآن على حقيقته....».

ثم قال: «على أني استنبطت من آية من سورة (ص) أنّ هؤلاء سوف يعترفون بعجزهم عن الوصول إليه، وهو استنباط لم يسبقني أحد إليه، بل أكثر أهل التفسير على أنّ المقصود به جند الله يوم بدر، وهزيمته لأعداء الله. والآية هي قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ۗ ﴿١٠﴾ جُنْدٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ ۗ﴾ [ص: ١٠ - ١١]، والذي ظهر لي من هذه الآية أنّ ما بين السماوات والأرض عالم لا يعلمه إلا الله، تمدّح الله بملكه؛ لأنّ الله لا يتمدّح بملك لا شيء.

ومن قوله تعالى: ﴿فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ۗ﴾ فهمت أنّه تعالى تحدى من لا يسلم ملك السماوات والأرض وما بينهما له وحده، لا شريك له في ذلك، فيأمره بالارتقاء والصعود في أسباب السماوات والأرض، والأسباب الطرق.

ومن قوله تعالى: ﴿جُنْدٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ ۗ﴾ فهمت أنّه يريد - والله تعالى أعلم- أنّ جنداً ما؛ أي: خلقاً من خلق الله في آخر الدنيا، أبهمه بالاسم المبهم: (ما) الذي نعتّه به، وقوله: (هنالك) نعت البعيد، يشير إلى أن هذا المنتنع يكون في آخر الدنيا.

وقوله تعالى: ﴿مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ ۗ﴾ يظهر منه - والله تعالى أعلم- أنّ هذا المنتنع سوف يعترف بهزيمته»<sup>(١)</sup>.

(١) مجالس مع الشيخ محمد الأمين للشیخ أحمد بن محمد الأمين بن أحمد الجكني: (١٣٦-١٣٨).



## المظهر الثالث: استحضر الآيات المتفقة لفظاً ومعناً، أو متفقة معناه فقط:

إنّ استحضر الآيات المتشابهات من الناحية اللفظية في الذاكرة الحاضرة أمر عسير على جَلّ الحفاظ، إذ يُكلفهم ذلك الكثير من التفكير وعصف الذهن، ومع ذلك لا يسلمون من فوت الكثير، وإنّ مما امتاز به الشيخ الأمين -رحمه الله- شدة استحضاره للآيات المتشابهات، وكأنها وردت في موضع واحد من القرآن، بل إنه تجاوز هذه المرحلة إلى مرحلة أعلى، وهي: استحضر الآيات المتفقة في الدلالة؛ أي التي اتفقت من الناحية المعنوية فقط، وليس بينهما اتفاق ولا تقارب لفظي، وهذه المهارة لا تتكون لدى الإنسان إلا بعد طول إمعان نظر وتفكير وتأمل في القرآن الكريم، وهذا الاستحضر كان ظاهراً في مصنفات الشيخ ودروسه، وأسوق مثلاً يجلي هذا المظهر وهو:

في مناقشته لمسألة فناء النار، عند ما بحث المسألة بالدليل الجدلي المعروف بـ«السبر والتقسيم»، وأقرّ القول بعدم فناء النار، حيث قال: «فلم يبق إلا الاحتمال السادس، وهو: أنها أبدية وعذابها لا ينقطع، وقد جاء ذلك مبيناً في كتاب الله في خمسين موضعاً منه»<sup>(١)</sup>.

فسرد لهم الآيات مرتبة بحسب ترتيب المصحف، وكأنها جاءت مسرودة في موضع واحد<sup>(٢)</sup>.

ومن هذه الآيات الخمسين: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٣٩]، وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسْرَتٍ

(١) مجالس مع الشيخ الأمين: (٥٣-٥٨).

(٢) ينظر: مجالس مع الشيخ الأمين: (٥٨).

عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿البقرة: ١٦٧﴾، وقوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿هود: ٣٩﴾<sup>(١)</sup>، فهذه بعض الآيات التي استدل بها، والتباين اللفظي بينها ظاهر، مع الاتفاق المعنوي بينها، وهو الدلالة على استمرار عذاب جهنم وعدم انقطاعه.

### المظهر الرابع: استخدام القرآن في الترجيح في المسائل الخلافية:

عند مناقشة المسائل الخلافية كثيراً ما يُرجح الشيخ الأمين - رحمه الله - القول الذي فيه موافقة للقرآن، أو القول الذي يُمكن أن يُستنبط من القرآن ما يدل عليه، وفي ذلك يقول: «قلت ما قلتُ اعتماداً على نص من كتاب الله قطعي المتن وقطعي الدلالة، وما كنت لأردّ نصاً قطعي المتن قطعي الدلالة بنص ظني المتن ظني الدلالة عند الترجيح بينهما»<sup>(٢)</sup>، ومن أمثلة استخدام القرآن في الترجيح:

في تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا لَهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَّداً ﴿الكهف: ١٢﴾، قال الشيخ الأمين - رحمه الله -: «ذكر جَلَّ وعلا في هذه الآية الكريمة: أَنَّ مَنْ حَكَمَ بعثه لأصحاب الكهف بعد هذه التَّوْمَةِ الطَّوِيلَةِ: أَنَّ يُبَيِّنَ لِلنَّاسِ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ الْمُخْتَلِفَيْنِ فِي مُدَّةِ لَبِثِهِمْ أَحْصَى لذلك وأضبط له، ولم يُبَيِّنْ هنا شيئاً عن الحزبين المذكورين، وأكثر المُفسِّرين على أَنَّ أحد الحزبين هم أصحاب الكهف، والحزب الثَّانِي هم أهل المدينة الَّذِينَ بُعثَ الفتية على عهدهم، حين كان عندهم التَّارِيخُ بأمرِ الفتية، وقيل: هما حزبان من أهل المدينة المذكورة، كان منهم مؤمنون وكافرون، وقيل: هما حزبان من المؤمنين في زمن أصحاب الكهف...».

(١) ينظر: مجالس مع الشيخ الأمين: (٦٢-٦٥).

(٢) أضواء البيان: (٤/٤٩٩).

ثم قال: «والذي يدلُّ عليه القرآن: أنَّ الحزبين كليهما من أصحاب الكهف، وخير ما يفسر به القرآن القرآن، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِئْتُمْ قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِئْتُمْ ﴾ [الكهف: ١٩]»<sup>(١)</sup>.

ومن أمثلة ذلك قوله في حكم تقديم الإحرام بالحج على ميقاته الزماني: «والتحقيق الذي يدلُّ عليه القرآن هو: قول من قال: إنَّ الحجَّ لا ينعقد في غير زمنه، كما أنَّ الصلاة المكتوبة لا ينعقد إحرامها قبل وقتها»<sup>(٢)</sup>.

ومن أمثلة ذلك قوله في الخلاف في معنى قوله تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ [الرعد: ٧] «وأقرب الأوجه المذكورة عندنا، هو: ما يدلُّ عليه القرآن العظيم وهو الوجه الرابع، وهو: أنَّ معنى الآية: ولكلِّ قومٍ هادٍ، أي: لكلِّ أمةٍ نبيٍّ، فلست يا نبيَّ الله بدعاً من الرُّسل. ووجهٌ دلالة القرآن على هذا كثرة إتيان مثله في الآيات»<sup>(٣)</sup>.

### المظهر الخامس: البراعة في استنباط الأدلة من القرآن الكريم:

إن القرآن الكريم لكونه أصلاً شرعياً نعتمد عليه في تقرير الأحكام الشرعية وأحكام الحياة، وتحديد المسلك السليم، والطريق القويم، نحتاج حاجة ملحة إلى استنباط الأدلة التي نبنى عليها الأحكام، فأكثر الأدلة يكون ظاهراً بالنسبة للعلماء، وهناك نوع من الأدلة لا يبدو للناظر في القرآن إلا بعد طول وتأمل وتدبر فيه، واستنباط هذا النوع من الأدلة هو مما فتح الله به على الشيخ الأمين رحمه الله، وإليك أمثلة على ذلك:

(١) أضواء البيان: (٣/ ٢٠٩).

(٢) مجالس مع الشيخ الأمين: (٤١).

(٣) دفع إيهام الاضطراب: (١٨٠).

□ قال في تقرير أن الترك يُعتبر فعلاً: «والتحقيق أن التروك أفعال يزيناها الشيطان، يدخل صاحبها بها النار، ويثاب بها فيدخل الجنة بسببها... وقد كان ابن السبكي - تاج الدين - قال: طالعت كتاب الله فوجدت آية من كتاب الله في سورة الفرقان<sup>(١)</sup> يفهم منها أن الترك فعل.

ونحن نقول: إن هذه الآية التي أوردها ابن السبكي لا يظهر لنا وجه الدلالة منها كل الظهور، إلا أنا اطلعنا على آيتين من سورة المائدة كليهما صريحة في أن الترك من الأفعال، وأنه من الأعمال التي يؤاخذ بها الإنسان... أما الآيتان اللتان عثرنا عليهما في سورة المائدة، الدالتان على أن الترك فعل من الأفعال:

فإحدهما: قوله تعالى: ﴿لَوْلَا يَتَّبِعُهُمُ الْرَبَّيْنِيُّونَ وَالْأَحْبَابُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِيمَانُ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة: ٦٣]، وإنشاء الذم بقوله: «لبئس» هنا متوجه إلى ترك الربانيين والأحبار النهي، وقوله: «لبئس ما كانوا يصنعون» أي: بئس ما يصنعه الربانيون والأحبار وهو تركهم، فسمى تركهم الأمر بالمعروف صنعاً، والصنع أخص من مطلق الفعل... والآية الأخرى: قوله في المائدة أيضاً: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٩]...<sup>(٢)</sup>.

□ ادعى رجل أن التاريخ محفوظ من عهد آدم إلى يومنا هذا، فقال له الشيخ الأمين - رحمه الله - «لا تقل هذا، التاريخ غير محفوظ»، فقال الرجل: هذا ابن كثير في البداية والنهاية أتى مبيناً وقائع كل سنة فهو محفوظ، فقال الشيخ الأمين - رحمه الله - إن الله يقول: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٤].

(١) هي قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ الفرقان: ٣٠.

(٢) ينظر: العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير: (٥/٩٦-٩٧).

فأجاب الرجل: يمكن أن يكون قصهم عليه في نوع آخر من الوحي غير التنزيل.  
 فقال الشيخ: أحسنت في جوابك عن هذه، ولكن ما هو جوابك عن قوله تعالى:  
 ﴿الرَّيَاءُتِكُمْ نَبْؤُا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمٌ نُوحُوا وَعَكَادٍ وَثُمُودًا ۗ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا  
 يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾ [إبراهيم: ٩]، أفعلمهم ابن كثير حتى يكتب عنهم؟!<sup>(١)</sup>.

□ قال في مسألة الثواب المترتب على النظر إلى الكعبة: «الأثر الوارد بهذا ضعيف لا  
 يصلح للاحتجاج، ولا أتذكر أنّ في القرآن اعتباراً للناظرين، بل إن الله تعالى قال:  
 ﴿وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [الحج: ٢٦]<sup>(٢)</sup>.

#### المظهر السادس: بناء الأحكام التفسيرية علمه الاستقراء:

إنّ الأحكام المبنية على الاستقراء - في أي علم من العلوم- لا تكون إلا بعد سير  
 ودراسة واستطلاع كامل، فهي عبارة يسيرة - أعني الاستقراء- ولكنها لا يتجاسر  
 أحد عليها إلا بحقها، والأحكام التفسيرية مثل غيرها من الأحكام في الاعتضاد  
 بالاستقراء، وإذا قال المفسر-مثلاً- هكذا استخدام القرآن بالاستقراء، يدل ذلك على  
 أنه أعمل فكره في كل مواضع القرآن، وبلغ الغاية في التأمل والتفكير حتى وصل إلى  
 هذه النتيجة، وهي تقوية الحكم بدليل الاستقراء، والشيخ الأمين - رحمه الله- كثيراً  
 ما يستدل باستقراء القرآن في المسائل الخلافية، من الأمثلة على ذلك:

□ قال عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ [الأنعام: ٢]، «يعني  
 إن شئتم، فلا يدلُّ هذا الأمر على إيجاب الاصطياد عند الإحلال، ويدلُّ له

(١) ينظر: مجالس مع الشيخ الأمين: (٤٨).

(٢) ينظر: مجالس مع الشيخ الأمين: (٨٣).

الاستقراء في القرآن، فإنَّ كلَّ شيء كان جائزاً، ثمَّ حرِّم لموجب، ثمَّ أمر به بعد زوال ذلك الموجب، فإنَّ ذلك الأمر كلّه في القرآن للجواز، نحو قوله هنا: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾، وقوله: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الجمعة: ١٠]...<sup>(١)</sup>.

□ مثال آخر، قال - رحمه الله -: «أمَّا القول الذي يدلُّ استقراء القرآن على رجحانه فهو: أنَّ الحروف المقطّعة ذُكرت في أوائل السُّور التي ذُكرت فيها بياناً لإعجاز القرآن، وأنَّ الخلق عاجزون عن معارضته بمثله، مع أنَّه مركَّب من هذه الحروف المقطّعة التي يتخاطبون بها...»<sup>(٢)</sup>.

□ مثال آخر، قال - رحمه الله -: «قد دلَّ استقراء القرآن العظيم أنَّ الفتنة فيه أطلقت على أربعة معانٍ...»<sup>(٣)</sup>. والمعاني الأربعة هي: الإحراق بالنار، والاختبار، ونتيجته إذا كانت سيئة، والحجة.

## المظهر السابع: عقد المقارنات القائمة على الاستنباط.

إنَّ عقد المقارنات بين الأشياء تتطلب استيعاباً وفهماً كاملاً للأطراف المقارن بينها، ويحتاج المُقارن إلى الفهم العميق ودقة الملاحظة، التي يتوصل بها إلى استنتاج الفروق، والشيخ الأمين - رحمه الله - عقد مقارنات لطيفة في تفسيره، امتازت بدقة الملاحظة، وعمق الفهم للقرآن الكريم، وهي حصيلة تفكير وتدبر لكلام الله عز وجل، وهذا مثال على مقارنة من مقارناته:

(١) أضواء البيان: (١/٣٢٦).

(٢) أضواء البيان: (٢/١٦٦).

(٣) أضواء البيان: (٥/٥٥٩)، لزيادة الأمثلة ينظر الأضواء: (٦/١٢٥) و (٧/٣٨) و (٧/٥٣٨).

عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَبْنَى إِسْرَاءَ بِلْ أَدْكُرُوا نَعْمَى الْبَى أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنى فَصَلَّائِكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٤٧]، قال رحمه الله: «لا يُعارض قوله تعالى فى تفضيل هذه الأمة: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]؛ لأنَّ المراد بالعالمين عالمو زمانهم، بدليل الآيات والأحاديث المصرحة بأنَّ هذه الأمة أفضل منهم، كحديث معاوية بن حيدة القشيري في المسانيد والسُّنن قال: قال رسول الله ﷺ: (أَنْتُمْ تَوْفُونَ سَبْعِينَ أُمَّةً، أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ) (١).

ألا ترى أنَّ الله جعل المُقتصد منهم هو أعلام منزلة، حيث قال: ﴿مَنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٦٦]، وجعل فى هذه الأمة درجة أعلى من درجة المُقتصد، وهي: درجة السابق بالخيرات، حيث قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ﴾ [فاطر: ٣٢] (٢).

وقال أيضاً: «ومما يدل على أفضلية أمة محمد ﷺ على بني إسرائيل أنَّ الابتلاء الذى يظهر به الفضل وعدمه إنما يكون بخوف أو بطمع، وقد ابتلى أصحاب محمد ﷺ بخوف وابتلاهم بطمع، وابتلى بني إسرائيل بخوف وابتلاهم بطمع. أما الخوف الذى ابتلى الله به أصحاب محمد ﷺ فهو أنهم لما غزوا غزاة بدر... بخلاف بني إسرائيل لما امتحنوا بخوف...

وقد امتحن الله جلّ وعلا أصحاب محمد ﷺ فى عمرة الحديبية بالصيد وهم محرمون، فهياً لهم جميع أنواع الصيد، من الوحوش والطيور من كبارها وصغارها، ولم يعتد رجل منهم، ولم يصد فى الإحرام، كما بينه جلّ وعلا بقوله: ﴿لَيْبَلُوكُمْ اللَّهُ بَشَىءٍ

(١) مسند الإمام أحمد، رقم الحديث: ٢٠٠١٥، المستدرک للحاكم، رقم الحديث: ٦٩٨٨.

(٢) دفع إيهام الاضطراب: (٢٤-٢٥).

مِنَ الصَّيْدِ تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ ﴿ [المائدة: ٩٤]، فما مد منهم رجل يده إلى الصيد.

فظهر بهذا أنّ كلتا الأمتين امتحنحت بصيد، وأنّ هؤلاء اعتدوا على ذلك الصيد، فمسخوا قرده، وأنّ أولئك اتقوا الله. كذلك امتحنوا بخوف من عدو فصبر هؤلاء وثبتوا، وخاف هؤلاء وجبنوا، فدل هذا على أنهم أفضل منهم...<sup>(١)</sup>.

### المظهر الثامن: ربط آيات القرآن بواقع الناس:

إنّ من أهم المزايا التي تزيد من قيمة التفسير: إظهار العلاقة بين الآية المفسّرة وواقع الناس، وربط آيات القرآن بواقع الناس الذي يعيشونه، كأنّ يجلّي المفسر خطأ فعل من الأفعال الاجتماعية معتمداً في ذلك على الاستنباط من القرآن، أو يقوم المفسر بتصحيح بعض القيم أو المفاهيم بناءً على استنباطات قرآنية، أو يقوم بإبراز المواقف السياسية الصحيحة في قضايا الأمة المعاصرة مستدلاً على ذلك بإشارات القرآن، والشيخ الأمين - رحمه الله - كان كثيراً ما يربط التفسير بواقع الناس الذي يعيشونه، ويعالج قضايا الأمة من خلال تفسير القرآن، وإليك أمثلة على ذلك:

عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، قال رحمه الله: «وهذه الآية الكريمة أجمل الله جلّ وعلا فيها جميع ما في القرآن من الهدى إلى خير الطرق وأعدّها وأصوبها، فلو تتبّعنا تفصيلها على وجه الكمال لأتينا على جميع القرآن العظيم لشمولها لجميع ما فيه من الهدى إلى خيري الدُّنيا والآخرة، ولكننا إن شاء الله تعالى سنذكر جملاً وافرة في جهات مختلفة كثيرة من هدى القرآن للطريق التي هي أقومّ بياناً لبعض ما أشارت إليه الآية الكريمة، تنبيهاً ببعضه على

(١) ينظر: مجالس مع الشيخ الأمين: (١٤٩-١٥٣).



كله من المسائل العظام، والمسائل التي أنكرها الملحدون من الكفار، وطعنوا بسببها في دين الإسلام، لقصور إدراكهم عن معرفة حكمها البالغة... فمن ذلك توحيد الله جلَّ وعلا... ومن هدي القرآن للتي هي أقوم: جعله الطلاق بيد الرجل... ومن هدي القرآن للتي هي أقوم: إباحته تعدد الزوجات إلى أربع... ومن هدي القرآن للتي هي أقوم: تفضيله الذكر على الأنثى في الميراث... ومن هدي القرآن للتي هي أقوم: ملك الرقيق المُعَبَّر عنه في القرآن بملك اليمين في آيات كثيرة... ومن هدي القرآن للتي هي أقوم: القصاص... ومن هدي القرآن للتي هي أقوم: رجْم الزَّانِي المُحْصَن ذكراً كان أو أنثى، وجلد الزَّانِي البكر مائة جلدة ذكراً كان أو أنثى... ومن هدي القرآن للتي هي أقوم: هديه إلى أن التَّقَدُّم لا يُنافي التَّمَسُّك بالدين، فما خيَّله أعداء الدين لضعاف العقول ممن ينتمي إلى الإسلام: من أن التَّقَدُّم لا يمكن إلا بالانسلاخ من دين الإسلام، باطل لا أساس له، والقرآن الكريم يدعو إلى التَّقَدُّم في جميع الميادين التي لها أهميَّة في دنيا أو دين، ولكن ذلك التَّقَدُّم في حدود الدين، والتَّحَلِّي بأدابه الكريمة، وتعاليمه السَّماويَّة... ومن هدي القرآن للتي هي أقوم: هديه إلى حلِّ المشاكل العالميَّة بأقوم الطُّرق وأعد لها، ونحن دائماً في المناسبات نُبيِّن هدي القرآن العظيم إلى حلِّ ثلاث مُشكِلات، هي من أعظم ما يُعانيه العالم في جميع المعمورة ممن ينتمي إلى الإسلام، تنبيهاً بها على غيرها: المشكلة الأولى: هي ضعف المسلمين في أقطار الدنيا في العدد والعدد عن مقاومة الكفار... المشكلة الثانية: هي تسليط الكفار على المؤمنين بالقتل والجراح وأنواع الإيذاء، مع أن المسلمين على الحقِّ، والكفار على الباطل... المشكلة الثالثة: هي اختلاف القلوب الذي هو أعظم الأسباب في القضاء على كيان الأمة الإسلاميَّة...<sup>(١)</sup>

(١) ينظر: أضواء البيان: (٣/١٧-٥٣).

فهذه جملة من القضايا التي تتعلق بواقع الناس وما يحتاجونه، استطاع الشيخ -رحمه الله- أن يربطها في تفسيره بآية من آيات القرآن الكريم<sup>(١)</sup>.

### المظهر التاسع: التأثر والبكاء عند تفسير القرآن الكريم:

إنّ الإنسان إذا خالط القرآن بشاشة قلبه، وتدبره وتمعن في معانيه ازداد إيمانه ولا يملك العبرة، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال: ٢]، وكما قال تعالى: ﴿ إِذْ أَنْتَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾ [مريم: ٥٨]، فالتأثر بالقرآن والبكاء عند سماعه دليل على تدبره، والشيخ الأمين - رحمه الله - كان يبكي عند تفسيره للقرآن، ومن الأمثلة على ذلك: عند تفسير قول الله تعالى: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٦]، في درسه في المسجد النبوي، بعد صلاة المغرب، عند ما شرع في تفسير هذه الآية تأثر وغلبته العبرة، فبكى ولم يستطع التوقف عن البكاء حتى أذن لصلاة العشاء<sup>(٢)</sup>.

فهذا الموقف يدل على شدة تأثر الشيخ - رحمه الله- بالقرآن؛ لأنّ الإنسان -في الغالب- إذا خلصت نيته لا يبكي في الملأ إلا إذا غلبه البكاء، فبكاء الشيخ الشديد أمام الناس، وعدم القدرة على إكمال الدرس، فيه دلالة على شدة تأثر الشيخ بالقرآن، هذا ما ظهر للناس، فكيف إذا كان في خلوته، فلاشك أنّ العبرة تكون أقرب وأسرع، هذا ما توجّبه الدلائل وما يحكيه عنه تلاميذه وأبنائه.

(١) وعالج قضايا اقتصادية في تفسيره، ينظر: أضواء البيان: (٦/٧٦).

(٢) هذه القصة ذكر الشيخ صالح المغامسي -الداعية المعروف- أنه حضرها، وسمعتها منه غير مرة.

### المظهر العاشر: ظهور أثر القرآن الكريم في حياة الشيخ:

إنّ من أهم ثمرات تدبر القرآن الكريم أن يمتثل المسلم ما جاء في القرآن، ويلتزم به، فالتدبر الكامل هو الذي يظهر أثره على العبد، وذلك بامثال أوامر القرآن واجتناب نواهيه، والشيخ الأمين - رحمه الله - كل من تتلمذ على يديه أو جالسه أو رافقه يلاحظ تأثره وتعظيمه للقرآن، وأسوق بعض الجوانب التي يظهر فيها أثر القرآن على الشيخ:

**الجانب الأول:** زهده في الدنيا: قال عنه ابنه الدكتور عبد الله - حفظه الله - «كان رحمه الله - لا يريد الدنيا، ولا يهتم بها، ويقول: الذي يفرحنا أن الدنيا لو كانت ميتة لأباح الله منها سد الخلة، وكان يقول: لم أقترض قط لأحد، ولم أبع، وترك لي والذي ثروة فكنت أعيش منها، وكان عندي كنز عظيم أرجو الله أن لا يضيع مني؛ هو القناعة». وقال أيضاً: «وقد أخبرني أيضاً أنه كان في المدينة، وكان لا يوجد عنده أي مال، وقد وعده أحد جيرانه أن يقترض له مالاً، ولما أراد الشيخ - رحمه الله - أن يأتيه وجده يشتغل، وعليه ملابس مبتدلة، فرجع عنه وكأنه وجد في نفسه قليلاً أنه في عازة، قال: ولم أشعر حتى خررت ساجداً في الطريق في الغبار، ورفعت رأسي وعندني فرح ونشوة لا يعلمها إلا الله إكراماً لما أعطاني من العلم، فكيف أريد دنياً وربي أكرمني بالعلم، وبفهم كتاب الله، فذهبت إلى البيت وكأن الدنيا كملت لي لاستشعاري نعمة الله عليّ بما أعطاني من فهم القرآن، وقد سد الله لي تلك الحاجة من غير أن أسأل أحداً إكراماً منه وفضلاً». وقال أيضاً: «كان - رحمه الله - يخاف من الدنيا، ويكلمني بقوله: «احذر من الدنيا؛ فإنها كالماء المالح، والشيطان يكذب عليك ويقول: «اجمع الأموال لتتصدق بها، وتبني بها المدارس، وتعمل بها الأربطة، وهو يكذب عليك، يريد أن يضيع وقتك، فإذا جمعت المال لا أنت تعطيه للناس، ويشغلك عن عبادة الله، فهذا شيطان يريد أن يصرفك عن ما هو خير لك، وأنا أقدر

الناس على أن أكون أغنى الناس، وتركت الدنيا لأني أعلم أنه إذا تلطخ بها العبد لا ينجو منها إلا من عصمه الله، ولم يوجب الله عليك أن تجمع الأموال لكي تتصدق بها على الناس، فاحذريا ولدي من الدنيا، واعلم أنها كالماء المالح، وأن أهل الدنيا في شغل وتعب؛ فصاحب الدنيا في النهار يشتغل في البضاعة والتجارة، وفي الليل يفكر فيها، ويموت عنها، وقد لا يترحم عليه الورثة، يقولون: هذا ماله مات عنه، فاحذريا بني من الدنيا»<sup>(١)</sup>.

**الجانب الثاني:** اجتنابه للغيبة: الغيبة من أكثر الأدواء انتشاراً بين المسلمين، وهي كبيرة من كبائر الذنوب، ومع ذلك استسهلها كثير من الناس، وأطلقوا لألسنتهم العنان، فخسروا أجورهم وتحملوا أوزار غيرهم، ولم يكن الشيخ الأمين -رحمه الله - يغتاب أحداً، ولا يسمح بغيبة أحد في مجلسه، وكثيراً ما يقول لإخوانه: «تكايسوا»، أي: من الكياسة والتحفظ من خطر الغيبة، ويقول: «إذا كان الإنسان يعلم أنّ كل ما يتكلم به يأتي في صحيفته، فلا يأتي فيها إلا الشيء الطيب»<sup>(٢)</sup>.

قال في رحلته: «ثم جئنا آخر النهار للقربة المسماة آتية فالتمسنا عربياً نبيت عنده، فدعانا رجل عربي، والله ما سألت عن اسمه ولا اسم أبيه خوفاً من الغيبة، فأنزلنا في مكان يعوي منه الكلب وأغلقه علينا من الخارج....»<sup>(٣)</sup>.

وقال عنه ابنه الدكتور عبد الله -حفظه الله-: «كان يكره الكلام في الناس، أو التكلم في الدنيا، وكان لا يرضى من طلابه، ولا من جلسائه أن يغتابوا أحداً، ويقول لهم: «يا أبنائي وإخواني إن قتل الأولاد وأخذ الأموال يهون، لكن أخذ حسناتي وأنا

(١) ينظر: جهود الشيخ في تقرير عقيدة السلف: (٣٨/١-٣٩).

(٢) ينظر: جهود الشيخ في تقرير عقيدة السلف: (٤٠/١).

(٣) رحلة الحج: (٨٧).

شايب فهذا لا سكوت عليه، هذا خور وضعف، وأنا رجل مؤمن وهذه البقعة ملكيتها لله فلا يكون لأحد الغيبة فيها، ولا تأكلوا لي أعراض الناس، والله لو أخذتم مالي لتغاضيت عنكم، ولكن تأخذوا لي حسناتي وأنا شايب، هذا لا صبر لي عليه».

وقال أيضاً: «وقد كنت يوماً أنا وأحد الطلاب، وكان عنده شيخ يصحح عليه تأليفاً له، وكنا في مكة، فقال أحد الجلوس: «ويُكره التأليف من مقصّر، فضحكت أنا، فغضب، وقال: «يا بني ماذا فعلت لك؟ كيف تأكل الغيبة في المسجد الحرام»<sup>(١)</sup>.

الجانب الثالث: ورعه عن الفتيا: قال عنه ابنه الدكتور عبد الله -حفظه الله-: «إنه في آخر حياته أصبح لا يتكلم إلا في كتاب أو سنة، ويقول: «كلام الناس لا أضعه في ذمتي. إذا كان عندي على المسألة نص من كتاب أو سنة أقول بها، وإذا لم يكن عندي نص أقول: «الله أعلم؛ لأن الله يقول: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦]. وفي يوم من الأيام جاءه طلبة من الكويت، وسألوه عن مسائل من الأمور المستحدثة، فقال الشيخ: «أجيبكم من كتاب الله تعالى». فاشرأبت أعناق الحضور لسماع هذه الإجابة من كتاب الله تعالى، فقال: «أقول لكم: الله أعلم، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾»، والله لا أعلم فيها شيئاً من كتاب ولا سنة، وكلام الناس لا أضعه في ذمتي، اذهبوا إلى غيري»<sup>(٢)</sup>.

(١) ينظر: جهود الشيخ في تقرير عقيدة السلف: (٤٠ / ١).

(٢) ينظر: جهود الشيخ في تقرير عقيدة السلف: (٤١ / ١).

## الخاتمة

وهنا وقف البحث على ثنية الوداع، وهم قبلي مزنه بالإقلاع، وأسطر في هذه الخاتمة شيئاً مما اختزنه الذاكرة من النتائج والوصايا أثناء كتابة البحث:

أولاً: ضرورة الحرص على جمع الاستنباطات التدبرية عند المفسرين المتقدمين والمتأخرين والمعاصرين، وضمها في مؤلف.

ثانياً: تكثيف المجالس العلمية الخاصة بتدبر القرآن الكريم، في المعاهد العلمية والمدارس القرآنية، والدروس العلمية الخاصة والعامة.

ثالثاً: هناك مجموعة من الدراسات يمكن أن تُجرى حول مؤلفات الشيخ الأمين -رحمه الله- التفسيرية، منها:

- استنباطاته التفسيرية والتدبرية.
- اختياراته في المسائل التفسيرية الخلافية.
- تطبيقاته للمسائل الأصولية على القرآن الكريم.
- اختياراته اللغوية في تفسيره.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا وقدوتنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

## قائمة المصادر

- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، طبعة دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت - لبنان.
- جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف، للشيخ عبد العزيز بن صالح بن إبراهيم الطويان، طبعة مكتبة العبيكان.
- دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني، طبعة دار عالم الفوائد.
- رحلة الحج إلى بيت الله الحرام، للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني، طبعة دار عالم الفوائد.
- العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، جمعها: الدكتور خالد السبت، طبعة دار عالم الفوائد.
- مجالس مع فضيلة الشيخ محمد الأمين، للشيخ أحمد بن محمد الأمين بن أحمد الجكني، طبعة مؤسسة غراس.
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، للإمام ابن قيم الجوزية، طبعة دار الكتاب العربي.
- المستدرک علی الصحیحین للحاکم، تحقیق: مصطفى عبد القادر عطا، طبعة دار الكتب العلمية.

- مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، طبعة مؤسسة الرسالة.
- مع صاحب الفضيلة والدنا الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله، للشيخ عطية ابن محمد سالم، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد الثالث: ١٣٩٤ هـ.



## وقفات مع مجالس القرآن

للشيخ الدكتور فريد الأنصاري رحمه الله تعالى

إعداد

د. مولاي عمر بن حماد

جامعة محمد الخامس، الرباط.



## السيرة الذاتية للباحث

« الاسم: د. مولاي عمر بن حماد.

- ولد بإقليم الرشيدية جنوب شرق المغرب سنة : (١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م).

« المؤهل العلمي:

- حاصل على دكتوراه الدولة في الدراسات الإسلامية، تخصص علوم القرآن والتفسير سنة ٢٠٠٢، من جامعة الحسن الثاني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية المغرب.

- حاصل على دبلوم الدراسات العليا في الدراسات الإسلامية، تخصص علوم القرآن والتفسير سنة ١٩٩١، من جامعة الحسن الثاني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية المغرب.

- حاصل على دبلوم الدراسات الجامعية العليا (نظام تكوين المكونين) في الدراسات الإسلامية، تخصص علوم القرآن والتفسير سنة ١٩٨٨ من جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس المغرب.

- حاصل على الإجازة في الدراسات الإسلامية سنة ١٩٨٦ من جامعة مولاي إسماعيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس المغرب.

« المشاركات والخبرات:

- أستاذا للتعليم العالي بجامعة محمد الخامس، شعبة الدراسات الإسلامية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط.

- أشرف وناقش عددا من رسائل الدكتوراه في مختلف الجامعات المغربية.

- شارك في العديد من المؤتمرات والندوات العلمية داخل المغرب وخارجه.

- نائب رئيس حركة التوحيد والإصلاح المغربية.

- نائب المدير العلمي لمركز المقاصد للدراسات والبحوث.

- عضو الإتحاد العالمي لعلماء المسلمين.

- عضو رابطة علماء أهل السنة.

- أسس وشارك في تأسيس مجموعة من الجمعيات الأهلية والمدنية (دار القرآن بالمحمدية، مؤسسة المهدي بنعبود بالبيضاء، جمعية السهلي للأعمال الاجتماعية بالرشيدية...).

- شارك في تطير الجالية المغربية وعموم الأقليات المسلمة في مختلف الدول الأوروبية وكندا..

- شارك في تحقيق: تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب ت ٤٧٣هـ، (من أول الحجر إلى آخر الكهف) الذي صدر عن جامعة الشارقة، سنة ٢٠٠٨م.

- صدر له كتاب: «علم أصول التفسير محاولة في البناء» عن دار السلام بالقاهرة الطبعة الأولى ١٤٣١هـ ٢٠١٠م.

### « البحوث العلمية والدراسات:

- في علم أصول التفسير، مجلة بحوث، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية المغرب، العدد ١١، سنة ٢٠٠٣م.

- دور القيم في تحقيق مقاصد الأسرة، مجلة الفرقان، العدد ٥٠، سنة ٢٠٠٤م.

- التفسير الفقهي النشأة والخصائص، مجلة بحوث، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية المغرب، العدد ١٢-١٣ سنة ٢٠٠٥م.

- ثقافة الحوار في القرآن الكريم، ضمن أعمال ندوة «التواصل الثقافي تأملات في المفهوم والتداول» كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية المغرب، سنة ٢٠٠٦م.

- مساجد الجالية: الظروف والوظيفة، مجلة بحوث، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية المغرب، العدد ١٤-١٥، سنة ٢٠٠٧م.

- نشر عدداً من المقالات في عمود: «خواطر وأفكار» بجريدة التجديد المغربية.

## المقدمة

هذه وقفات مع «مدارسات في رسالات الهدى المنهاجي للقرآن الكريم من التلقي إلى البلاغ» وهو العنوان الفرعي الذي اختاره الدكتور فريد الأنصاري رحمه الله تعالى لما يسر الله له تحريره ضمن مشروعه الطموح مجالس القرآن.

### فريد الأنصاري رحمه الله تعالى سيرة وآثار:

قبل الحديث عن مشروع مجالس القرآن لا بد من تقديم تعريف مختصر بالرجل وبتراثه العلمي. ولقد اعتمدت في هذه الترجمة أساساً على ما كتبه عنه أخوه عبد الحميد الأنصاري ونشر بجريدة المحجة في العدد المزدوج ٣٣٠-٣٣١ الذي صدر بعد وفاة الدكتور فريد الأنصاري رحمه الله تعالى.

ولد فريد الأنصاري رحمه الله تعالى في التاسع عشر من ربيع الثاني سنة ثمانين وثلثمائة وألف هجرية الموافق لسنة ستين وتسعمائة وألف ميلادية في قرية النيف، ونشأ بالجرف بإقليم الرشيدية. وكان الأستاذ فريد الأنصاري يرجع نسبه بناء على بحث قام به بنفسه إلى الصحابي الجليل سعد بن عبادة رضي الله عنه. وقد تحدث عن نشأته في روايته كشف المحجوب «فالبيت الموصوف في الرواية بمن فيه يكاد يكون بيت جده. وبعد ان أكمل تعليمه الابتدائي انتقل إلى أرفود في المرحلة الإعدادية، ثم كريمة في المرحلة الثانوية وهناك كانت بداية احتكاكه بفكرة الدعوة الإسلامية، وكل ذلك بالجانب الشرقي للمغرب.. التحق رحمه الله تعالى بجامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس سنة ١٩٨١م وانتسب لشعبة الدراسات الإسلامية بدأ مرحلته الجامعية متشعباً بالفكر السلفي وبفكر تقي الدين الهيلالي رحمه الله، وكان في سكنه الجامعي مخالطاً لشباب جماعة الدعوة بفاس وشباب الجمعية الإسلامية بالقصر الكبير. وبقيت

صلته بالحركة الإسلامية وكانت آخر مهمة تحملها هي عضوية المكتب التنفيذي لحركة التوحيد والإصلاح التي أسهم في تأسيسها. ثم ما لبث أن تحمل مسؤولية رئاسة المجلس العلمي لمدينة مكناس، ثم عين عضواً بالمجلس العلمي الأعلى ولم يكن الجمع بين المهام الرسمية والعضوية في الحركة.

بعد حصوله على الإجازة سنة ١٩٨٥م حصل على امتياز منحة دراسية لإتمام الدراسة في فرنسا لكنه آثر البقاء في المغرب، فالتحق بسلك تكوين المكونين فوج ١٩٨٥-١٩٨٦ و ١٩٨٦-١٩٨٧ وفي السنة الثانية اختار موضوعاً عن الشاطبي تحت إشراف الدكتور الشاهد البوشيخي وهو البحث الذي طوره في مستوى دبلوم الدراسات العليا ثم الدكتوراه.

وقد عين في بدايته بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية بشعبة الدراسات الإسلامية ثم انتقل إلى شعبة الدراسات الإسلامية بمدينة مكناس سنة ١٩٩٤م. وقد كان أستاذاً زائراً بدار الحديث الحسنية بالرباط بين ٢٠٠٣ و ٢٠٠٥.

استمر عطاؤه العلمي مدة حياته وكان من أواخر ما اشتغل به رحمه الله تحقيق كتاب القوانين الفقهية لابن جزي، فقبل أكثر من سنتين من وفاته كان بلغ منتصف الكتاب تحقيقاً، وكانت نيته رحمه الله متجهة إلى تضمين عمله شرحاً للكتاب... وعند مرضه رحمه الله أوقف كل مشاريعه العلمية وانقطع لتفسير كتاب الله تعالى وكأنه رحمه الله كان يسابق الموت.

بدرحمه الله مسيرة الكتابة شاعراً وانتهى مفسراً. ختم الله له عمله مشغلاً بتفسير سورة آل عمران بعد أن أتم تفسير سورة البقرة وبعض سور المفصل. وقد توفاه الله تبارك وتعالى بعد معاناة مع المرض بمصحة سما باستانبول بتركيا وذلك يوم الجمعة ١٨ ذو القعدة ١٤٣٠هـ الموافق ٦ نونبر ٢٠٠٩م.

## آثاره العلمية:

خلف الراحل رحمه الله تعالى ثروة علمية غنية ومتنوعة مكتوبة ومرئية ومسموعة. ومن الكتب المنشورة له رحمه الله تعالى:

- التوحيد والوساطة في التربية الدعوية.
- أبجديات البحث في العلوم الشرعية محاولة في التأصيل المنهجي.
- بلاغ الرسالة القرآنية من أجل إِبصار آيات الطريق.
- الدين هو الصلاة والسجود لله باب الفرج.
- البيان الدعوي وظاهرة التضخم السياسي.
- سيئات المرأة في الإسلام بين النفس والصورة.
- مجالس القرآن من التلقي إلى التزكية.
- مجالس القرآن مدارسات في رسالات الهدى المنهجي للقرآن الكريم من التلقي إلى البلاغ.
- الفجور السياسي والحركة الإسلامية بالمغرب دراسة في التدافع الاجتماعي.
- مفاتيح النور دراسة في المصطلحات المفتاحية لكليات رسائل النور لبديع الزمان النورسي.
- الأخطاء الستة للحركة الإسلامية بالمغرب.
- الفطرية بعثة التجديد المقبلة من الحركة الإسلامية إلى دعوة الإسلام.
- ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله.

- مفهوم العالمية من الكتاب إلى الربانية.
- كاشف الأحزان ومسالح الأمان.
- المصطلح الأصولي عند الشاطبي.
- هذه رسالات القرآن فمن يتلقاها.
- قناديل الصلاة مشاهدات في منازل الجمال كتاب في المقاصد الجمالية للصلاة،
- جمالية الدين معارج القلب إلى حياة الروح.

#### ومن الأعمال الأدبية:

- جداول الروح: شعر.
  - الوعد: شعر.
  - ديوان الإشارات: شعر.
  - آخر الفرسان: رواية.
  - ديوان القصائد: شعر.
  - كشف المحجوب: رواية.
  - مشاهدات بديع الزمان النورسي: شعر.
- كما أشرف الأستاذ رحمه الله تعالى على مجلة باسم «رسالة القرآن» نشر فيها بحثاً  
عديدة متخصصة في الدراسات القرآنية.



## مشروع مجالس القرآن عند فريد الأنصاري رحمه الله تعالى:

مجالس القرآن هو العنوان الذي اختاره الأنصاري لعمله، ولعل هذا العنوان حكمته البداية ثم صار علماً للمشروع. أعني أنه دعا لمجالس القرآن في الرسالة الأولى التي خرجت تحمل هذا العنوان، ثم شرع في تقديم نماذج تطبيقية لها وكانت نماذج متناثرة ثم عاد إلى البداية بنية تتبع المصحف من أوله إلى آخره بذات العنوان. ويظهر أن المشروع ظل يتطور وتعاد صياغته إلى أن استقر على العنوان الذي تعرف به هذه السلسلة. وهو: «مجالس القرآن مدارسات في رسالات الهدى المنهاجي للقرآن الكريم من التلقي إلى البلاغ».

المشروع بدأ بورقات قليلة «غايته بيان منهج الاشتغال بكتاب الله وكيفية إعادة بناء الأنفس على وزانه ووفق مقاييس تصميمه»<sup>(١)</sup> وهي الورقات الذي نصح الأنصاري بعدم الانشغال بها وذلك حين يقول: «إذا وصلت أخي الحبيب إلى الغاية وحصل لك الإبصار بالآيات مباشرة وبدأت تكتسب حقائق الإيمان مشاهدة فدع عنك هذه الوريقات وأمثالها جانباً»<sup>(٢)</sup>.

ويشرح الأستاذ فريد رحمه الله دواعي التأليف بأنه تلبية منه «لرغبة ملحّة من بعض محبي القرآن العظيم ورواد مجالسه العامرة من بعدما صدر كتيبنا السابق بلاغ الرسالة القرآنية»<sup>(٣)</sup>

والكتاب في بدايته لم يكن يزيد على أنه دليل عملي للراغبين في الانخراط في المشروع قال رحمه الله وهو يشرح أنه إنما كتب ما كتب تلبية لطلب بعض المحبين

(١) مجالس القرآن ١٠.

(٢) نفسه.

(٣) نفسه.

قال: «فرغبوا مني كتابة ورقات قلائل تشبه أن تكون دليلاً عملياً لمساعدة من لا خبرة له سابقة في تدارس القرآن وتدبره»<sup>(١)</sup>.

وعلى مستوى الاسم ظل الأستاذ رحمه الله يستعمل الصالون والمجلس، ويظهر أن الذي غلب هو اسم المجالس، وهكذا وجدناه يقول: «مشروع صالونات القرآن أو مجالس القرآن مسلك تربوي مبسط لسلوك طريق النور قصد التعرف إلى الله تعالى مشروع ليس لنا فيه من الاجتهاد إلا الجمع والترتيب ومراعاة التنزيل في واقع جديد نأخذه كما هو من القرآن والسنة النبوية مشروع لا منة فيه لأحد إلا الله ولا فضل فيه لمبدع أو مخترع وإنما هو كلام الله ولا انتماء فيه لقاتد أو رائد ولا لتنظيم أو جماعة بل هو انتساب لتعبد لله»<sup>(٢)</sup>.

«مجالس القرآن منهج تربوي أسسه محمد رسول الله ﷺ وانخرط فيه أصحابه عليهم رضوان الله واستمروا به بعد موته ﷺ مدرسة تربوية تخرج أفواج التابعين»<sup>(٣)</sup>.

الخلاصة الكبرى التي ينتهي إليها الأستاذ فريد رحمه الله تعالى هي: «ف(مجالس القرآن) مشروع تربوي بسيط سهل التنفيذ والتطبيق سلس الانتشار غايته تجديد الدين وإعادة بناء مفاهيمه في النفس وفي المجتمع... بعيداً عن جدل (المتكلمين الجدد) وبعيدا عن تعقيدات التنظيمات والهياكل.. وبعيداً عن الانتماءات السياسية الضيقة والتصنيفات الحزبية المربكة»<sup>(٤)</sup>.

ويقترح الأستاذ فريد رحمه الله تعالى طريقين: وللدخول في فضاء مجالس القرآن

(١) نفسه.

(٢) مجالس القرآن ١٤.

(٣) مجالس القرآن ١٥.

(٤) مجالس القرآن ١٦.

طريقتان أو صورتان يمكن اعتماد إحداها أو الجمع بينهما معاً وهو أفضل: أما الأولى فهي صورة مجالس القرآن الأسرية وتقوم على تأسيس المجلس داخل الأسرة الواحدة»<sup>(١)</sup> «وأما الصورة الثانية من صور الدخول إلى فضاء القرآن فهي صورة صالون القرآن ونقصد بذلك فتح صالون البيت للأحباب والأصحاب من أجل الغاية نفسها وهي تدارس القرآن الكريم وتدبره والإنصات إلى حقائقه وحكمه»<sup>(٢)</sup>.

ويشرح الأستاذ فريد رحمه الله تعالى الخطوات العملية ويجعلها «على الإجمال ثلاث خطوات قابلة للتفصيل وهي: التلاوة بمنهج التلقي، والتعلم والتعليم بمنهج التدارس ثم التزكية بمنهج التدبر»<sup>(٣)</sup> وهذه الخطوات الثلاث بنظر الأستاذ هي المذكورة في القرآن ولذلك يقول بعدها: «فذلك ما ذكره الله سبحانه وتعالى بإجمال عند تحديد وظائف النبوة الثلاث وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

ويعيننا من هذه الخطوات التدبر وقد حدد الأستاذ مفهوم التدبر عنده بقوله: «التدبر في الاصطلاح القرآني فهو أنك إذ تقرأ الآيات وتتعلم وتدرس، تنظر إلى مآلاتها وعواقبها في النفس والمجتمع»<sup>(٤)</sup> ومثله قوله: «فتدبر القرآن وآيات القرآن إذن هو كما ذكرنا النظر إلى مآلاتها وعواقبها في النفس وفي المجتمع»<sup>(٥)</sup>. وهو بهذا يميز بين التدارس والتدبر ويقول: «فالتدارس هو عملية تعليمية ذهنية تشتغل من

(١) مجالس القرآن ١٦ .

(٢) مجالس القرآن ١٩ .

(٣) مجالس القرآن ٣٣ .

(٤) مجالس القرآن ٤٨ .

(٥) مجالس القرآن ٤٩ .

داخل النص القرآني لا خارجه وينتجها العقل في علاقته بنص الخطاب القرآني مباشرة وفي ارتباطه بلغته وأساليبه على قدر ما تتيحه تلك اللغة من معان وحكم ودلالات. بينما التدبر عملية قلبية ذوقية محضة. فهي وإن صاحبت التدارس واقعة في النفس لا في النص، إنها حركة وجدانية تجري خارج النص القرآني إنها تتلقى المعاني والحكم من التدارس ثم تدخل بها إلى أعماق النفس أو تخرج بها إلى مطالعة أحوال المجتمع لتراقب النفس والمجتمع على موازينها<sup>(١)</sup> ثم هذا التدبر يقود إلى التفكير وهما معا يقودان إلى الإبصار<sup>(٢)</sup>.

وقد وضع الأستاذ تسع عشرة ضابطاً هي باختصار على الشكل التالي:

**الضابط الأول:** تجريد القصد.

**الضابط الثاني:** تحين أوقات الانشراح النفسي للقرآن.

**الضابط الثالث:** مراعاة أدب المجلس.

**الضابط الرابع:** عدم عقد أكثر من لقاء واحد أو لقاءين اثنين على الأكثر في الأسبوع الواحد ... ويتفرع عنه ضابط آخر هو عدم طول وقت المجلس الواحد (في حدود ساعتين).

**الضابط الخامس:** احترام قواعد تدارس القرآن العظيم بمعنى الخطوات الثلاث.

**الضابط السادس:** مبادرة أحد الجلساء من أهل العلم أو أهل الحلم لتسيير المجلس.

(١) مجالس القرآن ٥٠.

(٢) مجالس القرآن الصفحات ٥٠، ٥١، ٥٢.

الضابط السابع: أن يعمد المسير إلى إشراك الجميع.

الضابط الثامن: تجنب الجلساء الدخول في الجدل العقيم.

الضابط التاسع: الإعراض عن اللغوم القبول والتنزه عن سفاسف الكلام.

الضابط العاشر: تحديد أهداف المجلس من التدارس والتذكير بذلك من حين لآخر... وههنا لا بد من التنبيه على قاعدة منهجية هامة جداً لهذا الأمر وهي الحذر من استغراق الوقت كله في التفسير وتتبع أقوال المفسرين... فكل ذلك وما في معناه إنما يحتاجه أهل الاختصاص أما الغرض مما نحن فيه فإنما هو تحصيل الحكمة من الآية وإتاحة الفرصة للتدبر والتفكير للوصول إلى الهدى المنهجي أي ما تضمنته الآية من الهدى الرباني... فلا ينبغي أن ننسى أن غاية مجالس القرآن إنما هو التريية والتزكية أي تحصيل الربانية لا تحصيل العالمية... وإنما هذا برنامج مقصود به سواد الأمة وجمهورها العام<sup>(١)</sup>.

الضابط الحادي عشر: اعتماد تفسير مختصر وليس كتفسير الإمام أبي جعفر الطبري أوفى بالمقصود.

الضابط الثاني عشر: يقرأ من القرآن أولاً مما هو مقصود بالتدارس لذلك المجلس.

الضابط الثالث عشر: قراءة خلاصة التفسير قراءة مسموعة هادئة مفصلة.

الضابط الرابع عشر: تناول قدر قليل من الآيات يشكل معنى يحسن السكوت عليه سواء كانت آية واحدة أو ثلاث آيات أو خمساً أو سبعاً بشرط ألا يتعدى المقدار المدروس من ذلك كله نصف ثمن الحزب.

(١) مجالس القرآن ٦٣، ٦٤.

الضابط الخامس عشر: يتحقق من الفهم العام للمعاني التي وردت بها.

الضابط السادس عشر: إذا اتضح المعنى وجب بعد ذلك مباشرة الدخول في محاولة التعرف على الهدى المنهاجي للآية أو الآيات وهو عين الحكم المطلوب تعلمها مما ورد في آيات وظائف النبوة: «ويعلمهم الكتاب والحكمة».

الضابط السابع عشر: وبمعرفة ما تيسر من الحكم والمقاصد نفتح باب التدبر للآيات والتفكر في خلق الأنفس والأرض والسموات وذلك لغاية التخلق بأخلاق القرآن الكريم والاتصاف السلوكي بحكمه العظيمة.

الضابط الثامن عشر: إذا تمت مدارسة سورة بكاملها مجزأة لا بد من محاولة قطف الثمار الجامعة وهي القضايا الأساسية التي تعالجها ثم المحور الرئيس للسورة على الإجمال.

الضابط التاسع عشر: وهو الضابط الجامع كما سماه الأستاذ فريد رحمه الله تعالى وهو الضابط الكلي الجامع لضمان سير مجالس القرآن ونجاحها هو الحفاظ على ميثاق القرآن العظيم والالتزام به بقوة... وهو عهدان عهد فعل وعهد ترك:

عهد الفعل: الأول الحفاظ على الصلوات المفروضة بالمسجد، والثاني الحفاظ على تلاوة جزء من القرآن، والثالث الالتزام بضم جليس جديد أو جدد إلى مجالس القرآن ويرى الأستاذ ان الآية الجامعة الدالة على ذلك كله: ﴿وَالَّذِينَ يَمَسُّونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُضْلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٠] تمسك بالكتاب أولاً وإقامة الصلاة ثانياً ثم الانطلاق إلى الإصلاح والدعوة إلى الخير ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُضْلِحِينَ﴾.

أما عهد الترك فهو يتلخص في أمور ثلاثة وهي ترك المال الحرام، وترك الزنا، وترك الخمر.

هذه هي الضوابط التي وضعها الأستاذ لمجالس القرآن ولقد جعلها بعد ذلك عشرين ضابطاً وذلك بعد أن جعل ضابطاً فرعياً نص عليه من قبل ضابطاً مستقلاً.

**منهج مجالس القرآن كما تحدث عنه الأستاذ فريد الأنصاري رحمه الله تعالى:**

لقد أعاد الأستاذ رحمه الله تضمين الأجزاء التي تلت نص الرسالة الأولى مجالس القرآن من التلقي إلى التزكية مع تعديلات طفيفة. فمن أول الكتاب ص ٧ إلى قوله «والله المستعان» ص ١١ هو نفس النص في الكتاب الأول مجالس القرآن. ومثله من ص ٤٩ إلى ص ٩٤ هو نفس مجالس القرآن مع تعديلات طفيفة جداً، وحذف منه فقط تاريخ كتابته الذي يعود ل٢٠٠٤م.

وعرض الأستاذ فريد الأنصاري لمنهجه في القسم الثاني الخاص بالمدارس القرآنية: «فهذا هو القسم الثاني من كتاب مجالس القرآن وهو القسم العملي لمشروعنا الدعوي، إنه محاولة لتقي ما أذن الله فيه من رسالات القرآن وما يسره من هداها وذلك من تدارس آياته كلمة كلمة. وهو نموذج تطبيقي لما يمكن أن يكون أرضية للمتدربين لكتاب الله تعالى بمجالس القرآن. أنجزنا منه ما يسر الله من مجالس سورة الفاتحة، وسورة الفرقان، وسورة يس، ثم سورة الحجرات. وقد قصدنا أن نجعل هذا الكتاب متضمناً لهذه السور الأربع بالذات، نظراً للأمر التالية:..<sup>(١)</sup>.

(١) مجالس القرآن الجزء ٩٧.

وفي ذات الجزء حدد الأستاذ رحمه الله المنهج الذي يسير عليه في عرض رسالات القرآن وهو يتكون من خطوات سبع: تقديم، ثم تحديد للمجالس، ثم كلمات الابتلاء، ثم البيان العام، ثم الهدى المنهاجي، ثم مسلك التخلق ثم الخاتمة . وتفصيل ذلك على الشكل التالي:

أولاً: تقديم وذلك بتقديم السورة المقصودة بالمدارسة تقديماً كلياً يلخص قضيتها ويعرف بشخصيتها.

وهنا نلاحظ أنه جعل هذا الأمر ثمرة المدارسة في الكتاب الأول وهو الذي جعله الضابط الثامن عشر والذي التاسع عشر بعد التعديل وفيه أن المطلوب بعد التجزيء هو محاولة قطف الثمرات من ثمار الدارسات ومنها التعرف على المحور الرئيس للسورة على الإجمال فلكل سورة من القرآن العظيم شخصيتها المستقلة».

ثانياً: المجالس حيث يتم تقسيم السورة إلى مجموعة من المجالس... وجعل كل مجلس مقتصراً على مجموعة من الآيات.

وهنا نلاحظ أنه يجعل الأمر بين خمس آيات أو سبع ويستدل له بأنه على نحو ما كان ينزل من الآيات منجماً. وهذا غير دقيق، إذ من المعلوم أن تنجيم القرآن ليس بهذا الحجم دائماً بل قد تنزل سور كاملة مثل سورة الأنعام، وما ينزل مفرقاً لم يكن يدور فقط بين خمس وسبع آيات. فالنزول شيء والاستيعاب والتدبر شيء آخر.

وجعل ذلك بحسب قدرة الجلساء أولى ولذلك قال: «وربما اقتصر المجلس على آية واحدة فقط إذا تبين أنها تحمل من الرسائل ما يستلزم وقتاً أطول لتلقي حقائقه الإيمانية...»<sup>(١)</sup>.

(١) مجالس القرآن الجزء ١٠١.



ثالثاً: كلمات الابتلاء، وهو الاسم الذي اختاره الأستاذ لمجموع الآيات التي هي موضوع الدرس، وبعد شرحه لوجه التسمية ينتهي به القول: «ذلك هو القرآن وتلك هي كلماته ومن رام الاشتغال بدعوته خارج هذه الحقيقة المنهاجية فقد رام المحال»<sup>(١)</sup>.

والملاحظ هنا أيضاً أن الأستاذ اختار أمراً فيه سعة وجعله على وجه واحد، وزاد بأن جعل الاشتغال خارجه من المحال وأظن ذلك من المبالغة التي لا يدعمها الدليل العلمي.

رابعاً البيان العام: وفيه يورد خلاصة تفسيرية وهي «عرض لخلاصة ما قاله المفسرون في الآيات موضوع الدرس وما من الله به إزاءها من معان»<sup>(٢)</sup>.

خامساً الهدى المنهاجي والمقصود به: «هو ما تحصل للقلب من الكلمات المتلوة أعلاه بعد التدبر من رسالات منهاجية توضح خطوات السير القلبي إلى الله دينا ودعوة تعرفا إليه وتعريفاً به تعالى وتبين مسلك بناء الشخصية الإسلامية في كل ما يلزمها من معان تعبدية عمرانية مما جاء هذا القرآن لبنائه في الإنسان فرداً وجماعة في طريق إخراج الأمة المسلمة»<sup>(٣)</sup>.

ويشير الأستاذ فريد رحمه الله تعالى أن الهدى المنهاجي من اصطلاح أستاذنا وأستاذ الأجيال الدكتور الشهيد البوشيخي رائد المدرسة القرآنية بالمغرب تعليماً ودعوة.

ولما كان الأمر كذلك وهو كذلك فعلاً فقد صدر لأستاذنا الدكتور الشهيد

(١) مجالس القرآن الجزء ١٠٣.

(٢) مجالس القرآن الجزء ١٠٣.

(٣) مجالس القرآن الجزء ١٠٤.

البوشيخي في هذه السنة كتاب «نظرات في الهدى المنهاجي في القرآن الكريم من خلال السور حسب ترتيب النزول» وهو من إعداد وتقديم الدكتور محمد البنعادي وفيه تحديد لمفهوم الهدى المنهاجي و«المقصود به هو الطريقة المثلى في التفكير وفي التعبير وفي التدبير ... وحين نقول الهدى المنهاجي في القرآن نقصد به الطريقة المثلى في أداء الخلافة وفي أداء العبادة وفي أداء الشهادة»<sup>(١)</sup>.

أما مصادر الهدى المنهاجي ف «تتلخص في ثلاثة مصادر كبرى هي أولاً: القرآن الكريم فهو الأصل لغيره، ثانياً: السنة التي هي بيان القرآن: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]، ثالثاً: السيرة النبوية»<sup>(٢)</sup>.

ولنا أن نقول بعد هذا وباختصار شديد بأن المصطلح من الأستاذ ولكن الدلالة التي أعطاه الأستاذ فريد هي بعض من دلالاته التي يقدمه بها الأستاذ الدكتور الشاهد البوشيخي حفظه الله تعالى.

سادساً مسلك التخلق: ويقصد به بيان المسلك العملي للدخول في تلك الحقائق الإيمانية جميعاً»<sup>(٣)</sup>.

سابعاً: خاتمة وفيها يقول رحمه الله تعالى: «حتى إذا كان المجلس الخاتم جعلنا بعده مباشرة «خاتمة» ترجع على أهم حقائق السورة المدروسة بالتذكير مع علاقتها بالنفس تحقيقاً وتقويماً»<sup>(٤)</sup>.

(١) نظرات في الهدى المنهاجي ١٣ .

(٢) نفسه ١٤ .

(٣) مجالس القرآن الجزء الأول ١٠٤ .

(٤) نفسه ١٠٤ .

## السور التي تناولها بالمدارسة:

الوريات التي كتبها الأستاذ في البداية ودعا إلى إلقائها جانباً لم يكن مصيرها كذلك بل احتاجت إلى تطبيق عملي على سور بعينها. والطريف أن ذات النص سيتكرر مع الأجزاء التطبيقية التي تلتها أعني قوله أن الذي كتبه إنما هو دليل لا ينبغي أن يحجب عن القرآن. والحقيقة هي أن التفسير هو في أصله تقريب القرآن لكن حين ينحرف عن دوره يصير حجاباً. وهكذا وجدنا الأستاذ فريد نفسه يعود لكتب التفسير من أجل الإحاطة بالقرآن.

وقد كان الجزء الأول في التطبيق يتكون من سور الفاتحة والفرقان ويس ثم الحجرات، وقد حاول الأنصاري رحمه الله تعالى تبرير اختياره لهذه السور، ويمكن القول إن منطق الانتقاء والتمثيل هو الذي حكم الاختيار وإلا فما قاله عن السور الأربعة مشترك مع سور أخرى في القرآن الكريم. أما المجالس التي حددها لهذه السورة فكانت كما يلي:

- (١) سورة الفاتحة، وتتضمن خمسة مجالس<sup>(١)</sup>.
- (٢) سورة الفرقان، وتتضمن خمسة عشر مجلساً<sup>(٢)</sup>.
- (٣) سورة يس، وتتضمن تسعة مجالس<sup>(٣)</sup>.
- (٤) سورة الحجرات، وتتضمن خمسة مجالس<sup>(٤)</sup>.

---

(١) مجالس القرآن الجزء الأول ١٠٧.

(٢) نفسه ١٥٣.

(٣) نفسه ٢٨٩.

(٤) نفسه ٣٥٩.

ويتضح هنا أن الأمر لا يتعلق بعدد الآيات فهذه الفاتحة مجالسها تقريباً بعدد آياتها وهذه سورة يس عد آياتها ٨٣ أي تزيد على سورة الفرقان بخمس آيات من جهة العد ولكن المجاس في الفرقان ١٥ وهي في سورة يس لا تزيد على تسع.

ثم كان الجزء الثاني وهو يتضمن مجالس سورة «ق» وسورة الذاريات، وسورة الطور، ثم سورة النجم. ولم يكن وراء اختيار هذه السورة إلا علة واحدة وهي أنها «السور الأربع الموالية في ترتيب المصحف لسورة الحجرات»<sup>(١)</sup> وهذا تعليل دقيق للاختيار عكس ما كان في تفسير السور التي بدأ بها. وهذه أيضاً نقطة خالف فيها الأستاذ فريد رحمه الله تعالى الدكتور الشاهد البوشيخي كونه لم يراع ترتيب النزول كما يدعو إلى ذلك بل سار مع ترتيب المصحف بدءاً من سورة الحجرات، ثم جاء الجزء الأخير والذي عاد فيه لأول الترتيب أي الفاتحة ثم البقرة ثم آل عمران، وهي السورة التي لم يتمها رحمه الله تعالى.

وقد كانت مجالس السور متفاوتة على الشكل التالي:

- ١) سورة ق وتتضمن ثلاثة مجالس.
  - ٢) سورة الذاريات وتتضمن ثلاثة مجالس.
  - ٣) سورة الطور وتتضمن مجلسين.
  - ٤) سورة النجم وتتضمن ثلاثة مجالس.
- ثم كان الجزء الثالث وحقه أن يكون الأول مع ضم سورة الفاتحة إليه لمراعاة ترتيب المصحف. وقد تضمن هذا الجزء.

(١) مجالس القرآن الجزء الثاني ١٤.

- (١) سورة البقرة وتتضمن تسعة وثلاثين مجلساً<sup>(١)</sup>.
- (٢) سورة آل عمران وقد خصها بعبارة فريدة قال: «وتقع مدارستها في ثلاثة وعشرين مجلساً»<sup>(٢)</sup> وكأنه إنما قسمها تقسيماً افتراضياً قابلاً للتعديل، إلا أن المنية وافته عند المجلس الرابع وآخر ما كتب هو مسلك التخلق ضمن التقسيم الذي سبق عرضه من قبل. وفيه كان الحديث عن قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١] فقال رحمه الله عن مسلك التخلق: «وهو هاهنا في بيان كيفية التحقق بمقام المحبة الذي هو طريق الربانية ومسلكها القريب»<sup>(٣)</sup>.
- وقد كانت مجموع المجالس التي تدارسها في هذا المشروع الطموح هي ٤٣ مجلس في الجزء الأول و١١ مجلس في الجزء الثاني و٤٣ مجلس في الجزء الأخير فيكون المجموع العام هو ٨٨ مجلس.

(١) مجالس القرآن الجزء الثالث ٢٩.

(٢) نفسه ٦٤٥.

(٣) نفسه ٧٤١.

## خلاصة الوقفات مع مجالس القرآن

سبقت الإشارة إلى بعض الملاحظات عن المشروع الذي نظر له الأستاذ فريد رحمه الله تعالى واجتهد في تنزيله، وأحاول في هذه العجالة تجميع بعض الملاحظات الكبرى على المشروع على الشكل التالي:

(١) يمكن لكل متتبع ملاحظة الفرق بين الرسالة الأولى المبشرة بالمشروع وبين الأجزاء التي جاءت بعدها من صور التطبيق، لقد جاءت الرسالة الأولى تنظيرية، لكن الذي جاء بعدها هو ضرب من التفسير لا يلتزم بأصل المشروع كما وضع.

(٢) السور التي تناولها الأستاذ فريد رحمه الله تعالى تتجلى فيها محاولة للجمع بين منهج بديع الزمان النورسي رحمه الله تعالى في تناول القرآن، ومحاولة تنزيل ما يدعو إليه الدكتور الشاهد البوشيخي من الهدى المنهاجي، مع مسحة أدبية تربوية بينة للأنصاري رحمه الله تعالى. وهذا ما يشير إليه رحمه الله حين يقول: «هذه المدارس مدينة بعد الله تعالى إلى أستاذنا وأستاذ الأجيال الدكتور الشاهد البوشيخي رائد المدرسة القرآنية بالمغرب تعليماً ودعوة... كما أنني استفدت في ذلك من كليات رسائل النور للأستاذ بديع الزمان النورسي رحمه الله تعالى فقد كان لمنهجيته التربوية الفريدة في التعامل مع القرآن الكريم أثر بارز في توجيه هذه المدارس»<sup>(١)</sup>.

(٣) في الرسالة الأولى كان التوجيه فيها للعموم وهكذا جاء المقترح بخصوص كتب التفسير الاكتفاء بكتاب مختصر في التفسير، لكن عند التنزيل

(١) مجالس القرآن الجزء الثاني ١٤.

نجد الأستاذ رحمه الله تعالى ينص على أغلب ما كان يعود إليه من كتب التفسير بدءاً بتفسير ابن جرير الطبري وابن كثير، ثم الكشف للزمخشري ومعالم التنزيل للبغوي والمحزر الوجيز لابن عطية والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ومفاتيح الغيب للرازي ونظم الدرر للبقاعي والدر المنثور للسيوطي والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور وفي ظلال القرآن لسيد قطب رحمة الله عليهم جميعاً<sup>(١)</sup>.

ومعلوم أن هذه هي أغلب كتب التفسير المتداولة، والذي تيسر له العودة إلى هذه الكتب ثم اختصر أو عبر عن مضمونها بصيغة أخرى أو حاول تنزيل ذات المضمون على العصر الحالي وقضاياها فلا إنكار عليه.

٤) في مرات عديدة يستدل الأستاذ بالنص على أمر قرره دون أن يكون النص المستدل به يشهد لذلك حقيقة ومن ذلك ما قاله عند حديثه عن الحاجة إلى مجالس النساء ضمن مجالس القرآن قال: «ومن أهم الصور الضرورية لمجالس القرآن التي ينبغي أن تبادر الأمة إلى إنتاجها مجالس النساء. وقد كان ذلك موجوداً ومطلوباً على عهد رسول الله ﷺ بل هو الذي أسسها عليه الصلاة والسلام بنفسه وأشرف عليها بذاته فقد ترجم البخاري في صحيحه باب هل يجعل للنساء يوم على حدة في العلم ثم أخرج بسنده رحمه الله تعالى عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قالت النساء للنبي ﷺ غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يوماً من نفسك فوعدهن يوماً لقيهن فيه فوعظهن وأمرهن»<sup>(٢)</sup>. ومعلوم أن هذا الحديث هو كما في ترجمته في الصحيح، وليس

(١) مجالس القرآن، الجزء الأول ١٥.

(٢) مجالس القرآن ٧٤.

تأسيساً لمجالس القرآن أو صالونات القرآن كما يدعو لها الأستاذ رحمه الله تعالى .

ومن ذلك ما قاله رحمه الله تعالى عن سورة الفرقان وهو يبرر اختيارها ضمن السور الأربع يقول: «وهي تقع بأواسط القرآن، فقد تبين لنا أنها السورة المعروفة بالقرآن الكريم وبدعوته بامتياز، كان الداخل إليها ينظر إلى قصر القرآن من وسطه...»<sup>(١)</sup>.

٥) يصرح الأستاذ فريد الأنصاري في مشروعه هذا عن تحول شخصي وعن تجربة ذاتية وذلك في قوله مثلاً: «ولقد تهت زماناً طويلاً في طريق البحث عن الحق في الشأن الدعوي حتى من الله علي بالهدى، ولقد وجدت الهدى كل الهدى في كتاب الله»<sup>(٢)</sup> ويخيل إلي أن الذي قوله في ضرب من المبالغة، لأن المسار الدعوي الذي سلكه الأستاذ الأنصاري ومركزية القرآن فيه أشهر من أن يستدل لها.

٦) إن الذي ينكره الأستاذ فريد رحمه الله تعالى في التنظيمات والحركات الإسلامية هو مما يحتاجه أي مشروع دعوي ولذلك وجدنا الأستاذ يضع عشريناً ضابطاً لنجاح مجالس القرآن توقيتاً وعدداً وهيئة ومدة وتفاصيل أخرى كثيرة تصل إلى الحديث عما يجوز من الأكل والشرب في المجلس فينصح بعدم إثقال المجلس بالطعام والشراب ثم يستدرك ويقول: «فإن كان ولا بد فشاي وحلوى قليلة، أو فاكهة أو ما شابه ذلك مما لا مؤنة فيه ولا كلفة»<sup>(٣)</sup>.

(١) مجالس القرآن، الجزء الأول ٩٧.

(٢) مجالس القرآن الجزء الثاني ١٥.

(٣) مجالس القرآن ٥٥.



## منهجية التدبُّر عند الشيخ ابن عثيمين

إعداد

د. عبد الله بن عبد العزيز العواجي

عضو هيئة التدريس في قسم الدراسات الإسلامية بكلية التربية في جامعة المجمعة.



## السيرة الذاتية للباحث

« الإسم : د. عبدالله بن عبدالعزيز بن محمد العواجي.

« الجنسية : سعودي.

« بلد الإقامة : المدينة المنورة.

« جهة العمل: عضو هيئة التدريس في قسم الدراسات الإسلامية في كلية التربية في جامعة المجمعة.:

« الدراسة والمؤهلات:

- درس في كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة من عام ١٤٠٨ إلى عام ١٤١١هـ، وتخرج منها بتقدير ممتاز، ورشحته الكلية للدراسات العليا. فتم قبوله بمرحلة الماجستير، وناقش عام ١٤١٦هـ، ونال الدرجة في العام نفسه بتقدير ممتاز، ثم قبل في الدكتوراه، وناقش عام ١٤٢٠هـ بتقدير ممتاز.

«: الأعمال والمهام التي قام بها

- عين أستاذاً مساعداً عام ١٤٢٤هـ ولا زال كذلك.

- أشرف على عشر رسائل ماجستير وناقش أكثر من ثلاثين رسالة ماجستير.



## المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل

عمران: ١٠٢].

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء: ١].

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ؕ السَّاعَةَ يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد: فإن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

وقد خلق الله تعالى الخلق، وشرح الشرع لغاية عظيمة، وهي عبادته تعالى وحده، وأن لا يُعبد إلا بما شرع، وجعل الطريق إلى معرفة ذلك كتابه تعالى، الذي أنزله على رسول ﷺ، وسنة رسوله ﷺ.

وجعل الله كتابه العظيم ﴿تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢]، ﴿هُدَىٰ وَبُشْرَىٰ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التخل: ٢]، ﴿وَإِنَّهُ هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التخل: ٧٧]، ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ﴾ [لقمان: ٣]، ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾ [فصلت: ٤٤]، ﴿هَذَا بَصَائِرٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٣].

وجعل الله عز وجل من أعظم مقاصد إنزال القرآن علينا: الانتفاع به علماً وعملاً، قال تعالى: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩].

إن من أعظم بركات هذا الكتاب الدينية والدنيوية: ما حصل به من الاهتداء والرحمة والبشارة، والشفاء، والبصيرة، وجلاء الأحزان، والظفر بأعظم المعارف وأنفعها.

فالعيش في رحاب القرآن العظيم نعمة لا تعدلها نعمة، والبشر في ضرورة إليها كضرورتهم إلى الطعام والشراب، بل أشد، «وحاجة الأمة ماسة إلى القرآن»<sup>(١)</sup>. ولذا عد بعض العلماء تدبر القرآن من الواجبات، ومنهم الإمام محمد بن صالح العثيمين<sup>(٢)</sup>.

وقد كانت هذه حال السلف الصالحين من هذه الأمة، وهي تدبر القرآن لتحصيل أصح العلوم وأصلح الأعمال والأحوال من القرآن العظيم، وسار على نهجهم علماء المسلمين من مفسرين وغيرهم.

وقد كان من المبهجات في هذا العصر: عودة المسلمين إلى كتاب الله تعالى حفظاً، وفهماً، وتدبراً، وكان من جملة الأسباب الدافعة في ذلك: الجهود التي بذلها بعض علماء العصر في العناية بهدايات القرآن العظيم، وإبرازها للناس، مما تميزت به مدرسة العصر على ما سبها في درس التفسير.

(١) مقدمة شيخ الإسلام ابن تيمية، وأصول التفسير، دار القرآن الكريم بيروت، (ص: ٢)، وشرح الشيخ ابن عثيمين لها، ط دار الوطن ١٤١٥هـ، (ص: ١٠).  
(٢) تفسير القرآن الكريم لمحمد بن صالح العثيمين (الفاتحة - البقرة)، دار ابن الجوزي، ١٤٢٣ (١/٢٨)، انظر: تدبر القرآن الكريم، لعبد اللطيف التويجري (ص: ٥٩).

ومن أبرز أساتذة هذه المدرسة وعلمائها: الإمام عبدالرحمن بن ناصر السعدي، ثم تلميذه العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمهم الله جميعاً، فقد كان لهما عناية ظاهرة غير مسبوقه بإبراز الفوائد المستخرجة من الآيات، بتحقيق للمعاني وباستثمار للآيات القرآنية بأسلوب واضح سهل، ومنهجية مطردة سليمة.

وقد صاحب هذه النهضة شيء يسير من الانفلات عن ضوابط التدبر الصحيح بمشارتات من الغلط، أهمها: الحرص على التجديد والإغراب.

وكان ضمن العلاجات لضبط التدبر: النظر في مناهج علماء المسلمين فيه؛ لاحتذاتها، ولاسيما المكثرين المتقنين، ومنهم الإمام ابن عثيمين رحمه الله.

وتأتي هذه الورقة استجابة لطلب بحث حول منهجية الشيخ في تدبر القرآن العظيم، تحت عنوان: منهجية التدبر عند العلامة محمد بن صالح العثيمين.

### أهمية الموضوع:

وتبرز أهمية هذا الموضوع من أهمية مفردات عنوان البحث:

- ١) المنهجية (أهمية ضبط المنهج وتصحيحه).
- ٢) أهمية التدبر.
- ٣) عظمة القرآن العظيم.
- ٤) تميز الإمام ابن عثيمين رحمه الله في العلم والعمل، وسبقه في التدبر خاصة بما لم يلحق ولم يسبق إليه من كثرة التدبر مع صحته.

### خطة البحث:

قد قسمته إلى تمهيد، وثلاثة مباحث.

« التمهيد: وفيه مطلبان.

المطلب الأول: تعريف موجز بالشيخ ابن عيثمين، وفيه ثلاثة مسائل:

المسألة الأولى: حياته الشخصية.

المسألة الثانية: حياته العلمية.

المسألة الثالثة: أبرز صفاته.

المطلب الثاني: تعريف التدبر.

« المبحث الأول: صحة التدبر، وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: صحة منهج التفسير.

المطلب الثاني: صحة دلالة الآية على المعنى.

المطلب الثالث: صحة المعنى في نفسه.

المطلب الرابع: صحة الاعتقاد.

المطلب الخامس: إقامة الأدلة على التدبر:

المطلب السادس: مجازية مثرات الغلط في التدبر:

« المبحث الثاني: سعة التدبر، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: سعة الدلالات.



المطلب الثاني: سعة الموضوعات.

المطلب الثالث: سعة التفسير.

« المبحث الثالث: فروع منهجية للتدبر عند الشيخ ابن عثيمين، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الربط بالواقع.

المطلب الثاني: الإجابة على أسئلة التدبر.

المطلب الثالث: التفريع على التدبر.

المطلب الرابع: ذكر ما أخذ التدبر.

« الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

« فهرس المراجع.

وبالله أستعين أن يجعل هذا البحث مباركاً عليّ، وعلى كل من قرأه وانتفع به.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

## تميهد

المطلب الأول: تعريف موجز بالشيخ ابن عثيمين:

المسألة الأولى: حياته الشخصية :

(أ) اسمه ونسبه:

هو أبو عبد الله محمد بن صالح بن سليمان بن عبدالرحمن بن عثمان (وهو الذي أطلق عليه «عثيمين» واشتهرت أسرته به).

من آل مقبل، من آل ريس الوهبي التميمي<sup>(١)</sup>.

(ب) مولده:

ولد الشيخ في مدينة عنيزة من القصيم، في السابع والعشرين من رمضان، عام سبعة وأربعين وثلاثمائة وألف من الهجرة<sup>(٢)</sup>.

(ت) وفاته:

مرض الشيخ رحمه الله في آخر حياته بسرطان القولون، وفي عصر اليوم الخامس عشر من شهر شوال من عام إحدى وعشرين وأربعمائة وألف توفي رحمه الله<sup>(٣)</sup>.

(١) الجامع لحياة العلامة محمد بن صالح العثيمين، وليد الحسين، ط مجلة الحكمة، ط١، ١٤٢٢هـ، (ص: ١٠) جهود الشيخ ابن عثيمين وآراؤه في التفسير وعلوم القرآن، د/ أحمد البريدي، مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢٦هـ، (ص: ٣٠). الشيخ ابن عيمين جهوده وآراؤه في علوم البلاغة، د/ منير محمد، الدحام، دار ابن حزم، ط١، ١٤٣٤هـ، (ص: ٢٨). ابن عثيمين الإمام الزاهد، د/ ناصر بن مسفر الزهراني، ط دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٢هـ، (ص: ٢٧). الدر الثمين (ص: ١٧)، الشيخ محمد صالح العثيمين من العلماء الربانيين، عبد المحسن العباد، دار الإمام أحمد، القاهرة، ١٤٢٤هـ (ص: ٥).

(٢) الجامع (ص: ١٠)، جهود الشيخ ابن عثيمين (ص: ٢٩)، ابن عثيمين الإمام الزاهد (ص: ٢٧).

(٣) الجامع (ص: ١٧٣)، جهود الشيخ ابن عثيمين (ص: ٣١)، ابن عثيمين الإمام الزاهد (ص: ٣٠).

## المسألة الثانية: حياته العلمية

(أ) أبرز شيوخه<sup>(١)</sup>:

(١) العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله (ت ١٣٧٦هـ)، لازمه الشيخ ست عشرة سنة تقريباً.

(٢) الإمام عبدالعزيز بن عبدالله بن باز رحمه الله (ت ١٤٢٠هـ). ٣.

(٣) العلامة محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي رحمه الله (ت ١٣٩٣).  
(ب) رز تلاميذه<sup>(٢)</sup>:

(١) أ.د/ أحمد بن عبدالرحمن القاضي.

(٢) أ.د/ أحمد بن محمد الخليل.

(٣) أ.د/ خالد بن عبدالله المصلح.

(٤) أ.د/ خالد بن علي المشيقح.

(٥) أ.د/ سامي بن محمد الصقير.

(٦) أ.د/ عبدالرحمن بن صالح الدهش.

(٧) أ.د/ عبدالله بن محمد الطيار.

(٨) أ.د/ محمد بن صالح البراك.

---

(١) الجامع (ص: ٤٨-٤٩)، جهود الشيخ ابن عثيمين (ص: ٣٠)، الشيخ ابن عثيمين جهوده وآراؤه (ص: ٣١).

(٢) الجامع (ص: ٥٠-٥٧)، جهود الشيخ ابن عثيمين (ص: ٣٤)، الشيخ ابن عثيمين جهوده وآراؤه (ص: ٣٤).

(ج) أهم أعماله<sup>(١)</sup>:

- ١) وقف الشيخ حياته في سبيل الله تعالى، وسلك في ذلك السبيل طرقاً منها:
  - ١) التدريس: في الحرمين، وفي مسجده، وفي المعهد العلمي وفي الجامعة.
  - ٢) الدعوة إلى الله تعالى عن طريق المحاضرات، وفي مواسم الحج وغيره.
  - ٣) الخطابة في الجامع الكبير في عنيزة.
  - ٤) المشاركة الإعلامية الدعوية والتعليمية.
  - ٥) التأليف ابتداءً، أو مراجعة لما كان أصله دروساً علمية أو محاضرات.
- (د) ذكر أهم مؤلفاته<sup>(٢)</sup>:

لقد خلف العلامة ابن عثيمين رحمه الله تعالى علماً واسعاً نافعاً، محفوظاً في الكتب ومسجلاً بصوته رحمه الله، وكتبه على نوعين:

- ١) ما ألفه ابتداءً، ومن أبرزها المقررات في المعاهد العلمية: الإمام بتفسير آيات الأحكام، وفتح رب البرية بتلخيص الحموية، والأصول من الأصول، وأصول التفسير، ومنها: القواعد المثلى في أسماء الله وصفاته الحسنى.
- ٢) ما أصله دروساً ألقاها الشيخ فحفظت ثم كتبت، وراجع بعضها بنفسه، وبعضها لم يراجعها، فبعضها راجعتها المؤسسة، وبعضها نشر من غير مراجعة، ومن أبرز هذا النوع:

(١) الجامع (ص: ٥٤)، جهود الشيخ ابن عثيمين (ص: ٣٧).

(٢) الجامع (ص: ١٤٧-١٦٤)، جهود الشيخ ابن عثيمين (ص: ٤٠-٥٤).

١. تفسير القرآن العظيم.
  ٢. أحكام القرآن الكريم.
  ٣. فتاوى أركان الإسلام.
  ٤. مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن صالح العثيمين، جمع فهد بن ناصر السليمان.
  ٥. شرح الممتع على زاد المستقنع.
  ٦. شرح بلوغ المرام.
  ٧. شرح رياض الصالحين.
  ٨. فقه العبادات.
  ٩. شرح العقيدة الواسطية.
  ١٠. القول المفيد على كتاب التوحيد.
- المسألة: الثالثة أبرز صفاته:

لقد كان الإمام العلامة ابن عثيمين رحمه الله مثلاً حياً في هذا العصر للالتزام بالسنة النبوية في جميع مجالاتها، ومن أوسع أبوابها: باب الأخلاق والصفات التي كان لها أثر في الفتح في فهم كلام الله تعالى.

ومن أبرز ما هو ظاهر في تطبيق الشيخ، منها<sup>(١)</sup>:

---

(١) انظر: الجامع لحياة العلامة محمد بن صالح العثيمين (ص: ١٤، ٢٦، ٥٨، ٦٤، ١٣٩، ١٤٦)، ابن عثيمين الإمام الزاهد (ص: ٤٨، ٥٤، ٦١، ٦٥، ٨٥، ٩٥، ٩٠، ٩٨، ١٢١، ١٣٢، ١٤٥، ١٥٠، ١٥٩، ١٦٧، ١٧٣)، وندوة جهود الشيخ ابن عثيمين العلمية، طبعة جامعة القصيم، (١/٢٦-٢٩).

- ١ الإخلاص لله تعالى.
- ٢ الاعتصام بالكتاب والسنة، ونبذ الحزبيات.
- ٣ التواضع والقرب من عامة الناس.
- ٤ الصبر والمثابرة.
- ٥ الصدق.
- ٦ الزهد في الدنيا.
- ٧ الورع.
- ٨ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- ٩ قضاء حوائج الناس، والمشاركة في الأعمال الخيرية.
- ١٠ التزام أدب الخلاف والحوار، وتجنب الجدل والرود.
- ١١ الدقة و الثبوت والتبين.
- ١٢ الحرص على استغلال الوقت بالصالحات.
- ١٣ المشاركة في الدعوة إلى الله عز وجل على بصيرة وبحكمة.
- ١٤ العناية بالطلاب، وتربيتهم وتوجيههم.
- ١٥ التأصيل، والمنهجية العلمية المنضبطة.
- ١٦ العناية بالشباب والنساء، وأحوال المسلمين في العالم.
- ١٧ رجاحة العقل، والذكاء، والفتنة، والحكمة.

(١٨) علو الهمة.

(١٩) الهيبة.

(٢٠) الرحمة.

(٢١) النظام.

### المطلب الثاني: تعريف التدبر:

اختلفت ألفاظ المعرفين للتدبر من اللغويين والمفسرين وغيرهم، واختلفها ليس باختلاف حقيقي.

ومن أبرز ما جاء في تعريف التدبر عند اللغويين:

قول ابن منظور في اللسان: «تدبر الكلام: النظر في أوله وآخره، ثم إعادة النظر مرة بعد مرة...، فالتدبر في الأمر: التفكير فيه»<sup>(١)</sup>.

ومن أحسن ما جاء في تعريفه عند المفسرين: في تفسير آيات التدبر:

قول مقاتل بن سليمان: «هو التأمل في معانيه، وتحديق الفكر في مبادئه وعواقبه ولوازم ذلك»<sup>(٢)</sup>.

وقول الزمخشري: «تدبر القرآن: تأمل معانيه وتبصر ما فيه»<sup>(٣)</sup>. وبنحوه قال البيضاوي<sup>(٤)</sup>.

وقال القرطبي: «هو التفكير فيه وفي معانيه»<sup>(٥)</sup>.

وقال الطاهر بن عاشور: «التدبر: إعمال النظر العقلي في دلالات الدلائل على ما

(١) لسان العرب، لابن منظور، ط دار صادر، ط ٣، ١٤١٤ (٤/٢٦٨).

(٢) تفسر مقاتل بن سليمان، تحقيق عبدالله محمود شحاتة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤٢٣ هـ (١/٣٣٥).

(٣) الكشف للزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٧ هـ (١/٤٣٨).

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي، تحقيق محمد المرعشي، دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٤١٨ هـ.

(٥) الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي، تحقيق أحمد البردوني وآخرين، دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٨٤ هـ (٥/٢٩٠).



نصبت له، أصله من النظر في دبر الأمر، أي فيما لا يظهر منه للمتأمل بادية ذي بدء»<sup>(١)</sup>.

وقال عبدالرحمن حسن جبنكة الميداني: «هو التفكير الشامل الواصل إلى أواخر دلالات الكلم ومراميه البعيدة»<sup>(٢)</sup>.

ومن أجمع وأحسن تعريفات التدبر: تعريف الشيخ محمد الربيعة:

بأنه الوقوف مع الآيات، والتأمل فيها، للانتفاع بها إيماناً، وعملاً، وعلماً<sup>(٣)</sup>.

والمقصود بالتدبر في هذا البحث بعضه لا كله، وهو التدبر التعليمي (الاجتماعي) الذي يكون في درس علمي بمحفل من العامة وطلاب العلم، أو وسيلة إعلامية أو كتاب.

ومنه: النظر في بيان معنى الآية حال خفائه، والنظر في الأقوال المختلفة في تفسيرها وهذا من علم التفسير، كما يدخل فيه: الاستنباط لأنواع المستنبطات من الفوائد الخفية: العقديّة، والفقهية، والسلوكية، واللغوية، والأصولية، ويدخل فيه: تنزيل الآيات على الحوادث لأحوال الحياة اليومية<sup>(٤)</sup>.

وأما التدبر النفسي: (القلبي) (الخاص) الذي منه التأثير بالقرآن والخضوع عنده، وتحصيل العلوم النافعة منه، والأعمال الصالحة على النفس دون تقرير ذلك تعليمياً، فليس هو المقصود بهذا البحث وإن كان هو معظم التدبر<sup>(٥)</sup>.

(١) التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، الدار التونسية - تونس، ١٩٨٤م (١٨/٧١).

(٢) قواعد التدبر الأمثل، لعبدالرحمن حسن جبنكة الميداني، ط ٤، ١٤٣٠هـ، دار القلم بدمشق (ص: ١٠).

(٣) أبحاث مفهوم التدبر تحرير وتأصيل، أوراق عمل الملتقى الأول لتدبر القرآن الكريم، ط ١، ١٤٣٠هـ، (ص: ١٧٨).

(٤) مستفاد من بحث للشيخ مساعد الطيار، ضمن أبحاث: مفهوم التدبر تحرير وتأصيل (ص: ٨٣).

(٥) انظر: تدبر القرآن الكريم، عبداللطيف التويجري، ط ١، ١٤٣٦هـ، (ص: ٣١-٦٤).

## المبحث الأول

### صحة التدبر

المطلب الأول: صحة منهج التفسير:

التفسير أشرف العلوم، وأجلها، فموضوعه كلام الله تعالى، وكل كمال مفتقر إلى العلم بالقرآن.

والتفسير مفتاح الكنوز العظيمة التي حواها القرآن العظيم، وبفهم المسلم للقرآن يتلذذ بتلاوته<sup>(١)</sup>.

والارتباط بين التفسير والتدبر ظاهر، فما من تدبرٍ إلا وهو مبني على فهمٍ لمعنى الآية، بل قد يكون من بيان معاني الآيات ما هو من قبيل التدبر كما سبق في تعريف التدبر.

وإذا كان التدبر فرعاً عن التفسير، أو بعضاً منه فينبغي لأجل أن يكون التدبر صحيحاً: أن يكون منهج التفسير صحيحاً<sup>(٢)</sup>.

وقد أصّل الشيخ المنهج الصحيح للتفسير، واعتمد عليه تطبيقاً، ويقوم هذا المنهج على أربع طرق:

---

(١) قال الإمام الطبري: «أي لأعجب ممن قرأ القرآن ولم يعلم تأويله كيف يتلذذ بتلاوته» انظر: معجم الأدباء (٦/ ٢٤٥٣)

(٢) تدبر القرآن الكريم / عبداللطيف التويجري (ص: ٣٨٨-٣٩٢)، منهج الراسخين في تدبر وحي رب العالمين، أحمد معاذ حقي، ط ١، رابطة العالم الإسلامي (ص: ٤٧-٥١). انظر: إتخاف القارئ بوسائل التدبر لكلام الباري، عبدالرحمن الدهامي، مدار الوطن، ط ١، ١٤٣٥، (ص: ١١٢-١٣٣).

- ١) تفسير القرآن بالقرآن والقراءات.
  - ٢) تفسير القرآن بالسنة النبوية، ومنها أسباب النزول.
  - ٣) تفسير القرآن بأقوال السلف من الصحابة والتابعين.
  - ٤) تفسير القرآن باللغة العربية.
- وتفاصيل هذ المنهج ومثالاته من كلام الشيخ تقريراً وتطبيقاً ظاهرةً وكثيرة جداً<sup>(١)</sup>.

والمقصود هنا أن الشيخ رحمه الله التزم هذا المنهج، ولا أعلم مخالفة له.

#### المطلب الثاني: صحة دلالة الآية علمه المعنى:

من أهم مشارات غلط المتدبرين، ولاسيما العامة منهم، أن يُركبوا بعض المعاني الصحيحة على ما لا يدل لها من الأدلة القرآنية، وهذا ما عبر عنه شيخ الإسلام ابن تيمية بالغلط في الدليل دون المدلول<sup>(٢)</sup>.

ولإتقان الشيخ علم أصول التفسير، وعلم أصول الفقه والفهم، وعلوم اللغة العربية<sup>(٣)</sup>، وهي الضوابط لصحة الدلالة، مع ما توفر فيه من أسباب إصابة الحق والفهم: من صحة الاعتقاد والتجنب عن الهوى، وقوة الاستدلال ودقة الفهم، والقدرة

---

(١) انظر: جهود الشيخ ابن عثيمين وآراؤه في التفسير وعلوم القرآن (١٧٣-٣١٦)، وشرح الشيخ ابن عثيمين لمقدمة شيخ الإسلام (ص: ١٢٧).

(٢) مقدمة شيخ الإسلام ابن تيمية في صول التفسير (ص: ٩٢)، شرح الشيخ ابن عثيمين لمقدمة شيخ الإسلام (ص: ١٢٦).

(٣) المفسر شروطه وأدابه ومصادره دراسة تأصيلية، أحمد قشيري سهل، ط الرشد، ط ١، ١٤٢٩ هـ (ص: ١٤١-١٧٤).

على الترجيح والجمع بين الأقوال<sup>(١)</sup>، فإنه لا يكاد يوجد له من التفسير والتدبر، ما لم تدل عليه الآية، هذا مع توسعه في استخراج الهدايات القرآنية المتنوعة، ولكن سيأتي أن بعض الآيات يكون لها وجوه من التفسير صحيحة، أو محتملة، فيستخرج الشيخ رحمه الله بعض الفوائد منها، على هذه الأوجه التفسيرية.

### المطلب الثالث: صحة المعنى فيه نفسه:

يجب أن يكون المعنى الذي تفسر من الآية صحيحاً في نفسه، وتعرف صحته بدلالة الأدلة عليه، أو بعدم وجود ما يبطله، وقد يكون المعنى المتدبر من الآية غير صحيح، وذلك إذا وجد دليل معارض له راجح<sup>(٢)</sup>، أو كان قولاً باطلاً دفع إليه التقديم للهوى والمذهب بين يدي القرآن والسنة.. ونحو ذلك.

وقد كان الشيخ ابن عثيمين رحمه الله شديد التحري لإصابة المعنى الحق في نفسه، وفي احتمال الآية له، وفي تفسيره من رد الأقوال الباطلة بذاتها شيء كثير.

ومن أمثلة ذلك: في تفسير الفاتحة:

رده على من فسر «الرحمن» بإرادة الإحسان أو الإحسان نفسه<sup>(٣)</sup>.

(١) المفسر شروطه وآدابه ومصادره (ص: ١٠٣-١٢٧، ١٣٠، ١٣٢).

(٢) انظر: منهج الاستنباط من القرآن، د/ فهد بن مبارك الوهبي، ط معهد الشاطبي، ط ١، ١٤٢٨ هـ (ص: ١٤٥-١٤٧).

(٣) القرآن الكريم، محمد بن صالح العثيمين، جمع عبد الكريم المقرن، دار طريق، ط ١، ١٤١٥ هـ (ص: ١٦)، وتفسير القرآن الكريم (الفاتحة - البقرة) لمحمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، ط ١، ١٤٢٣ هـ (٦/١).

ورده على من فسر الغضب بالانتقام، أو بإرادة الانتقام<sup>(١)</sup>.

وقد دفع الشيخ في تعليقه على تفسير الجلالين ما وقع فيه من تأويلات<sup>(٢)</sup>.

### المطلب الرابع: صحة الاعتقاد:

من أهم أسباب إصابة الحق في التفسير وغيره من العلوم والأعمال: صحة الاعتقاد والتجرد عن الهوى والتعصب<sup>(٣)</sup>، لأن فساد الاعتقاد والمنهج يصير بصاحبه إلى تحريف دلالة القرآن إلى ما يعتقد وينهج<sup>(٤)</sup>، ومما يصدق ذلك من كتاب الله تعالى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص: ٢٦].

والناظر في كلام العلامة محمد بن صالح العثيمين في التفسير والتدبر في دروس التفسير خاصة أو فيما يعرض له منها في العلوم الأخرى، يجد أن الاهتمام الغالب على الشيخ صحة الاعتقاد، تقريراً وتطبيقاً ورداً على المخالفين مما لا يكاد يحصى كثرة.

### المطلب الخامس: إقامة الأدلة على التدبر:

اهتم العلامة ابن عثيمين رحمه الله بالدليل كثيراً، وعظّمه، وربى طلابه على النظر فيه وطلبه.

وقد جرى على ذلك في الفوائد التي يستخرجها للآيات، فقد يعضد دلالة الآيات عليه بأدلة أخرى، ولاسيما إذ كان مأخذها من الآية غير ظاهر.

(١) أحكام من القرآن (ص: ٤٥).

(٢) انظر: جهود الشيخ ابن عثيمين في التفسير (ص: ٧٢-٧٣).

(٣) المفسر شروطه، آدابه ومصادره (ص: ١٠٣-١١١).

(٤) المقدمات الأساسية في علوم القرآن/ عبد الله بن موسى الجديع، مركز البحوث الإسلامية، ليدز، بريطانيا، ط١، ١٤٢٢هـ (ص: ٢٩٣).

ومن أمثلة ذلك: أنه ذكر من فوائد ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧] أن من سلك طريقهم فهو في نعمة وسرور وانشرح، ثم استدل لذلك بقوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّاهُ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]، ويقول النبي ﷺ: «عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير»<sup>(١)</sup> الحديث<sup>(٢)</sup>.

### المطلب السادس: مجانبة مثرات الغلط فيه التدبر:

إن المسلم ينبغي له أن يكون حريصا على الفهم الصحيح لكلام الله تعالى، بطلب ذلك من وجوهه، ويجذر من مداخل الفهم الغالط عليه.

ومن أعظم أبواب الغلط في فهم القرآن العظيم وما يترتب عليه من تدبر:

#### ١) باب الجهل:

وقد كان العلامة ابن عثيمين واسع العلم، «وكتاب الله تعالى لا يتفسر إلا بتصريف جميع العلوم فيه»، وكان كثير التحذير من الكلام في الشريعة عموماً بغير علم.

#### ٢) باب الهوى والتعصب:

إن التفكير الحر النزيه المستقل البعيد عن المكابرة الخاضع للدليل من أهم أسس صحة التدبر<sup>(٣)</sup>.

وقد كان العلامة ابن عثيمين منابذاً للأهواء كلها، كما كان مستقلاً متجرداً في طلب الحق بدليله لا يدع الحق الذي يبين له لقول أحد كائنا من كان.

(١) صحيح مسلم، لإمام مسلم بن الحجاج، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت (٤ / ٢٢٩٥).

(٢) أحكام من القرآن (ص: ٣٧-٣٨).

(٣) تدبر القرآن الكريم / عبداللطيف التويجري ص: (٣٨٨).

### ٣ باب التكلف:

وقد كان العلامة ابن عثيمين رحمه الله من أبعد الناس عن كل علم لا ينفع، وكان لا يتكلم فيما استأثر الله تعالى بعلمه، وينهى عن الخوض في المغيبات، ولذا كان لا يتكلم في مبهمات القرآن<sup>(١)</sup>، ولا يكثر من محتملات وجوه الإعراب والبلاغة في القرآن، ولا سيما إذا كانت معقدة مُتكلفة، بل يكتفي بالأوجه الظاهرة<sup>(٢)</sup>.

والذي يميز التدبر عن الألفاظ المقاربة له هو أن العمل من مقاصد القارئ أصلاً<sup>(٣)</sup>، فما ليس يبنى عليه عمل لا يدخل في التدبر، بل للشيخ عناية شديدة بمراتب النفع، ويسعى غالباً إلى أعلاها.

وكان من معالم منهجه الواضحة أن يقرر الحق ابتداءً لا نقداً، ولذلك فليس له تأليف خاص في النقد، وفي الجدل والخصومات، ولا يحفل الشيخ كثيراً بمراتب العلم المتوسطة، كتسمية أصحاب الأقوال التفسيرية، والفقهية وغيرها، فضلاً عن مراتب العلم الدنيا.

---

(١) القاعدة: أن ما أهبهم الله تعالى فلا فائدة من بيانه. قواعد التفسير، خالد السبت، ط دار ابن عفان، ط ١، ١٤١٧هـ، (ص: ٢٥).

(٢) القاعدة: يجب حمل كتاب الله على الأوجه الإعرابية القوية والمشهورة، والموافقة لأدلة الشرع، دون الضعيفة والشاذة والغريبة. ينظر: مختصر قواعد الترجيح عند المفسري، حسين الحري، دار ابن الجوزي، ط ١، ١٤٢٩هـ، (ص: ٢٣٨، ٢٤٢).

(٣) تدبر القرآن الكريم / عبد اللطيف التويجري ص: (٣٨٨).

## المبحث الثاني

### سعة التدبر

#### المطلب: الأول سعة الدلالات:

من الأسس العامة لمنهج الاستنباط من القرآن والسنة مراعاة قصد الشارع؛ لاستيعاب جميع قضايا الناس، وهي لا تنتهي مع تنامي النصوص<sup>(١)</sup>.

وتنقسم المعاني إلى قسمين:

١. معان أولية (أصلية)، وهي أصل المعنى، والمفهوم من ظاهر اللفظ، ومنها: دلالة المنطوق بطريق المطابقة أو التضمن أو الالتزام والإشارة.

٢. معاني ثانية (تابعة)، وهي الدلالة المأخوذة من المعاني الأولى، ومنها:

دلالة المفهوم بنوعيه، ودلالة القرائن، لاسيما السياق الحالي أو المقالي، والدلالات

الأصولية،

والدلالات النحوية، و الدلالات الصرفية، و الدلالات البلاغية وغيرها<sup>(٢)</sup>.

---

(١) الحكم الشرعي من منهج الاستنباط وفقه التنزيل، رشيد سلهاط، دار النوادر، ط ١، ١٤٣٦هـ (ص: ١٠٢).

(٢) انظر: اتساع الدلالة في الخطاب القرآني، د/ محمد نور الدين المنجد، دار الفكر، ط ١، ١٤٣١هـ. البحث الدلالي في كتب معاني القرآن، د/ عمار الدود، عالم الكتب، الأردن، ط ١، ١٤٣١هـ. منهج المتكلمين في استنباط الأحكام الشرعية، د/ عبدالرؤف خرابشة، دار ابن حزم، ط ١، ١٤٢٦هـ. ودلالات الألفاظ مباحث الأصوليين، د/ يعقوب الباحسين، دار التدمرية، ط ١، ١٤٣٤هـ. قواعد استنباط ألفاظ الأدلة عند الحنابلة، د/ عبدالمحسن الصوبع، دار البشائر الإسلامية. طرق دلالة اللفظة على الحكم في فهم المتكلمين، د/ علي حسين، مطبعة لغد ١٤٢٣هـ. الدلالات وطرق الاستنباط، د/ إبراهيم بن أحمد الكندي، دار قتيبة، ط ١، ١٤١٩هـ. أثر اللغة في الاستنباط الشرعية د/ حمدي بخيت عمران، =



وقد كان الشيخ ابن عثيمين في أعلى مراتب الفهم من النصوص الشرعية، والناس متفاوتون في مراتب الفهم، فمنهم من يفهم حكماً أو حكمين، ومنهم من يفهم منها عشرة أحكام أو أكثر، ومن من يقتصر على مجرد اللفظ دون سياقه، ودون إيمائه وإشارته، ومنهم من يفهم من النص بمفرده، ومنهم من يضمه إلى نص آخر<sup>(١)</sup>.

وقد استخدم العلامة ابن عثيمين هذه الدلالات بكثرة ملحوظة في استخراج كثير من الفوائد من الآيات القرآنية مما أثمر كثيراً من المعارف من نصوص محددة.

وقال رحمه الله عن أنواع الدلالة الأولية: (المطابقة والتضمن والالتزام) «هذه الأنواع الثلاثة من الدلالة إذا استعملها الإنسان استعمالاً جيداً حصل بها فوائد كثيرة»<sup>(٢)</sup>، وقال: «يحصل بها العلم الكثير بأدلة قليلة»<sup>(٣)</sup>.

وكان الشيخ رحمه الله يقصد ذلك في تفسيره<sup>(٤)</sup> ويهتم به، ويربي في طلابه ملكة استنباط الفوائد من الآيات القرآنية.

=وزارة الأوقاف الكويتية ١٤٢٢هـ. أثر اللغة في اختلاف فهم المجتهدين، عبدالوهاب، طريق دار السلام، مصر، ط٢، ١٤٢٠هـ. الدلالات اللفظية وأثرها في استنباط الأحكام من القرآن الكريم د/ علي حسن الطويل، دار البشائر الإسلامية، ط١، ١٤٢٧.

(١) انظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن قيم الجوزية، تحقيق رائد صبري، دار طيبة، ط١، ١٤٢٧هـ (٢٧٦/١).

(٢) أحكام من القرآن الكريم (ص: ٩-١٠).

(٣) التعليق على القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن للشيخ السعدي، والتعليق لابن عثيمين دار الجوزي، ط١، ١٤٣١هـ (ص: ٤٥) التعليق على القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن للشيخ السعدي، والتعليق لابن عثيمين دار الجوزي، ط١، ١٤٣١هـ (ص: ٤٥). وانظر: قواعد التدبر الأمتل (ص: ١٢٢ و١٤٩ و١٥١).

(٤) قال في أحكام القرآن (ص: ٨-٩): والمراد من هذا الكتاب هو استنباط الفوائد من كتاب الله عز وجل ليحصل بذلك خير كثير.

قال في سورة الفاتحة: «فكل معاني القرآن تتضمنها هذه السورة بالإشارة والدلالة التضمنية والالتزامية»<sup>(١)</sup>.

ولأضرب المثل لهذه الدلالات مما ذكره الشيخ رحمه الله في تفسير السورة:

### أ) المعاني الأولية:

- ١) دلالة المطابقة: إثبات الجزاء من ﴿مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]<sup>(٢)</sup>.
- ٢) دلالة التضمن: إثبات الرحمة من ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ٣]<sup>(٣)</sup>.
- ٣) دلالة اللزوم: استفادة كمال عدل الله تعالى، وحكمته من ﴿مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ﴾<sup>(٤)</sup> وكمال حكمته و كمال رحمته من ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]<sup>(٥)</sup>.

### ب) المعاني التابعة:

١- دلالة القرآن، ولاسيما السياق والمناسبة:

ومنه تفسير ﴿رَبِّ الْوَالِدِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] بالربوبية المبنية على الرحمة الواسعة الواصلة<sup>(٦)</sup>، و ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ عقب ﴿إِنَّا كُنَّا نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥]<sup>(٧)</sup>.

(١) أحكام القرآن الكريم (ص: ٤٩).

(٢) المصدر السابق (ص: ١٩).

(٣) تفسير القرآن الكريم (سورة الفاتحة - البقرة) (١/١١).

(٤) أحكام من القرآن الكريم (ص: ٢٠).

(٥) المصدر السابق: (ص: ٣٤).

(٦) تفسير سورة الفاتحة (ص: ٤٦).

(٧) المصدر السابق (ص: ٩٣).

٢ - دلالة مفهوم المخالفة في ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥] <sup>(١)</sup> وفي ﴿أَصْرَطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ <sup>(٢)</sup>.

٣ - دلالة الجمع بين القراءات المتواترة، ومن أمثلته: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] و«ملك يوم الدين» <sup>(٣)</sup>.

٤ - الدلالة النحوية: ومما جاء عنده دلالات حروف المعاني، كدلالة أل في ﴿أَلْحَمْدُ﴾ [الفاتحة: ٢] على الاستغراق <sup>(٤)</sup>، ودلالة اللام في ﴿لِلَّهِ﴾ على الاختصاص والاستحقاق <sup>(٥)</sup>.

ومنها دلالة الفعل المضارع ﴿أَلْحَمْدُ﴾ [الفاتحة: ٥] على الاستمرار <sup>(٦)</sup>، ودلالة البناء للمفعول ﴿نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٧] <sup>(٧)</sup>.

٥ - الدلالة الصرفية: ومما ذكر من ذلك دلالة وزن «فعلان» على السعة في تفسير اسم (الرحمن) <sup>(٨)</sup>، ووزن «فعليل» على وقوع الفعل في تفسير اسم (الرحيم) <sup>(٩)</sup>.

٦ - الدلالة البلاغية: ولها فيه وجوه كثيرة منها: تأخير العامل في (بسم الله)

(١) أحكام من القرآن الكريم (ص: ٢٣).

(٢) أحكام من القرآن الكريم (ص: ٣٣).

(٣) تفسير سورة الفاتحة (٥٤-٥٥)، أحكام من القرآن الكريم (ص: ١٧)، وتفسير القرآن الكريم سورة الفاتحة والبقرة (١٢/١).

(٤) تفسير سورة الفاتحة (ص: ٣٥)، أحكام من القرآن الكريم (ص: ١٢)، تفسير القرآن الكريم الفاتحة والبقرة (٩/١ و ١٠).

(٥) المراجع السابقة.

(٦) تفسير سورة الفاتحة (ص: ٧٤).

(٧) المصدر السابق: (١١٦)، أحكام من القرآن الكريم (ص: ٤٤).

(٨) تفسير سورة الفاتحة (ص: ٢٤ و ٤٤-٤٦)، أحكام من القرآن (ص: ١٥)، تفسير القرآن الكريم سورة الفاتحة والبقرة (١/١ و ١١).

(٩) تفسير سورة الفاتحة (ص: ٢٤ و ٤٦)، تفسير القرآن الكريم سورة الفاتحة والبقرة (١/١ و ١١).

- للحصر<sup>(١)</sup>. ومنها تقديم المعمول في ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]<sup>(٢)</sup>.
- ومنها: الالتفات في ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥] من الغيب إلى الخطاب<sup>(٣)</sup>.
- ومنها: التعبير عن المفرد بصيغة الجمع ﴿أَهْدِنَا﴾<sup>(٤)</sup> ﴿نَعْبُدُ﴾<sup>(٥)</sup>.
- ومنها: حذف حرف الجر في ﴿أَهْدِنَا﴾<sup>(٦)</sup>.
- ٧ - دلالة الفروق اللغوية، كالذي ذكره في الفروق بين الصراط والطريق<sup>(٧)</sup>.
- ٨ - دلالة المناسبات بأنواعها ولاسيما مناسبة ختم الآيات بالأسماء الحسنى.
- ٩ - دلالة الاقتران: كلاقتران بين العبادة والاستقامة<sup>(٨)</sup>، وبين ﴿أَنْعَمْتَ﴾، و ﴿الْمَغْضُوبِ﴾<sup>(٩)</sup>.
- ١٠ - دلالة الاشتقاق: كالذي ذكره في اشتقاق (العالمين) أنه من العلامة؛ لأنه علم على خالقهم أي دليل عليه<sup>(١٠)</sup>.

- 
- (١) تفسير الفاتحة (ص: ١٥)، تفسير القرآن الكريم الفاتحة البقرة (١/٤).
- (٢) تفسير الفاتحة (ص: ٥٨ و ٧٤)، أحكام القرآن الكريم (ص: ٢٤)، تفسير القرآن الكريم الفاتحة والبقرة (١/١٣ و ١٤).
- (٣) تفسير سورة الفاتحة (ص: ٧٣)، أحكام من القرآن الكريم (ص: ٢٦).
- (٤) تفسير سورة الفاتحة (ص: ٧٩-٨٠).
- (٥) أحكام من القرآن الكريم (ص: ٢٦ و ٢٧).
- (٦) تفسير القرآن الكريم سورة الفاتحة والبقرة (١/١٦).
- (٧) تفسير سورة الفاتحة (ص: ٨١)، أحكام من القرآن الكريم (ص: ٣١).
- (٨) تفسير سورة الفاتحة (ص: ٦٧)، أحكام من القرآن الكريم (ص: ٢٤).
- (٩) أحكام من القرآن الكريم (ص: ٣٩).
- (١٠) تفسير سورة الفاتحة (ص: ٤٠)، وتفسير القرآن الكريم الفاتحة والبقرة (١/١٠).

١١ - دلالة الترتيب بين المغضوب عليهم والضالين<sup>(١)</sup>، وتقديم (لله) على (رب)<sup>(٢)</sup>.  
والغالب في هذه التدبرات أن يكون فيها دقة وخفاء<sup>(٣)</sup>.

هذه الأمثلة بعض ما ذكره الشيخ في تفسيراته لسورة الفاتحة فحسب وفي تفسيره  
لغير هذه السورة مئات التطبيقات لجميع أنواع الدلالات<sup>(٤)</sup>.

ولا شك أن التدبر لا بد أن يسبقه إلمام بعلوم العربية<sup>(٥)</sup>، من أهمها إدراك المعنى  
اللغوي للمفردات القرآنية، ودلالات حروف المعاني التي تربط بين الكلمات، ودلالات  
الجملة<sup>(٦)</sup>، ولا بد أن يسبقه كذلك إلمام بالدلالات الأصولية.

(١) تفسير سورة الفاتحة (ص: ١١٥)، وتفسير القرآن الكريم الفاتحة والبقرة (١/ ٢٠).

(٢) وتفسير القرآن الكريم الفاتحة والبقرة (١/ ١٠).

(٣) انظر: جهود الشيخ ابن عثيمين (ص: ٥٦١).

(٤) وما لم يذكر على سبيل التمثيل: دلالة التركيب المأخوذة من مجموع دليلين فأكثر. انظر: جهود الشيخ  
ابن عثيمين (ص: ٥٦٦).

(٥) التدبر حقيقته وعلاقته بمصطلحات التأويل والاستنباط والفهم والتفسير، عبدالله عبدالغني  
سرحان، ط مركز التدبر، ١٤٣٠هـ.

(٦) المراحل الثمان لطالب فهم القرآن، د. عصام العرب، مركز التبر، ط ١، ١٤٣١هـ المراحل الثمان لطالب  
فهم القرآن، د. عصام العرب، مركز التبر، ط ١، ١٤٣١هـ (ص: ٤٩-٨٧)، ومنهج الراسخين في  
تدبر وحى رب العالمين (٤١، و٦٢)، وانظر: تدبر القرآن، سليمان ليندي (ص: ٩٢-١٠٢، ١٢٠،  
١٢٦).

## المطلب الثاني: سعة الموضوعات:

قال الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيِّدًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهَدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

ففي هذه الآيات شمول القرآن لجميع ما يحتاجه الناس في دينهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ومن تأمل ما تكلم به الأولون والآخرون في أصول الدين والعلوم الإلهية، وأمور المعاد والنبوات والأخلاق والسياسات والعبادات، وسائر ما فيه كمال النفوس وصلاحتها، وسعادتها ونجاتها لم يجد عند الأولين والآخريين من أهل النبوات ومن أهل الرأي إلا بعض ما جاء به القرآن<sup>(١)</sup>.

ولاشتمال القرآن الكريم على جميع العلوم الشرعية صرّف الشيخ رحمه الله في تدبراته العلوم الشرعية والعربية، ولاسيما علم العقيدة والفقه، والدعوة، والتربية، واللغة، والأصول، وغيرها كثيراً.

وأمثلة ذلك كثيرة جداً في تفسيره<sup>(٢)</sup>.

وسعة علوم الشيخ وتنوع الفوائد ظاهرة في تفسيره<sup>(٣)</sup>.<sup>(٤)</sup>

(١) مجموع الفتاوى (٤٥ / ١٧).

(٢) انظر: جهود الشيخ ابن عثيمين وآراؤه في التفسير وعلوم القرآن، الجانب العقدي: (٣١٩-٤٤٦)، الجانب الفهقي: (٤٤٧-٤٦٥)، الجانب الأصولي: (٤٦٦-٤٩٤)، الجانب النحوي (٤٩٧-٥٠٥)، الجانب البلاغي: (٥١٢-٥٢٧)، الجانب التربوي: (٥٢١-٥٢٧).

(٣) ندوة جهود الشيخ ابن عثيمين (٢٠ / ١)، مجلة البيان عدد (١٦٠) ندوة جهود الشيخ ابن عثيمين (٢٠ / ١)، مجلة البيان عدد (١٦٠) فقال: منهج ابن عثيمين في التفسير، وعنه ابن عثيمين الإمام الزاهد (ص: ٧٢٧).

(٤) ندوة جهود الشيخ ابن عثيمين (١٦ / ١).

### المطلب الثالث: سعة التفسير:

تأثر الشيخ رحمه الله بمدرسة شيخ الإسلام ابن تيمية، التي وضعت القواعد للجمع بين الأقوال، والأخذ بها جميعاً ما أمكن، واعتبار غالب الاختلاف من اختلاف التنوع<sup>(١)</sup>، وبه يكون المعنى أوسع وأوضح، ولا سيما في اختلاف التنوع من حيث التفسير بالمثال، والتفسير بجزء المعنى، والتفسير باللازم، والتفسير بالألفاظ المتقاربة، والتفسير بالتفسيرات المحتملة للأقوال<sup>(٢)</sup>.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «القاعدة في علم التفسير: أن الآية إذا احتملت معنيين لا تعارض بينهما وجب الأخذ بهما جميعاً؛ لأن الأخذ بالمعنيين جميعاً أوسع للمعنى»<sup>(٣)</sup>.

ومن ذلك أنه حمل قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ [طه: ٣٩] على القولين، رجعهما جميعاً، فقال: «تحمل عليهما جميعاً فموسى عليه السلام محبوب الله ومحبوب الناس»<sup>(٤)</sup>.

(١) أصل الشيخ لذلك في أصول التفسير، دار ابن الجوزي ط ١، ١٤٢٣هـ.

وانظر: (ص: ٣٤).

في اختلاف التنوع ووجوهه: اختلاف التنوع في التفسير دراسة نظرية تطبيقية، منى المعيدر، دار العاصمة، ط ١، ١٤٣٤هـ، قواعد التدبر الأمثل / عبدالرحمن الميداني، ط ١، دار القلم، ١٤٠٠هـ.

(٢) أقوال المفسرين، توجيهها ومسائل التدقيق فيها (ص: ٣٠٢، ٣١٧، ٣٢١).

(٣) تفسير جزء عم، للعلامة محمد بن صالح العثيمين، تخريج فهد السليمان، ط ١، ١٤٢٣هـ، دار الثريا، الرياض تفسير جزء عم، للعلامة محمد بن صالح العثيمين، تخريج فهد السليمان، ط ١، ١٤٢٣هـ، دار الثريا، الرياض (ص: ١٢٠).

(٤) شرح العقيدة الواسطية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، الشرح لابن عثيمين، تخريج معه الصهيل، ط ٢، ١٤١٥هـ، دار ابن الجوزي شرح العقيدة الواسطية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، الشرح لابن عثيمين، تخريج معه الصهيل، ط ٢، ١٤١٥هـ، دار ابن الجوزي (١/٣١٩).

وكثيراً ما يذكر الشيخ معنى الآية باللفظ الذي يجمع الأقوال الصحيحة منها، دون أن يشير إلى اختلاف أصلاً<sup>(١)</sup>، وقد يبني التدبر على أحد الأقوال، أو أحد الاحتمالات، فيذكر النذير ثم يقول على أحد التفسيرين<sup>(٢)</sup>.

---

(١) انظراً: ﴿الضَرْطَ الْمُسْتَعِجِمَ﴾ [الفاتحة: ٦] في تفسير سورة الفاتحة (ص: ٨١)، وتفسير القرآن الكريم (الفاتحة والبقرة) (١٦/١)، وأحكام من القرآن الكريم (ص: ٣١).

(٢) تفسير سورة (الفاتحة والبقرة) (٣٦٦/٢) و/١١/٢، التحرير في أصول التفسير، د/ مساعد الطيار، معهد الشاطبي، ط ١، ١٤٣٥هـ (ص: ٢٤٥-٢٦٦).



## المبحث الثالث

### فروع منهجية للتدبر عند الشيخ ابن عثيمين

#### المطلب الأول: الربط بالواقع:

كان العلامة محمد بن صالح العثيمين إماماً مشاركاً بوعي في ربط أهل العصر بالقرآن.

ومن الملامح البارزة لمنهج الشيخ ابن عثيمين في التدبر تنزيل الآيات على الواقع المعاصر<sup>(١)</sup>؛ لأن القرآن العظيم كتاب هدايته عامة خالدة إلى قيام الساعة.

وأمثلة ذلك في تفسير الشيخ كثيرة جداً، منها في تفسير سورة الفاتحة: أنه استنبط من قوله تعالى: ﴿لِيَصْرِّطَ الْمُصْتَفِينَ﴾ [الفاتحة: ٦] سعة دين الإسلام لكل أحد من دلالة مفردة (الصراط) في العربية: الطريق الواسع، وبنى على ذلك: الرد على من زعم أن دين الإسلام لا علاقة له بالدنيا... ثم استدل لتقرير شمول الإسلام لكل شيء بأدلة أخرى، وكل ذلك رد على العلمانية<sup>(٢)</sup>.

كما تحدث عند قوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧] عن التشبه بهم<sup>(٣)</sup>، وعن وجوب بغضهم، والبراءة منهم ومعاداتهم. وعدم مناصرتهم<sup>(٤)</sup>، وتحدث فيها عن شيوع الجهل البسيط والمركب في هذا العصر<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر: ندوة جهود الشيخ ابن عثيمين (١/ ٢١).

(٢) أحكام من القرآن (ص: ٣١-٣٣).

(٣) المصدر السابق (ص: ٣٨-٣٩).

(٤) المصدر السابق (٣٩-٤٠).

(٥) المصدر السابق (ص: ٤١-٤٢).

وتحدث عن تفضيل العلم الشرعي على علوم الدنيا كالصناعة وغيرها<sup>(١)</sup>، وحذر في موضع آخر من الغزو الفكري والأخلاقي<sup>(٢)</sup>، وأنكر بعض العبارات الشائعة في العصر كقولهم: (الإسلام دين المساواة)<sup>(٣)</sup>.

وعند تنزيل الشيخ لبعض الآيات على أحوال معينة فإنه يراعي تحقيق الوقائع، وتحقيق المناط، وتحقيق المآل<sup>(٤)</sup>.

---

(١) المصدر السابق (ص: ٤٦).

(٢) تفسير سورة الفاتحة (٣/ ٦٠).

(٣) المصدر السابق (٣/ ٨٠).

(٤) انظر الحكم الشرعي بين منهج الاستنباط وفقه التنزيل، د/ رشيد سلها، دار النوادر، ط ١، ١٤٣٣ هـ، (ص: ١٩٨-٣٠٤).

### المطلب الثاني: الإجابة عنه أسئلة التدبر:

من الملامح الظاهرة في منهج الشيخ ابن عثيمين في ذكر الفوائد من الآية: أنه يذكر عقب بعض الفوائد ما يمكن أن يرد في ذهن بعض الناس حولها أسئلة، ثم يجيب عنه.

#### ومن الأمثلة على ذلك في تفسير سورة الفاتحة:

لما ذكر من فوائد ﴿أَحْمَدُ لِلَّهِ﴾ أن الحمد لا يستحقه إلا الله، أجب عن سؤال - لم يورده - فقال: «وأعني بالحمد المطلق الكامل وإلا فقد يحمده الإنسان حمداً كاملاً على فعل ناقص...»<sup>(١)</sup>.

ولما أثبت الربوبية لله وحده، أجب عن سؤال - لم يورده - عن إضافة الخلق، أو التدبير، أو الملك إلى غير الله عز وجل. ثم أجب عن ذلك بأنها «إضافة ناقصة»<sup>(٢)</sup>.

ولما استدل بقوله تعالى: ﴿يَاكَ تَبْتَدُ وَيَاكَ نَسْتَعِيثُ﴾ [الفاتحة: ٥] على تخصيص الله بالاستعانة المطلقة، ثم ذكر حكم الاستعانة المقيدة واستدل لجوازها<sup>(٣)</sup>.

وقد يصرح بسؤال عقب الفائدة: ومن ذلك أنه ذكر من فوائد ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦] أنه لا هادي إلا الله، ثم قال: فإن قال قائل: أليس قد قال الله تعالى عن نبيه ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢] فالجواب... ثم ذكره<sup>(٤)</sup>.

(١) أحكام من القرآن الكريم (ص: ١٢).

(٢) المصدر السابق (ص: ١٢-١٣).

(٣) المصدر السابق (ص: ٢٥٤).

(٤) المصدر السابق (ص: ٣٥).

### المطلب الثالث: التفريع علم التدبر:

من الملامح الظاهرة في منهج الشيخ ابن عثيمين في ذكر الفوائد من الآية، أنه يبني على الفائدة فروعاً لها، وذلك كثيرة في تفسيره.

ومن أمثلته في سورة الفاتحة: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] «فائدة: وهي أن الملائكة والرسل والأولياء لا حق لهم في الربوبية»، ثم قال: «ويتفرع من ذلك أنه ليس لأحد أن يدعو هؤلاء...»<sup>(١)</sup>.

ومن ذلك أنه ذكر في فوائد ﴿صِرَاطَ الْمُسْتَقِيمِ﴾ شمول الإسلام لأمر الدين والدنيا، قال: «ويتفرع من هذه الفائدة: الرد على من زعم أن الدين الإسلامي ينظم العمل فيما يتعلق من العبد وبين ربه...»<sup>(٢)</sup>.

ولما استنبط من قوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧] أنه ينبغي علينا معرفة سيرتهم، قال: «ويتفرع على ذلك: الحث على معرفة سيرة النبي ﷺ...»<sup>(٣)</sup>، وذكر مثل ذلك عند قوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧]<sup>(٤)</sup>.

(١) أحكام من القرآن الكريم (ص: ١٣).

(٢) المصدر السابق (٣١).

(٣) المصدر السابق (ص: ٣٦).

(٤) المصدر السابق (ص: ٤٠، ٤١، ٤٣، ٤٤، ٤٥) كلها يقول فيها: «ويتفرع على ذلك».

### المطلب الرابع: ذكر مأخذ التدبر:

من الملامح الظاهرة في تدبرات الشيخ رحمه الله أنه لا يدع بيان وجه دلالة الآية على الفائدة، لاسيما إذا كان غير ظاهر، ولذلك أمثلة كثيرة جداً، منها في تفسير سورة الفاتحة:

- ذكر في فوائد ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الفاتحة: ٣] الرد على منكري الرحمة، واستدل بأنه الأصل والحقيقة<sup>(١)</sup> وبين مأخذ دلالة «الرحمن» على السعة، و«الرحيم» على الحصول<sup>(٢)</sup>.

- ذكر من فوائد ﴿مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] دليلاً على كمال حكمته؛ حيث جعل لهذا الخلق مآلاً يجازون فيه، وإلا لكان الأمر عبثاً...<sup>(٣)</sup>.

- وذكر من فوائد (إياك نعبد) إخلاص العبادة لله تعالى، قال: «وجه ذلك: تقديم المعمول، ولو جاءت على الترتيب لقال: نعبدك، فلما قدم المعمول دل على الإخلاص... لأن من القواعد في اللغة العربية أن تقديم المعمول يفيد الحصر...»<sup>(٤)</sup>. ومثله ذكر في (إياك نستعين)<sup>(٥)</sup>.

- وذكر من فوائد (إياك نعبد وإياك نستعين) طلب اجتماع الأمة؛ لأنه لم يقل: أعبدك، وبك أستعين<sup>(٦)</sup>.

(١) أحكام من القرآن الكريم (ص: ١٦).

(٢) أحكام من القرآن الكريم (ص: ٢٠).

(٣) أحكام من القرآن الكريم (ص: ٢٣).

(٤) أحكام من القرآن الكريم (ص: ٢٤).

(٥) أحكام من القرآن الكريم (ص: ٢٧).

(٦) أحكام من القرآن الكريم (ص: ١٥)، وتفسير سورة الفاتحة (ص: ٢٠).

## الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، أما بعد:  
فقد انتهيت من هذا العمل إلى نتائج عظيمة منها:

- تميز العلامة محمد صالح العثيمين بعنايته بالقرآن العظيم، بأوجه من العناية المتعلقة به، ولاسيما تفسيره واستخراج الفوائد منه، وكان من أبرز سمات تميزه:
- كثرة عطائه التفسيري والتدبري، فقد كانت دروسه الخاصة والعامة لا تخلو من دروس خاصة بالتفسير والتدبر، وكانت دروسه في غير التفسير تحظى باشتراك التفسير فيها، وكانت دروسه العلمية العامة ومحاضراته وكتبه ولقاءاته العامة وخطبه وبرامجه الإذاعية تحفل بالتفسير، وفوائد الآيات كثيراً.
- لقد كان لجمع الشيخ بين النية الصالحة والعلم النافع والعمل الصالح - لاسيما ورعه - أثر بيّن في توفيق الله سبحانه له لإصابة الحق في تدبراته، فقد كانت ثابتة قوية تشهد لها الآيات التي استدلت بها عليها، وتشهد لها الدلائل الأخرى من الشريعة.

وقد كان منهج الشيخ هو تعظيمه الدليل، والحرص على الاستشهاد به، والوقوف بالدليل عند حدوده، وقد حصل الشيخ ملكة تفسيرية تدبرية، منها: جمعه بين الفهم والحفظ.

وذكاءه، ودقة ملاحظاته، واستنباطاته، وصفاء ذهنه، وعلمه بأدلة الشريعة، وقدرته على النظر وتعليل الأحكام، ومناقشة المسائل، وعلمه الواسع بالعربية، وبأصول الفهم، وبمقاصد الشريعة، وبمناقشته لطلابه دائماً، ومطارحاته لهم، وقد أثمر ذلك كله ثباتاً للمنهج، واطراداً له، وتحريراً دقيقاً للمسائل.

- سعة تدبرات الشيخ ابن عثيمين رحمه الله.
- سعة طرق الدلالة عليه، وسعة النصوص المستخرجة منها.
- سعة التفسير الذي بنيت عليه.
- وفي دقة التعليل وإطالة النظر فيها، وتتبعها: فقد يستخرج من الآية القصيرة تدبرات كثيرة جداً<sup>(١)</sup>.
- شمول مآخذها للدقيق الخفي، والواضح الجلي.
- سعة وشمول موضوعاتها: العقدية، والفقهية، والتربوية، والدعوية، واللغوية، والأصولية، والدفاع عن الدين وغيرها.
- ومن تميزها في هذا الجانب: توازنها بين العلوم والمعارف، وعدم إغراقها في نوع واحد منها.
- وفي سعة علمه بالقضايا التي يتكلم فيها.
- وفي علمه بمراتب العلوم وأولوياتها.
- ومن السمات الأخرى لتدبرات الشيخ:
- سلك الشيخ في تدبراته مسلك التقرير للحق، والرد بالآيات على المخالف دون تعيين، وبالعدل، وبأدب وحكمة، ونصح.

---

(١) والأمثلة على ذلك في تفسير آية (وأتموا الحج والعمرة)، ذكر الشيخ أربعين فائدة في تفسير سورة الفاتحة والبقرة (٢/٣٩٦-٤١٣).

واستخرج الشيخ من آيات التقوى في القرآن سبع عشرة ومائة فائدة. (فوائد التقوى في القرآن لابن عثيمين (ص: ١٠-٣١).

- حرص الشيخ على تربية ملكة الاستنباط والاستخراج للفوائد من الآيات في نفوس طلابه بطرق مختلفة منها المناقشة.
- استوفى الشيخ شروط الفهم الصحيح لاستنباط الفوائد الخفية، وأهمها: حسن المقصد، وسلامة الفهم، وسعة العلم بالعربية، وبأصول الفقه، ومقاصد الشريعة، ومعرفة الواقع.
- يهتم الشيخ بدفع الإشكال، ورفع وهم التعارض عن الأدلة، ويورد الأسئلة كثيرا على تدبراته ثم يجيب عنها.
- ضبط الشيخ منهجية باطراد؛ لسعة علمه بالقواعد والأصول للعلوم لمختلف العلوم.
- عني الشيخ بتكامل الوحي بالفطرة، وبتكامل دليل العقل والنقل.
- كشف كثيراً عن محاسن الشريعة، وحكمها وأسرارها.
- رد الشيخ كثيراً على شبهات أعداء الإسلام، وعلى انحرافات وأخطاء المنتسبين له بالأساليب المناسبة.
- اعتنى الشيخ بالفروق والسبر والتقاسيم والقواعد.
- حرص الشيخ على التفصيل والتوضيح، ورد الجزئيات إلى الكلّيات، وتخريج الفروع على الأصول، والتحديد الدقيق للمصطلحات.



## التوصيات

- أن يقوم المركز بالدعوة إلى ضبط التدبر، ويضع القواعد المنهجية الضابطة له؛ صيانةً لكتاب الله تعالى عن العبث بمعانيه.
  - أن يفتح مركز التدبر مستودعاً للتدبر؛ لتكون مادة للتقويم، ثم الاستفادة من الصحيح منها.
  - أن تقوم الأقسام العلمية في الجامعات الإسلامية بدراسات متخصصة حول مناهج علماء المسلمين في التدبر؛ للاستفادة منها.
  - أن تقوم دراسات عن استظهار الدلالات بأنواعها في تدبر القرآن العظيم.
  - أن تقوم دراسات في أصل مثرات غلط الغالطين في التدبر، من خلال قراءات نقدية للمنشور في الشبكة الحاسوبية أو بعض مواقعها.
- وأسأل الله عز وجل أن يوفق الجميع لما يحبه ويرضاه  
وصلّى الله وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

## قائمة المصادر والمراجع

١. أبحاث مفهوم التدبر تحرير وتأصيل، أوراق عمل الملتقى الأول لتدبر القرآن الكريم، ط١، ١٤٣٠هـ.
٢. ابن عثيمين الإمام الزاهد، د/ ناصر بن مسفر الزهراني، ط دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٢هـ.
٣. إتحاف القارئ بوسائل التدبر لكلام الباري، عبدالرحمن الدهامي، مدار الوطن، ط١، ١٤٣٥هـ.
٤. اتساع الدلالة في الخطاب القرآني، د/ محمد نور الدين المنجد، دار الفكر، ط١، ١٤٣١هـ.
٥. أثر اللغة في اختلاف فهم المجتهدين، عبدالوهاب، طريق دار السلام، مصر، ط٢، ١٤٢٠هـ.
٦. أثر اللغة في الاستنباط الشرعية د/حمدي بجيت عمران، وزارة الأوقاف الكويتية ١٤٢٢هـ.
٧. اختلاف التنوع في التفسير دراسة نظرية تطبيقية، منى المعيدر، دار العاصمة، ط١، ١٤٣٤هـ.
٨. أصول التفسير، دار ابن الجوزي ط١، ١٤٢٣هـ.
٩. إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن قيم الجوزية، تحقيق رائد جبري، دار طيبة، ط١، ١٤٢٧هـ.

١٠. انظر الحكم الشرعي بين منهج الاستنباط وفقه التنزيل، د/رشيد سلها، دار النوادر، ط١، ١٤٣٣هـ.
١١. أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي، تحقيق محمد المرعشي، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤١٨هـ.
١٢. البحث الدلالي في كتب معاني القرآن، د/ عمار الدود، عالم الكتب، الأردن، ط١، ١٤٣١هـ.
١٣. التحرير في أصول التفسير، د/ مساعد الطيار، معهد الشاطبي، ط١، ١٤٣٥هـ.
١٤. التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، دار التونسية - تونس، ١٩٨٤م.
١٥. تدبر القرآن الكريم، عبداللطيف التويجري، ط١، ١٤٣٦هـ.
١٦. التدبر حقيقته وعلاقته بمصطلحات التأويل والاستنباط والفهم والتفسير، عبدالله عبدالغني سرحان، ط مركز التدبر، ١٤٣٠هـ.
١٧. التعليق على القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن للشيخ السعدي، والتعليق لابن عثيمين دار الجوزي، ط١، ١٤٣١هـ.
١٨. تفسر مقاتل بن سليمان، تحقيق عبدالله محمود شحاتة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٤٢٣هـ.
١٩. تفسير القرآن الكريم (الفاتحة - البقرة) لمحمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٣هـ.
٢٠. تفسير جزء عم، للعلامة محمد بن صالح العثيمين، تخريج فهد السلیمان، ط١، ١٤٢٣هـ، دار الثريا، الرياض.

٢١. الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي، تحقيق أحمد البردوني وآخرين، دار الكتب المصرية، ط٢، ١٣٨٤هـ
٢٢. الجامع لحياة العلامة محمد بن صالح العثيمين، وليد الحسين، ط مجلة الحكمة، ط١، ١٤٢٢هـ
٢٣. جهود الشيخ ابن عثيمين وآراؤه في التفسير وعلوم القرآن، د/ أحمد البريدي، مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢٦هـ
٢٤. الحكم الشرعي من منهج الاستنباط وفقه التنزيل، رشيد سلهاط، دار النوادر، ط١، ١٤٣٦هـ
٢٥. دلالات الألفاظ مباحث الأصوليين، د/ يعقوب الباسين، دار التدمرية، ط١، ١٤٣٤هـ
٢٦. الدلالات اللفظية وأثرها في استنباط الأحكام من القرآن الكريم د/ علي حسن الطويل، دار البشائر الإسلامية، ط١، ١٤٢٧هـ
٢٧. الدلالات وطرق الاستنباط، د/ إبراهيم بن أحمد الكندي، دار قتيبية، ط١، ١٤١٩هـ
٢٨. شرح العقيدة الواسطية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، الشرح لابن عثيمين، تخريج معه الصهيل، ط٢، ١٤١٥هـ، دار ابن الجوزي
٢٩. الشيخ ابن عيمين جهوده وآراؤه في علوم البلاغة، د/ منير محمد، الدحام، دار ابن حزم، ط١، ١٤٣٤هـ

٣٠. الشيخ محمد صالح العثيمين من العلماء الربانيين، عبد المحسن العباد، دار الإمام أحمد، القاهرة، ١٤٢٤هـ.
٣١. صحيح مسلم، لإمام مسلم بن الحجاج، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٣٢. طرق دلالة اللفظة على الحكم في فهم المتكلمين، د/ علي حسين، مطبعة لغد ١٤٢٣هـ.
٣٣. القرآن الكريم، محمد بن صالح العثيمين، جمع عبد الكريم المقرن، دار طريق، ط١، ١٤١٥هـ.
٣٤. قواعد استنباط ألفاظ الأدلة عند الحنابلة، د/ عبدالمحسن الصوبع، دار البشائر الإسلامية.
٣٥. قواعد التدبر الأمثل/ عبدالرحمن الميداني، ط١، دار القلم، ١٤٠٠هـ.
٣٦. قواعد التدبر الأمثل، لعبدالرحمن حسن جبنكة الميداني، ط٤، ١٤٣٠هـ، دار القلم بدمشق.
٣٧. الكشاف للزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.
٣٨. لسان العرب، لابن منظور، ط دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ.
٣٩. المحرر الوجيز لابن عطية ط٢ وزارة الشؤون الإسلامية، قطر ١٤٢٨هـ.
٤٠. المراحل الثمان لطالب فهم القرآن، د. عصام العرب، مركز التبر، ط١، ١٤٣١هـ.
٤١. المفسر شروطه وآدابه ومصادره دراسة تأصيلية، أحمد قشيري سهل، ط الرشد، ط١، ١٤٢٩هـ.

٤٢. المقدمات الأساسية في علوم القرآن/ عبد الله بن موسى الجديع، مركز البحوث الإسلامية، ليدز، بريطانيا، ط١، ١٤٢٢هـ
٤٣. منهج الراسخين في تدبر وحي رب العالمين، أحمد معاذ حقي، ط١، رابطة العالم الإسلامي.
٤٤. منهج المتكلمين في استنباط الأحكام الشرعية، د/ عبدالرؤف خرايشة، دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٦هـ
٤٤. مجلة البيان عدد (١٦٠).
٤٥. ندوة جهود الشيخ ابن عثيمين العلمي، طبعة جامعة القصيم.

محمد الطاهر بن عاشور  
ومنهجه في تدبر القرآن

إعداد

د. جمال محمود أحمد أبو حسان

أستاذ مشارك في التفسير وعلوم القرآن بجامعة العلوم الإسلامية العالمية.





## السيرة الذاتية للباحث

« الاسم: جمال محمود أحمد أبو حسان

« الرتبة الأكاديمية والتخصص: أستاذ مشارك في التفسير وعلوم القرآن.

« مكان العمل: كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة العلوم الإسلامية العالمية بالأردن.

« شارك في العديد من المؤتمرات العلمية داخل الأردن وخارجه، وله العديد من الأبحاث العلمية والكتب ومن أهمها:

١- تفسير ابن عاشور دراسة منهجية ونقدية.

٢- الدلالات المعنوية لفواصل الآيات القرآنية.

٣- دراسة ما روي عن عثمان في شان لحن القرآن.

٤- الجواب عما خطأت به عائشة رضي الله عنها كتاب المصاحف.

٥- من الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن.

٦- التجديد في التفسير مادة ومنهاجا.

٧- التفسير الموضوعي لسور: الانشقاق والبروج والطارق.

٨- طلائع الإعجاز الغيبي في طوالع سورة الإسراء.

٩- القرآن في موجز دائرة المعارف الإسلامية.

١٠- الإمام المفسر محمد الطاهر بن عاشور سيرة ومواقف.

١١- العلاقة بين الإنسان والجان كما يصورها القرآن.

١٢- التفسير المنهجي للقران تفسير الأجزاء الستة الثانية من القرآن.

١٣- كشف اللثام عما نسب من العمى لنبي الله شعيب عليه السلام.

١٤- اعتراضات ابن عاشور على الزمخشري في سورة البقرة.

١٥- نحو اصلاح التعليم في برنامج الدراسات العليا في تخصص التفسير وعلوم القرآن.

١٦- الخطط الدراسية في مرحلة الماجستير والدكتوراه في تخصص التفسير وعلوم القرآن في الجامعات الاردنية عرض وتحليل ونقد.

١٧- مشروع الجامعة الوقفية لدراسات القرآن الكريم والعلوم الشرعية واللغوية المرحلة الأولى.

## المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن  
والاه، وبعد:

فقد تلقيت دعوة كريمة من القائمين على الهيئة العالمية لتدبر القرآن الكريم  
للكتابه حول التدبر عند ابن عاشور، وعلى الرغم من الزحام الشديد في وقتي بسبب  
الانشغال بطلبة الدراسات العليا في الجامعة، ومع إصرار الإخوة الداعين فقد قررت  
الاتكال على الله تعالى وتلبية الرغبة، وإني لأرجو أن أكون عند حسن ظن الإخوة  
الفضلاء.

وقد جعلت بحثي هذا في مطالب :

الأول: في ترجمة موجزة لابن عاشور.

الثاني: في معنى التدبر عند ابن عاشور وكيف فسر الآيات التي ورد فيها هذا  
اللفظ.

الثالث: في الإطار النظري للتدبر في تفسيره.

الرابع: في الإطار العملي.

الخامس: في ملاحظات عامة.

ثم ختمت بخاتمة بينت فيها ما توصلت إليه.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.

## المطلب الأول

### نبذة من حياة ابن عاشور فيه سيرته الذاتية

هو محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور (١٢٩٦هـ - ١٣٩٢هـ)، الإمام الضليع في العلوم الشرعية واللغوية والأدبية والتاريخية، ولد بقصر جده لأمه بالمرسى، وقد نشأ في بيت نبيل مبارك بالعلم، مبارك بالنسب الحسيني الشريف، وجده لأمه هو الشيخ الوزير محمد العزيز بوعتور، وجده لأبيه هو العلامة الشيخ محمد الطاهر بن محمد بن محمد الشاذلي بن عاشور، وقد عاصرت الأسرة العاشورية الحضارة الأندلسية، ثم انتقلت إلى سلا بالمغرب ثم استقرت بتونس في منتصف القرن السابع عشر الميلادي<sup>(١)</sup>.

بدأت حياته العلمية في الكتاب فحفظ القرآن، ثم تعلم ما تيسر من اللغة الفرنسية، والتحق بجامعة الزيتونة عام ١٣٠٩هـ، فقرأ على ثلثة من الشيوخ حتى حاز على شهادة التطويح عام ١٣١٣هـ، ثم اجتاز مناظرة التدريس من الرتبة الثانية عام ١٣١٦هـ، ثم مناظرة التدريس من الرتبة الأولى عام ١٣٢٠هـ، وقد كان بدأ بالتدريس في المدرسة الصادقية عام ١٣١٧هـ، وفي الزيتونة عام ١٣١٩هـ، ورقى في مستويات التدريس حتى أصبح نائباً للدولة لدى نظارة جامع الزيتونة وذلك في عام ١٣٢١هـ، ثم عضواً في لجنة تنقيح برامج التعليم وعضواً في المجلس المختلط العقاري عام ١٣٢٥هـ، ثم قاضياً مالكيًا وعضواً في هيئة النظارة العلمية لجامع الزيتونة عام ١٣٣١هـ، وفي عام ١٣٤١هـ عاد للتدريس في جامع الزيتونة والمدرسة الصادقية، ثم أصبح رئيساً للمفتين (باش مفتي) عام ١٣٤٥هـ، واستمر كذلك إلى أن أصبح شيخ الإسلام المالكي وشيخ جامع الزيتونة

(١) شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر ابن عاشور، ابن الخوجة ج ١ ص ١٤٧-١٤٨.

وفروعه عام ١٣٥٠هـ، واقتصر على مشيخة الإسلام حتى نزلت منه عام ١٣٦٣هـ، وعاد شيخاً لجامع الزيتونة وفروعه حتى عام ١٣٧٠هـ، حيث أصبح عميداً لجامعة الزيتونة حتى العام ١٣٧٥هـ، ثم خرج من رتبة المناصب العلمية إلى فضاء التصنيف والإبداع، وقد نال الجائزة التقديرية من الرئيس بورقيبة عام ١٣٨٧هـ<sup>(١)</sup>، إلا أنه استمر عضواً في مجمعي دمشق والقاهرة حتى وفاته رحمه الله .

وكان رحمه الله نشيطاً غزير الإنتاج، شغوفاً بالإصلاح والتجديد، لا يحفل بالبالى من التقاليد، فقد قام بإصلاحات مهمة على نظام التعليم في الزيتونة، فأدخل مواد جديدة في الدراسة كالفيزياء والكيمياء والجبر، وألغى من الدراسة الكتب المعقدة في الأسلوب، واستبدلها بما حسن أسلوبه وسهل مأخذه، فتسارعت إليه مكاييد البعض لأجل ذلك، وتأمروا عليه بشتى الدسائس<sup>(٢)</sup>. ومن مصادر ترجمته<sup>(٣)</sup>، هذه أهم المصادر المتوفرة التي اطلعت عليها في ترجمة ابن عاشور رحمه الله رحمة واسعة.

(١) تراجم المؤلفين التونسيين، ج ٣ ص ٣٠٥ بتصرف .

(٢) تراجم المؤلفين التونسيين، ج ٣ ص ٣٠٦ .

(٣) عيون البصائر لمحمد البشير الإبراهيمي من ص ٦٢٧-٦٣٢، شيخ الإسلام وشيخ الجامع الأعظم لمحمد الحبيب بن الخوجة، تونس وجامع الزيتونة ص ١٢٣-١٢٦، الأعلام للزركلي ١٧٤/٦ ط ٦، تراجم المؤلفين التونسيين ٣/ ٣٠٤-٣٠٩، الحركة الأدبية والفكرية في تونس في مواضع متعددة منها ص ٨٢، ٧، ٨٣، ٨٩، ١١٤، ١٠٥، ٩٤، ١٣، ١٤٣، ١٥٣، ١٧٠، ١٦٩، ١٧٥، ٢٢٠، ٢١٩، ٢١٨، وغيرها، مجموعه أبحاث ملتقى الإمام ابن عاشور المنعقد في تونس ١٩٨٥ وصلني منها ما يلي: محمد الطاهر بن عاشور إمام الشريعة والأدب في عصره لمحمد عبد المنعم خفاجي، عائلة ابن عاشور لمحمد الطاهر المعموري.

محمد الطاهر ابن عاشور الحافظ الحجّة للقاضي محمود شمام، محمد الطاهر ابن عاشور رائد الفكر الإسلامي لبلقاسم بن حسن، محمد الطاهر ابن عاشور مفتي تونس الأشهر للسويسي، منهج ابن عاشور في التفسير للصحبي بن مسعود، المصادر المعرفية لابن عاشور في تفسيره من خلال سورة آل عمران لحميس زهمول، النشرة العلمية للكلية الزيتونية عدد ٢-٣ ص ٢٢٣-٢٢٧ .

## المطلب الثاني

### فيه معناه التدبر عند ابن عاشور وكيف فسر الآيات التي ورد فيها هذا اللفظ

لا أريد الخوض في المعنى اللغوي لكلمة التدبر فقد أشبعت بحثاً في مؤتمر تدبر الأول ولكن لا بد لي من أن أقول بعد قراءة متأنية أنه مما لا شك فيه أن التدبر معناه إعمال الذهن بالنظر في آيات القرآن؛ للوصول إلى معانيها، ثم النظر إلى ما فيها من الإحكام والمعارف والعلوم والعمل<sup>(١)</sup>. وهذا معناه أن كل فهم لا ينتج عنه العمل الذي يغير السلوك المعوج أو ينشئ سلوكاً مستقيماً لا علاقة له بالتدبر في فتيل ولا قطمير، ذلك لأن التدبر ليس عملية آليه للنظر في آيات الله تعالى، وإنما هو انفعال ملازم للفهم الصحيح للآيات الكريمة. قال ابن عاشور: «والتدبر مشتق من الدبر، أي الظهر، اشتقوا من الدبر فعلاً، فقالوا: تدبر إذا نظر في دبر الأمر، أي في غائبه أو في عاقبته، فهو من الأفعال التي اشتقت من الأسماء الجامدة.

والتدبر يتعدى إلى التأمل فيه بنفسه، يقال: تدبر الأمر. فمعنى يتدبرون القرآن يتأملون دلالاته، وذلك يحتمل معنيين: أحدهما أن يتأملوا دلالة تفاصيل آياته على مقاصده التي أرشد إليها المسلمين، أي تدبر تفاصيله وثانيهما أن يتأملوا دلالة جملة القرآن ببلاغته على أنه من عند الله، وأن الذي جاء به صادق. وسياق هذه الآيات يرجح حمل التدبر هنا على المعنى الأول، أي لو تأملوا وتدبروا هدي القرآن لحصل لهم خير عظيم، ولما بقوا على فتنهم التي هي سبب إضرارهم الكفر مع إظهارهم الإسلام. وكلا المعنيين صالح بحالهم، إلا أن المعنى الأول أشد ارتباطاً بما حكي عنهم

(١) مفهوم تدبر القرآن، للدكتور مساعد الطيار، ورقة ضمن أبحاث مؤتمر تدبر الأول ص ٧٧.

من أحوالهم»<sup>(١)</sup>.

وقال في موضع آخر: «إنه يتعقب ظواهر الألفاظ ليعلم ما يدبر ظواهرها من المعاني المكنونة والتأويلات اللاتقة»<sup>(٢)</sup> وقال في تفسير سورة القمر: «إن التدبر فيه يأتي بتجنب الضلال ويرشد إلى مسالك الاهتداء»<sup>(٣)</sup>، وقال في تفسير سورة التكاثر: «أعيد الزجر ثالث مرة زيادة في إبطال ما هم عليه من اللهو عن التدبر في أقوال القرآن لعلهم يقلعون عن انكبابهم على التكاثر مما هم يتكاثرون فيه ولهوهم به عن النظر في دعوة الحق والتوحيد»<sup>(٤)</sup>.

وقال أيضاً: «والتدبر: إعمال النظر العقلي في دلالات الدلائل على ما نصبت له. وأصله أنه من النظر في دبر الأمر، أي فيما لا يظهر منه للمتأمل بادية ذي بدء»<sup>(٥)</sup>.

من هذه النقول يتبين أن ابن عاشور يكاد يحصر التدبر في الفهم ولكنه لا يمنع أن يقود الفهم إلى ما هو أحسن، إلا أنه لم يجعل هذا من شرط التدبر، وهذا محل اعتراض على هذا التعريف، ولعله من المناسب أن ننقل إلى الآيات التي ورد فيها لفظ التدبر لننظر كيف فسرهما ابن عاشور:

الآية الأولى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾

[النساء: ٨٢] قال ابن عاشور: «الفاء تفريع على الكلام السابق المتعلق بهؤلاء المنافقين أو الكفرة الصرحاء وبتوليهم المعرض بهم في شأنه بقوله: ﴿وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ

(١) تفسير ابن عاشور، ج ٥/١٣٧.

(٢) المصدر السابق ج ٢٣/٢٥٢.

(٣) السابق ج ٢٧/٢٠٣.

(٤) السابق ج ٣٠/٥٢١.

(٥) السابق ج ١٨/٨٧.

عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿ [النساء: ٨٠] ، ثم تدبير العصيان فيما وعدوا بالطاعة في شأنه. ولما كان ذلك كله أثراً من آثار استبطان الكفر، أو الشك، أو اختيار ما هو في نظرهم أولى مما أمروا به، وكان استمرارهم على ذلك، مع ظهور دلائل الدين، منبئاً بقلّة تفهمهم القرآن، وضعف استفادتهم، كان المقام لتفريح الاستفهام عن قلة تفهمهم. فالاستفهام إنكاري للتوبيخ والتعجيب منهم في استمرار جهلهم مع توفر أسباب التدبير لديهم.

تحدى الله تعالى هؤلاء بمعاني القرآن، كما تحداهم بألفاظه، لبلاغته إذ كان المنافقون قد شكوا في أن القرآن من عند الله، فلذلك يظهرون الطاعة بما يأمرهم به، فإذا خرجوا من مجلس النبي ﷺ خالفوا ما أمرهم به لعدم ثقتهم، ويشككون ويشكون إذا بدا لهم شيء من التعارض، فأمرهم الله تعالى بتدبير القرآن كما قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ﴾ [آل عمران: ٧] الآية.

والتدبر مشتق من الدبر، أي الظهر، اشتقوا من الدبر فعلاً، فقالوا: تدبر إذا نظر في دبر الأمر، أي في غائبه أو في عاقبته، فهو من الأفعال التي اشتقت من الأسماء الجامدة.

والتدبر يتعدى إلى المتأمل فيه بنفسه، يقال: تدبر الأمر. فمعنى يتدبرون القرآن يتأملون دلالاته، وذلك يحتمل معنيين: أحدهما أن يتأملوا دلالة تفاصيل آياته على مقاصده التي أرشد إليها المسلمين، أي تدبر تفاصيله، وثانيهما أن يتأملوا دلالة جملة القرآن ببلاغته على أنه من عند الله، وأن الذي جاء به صادق. وسياق هذه الآيات يرجح حمل التدبر هنا على المعنى الأول، أي لو تأملوا وتدبروا هدي القرآن لحصل لهم خير عظيم، ولما بقوا على فتنتهم التي هي سبب إضمارهم الكفر مع إظهارهم الإسلام. وكلا المعنيين صالح مجاهم، إلا أن المعنى الأول أشد ارتباطاً بما حكي عنهم من أحوالهم.



وقوله: ولو كان من عند غير الله إلخ يجوز أن يكون عطفاً على الجملة الاستفهامية فيكونوا أمروا بالتدبر في تفاصيله، وأعلموا بما يدل على أنه من عند الله، وذلك انتفاء الاختلاف منه، فيكون الأمر بالتدبر عاماً، وهذا جزئي من جزئيات التدبر ذكر هنا انتهازاً لفرصة المناسبة لغمرهم بالاستدلال على صدق الرسول، فيكون زائداً على الإنكار المسوق له الكلام، تعرض له؛ لأنه من المهم بالنسبة إليهم إذ كانوا في شك من أمرهم»<sup>(١)</sup>.

الآية الثانية: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤].

قال ابن عاشور: «أي هلا تدبروا القرآن عوض شغل بالهم في مجلسك بتتبع أحوال المؤمنين، أو تفریح علی قوله: فأصمهم وأعمى أبصارهم. والمعنى: أن الله خلقهم بعقول غير منفعة بمعاني الخير والصلاح فلا يتدبرون القرآن مع فهمه، أو لا يفهمونه عند تلقيه، وكلا الأمرين عجيب»<sup>(٢)</sup>.

الآية الثالثة: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٦٨].

قال ابن عاشور: «والمعنى: أنهم لو تدبروا قول القرآن لعلموا أنه الحق بدلالة إعجازه وبصحة

أغراضه، فما كان استمرار عنادهم إلا لأنهم لم يدبروا القول. وهذا أحد العلل التي غمرت بهم في الكفر»<sup>(٣)</sup>.

الآية الرابعة: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩].

(١) تفسير ابن عاشور ج ٥/ ١٢٧.

(٢) السابق ج ٢٦/ ١١٣.

(٣) السابق ج ١٨/ ٨٨.

قال ابن عاشور: «والتدبر: التفكير والتأمل الذي يبلغ به صاحبه معرفة المراد من المعاني، وإنما يكون ذلك في كلام قليل اللفظ كثير المعاني التي أودعت فيه بحيث كلما ازداد المتدبر تدبراً انكشفت له معان لم تكن بادية له بادئ النظر»<sup>(١)</sup>.

مما سبق يتبين بوضوح أن ابن عاشور فسر التدبر في هذه الآيات بالفهم، وهذا التفسير في نظر الباحث قاصر جداً فليس المراد مجرد الفهم، وإنما الفهم المستلزم لسلوك عملي تصحيحاً أو إيجاداً لسلوك إيجابي ليكون التدبر للقرآن صورة عملية لأحكام القرآن المختلفة في سلوكه منفرداً أو على مستوى أعلى.

## المطلب الثالث

### فيه الإطار النظري للتدبير فيه تفسيره

أقصد بهذا المطلب بيان ما أراده ابن عاشور من تفسيره وكيف سلكه وذلك بذكر الوسائل والطرق المختلفة التي استعملها ابن عاشور حتى وصل إلى ما وصل إليه.

قدم ابن عاشور كتابه بمقدمة بين فيها عن الأشياء التي أهمته في التفسير فقال: «وقد اهتمت في تفسيري هذا ببيان وجوه الإعجاز ونكت البلاغة العربية وأساليب الاستعمال، واهتمت أيضاً ببيان تناسب اتصال الآي بعضها ببعض، وهو منزع جليل قد عني به فخر الدين الرازي، وألف فيه برهان الدين البقاعي كتابه المسمى: «نظم الدرر في تناسب الآي والسور» إلا أنهما لم يأتيا في كثير من الآي بما فيه مقنع، فلم تزل أنظار المتأملين لفضل القول تتطلع. أما البحث عن تناسب مواقع السور بعضها إثر بعض، فلا أراه حقاً على المفسر.

ولم أغادر سورة إلا بينت ما أحيط به من أغراضها لئلا يكون الناظر في تفسير القرآن مقصوراً على بيان مفرداته ومعاني جملة كأنها فقر متفرقة تصرفه عن روعة انسجامه وتحجب عنه روائع جماله.

واهتمت بتبيين معاني المفردات في اللغة العربية بضبط وتحقيق مما خلت عن ضبط كثير منه قواميس اللغة. وعسى أن يجد فيه المطالع تحقيق مراده، ويتناول منه فوائد ونكتاً على قدر استعداده، فإني بذلت الجهد في الكشف عن نكت من معاني القرآن وإعجازه خلت عنها التفاسير، ومن أساليب الاستعمال الفصيح ما تصبو إليه همم النحارير، بحيث ساوى هذا التفسير على اختصاره مطولات القماطير، ففيه

أحسن ما في التفاسير، وفيه أحسن مما في التفاسير. وسميته: (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)<sup>(١)</sup>

هذا هو الهدف الذي وضعه ابن عاشور لإقامة هذا التفسير، وقد سلك عدة مسالك، واتخذ وسائل متعددة ومتنوعة في سبيل الوصول إلى مبتغاه، ولا شك أن التدبر من حيث معناه الذي وضعه ابن عاشور وهو الفهم هو من أهم ما عني به في تفسيره، لذا كانت وسائل الفهم هي وسائل تدبر القرآن الكريم عند ابن عاشور وهي على النحو التالي:

**أولاً: الأسس الرئيسية فيه تدبر القرآن عند ابن عاشور كما هي مبثوثة فيه تفسيره:**

من يقرأ تفسير ابن عاشور يجد أنه جعل لتدبر القرآن أسساً لا ينبغي لأحد أن يتجاوزها

وهذه الأسس الرئيسية يمكن إدراكها من خلال النظر في هذا العمل الضخم وهي:

(١) تفسير القرآن بالقرآن.

(٢) التفسير بالمأثور والنقل عن السلف.

(٣) العناية باللغة العربية.

أما تفسير القرآن بالقرآن فقد عده ابن عاشور من التفسير نفسه لا من مدده، فقال: «... ولا يعدّ - أيضاً - من استمداد التفسير ما في بعض آي القرآن من معنى يفسر

(١) تفسير ابن عاشور ج ١/ ٨.

بعضاً آخر منها؛ لأن ذلك من قبيل حمل بعض الكلام على بعض؛ كتخصيص العموم، وتقييد المطلق، وبيان المجمل... وغير ذلك»<sup>(١)</sup>. وهذا النوع من أشرف علوم القرآن وأهمها لأن صاحب الكلام أدرى بما فيه، ولهذا يعد هذا من أصح طرق التفسير عند العلماء قاطبة. وقد اهتم به ابن عاشور كثيراً في تفسيره وتدبره لكتاب الله تعالى وهو حقيق بالاهتمام ومن الأمثلة على هذا ما ذكره عند تفسيره قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالِدُومُ وَلَحْمُ الْخَيْزِرِ﴾ [المائدة: ٣]، حيث قال: «والدم هنا هو الدم المهرق، أي: المسفوح، وهو الذي يمكن سيلانه كما صرح به في آية الأنعام، عملاً لمطلق هذه الآية على مقيد آية الأنعام»<sup>(٢)</sup>. ومنه: ما ذكره عند تفسيره قوله تعالى: ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾ [الإسراء: ٦٠]، حيث قال: «وَالشَّجَرَةَ﴾ عطف على الرؤيا، أي ما جعلنا ذكر الشجرة الملعونة في القرآن إلا فتنة للناس. وهذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ [الصفات: ٦٤]، وقوله: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُومِ﴾ [الواقعة: ٥٢]»<sup>(٣)</sup>. وطعام الأثيم﴾ [الدخان: ٤٣، ٤٤]، وقوله: ﴿لَا يَكُلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِّنْ زَقُومٍ﴾ [الواقعة: ٥٢]»<sup>(٤)</sup>. وهذا يدل على أن ابن عاشور قد وضع نصب عينيه قواعد التدبر الصحيحة<sup>(٤)</sup>.

ومما يحمد لابن عاشور في هذا الباب تنبيهه على كثرة ما يقع عند المفسرين من تنظير بعض الآيات ببعض لا اشتراكهما في بعض الألفاظ وإن هذا مما لا يصح حمله على تفسير القرآن بالقرآن، وهذا من ابن عاشور إيجابي في تقويم طريق التدبر، ومن الأمثلة على هذا ما ذكره عند تفسيره قوله تعالى: ﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْرُجُ﴾

(١) تفسير ابن عاشور ج ١ / ٢٧. ومراده باستمداد العلم: توفقه على معلومات سابق وجودها على وجود

ذلك العلم عند مدونه لتكون عوناً لهم على إتقان تدوين ذلك العلم / ١ / ١٨.

(٢) التفسير ج ٦ / ٨٩، وآية الأنعام هي قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾ [الأنعام: ١٤٥].

(٣) السابق ج ١٥ / ١٤٧.

(٤) هناك ملاحظات كثيرة على ابن عاشور في هذا الجانب ليس هناك مجال لذكرها.

[القيامة: ١٠]، حيث قال: «وينبغي أن يكون المراد بـ (الإنسان) الكافر جرياً على سياق الآيات السابقة؛ لأنه المقصود بالكلام، وإن كان كل إنسان ينبأ يومئذ بما قدم وأخر من أهل الخير ومن أهل الشر، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّخَضَّرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ﴾ [آل عمران: ٣٠]. واختلاف مقامات الكلام يمنع من حمل ما يقع فيها من الألفاظ على محمل واحد؛ فإن في القرآن فنوناً من التذكير لا تلزم طريقة واحدة، وهذا مما يغفل عن مراعاته بعض المفسرين في حملهم معاني الآيات المتقاربة المغزى على محامل متماثلة»<sup>(١)</sup>.

وأما ما يتعلق بالتفسير المأثور والنقل عن السلف فقد كان محلاً لاهتمام ابن عاشور في تدبره لكتاب الله تعالى، ولا شك أيضاً في أهمية ذلك في الإعانة على تدبر القرآن الكريم. وقد اهتم ابن عاشور في تفسيره بالأحاديث اهتماماً عظيماً، ولا ريب؛ فإن هذا الاهتمام دليل على أهمية الأحاديث في تفسير القرآن الكريم وتدبره.

والاهتمام بالأحاديث في المرتبة الثانية بعد تفسير القرآن بالقرآن، فإن السنة هي شارحة للقرآن وموضحة له<sup>(٢)</sup>، وإنما يكون الموضح في ثاني المراتب بعد الموضح، وهي أحد العواصم من الوقوع في خطأ الفهم والتدبر.

وخير ما ينبغي أن يتعلق به في هذا الباب هو أحاديث النبي ﷺ نفسه في التفسير فهي خير ما يستعان به في فهم الآيات وتدبرها. هذا وقد أكثر ابن عاشور من ذكره للأحاديث التي يراها تصلح في تفسير الآيات، وهذا باب الخلاف فيه كبير فلا نطيل في الوقوف عنده هنا.

(١) التفسير ج ٢٩ / ٣٤٦.

(٢) تفسير ابن كثير ج ١ / ٣.

على أنه ينبغي التنبيه إلى أن ابن عاشور كان ينبه على بعض الأخطاء المتعلقة بالاستشهاد في الحديث في التفسير، ومن هذا تنبيهه على عدم صحة الاستشهاد مع شهرته عند تفسيره قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ﴾ [ص: ٣٤] حيث قال: «والذي يظهر من السياق أن قوله تعالى: وألقينا على كرسيه جسداً إشارة إلى شيء من هذه الفتنة ليرتبط قوله: ثم أناب بذلك. ويحتمل أنه قصة أخرى غير قصة فتنته. وأظهر أقوالهم أن تكون الآية إشارة إلى ما في «صحيح البخاري» عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: قال سليمان لأطوفن الليلة على تسعين امرأة كلهن تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله. فقال له صاحبه: قل إن شاء الله. فلم يقل: إن شاء الله. فطاف عليهن جميعاً فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل، وأيم الذي نفس محمد بيده لو قال: إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرساناً أجمعون<sup>(١)</sup>» وليس في كلام النبي ﷺ أن ذلك تأويل هذه الآية ولا وضع البخاري ولا الترمذي الحديث في التفسير من كتابيهما. قال جماعة: فذلك النصف من الإنسان هو الجسد الملقى على كرسيه جاءت به القابلة فألقته له وهو على كرسيه، فالفتنة على هذا خيبة أمله ومخالفة ما أبلغه صاحبه.

وإطلاق الجسد على ذلك المولود إما لأنه ولد ميت، كما هو ظاهر قوله: «شق رجل»، وإما لأنه كان خلقه غير معتادة فكان مجرد جسد. وهذا تفسير بعيد لأن الخبر لم يقتض أن الشق الذي ولدته المرأة كان حياً ولا أنه جلس على كرسي سليمان. وتركيب هذه الآية على ذلك الخبر تكلف<sup>(٢)</sup>. وهذا الأمر مع شهرته بين المفسرين إلا أن ما ذهب إليه ابن عاشور أقوم مذهباً وأسد رأياً.

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء حديث رقم ٣٤٢٤ طبعة دار القلم - بيروت ١٩٨١ م.

(٢) تفسير ابن عاشور ج ٢٣ / ٢٦٠.

كما اهتم ابن عاشور بالنقل عن السلف فغدا تفسيره مسرحاً لأقوالهم، ولا شك عندي أن هذا مما يوقف المتدبر على الطريق الصحيح، وأقوال السلف رحمهم الله فيها خير كثير سواء أكان ذلك في التفسير والتدبر أم غيره.

وأما ما يتعلق بالاهتمام باللغة والعناية بها فلعل الباحث الفاضل محمد النذير عبر تعبيراً يوحى بأن اهتمام ابن عاشور بهذا الجانب فقال: «تشكل اللغة بشتى فروعها أهم مرتكزات ابن عاشور في تفسيره، فهو يستعمل آلياتها بدقة فائقة، مما ينم عن تمكنه منها، ولا يكاد يخط سطرًا في كتابه إلا ويهرع إليها، فإن كانت المسألة لغوية أتى على معاني الكلمة من كل جوانبها، وإن كانت نحوية أحاط من خلالها بكل احتمالاتها، وإذا كانت بلاغية ولج من بابها ولوج من يحسن فتح المغاليق من أسرارها، ليتلمس بعدها بذوقه مواطن البيان والإعجاز في الآية المراد تفسيرها»<sup>(١)</sup> وهذا بالطبع يدل على مدى عناية ابن عاشور بهذه اللغة التي وصفها وصفاً دقيقاً بقوله: «إن العرب أمة جبلت على ذكاء القرائح وفضة الأفهام، فعلى دعامة فطنتهم وذكائهم أقيمت أساليب كلامهم، وبخاصة كلام بلغائهم، ولذلك كان الإيجاز عمود بلاغتهم لاعتماد المتكلمين على أفهام السامعين كما يقال: لمحة دالة، لأجل ذلك كثر في كلامهم المجاز، والاستعارة، والتمثيل، والكنائية، والتعريض، والاشتراك والتسامح في الاستعمال كالمبالغة، والاستطراد ومستتبعات التراكيب، والأمثال، والتلميح، والتلميح، واستعمال الجملة الخبرية في غير إفادة النسبة الخبرية، واستعمال الاستفهام في التقرير أو الإنكار، ونحو ذلك. وملاك ذلك كله توفير المعاني، وأداء ما في نفس المتكلم بأوضح عبارة وأخصرها ليسهل اعتلائها

(١) الاختيارات العلمية للعلامة محمد الطاهر بن عاشور من خلال تفسيره، لمحمد النذير أوسالم، ص ١٢٧.



بالأذهان، وإذ قد كان القرآن وحياً من العلام سبحانه وقد أراد أن يجعله آية على صدق رسوله وتحدى بلغاء العرب بمعارضة أقصر سورة منه كما سيأتي في المقدمة العاشرة، فقد نسج نظمه نسجاً بالغاً منتهى ما تسمح به اللغة العربية من الدقائق واللطائف لفظاً ومعنى بما يفي بأقصى ما يراد بلاغة إلى المرسل إليهم. فجاء القرآن على أسلوب أبدع مما كانوا يعهدون وأعجب، فأعجز بلغاء المعاندين عن معارضته ولم يسعهم إلا الإذعان، سواء في ذلك من آمن منهم مثل ليبيد بن ربيعة وكعب بن زهير والناطقة الجعدي، ومن استمر على كفره عناداً مثل الوليد بن المغيرة. فالقرآن من جانب إعجازه يكون أكثر معاني من المعاني المعتادة التي يودعها البلغاء في كلامهم. وهو لكونه كتاب تشريع وتأديب وتعليم كان حقيقاً بأن يودع فيه من المعاني والمقاصد أكثر ما تحتمله الألفاظ، في أقل ما يمكن من المقدار، بحسب ما تسمح به اللغة الوارد هو بها التي هي أسمح اللغات بهذه الاعتبارات، ليحصل تمام المقصود من الإرشاد الذي جاء لأجله في جميع نواحي الهدى<sup>(١)</sup> ثم كان اهتمامه بيناً فيما تحتمله الآية من أساليب العرب وكيف يمكن التعامل معها فقال: «وإنك لتمر بالآية الواحدة فتتأملها وتتدبرها فتنهال عليك معان كثيرة يسمح بها التركيب على اختلاف الاعتبارات في أساليب الاستعمال العربي، وقد تتكاثر عليك فلا تلك من كثرتها في حصر ولا تجعل الحمل على بعضها منافياً للحمل على البعض الآخر إن كان التركيب سمحاً بذلك.

فمختلف المحامل التي تسمح بها كلمات القرآن وتراكيبه وإعرابه ودلالاته، من اشتراك وحقيقة ومجاز، وصريح وكناية، وبديع، ووصل، ووقف، إذا لم تفض إلى خلاف

(١) تفسير ابن عاشور، ج ١/ ٩٣.

المقصود من السياق، يجب حمل الكلام على جميعها»<sup>(١)</sup> ولذا فإن ابن عاشور في تدبره للقرآن قد اهتم باللغة اهتماماً عظيماً وذلك من خلال: اللفظ وتركيبه واشتقاقه وأصله، ومن حيث النحو والإعراب ومن حيث البيان والبلاغة، ومن حيثيات أخرى لكن يعد ما ذكرته هو الأصول في هذا الباب والأمثلة على هذا كثيرة ولا حصر لها لكنني سأكتفي بإيراد مثال واحد على كل أصل والله المستعان.

فما ذكره مما يخص اللفظ واشتقاقه قوله: عند تفسيره قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ﴾ [الأنفال: ١٦]، حيث قال: «والتحيز: طلب الحيز - فيعمل من الحوز، فأصل إحدى ياءيه الواو، فلما اجتمعت الواو والياء وكانت السابقة ساكنة قلبت الواو ياءً وأدغمت الياء في الياء، ثم اشتقوا منه تحييز، فوزنه تفيعل، وهو مختار صاحب «الكشاف» جرياً على القياس بقدر الإمكان، وجوز التفتزاني أن يكون وزنه تفعل بناءً على اعتباره مشتقاً من الكلمة الواقعة فيها الإبدال والإدغام وهي الحيز، ونظره بقولهم (تديّر) بمعنى الإقامة في الدار، فإن الدار مشتقة من الدوران؛ ولذلك جمعت على دُور، إلا أنه لما كثر في جمعها ديار وديرة عوملت معاملة ما عينه ياء، فقالوا من ذلك: تديّر، بمعنى أقام في الدار، وهو تفعل من الدار، واحتج بكلام ابن جني والمرزوقي في «شرح الحماسة». يعني ما قاله ابن جني في «شرح الحماسة» عند قول جابر بن حريش<sup>(٢)</sup>:

إذ لا تخاف حدوجنا قذف النوى

قبل الفساد إقامة وتديرا

(التدير: تفعل من الدار وقياسه تدور، إلا أنه لما كثر استعمالهم ديار أنسوا بالياء

(١) تفسير ابن عاشور ١/ ٩٧.

(٢) هو من شعراء الحماسة، وانظر خبر أبياته في شرح التبريزي على الحماسة ٢/ ٧٣.

ووجدوا من جانبها أوطأ حساً وألين مساً، فاجتروا عليها فقالوا: تدير)، وما قال المرزوقي: (الأصل في تدير الواو، ولكنهم بنوه على ديار لإلفهم له بكثرة تردده في كلامهم)<sup>(١)</sup>.

ومن اهتمامه بقضايا النحو ما ذكره عند تفسيره قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرَّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾ [المائدة: ١٩]، حيث قال: ويشكل معنى الآية بأن علة إرسال الرسول إليهم هو انتفاء أن يقولوا: ﴿مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾ لا إثباته كما هو واضح، فلماذا لم يقل: أن لا تقولوا: ما جاءنا من بشير ولا نذير؟<sup>(٢)</sup> وقد جاء في القرآن نظائر لهذه الآية، وفي شعر العرب، كقول عمرو بن كلثوم:

### فعلنا القرى أن تشتمونا<sup>(٣)</sup>

أراد أن لا تشتمونا، فاختلف النحويون في تقدير ما به يتقوم المعنى في الآيات وغيرها: فذهب البصريون إلى تقدير اسم يناسب أن يكون مفعولاً لأجله لفعل ﴿جاءكم﴾، وقدروه (كراهية أن تقولوا)، وعليه درج صاحب «الكشاف»، ومتابعوه من جمهور المفسرين، وذهب الكوفيون إلى تقدير حرف نفي محذوف بعد (أن) والتقدير: لأن لا تقولوا، ودرج عليه بعض المفسرين، مثل البغوي، فيكون من إيجاز الحذف اعتماداً على قرينة السياق والمقام.

(١) التفسير ج ٩ / ٢٩٠، والفرق بين الرأيين: أن الزمخشري نظر إلى الأصل، والتفتزاني جعل النظر إلى الكلمة بعد وقوع الإبدال فيها. انتهى. شيخنا رحمه الله.

(٢) في الأصل: «نذر».

(٣) البيت من المعلقة، وأوله: (نزلتم منزل الأضياف منا)، انظر شرح القصائد المشهورات (٢: ١٢٠)، وانظر ترجمته في شرح القصائد العشر للتبريزي ص ٣١٨، والخزانة (٣: ١٨٣).

وزعم ابن هشام في «مغني اللبيب»: أنه تعسّف، وذكر أن بعض النحويين زعم أن من معاني (أن) أن تكون بمعنى (لئلا)... ثم عقب بعد ذلك إلى سبب هذا الخلاف<sup>(١)</sup>.

ومن اهتمامه بالبيان والبلاغة ما ذكره في تفسيره إذ قال: وقد يجتار في القرآن الكريم التعبير للمحظ اجتماعي مهم، وهو الحفاظ على حقوق النساء التي هضمت في الجاهلية، وذلك في قوله تعالى مثلاً ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ مِثْلِ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾ [النساء: ١١]، فإنه جعل المماثلة بحظ الأنثيين، فكان هو المقاس عليه في بيان الحظوظ، وليس ذلك لغير داع، يقول الشيخ: جعل حظ الأنثيين هو المقدار الذي يقدر به حظ الذكر، ولم يكن قد تقدم تعيين حظ للأنثيين حتى يقدر به، فعلم أن المراد تضعيف حظ الذكر من الأولاد على حظ الأنثى منهم، وقد كان هذا المراد صالحاً لأن يؤدي بنحو: للأنثى نصف حظ ذكر، أو للأنثيين مثل حظ ذكر، إذ ليس المقصود إلا بيان المضاعفة، ولكن قد أوتر هذا التعبير لنكتة لطيفة وهي الإيماء إلى أن حظ الأنثى صار في اعتبار الشرع أهم من حظ الذكر، إذ كانت مهضومة الجانب، عند أهل الجاهلية فصار الإسلام ينادي بحفظها في أول ما يقرع الأسماع قد علم أن قسمة المال تكون باعتبار عدد البنين والبنات<sup>(٢)</sup>. فيا لله لروعة هذا الكتاب الخالد. وهكذا سار ابن عاشور مع هذه الأسس التدبرية في تفسيره

### ثانياً: اعتماد ابن عاشور على مصادر كثيرة في تفسيره:

ولقد اعتمد ابن عاشور في تفسيره على مصادر متنوعة في أبحاثها العلمية، ومختلفة مشارب أصحابها، وأهواؤهم الفكرية، والعقدية، فكانت مصادره في مجملها تزيد على أربعمئة وخمسين مصدراً.<sup>(٣)</sup> ولا شك عندي في أن هذا يعد من روافد تقريب

(١) التفسير ج ٦/ ١٥٩.

(٢) تفسير ابن عاشور ج ٤ / ٢٥٧.

(٣) تفسير ابن عاشور دراسة منهجية ونقدية، جمال أبو حسان، ج ١ / ٩٥.

التدبر، فإن الاستعانة بفهوم السابقين توفر وقتاً كثيراً وتحفز إلى المزيد من التدبر والفهوم. ولست هنا بصدد بيان الملاحظات التي اكتنفت عمل ابن عاشور في التعامل مع مصادره التي استعملها في التفسير وأفاد منها، على أي سألنزم بإيراد ما أراه من ملاحظات فيما يخص ذات التدبر والتأثير عليه، ومع هذا فلا بد من بيان أن ابن عاشور في تدبره للقرآن أثناء نقله عن غيره كانت شخصيته ظاهرة إذ إنه لا يسلم بكل ما ينقل. ومما يؤخذ عليه أحياناً اتهام المفسرين بالحيرة في التفسير<sup>(١)</sup>، وهذا الوصف قد يدفع الواصف إلى الاعتداد الشديد برأيه ولو في غير محله. مما يؤثر سلباً على نقاء التدبر، ومن الجميل بيان موقفه من المفسرين عامة فما هو يقول: «ولقد رأيت الناس حول كلام الأقدمين أحد رجلين: رجل معتكف فيما شاده الأقدمون، وآخر أخذ بمعوله في هدم ما مضت عليه القرون، وفي كلتا الحالتين ضرر كثير، وهنالك حالة أخرى يجبر بها الجناح الكسير، وهي أن نعلم إلى ما أشاده الأقدمون فنهدّبه ونزيده، وحاشا أن نقصه أو نبيده، عالماً بأن غمط فضلهم<sup>(٢)</sup> كفران للنعمة، وجحد مزايا سلفها ليس من حميد خصال الأمة<sup>(٣)</sup>. ولذا يرى ابن عاشور أنه لا ينبغي الوقوف عند أقوال السابقين فقط فقال:

«فجعلت حقاً عليّ أن أبدي في تفسير القرآن نكتاً لم أر من سبقني إليها، وأن أقف موقف الحكم بين طوائف المفسرين تارة لها، وآونة عليها، فإن الاقتصار على الحديث المعاد تعطيل لفيض القرآن الذي ما له من نفاذ<sup>(٤)</sup>».

(١) تفسير ابن عاشور ج ١٩ / ١٦٨.

(٢) عالماً حال من الضمير في نعمد، وغمض مجاز في الستر والتفاؤل كذا يفهم من الأساس باب غمض ص ٣٢٩، طبع دار المعرفة - بيروت، بتحقيق الأستاذ عبد الرحيم محمود سنة ١٩٧٩ م.

(٣) السابق ٧ / ١ والعبارة أصلها: وليس من حميد خصال الأمة جحد مزايا سلفها.

(٤) السابق ٧ / ١.

### ثالثاً: مقدمات التفسير والإبداع العالي في مقدمة تفسير كل سورة:

وضع ابن عاشور عشر مقدمات لتفسيره أبان فيها عن قضايا كثيرة مما ينبغي للمفسر المتدبر أن يعنى بها وفي هذه المقدمات قضايا كثيرة هي موضع جدل واختلاف، وتستحق هذه المقدمات أن تفرد ببحث نقدي مستقل. والذي يهمنا من هذه المقدمة ما له اعتلاق مباشر أن يكون غرضاً للمفسر أثناء تفسيره وتدبره للقران الكريم، وما ذكره هو في المقدمة الرابعة فقد قال في طاعة هذه المقدمة: «إن القرآن أنزله الله تعالى كتاباً لصلاح أمر الناس كافة رحمة لهم لتبليغهم مراد الله منهم قال الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩] فكان المقصد الأعلى منه صلاح الأحوال الفردية، والجماعية، والعمرانية، فالصلاح الفردي يعتمد تهذيب النفس وتزكيتها، ورأس الأمر فيه صلاح الاعتقاد؛ لأن الاعتقاد مصدر الآداب والتفكير، ثم صلاح السريرة الخاصة، وهي العبادات الظاهرة كالصلاة، والباطنة كالخلق بترك الحسد والحقد والكبر. وأما الصلاح الجماعي فيحصل أولاً من الصلاح الفردي إذ الأفراد أجزاء المجتمع، ولا يصلح الكل إلا بصلاح أجزائه، ومن شيء زائد على ذلك وهو ضبط تصرف الناس بعضهم مع بعض على وجه يعصمهم من مزاحمة الشهوات وموآبة القوى النفسانية، وهذا هو علم المعاملات، ويعبر عنه عند الحكماء بالسياسة المدنية. وأما الصلاح العمراني فهو أوسع من ذلك إذا هو حفظ نظام العالم الإسلامي، وضبط تصرف الجماعات والأقاليم بعضهم مع بعض على وجه يحفظ مصالح الجميع، ورعي المصالح الكلية الإسلامية، وحفظ المصلحة الجامعة عند معارضة المصلحة القاصرة لها، ويسمى هذا بعلم العمران وعلم الاجتماع<sup>(١)</sup>. ثم قفى ذلك ببيان المقاصد الأصلية التي جاء القرآن لتبيانها وهي كما يقول ثمانية أمور هي: «١- إصلاح

(١) تفسير ابن عاشور ج ١/ ٣٨.

الاعتقاد وتعليم العقد الصحيح ٢- تهذيب الأخلاق ٣- التشريع وهو الأحكام خاصة وعامة ٤- سياسة الأمة وهو باب عظيم في القرآن القصد منه صلاح الأمة وحفظ نظامها كالإرشاد إلى تكوين الجامعة ٥- القصص وأخبار الأمم السالفة للتأسي بصالح أحوالهم ٦- التعليم بما يناسب حالة عصر المخاطبين ٧- المواعظ والإنذار والتحذير والتبشير ٨- الإعجاز بالقرآن ليكون آية دالة على صدق الرسول ﷺ<sup>(١)</sup>.

ثم قفى ذلك بقوله: «فغرض المفسر بيان ما يصل إليه أو ما يقصده من مراد الله تعالى في كتابه بأتم بيان يحتمله المعنى ولا يأباه اللفظ من كل ما يوضح المراد من مقاصد القرآن، أو ما يتوقف عليه فهمه أكمل فهم، أو يخدم المقصد تفصيلاً وتفريعاً كما أشرنا إليه في المقدمة الأولى، مع إقامة الحجة على ذلك إن كان به خفاء، أو لتوقع مكابرة من معاند أو جاهل، فلا جرم كان رائد المفسر في ذلك أن يعرف على الإجمال مقاصد القرآن مما جاء لأجله، ويعرف اصطلاحه في إطلاق الألفاظ»<sup>(٢)</sup>.

هذه المقدمة تبين بوضوح منهج ابن عاشور في التدبر وهو بلا شك ينزع إلى أن التدبر قصاره في الفهم، ولذا لم يتحدث بشكل مباشر عن انعكاسات هذا الفهم على السلوك الفردي أو الجماعي، نعم يمكن أن يفهم هذا من بين السطور، لكن في التصريح به أهمية كبيرة كانت قد تغير مسار التفسير.

ثم أبدع ابن عاشور إبداعاً بوضع مقدمات لكل سورة حيث يدخل إلى تفسير السورة الكريمة ببعض المعلومات المتعلقة بها، وهذه المعلومات هي من الأهمية بمكان، بل لا غرابة إذا قلت إن هذه المعلومات هي من أدق وأمتع ما كتب في هذا

(١) السابق ج ١ / ٤٠.

(٢) تفسير ابن عاشور ج ١ / ٤١.

التفسير من التحقيق العلمي، ويبدأ ابن عاشور تدبره للسورة بتحقيق اسمها الوارد فيها وقد يطول التحقيق إلى معلومات مكرورة تمتد إلى أكثر من صفحتين كما فعل في تحقيق اسم سورة السجدة<sup>(١)</sup>، ثم يقفي بتحقيق ما يتعلق بالمكي والمدني في هذه السورة وتاريخ نزولها، وهذا يوفر على المتدبر كثيراً من العناء الخاص بمثل هذا التحقيق، ويجول بينه وبين الوقوع في الخطأ أثناء تدبره للآيات الكريمة، وقد أبدع فيه ابن عاشور أيما إبداع، ثم يتحدث عن ترتيب نزول سور القرآن وهذا قد يعين المتدبر على معرفة ترتيب السورة فيضبط ما فيها من أحكام ولا يقع في ما يشوش فكره في هذا الجانب.

ثم يعرض لعدد آيات السورة ويبين الخلاف بين العلماء في ذلك، ثم يعرض ملخصاً أغراض السورة وما اشتملت عليه من موضوعات رئيسة، ثم يحقق ابن عاشور في سبب النزول إن كان لنزول السورة سبب، وأحياناً يعرض إلى سبب نزول بعض الآيات إن كان ثم خطأ في فهمها من قبل بعض المتدبرين، وقد حقق ابن عاشور في هذا الجانب ما هو حقيق بالثناء عليه، وأعان في ضبط فهم الآية على الطريق الصحيح. ويحسن أن أذكر هنا مثلاً لتصحيح الفهم الذي وقع بين المتدبرين ولا تزال آثاره إلى اليوم في المؤلفات والكتب، فقد حقق ابن عاشور ما يتعلق بسورة التحريم من حيث سبب النزول فقال: «وسبب نزولها حادثان حدثتا بين أزواج النبي ﷺ:

إحدهما: ما ثبت في الصحيح عن عائشة، أن النبي ﷺ كان شرب عسلاً عند إحدى نسائه، اختلف في أنها زينب بنت جحش، أو حفصة، أو أم سلمة أو سودة بنت زمعة، والأصح أنها زينب، فعلمت بذلك عائشة، فتواطأت هي وحفصة على أنه

(١) ج ٢١/٢٠١-٢٠٣.



أيهما دخل عليها تقول له: (إني لأجد منك ريح مغاير، أكلت مغاير؟)، (والمغاير: صمغ شجر العرفط وله رائحة محتمرة)، وكان النبي ﷺ يكره أن توجد منه رائحة، وإنما تواطأتا على ذلك غيرة منهما أن يحتبس عند زينب زماناً يشرب فيه عسلاً، فدخل على حفصة فقالت له ذلك، فقال: بل شربت عسلاً عند فلانة، ولن أعود له، أراد بذلك استرضاء حفصة في هذا الشأن وأوصاها أن لا تخبر عائشة بذلك، (لأنه يكره غضبها)، فأخبرت حفصة عائشة فنزلت الآيات.

هذا أصح ما روي في سبب نزول هذه الآيات. والتحريم هو قوله: (ولن أعود له)، لأن النبي ﷺ لا يقول إلا صدقاً، وكانت سودة تقول: لقد حرمناه<sup>(١)</sup>.

والثانية: ما رواه ابن القاسم في المدونة، عن مالك، عن زيد بن أسلم، قال: حرم رسول الله ﷺ أم إبراهيم جاريتته، فقال: (والله لا أطوك)، ثم قال: هي علي حرام، فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التحريم: ١]، وتفصيل هذا الخبر ما رواه الدارقطني عن ابن عباس، عن عمر، قال: دخل رسول الله ﷺ بأم ولده مارية في بيت حفصة، فوجدته حفصة معها، وكانت حفصة غابت إلى بيت أبيها، فقالت حفصة: تدخلها بيتي! ما صنعت بي هذا من بين نسائك إلا من هواني عليك. فقال لها لا تذكرني هذا لعائشة، فهي علي حرام إن قربتها. قيل: فقالت له حفصة: كيف تحرم عليك وهي جاريتك، فحلف لها أن لا يقربها. فذكرته حفصة لعائشة، فألى أن لا يدخل على نسائه شهراً، فأنزل الله: ﴿يَا

(١) تفسير ابن عاشور ٢٨ / ٣٤٤ وهذا الحديث رواه البخاري في غير ما موضع من كتابه منها في التفسير ٨ / ٦٥٦ رقم ٤٩٢١ ومنها في الحيل ١٢ / ٣٤٢ رقم ٦٩٧٢. ورجح ابن حجر في مجموع الروايات لهذا الحديث أن الشارب عندها هي زينب ٩ / ٣٧٦ من الفتح وروى هذا الحديث أيضاً الإمام مسلم في الصحيح ١٠ / ٧٣.

أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ﴿ [التحریم: ١]، وهو حديث ضعيف<sup>(١)</sup>. وفي هذا التحقيق تدفع عادية الظلم ونسبتها إلى رسول الله ﷺ، ثم يذكر ابن عاشور أحاديث في فضائل السور وهو يذكر الروايات الواردة وأغلبها للأسف روايات ضعيفة، لكنه ينبه على ضعفها.

هذا هو الذي يذكره ابن عاشور في طالعة كل سورة، وأنا أرى هنا أن تستخرج هذه المعلومات وتوضع في كتاب ينسب لابن عاشور، ويقرر على طلبية الدراسات الشرعية لأنه يوفر عليهم عناء البحث ويصرف همهم إلى تدبر القرآن دون إشغال الفكر في تلك المقدمات.

#### رابعاً: تفسير السورة والإغراق فيه التفاصيل:

سلك ابن عاشور في تدبره وتفسيره للقرآن مسلكاً تبدو معاملة في عشرة قضايا<sup>(٢)</sup> أذكرها على الإجمال ثم أذكر ما يستدعيه المقام في هذه العجالة من الملاحظات<sup>(٣)</sup>.

(١) السابق ٢٨ / ٣٤٤-٣٤٥، وهذا الحديث رواه الدارقطني في سننه ٤ / ٤١-٤٢ والطبري في التفسير بأسانيد عدة ١٨ / ١٠٠-١٠٢ والواحدي في أسباب النزول ٤٦٦. فأما رواية الدارقطني فقال فيالتعليق المغني: إن فيها راوياً واهياً، أي: ذاهب الحديث ٤ / ٤٢ وقد ذكر أيضاً أن هذا الحديث أخرجه الهيثم بن كلب في مسنده بإسناد صحيح، واختاره الحافظ المقدسي في كتابه المستخرج ٤ / ٤١ وانظر الفتوح ٨ / ٦٥٧ وقال في التعليق: إن رواية الطبري سندها صحيح عن زيد بن أسلم لكنه مرسل ٤ / ٤٢-٤٣. وقال الحافظ في الفتوح: إن النسائي أخرج القصة بسند صحيح عن أنس وقال إنه أصح طرق هذا السبب. وقال أيضاً بعد أن ذكر أن طرق هذا الحديث: يشد بعضها بعضاً. قال: ويحتمل أن الآية نزلت في السببين معاً ٨ / ٦٥٧. ونقل النووي في شرح مسلم عن القاضي عياض: أن الصحيح في سبب نزول الآية أنها في قصة العسل لا في قصة مارية المروي في غير الصحيحين، ولم تأت قصة مارية من طريق صحيح انتهى ١٠ / ٧٧، قلت: وهو الصواب إن شاء الله.

(٢) تفسير ابن عاشور دراسة منهجية ونقدية ج ١ / ٢٠٣.

(٣) سأجعل للملاحظات على منهجه في التدبر مكاناً خاصاً.

أولاً: يسير ابن عاشور مع السورة القرآنية مقسماً إياها إلى مقاطع، وتتفاوت هذه المقاطع كما من سورة إلى أخرى، بل وفي السورة نفسها، والغالب أن تكون هذه المقاطع متحدة الفكرة الخاصة، وذات إطار موضوعي واحد، غير أن هذا لا يكون دائماً متيسراً بسبب أن الموضوع قد تكون آياته كثيرة، أو قصيرة، لكنها طويلة<sup>(١)</sup>، فيكون التقطيع بحسبه.

ثانياً: يتبدى باللفظة القرآنية، أو الجملة القرآنية، فيعرض لمعانيها واشتقاقها وما يتعلق بها من أمور لغوية، من حيث ورودها في أساليب الفصحاء، والاستشهاد على ذلك بأشعار العرب وأمثالهم، إلى غير ذلك، ومما ينبغي بيانه أن ابن عاشور أغرق في التفاصيل في هذا الجانب إغراقاً شديداً بحيث كان له الأثر على سلوكه في التدبر الصحيح؛ لأن هذه التفاصيل أصبحت هدفاً في تفسيره.

ثالثاً: يذكر ابن عاشور نظائر الآية القرآنية أو الآيات، وهو ما يسمى بتفسير القرآن بالقرآن.

رابعاً: يستشهد على ما يقول بالأحاديث الشريفة، والآثار المروية عن السلف لتوضيح المعنى المقصود، وهو في ذلك مختار مناقش مرجح.

خامساً: يعرض لبيان المناسبة بين المقطع المختار أو الآية لما قبلها.

سادساً: يقوم بدفع الإشكالات التي يمكن أن تبدو من ظاهر النظم في الآيات الكريمة إن وجدت، وقد يُبتدئها، وعلى أسلوب (فإن قلت) أحياناً.

(١) راجع أيضاً ابن عاشور ومنهجه في التفسير للريس ص ٢٩٩، وتفسير ابن عاشور هدفه ومصادره ص ١٧ وما بعدها.

سابعاً: إذا تحدثت الآيات القرآنية ذات المقطع الواحد عن موضوع معين، أو كان ثمة موضوع أكثر فيه الكلام من المتقدمين، فإن ابن عاشور يتابعهم فيعرض لتفاصيل تتعلق بذلك. وقد أكثر هذا في التفسير، بحيث يمكن اعتباره من معيقات التدبر.

ثامناً: عند مروره بآيات الأحكام، وآيات العقيدة، أو الآيات التي اتخذت لها مواضع خاصة في علوم القرآن وغيرها من المباحث، يعرض ابن عاشور لذكر خلاف العلماء في تلك الآيات، ويفصل في تلك القضايا بما هو مناسب عنده. وهذا أيضاً كثير في التفسير.

تاسعاً: عرض إلى إشارات علمية عند تفسيره لبعض الآيات القرآنية الكريمة.

عاشراً: استخدم الحاشية لأغراض متعددة في تفسيره.

هذه هي طريقتة التي سار عليها في تفسيره سور القرآن الكريم وتدبرها، غير أنه لا يلتزم ترتيباً معيناً لهذه الأسس العشرة المتقدمة، فكثيراً ما يكون هناك تقديم وتأخير فيها، وذلك بحسب المقطع المفسر.

والحقيقة أنني من خلال قراءتي في هذا التفسير وجدت أن ما صنعه ابن عاشور هو مجرد الفهم المجرد لآيات الله تعالى، ولم يتعد في تفسيره إلى شيء آخر. وبذلك يتضح أن ابن عاشور أبدع في وضع مقدمات التدبر ليعين قارئ القرآن على تدبره والسير به نحو التغيير إلى الأحسن

## المطلب الرابع

### في الإطار العملي

أنا هنا معني بما قدمه ابن عاشور في تفسيره بمعنى أنا أبحث في التفسير فحسب، وليس لي أي علاقة بكتب ابن عاشور الأخرى سوى ما يصلح شاهداً لما أقول؛ لأن هذه هي طبيعة هذا البحث، وهكذا أريد أن يكون.

ولذا فيني أقول: لقد منيت الأمة الإسلامية بالاستعمار وتعطيل الشريعة الإسلامية نظاماً لحياة الناس، وابتلي الناس بالحرام على مختلف جهات الحياة، وتفرقت البلدان الإسلامية بعد هدم الخلافة شذر مذر، وابتلي المسلمون بحكام هم في الحقيقة صنائع الاستعمار بحيث صنعوا في المسلمين وإسلامهم مالم يحلم المستعمرون به، ولذا كان من شغل المفسر مثل هذه القضايا وكذلك ما انبثق منها من قضايا اجتماعية واقتصادية وسياسية وغير ذلك، شغل بها المفسر الحديث أيما شغل لأنها تمثل بالنسبة إليه حديث الساعة.

ولهذا حاول المفسرون المحدثون أن يسيروا ضمن أطر عامة في التفسير إضافة إلى تنوع اتجاهات التفسير الحاضر، فكانت هذه الأطر التي ساروا عليها تكاد تكون هي أهم ميزات التفسير المعاصر، وقد أجملها شيخ شيوخنا رحمه الله في رسالته بقوله:

(١) لقد حاول المفسرون المحدثون أن يعرضوا تفاسيرهم بأسلوب منسجم مع روح العصر، وظروف أهله مستمدين من القدامى الكثير الكثير.

(٢) ألقى ظل العصر تساؤلات، ومشكلات إنسانية واجتماعية وعلمية، فتصدى هؤلاء جزاهم الله خيراً لحلها في ضوء هدي القرآن وتفسير آياته.

- ٣) نقد كتب المتقدمين، وتبيين ما ينبغي أن يؤخذ أو يترك.
- ٤) تجلية الإعجاز القرآني في شتى نواحيه مهيبين بالأمة أن تعتصم به<sup>(١)</sup>.
- وقبل المسير، لا بد من ذكر طائفة لأسماء بعض أهم الموضوعات التي كانت تتجاذبها التفاسير المعاصرة في ثناياها:
- ١) قضية الاجتهاد ونقض التقليد.
- ٢) قضايا السياسة والوطن.
- ٣) قضايا العلم والحرية.
- ٤) قضايا الاقتصاد الإسلامي.
- ٥) قضايا التشريعات الإسلامية، وخصوصاً المتعلقة بالأسرة، وتعدد الزوجات والطلاق والميراث، وحقوق المرأة.
- ٦) وحدة الأمة وموقف المسلمين من غيرهم.
- ٧) عرض قضايا الاعتقاد بسهولة، ومحاولة التركيز على أن الإسلام دين العقل، والوقوف الحازم أمام تيارات الإلحاد، وتزييف شبه المبطلين وافتراءاتهم<sup>(٢)</sup>.
- وابن عاشور من المفسرين المعاصرين فأين كان تفسيره بالنسبة لتفاسير المعاصرين، وهل شغل نفسه بما شغل به المفسرون المعاصرون أنفسهم؟
- نستطيع نحن بكل هدوء أن نقسم المرحلة الزمنية التي عاشها ابن عاشور من هذه

(١) اتجاهات التفسير في مصر وسوريا ٢/٧٠٧.

(٢) راجع اتجاهات التجديد في تفسير القرآن في مصر لمحمد إبراهيم شريف ص ٣٣٢ وما بعدها.

الجهة إلى قسمين<sup>(١)</sup>: القسم الأول: مرحلة الاستعمار الفرنسي المباشر، والذي امتد منذ ولادة الشيخ في عام ١٨٧٩م إلى حدود سنة ١٩٥٦م.

القسم الثاني: مرحلة العهد البورقيبي. وذلك إلى وفاة الشيخ رحمه الله في عام ١٩٧٣م وهذان القسمان وإن كان لا بد منهما، فإن وقعهما على أمة الإسلام واحد، الاستعمار بشقيه هو استعمار، وإنما الذي ينبغي أن لا نقنع أنفسنا به: هو أن حريتنا باتت بأيدينا، إننا لا زلنا نعاني من آثار الاستعمار، بما خلفه من مآسٍ ودمار، يقود هذه المآسي أبناء أعزة من أبناء جلدتنا، فإننا لله وإنا إليه راجعون<sup>(٢)</sup>.

يقول الفاضل ابن عاشور في وصف تلك الفترة: «استقر الاستعمار، وتوطد أمره، واستولى المستعمرون على أجهزة الحكم والإدارة كافة، فلم يبق لأبناء البلاد أميرهم وحقيرهم من الأمر شيء، واشتد ساعد الجالية الفرنسية وتضخم عددها، ونفذ أمرها، وعلت كلمتها، فاعتبرت البلاد التونسية وطناً لها، ووضعت أبناءها الأصليين ومصالحهم في مدرجه الإهمال، وصارت النظم كلها مبنية على التقاليد الغربية، مستخفة بالديانة الإسلامية والعوائد التونسية، وأصبح جميع المتصرفين الإداريين من الفرنسيين، لا يشاركونهم إلا من لم يسهل صرفه من المواطنين القدماء، فبقي على كرسيه جسداً، وصار ابن البلاد مهيناً ساقط الاعتبار، وأصبحت لغته مهجورة، والحكم حكم غيره، والبلاد لأمة غير أمته<sup>(٣)</sup>».

(١) منهج الإمام ابن عاشور في التفسير للصحبي بن مسعود، بحث على الآلة الكاتبة وغير منشور، ص ٤.

(٢) تفسير التحرير والتنوير دراسة منهجية نقدية ج ١/ ١٤.

(٣) الحركة الأدبية والفكرية في تونس للفاضل بن عاشور، الدار العربية للكتاب، تونس، ص ٥٧-٥٨.

وانظر: محمد الفاضل بن عاشور حياته وأثره الفكري للمختار بن أحمد عمار، الدار التونسية

للنشر، تونس، ١٩٨٥م، ص ١١ وما بعدها. تونس وجامع الزيتونة للخضر حسين، نشر علي رضا

التونسي، ١٩٧١م، ص ١٣٣-١٤٥. وقد كان إنشاء الجمعية الخلدونية ما بين ١٨٩٧م-١٩١١م.

ويصور هذه المرحلة أحد الباحثين بقوله: شهدت تمكيناً واضحاً للفكر الغربي، وبدأت بالإجهاز على التعليم الزيتوني، وحل أوقافه، وبدأت تشكل هوية البلاد على أساس المشروع الثقافي الجديد، وقد ارتكز على الأسس التالية:

(١) التجزئة ومحاولة فصل تونس عن الفضاء الحضاري للأمة الإسلامية.

(٢) العلمانية وبخاصة في مستوى مناهج التفكير وبرامج التعليم.

(٣) تكريس العداء العقدي للدين، والاستخفاف برموزه وشعائره.

وهذه المرحلة شهدت أوج التمكين للمشروع الغربي، بل مشروع الإلحاق الحضاري بالآخر وكان للزيتونة نصيب أوفر من الهجمة الشرسة على الدين وقلاعه، وكان الصدام واضحاً بين المشروع الثقافي المستند إلى الحضارة الغربية مرجعاً ونموذجاً بتدعيم من السلطة والنفوذ الأجنبي، الممتد بأشكال متعددة، وبين التدين التقليدي، المنتكس إلى الوراثة، نتيجة القمع، واستحكام العداء للدين عموماً<sup>(١)</sup>.

ولنأخذ بعض الأمثلة من الموضوعات أو الآيات التي شغل المفسرون بها أنفسهم لنرى موقع ابن عاشور في تفسيره من كل هذا

### أولاً: فيه شأن المرأة:

قال ابن عاشور: «ودين الإسلام حري بالعناية بإصلاح شأن المرأة، وكيف لا وهي نصف النوع الإنساني، والمربية الأولى، التي تفيض التربية السالكة إلى النفوس قبل غيرها، والتي تصادف عقولاً لم تمسها وسائل الشر، وقلوباً لم تنفذ إليها خراطيم الشيطان. فإذا كانت تلك التربية خيراً، وصدقاً، وصواباً، وحقاً، كانت أول ما ينتقش

(١) منهج الإمام ابن عاشور للصحبي بن مسعود، ص ٥-٦.



في تلك الجواهر الكريمة، وأسبق ما يمتزج بتلك الفطر السليمة، فهيأت لأمثالها، من خواطر الخير، منزلاً رحباً، ولم تغادر لأغيارها من الشرور كرامة ولا حباً. ودين الإسلام دين تشريع ونظام، فلذلك جاء بإصلاح حال المرأة، ورفع شأنها لتتهيأ الأمة الداخلة تحت حكم الإسلام، إلى الارتقاء وسيادة العالم<sup>(١)</sup>. وكان قد تحدث عن شيء من حقوق المرأة حديثاً لا بأس به<sup>(٢)</sup>.

هذا ما ذكره ابن عاشور في شأن هذه القضية مع قسوة العبارة على الإسلام في أول سطر، ولم ينبس ابن عاشور ببنت شفة في التفسير حول قضية تحرير المرأة التي شغلت العالم الإسلامي من مشرقه إلى مغربه، فسقط فيها ناس كان يظن احترامهم. وترك كل القضايا التي عصفت بالمسلمين مما له علاقة بحجاب المرأة المسلمة والكلام الذي دار في شأن هذه القضية مما شغل الناس في ذلك الوقت. مع أن الكلام الجميل الذي ذكره لم يكن مانعاً له من الخوض في تدبر الآيات الكريمة على نحو يدلي فيه بدلوه في حل مشكلاتها. وهو من هو في المنصب في ذلك الوقت.

ثانياً: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]:

عند هذه الآية كان المفترض في ابن عاشور أن يعرض لحال الأمة التي تفرقت شذر مذر ومزقتها الاستعمار شر ممزق وأن يدعو إلى الوحدة الإسلامية ويبين سبل الوصول إليها لا سيما وهو شيخ الإسلام، ولكنه اقتصر في التفسير على معاني الألفاظ فقال: «وقوله: واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ثني أمرهم بما فيه صلاح أنفسهم لأخراهم، بأمرهم بما فيه صلاح حالهم في دنياهم، وذلك

(١) التحرير والتنوير ج ٢/ ٤٠٠.

(٢) السابق ج ٢/ ٩٩.

بالاجتماع على هذا الدين وعدم التفرق ليكتسبوا باتحادهم قوة ونماء. والاعتصام افتعال من عصم وهو طلب ما يعصم أي يمنع.

والحبل: ما يشد به للارتقاء، أو التدلي، أو للنجاة من غرق، أو نحوه، والكلام تمثيل لهيئة اجتماعهم والتفافهم على دين الله ووصاياه وعهوده بهيئة استمسك جماعة بحبل ألقى إليهم من منقذ لهم من غرق أو سقوط، وإضافة الحبل إلى الله قرينة هذا التمثيل.

وقوله: جميعاً حال وهو الذي رجح إرادة التمثيل، إذ ليس المقصود الأمر باعتصام كل مسلم في حال انفراده اعتصاماً بهذا الدين، بل المقصود الأمر باعتصام الأمة كلها، ويحصل في ضمن ذلك أمر كل واحد بالتمسك بهذا الدين، فالكلام أمر لهم بأن يكونوا على هاته الهيئة، وهذا هو الوجه المناسب لتمام البلاغة لكثرة ما فيه من المعاني، ويجوز أن يستعار الاعتصام للتوثيق بالدين وعهوده، وعدم الانفصال عنه، ويستعار الحبل للدين والعهود كقوله: ﴿إِلَّا بِحَبْلِ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِّنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: 112] ويكون كل من الاستعارتين ترشيحاً للأخرى، لأن مبنى الترشيح على اعتبار تقوية التشبيه في نفس السامع، وذلك يحصل له بمجرد سماع لفظ ما هو من ملائمت المستعار، بقطع النظر عن كون ذلك الملائم معتبرة فيه استعارة أخرى، إذ لا يزيده ذلك الاعتبار إلا قوة. وليست الاستعارة بوضع اللفظ في معنى جديد حتى يتوهم متوهم أن تلك الدلالة الجديدة، الحاصلة في الاستعارة الثانية، صارت غير ملائمة لمعنى المستعار في الاستعارة الأخرى، وإنما هي اعتبارات لطيفة تزيد كثرتها الكلام حسناً. وقريب من هذا التورية، فإن فيها حسناً بإيهام أحد المعنيين مع إرادة غيره، ولا شك أنه عند إرادة غيره لا يكون المعنى الآخر مقصوداً، وفي هذا الوجه لا يكون الكلام صريحاً في الأمر بالاجتماع على الدين بل ظاهره أنه أمر للمؤمنين

بالتمسك بالدين فيؤول إلى أمر كل واحد منهم بذلك على ما هو الأصل في معنى مثل هذه الصيغة ويصير قوله: جميعاً محتملاً لتأكيد العموم المستفاد من واو الجماعة. وقوله: ولا تفرقوا تأكيد لمضمون اعتصموا جميعاً كقولهم: ذمتم ولم تحمد<sup>(١)</sup>.

ثالثاً: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤]:

عند تفسيره هذه الآية وفي بيان التعامل مع الحكام الفسقة قال: «وفي الآية أن المتصف بالكبيرة ليس مستحقاً لإسناد الإمامة إليه أعني سائر ولايات المسلمين: الخلافة والإمارة والقضاء والفتوى ورواية العلم وإمامة الصلاة ونحو ذلك. قال فخر الدين: قال الجمهور من الفقهاء والمتكلمين الفاسق حال فسقه لا يجوز عقد الإمامة له. وفي «تفسير ابن عرفة» تسليم ذلك. ونقل ابن عرفة عن المازري والقرطبي عن الجمهور إذا عقد للإمام على وجه صحيح ثم فسق وجار فإن كان فسقه بكفر وجب خلعه وأما بغيره من المعاصي فقال الخوارج والمعتزلة وبعض أهل السنة يخلع وقال جمهور أهل السنة لا يخلع بالفسق والظلم وتعطيل الحدود ويجب وعظه وترك طاعته فيما لا تجب فيه طاعة وهذا مع القدرة على خلعه فإن لم يقدر عليه إلا بفتنة وحرب فاتفقوا على منع القيام عليه وأن الصبر على جوره أولى من استبدال الأمن بالخوف وإراقة الدماء بانطلاق أيدي السفهاء والفساق في الأرض، وهذا حكم كل ولاية في قول علماء السنة، وما نقل عن أبي حنيفة من جواز كون الفاسق خليفة، وعدم جواز كونه قاضياً، قال أبو بكر الرازي الجصاص هو خطأ في النقل<sup>(٢)</sup>.

(١) التحرير والتنوير ج ٤ / ٢٩.

(٢) التحرير والتنوير ج ١ / ٧٠٦.

مثل هذا الكلام الذي ساقه هنا كان من أكبر الحوافز لديه لأن يرى ما يحدثه المستعمر ثم يسكت عليه، وكذا لم يعرف عن ابن عاشور أنه انتقد أو اعترض على أي عمل قام الحبيب بورقيبة أيام حكمه التي كان ابن عاشور يتبوأ فيها منصب شيخ الإسلام. بل إن القراءة في تاريخ ابن عاشور أيام الاستعمار تصيب الحليم برجة عنيفة مما يقرأ.

#### رابعاً:التعامل بالربا:

قال ابن عاشور: «ولقد قضى المسلمون قروناً طويلة لم يروا أنفسهم فيها محتاجين إلى التعامل بالربا ولم تكن ثرواتهم أيامئذ قاصرة عن ثروة بقية الأمم في العالم، أزمان كانت سيادة العالم بيدهم، أو أزمان كانوا مستقلين بإدارة شؤونهم، فلما صارت سيادة العالم بيد أمم غير إسلامية وارتبط المسلمون بغيرهم في التجارة والمعاملة وانتظمت سوق الثروة العالمية على قواعد القوانين التي لا تتحاشى المراباة في المعاملات ولا تعرف أساليب مواساة المسلمين، دهش المسلمون، وهم اليوم يتساءلون، وتحريم الربا في الآية صريح وليس لما حرمه الله مبيح، ولا مخلص من هذا المضيق إلا أن تجعل الدول الإسلامية قوانين مالية تبنى على أصول الشريعة في المصارف، والبيوع، وعقود المعاملات المركبة من رؤوس الأموال وعمل العمال وحوالات الديون ومقاضاتها وبيعها، وهذا يقضي بإعمال أنظار علماء الشريعة والتدارس بينهم في مجمع يحوي طائفة من كل فرقة كما أمر الله تعالى»<sup>(١)</sup>.

ومثل هذا الكلام كان ينبغي أن يملأ ابن عاشور تفسيره به، لأنه مما شغل الناس، وهذا هو التدبر الحقيقي للقرآن الكريم، ولكن للأسف كان هذا نادراً جداً، ولا بد

(١) التحرير والتنوير ج ٤ / ٨٦-٨٧.

من التنبيه على جنوح ابن عاشور في مسألة تحريم ربا الفضل إلى خلاف ما عليه جمهور الفقهاء<sup>(١)</sup>.

### خامساً: طبيعة المسائل الفقهية التي عرض لها في تفسيره

لقد كان الشيخ تقليدياً في عرضه مسائل الفقه بحيث لم يتطرق إلى مستجدات العصر، أو المشكلات الفقهية التي يمكن أن تثار من خلال الآيات الكريمة، أو تجد استفساراً عنها في الواقع المعاصر، ورغم تقليديته التي طالت التفسير كله تقريباً إلا أنه نادراً ما يعرج على مسألة فقهية معاصرة في تفسيره وهاك مثالين على ذلك.

قال عند تفسيره قوله تعالى: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَائُهَا﴾ [الحج: ٢٧]: وقد عرض غير مرة سؤال عما إذا كانت الهدايا أوفر من حاجة أهل الموسم قطعاً أو ظناً قريباً من القطع كما شوهد ذلك في مواسم الحج، فما يبقى منها حياً يباع وينفق ثمنه في سد خلة المحاويج أجدى من نحره أو ذبحه حين لا يرغب فيه أحد، ولو كانت اللحوم التي فات أن قطعت وكانت فاضلة عن حاجة المحاويج يعمل تصبيرها بما يمنع عنها التعفن فينتفع بها في خلال العام أجدى للمحاويع.

وقد ترددت في الجواب عن ذلك أنظار المتصدين للإفتاء من فقهاء هذا العصر، وكادوا أن تتفق كلمات من صدرت منهم فتاوى على أن تصبيرها مناف للتعبد بهديها.

أما أنا فالذي أراه أن المصير إلى كلا الحالين من البيع والتصبير لما فضل عن حاجة الناس في أيام الحج، لينتفع بها المحتاجون في عامهم، أوفق بمقصد الشارع تجنباً لإضاعة ما فضل منها رعياً لمقصد الشريعة من نفع المحتاج وحفظ الأموال مع عدم تعطيل النحر والذبح للقدر المحتاج إليه منها المشار إليه بقوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ

(١) السابق ج ٣/ ٨٦ وما بعدها.

عَلَيْهَا صَوَافٌ ﴿ [الحج: ٣٦] وقوله تعالى ﴿ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِشُكْرِكُمْ وَرَأَوْا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ ﴾ [الحج: ٣٧]، جمعاً بين المقاصد الشرعية.

وتعرض صورة أخرى وهي توزيع المقادير الكافية للانتفاع بها على أيام النحر الثلاثة بحيث لا يتعجل نحر جميع الهدايا في اليوم الأول طلباً لفضيلة المبادرة، فإن التقوى التي تصل إلى الله من تلك الهدايا هي تسليمها للنفع بها. وهذا قياس على أصل حفظ الأموال كما فرضوه في بيع الفرس الحُبُس إذا أصابه ما يفضي به إلى الهلاك أو عدم النفع، وفي المعاوضة لِزُبُع الحبس إذا خرب. وحكم الهدايا مركب من تعبد وتعليل، ومعنى التعليل فيه أقوى، وعلته انتفاع المسلمين<sup>(١)</sup>.

ومنه ما ذكره عن قصة الخصمين الذين احتكما إلى داود عليه السلام حيث قال: وفي هذا دليل شرعي على جواز وضع القصص التمثيلية التي يقصد منها التربية والموعظة ولا يتحمل واضعها جرحه الكذب، خلافاً للذين نبزوا الحريري بالكذب في وضع المقامات كما أشار هو إليه في ديباجتها. وفيها دليل شرعي لجواز تمثيل تلك القصص بالأجسام والذوات إذا لم تخالف الشريعة، ومنه تمثيل الروايات والقصص في ديار التمثيل، فإن ما يجري في شرع من قبلنا يصلح دليلاً لنا في شرعنا إذا حكاه القرآن أو سنة النبي ﷺ ولم يرد في شرعنا ما ينسخه<sup>(٢)</sup> ولا يخفى أن هذا الاستنباط مبني على أن الخصومه تمثيل وأن الخصمين ملائكة، وهو لا يستقيم عند جمهرة المفسرين.

هذه بعض النماذج التي كان يمكن لتفسير ابن عاشور أن يزخر بها، ولكن للأسف لم يحدث هذا.

(١) التحرير والتنوير ج ١٧ / ٢٦٨.

(٢) السابق ج ٢٣ / ٢٣٨.

## المبحث الخامس

### ملاحظات عامة

أولاً: الإغراق فيه تفاصيل الدرس اللغوي:

وقد تنوعت اهتماماته وعناياته اللغوية بتنوع مفردات علم اللغة، فكان اهتمامه بنواحي اللغة والنحو يمكن إجماله في أهم القضايا التالية:

(أ) بيان اشتقاق الكلمات.

(ب) بيان معاني المفردات.

(ج) ذكر وجوه الأعراب وتوضيح بعض المسائل النحوية.

(د) الإكثار من الشواهد الشعرية

ولكثرة ما عني ابن عاشور بهذا الجانب نرى أحد الباحثين يقول: «ان كتاب التحرير والتنوير يمثل -باعترادي- نضج الفكر النحوي المتمثل بـ (النحو القرآني) إذ يرى ابن عاشور أن هناك شيئاً وراء قواعد علم النحو وبه يرجح أحد الاحتمالين على الآخر في معاني القرآن الكريم، فالنحو عنده ضبط سلامة البنية الشكلية في الجملة وضماها إلى تحليل يحقق الوصول إلى المعنى، وأن أمر الوصول إلى المعنى الدلالي يصبح عنده أمراً ميسوراً، وهو بهذا المفهوم يكون قد أعطى أفقاً أوسع من حد النحويين للنحو بأنه علم بأصول يعرف بها أحوال الكلم بناء وإعراباً... وقد استطاع ابن عاشور في تفسيره أن يذكر كثيراً من مسائل النحو واللغة والصرف والبلاغة فهو

بحق كتاب يضح بهذه المسائل ومناقشتها مناقشة واعية مستفيضة»<sup>(١)</sup>.

وقد طغى الدرس اللغوي على ابن عاشور في تفسيره بصورة كبيرة تكاد تصد عن هداية القرآن، هذا وإن القارئ في هذا التفسير يستطيع وبكل سهولة أن يستخرج منه معجماً لغوياً كاملاً، وهذا بالطبع من قبيل مبالغات ابن عاشور، وقد طغى البحث في اشتقاق الكلمات وشغل ابن عاشور نفسه فيه حتى كأن الناظر فيه يدور في ذهنه سؤال حول ذلك فحواء هل نحن معنيون باشتقاق ألفاظ القرآن لنثبت عربيتها؟ وكأن المفسر أجهد نفسه في سبيل أن يصل بالقارئ إلى أن القرآن عربي. إن الذي صنعه ابن عاشور في تفسيره هو إسقاط القواعد النحوية والبلاغية على القرآن الكريم، وهذا لا ينبغي أن يكون غرضاً للمفسر في تفسيره، بل ينبغي أن يكون من وسائل المفسر في تدبر القرآن والوصول إلى تغيير الواقع حسبما تدعو إليه الآيات الكريمة.

### ثانياً: كثرة النقل عن التوراة والأنجيل:

وهذا من أعجب العجب في هذا التفسير ولم أر في خلال مسيرتي العلمية مفسراً اهتم بالنقل عن أهل الكتاب كابن عاشور، ومن العجيب وصف أحد الباحثين لهذا بقوله: «هذا يؤكد تفتح ابن عاشور على مختلف المصادر والمراجع دون استثناء ما لم تفقد ثقة العلماء بها»<sup>(٢)</sup> والسؤال الملح هنا هل مازالت كتب أهل الكتاب لم تفقد الثقة بها عند العلماء؟

(١) الدرس النحوي في توجيه المعنى في تفسير ابن عاشور للدكتور عاطف فضل، بحث منشور ضمن كتاب الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور وقضايا الإصلاح والتجديد في الفكر الإسلامي المعاصر ص ٣٤٩-٣٥٢.

(٢) المنزح العقلي عند محمد الطاهر ابن عاشور، للصادق كرشيد، بحث منشور ضمن كتاب الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور وقضايا الإصلاح والتجديد في الفكر الإسلامي المعاصر ص ١٥٨.



### ثالثاً: إغفال الموضوعات المعاصرة التي تهم المسلمين:

إذا كانت للتفسير الحاضر ميزته الخاصة به، وقد طرأت عليه موضوعات معينة أصبحت من سمات مدرسة التفسير الحاضر، فإننا مع كل أسف لا نجد لهذه السمات أثراً ولا لتلك الموضوعات وجوداً في هذا التفسير.

### رابعاً: إغفاله الحديث عن هموم المسلمين ومحاولة المشاركة فيه حلولها:

لقد مني الإسلام وأهله في هذا العصر بأعتى مشكلتين في التاريخ، هما مشكلة إلغاء الخلافة الإسلامية ومشكلة الاستعمار بجناحيه العسكري والفكري الذي سبب لهذه الأمة كل ما تعاني منه أجيالها حتى يومنا هذا، ويبدو وكأن الشيخ ابن عاشور لم يكن معاصراً لشيء من ذلك، فقد كان يكتب تفسيره من وراء الأسوار. وإني أقول والألم يعتصرني إني قرأت هذا التفسير مرتين ولم أجد فيه كلمة واحدة، تدل على تألم الشيخ على ما يحدث لأمة الإسلام، وإذا أغضينا الطرف عن المشكلة العامة وتحدثنا عن الخاصة المتعلقة بالاستعمار الفرنسي لتونس، فإننا لم نجد للشيخ كلمة واحدة فيه على الرغم من ما أحدثه هذا الاستعمار من ويلات على الأمة في جناحها المغربي.

### خامساً: إهماله المفسرين المعاصرين إهمالاً تاماً:

لم يفد ابن عاشور من المفسرين المعاصرين أي فائدة تذكر لأنه أغفل الحديث عنهم إغفالاً تاماً وفي هذا ظلم للمعاصرين وإسقاط لجهودهم الخيرة في معالجة قضايا المسلمين المستجدة من خلال التفسير.

هذا أهم ما يلاحظ على هذا التفسير في مثل هذا البحث والله تعالى أعلم.

## الخاتمة والتوصيات

الحمد لله تعالى الذي وفقني لتمام هذا البحث الذي درست فيه التدبر عند ابن عاشور وكانت نتيجة هذا البحث أن ابن عاشور كان منهجه منهجاً نظرياً بحثاً في التفسير لم يستثمر ضرورة المنهج العملي الذي هو من أساسات تدبر القرآن، فجاء تفسيره تفسيراً نظرياً انصب بأكمله على توضيح معنى الآيات فحسب، وهذا بلا شك خلل واضح، وإني أعتقد أن ابن عاشور بتفسيره هذا لم يحقق المقصد الأسمى من التفسير، وإنما مشى على ساحله.

## التوصيات

من خلال قراءتي في كتب التفسير وجدت خللاً كبيراً قد حدث في الأمة الإسلامية ألا وهو إسقاط هيمنة القرآن أو التغافل عنها في مناهج الحياة بحيث أصبح القرآن لدى معظم الناس عبارة عن أدلة يستدل بها لدفع استنباطات العقول وتقويتها ولهذا فإني أرى أن من الضرورات الملحة على هذا المركز التأكيد على إعادة هيمنة القرآن في الحياة برمتها والتأكيد على أن مصدر العطاء والتلقي هو القرآن الكريم مع سنة النبي ﷺ وأن الاقتصار على جعل القرآن مصدراً للاستدلال بآياته ما هو إلا تضييع لهيئته.

والله تعالى أعلم وصل الله وسلم وبارك على النبي محمد ﷺ.

## المصادر والمراجع

١. اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر: للدكتور محمد إبراهيم شريف، القاهرة، دار التراث، ١٩٨٢م.
٢. اتجاهات التفسير في مصر وسوريا، رسالة دكتوراه، للدكتور فضل حسن عباس، مرقونة على الآلة الكاتبة.
٣. الأساس، للزمخشري، طبع دار المعرفة - بيروت، بتحقيق الأستاذ عبد الرحيم محمود سنة ١٩٧٩م.
٤. أسباب النزول: لأبي الحسن علي بن الواحدي، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار القبلة، ١٩٨٤ - السعودية.
٥. الأعلام: لخير الدين الزركلي. دار العلم للملايين - بيروت، ١٩٨٤م.
٦. تراجم المؤلفين التونسيين: لمحمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ١٩٨٢-١٩٨٦م.
٧. تفسير ابن عاشور، طبع الدار التونسية، ١٩٨٤م.
٨. تفسير ابن عاشور دراسة منهجية ونقدية، جمال أبو حسان، طبع دار الفتح للدراسات.
٩. تفسير ابن عاشور: هدفه ومصادره للدكتور عبد اللطيف محمود آل محمود ضمن أبحاث ملتقى ابن عاشور، ١٩٨٤م.
١٠. تونس وجامع الزيتونة لمحمد الخضر حسين، نشر علي رضا التونسي، ١٩٧١م.

١١. جامع البيان في تفسير القرآن: لابن جرير الطبري - مصر: دار الريان للتراث ودار الحديث، ١٩٨٧م.
١٢. الحركة الأدبية والفكرية في تونس: لمحمد الفاضل بن عاشور. الدار العربية للكتاب - تونس.
١٣. درس النحوي في توجيه المعنى في تفسير ابن عاشور للدكتور عاطف فضل، بحث منشور ضمن كتاب الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور وقضايا الإصلاح والتجديد في الفكر الإسلامي المعاصر، نشر المعهد العلمي للفكر الإسلامي.
١٤. شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر ابن عاشور، للدكتور محمد الحبيب ابن الخوجة، طبع قطر.
١٥. ابن عاشور ومنهجه في التفسير: لعبد الله الريس، أطروحة ماجستير، بجامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية، ١٤٠٨هـ - غير منشورة -.
١٦. عيون البصائر: لمحمد البشير الإبراهيمي - الجزائر: الشركة الوطنية للنشر ١٩٧٠م.
١٧. فتح الباري في شرح صحيح البخاري: لابن حجر العسقلاني. دار الفكر، بيروت، دون تاريخ.
١٨. مفهوم تدبر القرآن، للدكتور مساعد الطيار، ورقة ضمن أبحاث مؤتمر تدبر الأول
١٩. محمد الفاضل بن عاشور حياته وأثره الفكري للمختار بن أحمد عمار، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٥م.

٢٠. المنزع العقلي عند محمد الطاهر ابن عاشور، للصادق كرشيد، بحث منشور  
ضمن كتاب الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور وقضايا الإصلاح والتجديد في  
الفكر الإسلامي المعاصر
٢١. منهج الإمام ابن عاشور في التفسير للصحبي بن مسعود، بحث على الآلة الكاتبة  
وغير منشور.

الجلسة الثالثة: منهج التدبر قراءة وتقويم  
رئيس الجلسة: د. سعيد محمد بابا سيلا

جلسة مناهج التدبر.. قراءة وتقويم  
منهج أصحاب القراءة الجديدة للقرآن وأثره على التدبر  
د. حسن بن محمد الأسمرى

الإعجاز العددي  
وتدبر القرآن الكريم  
أ.د. إبراهيم بن صالح الحميضي

منهج المدرسة الإشارية في التدبر  
د. نادر السنوسي العمراني

منهج المدرسة الإصلاحية في التفسير  
د. محمد السنيسي

تدبر القرآن عند الائمة عشرية نظرة في المصطلح  
د. عبد العزيز بن عبد الرحمن الضامر







## السيرة الذاتية لرئيس الجلسة الثالثة

« الاسم: د. سعيد محمد بابا سيلا.

« المؤهلات العلمية:

- باحث وأكاديمي؛ أمين عام اتحاد علماء إفريقيا ومدير جامعة الساحل، ولد في باماكو عاصمة جمهورية مالي عام ١٩٦٨م: حفظ القرآن الكريم في حلقة الشيخ محمد بن سعيد سيلا في طوبى جمهورية مالي: وتلقى تعليمه الأولي في مدرسة دار القرآن والحديث في طوبى جمهورية مالي؛ حيث حصل فيها على الشهادة الابتدائية عام ١٩٨١م ثم على الشهادة المتوسطة من المدرسة ذاتها عام ١٩٨٤م.

- أكمل تعليمه الثانوي في المعهد الثانوي التابع للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة: ثم التحق بكلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية في الجامعة ذاتها: حيث حصل على الإجازة العالية (البكالوريوس) ثم الماجستير والدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن.

« البحوث والدراسات:

- أسباب هلاك الأمم السالفة كما وردت في القرآن الكريم (رسالة الماجستير) مطبوع منشور.  
- مرويات سنيد في التفسير - من أول الفاتحة إلى آخر سورة الإسراء (رسالة الدكتوراه) غير منشور.

- جيش أسامة.

- حل الخلافات الزوجية في ضوء سورة النساء.

- الإسلام والديمقراطية (مشاركة مع آخرين).

« الدورات والأنشطة :

- دورات في الحاسب الآلي (المبادئ - لغة البيسك - قواعد البيانات).

- خبرات ذاتية في الحاسب الآلي (نظم التشغيل - البرامج المكتبية - تصميم مواقع الإنترنت).

- المشاركة في فريق التدريب في معهد العالمية للحاسب الآلي في المدينة المنورة.  
- دورات إدارية وتربوية متنوعة في مالي والسودان والإمارات وماليزيا.  
- الانتداب للإمامة في صلاة التراويح في سيراليون من قبل رابطة العالم الإسلامي.  
- مشاركة في الكثير من المؤتمرات والملتقيات الدولية في إفريقيا وآسيا وأمريكا.  
- الإمامة وإلقاء دروس التفسير في رمضان سنويا في كاليفورنيا ونيويورك وأتلانتا في الولايات المتحدة منذ ١٩٩٦ حتى ٢٠١١م، وشارك خلالها في ملتقيات للاتحاد الإسلامي لأمريكا الشمالية  
ISNA

- رئاسة لجنة التحكيم في المسابقة الوطنية لحفظ القرآن الكريم في مالي على مدى ستة دورات.

- المشاركة في برامج متنوعة في التلفزيون الوطني وقناة السنة وإذاعة دامي وإذاعة القرآن الكريم والسنة المطهرة.

« أبرز الوظائف والمهام:

- رئيس رابطة طلبة جمهورية مالي في المملكة العربية السعودية - سابقاً.
- مدير المعهد العربي الفني التابع لمنظمة الفاروق في باماكو - سابقاً.
- الأمين العام لرابطة الدعاة في مالي - سابقاً
- النائب الثاني للمؤتمر الوطني للعلماء التابع للمجلس الإسلامي الأعلى في مالي.
- خطيب جامع عثمان بن عفان في باماكو.
- مدير جامعة الساحل في باماكو.
- أمين عام اتحاد علماء إفريقيا.

« الروابط: [www.africanulama.org](http://www.africanulama.org) - [www.universitesahel.com](http://www.universitesahel.com)

# جلسة مناهج التدبر.. قراءة وتقويم

منهج أصحاب القراءة الجديدة للقرآن وأثره على التدبر

إعداد

د. حسن بن محمد الأسمرى

جامعة الملك خالد، أبها، المملكة العربية السعودية.

ttmemy@gmail.com



## السيرة الذاتية للباحث

« الاسم: د. حسن محمد الأسمرى.

« المرحلة الجامعية في السنة النبوية.

« الماجستير في العقيدة: موقف الاتجاه الفلسفي العربي المعاصر من النص الشرعي - دراسة نقدية.

« الدكتوراه في العقيدة: تأثير النظريات العلمية في الفكر التغريبي العربي - دراسة نقدية.

« أستاذ مشارك عضو هيئة تدريس في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بجامعة الملك خالد.

« عمل وكيلاً للكلية للتطوير والجودة.

« حكم عدة برامج علمية، وحكم عدة بحوث علمية، وناقش مجموعة رسائل في الماجستير والدكتوراه.

« البحوث والمؤلفات:

- التحولات الفكرية.

- النظريات العلمية الحديثة: مسيرتها الفكرية.. دراسة تحليلية ونقدية في مجلدين.

- الفلسفة والنص: الوحي في دراسات الفلسفة العربية المعاصرة.

- العقلانية.. رؤية نقدية.

- العلاقة بين الجمعيات الخيرية والإعلام - تحليل ثقافي.

- تأثير عاملي الزمان والمكان في قوة الاختلاف.

- تأثير العلم الإسلامي في تغيير مناهج التفكير البشرية.
- مهارات التدريس الفعال واستخدام التقنية في تدريس المتطلبات الجامعية.
- الجابري والجابريون.
- القيم والعولمة الإعلامية.
- اللغة والفكر.
- الموقف من النظريات العلمية.
- من صراع الحضارات على حوار الأديان.
- حوار أهل الكتاب من خلال كتاب الجواب الصحيح لابن تيمية.
- تعليم العقيدة عبر التقنية وأثره في تحسين السلوك.

## المقدمة

الحمد لله الذي أكمل لنا الدين وأتمّ علينا النعمة، وجعل أمتنا - ولله الحمد - خير أمة، وبعث فينا رسولاً منا يتلو علينا آياته ويزكينا ويعلمنا الكتاب والحكمة. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين. الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب، ولم يجعل له عوجاً، ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩].

### أما بعد:

فإن العلاقة بين أصحاب القراءات الجديدة للقرآن وبين التدبر علاقة معقدة؛ لأن التدبر ذو بعد إيماني قائم على استقبال رسالة إلهية وقبولها، بينما القراءات المعاصرة قائمة على إهمال هذا البعد الإيماني، حتى أن منهم من يقطع النص عن مصدره الإلهي، ثم يضعه في مرتبة دنيا من مراتب النصوص العلمية والأدبية والفنية، بل منهم من يقف أمام لوحة فنية أو أدبية ما لا يفعله مع آية أو سورة من القرآن، واضعاً تلك اللوحة في مرتبة عليا والسورة في مرتبة دنيا.

وبهذا المعنى فنحن أمام موقف يعيق التدبر النافع، ولكن الأمر يتطلب منا تحليل منهج أصحاب هذه القراءات لمعرفة حقيقة موقفهم من التدبر.

وموضوع القراءات الفكرية والفلسفية للنصوص الشرعية موضوع مهم، وتزداد أهميته في السنوات الأخيرة، وذلك بعد أن ظهرت منهجيات فكرية وفلسفية متخصصة في قراءة النص، ويجاول بعض من تشرّبها أن يطبقها على نصوص الوحي

دون مراعاة لاختلاف النصوص؛ فقد تكون بعض تلك المنهجيات صحيحة ومناسبة للتطبيق على نصوص أدبية أو لغوية أو تاريخية أو فلسفية أو دينية محرّفة ولكنها غير مناسبة للتطبيق على ما أوحى الله به إلى الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام.

وما من نصٍّ إلا وهو مكتوب لمن يقرؤه، والقراءة هي محاولة لفهم النص؛ فكيف تكون هذه القراءة؟ هنا تظهر المنهجيات المختلفة باختلاف قرائح العقول، ولكن نصوص الوحي تختلف عن غيرها من النصوص بأن منهج قراءتها لم يُترك للعقول دون إرشاد رباني وتوجيه نبوي، أخذ به علماء الإسلام ودوّنوه وتناقلوه جيلاً عن جيل، وهذا من دلائل حفظ الله لكتابه الكريم ودينه القويم، قال تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦]، قال ابن الجوزي: (والمعنى: على تُوْدَةٍ وترسُلٍ ليتدبروا معناه)<sup>(١)</sup>.

وفي كل زمن تظهر منهجيات جديدة نتيجة إعمال العقل والبحث والنظر، وهو أمر مهم في تطور الفكر البشري، وما كان صحيحاً منها فهو نافع في المجال الذي يناسبه، ويبقى الإشكال عند نقل هذه المنهجيات من مجالها الذي ارتبطت به إلى مجال الوحي، وبسبب عدم التفريق بين المجالين وقع الغلط الفكري المعاصر.

وقد ظهرت عبر تاريخ الفكر البشري مناهج شتى، وما تزال تظهر، ولكن عصرنا هذا قد يكون من أبرز العصور من حيث كثرة المنهجيات، ومن حيث سعة انتشارها، وخاصة مع اتساع دائرة العلم والمعرفة والبحث، من خلال آلاف الجامعات ومراكز الأبحاث ومدارس الأفكار، وهذه ظاهرة فريدة في تاريخ البشرية بمثل هذا الحجم والانتشار.

(١) زاد المسير في علم التفسير، أثناء تفسير الآية.



وقد نتج عن ذلك تطبيقات فوضوية - من قبل بعض المتأثرين بتلك المنهجيات - على نصوص الإسلام، ووقعت جراء ذلك تجاوزات كثيرة، وانحرافات خطيرة: في أبواب العقيدة والشريعة، وفي التصور والعمل. ويزداد الأمر سوءاً حين يكون طائفة من الذين طبقوا هذه المنهجيات ذوي خلفية علمانية صريحة تجعلهم يتعاملون مع نصوص الوحي وكأنها نصوص بشرية وفق خلفياتهم العلمانية، أو حين يكون هؤلاء ضعفاء في العلوم الإسلامية، فيقع منهم الغلط والانحراف بغير قصد، ولكن بسبب ضعف حصيلتهم من علوم الشريعة.

ولهذا الأمر أثره في تفسير الوحي وفهمه وتدبره؛ فإن قيام التدبر على وجهه الصحيح وما ينتج عن ذلك من ثمار مرتبط بتلك العدسة التي يضعها المتدبر على عينيه، فما أثر هذه القراءات على عدسة المتدبر؟

وقد نزل القرآن لجميع الخلق، ومن ثم فهم مطالبون جميعاً بتدبره، والناس في موقفهم من القرآن والإسلام ثلاثة أصناف، صنف آمن به، فهو مطالب بالتدبر الدائم، وصنف كفر به، وصنف أعلن الإسلام ظاهراً وكفر به في الباطن، وأيضاً هم مطالبون بالتدبر، فقد جاءت آيتان في سياق الحديث عن المنافقين في قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢]، وقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد: ٢٤]، وجاءت آيتان في سياق الحديث عن الكفار في قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَذَّبَرُوا الْقَوْلَ ﴾ [المؤمنون: ٦٨]، وقوله تعالى: ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [ص: ٢٩]، ولن يقوم هذا التدبر إلا بالتخلص من تلك العدسات المشوهة للقراءة، سواء كانت اعتقادية أو منهجية أو مسلكية.

وقد وجدت لها فرصة من خلال مؤتمر (تدبر القرآن الكريم.. أعلام ومناهج) الذي تنفذه (الهيئة العالمية لتدبر القرآن الكريم)، أن أشارك في محور: (مناهج التدبر.. قراءة وتقويم) بورقة عنوانها: (منهج مدرسة القراءة الجديدة للقرآن وعلاقته بالتدبر والفهم)، واجتهدت في عرضها في إطار فكري يوسع من دائرة النظر في منهجية هذه المدرسة، وفق مخطط يذهب للماضي من أجل فهم الواقع، وينظر للظاهرة في شمولية، وذلك وفق طرح أتمنى أن يكون مفيداً في بابه. مع العلم أنه قد سبق لي البحث في موقف الاتجاه الفلسفي المعاصر من النص الشرعي، وتاريخ القراءات الجديدة، وقد اتكأت على تلك الجهود لمعالجة إشكالية جديدة وهي إشكالية التدبر في القراءات الجديدة، والله الموفق.

### أهمية الموضوع:

- ١) كثرة الكتابات حول دعوى تطبيق المنهجيات الحديثة على نصوص الإسلام، وأنها أقدر على فهم نصوص الإسلام، كما أنها تمثل تياراً عريضاً بمدارس متنوعة داخل الفكر المقلد للغرب.
- ٢) خطورة ما تصنعه تلك المنهجيات من إشكاليات تعيق التدبر النافع.
- ٣) أهمية دراسة الموضوع من زاوية الأديان والفرق والمذاهب الفكرية، فهي أشهر دوائر الانتماء البشري، ولكل دائرة طريقتها في النظر للنصوص وفهمها وتدبرها، فالمقارنة بين هذه الدوائر تعطي تصوراً أفضل لحقيقة تطبيق هذه المنهجيات وآثارها.

وسيكون البحث بإذن الله وفق المحاور التالية:

المبحث الأول: حقيقة مفهوم القراءات المعاصرة للنص الشرعي (تأصيل منهجي مقارنة).

- المطلب الأول: دوائر الانتماء وأثرها في صياغة المنهجيات.
- الدائرة الأولى: دائرة الأديان ومنهجية التفسير.
- الدائرة الثانية: دائرة الفرق ومنهجية التأويل.
- الدائرة الثالثة: دائرة الأفكار ومنهجية القراءة.
- المطلب الثاني: أصول المنهجيات ومناهج القراءة والتدبر.
- المبحث الثاني: التاريخ الحديث لمفهوم القراءات المعاصرة للنص الشرعي.
- المرحلة الأولى: التفسير (الإصلاح).
- المرحلة الثانية: التأويل (التحديات الوافدة).
- المرحلة الثالثة: القراءة (دعاوى الحداثة).
- ١) المرجعية الاستشراقية (التاريخية واللغوية/ الفلولوجية).
- ٢) المرجعية الفلسفية (النقد والتأويل).
- ٣) المرجعية الاجتماعية (الأدوات والمفاهيم).
- المبحث الثالث: واقع القراءات المعاصرة ثم الخاتمة والمراجع والفهرس.

## المبحث الأول

### مفهوم القراءات المعاصرة للنص الشرعي (عرض منهجي مقارنة)<sup>(١)</sup>

المطلب الأول: دوائر الانتماء الثلاث وأثرها في بناء المنهجيات:

يُقصد بدوائر الانتماء هنا ما يعتقدُه الناس من معتقدات، وما يتصورونه من تصورات، ولذلك أثره في حياة صاحبها، في النظر أو العمل. وأهمها مما له علاقة بالموضوع ثلاث دوائر، وهي: دائرة الأديان، ودائرة الفرق، ودائرة الأفكار.

فمنطلقات الناس تكون مما يعتقدونه ويتصورونه، ومن ذلك: صورة تعاملهم مع النصوص المقدسة عندهم، عن حق أو عن باطل، ومن خلالها تتكون المواقف والمنهجيات، وما يتبعها من آثار على النحو الآتي:

العلاقة بالتدبر	المنهجية	الدائرة
الفهم	التفسير	دائرة الأديان
التحويل	التأويل	دائرة الفرق
اللعب <sup>(٢)</sup>	القراءة	دائرة الأفكار

### الدائرة الأولى: دائرة الأديان ومنهجية التفسير:

(١) مبدئياً: «القراءة المعاصرة» في هذا البحث يقصد بها: دعوى اكتشاف معاني الوحي بطريقة أفضل مما كان في الماضي من خلال منهجيات جديدة.

(٢) مفهوم اللعب هنا مأخوذ من أشهر المنهجيات المعاصرة، وهي التفكيك، مع إخراجها من ذاك الإطار الخاص إلى إطار عام يصلح لوضع القراءات التغريبية المعاصرة، ينظر حول نظرية اللعب: دليل الناقد الأدبي، البازعي وميجان، ص ١١٩، ص ٢٧٤.

لا يوجد دين دون كتاب، أو دون قول مقدس، وفي هذه الدائرة تكون الطريقة السائدة في فهم النص أو القول هي التفسير، والمقصود بالتفسير هنا: الكشف عن المعنى بواسطة اللغة والسياق الثقافي السائد، ومن هنا تظهر أهمية اللغة وتخصصاتها في تفسير النصوص وفهمها.

وفي دائرة التفسير يكون المعنى يسيراً، وغير غامض، ومقصوداً من ظاهر النص، ومعروفاً ضمن سياق تلك الثقافة التي ظهر فيها النص ولغته. ومن هنا كانت علوم التفسير معروفة في كل أمة، قال ابن خلدون: (وهذه العلوم النقلية كلها مختصة بالملة الإسلامية وأهلها، وإن كانت كل ملة على الجملة لا بد فيها من مثل ذلك، فهي مشاركة لها في الجنس البعيد من حيث إنها علوم الشريعة المنزلة من عند الله تعالى على صاحب الشريعة المبلغ لها. وأما على الخصوص فمباينة لجميع الملل لأنها ناسخة لها. وكل ما قبلها من علوم الملل فمهجورة، والنظر فيها محظور)<sup>(١)</sup>.

ولا يعني ذلك سهولة كل مستويات التفسير لكل أحد، فقد ذكر ابن عباس رضي الله عنهما هذه المستويات فقال: (التفسير على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله تعالى ذكره)<sup>(٢)</sup>، فالتفسير الذي يعلمه العلماء مبني على مناهج وعلوم ليست متأتية إلا لأهل العلم، ويمكن النظر فيها ضمن كتب علوم القرآن.

التفسير في اللغة هو الإيضاح والتبيين، ففي معجم مقاييس اللغة لابن فارس: («فسر» الفاء والسين والراء كلمة واحدة تدلُّ على بيان شيء وإيضاحه)<sup>(٣)</sup>.

(١) المقدمة لابن خلدون، ٣/١٠٢٧.

(٢) تفسير الطبري، ١/٧٥.

(٣) معجم مقاييس اللغة لابن فارس، ٤/٥٠٤.

وعند أهل الاصطلاح يعرف (بأنه بيان كلام الله، أو أنه المبين لألفاظ القرآن ومفهوماتها)<sup>(١)</sup>.

ويغلب على أهل هذه الدائرة القبول بنصوص الوحي، ومن ثم فهم مستعدون للتدبر، ويطلبون التفسير لمعرفة المعنى الذي يتحقق به التدبر، من أجل ذلك كانت علاقة التفسير بالتدبر هي علاقة الفهم.

### الدائرة الثانية: دائرة الفرق ومنهجية التأويل:

لا يوجد دين دون افتراق، حتى الأديان الضالة الجديدة ظهر فيها الانقسام بعد هلاك مؤسسيها، وفي هذه الدائرة تكون الطريقة السائدة في التعامل مع النص المرتبط بالأصل الذي سبب افتراق الفرقة هي التأويل، والتأويل هنا يأتي بمعناه السائد في الثقافات البشرية المختلفة، القائم على اعتقاد وجود معنى غير ظاهر في النص، ومهمة المؤول هو اكتشاف هذا المعنى الخفي أو غير الظاهر، أما معناه عند سلفنا الصالح فهو بمعنيين: الأول: التفسير، والثاني: الحقيقة التي يؤول إليها الكلام<sup>(٢)</sup>.

وهنا لا تكفي المعرفة اللغوية والسياق الثقافي، بل لا بد من طرائق إضافية، ومما اشتهر -عند الفرق- من تلك الطرائق: العقل أو الكشف والشخصيات الوسيطة.

ومن المفاهيم المهمة في هذه الدائرة والتي تؤثر في عملية التأويل مفهوم (المتشابه) وعلاقته بالنصوص<sup>(٣)</sup>. وفي تاريخ الفكر البشري ارتبط التأويل بالمتشابه، وكذا الحال

(١) التفسير والمفسرون، د. محمد حسين الذهبي، ٥/١، وينظر البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ١٤٨/٢، الإتيان في علوم القرآن، السيوطي، ٣٨١/٢، وعند الزرقاني: (علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالاته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية)، مناهل العرفان: ٣/٢.

(٢) فتاوى ابن تيمية، ٥٥/٣.

(٣) ينظر التدمرية لابن تيمية، ص ١٠٧ وما بعدها.

في عصور المسلمين الأخيرة، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالزَّاسِحُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧].

ومن هنا جاءت عناية العلماء بالتأويل وبيان علاقته بالمتشابه، بداية بتفسير العلماء لآية آل عمران ثم بالكتب المصنفة في العقيدة وعلوم القرآن وغيرها، حيث خصصت مباحث لهذه القضية، مع العلم أن لفظة التأويل الواردة في الآية لم تكن بالمعنى المعروف في الأديان والثقافات القديمة والحديثة، وليس هنا مجال الحديث عنها<sup>(١)</sup>.

إذاً، التأويل في دائرة الفرق يرتبط بالمتشابه، ومن هنا حظي موضوع المتشابهات بعناية بالغة في الدراسات العقديّة، قال الزرقاني: (التأويل عند المتكلمين ما ذهب إليه الخلف من صرف نصوص ما تشابه من الكتاب والسنة عن ظاهره إلى معان تتفق وتنزيه الله - تعالى - عن المشابهة والمماثلة، بخلاف ما ذهب إليه السلف من التفويض والإمساك عن تعيين معنى خاص)<sup>(٢)</sup>.

(١) ينظر: الإكليل في التشابه والتأويل لابن تيمية، منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد لعثمان علي حسن، ١/ ٤٧١، جنایة التأويل الفاسد للدكتور محمد أحمد لوح، ص ١٤٢ وما بعدها.  
(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني، ١/ ٤٧٣، والصحيح أن السلف يفوضون الكنه والكيفية ولا يفوضون حقيقة المعنى، وينظر أيضاً: مقدمة ابن خلدون، الفصل السادس عشر: في كشف الغطاء عن المتشابه من الكتاب والسنة، ص ٣/ ١٠٨٤، وحول المتشابه وعلاقته بالتأويل عند أهل الكلام بخاصة ينظر بحثاً موسعاً في: موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة... د. سليمان الغصن، ص ٣٦٥ وما بعدها، وص ٤٨١ وما بعدها.

والتأويل في دائرة الفرق قد عُرف بمدخل مختلفة، مثل: اتساع النص، والمجاز، والظاهر، والمجمل، والمتشابه، وغيرها من المفاهيم التي تُتخذ مدخل للتأويل.

ومع أن التأويل قد ارتبط بالفرق الإسلامية ومواقفها العقدية إلا أنه أيضاً مشهور في المباحث الأصولية، ولكن التأمل في التأويل في الحقلين: العقدي والأصولي يجد فرقاً بينهما. فالتأويل في الجانب العقدي له بُعد إشكالي، وبسبب ذلك كان التأويل غالباً موضع ذم، وقد ظهرت كتب لعلماء حول ذم التأويل<sup>(١)</sup>، بخلاف معناه في الجانب الأصولي الذي قد يقبل في جوانب، فمن المهم هنا إعادة النظر في التفريق بين التأويل عند الأصوليين والفقهاء المرتبط غالباً بمباحث عملية تقتضي حل الإشكال في بعض النصوص التي تحتاج للجمع<sup>(٢)</sup>، وتأويل الفرق المرتبط غالباً بالمتشابه من النصوص في باب العقائد.

### الفرق بين التفسير والتأويل:

في الفرق بين التفسير والتأويل أقوال، وفي ذلك مباحث، ذكر «الذهبي» المعاصر سبعة أقوال وختمها بالسابع بما يمكن أن يكون عمدة التفريق هنا، حيث قال: (التفسير هو بيان المعاني التي تُستفاد من وضع العبارة، والتأويل هو بيان المعاني التي تُستفاد بطريق الإشارة. فالنسبة بينهما التباين، وهذا هو المشهور عند المتأخرين)<sup>(٣)</sup>.

(١) هناك كتب صريحة للعلماء، مثل: إبطال التأويلات لأبي يعلى الفراء، ذم التأويل لابن قدامة المقدسي، ولابن القيم رحمه الله كلام مطول عن التأويل في كتابه: الصواعق المرسله، المجلد الأول والمجلد الثاني، وغيرها.

(٢) ينظر منهج الاستدلال...، عثمان حسن، ٥٤٥/٢.

(٣) التفسير والمفسرون، ١/١٧، وينظر البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ١٤٩/٢، الإتيان في علوم القرآن، السيوطي، ٢/٤٦٠، كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، ١/٤٩٣ وما بعدها.



إذاً، في التفسير قراءة للنص كما هو، دون أن نُحمّله ما نريد، بل ما يريد هو، بخلاف التأويل ففيه تحميل للنص بما يريد المؤول، وقد يقع الغلو عند المتأول كما هو الحال في الفرق الباطنية في جميع الديانات، فيأتي بالأعاجيب، فهذه التأويلات لا علاقة لها بالنص وإنما هي أهواء المؤول صريحة وواضحة.

ودرجة قبول نصوص الوحي هنا تختلف عن مستوى التفسير، فهم يشتركون مع مستوى التفسير في غير المتشابه، ثم يقع الاختلاف في النصوص المتشابهة، فبدل الرد إلى المحكم من النصوص يقع الرد إلى الأصول التي يعتقدونها المؤول، وبدل الرد يقومون بالتحويل لمعنى غير ظاهر يتفق مع أصله الاعتقادي.

يتجه التدبر هنا إلى اتجاهين: اتجاه مشترك مع مستوى التفسير، واتجاه يتم فيه تدبر النصوص المتشابهة وفق الأصل الاعتقادي للمتدبر، من أجل ذلك كانت العلاقة هنا علاقة تحويل.

### الدائرة الثالثة: دائرة الأفكار ومنهجية القراءة:

لا توجد حضارة دون أفكار، حسنها حسن وقبيحها قبيح، والمشكل منها ما كان معارضاً للحق وللوحي. وطريقة نظر صاحب هذه الدائرة للنص هي القراءة القائمة على إيجاد دور للقارئ ذاته بما يملك من منهجيات وأدوات للقراءة.

عندما يتوجه العقل إلى موضوع ما، ويفكر فيه، وينتج شيئاً متماسكاً حول هذا الموضوع، يسمى فكراً، وقد ينجح العقل في وضع خطوات توصل لأفكار ونتائج حول هذا الموضوع أو ذاك، هنا يكون لدينا مناهج ولدينا أفكار نابعة من هذه المناهج، فإذا كان هذا الإنتاج غير متصل بكتاب ديني فيقال عنها عقليات، أو العقل مقابل

النقل فيما تُرك له، ولكن توجد موضوعات يقع فيها الاشتراك، وهي سبب الإشكال، قال ابن خلدون: (وأما العلوم العقلية التي هي طبيعية للإنسان، من حيث إنه ذو فكر فهي غير مختصة بملة، بل يوجد النظر فيها لأهل الملل كلهم ويستوون في مداركها ومباحثها. وهي موجودة في النوع الإنساني، منذ كان عمران الخليفة. وتسمى هذه العلوم علوم الفلسفة والحكمة)<sup>(١)</sup>.

كانت بداية مفهوم القراءة من مجال اللغويات الحديثة والنقد الأدبي ثم خرجت إلى ميدان الفكر، وقد كانت هناك نظريات تحاول استيعاب جميع مكونات العملية القرائية، وبحسب هذه النظريات فهناك مرسل ومستقبل ورسالة (نص) ومعنى وفضاء تنتقل فيه الرسالة<sup>(٢)</sup>، ومفهوم القراءة يُركّز على القارئ ويُهمل مكونات العملية القرائية الأخرى.

يمكن القول إذًا أن مفهوم القراءة في الفضاء الفكري المعاصر يُركّز بصورة أكبر على القارئ، بخلاف القراءات القديمة التي تركز على النص والمعنى الذي يسكن بداخله، يقول «سيشيل أوتان»: (لا يزال من السائد عند كثير من معاصرينا أن المعنى يسكن النص وكأنه مادة غامضة، وأنه عمق ذلك الكيان العجيب الذي يُسمّى شكلاً والذي يقوم فعل القراءة بإزالة الحجاب عنه وكشفه)<sup>(٣)</sup>، فهذه المنهجية تركز على

(١) مقدمة ابن خلدون، ٣/١١١٩.

(٢) هذه النظرية لرومان ياكسون مع اختلاف المترجمين لضبط الاسم (JACKOBSON)، انظر مثلاً: دليل الناقد الأدبي، ص ٧٣، التواصل اللساني والشعرية .. مقارنة تحليلية لنظرية لرومان جاكسون، الطاهر حسين، ص ٢٤، وقد أقامت كلية الآداب بجامعة تونس ندوة أخرجتها في مجلد كبير عن: صناعة المعنى وتأويل النص.. من ٢٤-٢٧ / ١٩٩١م، ويحوي موضوعات مقدمة تغطي كثيراً من جوانب مفهوم القراءة.

(٣) بحوث في القراءة والتلقي، ص ٧٤.

مكون من مكونات العملية الاتصالية وهو النص والمعنى الذي فيه، لكن القراءة الجديدة تركز على مكون آخر وهو القارئ، يقول نفس الكاتب: (يلاحظ تزيفيتان تودوروف ... أن القارئ هو أكبر المنسيين في نظريات الأدب الكلاسيكية كلها «إن فعل القراءة أمر مفرط في البديهية حتى يبدو في الوهلة الأولى أنه لا يمكن أن نقول فيه شيئاً»... مع ذلك، فقد دشت ومنذ بعض السنين، مجموعة من الأبحاث في اللسانيات والسيميوطيقيا ونظرية الأدب بحثاً منهجياً انصب على مظاهر فعل القراءة كلها من عمليات القراءة إلى مشكلات التأويل والتلقي)<sup>(١)</sup>.

ولأصحاب القراءات المعاصرة رؤية للنص تختلف جذرياً عن الرؤى المعروفة، (فلم يعد المعنى -أي معنى النص- يتأسس بوصفه مقصد المؤلف الذي كتب كما كانت ترى المدرسة الرومنطكية. لكن المعنى أصبح عند ريكور عالماً أستطيع أن أقترحه على نفسي أو هو بالأحرى وجود جديد يتجلى)<sup>(٢)</sup>.

كما أنه يمكن أخذ صورة كاشفة لحقيقتها من خلال عرض أفكار أصحاب (نظرية التلقي)<sup>(٣)</sup> كونها النظرية الأخيرة في هذا المجال وفيها تجتمع المعاني السابقة لها، ومما يذكره أحد المختصين -في هذا المجال- عنهم: (تأكيد أهمية القراءة باعتبارها عملية بناء المعنى وليس اكتشافه)<sup>(٤)</sup>، وأن المعاني لا يتم استخلاصها ولكنها تصنع،

(١) المرجع السابق، ص ٧١.

(٢) دوائر الهرميوطيقا عن بول ريكور، من هامش ص ١٨.

(٣) ينظر للتعريف بها: النص من القراءة إلى التنظير، د. محمد مفتاح، ص ٤٥، دليل الناقد الأدبي، د.

الرويلي، د. البازعي، ص ٢٨٢.

(٤) الخروج من التيه، د. عبدالعزيز حمودة، ص ١١٣، والكاتب له دور بارز في فحص هذه المنهجيات

ونقدها، ويفرق د. محمد سالم بين مصطلحين: (نظرية الاستقبال)، و(نظرية التلقي)، فالأولى اشتهرت

مع النقد الأنجلو-أمريكي، والثانية منبثقة من الظاهراتية والتأويلية في ألمانيا، الأسس الفلسفية... له،

ص ١١٣.

وأن السلطة قد انتقلت من القائل والكاتب والنص إلى القارئ، أصبح القارئ هو الذي يصنع النص ومعناه<sup>(١)</sup>. هناك حرية متاحة للقارئ في تشكيل معنى النص<sup>(٢)</sup>، فلا النص يستطيع تثبيت معنى، ولا القارئ يستطيع تحديد معنى، فكل قارئ يقدم تفسيره الخاص، وهو تفسير محكوم بسياقه الثقافي، والقارئ الآخر يقدم تفسيره المتسق مع سياقه الثقافي، فلا بد من فتح الباب لتعددية القراءة، وأن يقبل كل قارئ قراءة غيره، وعليه فقد (آن الأوان لكي يتخلى القارئ عن دوره التقليدي في تقديم معنى للنص)، وأيضاً، فلا بد مع النص من هجر (قيد الدلالة التقليدية وفتحه أمام تعددية الدلالة)<sup>(٣)</sup>.

هل القائل يريد شيئاً من قوله؟ هل يقصد شيئاً بحيث نبحث عنه؟ أغلب أعضاء نادي التلقي يتفقون (على أنه في اللحظة التي تنتقل فيها سلطة حدوث الدلالة أو المعنى إلى القارئ تخرج قصدية المؤلف من النافذة. سواء كنا نعني بذلك ما أراد المؤلف قوله للمتلقي الأول للنص داخل سياقه الأصلي الأول، أو ما يعنيه النص ذاته)<sup>(٤)</sup>.

وقد انسقت طائفة من المفكرين العرب مع هذا البعد الذي يُركّز على فعل القراءة، بحيث يكون النص قابلاً لتعدد المعنى، وموضِعاً للتجريب مع المستجدات المنهجية، ومن أصول هذه المنهجية أن النص لم يكن له أن يعمل لولا القارئ ذاته، وإذا كان الأمر كذلك فمن الغلط حسب زعمهم أن يكون النص هو أهم مكونات العملية الاتصالية!!!

(١) المرجع السابق (الخروج من التيه)، ص ١١٦.

(٢) ينظر الأسس الفلسفية... د. محمد سالم، ص ١١٧.

(٣) المرجع السابق، ص ١٢٨.

(٤) المرجع السابق، ص ١٣٤، وينظر العلمانيون والقرآن الكريم، د. أحمد الطعان، ص ٤٣١-٤٣٢.

وعليه فإن المقدم هو القارئ وقراءاته لا النص ومعناه، ويكون النص موضع التجارب وموطن اكتشاف الذات وتطبيق الأدوات. أيضاً فإن قائل النص أو كاتبه كان أثناء قوله للنص أو كتابته له معنياً بالقارئ، إنه كتب وهو يعلم بحال المخاطب وبما في ذهنه، إذًا، القارئ يُعدّ مشاركاً للكاتب بصورة غير مباشرة، ومن هنا جاءت فكرة إعادة الاعتبار للقارئ<sup>(١)</sup>.

قد يشعر أصحاب القراءة بحرية أوسع، فهم مع هذا البعد المنهجي المائع والمطاطي يمكنهم قبول التفسير متى ما توافق مع المعنى الذي يقدمونه، ويقبلون تأويل الفرق متى ما دخلوا ميادين المعتقدات وتوافقت تأويلات الفرق مع قراءاتهم، ويتحركون بمنهجيات جديدة إن أرادوا القراءة المفتوحة التي تقدم القارئ على المقروء.

وبما أن «التدبر» مطلوب من كل إنسان، فلنا أن نتخيل طبيعة التدبر مع هذه المنهجية، وقد يكون أفضل ما يعبر به عنها هو «اللعب»، وهو مأخوذ من آخر المنهجيات شهرة وهي منهجية التفكيك<sup>(٢)</sup>، إن القارئ هنا يذهب للقرآن ليس لمعرفة معناه الحاوي في نصوصه، وليس للدفاع عن معتقد وتأويل الآيات بما يميل إليه المؤول، وإنما ليلعب مع هذه النصوص، كما يفعل الفنان مع عجينة، يشكلها وفق قوالب متنوعة ثم يكسرها ويصنع غيرها، فهو يفكر في تغيير العجينة من شكل لآخر، ومن ثم كانت العلاقة هنا علاقة لعب. وتتكى القراءة وما نتج عنها من اللعب على مصادر تساعدها في اللعب، ستكون موضوع مبحث لاحق.

(١) يوجد بحث على «شبكة التفسير» حول هذا المعنى بعنوان: (مفهوم القراءة عند الحدائين وعلاقته بالتفسير) للدكتورة فاطمة الزهراء الناصري، على هذا الرابط:

<http://www.tafsir.net/vb/tafsir26544>

(٢) ينظر حول هذا المفهوم في علاقته بالقرآن، مقالة د. أحمد الطعان على الشبكة: القرآن الكريم والتأويلية العلمانية: النص واللعب الحر.

والخلاصة أن هناك ثلاثة مواقف عند قراءة النص في العلاقة بالفهم والتدبر: موقف أهل التفسير وعلاقة التدبر هي البحث عن المعنى، وموقف أهل التأويل وعلاقة التدبر هي في تحويل المعنى الظاهر، وموقف أهل القراءة، وعلاقة التدبر هي باللعب بالمعنى الظاهر، واتضح علاقة هذه المواقف الثلاثة بدوائر الانتماء الثلاثة المشهورة: الدين، الفرقة، المذهب الفكري والفلسفي.

## المطلب الثاني: أصول المنهجيات ومناهج القراءة والتدبر:

التعامل مع النص يحتاج لمنهجية، ويمكن إعادة أغلب المنهجيات في التعامل مع الوحي أو النصوص المقدسة لثلاثة أصول، ومنها تتفرع مناهج تفصيلية.

**والأصول الثلاثة هي:** العقل والكشف والوسيط البشري<sup>(١)</sup>، وهذه الأصول مؤثرة في حقيقة التدبر، فطائفة ترى أن العقل هو المسئول الوحيد عن تكوين منهجيات القراءة والنظر، وطائفة أخرى ظهر لها زلات العقل ومحدودية قدراته فقالت بمصدر باطني خفي هو الكشف والحدس الوجداني، وطائفة ثالثة وجدت مشكلات نابعة من الأصولين السابقين، ورأت أن سبيل الطمأنينة في هذا الباب لا يكون إلا بوسيط موثوق به وإمكانياته، قد يكون عند طوائف: ابن الله، كما هو عند الهندوس أو عند البوذيين أو عند النصارى، أو شخص معصوم مطلع على الغيب كما هو عند غلاة الفرق المقدسة لرموزها في كل دين، ومنهم في الإسلام: مقدسو الأئمة ومقدسو الأولياء.

ولو رجعنا لتراثنا الإسلامي فسنجد هذه المنهجيات، وهي أيضاً موجودة في الأمم الأخرى، فالإتجاه العقلي يَكُون -في ضوء تصورهِ- منهجياته الخاصة بتفسير النص، كما هو بارز عند المعتزلة والفلاسفة وغيرهم، والاتجاه الكشفي يَكُون -في ضوء تصورهِ-

---

(١) قال ابن القيم: (إن المعارضين للوحي بأرائهم خمس طوائف: طائفة عارضته عقولهم في الخبريات وقدمت عليه العقل فقالوا لأصحاب الوحي لنا العقل ولكم النقل. وطائفة عارضته بأرائهم وقياساتهم فقالوا لأهل الحديث لكم الحديث ولنا الرأي والقياس. وطائفة عارضته بحقائقهم وأذواقهم وقالوا لكم الشريعة ولنا الحقيقة. وطائفة عارضته بسياساتهم وتديروهم فقالوا أنتم أصحاب الشريعة ونحن أصحاب السياسة. وطائفة عارضته بالتأويل الباطن فقالوا أنتم أصحاب الظاهر ونحن أصحاب الباطن)، الصواعق المرسله، ٣/١٠٥١، مدارج السالكين، ٢/٦٩، و٢/٣٣٤، ويعيد ابن تيمية المعارضات لثلاثة أصول: العقل والذوق والسياسة، ينظر مثلاً: الدرء، ٣/٣٦.

منهجياته الخاصة بتفسير النص، كما هو مشهور عند أصحاب الطرق الصوفية، أما أصحاب الوسيط فهم غالباً ما يجمعون بين الطريقتين؛ لأنهم في حاجة لتدوين ما أخذوه عن الوسيط وترتيبه وهذا يستدعي الطرائق العقلية، ومن جهة أخرى تمثل صلتهم بالوسيط عبر الأزمان دافعاً للبحث عن طرائق غير عقلية وإنما وجدانية خفية. وهذه المنهجيات الثلاث موجودة في الفرق بوضوح، وهي الدائرة الثانية للانتماء، فالفرق إما مُعظمة للعقل أو مُعظمة للكشف أو مقدسة للأشخاص.

ويغلب على أصحاب القراءات المعاصرة تبعيتهم المنهجية للفكر الغربي، ويغلب على الاتجاهات الفكرية الغربية طابع العقلانية الحسية، وهذا الأمر برز جلياً في منهجيات أصحاب القراءات المعاصرة.

ومن جهة مناهج القراءة فإن الإسلام يقوم على كتاب، هو القرآن الفرقان البرهان الذكر العظيم النور المهيمن الحقُّ النبأ البلاغ الكريم الشفاء البيان المبارك الميسر، وقد أوتي النبي ﷺ الكتاب ومثله كما في الحديث، فعن المقدم بن معد يكرب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث عني، هو متكئ على أريكته، فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه حلالاً استحللناه، وما وجدنا فيه حراماً حرمناه، وإن ما حرم رسول الله كما حرم الله)، هذه رواية الترمذي، وفي رواية أبي داود: قال: قال رسول الله ﷺ: (ألا إني أوتيت هذا الكتاب، ومثله، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته، يقول: عليكم بهذا القرآن، فيما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه...)<sup>(١)</sup>.

(١) سنن الترمذي (٢٦٦٤)، وسنن أبو داود (٤٦٠٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم: (٢٦٤٣)، وحول أساء القرآن ينظر فتاوى ابن تيمية، ١/١٤.



وقد تأسست منهجيات ضخمة داخل الأمة الإسلامية من أجل حفظ النص، وأخرى من أجل الكشف عن معناه واستنباط أحكامه، وقد تميّزت هذه المنهجيات بخصائص تجعلها الأقدر على الوفاء بمتطلبات النص ويتحقق بها حفظ الدين، وقد كانت المناهج التراثية في التفسير تحول دوماً دون إقامة تأويل مذهبي علماني يستغرق كامل النص<sup>(١)</sup>. وليس هذا الموضع مكان ذكر تلك الخصائص. وقد بقيت سائدة كل القرون الماضية، إلى أن أطلّ العصر الحديث، ووقع التأثير بمنهجيات الفكر الغربي الحديث، المتسم بخصائص علمانية وحسية مادية تُعقّد إمكانية التفاعل الإسلامي معها ما لم يتم تطهيرها من تلك المكونات الخطيرة.

وأخطر صور التأثير ماثلة في أصحاب المنزع القطائعي القائم على دعوى انتهاء صلاحية المنهجيات الإسلامية في التعامل مع النص، وتكلسها، وتحولها مع الزمن إلى منهجيات تشويه للنص، ومن ثمّ أهمية إحداث قطيعة معها، وتبني منهجيات حديثة إبداعية قادرة على تفجير طاقات النص، هكذا يزعمون.

يظهر من خلال هذا المبحث صعوبة الوصول للمعنى، أو لقسم من المعاني، وذلك أن النصوص مستويات، وقد سبق أثر ابن عباس رضي الله عنه في تحديد المستويات الأربعة، ومن ثمّ فهناك مستويات في التدبر، فما يتحقق للعالم يختلف عما يتحقق للعالمي، ومن عنده منهجية جيدة ينتفع أكثر ممن ليست عنده، كما أن امر التدبر يتأثر بصدق المتدبر من جهة وبحسن اختياره للمنهجية المعينة في الفهم والتدبر.

كما ان التدبر يتأثر بالأصل الذي يعتقده المتدبر، فمن جعل الأصل هو العقل، فهو يضع منهجيته العقلية القديمة أو الحديثة كوسيط للتدبر، وقد تكون نافعة

(١) القراءات المعاصرة... د. محمد كالمو، ص ٨٦.

للتدبر وقد تكون معيقة له؛ ومن جعل الأصل هو القلب والكشف، فهو يترك الأمر لوجدانه وعاطفته، وهو أكثر انفلاتاً من صاحب العقل، حتى تقع في اللامعقول من المعاني وما يعبر عنه بالشطحات؛ ومن جعل الأصل هو الوسيط، فأمره أدهى وأمر.

## المبحث الثاني

### التاريخ الحديث لمفهوم القراءات المعاصرة للنص الشرعي

لكي نفهم عصرنا لا بد من العودة للجذور، ونحن أمة مسلمة أنعم الله علينا بنعمة الإسلام، وبنبينا محمد ﷺ، وبالوحي المحفوظ: كلام الله تعالى وكلام نبيه ﷺ.

وقد كان الصحابة من أشدّ الناس عناية بأمر هذا الدين العظيم، وكانت المهمة الكبيرة التي قاموا بها صدر الإسلام هي إخراج القرآن الكريم مكتوباً في مصحفٍ واحد.

وأصبحت الأجيال تعرفه من طريقين عظيمين: أخذه من حفاظه وبالتواتر جيلاً عن جيل، الكبار والصغار، وأخذه من المصحف.

ولكن كيف نفهمه؟ هنا جاء دور العلماء ورثة الأنبياء، يبينون المعنى ويستخرجون الأحكام ويظهرون رسالته، وحتى يستقيم الأمر مع الأجيال المتعاقبة فقد وضع العلماء مناهج دقيقة ومعيارية في فهم نصوص الوحي واستنباط أحكامه، وسار المسلمون على ذلك. وقد خالفهم أصحاب الفرق، فقد كان للأهواء أثرها في إحداث معان غير المعاني التي قررها علماء القرون المفضلة في صدر الإسلام، واستنباط أحكام مخالفة للأحكام المستنبطة وفق القواعد المعتبرة. كما أن دخول منهجيات جديدة على البيئة الإسلامية بعد ترجمة ثقافات الأمم الأخرى: الفارسية والهندية واليونانية قد كان له أثره من جهة توظيفها في التعامل مع نصوص الوحي من قبل بعض المسلمين.

ثمّ جاء العصر الحديث الذي ورث الماضي مع ما استجد من أمور، وقد مرّ بمراحل في تعامله مع نصوص الوحي، أهمها ثلاث:

«الأولى» شهرة مرحلة الدعوة الإصلاحية التي قادها الاتجاه السلفي، وترجع جذورها للقرن الثامن الهجري، و «الثانية» هي التي عُرفت مع نظريات (العلم الحديث) وبخاصة نظرية التطور وما ارتبط بها من فكر مادي، و«الثالثة» هي التي ارتبطت بالفكر الحديث ومدارسه التي دخلت إلى البيئة الإسلامية المعاصرة من خلال الجامعة العصرية.

فمن يرجع لتاريخ الفكر الحديث في العالم الإسلامي يجد هذه المراحل الثلاث، مرحلة ترتبط بالتفسير وهي أقدمها وأعمقها في تاريخنا الإسلامي الحديث، والثانية ترتبط بالتأويل، وهي مرحلة وسيطة، والثالثة ترتبط بالقراءة وهي مرحلة معاصرة، ولا يعني ذلك اختفاء السابق بظهور اللاحق، فهي جميعاً موجودة في زمننا المعاصر، وقد كان للتدبر معها طابعه الخاص، ومن ثم فنحن ننظر في تاريخ المناهج مع النص ومعها تاريخ التدبر ومسيرته الحديثة.

وحتى نُفهم القراءات المعاصرة تاريخياً ومنهجياً فسيكون بحثها عن طريق المقارنة مع مفهومين آخرين، وهما التفسير والتأويل، فهذه المقارنة تكشف حقيقة القراءة وتصبح واضحة بخلاف عرضها لوحدها، فقد يقع الالتباس أو التصور الناقص.

وتبقى وجهات النظر مختلفة عن التحديد المناسب لبداية عصرنا الحديث، ولكن الكتابات المعتمدة تربط التحولات بما أنتجه شيخ الإسلام ابن تيمية وبما كان له من آثار في الاتجاه السلفي المعاصر<sup>(١)</sup>، وقد ارتبط بهم منهج التفسير النقي من التأويلات والقراءات الذاتية، ثم نشطت عمليات التأويل زمن الاحتكاك بالثقافة

(١) ينظر مثلاً: الاتجاهات الفكرية عند العرب، علي المحافظة، ص ٣٩، أسس التقدم عند مفكري الإسلام، د. فهمي جدعان، ص ١٩٥، حوار المشرق والمغرب، حسن حنفي ومحمد الجابري، ص ٩٥ من كلام الجابري.

الغربية في القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي، ثم منهجيات القراءة مع ظهور المدارس الفكرية وميلاد الجامعة العصرية، وما فُتح فيها من أقسام للفلسفة والدراسات الإنسانية والاجتماعية.

### المرحلة الأولى: التفسير (الإصلاح):

يبقى التفسير هو روح المنهجية الإسلامية الأصيلة في تعاملها مع النص، وقد يضعف في زمن ثم يقوى في آخر، ويمكن القول إن روحاً جديدة انبثت في الأمة الإسلامية ما بين القرنين: السابع والتاسع، وما يزال أثرها قوياً حتى الساعة، وهذه الروح تقوم على أهمية العودة للنص كما هو، ولهذا نجد كتبهم التأصيلية تبدأ بقال الله وقال رسوله، وتُفسر الآية ويشرح الحديث بدون غموض، إنها دعوة للصفاء والنقاء؛ ولهذا كانت قراءتهم هي قراءة للنص في ضوء عناصره الأصلية، مع مواجهة البدع ومناهجها وتأويلات أهلها، ومواجهة القراءات التي أبعدت النص عن معناه تحت دعاوى مختلفة.

نجد بدايتها مع محدث مشهور ونهايتها مع محدث آخر، وارتبطا -رحمهما الله- بأعظم كتب السنة: صحيح البخاري وصحيح مسلم، الأول النووي (٦٧٦هـ)<sup>(١)</sup> والشارح المشهور لصحيح مسلم، وانتهاءً بابن حجر (٨٥٢هـ)<sup>(٢)</sup> صاحب الفتح في شرح صحيح البخاري. مروراً بعصر شيخ الإسلام ابن تيمية، ذاك البحر المتلاطم

(١) يحيى بن شرف الحوراني النووي الشافعي، أبو زكريا، محيي الدين (٦٣١-٦٧٦) علامة بالفقه والحديث. مولده ووفاته في نوا من قرى حوران بسورية واليهما نسبته. الأعلام للزركلي، ١٤٩/٨.

(٢) ابن حجر العسقلاني (٧٧٣-٨٥٢) أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، ابن حجر: من أئمة العلم والتاريخ. ومولده ووفاته بالقاهرة... أصبح حافظ الإسلام في عصره، الأعلام للزركلي، ١/١٧٨.

(١١) مع طلابه العلماء المشاهير، مثل: ابن القيم والذهبي والمزي وابن كثير وابن عبد الهادي والبخاري وغيرهم، ثم الشاطبي (٧٩٠هـ)<sup>(٢)</sup>، وابن خلدون (٨٠٨هـ)<sup>(٣)</sup>، وابن الوزير (٨٤٠هـ)، لقد كانت فترة ذهبية بكل معنى الكلمة، وجوهر جهد هؤلاء العلماء ينصب في أهمية التوقف مع المعنى دون تأويلات غامضة أو قراءات ذاتية، يفهمون النص في سياقه وبالاعتماد على المنهجية اللغوية وعلى تفسيرات السلف الأالصق بالسياق واللغة.

وقد ظهر أثر أعلام تلك المرحلة -السابقة- في أعلام القرن الثاني عشر وما بعده في مجموعة من أعلام الاتجاه السلفي الكبار، مثل: محمد بن عبد الوهاب (١٢٠٦هـ) في نجد، والصنعاني (١١٨٢هـ) والشوكاني (١٢٥٠هـ) في اليمن، والقاسمي (١٣٣٣هـ) في الشام، ومحمود الألوسي (١٣٤٢هـ) في العراق، وهكذا امتداد هذه المدرسة السلفية في القرن الرابع عشر<sup>(٤)</sup>.

(١) ابن تيمية (٦٦١-٧٢٨) أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني الدمشقي الحنبلي، أبو العباس، تقي الدين ابن تيمية: الامام، شيخ الإسلام. ولد في حران وتحول به أبوه إلى دمشق فنبغ واشتهر. مات معتقلاً بقلعة دمشق، فخرجت دمشق كلها في جنازته. كان كثير البحث في فنون الحكمة، داعية إصلاح في الدين. آية في التفسير والأصول... الأعلام للزركلي، ١/١٤٤.

(٢) الشاطبي، ٧٩٠هـ إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي: أصولي حافظ. كان من أئمة المالكية. الأعلام للزركلي، ١/٧٥.

(٣) ابن خلدون، (٧٣٢-٨٠٨)، عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الاشبيلي، من ولد وائل بن حجر: الفيلسوف المؤرخ، العالم الاجتماعي البحاثة. أصله من إشبيلية، ومولده ومنشأه بتونس. وتوفي فجأة في القاهرة. اشتهر بكتابه (العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر) في سبعة مجلدات، أولها (المقدمة) وهي تعدّ من أصول علم الاجتماع. الأعلام للزركلي، ٣/٣٣٠.

(٤) محمد ابن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (١٢٠٦هـ)، زعيم النهضة الدينية الإصلاحية الحديثة، نهج منهج السلف الصالح، داعياً إلى التوحيد الخالص ونبذ البدع وتحطيم ما علق بالإسلام من أوهام، ومن أشهر كتبه: (كتاب التوحيد). ينظر الأعلام للزركلي، ٦/٢٥٧. والصنعاني هو: =

ومما يميزهم: اهتمامهم بمعنى النص دون تأويل، ومن هنا كان مجالهم مجالاً علمياً، ومناهجهم هي مناهج العلماء، وقد ناهضوا الفرق ومناهجها التأويلية. واهتموا بالتفسير وبوضوح النص ونبذ التقليد والتعصب والأهواء والتأويل.

وقد أصبح لهم شهرة كبيرة، ولهم تيار عريض في الأمة، وتيار مؤثر بقوة من خلال حملهم دعوات الإصلاح والتجديد، وحتى اليوم فموضوعهم في الفكر الإسلامي المعاصر له منزلته ومكانته، فهناك الكتب والمكتبات والدروس والجامعات والمؤسسات العلمية المختلفة التي أسهموا فيها إسهاماً واضحاً.

وقد كانت عنايتهم بالتدبر عناية كبيرة، حيث ربطوا العلم بالعمل، والقراءة بالخشية، والابتعاد عن التفاسير التي غرقت في اللغة أو الكلام أو غيرها من المعينات عن التدبر النافع.

وهذا نص من تفسير معاصر يجمع بين التفسير والتدبر للشيخ السعدي، يقول: (وكان الذي ينبغي في ذلك، أن يجعل المعنى هو المقصود، واللفظ وسيلة إليه. فينظر في سياق الكلام، وما سيق لأجله، ويقابل بينه وبين نظيره في موضع آخر؛ ويعرف أنه سيق لهداية الخلق كلهم، عالمهم وجاهلهم، حضريهم وبدويهم، فالنظر لسياق الآيات

---

=محمد بن إسماعيل الصنعاني (١١٨٢هـ)، المعروف كأسلافه بالأخير: مجتهد، من بيت الإمامة في اليمن. من أشهر كتبه: (سبل السلام)، ينظر الأعلام للزركلي، ٦/٣٨. والشوكاني هو: محمد بن علي الشوكاني (١٢٥٠هـ)، فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، نشأ بصنعاء وولي قضاءها سنة ١٢٢٩ ومات حاكماً بها. من كتبه المشهورة: (نيل الأوطار)، ينظر الأعلام للزركلي، ٦/٢٩٨. والقاسمي هو: جمال الدين بن محمد القاسمي (١٣٣٢هـ)، إمام الشام في عصره، علماً بالدين، وتضلعا من فنون الأدب. مولده ووفاته في دمشق، من كتبه المشهورة: (دلائل التوحيد)، الأعلام للزركلي، ٢/١٣٥. والألوسي هو: محمود شكري الألوسي أبو المعالي (١٣٤٢هـ)، مؤرخ، عالم بالأدب والدين، من الدعاة إلى الإصلاح. ولد في بغداد، وتصدر للتدريس في داره وفي بعض المساجد. وحمل على أهل البدع في الإسلام، من أشهر كتبه: (بلوغ الأرب في أحوال العرب). ينظر الأعلام للزركلي، ٧/١٧٢.

مع العلم بأحوال الرسول وسيرته مع أصحابه وأعدائه وقت نزوله، من أعظم ما يعين على معرفته وفهم المراد منه، خصوصاً إذا انضم إلى ذلك معرفة علوم العربية على اختلاف أنواعها. فمن وفق لذلك، لم يبق عليه إلا الإقبال على تدبره وتفهمه وكثرة التفكير في ألفاظه ومعانيه ولوازمها، وما تتضمنه، وما تدل عليه منطوقاً ومفهوماً، فإذا بذل وسعه في ذلك، فالرب أكرم من عبده، فلا بد أن يفتح عليه من علومه أموراً لا تدخل تحت كسبه<sup>(١)</sup>.

### المرحلة الثانية: التأويل (التحديات الوافدة):

عُرف التأويل مع الفرق، وقد اشتهر في تاريخ الفرق الإسلامية، وإذا كان التفسير يرتبط بمعنى النص الظاهر، فإن التأويل هو صرفه إلى معنى غير ظاهر، والصرف يكون بسبب معارضة المعنى الظاهر لأفكار أو مصالح، فإذا تعارض المعنى مع فكرة عقلية أو مصلحة واقعية قام صاحبها بتأويل النص أو الأصل. ومشكلة التعارض مشكلة مشهورة داخل الفرق الدينية في كل الأديان، وسبق بيان علاقتها بالمتشابه.

ومن جهة تاريخنا الحديث والمعاصر نجد أشهر صورها حسب التسلسل التاريخي قد ابتدأت من بعض مسلمي الهند، وذلك بعد احتكاكهم بالغرب، فهناك واقع جديد ظهر من خلال الاستعمار الإنجليزي للهند<sup>(٢)</sup>، وبصحة المستعمر فكر جديد. برز اسم مشهور وهو (السيد أحمد خان: ١٨٩٨م) الذي كان له تأويلات مشهورة لنصوص

(١) تفسير السعدي، ص ٣٠.

(٢) بدأ الغرب الأوروبي بالتخطيط المبكر لاستعمار الهند التي كانت في الغالب تحت الحكم الإسلامي، وصنعوا غطاءً لذلك تحت مظلة شركات الهند الشرقية، البريطانية والهولندية والفرنسية، ونجحت البريطانية في السيطرة سنة ١٧٦٥م، ثم تحولت الهند إلى مستعمرة بريطانية، وبقيت كذلك حتى الاستقلال سنة ١٩٤٧م. ينظر الموسوعة العربية العالمية، مادة (تاريخ الهند).



أو أصولٍ قد تتعارض مع الواقع الجديد المفروض على المسلمين هناك أو تتعارض مع الفكر الفلسفي الحديث<sup>(١)</sup>، ثم انقلب الأمر مع فرقة القاديانية - (نسبة لمؤسسها: غلام أحمد القادياني: ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م) - الذي بدأ داعية إسلامياً للتجديد ثم تدرج في الانحراف فادعى المهديّة ثم ادعى النبوة، فخرجت هذه الفرقة عن السياق الإسلامي بتأويلاتها الشاذة وتفسيراتها المنحرفة<sup>(٢)</sup>.

توجد مشكلات كبيرة واجهها المسلمون، ولكن وقع الاستسلام لكثير من الأفكار، وظنّوا أنها حقائق لا يتطرق لها الاحتمال، عندها استثمروا آلية التأويل مع عدد من نصوص الإسلام وعقائده وأحكامه.

لحق بها تاريخياً طائفة أخرى في مصر، في القرن الثالث عشر الهجري، وقد ارتبط ذلك بأسماء لامعة مشهورة، يقودها الشيخان: جمال الدين الأفغاني (١٣١٥هـ / ١٨٩٧م) ومحمد عبده (١٣٢٣هـ / ١٩٠٥م)، ثم جاءت بارزة ومفصلة في كتابات الشيخ حسين الجسر (١٣٢٧هـ / ١٩٠٩م)، فقد ظهرت آثار النظريات العلمية والمدارس الفلسفية والفكرية في جهودهم الفكرية والعلمية، من خلال تأويل نصوص وأصول ومسائل

---

(١) حول منهجية السيد خان وتأويلاته ينظر: مفهوم تجديد الدين، ص ١٢٣، الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، الندوي، ص ٦٩.

(٢) بدأت القاديانية تأويلاتها في إطار المعهود من الفرق، ولكنها تحولت سريعاً للغلو والوقوع في أمور مناقضة لما هو معلوم من الدين بالضرورة، فالقاديانية: فرقة دينية غالية ظهرت في الهند سنة ١٩٠٠م بدعم من الإنجليز، أسسها مرزا غلام القادياني، وقد بدأ دعوته أنه مصلح، ثم ادعى النبوة، ولهم عقائد باطلة ودعاوى فاسدة، وما زال لهم وجود إلى اليوم، ينظر الموسوعة الميسرة...، مادة القاديانية، وللشيخ إحسان إلهي ظهير كتاب مهم عن هذه الفرقة (القاديانية.. دراسات وتحليل) عن دار الإمام المجدد بالقاهرة.

تتعارض مع الوافد الجديد<sup>(١)</sup>.

قد تكون الآلية معروفة، ولكن الجديد هو المحتوى والموضوعات الجديدة، فظهرت تأويلات جديدة. ويمكن النظر هنا في نظريتين ارتبط بهما مجالٌ فكريٌّ جديد، وهما نظرية نيوتن ونظرية داروين.

ومن أشهر الأمثلة التي دخلها التأويل تحت تأثير النظريتين وفلسفتها الحديثة، التحفظ عند ذكر المعجزات، ورفض الإقرار بوجود الأمر الخارق، فلا تغيير في قوانين الكون حسب زعمهم، ومن ثمّ قام هؤلاء بتأويل المعجزات المختلفة بما يزيل عنها بعدها الخارق للعادة، وإخراجها بصورة تتفق مع التفسير الفكري الحتمي، وفي النظرية التطورية وقع التأويل لخلق آدم وزوجه بتأويلات شتى، من أجل استبعاد عقيدة الخلق لهما؛ لأن الخلق موضوعٌ غيبي لا يمكن إثباته تجريبياً، وهذا من فساد الاستدلال عندهم؛ فإن الأدلة تتعدد وتتنوع، فإن لم يدلّ على ذلك الحسّ، فإن الدليل

(١) كتب الكثير حول المدرسة العربية، ومن أهم تلك الكتابات كتاب: منهج المدرسة العقلية في التفسير، فهد الرومي. وجمال الدين الأفغاني هو: محمد بن صفدر الحسيني، اختلف الناس حوله كثيراً، ولكنه دون شك قد لعب دوراً مهماً في التحولات الفكرية الحديثة، وتأثر به طائفة من البارزين، وبخاصة الشيخ محمد عبده. ومن أشهر كتبه: (رسالة الرد على الدهريين)، ينظر الأعلام للزركلي، ١٦٨/٦، وقد أثنى عليه ثناء كبيراً. وعبده هو: محمد عبده بن حسن خير الله (١٣٢٣هـ)، مفتي الديار المصرية، ومن كبار رجال الإصلاح. تأثر بجمال الدين الأفغاني، تصوف وتفلسف، وعمل في التعليم، وكتب في الصحف، وأجاد اللغة الفرنسية بعد الأربعين. من أشهر كتبه: (تفسير القرآن الكريم) ولم يتمه، و(رسالة التوحيد) و(الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية)، ينظر الأعلام للزركلي، ٦/٢٥٢. والجسر هو: حسين بن محمد الجسر (١٣٢٧هـ): عالم بالفقه والأدب، من بيت علم في طرابلس الشام، وكان رجلها في عصره، علماً ووجاهة. وتوفي فيها. من أشهر كتبه: (الرسالة الحميدية) و(الخصون الحميدية)، ينظر الأعلام للزركلي، ٢/٢٥٨.

الخبري الصادق قد دلّ على ذلك<sup>(١)</sup>.

إذاً، نحن أمام محتوى جديد بمنهجية معهودة، ولكن ما أثر هذا المحتوى على التدبر؟ بدون شك أن قارئ القرآن اليوم يختلف عن قارئ الأمس، فقارئ الأمس يتميز بفصاحته، فيصل للمعنى بيسر وسهولة، ولكن قارئ اليوم قد تلبّس بعائقين: الأول: فقد تلك الفصاحة المعهودة في السابقين، والثاني: حجم المعارف التي تحصل عليها بفضل المعرفة العلمية الحديثة، والتي تزاحم بعض ما يظهر للقارئ، وبخاصة في المخلوقات الكونية في الأرض والسماء، وهذا العائق يؤخر تأثير التدبر ويقلق القارئ، مما دفع بطائفة من المفكرين المسلمين إلى استحداث تأويلات للجمع بين هذه المعارف العلمية والقرآن.

وهي وإن رفعت قلق بعض الناس، إلا أنها تفتح مشكلات مع المعارضين، فجهدهم مستمر في توليد التعارضات، وقد تتسع التأويلات حتى تبتعد بالمعنى عن مقصد النص، ويتحول التدبر من تدبر للآيات إلى تدبر لتأويلات المتأولين.

وهنا مقطع يعبر عن هذا المعنى: (.... وقد زاد الفخر الرازي صارفاً آخر عن القرآن هو ما يورده في تفسيره من العلوم الرياضية والطبيعية وغيرها من العلوم الحادثة في الملة على ما كانت عليه في عهده، كلهيئة الفلكية اليونانية وغيرها، وقلده بعض المعاصرين بإيراد مثل ذلك من علوم هذا العصر وفنونه الكثيرة الواسعة، فهو يذكر

(١) هنا ملحوظة وهي أن مصطلح «التأويل» في الكتابات المعاصرة يختلف عن تأويلات الفرق الدينية، فتأويل الفرق الدينية هدفه رفع التعارضات الموجودة عندهم، أما التأويل الفلسفي فهو نوع من القراءة التي لا يعينها التعارض كثيراً، بل هي مهمومة بمشروعها الخاص القائم على دعوى امتلاك منهجيات قادرة على التعامل مع النص بشكل غير مسبوق. فتكون من قسم القراءة المعاصرة، ومثلها بعض الكتابات الفكرية المعاصرة التي تذكر مصطلح «التفسير»، فهو أقرب لمعنى القراءات المعاصرة.

فيما يسميه تفسير الآية فصولاً طويلة بمناسبة كلمة مفردة كالسما والارض من علوم الفلك والنبات والحيوان، تصد قارئها عما أنزل الله لأجله القرآن...<sup>(١)</sup>.

المرحلة الثالثة: القراءة (دعاوى الحداثة):

اشتهر مصطلح القراءة في النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري، ويمكن أن نربطه بنشأة الجامعة الحديثة، حيث فُتِح فيها كليات وأقسام مهتمة بالعلوم الإنسانية والاجتماعية والفلسفة بصورتها الغربية الحديثة، وأغلب المدارس الفكرية التي تبنت منهجية القراءة تنتمي للجامعة العصرية، وبخاصة كليات الآداب وأقسام الفلسفة.

وبما أن «القراءة» هي الجديد في التعامل مع نصوص الإسلام، فهي في حاجة لشيء من التوضيح، بحيث يعرف تاريخ تكوّنهما، وأسلوب عملهما.

عند تحليل هذه المنهجية في ضوء تاريخها نجدتها في مجملها ترجع لثلاث مرجعيات: المرجعية الاستشراقية، والمرجعية الفلسفية، ومرجعية العلوم الاجتماعية. وقد أخذوا من كل مرجعية بعض أدواتها المشهورة أو كلها، ولما أخذوه أثره في التدبر، والجدول التالي يقرب ذلك.

(١) من مقدمة الشيخ محمد رشيد رضا لتفسير المنار، ١/٨.

المرجعية	المنهج أو الأداة	الأثر فيه التدبير
(١) الاستشراق	المنهج التاريخي المنهج اللغوي/الفلوجوي	المعلومة الغلط
(٢) الفلسفة	النقد التأويل	الرأي المنحرف
(٣) العلوم الاجتماعية العلوم الإنسانية	علوم اللغة (اللسانيات)، و علم الدلالة أو المعنى، والاسمياء أو علم العلامات علم النفس والاجتماع والإنسان علم الاقتصاد السياسي علم التاريخ الحديث (مدرسة الحوليات)	المعنى الضائع

وهذه الثلاثة -الاستشراق والفلسفة والاجتماعيات- تدخل في إطار ثقافي عام وهو (الحداثة) أو (ما بعد الحداثة)، و نترك الاختلاف الفكري حول الفاصل الزمني، ولكن للتقريب فيمكن وضع سنة (١٩٥٠م) نقطة تقريبية للفصل بين المرحلتين، ولا يعني (ما بعد الحداثة) أن تيارات الحداثة غير موجودة، بل بعضها قائم، ومتوازي مع تيارات (ما بعد الحداثة)، كما أن (ما بعد الحداثة) متأثرة بفلاسفة الحداثة، يضاف لذلك تأثيرهم العميق بمدرسة التحليل النفسي وبمؤسسها «فرويد»<sup>(١)</sup>.

(١) ينظر الخروج من التيه، د. عبدالعزيز حمودة، ص ١٠٢، وحول تحديد الفاصل الزمني ينظر ما بعد الحداثة.. محمد سيلا، ص ٥، وقد جعلها مع بدايات الستينات الميلادية، ومن أهم الدراسات العربية في تحديد المصطلح وتواريخه وأفكاره دراسة د. محمد سالم (الأسس الفلسفية لنقد ما بعد البنيوية)، وحول (ما بعد الحداثة)، ص ٣٣-٤٢، ما بعد الحداثة.. د. باسم خريسان، ١٨٢ وما بعدها.

وهذا الإطار العام له أثره على المدارس والمجالات، وعلى سبيل المثال الرؤية العامة للنص في إطار (الحداثة) نجد يختلف عن رؤية (ما بعد الحداثة)، فالحداثة تصورها عن النص أنه يملك رسالة وهو قادر على توصيلها للمتلقي، ولكن نظريات (ما بعد الحداثة) والمدارس التي تسير بجانبها مثل: التفكيك ونظريات التلقي والنقد النسوي وغيرها، أضعفت هذه القدرة في النص، أصبح النص دالاً دون مدلول، ألفاظ دون معنى، فيكون القارئ حرّاً في التعامل معه<sup>(١)</sup>. ويصبح النص عند (الما بعد) مجرد سلسلة فجوات والمعنى هو ما يملأ به القارئ تلك الفجوات<sup>(٢)</sup>، و(اتجاهات «ما بعد الحداثة»، .... تجعل القارئ، المبدع الحقيقي للنص، وأن النص ليس ثابتاً قاراً محكم الوثائق، بل هو نصوص متعددة (تناس)، مهاجرة في الزمن لا يمكن الإمساك بها، لذا فهم ينادون بإرجاء الدلالة، وفتح القراءات المتعددة إلى ما لا نهاية...)<sup>(٣)</sup>.

### أولاً: الاستشراق (التاريخية واللغوية):

لقد قدّم الاستشراق خدماته المنهجية وتطبيقاته العملية للقارئ الغربي الذي يقرأ عن الفكر الإسلامي أو الإسلام، فهو الوسيط في فهمهم للإسلام، ولكنه وسيط غير محايد، ولذلك أثره على الغربيين الباحثين عن الإسلام، وازداد الأمر سوءاً عندما أصبح الاستشراق وسيطاً لبعض المسلمين الذين يدرسون دينهم، فمشكلة الاستشراق اليوم أنه لم يعد يكتب للغربيين فقط، بل أصبح يكتب للمسلمين<sup>(٤)</sup>.

(١) ينظر الخروج من التيه، د. عبدالعزيز حموده، ص ١٠١، وليست كلها تميل لذلك فبعضها يريد إعادة الاعتبار للنص كما في المرجع.

(٢) ينظر المرجع السابق، ص ١٣٧.

(٣) إشكالية تأصيل الحداثة...، عبدالغني باره، ص ٢٧.

(٤) آليات المنهج الاستشراقي...، د. حسن عزوزي، ص ٦.

وقد كانت المنهجية الاستشراقية في مجملها متأثرة بروح عامة تقوم على انتقاص الإسلام، ودراسته كنموذج نشأ على هامش الفكر اليهودي والنصراني، إن الإسلام في أحسن صورهِ -عندهم- نسخة مشوهة لديانة أهل الكتاب. وقد ركّزوا على القرآن -كحال أعداء الإسلام عموماً- من أجل تحقيق تلك الأهواء الخبيثة، يقول د. بدوي: (لقد تعرض القرآن الكريم باعتباره الركيزة الأساسية للإسلام لهجمات كثيرة من الذين كتبوا ضدّ الإسلام)<sup>(١)</sup>. ومن ذلك كتاب «تاريخ القرآن - نولدكه» الذي يُعدّ مرجعاً مهماً للمستشرقين<sup>(٢)</sup> يقول فيه: (إن المصدر الرئيس للوحي الذي نزل على النبي حرفياً، بحسب إيمان المسلمين البسيط وبحسب اعتقاد القرون الوسطى وبعض المعاصرين، هو بدون شك ما تحمله الكتابات اليهودية. وتعاليم محمد في جلها تنطوي في أقدم السور على ما يشير بلا لبس إلى مصدرها. لهذا، لا لزوم للتحليل لنكشف أن أكثر قصص الأنبياء في القرآن، لا بل الكثير من التعاليم والفروض، هي ذات أصل يهودي)<sup>(٣)</sup>، ثم يحلل ذلك تاريخياً ولغويّاً بحسب المنهجية الاستشراقية المشهورة. كما أن عنايتهم بالتفسير وعلومه كانت كبيرة للغاية وذلك لنفس المآرب<sup>(٤)</sup>.

وأبرز المنهجيات المستخدمة لإثبات هذه الفرضية هي المنهجية التاريخية

(١) دفاع عن القرآن...، د. عبدالرحمن بدوي، ص ١٣، ثم استعرض جهود المستشرقين من اليهود والنصارى في مهاجمتهم للقرآن مع نقده لهم، وهذا الكتاب له أهميته من مفكر مثل د. بدوي؛ لأنه كان من أشدّ المبجلين للمستشرقين، ويسميهم العلماء، وترجم كثيراً من كتبهم، وانساق مع دعاوئهم، ثم في آخر حياته أخرج هذا الكتاب محارباً لهم، وفاضحاً عدائهم للإسلام والقرآن والرسول ﷺ.

(٢) ينظر آليات المنهج الاستشراقي، السابق، ص ١٠.

(٣) تاريخ القرآن، نولدكه، ص ٧.

(٤) ينظر آليات المنهج الاستشراقي، السابق، ص ٩.

واللغوية<sup>(١)</sup>، وقد غرق فيها بعض المثقفين العرب، وأصبح يتحدث عن الإسلام ونصوصه وكأنها منقولة عن أهل الديانات السابقة من خلال تلك المنهجية<sup>(٢)</sup>.

ليس العيب في المنهجية التاريخية أو اللغوية، فهي منهجية مميزة ومهمة، ولكن الأهواء تؤثر في أسلوب التعامل مع المنهجية، فيصعب تصور منهجية محايدة، وليس من المستغرب ذلك منهم، ولكن المستغرب هذه التبعية العمياء من بعض المثقفين العرب الذين لا يعرفون الإسلام إلا من خلال تطبيقات المستشرقين. وقد أظهر المستشرقون أسلوباً خداعاً من القرن التاسع عشر الميلادي، فيظهرون العلمية والموضوعية والحياد، ويكشف أحد من كان يعظمهم ذلك فيقول: (حقاً، فإنه بداية

---

(١) المقصود هنا بيان المنهجية السائدة التي يطبقونها في بحوثهم، ويزعمون من خلالها أنهم أصحاب منهجية علمية وموضوعية، وإلا فإن هناك منهجية أخرى ناتجة عن الأهواء الدينية لبعضهم أو عن العلمانية لآخرين منهم، تصرفهم عن الموضوعية والعلمية، وتقوم على المغالطات والادعاءات والتلفيق، ويمكن تأمل بعضها في آراء المستشرقين حول القرآن... د. عمر رضوان، ص ٧٧-٩١، و«للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم» إصدار كبير عن مناهج المستشرقين، وقد خصص الفصل الأول للقرآن، والثاني للسنة، ص ٢١، ص ٦٣، وفكرة الكتاب مهمة وكان سيكتمل لو خصصوا فصلاً عن المنهجيات ذاتها دون ربطها بالتطبيقات، كما أن لمنهجياتهم علاقة بالفكر الفلسفي الغربي وقليلة الدراسات التي تتحدث عن علاقة المنهجيات الاستشراقية بالفكر الفلسفي، فلا نجد دراسة شافية في تحليل تلك العلاقة، ويمكن أن نجدها مختصرة في ثنايا بحوث، ومنها: موقف المستشرقين من الصحابة... د. سعد الماجد، ص ٢٣-٤٩.

(٢) ينظر القراءات المعاصرة... د. محمد كالمو، ص ٨١ وما بعدها، دفاع عن القرآن، د. عبدالرحمن بدوي، ص ٢٧، وقد توسع الدكتور أحمد الطعان في دراسة التاريخية بدراسته المهمة (العلمانيون والقرآن الكريم)، الباب الثاني: التاريخية ومدخلها المعلن، الباب الثالث: الأصول الحقيقية للتاريخية وانعكاساتها، وإذا كانت المسألة الجوهرية في كتاب الطعان هي «التاريخية» فقد جذب إلى بحثه نظريات ومدارس كثيرة من جهة علاقتها بالتاريخية، وينظر الإسقاط في مناهج المستشرقين... د. شوقي أبوو خليل، من الإسقاط الأول حتى السادس، ص ١٩ وما بعدها.



من منتصف القرن التاسع عشر يبذل هؤلاء المستشرقون كل ما في وسعهم لبيدوا موضوعيين في كتاباتهم وفي جعل كتاباتهم أكثر دلالة وأكثر جدية وموضوعية، وأكثر تدقيقاً في المنهج اللغوي، لكن دون فائدة، ذلك لأن الدوافع الداخلية التي تضطرم بالحق في قلوبهم ضدّ الإسلام وكتاب الإسلام المقدس ونبي الإسلام ظلت كما هي بل ازدادت تأججاً<sup>(١)</sup>.

وقد أساء بعض المفكرين العرب أثناء دراسته للإسلام إساءات عظيمة بسبب تطبيقه لمنهجيات الاستشراق:

فمن خلال المنهجية التاريخية يُرمى بالمعاني -الموجودة في كتب التفسير وفي شروحات الأحاديث والأصول المتفق عليها- في التاريخ، إنهم يرونها صحيحة في وقتها، وهذا أسلوب خطير من قبلهم لتهميش المعنى المنقول إلينا من سلفنا الصالح مع الاعتراف به فقط في الماضي، أو يقضي عمره ويبذل جهده في إثبات انتحال القرآن لنصوص الأمم السابقة.

ومن خلال المناهج اللغوية يقومون بتعويم المعنى الإسلامي بحيث يضيع في قائمة كبيرة من الأرشيف الديني لكل الديانات، دون تفريق بين الحق والباطل. أو يقومون بإفساد المعنى من خلال الفصل بينه وبين الحقيقة، فلا توجد حقيقة تعبر عنها الألفاظ، والمعاني التي ترتبط بالألفاظ هي ما تنتجها الثقافة في عصر من العصور، وكل عصر ينتج معنى غير العصر الذي سبقه<sup>(٢)</sup>. أو من خلال الاستغراق في التشقيقات

(١) دفاع عن القرآن... د. عبدالرحمن بدوي، ص ١٥.

(٢) ينظر القراءات المعاصرة... د. محمد كالم، ص ١٠٢، مناهج الفكر العربي المعاصر... شاكير أحمد، ص ٣١-٣٢.

اللغوية، ويتخذها ذريعة لادعاء وجود تشابهات في الشكل أو النطق بين الكلمات العربية القرآنية مع أخرى موجودة في أديان وثنية أو كتابية.

وبما أن جميع البشر مطالبون بتدبر القرآن، فمما يؤسف له أن الغرب والعالم المتغرب، ينظر للقرآن من خلال نظارة الاستشراق، وهي تقدم «المعلومة الغلط»، وللمعلومة الخاطئة أثرها في انحراف مسار التدبر. والأمر الأخطر أن تدبر بعض مثقفينا للقرآن أصبح من خلال نافذة الاستشراق، فكيف بغيرهم!!

### ثانياً: الفلسفة (النقد والتأويل):

تعدّ الفلسفة أشدّ وطأة على عقول هذه الطائفة المثقفة المتغربة، ومع كثرة مدارسها الحديثة إلا أن أشهر صور المنهجيات الفلسفية تأثيراً في العرب المتغربين منهجيتان: النقد والتأويل، وقد يخلط البعض بين الأمرين، فيتحدثون عن النقد وكأنه التأويل أو العكس، مع أن المشهور من حالهم: هو سير المفكر في مسارين: مسار نقدي وآخر تأويلي، والغالب في الكتاب العرب المتغربين وقت فلسفة الحدائث هو النقد، وقلة هم الذين سلكوا مسالك التأويل<sup>(١)</sup>. وقد مرّ مجموعة من الكتاب - المتأثرين بالغرب - بمرحلتين: مرحلة الصلّف الفكري، ومن آثاره: قيامهم بنقد التراث الإسلامي وأصول الإسلام، ثم يقع لهم تحولات، فيتحولون للكتابة عن الإسلام بنوع من الحماس والتعاطف، ولكنهم يتحولون للتأويل، وبعضهم يميل لتأويل الفرق الإسلامية، وقليل منهم قد يميل للتأويل الفلسفي. ومن الأمثلة على ذلك كتابات «طه حسين» و«محمد حسين هيكل» في مرحلتين من حياتهما، ومن ذلك كتابات «محمد الجابري»

(١) ينظر للعلاقة بينها: فلسفة النقد..، كتاب جماعي، ص ٢١، ص ٢٩٣، والكتاب يشمل على بحوث متنوعة حول مفهوم النقد.

التي عرفت بمرحلتين: مرحلة نقدية وأخرى تأويلية<sup>(١)</sup>.

فمن جهة النقد تُعدّ الفلسفة الحديثة فلسفة نقدية في غالبها، فقد أصبح النقد سمة مميزة لكثير من مدارسها، سواء صُرحَ بذكره أو لم يُصرَّح<sup>(٢)</sup>. وأهم ما يتناولوه النقد هو نقد «الدين» وأصوله ونصوصه وفق منهجيات متنوعة، ولهم أساليب في النقد، ويبقى أشهرها المطابقة بين النص والحسّ بسبب إنكارهم للغيب. أما التأويل فهو في المرتبة الثانية والتحمّس له يعقب التحمس للنقد.

وقد عرف النقد بخاصة مع اتجاه التنوير الأوربي: فولتير، ديدرو، هولباخ، ومع «اليسار الهيجلي»: فيورباخ، شتراوس، ماركس، ومجموعة معاصرة مثل: نيتشة، وفرويد، ودوركايم، وأصحاب «الوضعية المنطقية» وغيرهم من الفلاسفة والمفكرين الذين اعتمدوا منهجية نقد الدين منطلقين من موقف إلحادي صريح<sup>(٣)</sup>. وقد كان نقدهم منصباً على الدين الذي في بيئتهم، وبخاصة: اليهودي والنصراني، أو على الدين بمفهومه العام بعيداً عن أي تمثيل له. ويتميز النقد الفلسفي هنا بأنه موقف صريح في رفضه للدين، بخلاف التأويل الذي يدخّله الغموض.

(١) ينظر حول الجابري مقالة للباحث بعنوان: الجابري والجابريون.. أوهام النقد وأهواء الأتباع، موقع تاصيل على هذا الرابط:

5=ax&6=ct&787=http://taseel.com/display/pub/default.aspx?id

(٢) ينظر النظرية النقدية... د. حسن محمد، ص ٥-٨٣ وقد استعرض المؤلف النقد في العصرين اليوناني والوسيط وتوسع في مدارس العصر الحديث، نقد العقل بين الغزالي وكانط... د. عبدالله الفلاح، ص ١٥-٥٧، وفيها استعراض للمدارس السابقة لكانط.

(٣) ينظر فلسفة النقد، كتاب جماعي، ص ٣٩، ص ٦٥، ص ٨٧، ص ١٨٥، ويُعدّ كانط شخصية مهمة في تحويل النقد إلى فلسفة، نفس المرجع، ص ١٤، وحول كانط ودوره في تعزيز مفهوم النقد ينظر: كانط أو الفلسفة النقدية، د. زكريا إبراهيم.

وأما التأويل الفلسفي وإن شابه في الأحرف التأويل الذي ارتبط بالفرق الدينية إلا أنه يختلف عنه، إنه نوع من النشاط الحرّ المفتوح الذي لا يخضع لقيود، وبهذا فهو الصورة البارزة لمفهوم القراءة الذاتية المفتوحة<sup>(١)</sup>، وقد ظهرت بدايته الفلسفية الحديثة مع شلايرماخر<sup>(٢)</sup>، ويصف أحدهم هذا التأويل فيقول: (ولا يريد التأويل أن يضع حداً ينتهي عنده الاختلاف وينحل بموجبه الصراع لصالح رؤية وحيدة الجانب؛ على العكس فمثلما يؤكد ريكور على صراع التأويلات يؤكد على ضرورة بقاء هذه التأويلات في تنافس وتزاحم دائم وأبدي. فلا تظفر بالحقيقة الواحدة الكبرى وإنما بحقائق متعددة متصارعة تتجدد وتتواتر طبقاً لمقتضيات الظرف التاريخي؛ وطبقاً لمقتضيات وجودنا في العالم)<sup>(٣)</sup>.

والبعض يركز على مصطلح «الهرمنيوطيقا» الذي يترجم عادة بالتأويل، كون الهرمنيوطيقا له كثافة فلسفية بحسب المنع الألماني المعاصر لهذا الاتجاه<sup>(٤)</sup>، بخلاف

(١) ينظر ظاهرة التأويل الحديثة... د. خالد السيف، ص ٢٨-٣٠، حصار الزمن، د. حسن حنفي (إشكالية التأويل)، ص ١١١ وما بعدها.

(٢) ينظر الفلسفة والتأويل، نبيه قاره، ص ٦، و ص ٤٣. شلايرماخر (١٨٣٤م) لاهوتي رومانسي ألماني، وقد كان قساً، وله دور بارز في تخفيف الادعاءات الوضعية، ولكنه يميل إلى رؤية فلسفية صوفية، ينظر معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، ص ٣٩٦.

(٣) من مقدمة ترجمة سمير مندي لكتاب دوائر الهرمنيوطيقا...، ص ٩.

(٤) ينظر اللغة والتأويل...، عمارة ناصر، ص ٣١، وينظر عن علاقته بالفلسفة نفس المرجع، ص ١٩. والهرمنيوطيقا (HERMENEUTICS) مصطلح مشهور في الفلسفة المعاصرة، ويعرف بأنه نظرية التأويل وممارسته، يتركز في البحث عن المعنى، ينظر دليل الناقد الأدبي، ص ٨٨، ظاهرة التأويل الحديثة... د. خالد السيف، ص ٢٨، وهناك فصل مطول في كتاب (العلمانيون والقرآن الكريم) بعنوان: الهرمنيوطيقا/ الغنوصية، ص ٦٧٣-٧٤٧. كما أن أحد مشاكل التأويلية/ الهرمنيوطيقا أنها متحكم بها من قبل مجموعة ملحدة وجماعات يهودية، ويسمها المفكر المصري البارع -عبد الوهاب المسيري- بـ(الهرمنيوطيقا المهترقة) (التي يتسم بها كثير من المفكرين ذوي الأصول اليهودية)، موسوعة اليهود... د. المسيري، ٥/ ١٥٣٢، وقد أوفاهما بالدراسة في: ٦/ ١٨٥٨. كما أن ترجمة العرب لها تختلف من مترجم لآخر، وقد أبقيته في النصوص كما هو مع وجود الاختلاف فيما بينهم.

التأويل الذي يحمل كثافة دينية بحسب منبعه من داخل الفرق الدينية المختلفة. وللتأويل شهرة في الفلسفات المعاصرة: (ويمكن القول إن معظم المناهج النقدية المعاصرة استخدمت التأويل بوصفه آلية بدءاً من ما بعد البنيوية، مروراً بالسيمائية، وانتهاءً بالنقد النسوي، ومنهجية فوكو، والتحليل الاجتماعي والسياسي لهايرماس، والطرق المنهجية الأخرى لألتوسير، وجيمسون، ولاكان، وبورديلارد، وليوتار،... الخ. ومن المهم ذكر أن نظريات الاستقبال والتلقي قد انبثقت بشكل مباشر وأساس من التأويلية بوصفها منهجاً، وحددت رؤيتها في تحليل عملية القراءة من خلال المداخل الفلسفية الظاهرانية، والمداخل المنهجية التأويلية)<sup>(١)</sup>.

يقول عمارة: (نشأت علاقة حميمة بين اللغة والتأويل، قدمت في الفلسفة الغربية المعاصرة مشروعاً لإنقاذ المعاني المحاصرة في دائرة المركزية الأوروبية والمحروسة بآليات المطابقة والمائلة. وقد بادرت إلى هذا المشروع فلسفات نيتشة، فرويد، ماركس...، موازاةً مع الهرمنيوطيقا المعاصرة من شلايرماخر، دلتاي إلى هيدغر غادمر وريكور)<sup>(٢)</sup>، وغالباً ما يربط بين النقد الثلاثي لكل من: (ماركس، نيتشة، فرويد) وبين التحول المعاصر، سواء كان نحو النقد إلى ذروته العدمية أو التأويل الفلسفي المفتوح)<sup>(٣)</sup>.

ويوضح عمارة وظيفتها فيقول: (وظيفة الهرمنيوطيقا هي «عزل المدلول عن الدال عن طريق التأويل والتعليق والقضاء على الكتابة عن طريق الكتابة الأخرى التي

(١) الأسس الفلسفية... د. محمد سالم، ص ١٠٦-١٠٧.

(٢) اللغة والتأويل... عمارة ناصر، ص ٩.

(٣) حول دور الثلاثة، ينظر الفلسفة والتأويل، نبيه قاره، ص ٢٥، ظاهرة التأويل الحديثة... د. خالد السيف، ص ٨٥.

هي القراءة»، وبذلك هي تعيد إنتاج عالم آخر للمعنى، حيث يشكل النص مفتاحاً له من خلال رموزه ومعانيه المزدوجة التي تعطي كنقطة تمفصل بين عالم النص المؤلّف وعالم النص المؤلّد وتغدو كل قراءة تأويلاً لأنها حسب عبارة دريدا تقضي على الكتابة، لتفتح عالم النصّ على الذات والوعي<sup>(١)</sup>. وبجسب هذا التصور فإنه لا يوجد تأويل صحيح وإنما تأويلات متعددة<sup>(٢)</sup>.

وتمر العملية التأويلية/الهرمنيوطيقية بدائرة تسمى «الدائرة الهرمنيوطيقية» في قراءة فلسفية تركز على القارئ ويضع معها المعنى الأصلي ويضحى من أجل ذلك بكل القواعد المنهجية الموضوعية، ويوضح ذلك قول أحدهم: (تُعَدُّ قاعدة إن هي أنتجت استدلالاً لسنا مستعدين لتقبُّله، ونستغني عن استدلال إن هو اخترق قاعدة لسنا مستعدين لتعديلها)<sup>(٣)</sup>.

كما أن علاقة الهرمنيوطيقا بعلوم اللغة علاقة غير ودية، فمعلوم أن كل نص هو مكتوب بلغة، واللغة تسيّر وفق قوانين، وقوانينها هي معيار مهم في تفسير النصوص، ولكن أهل التأويل يهربون من قوانينها، ونجد أن الهرمنيوطيقا تريد التخلص من (الصلابة المنهجية لنحوها وسمياتها)، والتحول نحو الفن الذي هو أكثر مرونة للقارئ المؤلّد<sup>(٤)</sup>.

نخلص من هذا العرض الموجز إلى أن مفهوم التأويل الفلسفي أقرب للفوضوية المنهجية، وهو في حقيقته عملية هدم للمعنى وللحقيقة، كما أنه قد تلبس بتيارات

(١) اللغة والتأويل... عمارة ناصر، ص ٢١.

(٢) ينظر اللغة والتأويل... عمارة ناصر، ص ٣٢.

(٣) ينظر اللغة والتأويل... عمارة ناصر، ص ٤٦.

(٤) ينظر اللغة والتأويل... عمارة ناصر، ص ٩٠.

فلسفية مشبوهة، وهذا ما نبّه إليه مفكر بارز -المسيري- حول تحكم اليهود المهرطقون بالهرمنيوطيقا المعاصرة، مع تأثر كُتّاب بهم، فيقول: (وترى سوزان هاندلمان أن تقاليد الهرمنيوطيقا المهرطقة لم تُعد مقصورة على المثقفين اليهود، فهناك في كل أنحاء العالم «مثقّفون يهود» بالمعنى المجازي جعلوا همهم فَتْح النصوص المقدّسة عن طريق إعلان أن النص المقدّس صامت يمكن أن يحمل أيّ معنى يشاء المفسر، ثم قاموا بإعادة تفسيرها وتحميلها معنى مهرطقاً حتى يسود الظلام وتهيمن العدمية)<sup>(١)</sup>. وليس المجال هنا مجال استعراض تلك التطبيقات العربية<sup>(٢)</sup>. وإنما القصد الحديث عن المنهجيات وبيان حقيقتها.

والعلاقة بين (النقد والتأويل) في الفكر الغربي الحديث غير متسقة، فالتنافس كبير بين المنهجيتين، وقد يقع بينهما تصالح وتداخل مع بعض المدارس الفلسفية، فقد كانت الماركسية و«الوضعية المنطقية» مدارس نقدية إلحادية، بينما الرومانتيكية والمثالية والتأويلية ذات اتجاه تأويلي، ويقع الدمج بينهما كما هي جهود طائفة معاصرة، ومن ذلك أعمال «إريك فروم» للدمج بين الماركسية والفرويدية مع موضوعات دينية<sup>(٣)</sup>.

وعادة ما يتم الجمع بين النقد والتأويل عند الفلاسفة المعاصرين، ومن ذلك ما نجده عند أحد مشاهير الفكر التأويلي المعاصر -ريكور- فهو يرى أنه لا (عاصم

(١) موسوعة اليهود...، د. عبدالوهاب المسيري، ٦/ ١٨٦١.

(٢) وحول بعض النماذج من هذه التأويلات للإسلام وتراثه ينظر ظاهرة التأويل الحديثة...، د. خالد السيف، ص ٥٠، العلمانيون والقرآن الكريم، د. أحمد الطعان، ص ٧١٢ وما بعدها.

(٣) فروم ١٩٨٠م، جمع بين التحليل النفسي والماركسية، فهو محلل نفسي واجتماعي، مولده في ألمانيا وعاش في أمريكا، وألف الكثير من الكتب، ينظر الموسوعة العربية العالمية، مادة فروم.

اليوم من آلة الهيرمينوطيقيا «الفاحصة» ولا حتى الدين يمكنه تجنب ذلك. ذلك أن النقد الإلحادي المثابر الذي أقامه أساتذة الشك الثلاثة هو المقوم الجوهري لإيمان الإنسان الحديث الناضج. فلا بد أن نؤسس نقد الدين وذلك بافتراض أن الدين قناعاً للخوف والهيمنة أو الكراهية<sup>(١)</sup>.

ختاماً، نجد أثر هاتين المنهجيتين الفلسفتين: (النقد والتأويل) في قراءات المتغربين، فإن قراءات المتغربين العرب تسير غالباً في مسارين:

الأول.. نقدي وإن تشكل بأشكال مختلفة، وذلك أن طبيعة الفكر طبيعة نقدية غالباً... ويدخل في ذلك استخدامهم لمنهجيات، مثل: العلمية والتاريخية والنقدية.

الثاني.. تأويلي وله أشكال، مثل: الإبداع والتجديد وكشف الجماليات وتطبيق آخر المستجدات المنهجية على نص خام كما يقولون.

ونختم هذا المرجع ببيان علاقته بالتدبر، فإذا كان الاستشراق يقدم المعلومة الغلط عن القرآن والإسلام، ولهذا أثره في التدبر النافع، فهو يعيق التدبر النافع، فإن الفلسفة هي فكر، فلا تقدم معلومات عن الدين وإنما تقدم «رأياً» وفكراً ومنهجيات.

فأما التدبر مع «النقد» الحديث فمفقود، وذلك أن تيارات النقد الكبرى من بعد «هيجل» هي تيارات ملحدة، فقد اكتسب النقد المتكئ على الماركسية والفرويدية وغيرها من التيارات الملحدة والمعادية للدين نجاحاً كبيراً، ومن ثم فمن المستحيل تحقيق منفعة التدبر لمن تلوث بالمواقف الأيدلوجية لهذه المنهجيات.

(١) دوائر الهيرمينوطيقا عن بول ريكور، ريتشارد كيرني، ص ٤٨، والثلاثة، هم: ماركس، فرويد، نيتشة، ومعلوم أنهم من أشد المدافعين عن الإلحاد.



ويبقى الباب محتملاً مع «التأويل»، إلا أن التأويل الفلسفي أصبح تأويلاً تتبناه اتجاهات علمانية أو إلحادية، ولو أخذنا منها ذات الطابع الإنساني، فإنها تقع في غلو خطير، هو حال أهل وحدة الوجود، حيث تضع (القارئ مكان الإله)، وهذه الطائفة الغالية في التأويل هي للأسف الغالبة على الاتجاه التأويلي الحدائي وما بعد الحدائي.

وكان يمكن للفكر أن يفتح آفاقاً للعقل والروح في تدبرها للقرآن وللوحي ولما أنزله الله، ولكن ما أنتجت الفلسفة الغربية الحديثة والمعاصرة لا يساعد على التدبر النافع، بل هو يجرم العقل من أعظم ما ينفعه والروح مما ينجيها، وهذا الأمر هو مما تلوثت به عقول عدد من المفكرين المتغربين وأرواجهم.

### ثالثاً: العلوم الاجتماعية (الأدوات والمفاهيم):

تعدّ الأقسام الاجتماعية والإنسانية الأغنى بالأدوات المنهجية، وبخاصة: علم اللغة الحديث، علم النفس، علم الاجتماع، علم الإنسان، علم التاريخ الحديث. وهي الأصعب لغير المتخصص، ولكن يوجد بعض المثقفين ممن لديهم قدرة على مطالعة المستجدات فيها، وإخراجها من مجالها إلى مجال الدين، وبخاصة مع جهود بحثية لمستشرقين في هذا المجال، لاسيما وهناك أقسام فتحت ضمن تلك العلوم تخصص الظاهرة الدينية، مثل: علم النفس الديني، وعلم الاجتماع الديني، وغيرهما.

وقد كوّنت طائفة من المفكرين العرب منهجيتها في القراءة من خلال بعض الأدوات المأخوذة من هذه المرجعية أو تلك، أو من خلال التركيب بين أداتين أو أكثر. فبعضهم قد يكون أحادي المرجعية، ويتعصب لمرجعية واحدة، ويطبّقها بحرفية ساذجة؛ وبعضهم يتنقل به الحال من مرجعية لأخرى؛ وبعضهم اطّلع على كثير من المنهجيات ورغب منها منهجيته الخاصة. ويستاء الحال إذا كان المفكر منطلقاً في فكره من خلفية علمانية.

تتسع دائرة العلوم الاجتماعية، ولكل علم نظرياته ومنهجيته وأدواته ومدارسه، وهناك ثلاثة علوم ذات شهرة في الفكر العربي الدارس للتراث المتأثر بالفكر الغربي، وهي: علم النفس وعلم الاجتماع وعلم اللغة الحديث، وقد ظهر فيها أقسام تهتم بالدين، وظهرت نظريات في كل علم، ويجمعها النظر للدين وللموضوعات الدينية على أنها ظواهر يمكن دراستها، ثم كل مدرسة تقدم أدوات ومفاهيم لتحليل الظاهرة ودراستها.

ويصعب هنا حصر تلك الأدوات والمفاهيم، فهي كثيرة، بل المفهوم الواحد يختلف حوله الآراء من مدرسة لأخرى، ولكنها بمجموعها شكّلت مخزوناً كبيراً يغرف منه المفكرون العرب المقلدون للغرب.

ومع ذلك فهناك مفاهيم وأدوات ذات شهرة واستعمال، يمكن التمثيل بها، مثل: الأسطورة، النسبية، اللاشعور، التعصب، الأيدلوجيا، التخيل، الإبستمولوجيا، التناس، الخطاب، الدوغمائية، التاريخية، التقديس والمقدس، الطوطم والمحرمات، الشفهي والكتابي، البطركية، سلطة النص، سلطة الإجماع، التفكيك، الطبقة، الجندر، الديالكتيك، الإجماع السيولوجي، الحقيقة السيولوجية، وغيرها<sup>(١)</sup>.

فهل يمكن لهذه المنهجيات أن تقدم خدمة للمتدبر؟ تدعي هذه المنهجيات انتسابها للعلم، ومن ثم حصانتها عن الغلط واللبس، وعليه فهي قادرة على اكتشاف المعنى. ولكن يكفي في إبطال هذه الدعوى ما تقوله كل مدرسة في أختها من دعوى عدم العلمية، ومن بين ما يهمننا في هذا المجال ما يدور حول «نظرية المعنى»، حيث تزعم تلك العلوم قدرتها على إيجاد نظرية في المعنى قادرة على التعامل معه.

(١) يمكن مراجعة أي معجم في العلوم الاجتماعية والإنسانية لمعرفة تكاثر المفاهيم والأدوات.

و«المعنى» هو مقصد المتدبر، وهو ما تزعم هذه المنهجيات قدرتها على تحريره، ولكن النتيجة التي وصلت إليه تلك المنهجيات هي نتيجة ضدّ المعنى، وخلاصة ما تقوله تلك المنهجيات بأن المعنى البكر الأول قد ضاع للأبد، ولم يبق معنا سوى القلب، وهو النص، وبما أن النص موجود، فما علينا سوى استثماره واستغلاله في وضع المعنى الذي نريد، ومن هنا جاءت مقولتنا بـ«المعنى الضائع» المعبر عن هذه الظاهرة.

### دور المرجعيات الثلاث في القراءات العربية:

ومن خلال هذه المرجعيات الثلاث: الاستشراق والفلسفة والعلوم الاجتماعية خرج مفهوم القراءة، قد يكون بعضهم متخصصاً في الفلسفة ولكنه يأخذ الإسلام عن طريق كتابات المستشرقين ويستفيد من العلوم الاجتماعية، أو قد يكون من أقسام العلوم الاجتماعية فيأخذ الإسلام الذي يريد أن يدرسه عن طريق الاستشراق ويستفيد من الإطار انفسفي.

وإذا كانت القراءة مخصصة للوحي، فيمكن القول بأنها: استخدام النظريات الحديثة في قراءة القرآن الكريم والسنة النبوية<sup>(١)</sup>، سواء كانت هذه النظريات من دائرة الاستشراق أو كانت من دائرة الفلسفة أو كانت من دائرة العلوم الاجتماعية، أو كانت خليطاً مما سبق.

إذاً، يشتركون في وضعهم الاستشراق وسيطاً بينهم وبين الإسلام، ثم منهم من ينطلق من المدارس الفلسفية، ومنهم من ينطلق من الأقسام الاجتماعية. وقد كان غالبها نشاطات أكاديمية بحثية، تابعة للتخصص الذي يدرس فيه صاحب البحث، فهي بحوث ماجستير ودكتوراه وما يتبعها من مشاريع بحثية.

(١) ينظر القراءات المعاصرة.. د. محمد كالم، ص ٥٦.

يقول عبدالرحمن الحاج: مصطلح القراءة (يشير إلى مصادر منهجية معاصرة هي مناهج النقد الأدبي واللسانيات الحديثة، فنحن هنا إذن أمام استخدام لـ «مناهج» و«أدوات» جديدة في دراسة القرآن، نستطيع أن نقدّر بدايته في نهاية السبعينيات وبداية الثمانينيات حيث كانت المناهج الأدبية واللسانية قد أخذت حضورها إلى جانب الدراسات الأخرى - في العالم العربي، وبدأت تتسرّب إلى كل شيء، فكان لنا أن نرى عام (١٩٧٩م) «العالمية الإسلامية الثانية» لأبي القاسم حاج حمد، والتي اعتمد فيها على مزيج من المقولات اللسانية والفلسفية، ربما لأول مرة، وفي الثمانينيات ظهرت محاولة أركون في «قراءة» التراث الإسلامي، وتأويل النص الديني، ويعتبر أركون أكثر من توسّع في استخدام المناهج الحديثة وخصوصاً اللسانية، وحسن حنفي الذي حاول أن يؤسّس لتفسير معاصر اعتماداً على معطيات العصر المنهجية، ثم محمد شحرور في «الكتاب والقرآن: قراءة معاصرة» الذي اعتمد فيه على خليط من النبوية والتاريخية، ونصر حامد أبو زيد الذي طرح في «مفهوم النص» منهجه القائم على التأويلية (hermeneutic) من خلال نقد تراث علوم القرآن... وغيرهم<sup>(١)</sup>.

وبالنظر لتاريخ صدور أغلب الدراسات العربية التي اهتمت بالتراث، وطبقت منهجيات القراءة والفهم والتحليل الحديثة، نجد أنها تبدأ بعد ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م، وظهر فيها مصطلح مشهور عمّ أغلبها، وهو مصطلح «التراث»، فهناك رابط مشترك لأغلب تلك الدراسات أو القراءات، هو التراث، أي التراث الإسلامي، ثم بعضهم يتحايل من

(١) ظاهرة القراءة المعاصرة للقرآن وأيدولوجيا الحدائث، عبدالرحمن الحاج، التسامح، ص ٢٢٧، مجلة فكرية تصدر عن وزارة الأوقاف العمانية، العدد الأول، شتاء ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م، ونقل عنه الدكتور محمد كالوا أنه يمكن إعادة هذه القراءات إلى سنة ١٩٥٠م عندما كتب المستشرق الياباني (إيزوتسو) دراسته عن بنية المصطلحات الأخلاقية في القرآن. ينظر القراءات المعاصرة... د. كالوا، ص ٨٢، وينظر مناهج الفكر العربي المعاصر... شاكير أحمد، ص ٢٤.

خلاله للدخول على نصوص الوحي، وبعضهم يُصرّح دون لَفّ أو دوران بتبجح غريب، ويتعامل مع نصوص الوحي بالنقد أو بالتأويل الفوضوي، وهذه بعض النماذج لتلك الدراسات:

التموج أو المثال	المنهج المتبع فيه	وظف موجز
النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية، حسين مروءة، من التراث إلى الثورة، النص القرآني أمام إشكالية البنية والقراءة، د. طيب تزيني (١).	ماركسي (فلسفي)	استخدام المفاهيم التي سَكَّها ماركس ومجموعة الماركسيين، وبخاصة التفسير الاقتصادي، فهناك بنية تحتية قوامها الاقتصاد، وبنية فوقية ناتجة عن التحتية ومن أمثلتها الثقافة والدين. والنقطة الجوهرية هي تفسيرهم للدين على أنه انعكاس للوضع المادي والاقتصادي.
الثابت والمتحول: بحث في الإتياع والإبداع، أدونيس.	ظاهراتي/فيمونولوجي (فلسفي)	استخدام فلسفة الظواهرية، ومن منهجيتها أن المفكر يدرس الموضوع من خلال ربطه بالوعي الذاتي، فهو على عكس الوضعيين الذين يريدون الفصل بين الذات والموضوع، أما تطبيقات أدونيس فهي تقوم على انتقاء وقائع تراثية فكرية للفرق الغالية ورفعها، وتهميش موضوعات دينية مجمع عليها عند الأمة وانتقاصها.
المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري، د. زكي نجيب محمود.	وضعي/الوضعية المنطقية (فلسفي)	الوضعية المنطقية في تجربة «محمود» تقوم على تحليل الموضوعات التراثية إلى أصغر وحدة، ثم يبحث لها عن مقابل محسوس، أو يبحث لها عن فائدة محسوسة، فإن وجد المقابل قبل ذلك الموضوع. وهذا له صلة بالوضعية المنطقية والفلسفة الإنجليزية التحليلية التي تأثر بها المؤلف.

(١) ينظر مثلا مناهج الفكر العربي...، شاكير أحمد، ص ٤١.

<p>التجربة الوجودية عند «بدوي» وفي أوج نشاطه تقوم على تصور يعطي للفرد منزلة مستقلة عن أي شرط خارجي، فالفرد هو من يقرر، ومن ذلك قرار الإلحاد والتمرد على الدين، من هنا جاء عرضه لتجارب إلحادية.</p>	<p>وجودي (فلسفي)</p>	<p>من تاريخ الإلحاد في الإسلام، مذاهب الإسلاميين، د. عبدالرحمن بدوي.</p>
<p>يجمع «حرب» بين التأويلية الفلسفية وبين التفكيكية، والأخيرة مدرسة معاصرة أنشأها الفيلسوف اليهودي «جاك دريدا»، وقد استعرض شيء من التأويل في ثنايا البحث، أما التفكيك فلا يستقر له قرار، وهي تسعى لهدم الأفكار من خلال إثبات تناقضها، ومن خلال ما تحفيه من معاني تتعارض مع ماتظهره...</p>	<p>تأويلي تفكيكي (فلسفي)</p>	<p>التأويل والحقيقة، فلسفة التأويل، د. علي حرب.</p>
<p>أشهر مدرسة نفسية حضوراً في العرب هي مدرسة «التحليل النفسي»، وما أنتجت من مفاهيم، مثل: الكبت، اللاشعور، العقدة، العصاب... وقد ظهرت مجموعة تنظر للدين على أنه مرض أو عصاب، وتفسر ذلك في ضوء مبادئ مدرسة التحليل النفسي....</p>	<p>مناهج علم النفس<sup>(١)</sup></p>	<p>إعادة قراءة التراث في ضوء المنهجيات النفسية، د. علي زيعور، الإسلام والتحليل النفسي، د. فتحي سلامة.</p>
<p>ظهرت مدارس مختلفة، ولم تشتهر مدرسة بعينها في الفكر العربي، باستثناء سيطرت النظرية الصراعية على الاتجاه الماركسي، بينما الغالب على الآخرين الانتقاء من مفاهيم المدارس الاجتماعية المختلفة، مثل: المخيال، الإجماع الاجتماعي/السوسيولوجي،...</p>	<p>مناهج علم الاجتماع</p>	<p>بني المقدس عند العرب قبل الإسلام وبعده، يوسف شلحد.</p>

(٣) ينظر مناهج الفكر العربي...، شاكير أحمد، ص ١١٣.

<p>لديهم أدوات ومفاهيم شائعة، مثل: الذكورية، الأبوية، البطركية، القمع، الجندرية..</p> <p>كأن يقال بأهمية صياغة الفقه الإسلامي من منظور نسوي، فيكتبه النساء بحجة تحكم الرجال به كل القرون الماضية وكتابتهم له وفق منظور ذكوري، وكذا التفسير، وهكذا...</p>	<p>نسوي (فلسفي)</p>	<p>تعدد المعنى في القرآن، ناقصات عقل ودين، الإخبار عن المرأة في القرآن والسنة، حيرة مسلمة في الميراث والزواج والجنسية المثلية، جميعها لآفة يوسف.</p>
<p>المركب أسلوب جديد، وتحول فكري عند المفكرين العرب المقلدين للغرب، فبعد أن ظهرت أقسام الفلسفة في الجامعة العصرية، جاء الابتعاث للطلاب لدراسة مذاهب معينة، ومن ثم يتحول الدارس إلى داعية لهذا المذهب أو ذلك، فنجد الوضعي والوجودي والمثالي واليساري والديكارتي والكانطي والهيغلي، وهذا مستمر لليوم...</p> <p>ولكن هناك طائفة جديدة، ترى إمكانية تركيب منهجية من عدة مدارس، ومن أمثلتهم أصحاب المناهج التركيبية...</p>	<p>مركب<sup>(١)</sup>: بنيوي لغوي - تاريخي - أيولوجي</p>	<p>مشروع التراث والحداثة (نقد العقل العربي)</p> <p>مجموعة كتب للدكتور محمد الجابري</p>
	<p>مركب: الفمونتولوجيا - اليسار الغربي</p>	<p>مشروع التراث والتجديد</p> <p>مجموعة كتب للدكتور حسن حنفي</p>

(١) وقد وصفها شاكير أحمد بـ: (إستراتيجية التعدد المنهجي والمفهومي)، ينظر مناهج الفكر العربي..

	مركب: اللغوي - التاريخي - الإنثروبولوجي - الفلسفي	مشروع الإسلاميات التطبيقية (نقد العقل الإسلامي) مجموعة كتب للدكتور محمد أركون
--	--	---

هذه النماذج من بين نماذج كثيرة، ويجمعها تحولها التاريخي نحو التراث، بما يشكل ظاهرة، ولكن هذه الظاهرة تغطي التراث بمجمله، وأما عندما تقف مع نصوص الوحي فهي نماذج جزئية، ومع ذلك فمن تحول منهم نحو النصوص: فإنه يطبق عليها نفس المنهجية التي طبقها على التراث، وقد يكون سبب تأخر بعضهم هو الخشية من عواقب فعله، يقول محمد الهلالي حول بعض هذه القراءات: (لقد سبق لكثير من الباحثين أن أنجزوا «حواراً» مع الإسلام من وجهة نظر ماركسية، أو تقدمية اشتراكية، أو إلحادية، أو وجودية، أو دينية يسارية، أو تأويلية موضوعية... ولكن ذلك «الحوار» ظل مطبوعاً بسمة سلبية أساسية وهي: التعصب الناتج عن ردة فعل..)<sup>(١)</sup>، ويقول طه عبدالرحمن حول علاقة هذه القراءات بالقرآن: (إن القراءات الحداثية، ولو أنها تزعم تفسير «النص القرآني» على طريقتها كما فسره المتقدمون على طريقتهم، فإنها، في الحقيقة، لا تتعدى تفسير بعض الآيات المأخوذة من سور مختلفة أو بعض الأجزاء من السور القصيرة، لذلك آثرنا استعمال عبارة «الآيات القرآنية» على عبارة «النص القرآني»)<sup>(٢)</sup>.

وهذه النماذج أيضاً تتصف بأنها نماذج أيولوجية، فصاحبها ينتمي لمدرسة فلسفية، أو ركب منهجيته من مدارس معينة، وتعصب لها، وأقحمها على نصوص الوحي، مُدْعياً فيها الكمال والعلو.

(١) من تقديمه لكتاب الدين في عالمنا، ص ٥.

(٢) روح الحداثة، طه عبدالرحمن، ص ١٧٦، هامش ٣ في موضوع: القراءات الحداثية للقرآن.



وهذه النماذج تتصف أيضاً بأنها نشأت في إطار علماني غير مستوعب للبعد الإلهي في نصوص الوحي، إنها نماذج تتكيف مع نصوص بشرية بكل أبعادها ولا تتكيف مع نصوص إلهية، ومن هنا كانت المنهجيات الإسلامية هي الوحيدة المحققة لمتطلبات التعامل مع نصوص الوحي. ومع أن بعضهم ممن ينتمي للعلمانية تجده يعترض على التطبيقات الإسلامية في التفسيرات العصرية، ثم تجده هو بنفسه يقوم بتطبيقات لمنهجيات ذات منحنى وضعي على نصوص الوحي، وهذا من تناقضهم.

وهذه النماذج كما ظهر تتخذ وسيطاً بينها وبين التراث الإسلامي، وهو الاستشراق، وقد غلب على هذه النماذج حضور الوسيط الاستشراقي، فهو قنطرة بينهم وبين التراث الإسلامي، ومن آثار الجمع بين الإطار العلماني والوسيط الاستشراقي أن أتت القراءات مشوهةً منحرفة، ومعادية للوحي والإسلام والتراث، ومن يطالع النماذج السابقة يجد حجم المرجعية الاستشراقية في حواشي كتبهم وفي النصوص الأساسية التي كتبوها.

## المبحث الثالث

### واقع القراءات المعاصرة

في القسم الأول وعبر العرض المنهجي تميزت القراءة عن التفسير والتأويل بأن القراءة تُركّز على القارئ بينما التفسير وتأويل الفرق يُركّز على معنى النص، وفي القسم الثاني تم إيضاحها من خلال مسيرتها التاريخية الحديثة بالتوازي مع مسيرة التفسير والتأويل الديني، وهنا في القسم الثالث والأخير يُطرح واقعها المعاصر مع نماذج تُبيّن حقيقتها.

القراءة الحداثية المعاصرة هي إيجاد معنى للنص من خلال منهجية فلسفية وفكرية، قد تكون ماركسية أو تأويلية (هرمنيوطيقية) أو وجودية أو لسانية أو سيميائية أو من ميدان العلوم الاجتماعية مثل: النفسية أو الاجتماعية: كالتحليل النفسي، أو النظرية الوضعية الاجتماعية، وهكذا، فهو يقول إن المعنى الذي يذكره قد توصل إليه من خلال تلك المنهجية التي سلكها، وغالبهم يزعم في تلك المنهجيات قدرتها في اقتناص المعنى بما يفوق المنهجيات التراثية.

تشارك المنهجيات الثلاث- التفسير والتأويل والقراءة - في البحث عن المعنى، ولكن الرؤية والمنهجية مختلفة بينها، رؤية القراءة وبخاصة في صورتها العلمانية تقوم على نزع القداسة عن نصوص الوحي، إنها نصوص مفصولة عن قائلها، وإذا كانت كذلك فهي نصوص تقبل القراءة البشرية وفق مناهج البشر، وتبعاً لهذه الرؤية فيمكن تطبيق المناهج البشرية الإنسانية التي تطبق على أي نص.

وأصبح النص وفق هذه الرؤية مكاناً للتجربة، ولم يعد مرجعاً لأخذ الحقائق والتوجيه، يُجرب أحدهم مناهجه التي اقتنع بها، وبخاصة أن الإسلام ونصوصه

وترائه ما زال بعيداً عن هذه القراءات، مما يعدّ عندهم أرضاً خصبة لتجريب تلك المنهجيات. وبما أن الورقة محددة بصفحات فيني أكتفي بالإحالة إلى نص جامع يوضح حقيقة القراءة عند أحد المنظرين لها<sup>(١)</sup>:

### القارئ لا القائل:

- (يكون المرجع الأول والأخير هو شعور الباحث وشعور القارئ والتجربة المشتركة بينهما)، ص ٥٢٥.
- (ليست القراءة مجرد شرح أو تفسير أو تأويل للمقروء بل هي إعادة بناء له طبقاً لتصور القارئ فرداً أو جماعة)، ص ٥٢٩.
- القراءة تفترض تصوراً للنص يسمح بهذه المساحة من القراءة، ويصبح الفرق بين المؤلف والقارئ معدوماً...، ينظر ص ٥٣٠-٥٣١.
- (قد يتغير معنى النص حسب الأحوال النفسية للقارئ الواحد، وحسب الفروق بين الأفراد...)، ص ٥٣٩.
- (المعنى يأتي من النفس أولاً كحاجة أو رغبة أو أمنية ثم تجذ ما يقابلها في النص فتتطابق معه وتتشبث به على أنه التفسير الصحيح. في الظاهر يبدو أن المعنى الموضوعي قد انتقل من النص إلى الذهن، وفي الحقيقة ينتقل المعنى الذاتي من الشعور إلى النص)، ص ٥٤٠.
- (كل قراءة تبدأ بمعرفة شيء ما، معرفة ما يحتاجه القارئ أولاً، ماذا يريد أن يقرأ

(١) الإحالات هنا للدكتور حسن حنفي في كتابه: دراسات فلسفية، وتحت عنوان: قراءة النص، وسبب اختياره أنه من أشهر المعاصرين في دراسة التراث وفق منهجيات القراءة، ومنها: من العقيدة إلى الثورة، خمسة مجلدات في العقيدة، من النص إلى الواقع، مجلدان، الدين والثورة، ثمانية أجزاء، وهكذا.

في النص، وهو الذي يعطيه دلالاته. والنص يتجاوب معه...، ص ٥٤٦ (١).

### حقيقة القراءة:

□ النصوص أربعة: أدبي، وقانوني، وتاريخي، وديني وأصعبها هو الديني، ينظر ص ٥٢٧.

□ قراءة النص: القراءة هنا تعني الفهم، والنص هو موضوع الفهم...، ينظر ص ٥٢٦.

□ (وبعد كل تراكم معرفي يأخذ النص أبعاداً جديدة لم تكن مقروءة فيه من قبل ولا موجودة في النواة الأولى للنص)، ص ٥٣٠.

□ (النص صورة بلا مضمون، روح بلا جسد، والقراءة هي التي تعطيه مضموناً وجسداً).

□ (القراءة هي التي تحدد مضمون الخطاب)، ص ٥٣٥.

□ النص لا يحتوي على معنى موضوعي والقراءة هي التي تحيله إلى معنى...، ينظر ص ٥٣٦.

□ (القراءة خلق جديد للنص واكتشاف لمكونات فيه لم تكن مقصودة في نشأته الأولى)، ص ٥٣٨.

□ (فالمحكّم هو الذي يحتوي على معنى واحد والمتشابه هو الذي يوحى بمعنيين

(١) يقول في موطن آخر: (فكل خطاب من الله... هو خطاب عن الله... وأصبح علم التأويل أو الهرمنوطيقا علماً إنسانياً وليس علماً مقدساً بفضل شليرماخر. فالكلام يتكون في وعي الإنسان. وهو الذي يحدد مقاصده) إلى أن قال: (فما تصوره القدماء إنه من وحي الله أعيد اكتشافه على أنه من وضع الإنسان. وقد أدى ذلك إلى تغيير مفهوم الوحي والنبوة)، حصار الزمن، د. حسن حنفي، ص ١٨.

طبقاً لاختيار الإنسان الذي يحدده وضعه في العالم)، ص ٥٣٥.

- (لا يوجد تفسير صحيح وتفسير خاطئ بل يوجد تفسير قصدي سواء في انتفاء النص أو في موضوع تطبيقه أو ما أسماه القدماء «المناط». وليست مناهج التفسير إلا تبريرات للذات أمام النفس وأمام الجماعة وأمام التاريخ)، ص ٥٣٩.
- (أصبح علم التفسير جامعاً لعدة علوم مثل علم النفس وعلم اللغة وعلم الاجتماع، كما أصبح عصباً لنظريات المعرفة والوجود والقيم على حد سواء...)، ص ٥٤٧.

## الخاتمة

للأسف نحن أمام تجربة لم تخرج بشكل إيجابي في واقعنا الثقافي المعاصر، نعم هي تجربة كبيرة وضخمة: عدد كبير من الفلاسفة والمفكرين والكتاب، كتب ومجلات وكتابات، نشاط واسع، مدارس مختلفة، ومع ذلك فهذه الجهود الكبيرة سقطت فريسة التقليد الأعمى للفكر العلماني الغربي، ومع أن الغرب الحديث قد عرف مدارس غير علمانية إلا أن حضورها في كتابات العرب غير واضح مقارنة بحجم وضوح المدارس العلمانية والإلحادية.

لا بد هنا أن نفرق بين نشاطين لهذه المدارس المتغربة:

نشاط مُمَيَّز يقوم على استيعاب المنهجيات الحديثة، وقد كان من المتوقع لمن المفترض- أن يثمر حركة فكرية إيجابية داخل العالم الإسلامي، ولكن للأسف، فبسبب عدم إحسانهم التعامل مع تلك المنهجيات تحوّلوا لأداة هدم في ثقافتنا.

ونشاط فلسفي عقيم، يقوم على التبعية العمياء، والتبجح بعبارات الإلحاد، والطعن في الكتاب والسنة، واتهام الإسلام بكل نقص، وتطبيق أدوات نقدية قصد تشويه الإسلام أو التشكيك فيه أو هدم ما يستطيعون هدمه. وهي عملية قديمة لأعداء الإسلام، ولكن الجديد مع هؤلاء: دعواهم أنهم يعملون لصالح الأمة العربية والإسلامية.

ومع وجود انعطافات لبعضهم آخر حياته، وبخاصة من بعض الرموز الحقيقية، إلا أننا نلاحظ عدم استفادة الأجيال من تلك الدروس. ولهم اعترافات مشهورة تقطر المأ وتنضح صراحة في العماية التي كانوا عليها وكيف كانوا أدوات في يد غيرهم.

ومن هذه العمومية إلى الخاص، أي أسلوب تعاملهم مع الوحي، الوحي الذي يدور حوله الإسلام ويستقي منه ويرجع إليه، نجدهم قد حسموا خيارهم بجعل الوحي مادة مُتَهَمَة تطبق عليها منهجيات الفكر الفلسفي والاجتماعي لتأكيد التهمة، يبدؤون من كتابات المستشرقين لجمع الشواهد ثم يطبق كل واحد منهم منهجيته في القراءة، والنتيجة هي الانتقاص للوحي وللتجربة الإسلامية المنبثقة منه ولتراث الأمة.

وهذا المنتج يمنع الروح الإسلامية من التدبر الأمثل للوحي، ويحرمها من التبصر فيه، والانتفاع به، فهو نظارة تشوه الوحي أو تباعد بين المتدبر والنص أو تحول النظر لمكان غير صحيح.

ولهذا فالمصالحة مع هذا الاتجاه ومع إنتاجه الفكري غير ممكنة وغير مفيدة ومن ضياع الوقت، والحلّ هو في إحداث قطيعة مع فكرهم، فهي تجربة تاريخية فاشلة يجب أن نزميها خلفنا، أليسوا يتحدثون عن أهمية القطيعة الاستمولوجية مع تراثنا الإسلامي؟ أليس نشاطهم منصباً على تدمير عناصر استمرار التراث في الحاضر من أجل إنجاز القطيعة؟ وعليه فيجب قلب المعادلة، ويتوجه نشاطنا الفكري نحو الشرخ الذي أحدثوه في الفكر الإسلامي، فنقوم بنقده ونقضه من أجل إحداث القطيعة معه، وتصفية البيئة الفكرية الإسلامية منه، لكي نعود للوحي فنستقي منه عناصر انطلاقتنا المعاصرة، وهذه المرحلة من أفضل المراحل الزمنية لتكثيف دعوات مقاطعة الفكر العلماني بعد أن فقد الدعم الخارجي وفشل في تحقيق أي منجز مفيد للأمة العربية والإسلامية.

إنه انتصار عظيم للفكر الإسلامي، فمع انتشار المدارس الفكرية العلمانية، ومع تولي بعضها قيادة مؤسسات تعليمية وثقافية وفنية، ومع نشرهم كل كتب المستشرقين،

وكتابتهم موضوعات في نقد الإسلام وتشويهه، وإخراجهم كتابات الطاعنين في الإسلام، ومع كل ذلك يقول الواقع شيئاً مغايراً، فأقبال الناس على الكتاب الإسلامي وعلى المرشح الإسلامي وعلى المرجعية الإسلامية يمثل حركة اجتماعية كبيرة، ومن المكابرة إعادتها لأسباب مُدعاة يكررها أقطاب الفكر العلماني. فيكون من حق الأمة على مفكريها وعلمائها أن يزيلوا تلك المنهجيات المنحرفة في قراءة الوحي، ويقوموا بعملية إحياء للمنهجيات الإسلامية الأصيلة.

وهذا الموقف لا يمنع الاستفادة من منجزات العقل البشري، بقدر ما فتح الله على الناس من الأمور النافعة، ولا يمنع من فتح النقاش مع الحضارات المختلفة، ووزن ما لديها بميزان العدل، قال تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء: ٥٨]، وقال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٦٤]، فمعنا الميزان الذي نزن به الأمور، والذي يقيم العدل فيما اختلف فيه الناس واختلفت فيه الحضارات.

### وختاماً فهذه بعض النتائج:

- تعدد مناهج القراءة مناهج مميزة، وهي ظاهرة بارزة في تاريخ الفكر الإنساني، ويمكن الاستفادة منها في قراءة ما يناسبها من موضوعات، ويمكن للثقافة الإسلامية أن تتفاعل معها بعد القيام بما يتناسب من التعديلات.
- قد يظن البعض أن التراث الإسلامي كان غفلاً من القراءات، ومن المنهجيات، والحقيقة أن الدراسات المقارنة تثبت وجود جهود داخل التراث الإسلامي ومكتشفات منهجية، فهناك أفكار جوهرية موجودة في التراث، ولكن مع ما



قد يُعترض به على منهجياتنا إلا أنها نشأت في فضاء ديني يمنحها قدرة على إفادة التدبر الأمثل بخلاف المعاصرة فقد نشأة في فضاء علماني يعيق التدبر<sup>(١)</sup>.

□ مناهج القراءة ليست مناهج محايدة، فهي تتأثر بالأصول الفكرية السائدة، ومعلوم أن الفكر الغربي الحديث قد تحكمت بمسيرته أصول معارضة للدين، مثل: العلمانية والمادية والعقلانية الحسية القاصرة. وتبعاً لذلك فقد تأثرت مناهج النظر والقراءة والتفسير والنقد بتلك الأصول.

□ تتأثر مناهج القراءة بأهواء المطبقين لها وميولهم واختياراتهم، وقد ظهرت تيارات علمانية في فكرنا الحديث، وبسبب هذا المنزع العلماني تمّ توظيف المنهجيات الحديثة بما يتفق مع منزعهم واختيارهم، فظهرت تلك المناهج وكأنها علمانية المظهر والمخبر. وهذا التوظيف قد أساء لتلك المنهجيات وأوجد لها نفوراً كبيراً في العالم الإسلامي.

□ يحتاج الفكر الإسلامي لموقف حاسم من الفكر العلماني وتسرباته في العلوم الاجتماعية والإنسانية، ويحتاج لقطيعة من خلال عمليات نقد منهجي وعلمي، والأمر يختلف مع منهجيات القراءة، فهي في مجملها منهجيات مقبولة، وبعضها مفيد، وهي تحتاج لتنقية واستصلاح.

□ دوائر الانتماء التصورية توضح الفرق في طريقة التعامل مع نصوص الوحي: فالتفسير يظهر في دائرة الدين، والتأويل في دائرة الفرق، والقراءة في الدائرة الفكرية. دائرة التفسير وقيّة لمعنى النص، ودائرة التأويل متصلة بالمتشابه، ودائرة القراءة مرتبطة بالقارئ.

(١) ينظر مثلاً: التلقي والتأويل، محمد مفتاح، قراءة النص، د. عبدالرحيم الكردي.

- تاريخنا الحديث هو صراع كبير بين ثلاث منهجيات: منجية التفسير وأهلها ينشرون دعوات الإصلاح، ومنهجية التأويل وأهلها يريدون حلّ إشكالات التعارض، ومنهجية القراءة وأهلها يريدون إبراز ذواتهم من خلال المنهجيات التي اقتنعوا بها والرؤى التي اعتنقوها.
- التدبر الأمثل لن يكون إلا بروح متحررة من سلبيات المناهج العلمانية، مستوعبة لموروث السلف، مقبلة بصدق نحو القرآن، عندها تحصل على الشفاء.

## المراجع

- ١) إبطال التأويلات لأخبار الصفات، أبو يعلى الفراء، تحقيق محمد النجدي، إيلاف، الكويت، دون بيانات أخرى.
- ٢) الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة ١٧٩٨-١٩١٤...، د. علي المحافظة، الأهلية، بيروت، طبعة ١٩٨٧م.
- ٣) الإتقان في علوم القرآن، لأبي الفضل عبدالرحمن السيوطي، الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ
- ٤) آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره، د. عمر رضوان، طيبة، الرياض، ط١، ١٤١٣هـ
- ٥) أسس التقدم عند مفكري الإسلام، د. فهمي جدعان، الشروق، عمان-الأردن، ط٣، ١٩٨٨م.
- ٦) الأسس الفلسفية لنقد ما بعد النبوية، د. محمد سالم سعد الله، الحوار، اللاذقية، سوريا، ط١، ٢٠٠٧م.
- ٧) الإسقاط في مناهج المستشرقين والمبشرين، د. شوقي ابو خليل، الفكر، دمشق، طبعة ١٤١٩هـ.
- ٨) إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي العربي المعاصر، عبدالغني بارة، الهيئة المصرية للكتاب، طبعة ٢٠٠٥م.
- ٩) الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء...، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٨، ١٩٨٩م.

- ١٠ الإكليل في المتشابه والتأويل، شيخ الإسلام ابن تيمية، ضمن مجموع الفتاوى، ٢٧٠/١٣.
- ١١ آليات المنهج الاستشرافي في الدراسات الإسلامية، د. حسن عزوزي، مطبعة أنفو، فاس، المغرب، سنة ٢٠٠٧م.
- ١٢ بحوث في القراءة والتلقي، فيرناند هيلين ..، ترجمة د. محمد البقاعي، مركز الإنماء الحضاري، سوريا، ط١، ١٩٩٨م.
- ١٣ البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد الزركشي، تحقيق محمد إبراهيم، دار إحياء الكتب، بيروت، ط١، ١٩٥٧م.
- ١٤ تأثير النظريات العلمية في الفكر التغريبي، د. حسن محمد الأسمرى، بحث دكتوراه غير منشور، مقدم لقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، جامعة الإمام، الرياض، سنة ١٤٢٨هـ.
- ١٥ تاريخ القرآن، تيودور نولدكه، تعديل فريديريش شفالي، ترجمة د. جورج تامر، دار جورج المزر، نيويورك، طبعة ٢٠٠٠م.
- ١٦ التفسير القرآني واللغة الصوفية في فلسفة ابن سينا، د. حسن عاصي، المؤسسة الجامعية، بيروت، ط١، ١٩٨٢م.
- ١٧ التفسير والمفسرون، د. محمد حسين الذهبي، التراث العربي، بيروت، دون بيانات أخرى.
- ١٨ التلقي والتأويل .. مقارنة نسقية، د. محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، بيروت والدار البيضاء، ط١، ١٩٩٤م.

- (١٩) التواصل اللساني والشعرية .. مقارنة تحليلية لنظرية رومان جاكسون، الطاهر حسين، الاختلاف الجزائرية ...، ط١، ٢٠٠٧م.
- (٢٠) الثابت والمتحول، بحث في الاتباع والإبداع عند العرب، أدونيس.. علي أحمد سعيد، العودة، بيروت، ط٤، ١٩٨٣م.
- (٢١) جناية التأويل الفاسد على العقيدة الإسلامية، د. محمد أحمد لوح، دار ابن عفان، الخبر، السعودية، طبعة ١٤٢٨هـ
- (٢٢) حوار المشرق والمغرب، د. حسن خنفي، د. محمد الجابري، مدبولي، القاهرة، ط١، ١٩٩٠م.
- (٢٣) الخروج من التيه، د. عبدالعزيز حمودة، عالم المعرفة الكويتية، رقم (٢٩٨)، طبعة ٢٠٠٣م.
- (٢٤) درء تعارض العقل والنقل، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق د. محمد رشاد سالم، دار الكنوز الأدبية، دون بيانات أخرى.
- (٢٥) دراسات فلسفية، د. حسن حنفي، الأنجلو مصرية، القاهرة، دون بيانات أخرى.
- (٢٦) دفاع عن القرآن ضد منتقديه، د. عبدالرحمن بدوي، ترجمة د. كمال جاد الله، الحليل للكتب والنشر دون بيانات أخرى.
- (٢٧) دليل الناقد الأدبي، د. ميجان الرويلي، د. سعد البازعي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-بيروت، ط٣، ٢٠٠٢م.
- (٢٨) دوائر الهيرمنيوطيقا عن بول ريكور، ريتشارد كيرني، ترجمة سمير مندي، الأزمنة الأردنية، ط١، ٢٠٠٩م.

- (٢٩) الدين في عالمنا، إشراف جاك دريدا وجياني، ترجمة محمد الهلالي وحسن العمراني، توبقال، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٤م.
- (٣٠) ذم التأويل، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، تحقيق: بدر البدر، الدار السلفية، الكويت، ط١، ١٤٠٦هـ.
- (٣١) روح الحداثة - المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، طه عبدالرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٦م.
- (٣٢) سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، دار الكتاب العربي، بيروت، دون بيانات أخرى.
- (٣٣) سنن الترمذي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون، دون بيانات أخرى.
- (٣٤) صحيح الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، لبنان، ط٢، ١٤٠٦هـ.
- (٣٥) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية...، أبو الحسن الندوي، القلم، الكويت، ط٤، ١٤٠٣هـ.
- (٣٦) صناعة المعنى وتأويل النص، ندوة نظمها قسم العربية من ٢٤-٢٧/١٩٩١، كلية الآداب بمنوبة، جامعة تونس، ١٩٩٢م.
- (٣٧) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، ابن القيم الجوزية، تحقيق د. علي بن محمد، العاصمة، الرياض، ط٣، ١٤١٨هـ.
- (٣٨) ظاهرة التأويل الحديثة في الفكر العربي المعاصر...، د. خالد السيف، مركز التأصيل، جدة، ط١، ١٤٣١هـ.

- ٣٩ ظاهرة القراءة المعاصرة للقرآن وأيدلوجيا الحداثة، عبدالرحمن الحاج، ضمن مجلة التسامح، مجلة فكرية تصدر عن وزارة الأوقاف العمانية، العدد الأول، شتاء ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م، ص ٢٢٧.
- ٤٠ العلمانيون والقرآن الكريم.. تاريخية النص، د. أحمد إدريس الطعان، ابن حزم، الرياض، ط١، ١٤٢٨هـ
- ٤١ العلمنة والدين - الإسلام، المسيحية، الغرب، محمد أركون، ترجمة هاشم صالح، الساقى، لندن، ط١، ١٩٩٠م.
- ٤٢ فلسفة النقد ونقد الفلسفة في الفكر العربي والغربي، الندوة الفلسفية الخامسة عشرة للجمعية الفلسفية المصرية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م.
- ٤٣ الفلسفة والتأويل، نبيهة قاره، الطليعة، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.
- ٤٤ القراءات المعاصرة للقرآن الكريم في ضوء ضوابط التفسير، د. محمد كالم، اليمان، حلب، سوريا، ط١، ١٤٣٠هـ
- ٤٥ قراءات النص .. مقدمة تاريخية، أ.د. عبدالرحيم الكردي، الآداب، القاهرة، ط١، ١٤٢٩هـ
- ٤٦ كانت أو الفلسفة النقدية، د. زكريا إبراهيم، مكتبة مصر، مصر، دون بيانات أخرى.
- ٤٧ الكتاب والقرآن.. قراءة معاصرة، د. محمد شحور، سينا، القاهرة، ط١، ١٩٩٢م.

- ٤٨) كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي التهانوي، مكتبة لبنان، طبعة ١٩٩٦م.
- ٤٩) اللغة والتأويل.. مقاربة في الهرمينوطيقا الغربية والتأويل العربي الإسلامي، عمارة ناصر، الدار العربية، بيروت، ط١، ٢٠٠٧م.
- ٥٠) ما بعد الحداثة .. تجلياتها وانتقاداتها، إعداد وترجمة محمد سبيلا وعبد السلام بنعبدالعالي، توبقال، المغرب، ط١، ١٩٩٧م.
- ٥١) ما بعد الحداثة .. دراسة في المشروع الثقافي الغربي، د. باسم خريسان، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط١، ١٤٢٥هـ
- ٥٢) مجموع فتاوى ابن تيمية، جمع وترتيب عبدالرحمن بن قاسم، دار عالم الكتب، الرياض، طبعة ١٤١٢هـ
- ٥٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، تحقيق محمد الفقي، توزيع دار الإرشاد الحديثة.
- ٥٤) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، طبعة ١٩٧٩م.
- ٥٥) مفهوم القراءة عند الحداثيين وعلاقته بالتفسير، د. فاطمة الزهراء الناصري، شبكة التفسير على هذا الرابط: <http://www.tafsir.net/vb/> :/tafsir26544
- ٥٦) مفهوم النص - دراسة في علوم القرآن، د. نصر حامد أبو زيد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء..، ط٢، ١٩٩٤م.



- ٥٧ مفهوم تجديد الدين، بسطامي محمد سعيد، الدعوة، الكويت، ط١، ١٩٨٤م.
- ٥٨ مقدمة ابن خلدون، عبدالرحمن محمد بن خلدون، تحقيق د. علي عبدالواحد وافي، نهضة مصر، القاهرة.
- ٥٩ من فيصل التفرقة إلى فصل المقال... أين هو الفكر الإسلامي المعاصر؟ محمد أركون، ترجمة وتعليق هاشم صالح، الساقى، بيروت-لندن، ط١، ١٩٩٣م.
- ٦٠ مناهج الفكر العربي المعاصر في دراسة قضايا العقيدة والتراث، شاكير السحمودي، التأصيل، جدة، ط١، ١٤٣١هـ.
- ٦١ مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية، مجموعة باحثين، من إصدار المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومكتب التربية العربي لدول الخليج، تونس، طبعة ١٩٨٥م.
- ٦٢ مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي، بيروت، ط٣، دون تاريخ.
- ٦٣ منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، عثمان علي حسن، الرشد، الرياض، ط١، ١٤١٢هـ.
- ٦٤ منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، فهد عبدالرحمن الرومي، الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨١م.
- ٦٥ الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف وتخطيط ومراجعة د. مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة.. الرياض، ط٤، دون تاريخ.

- ٦٦ موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة، سليمان صالح الغصن، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤١٦هـ.
- ٦٧ موقف المستشرقين من الصحابة رضي الله عنهم، د. سعد الماجد، الفضيلة، الرياض، ط١، ١٤٣١هـ.
- ٦٨ النص القرآني أمام إشكالية البنية والقراءة، طيب تزيبي، الينايع، دمشق، طبعة ١٩٩٧م.
- ٦٩ النص من القراءة إلى التنظير، د. محمد مفتاح، النشر، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٠م.
- ٧٠ نظريات القراءة والتأويل الأدبي وقضاياها، د. حسن سحلول، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، طبعة ٢٠٠١م.
- ٧١ النظرية النقدية عند هيربرت ماركيوز، د. حسن محمد، التنوير، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.
- ٧٢ نقد الخطاب الديني، د. نصر حامد أبو زيد، سينا، القاهرة، ط١، ١٩٩٢م.
- ٧٣ نقد العقل بين الغزالي وكانط.. دراسة تحليلية مقارنة، د. عبدالله الفلاحي، المؤسسة الجامعية، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م.

# الإعجاز العددي وتدبر القرآن الكريم

إعداد

أ.د. إبراهيم بن صالح بن عبد الله الحميضي

الأستاذ بقسم القرآن وعلومه في جامعة القصيم - السعودية.



## السيرة الذاتية للباحث

- « الاسم: أ.د. إبراهيم بن صالح بن عبد الله الحميضي.
- « المؤهل العلمي: أستاذ دكتور في قسم القرآن وعلومه في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية في جامعة القصيم.
- « الجنسية: سعودي.
- « المؤهلات العلمية.
- حاصل على البكالوريوس في الشريعة من جامعة الإمام، كلية الشريعة وأصول الدين في القصيم.
- حاصل على الماجستير والدكتوراه في القرآن وعلومه من جامعة الإمام بن سعود الإسلامية بالرياض.
- « المشاركات والخبرات:
- أشرف وناقش عدداً من رسائل الماجستير والدكتوراه.
- يقوم بالتدريس في برنامج الدراسات العليا في قسم القرآن وعلومه بجامعة القصيم.
- عضو مجلس إدارة الجمعية العلمية السعودية للقرآن وعلومه في الدورة الثانية والثالثة.
- عضو هيئة تحرير مجلة العلوم الشرعية بجامعة القصيم.
- مشرف ملتقى المؤتمرات القرآنية.

- حضر عدداً كبيراً من الدورات التدريبية في مجالات مختلفة داخل المملكة وخارجها.

صمّم وقدم عدداً من الدورات التدريبية لجهات متعددة في مناطق مختلفة.

« الكتب والأبحاث والمقالات المنشورة:

- جمال القراء.

- منهج القرآن في محاربة الشرك.

- اختيارات ابن تيمية في التفسير جمعا ودراسة.

- تعظيم القول في التفسير وأثره في دفع القراءات المنحرفة المعاصرة للقرآن الكريم.

- نقد دعوى الإعجاز العددي في القرآن الكريم.

- شارك في عدد من البرامج الإعلامية .

- له عدد من المشاركات في الدروس والمحاضرات، والندوات والمؤتمرات والدورات

العلمية، وتحكيم المسابقات القرآنية داخل المملكة وخارجها.

## المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً. أما بعد:

فلا يخفى أن تدبر القرآن الكريم والاتعاظ بآياته، والعمل بما فيه هو الغاية من نزوله كما قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩].

فالواجب على كل مسلم ألا يكتفي بحفظ آياته وتلاوتها فحسب، بل لا بد أن يجمع مع ذلك الفهم والتدبر والعمل حسب الاستطاعة، كما هو حال سلف الأمة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان.

وتدبر القرآن الكريم له مناهج ووسائل ومعينات متنوعة ينبغي الاجتهاد في تحصيلها لكي تتحقق هذه العبادة الشريفة .

وفي هذا العصر الحديث ظهرت لبعض الباحثين وجوه جديدة لإعجاز القرآن الكريم، بعضها متفرع من وجوه أخرى، وبعضها جديد مستقل عن غيره، ومن هذه الوجوه الإعجازية التي ظهرت في هذا العصر، وكان لها رواج عند بعض الناس ما يسمّى (الإعجاز العددي في القرآن الكريم) حيث اعتنى به بعض الناس في هذا العصر، وكتب في أبحاث ومؤلفات، وعقدت فيه مؤتمرات وندوات.

وقد زعم أصحاب هذا المنهج أن عملهم من باب تدبر القرآن الكريم، واستنباط أسرار ومعانيه، وأن ذلك مما يزيد تعظيم القرآن في النفوس، ويدعو الكفار إلى الإسلام وتصديق القرآن.

والناظر في هذه الكتب والمقالات والأبحاث المكتوبة في هذا المجال يجد أنها مبنية على التكلف والتعسف، ليس لها قواعد ثابتة تبنى عليها، ولا أصول صحيحة تستند إليها، على تفاوت بينها في المناهج والاتجاهات، وأنها ليست من التدبر المحمود المأمور به.

ولذلك رَغِبَ الإخوة القائمون هذا المؤتمر القرآني المبارك أن أكتب عن هذا الموضوع وعلاقته بالتدبر، فكان هذا البحث الموسوم: (الإعجاز العددي وتدبر القرآن الكريم)، راجياً أن يسهم في ضبط المسار المنهجي الصحيح للكتابة في تدبر القرآن الكريم وما يتصل به، علماً أن نُشر لي بحث سابق بعنوان (نقد دعوى الإعجاز العددي في القرآن الكريم) وقد ذكرت خلاصته، ثم حاولت ربطه بموضوع تدبر القرآن، وما يترتب على توظيفه في هذا المجال من آثار..

### خطة البحث:

يشتمل هذا الموضوع على مقدمة، وتمهيد، وستة مباحث، وخاتمة، وهي كما يلي:

المقدمة: وفيها: أهمية الموضوع، وسبب الكتابة فيه، وخطة البحث، ومنهجه.

التمهيد: إعجاز القرآن الكريم: تعريفه ووجوهه.

المبحث الأول: نشأة ما يسمى الإعجاز العددي في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: أقوال أهل العلم فيما يسمى الإعجاز العددي.

المبحث الثالث: مناهج الباحثين فيما يسمى الإعجاز العددي ونقدها.

المبحث الرابع: الإعجاز العددي وتدبر القرآن الكريم.



المبحث الخامس: أثر الاشتغال باللطائف العددية على التدبر.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج مع التوصيات.

وسلكتُ في هذا البحث المنهج الاستقرائي والتحليلي النقدي، والتزمتُ بإجراءات البحث العلمي المعروفة؛ حيث عزوت الآيات القرآنية إلى سورها، وخرّجت الأحاديث والآثار، وذكرت أحكام الأئمة على ما ليس في الصحيحين من الأحاديث، ووثّقت النصوص من مصادرها، وضبطت المشكل، وعلّقت على ما يحتاج إلى تعليق.

وفي الختام، أحمد الله سبحانه وتعالى على ما منَّ به عليّ من إتمام هذا البحث، كما أشكر الهيئة العالمية لتدبر القرآن الكريم على تنظيم هذا المؤتمر القرآني المبارك. وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من أهل كتابه العزيز، العاملين به، إنه قريب مجيب.

## التمهيد: إعجاز القرآن الكريم: تعريفه ووجوهه

### تعريف موجز بإعجاز القرآن الكريم:

إعجاز القرآن مركب إضافي من كلمتين (إعجاز) و (قرآن)، فالإعجاز في اللغة: مصدر أَعَجَزَ، والفعل الثلاثي المجرد منه: عَجَزَ أو عَجَزَ، بفتح الجيم وكسرها، والعَجَزُ: الضَّعْفُ وعدم القدرة على الإتيان بالشيء، والتأخر عنه، ومعنى الإعجاز: الفوت والسَّبْقُ، يقال: أَعَجَزَنِي فلان، أي فاتني<sup>(١)</sup>.

والإعجاز اصطلاحاً: «أن يرتقي الكلام في بلاغته إلى أن يخرج عن طوق البشر، ويعجزهم عن معارضته»<sup>(٢)</sup>.

والمُعْجِزة: أمرٌ خارق للعادة، مقرون بالتحدي، سالمٌ من المعارضة، يجريه الله تعالى على يد نبيه، شاهداً على صدقه<sup>(٣)</sup>.

ومعجزة النبي ﷺ: ما أعجز به الخصم عند التحدي، والهاء للمبالغة<sup>(٤)</sup>، وسميت المعجزة معجزةً لأن البشر يعجزون عن الإتيان بمثلها<sup>(٥)</sup>.

والقرآن: مصدر قرأ على الصحيح، بمعنى الجمع والضم<sup>(٦)</sup>، وهو كلام الله تعالى

(١) انظر الصحاح ٢/ ٨٨٤، ومقاييس اللغة ٢/ ٢٢١، والمفردات ص ٥٤٧، وبصائر ذوي التمييز ١/ ٦٥، ولسان العرب ٥/ ٣٦٩، مادة (عجز)، وانظر كذلك: التعريفات للجرجاني ص ٢١٩.

(٢) التعريفات ص ٨٣.

(٣) انظر الإتيان ٥/ ١٨٧٣، ومناهل العرفان ٢/ ٣٥٤، ومباحث في إعجاز القرآن ص ١٤، ودراسات في علوم القرآن ص ٢٨١.

(٤) القاموس المحيط ٢/ ٢٩٠ مادة (عجز).

(٥) انظر أبحاث في علوم القرآن ص ٢٤٠.

(٦) انظر مقاييس اللغة ٢/ ٣٩٦، ولسان العرب ٦/ ٣٥٦٣ مادة (قرأ).

المنزل على نبيه محمد ﷺ المتعبد بتلاوته<sup>(١)</sup>.

والمراد بإعجاز القرآن: عجزُ الناس عن معارضة القرآن أو الإتيان بمثله<sup>(٢)</sup>.  
وأعظم معجزات النبي محمد ﷺ وأفضلها القرآن الكريم، وهو المعجزة الباقية  
الدائمة إلى قيام الساعة.

ومصطلح (الإعجاز) ظهر متأخراً، ويقال إنه لم يستعمل إلا في أول القرن الثالث،  
وأول كتاب يحمل هذا العنوان: (إعجاز القرآن)، لمحمد بن زيد الواسطي [ت ٣٠٦]  
وهو مفقود<sup>(٣)</sup>، وكان يطلق عليها الآيات، كما ورد في القرآن الكريم في آيات عديدة،  
ومنها قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا آيَاتُ اللَّهِ  
وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوْ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُثَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً  
وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [العنكبوت: ٥٠، ٥١].

وقال: «ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي  
أوتيت وحياً أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة»<sup>(٤)</sup>.

كما أطلق عليها القرآن الآية، والبيّنة، والبرهان، والسلطان، والبصيرة<sup>(٥)</sup>، وهذه  
الألفاظ القرآنية أدل على المقصود من لفظ المعجزات، ولهذا لم يرد لفظ (المعجزة)

(١) انظر دراسات في علوم القرآن للرومي ص ٢٣.

(٢) انظر محاضرات في علوم القرآن ص ٢٣٧، ودراسات في علوم القرآن ص ٢٨٨، وانظر كذلك مناهل  
العرفان ٢/ ٣٥٤. ويأتي تعريف الإعجاز العددي قريبا بعد ذكر وجوه الإعجاز انظر ص ١٢.

(٣) انظر مباحث في إعجاز القرآن ص ١٣، ودراسات في علوم القرآن ص ٢٩٢، ٢٩١، وإعجاز القرآن  
بين الإمام السيوطي والعلماء ص ٦٣.

(٤) أخرجه البخاري ٩/ ٥ ح ٤٩٨١، ومسلم ١/ ١٣٤ ح ٢٣٩.

(٥) انظر دراسات في علوم القرآن ص ٢٨٣، وإعجاز القرآن بين الإمام السيوطي والعلماء ص ٤٧.

في الكتاب والسنة<sup>(١)</sup>.

ونظراً لاشتهار لفظ (المعجزة) عند أهل العلم منذ القرن الثالث، وعدم وجود ما يمنع من استعماله لغةً وشرعاً، فلا بأس في إطلاقه، وإن كانت الألفاظ الواردة في الكتاب والسنة أولى.

### وجوه إعجاز القرآن الكريم

اختلف العلماء قديماً وحديثاً في تحديد وجوه إعجاز القرآن الكريم، فمنهم من توسّع في ذلك واستكثر من الوجوه، ومنهم حصرها في عدة وجوه<sup>(٢)</sup>، بل ذهب بعض العلماء إلى أن إعجاز القرآن الكريم منحصر في وجه واحد، وهو: نَظْمُهُ العجيب البديع الخارج عن معهود العرب في أساليب كلامهم، وقوانين بلاغتهم، وأما ما يذكره العلماء من الوجوه الأخرى فهي دلائل على صدق نبوة الرسول<sup>(٣)</sup>.

ومع تعدد وجوه الإعجاز يبقى وجه واحد منها محلّ اتفاق بين العلماء وهو الإعجاز البياني، على اختلاف بينهم في تحديد وجهه الدقيق، وذلك لأنه لا تخلو منه آية من كتاب الله، بخلاف الوجوه الأخرى فهي مفرّقة فيه<sup>(٤)</sup>، كما أنه هو المطابق لأحوال العرب وقت نزول القرآن؛ فإنهم قد اشتهروا بالبلاغة والفصاحة وقت نزوله، وقد

(١) الجواب الصحيح ٥ / ٤١٢، وانظر القائد إلى عين العقائد ص ١٦١.

(٢) انظر إعجاز القرآن للباقلاني ص ٤٨، وتفسير القرطبي ١ / ١١٦، والبرهان للزركشي ٢ / ١٠٣ وما بعدها، والإتقان ٥ / ١٨٧٩ وما بعدها، ومعتزك الأقران ١ / ٣، ومناهل العرفان ٢ / ٣٥٥، وأبحاث في علوم القرآن ص ٢٤٤ وما بعدها، وإعجاز القرآن لفضل حسن عباس ص ١٥١ وما بعدها، والمدخل الوجيز ص ٨٧ وما بعدها.

(٣) انظر جمال القراء للسخاوي ١ / ١٠٢، ومداخل إعجاز القرآن لأحمد شاكر، ص ١٦٢ - ١٦٣، ومحاضرات في علوم القرآن لغانم الحمد ص ٣٥٣.

(٤) انظر إعجاز القرآن الكريم ص ٢٨.

جرت سنة الله سبحانه وتعالى أن تكون معجزة كل نبي بما اشتهر به قومه وتفوقوا فيه، ولذلك يعتبر هذا الوجه أكبر وجوه الإعجاز وأظهرها<sup>(١)</sup>.

هذا، ويرى عدد من المحققين من أهل العلم أن إعجاز القرآن كائنٌ بجميع الوجوه الإعجازية التي ذكرها العلماء.

يقول ابن تيمية: «وكل ما ذكره الناس من الوجوه في إعجاز القرآن، هو حجة على إعجازه، ولا تناقض في ذلك، بل كل قوم تنبهوا لما تنبهوا له<sup>(٢)</sup>».

ويقول الزركشي: «قول أهل التحقيق:- إن الإعجاز وقع بجميع ما سبق من الأقوال لا بكل واحد عن انفراده...»<sup>(٣)</sup>.

وقد حصر بعضُ الباحثين المعاصرين وجوه الإعجاز التي ذكرها المتقدمون والمتأخرون في وجوه أربعة رئيسة، هي:

١. الإعجاز البياني، أو اللغوي.
٢. الإعجاز الغيبي، ويشمل الإخبار عن أنباء الأمم الماضية، وأخبار الحوادث المستقبلية.
٣. الإعجاز التشريعي.
٤. الإعجاز العلمي<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر دراسات في علوم القرآن ص ٣٠٨.

(٢) الجواب الصحيح ٤٢٩/٥.

(٣) البرهان ١٠٦/٢، وانظر معترك الأقران ٣/١.

(٤) انظر النبأ العظيم ص ٩٩، ومباحث في علوم القرآن للقطان ص ٢٧٠ وما بعدها، ومباحث في إعجاز القرآن ص ١٢١، ودراسات في علوم القرآن ص ٣٠٨ وما بعدها، وإعجاز القرآن الكريم ص ١٥٢.

وفي هذا العصر توسَّع الناس في هذا الباب وأبرزوا وجوهاً أخرى جديدة مثل: الإعجاز النفسي، والإعجاز القصصي، والإعجاز التأثيري، والإعجاز الحضاري، والإعجاز الاقتصادي، والإعجاز التربوي، والإعجاز العددي، والإعجاز الرياضي، والإعجاز الجدلي وغيرها<sup>(١)</sup>، وهذه الأنواع منها ما هو داخل في وجوه الإعجاز الكبرى المعروفة، ومنها ما هو تكلف محض.

وكون القرآن كتاباً مُعجزاً أمر لا جدال فيها، يدرك هذا العالم والجاهل، ولا يلزم من ذلك أن يظهر إعجازه في كل علم من العلوم الحديثة النظرية والتجريبية، بل إن ذلك قد يغضُّ من عظمة القرآن حينما يَعَجَزُ الكاتب أو المحاضر عن إقناع الناس بإثبات الوجه الإعجازي فيما ادَّعاه.

### تعريف الإعجاز العددي

الإعجاز العددي مصطلح مركب وصفي من كلمتين: (إعجاز)، و (عددي)، وقد تقدم تعريف الإعجاز، وأما العددي: فهو نسبة إلى العدِّ، وهو: الحساب والإحصاء<sup>(٢)</sup>. وهناك تعريفات عديدة له، ذكرها الباحثون في هذا الموضوع، ومن أوضحها ما يلي:

- «بيان إعجاز القرآن الكريم من خلال توافق الأعداد أو المعدودات فيه»<sup>(٣)</sup>.
- «وجه من أوجه إعجاز القرآن؛ يتناول ما ورد في القرآن الكريم من إشارات تتعلق بالروابط العددية بين حروفه وكلماته وآياته وسوره»<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر المدخل الوجيز ص ٢٥٣ وما بعدها.

(٢) انظر لسان العرب ٣/ ٢٨١، وتاج العروس ٨ / ٣٠٠ مادة (عدد).

(٣) وهذا تعريف الدكتور فهد الرومي، انظر ضوابط الإعجاز العددي في القرآن الكريم ص ٥.

(٤) التأصيل الشرعي للدراسات العددية في القرآن الكريم، لإيمان كامل ص ٧.

## المبحث الأول: نشأة ما يسميه:

### الإعجاز العددي فيه القرآن الكريم

مع كثرة الوجوه الإعجازية التي ذكرها العلماء السابقون، حيث بلغت عند السيوطي خمسةً وثلاثين وجهاً<sup>(١)</sup>، لم يسيروا إلى ما يتعلّق بالأعداد والأرقام من قريب ولا بعيد، مع أن علم عدّ آي وكلمات وحروف القرآن نشأ في صدر الإسلام، حيث ظهر عدّ الآي في عصر الصحابة، وتمّ عدّ الكلمات والحروف في عصر التابعين، في القرن الهجري الأول، وألفت فيه مؤلفات عديدة<sup>(٢)</sup>.

وإنما وُجد هذا المصطلح في العصر الحاضر، وكان أوّل من أطلق هذا المصطلح عبد الرزاق نوفل [ت: ١٤٠٤هـ] في كتابه: (الإعجاز العددي للقرآن الكريم) الذي نُشرت طبعته الأولى عام ١٩٧٥م، ثم أعلن رشاد خليفة<sup>(٣)</sup> اكتشاف معجزة القرن العشرين، وهي معجزة الأرقام، في مقال نشره في مجلة روز اليوسف المصرية عام ١٩٧٢م، ثم كتاب (عليها تسعة عشر)، ثم (دلالات جديدة في القرآن)<sup>(٤)</sup>.

وقد كان لبديع الزمان النورسي [ت: ١٩٦٠م] اهتمام بأسرار الحروف وأعدادها، ولا

---

(١) وذكر أن بعضهم أوصلها ثمانين وجهاً. انظر معترك الأقران ١/ ١٢، وليس كل ما ذكره السيوطي من وجوه الإعجاز، كما صرح هو بذلك. انظر نفس المصدر ١/ ١٢، وانظر إعجاز القرآن للشريف ص ٣٣٩، وأبحاث في علوم القرآن ص ٢٤٩.

(٢) انظر البيان للداني ص ٦٧ ومقدمة محققه: غانم الحمد، وفنون الأفتان ص ٢٥٣.

(٣) انظر ترجمته ص ٢٠.

(٤) انظر مقولة الإعجاز العددي ص ٣٢٦.

سيما الحروف المقطعة في أوائل السور<sup>(١)</sup>، ولكنه لم يطلق عليها مصطلح (الإعجاز العددي)، بل كان كلامه من قبيل التفسير الإشاري الصوفي. وقد زعم بعض الباحثين أن هذا اللون من الإعجاز ظهر في أول الإسلام، واستدلوا لذلك ببعض المأثورات عن بعض السلف، وما ذكره بعض العلماء المتقدمين من استنباطات تتعلق بهذا النوع من الإعجاز، ومنها:

(١) ما رُوي عن بعض السلف في تحديد ليلة القدر بليلة سبع وعشرين، استنباطاً من كون سورة القدر ثلاثين كلمة، وأن كلمة (هي) في السورة: هي الكلمة السابعة والعشرون من السورة<sup>(٢)</sup>.

كذلك استنبط بعضهم من القرآن أنها -أي ليلة القدر- ليلة سبع وعشرين: أن الله سبحانه وتعالى ذكر ليلة القدر في سورة القدر في ثلاثة مواضع منها، وليلة القدر حروفها تسعة حروف، والتسعة إذا ضربت في ثلاثة فهي سبع وعشرون<sup>(٣)</sup>.

(٢) ما ورد عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «من أراد أن ينجيّه الله من الزبانية التسعة عشر فليقرأ (بسم الله الرحمن الرحيم)؛ ليجعل الله تعالى له بكل حرف منها جنةً من كل واحد<sup>(٤)</sup>».

(١) انظر: رسائل النور، المكتوبات، لبديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالح، القسم الثالث من المکتوب التاسع والعشرين، ص: ٥٢٢ وما بعدها، والضوابط الشرعية لدراسة الإعجاز العددي في القرآن الكريم ص ٦٠.

(٢) ذكره ابن الجوزي في تفسيره ٢٨٥/٨، والرازي في تفسيره ٣٢/٣٠، ونسباه لابن عباس رضي الله عنهما بصيغة التمريض، وأورده الحافظ ابن كثير في تفسيره ٤٤٨/٨ ولم ينسبه لأحد، وحكاه ابن رجب الحنبلي في لطائف المعارف ص ٢٠٣ عن بعض المتأخرين.

(٣) ذكره ابن الجوزي في تفسيره ٢٨٥/٨، وابن رجب في لطائف المعارف ص ٢٠٣ عن بعض المتأخرين.

(٤) ذكره الثعلبي ٩١/١، وانظر تفسير ابن عطية ٦١/١، والدر المنثور ٤٤/١.



قال القرطبي: «فالبسمة تسعة عشر حرفاً على عدد ملائكة أهل النار الذين قال الله فيهم: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [المدثر: ٣٠]، وهم يقولون في كل أفعالهم: (بسم الله الرحمن الرحيم) فمن هناك هي قوتهم»<sup>(١)</sup>.

وهذه المأثورات لم تثبت عن الصحابة رضي الله عنهم والتابعين بسند صحيح، ثم إن مَتْنَهَا لا يشبه ما أثار عنهم من التفاسير، بل فيها نكارة، وعلى تقدير ثبوتها فهي من باب المُلح واللطائف، وليست من الإعجاز في شيء، وقد رَدَّهَا جمعٌ من أهل العلم وجعلها آخرون من باب المُلح والتُّكْت.

قال ابن عطية: «وهذه من مُلح التفسير، وليست من متين العلم»<sup>(٢)</sup>.

قال ابن رجب تعليقاً على ما ذكره ابن عطية: «وهو كما قال»<sup>(٣)</sup>.

وقال الشعالي: «ولا يخفى عليك لِينُ ما بلغ هؤلاء، ولقد أغنى الله تعالى بصحيح الأحاديث وحسنها عن موضوعات الوراقين، فجزى الله نقاد الأمة عنا خيراً»<sup>(٤)</sup>.

وقد أنكر ابن حزم هذا الاستنباط من الآية، وعدّه صَرَباً من الوسواس.

يقول -رحمه الله-: «ومن طرائف الوسواس: احتجاج ابن بكير المالكي في أنها ليلة سبع وعشرين بقول الله تعالى: ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطَلَعِ الْفَجْرِ﴾ [القدر: ٥]، قال: فلفظة (هي) هي السابعة وعشرون من السورة.

(١) تفسيره ١/١٤٣.

(٢) تفسيره ١/٦١.

(٣) لطائف المعارف ص ٢٠٣.

(٤) تفسيره ١/١٥٧.

قال أبو محمد: حقٌّ من قام هذا في دماغه أن يعاني بما يعاني به سكان المارستان<sup>(١)</sup> نعوذ بالله من البلاء، ولو لم يكن له من هذا أكثر من دعواه أنه وقف على ما غاب من ذلك عن رسول الله ﷺ ولم ينس من علم الغيب ما أنساه الله سبحانه وتعالى نبيه، ومن بلغ إلى هذا الحد فجزأؤه أن يخذله الله تعالى مثل هذا الخذلان العاجل، ثم في الآخرة أشد تنكيلاً<sup>(٢)</sup>.

(٣) ما ذكره بعض العلماء المتقدمين من استنباطات تتعلق بهذا النوع من الإعجاز، ومن ذلك ما أورده أبو بكر الباقلائي [ت: ٤٠٣هـ] أثناء حديثه عن نظم القرآن، أن الحروف المقطعة التي افتتحت بها السور تضمّنت نصف حروف المعجم وهي أربعة عشر حرفاً، ونصف الحروف المهموسة، ونصف الحروف الشديدة، ونصف الحروف المطبقة...<sup>(٣)</sup>.

وقد تبع الباقلائي بعض من جاء بعده كالرّاعب الأصفهاني [ت: ٥٠٢هـ]، والزّبخشري [ت: ٥٣٨هـ]، والرّازي [ت: ٦٠٦هـ]<sup>(٤)</sup>.

وما ذكره الباقلائي ومن بعده محلُّ نظر من جهة انضباط تقسيم العدد، ووجود اختلاف في صفات بعض الحروف، ثم إنهم لم يشيروا إلى أنها من الإعجاز، بل هي لطائف متعلّقة باللغة والنّظم، أضف إلى ذلك أنهم لم يتوسعوا في هذا الباب كما فعل المتأخرون، وإنما ذكروها عند الحديث عن الحروف المقطعة.

(١) المارستان: المستشفى، انظر المعجم الوسيط ص ٨٦٣، مادة (مرس).

(٢) انظر المحلى ٤/٤٥٩.

(٣) إعجاز القرآن ص ٤٤.

(٤) انظر مقدمة جامع التفاسير للراغب ص ١٤٢، وتفسير الزبخشري ١/١٧، والتأصيل للإعجاز

العددي ص ٣٥.

## المبحث الثاني

### أقوال أهل العلم فيما يسمّيه: الإعجاز العددي

هذا المصطلح حادثٌ بلا شك كما تقدم، ولذلك لم يتعرض له المتقدمون، وأما المعاصرون فقد اختلفوا في قبوله أو رفضه، ويمكن ردُّ آراء أهل العلم والباحثين فيه إلى ثلاثة أقوال:

**القول الأول:** الذين أثبتوه وجهاً من أوجه إعجاز القرآن الكريم، وبالغوا في تعظيمه وبيان أهميته، والتكلف في الاستدلال والتمثيل له، وعامة أصحاب هذا القول ليسوا من المتخصصين في العلوم الشرعية، والدراسات القرآنية، وإنما هم في تخصصات أخرى كالهندسة والطب والحاسوب وغيرها<sup>(١)</sup>.

وقد أطلق بعضهم عليه أوصافاً وألقاباً غريبة، وموهمة ومثيرة مثل: سرّ الوجود، الشيفرة القرآنية، الرسالة الخفية للقرآن، لغز فواتح السور، الاكتشاف القرآني الجديد، رياضيات ألفاظ ومعاني القرآن الكريم، أسرار الحروف، وغيرها. وهؤلاء منهم المجتهد الصادق الحريص على خدمة الكتاب العزيز والدعوة إليه،

---

(١) لم يهتمَّ المشتغلون بالإعجاز العددي بالتأصيل الشرعي في هذا الباب، وإنما كان عملهم في جانب التطبيق

والتمثيل، وبعضهم حاول الاستدلال لثبوت هذا الوجه ولكن بإيجاز شديد في افتتاح الكتاب، ولعل السبب في ذلك

كوهم من غير المتخصصين في العلوم الشرعية، وقد ادعى كثير منهم أنهم تجاوزوا مرحلة التأصيل، فليس هناك حاجة إلى

البحث فيها وإثارة قضاياها، وقد تولى التأصيل لهذا اللون من الإعجاز بعضُ الباحثين الذين يرون صحة هذا النوع في الجملة بشروط وضوابط، وإن لم يكن لهم اشتغال بجانب التطبيق والتمثيل.

وهم الغالب، والله الحمد، ومنهم المحرّف، وصاحب الهوى، الذي يريد تقرير اعتقاداته الباطلة من خلال البحث في هذا الموضوع.

يقول عبد الرزاق نوفل مبيناً أهميته: «إن الإعجاز العددي للقرآن الكريم هو الوجه الذي يجب أن ندعو إليه، إنه الدليل على وجود الموحى، ورسالة الموحى إليه، وإنه لأسلوب الجيل بلغة العصر، فنحن في جيل الأرقام، وعصر العدد والإحصاء»<sup>(١)</sup>.

ويقول المهندس عبد الدائم الكحيل: «إن النظام الرقمي المذهل للحروف المقطعة هو برهان مادي ورياضي على أن القرآن كتاب معجزات، وليس كتاب أساطير، كما يدعي بعض الملحدون عندما يقولون: إن القرآن يحوي حروفاً لا معنى لها.

ويمكن القول بأن الله تعالى بعلمه المسبق يعلم أنه سيأتي عصر تتطور فيه علوم الرياضيات، ويكثر فيه الملحدون، لذلك فقد أودع في كتابه حروفاً مقطّعة في أوائل السور، وأخفى إعجازها حتى جاء عصر الرقميات الذي نعيشه اليوم، ليكون التحدي بهذه الحروف أبلغ وأقوى، وهذا شأن المعجزة تأتي بالشكل الذي برع فيه المشكّكون، لتعجزهم في اختصاصهم، وتبين لهم أن القرآن هو كلام الله الحق...»<sup>(٢)</sup>.

وقد استدل أصحاب هذا القول على إثبات هذا الوجه الإعجازي بأدلة منها:

(١) الآيات التي ذكر فيها العد والحساب، ومن ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفْضِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٥].

ففي هذه الآية الكريمة ونحوها - كما يقولون - إشارة إلى أن الله سبحانه وتعالى

(١) الإعجاز العددي للقرآن الكريم ص ٢٥٣، وانظر ص ١٦٦.

(٢) إشراقات الرقم سبعة في القرآن الكريم ص ١٦.

قدّر القمر منازل ليعلمنا عدد السنين ويعلمنا الحساب، وتدل الآية الكريمة على أن الله لم يخلق ذلك إلا بالحق وقد فصل الآيات لقوم خصهم بالعلم دون غيرهم، فلا بد أن يُرى أثر الحساب في بيان تفصيل الآيات الكريمة، وهو جانب من جوانب الإعجاز العددي في القرآن الكريم<sup>(١)</sup>.

ولا يسلم استدلالهم بهذه الآية على وقوع هذا النوع من الإعجاز، فالعدّ والحساب في هذه الآية لا يدخل فيه عدّ وحساب كلمات وآيات القرآن الكريم واستنتاج المعاني والدلالات من عدّها وحسابها، وإنما المراد عدد السنين وابتداؤها وانتهائها، وحساب ساعات الليل والنهار وأوقاتها<sup>(٢)</sup>.

٢ ما ورد عن بعض السلف من استنباطات تتعلق بهذا النوع من الإعجاز<sup>(٣)</sup> ومن ذلك:

ما رُوي عن بعض السلف في استنباط تحديد ليلة القدر بليلة سبع وعشرين، أخذاً من كون سورة القدر ثلاثين كلمة، وأن قوله سبحانه وتعالى (هي): هي الكلمة السابعة والعشرون من السورة<sup>(٤)</sup>.

وما ورد عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «من أراد أن ينجيّه الله من الزبانية التسعة عشر فليقرأ (بسم الله الرحمن الرحيم) ليجعل الله تعالى له بكل حرف منها جُنَّةً من كل واحد<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر تأصيل فكرة الإعجاز العددي في القرآن الكريم، لحسن عبد الجليل عبد الرحيم علي العبادلة ص ٢١.

(٢) انظر تفسير ابن جرير ١٤/٥١٥.

(٣) التّأصيل الشّرعيّ للدراسات العدديّة في القرآن الكريم ص ٢٧ وما بعدها.

(٤) تقدم عزوه.

(٥) تقدم عزوه.

وقد تقدم في المبحث السابق أنه على تقدير ثبوتها لا دلالة فيها على ثبوت وجود إعجاز عددي في القرآن الكريم.

(٣) ما ذكره بعض العلماء المتقدمين من استنباطات تتعلق بهذا النوع من الإعجاز، ومن ذلك ما أورده أبو بكر الباقلاني في كتابه (إعجاز القرآن)، ومن تبعه ممن جاء بعده كالأصفهاني والزنجشيري وغيرهما حول الحروف المقطّعة أوائل السور وصفاتها الصوتية.

وقد تقدم إيراد كلام الباقلاني ومناقشته، وبيان أنه على تسليم ما ذكر فيه من أعداد فإنه لم يدّع هو ومن تبعه الإعجازَ فيها، وإنما هي من باب اللطائف التي يُستدل بها على المعاني اللغوية<sup>(١)</sup>.

القول الثاني: ذهب عدد من الباحثين إلى قبول هذه اللطائف والموافقات العددية، إذا انضبطت وسلمت من التكلف والتعسف، ولكنهم لم يدخلوها في باب الإعجاز القرآني، بل رأوا أنها من قبيل اللطائف والمُح، أو التوافق والتناسب<sup>(٢)</sup>.

ودليلهم في ذلك وجود أمثلة صحيحة على وجود هذا النوع من اللطائف، لكن لا ينطبق عليها شروط الإعجاز.

القول الثالث: ردُّ هذا النوع من أنواع الإعجاز بالكلية، وعدم اعتباره في باب الإعجاز ولا في باب اللطائف، وأن ما صحَّ من أمثله وسلم من التكلف والتعسف قليل جداً وغير مطّرد، وبالتالي فهو من باب الموافقة والمصادفة وليس مقصوداً، بل هو

(١) انظر ص ١٦.

(٢) انظر منهج علماء السلف القدامى والمعاصرين في الإعجاز العددي ص ٢٧ مقولة الإعجاز العددي ص ٣٨٦.

حاصل في كثير من الكلام المنظوم والمنثور عند التأمل والاستقراء، وهذا هو الراجح، بل الصحيح عندي بعد استقراء لما كُتب فيه وتأمّل، وحوار ومناقشة للباحثين فيه، ومشاركة في بعض مؤتمراتهم.

وهذا ما يختاره كثير من المتخصصين في العلوم الشرعية والباحثين في الدراسات القرآنية.

يقول الدكتور أشرف عبد الرزاق قطنة: «وصلتُ بنتيجة دراستي إلى أن فكرة الإعجاز العددي - كما عرضتها هذه الكتب -<sup>(١)</sup> غير صحيحة على الإطلاق، وأن هذه الكتب تقوم باعتماد شروط توجيهية حيناً وانتقائية حيناً آخر، من أجل إثبات صحة وجهة نظر، بشكل يسوق القارئ إلى النتائج المحددة سلفاً، وقد أدت هذه الشروط التوجيهية أحياناً إلى الخروج على ما هو ثابت بإجماع الأمة، كمخالفة الرسم العثماني للمصاحف، وهذا ما لا يجوز أبداً، وإلى اعتماد رسم بعض الكلمات كما وردت في أحد المصاحف دون الأخذ بعين الاعتبار رسمها في المصاحف الأخرى، وأدت كذلك إلى مخالفة مبادئ اللغة العربية من حيث تحديد مرادفات الكلمات وأضدادها»<sup>(٢)</sup>.

ويقول الدكتور خالد السبت: «وهذا النوع من الإعجاز باطل جملة وتفصيلاً، إذ لم يكن معهوداً لدى المخاطبين بالقرآن من أصحاب رسول الله ، وهم أعلم الأمة بكتاب الله، وأبرها قلوباً، وأكثرها صواباً، فلم يُنقل عن أحد منهم بإسناد صحيح شيء من هذا القبيل إطلاقاً، ولو كان هذا من العلم المعترف لكانوا أسبقَ الناس إليه،

(١) وقد استعرض في كتابه هذا ثلاثة كتب وهي: (إعجاز الرقم ١٩ مقدمات تنتظر النتائج) لسام جرار، و(الإعجاز العددي في القرآن الكريم) لعبد الرزاق نوفل، و (المعجزة) لعبدان الرفاعي، قلتُ: لو استعرض غيرها لرأى أعجب وأغرب.

(٢) رسم المصحف والإعجاز العددي، ص: ١٩٧.

وأعلم الأمة به، وذلك أن هذا الأمر لا يتطلب آلات وتقنيات حتى يتمكن الإنسان من اكتشافه، وإنما هو مجرد إحصاء وعدد، وهذا أمر لا يُعوز أحداً...»<sup>(١)</sup>.

ويمكن إجمال أدلتهم على ردّه فيما يلي:

(١) التكلّف والتعسّف في إثبات وجوه هذا الإعجاز المزعوم، فالناظر في كتب وأبحاث الإعجاز العددي يجدها مبنية على هذا الأساس، وهذا أمر ظاهر جداً، حتى إن الإنسان لا يطيق إكمال كثير من هذه الكتب، نظراً لاضطراب مناهجها، وانتقاء أمثلتها، وتكلّف إيجاد الروابط بين أعدادها، ومحاولة الوصول إلى النتائج المفترضة بطرق لا تمتُّ إلى المنهج العلمي بصلة، بل إنها تسيء إلى القرآن العزيز المنزّه من التحريف والتبديل.

يقول الإمام الشاطبي: «إن كثيراً من الناس تجاوزوا في الدعوى على القرآن الحدّ، فأضافوا إليه كل علم يذكر للمتقدمين أو المتأخرين، من علوم الطبيعيات، والتعاليم<sup>(٢)</sup>، والمنطق، وعلم الحروف، وجميع ما نظر فيه الناظرون من هذه الفنون وأشباهها، وهذا إذا عرضناه على ما تقدم<sup>(٣)</sup> لم يصح، وإلى هذا، فإن السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن يليهم كانوا أعرف بالقرآن وبعلمه وما أودع فيه، ولم يبلغنا أنه تكلم أحد منهم في شيء من هذا المدعى...»<sup>(٤)</sup>.

ويقول الأستاذ فاتح حسني محمود في مقدمة كتابه: «وجدت عند بعضهم انعدام الموضوعية، والنقل غير الأمين، والنقل بثقة كبيرة دون التكلّف بعناء المتابعة

(١) انظر <http://www.islammemo.cc/html.4772/24/06/2002/>

(٢) أي: الرياضيات، أفاده محقق الكتاب.

(٣) أي: إن الشريعة جارية على معهود العرب الأميين الذين نزلت فيهم.

(٤) الموافقات ٧٩/٢.



والبحث...»<sup>(١)</sup>.

ويقول الدكتور وهبة الزحيلي: «في هذه الكتب الجديدة الإحصاء غير دقيق وطرق البحث فيها اصطفاوية غير واقعية...»<sup>(٢)</sup>.

وقد اعترف بعض مؤيدي هذا الإعجاز بوجود التكلف في بعض الأبحاث فيه<sup>(٣)</sup>. وكل من ينظر في هذه الأبحاث يجد الاختيارات الانتقائية للكلمات؛ لكي يستقيم له التوازن العددي، وتحصل لهم النتيجة المطلوبة<sup>(٤)</sup>.

٢) أنه يكثر في أبحاث هذا الإعجاز القول على الله سبحانه وتعالى بغير علم؛ حيث يتولى البحث في دلالات الآيات من لا علم له بالتفسير وأصوله وقواعده<sup>(٥)</sup>.

وتفسير القرآن الكريم بغير علم محرم ومذموم، وقد دلت على ذلك النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة، وأقوال السلف.

ولقد تورّع الصحابة والتابعون رضي الله عنهم عن القول في التفسير بغير علم، وهابوا الكلام فيه، خوفاً من الخطأ، وحمل كلام الله سبحانه وتعالى على غير مراده، وهذا أمر مستفيض عنهم ومشهور، والآثار عنهم في ذلك كثيرة<sup>(٦)</sup>.

- 
- (١) الإعجاز العددي في القرآن الكريم بين الحقيقة والوهم ص ١٠.
  - (٢) انظر تقديمه لكتاب رسم المصحف والإعجاز العددي، وانظر كذلك مقالات في علوم القرآن ص ٢٦٤.
  - (٣) انظر ضوابط الإعجاز، لمحمد زكي محمد خضر ص ١١، ومنهج علماء السلف القدامى والمعاصرين في الإعجاز العددي ص ٣٦.
  - (٤) انظر اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر ٢/٢٩٩.
  - (٥) انظر مقالات في علوم القرآن ص ٢٦٤، منهج علماء السلف القدامى والمعاصرين في الإعجاز العددي ص ٣٤، وما يسمى الإعجاز العددي في القرآن ص ٢٤.
  - (٦) انظر تعظيم القول في التفسير وأثره في دفع القراءات المنحرفة المعاصرة للقرآن الكريم، للكاتب.

٣ أن التفسير بالأرقام والعدّ والحساب منهج باطني يهودي قديم<sup>(١)</sup>، واليهود أول من حاول التفسير بالأرقام، فقد ورد أنهم جاؤوا رسول الله ﷺ وهو يقرأ فاتحة سورة البقرة فحاولوا أن يستخرجوا من الحروف المقطعة في فواتح مدة بقاء الإسلام من خلال حساب الجُمَّل<sup>(٢)</sup> (٣).

وقد ورد عن ابن عباس أنه قال: «إن قوماً ينظرون في النجوم، وفي حروف (أبي جاد) قال: أرى أولئك قوماً لا خلاق لهم»<sup>(٤)</sup>.

قال ابن حجر معلقاً على هذا الأثر: «وقد ثبت عن ابن عباس الزجر عن عد أبي جاد، والإشارة إلى أن ذلك من جملة السحر، وليس ذلك ببعيد فإنه لا أصل له في الشريعة»<sup>(٥)</sup>.

وقد تبع اليهود في حساب الحروف والاستدلال بها بعض الفرق الباطنية المنسبة للإسلام<sup>(٦)</sup>.

٤ أنه لم يكن معهوداً عند المفسرين، ولم يقل به أحد من السلف، مع أنهم عدّوا آيات القرآن وكلماته وحروفه كما تقدم، وهذا أمر مقدور لديهم لو أرادوا.

(١) انظر المعجزة القرآنية ص ٢٨٩، وما يسمى الإعجاز العددي في القرآن ص ٦٥.

(٢) حساب الجُمَّل: هو وضع قيم عددية للحروف الأبجدية.

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره ١/ ٢٢١، وضعفه ابن كثير في تفسيره ١/ ١٦١.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٥/ ٢٤٢.

(٥) فتح الباري، ابن حجر ٢٢/ ٢٦، وانظر منهج السلف المعاصرين ص ٤٩.

(٦) انظر أسرار الحروف وحساب الجُمَّل ص ١٠٥ وما بعدها.

٥) عدم مراعاة الاختلاف في علم القراءات ورسم المصحف وعدّ الآي<sup>(١)</sup>، مع أن لها أثراً كبيراً في ضبط العد والحساب.

ولاشك أن الاختلاف في وجوه القراءة والعدّ وكيفية الرّسم ينقض ما يتوصلون إليه من نتائج<sup>(٢)</sup>، وقد مال أكثر الباحثين في الفترة الأخيرة إلى الأخذ برواية حفص عن عاصم، واعتماد مرسوم المصحف المكتوب وفق هذه الرواية، وعدّه الكوفي، وأن يكون العدّ للحروف المرسومة وليست الملفوظة.

ولكن هذا الضابط لا يرفع الإشكال؛ فإن رواية حفص عن عاصم، ليست أقوى الروايات وأثبتها، بل هي من جملة ما ثبت وتواتر من قراءات القرآن الكريم، ولكنها شاعت في العلم الإسلامي في العصور المتأخرة، وهكذا العدّ الكوفي لا نستطيع أن نقول إنه أصح من غيره<sup>(٣)</sup>.

ولا يقاس هذا على وجوه الإعجاز الأخرى؛ فإنها ثابتة في جميع وجوه القراءات، وأنواع العدّ.

---

(١) انظر مقولة الإعجاز العددي ص ٣٣٠.

(٢) وكان بعض من كتب في الإعجاز العددي لا يعرف أن هناك اختلافاً في هذه الأمور، ويظن أن عدد الآيات متفق

عليه، والقراءات لا أثر لها في زيادة الحروف ونقصانها، وأن رسم المصحف واحد على جميع القراءات!. وكثير منهم يقطع بأن رسم المصحف توقيفي، ويخطئ من يقول: إنه اجتهادي، مع العلم أن القول بأنه اجتهادي قول

عامة أهل العلم. انظر رسم المصحف ص ١٦٩، وكتابة القرآن الكريم بغير الرسم العثماني ص ١٩٣ وما بعدها.

(٣) انظر مقولة الإعجاز العددي ص ٣٤٢.

٦) وقوع المشتغلين به في مخالفات شرعية متعددة، مثل محاولة التنبؤ ببعض المغيبات التي لم تأت بعد، والأخذ بالتقويم الميلادي والحساب الشمسي، دون الهجري القمري الشرعي، والاستدلال ببعض الإسرائيليات والأقوال الضعيفة، وحساب الجُمَّل، وغيرها<sup>(١)</sup>.

هذه أبرز أدلة أصحاب هذا القول، وأحسب أنها كافية لردّ هذا الوجه الإعجازي الحادث بالكلية، فضلاً عن نفي صفة الإعجاز عن هذه الموافقات العددية على قَرَض صحتها، وسيأتي تقرير ذلك في المبحثين الرابع والخامس.

---

(١) انظر ما يسمى الإعجاز العددي ٥١، ومقولة الإعجاز العددي ص ٣٤٤ وما بعدها، ومقالات في علوم القرآن ص ٢٦٤، ومقالة الدكتور خالد السبت. <http://www.islammemo.html.4772/24/06/2002/cc>

## المبحث الثالث

### مناهج الباحثين فيما يسمونه: الإعجاز العددي ونقدها

والمشتغلون بما يسمى الإعجاز العددي لهم عدة مسالك في تحديد وجوه الإعجاز في هذا النوع، ويمكن إجمال أبرزها فيما يلي:

(١) اكتشاف التوافق العددي بين عدد مرات ورود ألفاظ معينة في القرآن الكريم، كما هو منهج.

عبد الرزاق نوفل، حيث أورد في كتابه جملة من الأمثلة على ذلك، منها ما يلي:

- تكرر ورود (الدنيا) في القرآن الكريم ١١٥ مرة، والآخرة كذلك.

- تكررت كلمة الملائكة ٨٨ مرة، كذلك تكرر ذكر (الشياطين).

- وهكذا (الحياة والموت) حيث تكرر لفظ كل منهما مع مشتقاته ١٤٥.

وتقدم أنه رحمه الله لم يسلم من التكلّف في العدّ؛ لكي يتوصل إلى هذه النتائج، ويضاف إلى ذلك أنه ذكر توافقاً عددياً بين ألفاظ ليس بينها ارتباط واضح، ومن ذلك: تكرار ورود الألفاظ التالية بنفس العدد:

- (الفاحشة والغضب).

- (النطفة، والطين، والشقاء).

- (الأصنام، والخمر<sup>(١)</sup>، والخنزير، والبغضاء، والحصْب، والتنكيل، والجسد، والرُّعب والحياة).

(١) واستثنى الخمر، فقد زاد موضعاً واحداً، لكن المراد به: خمر الجنة فلا يدخل!.

- (القليل والشكور)<sup>(١)</sup>.

٢) اكتشاف سرٍّ عددي في رقم معين، مثل رقم تسعة عشر، أو سبعة، أو ثمانية، أو تسعة وعشرين، أو مائة وأربعة عشر، أو غير ذلك.

وقد بالغوا وتكلفوا إيجاد علاقاتٍ عدديةٍ متنوعة مع هذه الأرقام التي يختارونها، مدّعين أنهم كشفوا وجهاً إعجازياً جديداً في القرآن الكريم.

مثال ذلك: ما ذكره المهندس عبد الدائم الكحيل:

عدد آيات القرآن (٦٢٣٦) وعدد سوره (١١٤).

وعند صفّ العددين يكون ٦٢٣٦ ١١٤، فهو يتألف من سبع مراتب، وهو من

مضاعفات الرقم سبعة.

وعندما نعكس اتجاه قراءة الأرقام من اليمين إلى اليسار تصبح قيمة هذا العدد

هي ١١٤٦٢٣٦، وهي كذلك من مضاعفات الرقم سبعة<sup>(٢)</sup>.

ولا يخفى التكلف في هذا المثال، باستعمال طريقة صفّ الأرقام، فضلاً عن

الخلاف في عدد آيات القرآن الكريم.

وليته اقتصر على نحو هذا المثال الذي قد يكون مفهوماً للقارئ، بل زاد تكلفاً

وإغراباً عندما توصل إلى نتيجة لا تستطيع قراءتها، كما في المثال التالي:

كتب المؤلف كلمات آية الكرسي، ثم كتب تحت كل كلمة عدد ما تحويه من

حروف البسمة، ثم صفّ الأعداد في سطر واحد مبتدئاً من آخر الآية وليس من

أولها، فكان العددُ المصفوفُ كما يلي:

(١) انظر الإعجاز العددي للقرآن الكريم، ص ٧، ٨، ١٩، ٢٥، ١٠، ٢١١، ٢٠٠، ٤١، ٣٩، ٣١، ٢٢٨.

(٢) إشراقات الرقم سبعة في القرآن الكريم ص ٨٨.

(٤٤١٠٤٢٢٠٤٠٤٤١١٣٣٣٢٢٤٢٠٣٢٠٥٣٢٣٤٣٢١٣١٢٤١٢٠٤١٢٢٢٢٠٣٢٢٤٤١٣٣٤٤) وهذا

العدد من مضاعفات الرقم سبعة!!<sup>(١)</sup>.

فهل ترى أن هذا المثال، والعدد الهائل [٥٧ خانة]، من إعجاز الكتاب المبين الذي نزل على أمة أمية لا تكتب ولا تحسب!، ثم لماذا التحكم بيد العد من آخر الآية، واختيار حروف البسمة وآية الكرسي دون غيرها.

٣) اكتشاف علاقات رقمية بين ترتيب آيات وسور القرآن الكريم، أو اسم السورة وعدد

آياتها، أو بين عدد كلمات أو حروف السورة أو الآية ورود لفظة معينة فيها، ونحو ذلك.

والناظر في الأبحاث المكتوبة في هذا المسار يجد أنها مبنية على الانتقاء والتحكم كما مضى، وهذا المنهج إذا سلكه الإنسان في أي نص بشري فإنه لا يعوزه أن يجد الإشارة إلى النتيجة التي أرادها سلفاً، ومن أمثلة هذا النوع ما ذكره أحد الباحثين من وجود إعجاز عددي ترتيبي في سورة الشعراء، حيث يقول:

«في سورة الشعراء آية ١٢٣ تتحدث عن قوم هود (قبيلة عاد) ﴿كَذَّبَتْ عَادَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٢٣]، فإذا عرفت أن سورة الشعراء هي أطول سورة بعد البقرة من حيث عدد الآيات (٢٢٧)، أفلا يبلغ منك العجبُ ذروته حين تعلم أن عدد آيات سورة هود هو ١٢٣، إذ كيف اتفق أن يكون الرقم الذي يتحدث عن قوم هود من بين ٢٢٧ رقماً هو الرقم المطابق لعدد آيات سورة هود، فسبح بحمد ربك...»<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر المصدر السابق ص ١٤٤ .

(٢) الإعجاز في ترقيم الآيات ص ٦٧ .

وليس في ترتيب هذه الآية إعجاز ولا عجب، فموافقة رقم الآية التي تتحدث عن قوم هود لعدد آيات سورة هود - بغض النظر عن الخلاف في عدّ الآيات - ليس إعجازاً لا يقدر عليه البشر، ثم إنه وقع مصادفةً بدليل أن الآيات التي تتحدث عن نبينا نوح إبراهيم سبحانه وتعالى في سورة الشعراء لم توافق عدد آيات سورة نوح وسورة إبراهيم، ثمّ لم تترك الآية التي ذكر فيها هود سبحانه وتعالى صراحةً وهي الآية التي بعدها.

إن الناظر في هذه الكتب يصاب بالغثاء حينما يرى الأعداد الكبيرة، بعد مرورها بعمليات حسابية مُعقّدة ملفّقة متكلّفة.

إن الإعجاز الصحيح أياً كان وجهه يتذوّقه الإنسان ويطرب له ويبتهج، ويسبّح بحمد الذي أنزل القرآن الكريم، ولو كان المتأمل فيه من عوام الناس، أما هذه الأرقام والأعداد الحسابية، ولا سيما المعقدة فإن كثيراً من الناس لا يتذوقها ولا يتأثر بها.

### نظرية تسعة عشر

مبتدع هذه النظرية الشهيرة رشاد خليفة<sup>(١)</sup>؛ حيث كتّب حولها عدة مقالات

(١) هو محمد رشاد خليفة، ولد في كُفّر الزيّات بمصر عام ١٩٣٥م، وتخرّج في كلية الزراعة بجامعة عين شمس، ثم ذهب إلى أمريكا وحصل فيها على درجة الدكتوراه في الكيمياء الحيوية من جامعة كاليفورنيا عام ١٩٦٤م، وبعد ذلك عاد إلى مصر وعمل فترة، ثم رجع إلى أمريكا واستقر هناك، وتزوج امرأة أمريكية، وحصل على الجنسية الأمريكية، وعين أستاذاً في جامعة أريزونا، ثم خبيراً للتنمية الصناعية الأمم المتحدة، تولى الإمامة في مسجد مدينة توسان في ولاية أريزونا، فلما أظهر أفكاره الشاذة طُرد من المسجد، حيث اتّهم باعتناق نحلة البهائية الضالة التي تقدّس الرقم ١٩، وقد وقع في ضلالات وانحرافات عظيمة انتهت به إلى ادّعاء النبوة. وفي عام ١٩٩٠م وجد مقتولاً في منزله بمدينة توسان في ولاية أريزونا. انظر: دراسات في الإعجاز العددي ١٥١، معجزة القرآن العددية ص ٤٨، البيان في إعجاز القرآن ص ٣٦٨، و الإعجاز العددي في القرآن بين الحقيقة والوهم ص ٧٣.



تُجمعت وطبعت بعد ذلك، وألقي فيها بعض المحاضرات في عدد من البلدان العربية، وقد استخدم الحاسب الآلي في عمليات العدّ الإحصاء<sup>(١)</sup>.

ويمكن تلخيص فكرته فيما يلي:

(١) أن للحروف المقطعة أوائل السور أسراراً بديعة، وأن عدد مرات وروده في السورة يقبل القسمة على ١٩، كما استنتج منها تاريخ قيام الساعة عن طريق حساب الجمل.

(٢) أن هذا الرقم ١٩ رقم مقدّس في القرآن، وهو القاسم المشترك الذي تنبني عليه مظاهر العد والإحصاء في القرآن، وأنه مطّرد في الحروف النورانية، وهي المذكورة في فواتح السور.

(٣) أن المراد بقوله تعالى ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [المدثر: ٣٠] البسملة؛ حيث إن عدد حروف البسملة تسعة عشر، وأن في ذلك دلالة على أن البسملة حُرز من النار، وأن كل كلمة من كلمات البسملة تتكرر في القرآن كله عدداً من المرات هو دائماً من مضاعفات العدد ١٩.

وهو في حساباته هذه غير دقيق، بل هو غير صادق، فقد كان يحرف ويعبث بها لتوافق هواه في تقديس الرقم ١٩.

ويقال: إن الدافع له لتقديس هذا الرقم اعتناقه لعقيدة الفرقة البهائية الضالة التي تعظّم هذا الرقم، وقد تولى عددٌ من الباحثين الرد عليه وكشف أباطيله<sup>(٢)</sup>، وفي

(١) انظر معجزة القرآن العددية ص ٤٨.

(٢) انظر: فتنة القرن العشرين ص ١٩، وتسعة عشر ملكاً بيان أن فرية الإعجاز العددي خدعة بهائية، والبيان في إعجاز القرآن ص ٣٦٨، وأبحاث في علوم القرآن ص ٢٦٩، وإعجاز القرآن لفضل عباس ص ٣٣٩.

المقابل وافقه ودافع عنه آخرون<sup>(١)</sup>.

وقد ظهرت دراسات أخرى حول إعجاز ١٩، نهجت نهجاً آخر<sup>(٢)</sup>، ولم ينطلق أصحابها من أفكار فاسدة كما فهل رشاد خليفة، لكنها من حيث التأسيس والمنهج ضعيفة مضطربة.

---

(١) انظر المعجزة العددية ص ٦٥.

(٢) ومن ذلك: كمال الإعجاز في القرآن الكريم وتطبيق نظرية العدد (١٩) على الفواصل القرآنية، لعادل كمال جميل، وسرّ العدد ١٩ لعبد الله جلغوم، ومعجزة العدد، ١٩ لعبيد سليمان، وإعجاز الرقم ١٩ في القرآن الكريم مقدمات تنتظر النتائج، لبسام جرار، وانظر كتابه: إرهاصات الإعجاز العددي في القرآن الكريم ص ٢١.

## المبحث الرابع

### الإعجاز العددي وتدبر القرآن الكريم

تدبر القرآن الكريم والتفكر فيه واستنباط معانيه والعمل بما فيه من أفضل العبادات وأجل القربات فقد حثَّ الله سبحانه وتعالى على تدبر<sup>(١)</sup> كتابه العزيز، وذمَّ المعرضين عن التفكر في آياته، فقال سبحانه وتعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، وقال: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١]، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

والخطاب في هذه الآيات الكريمة عام لجميع الناس مسلمهم وكافرهم؛ فكلهم مأمورون بتدبر القرآن حسب استطاعتهم، منهيون عن الإعراض عن التفكر فيه، والاهتداء بهديه، والعمل به وعدم مخالفته.

وأصحاب الإعجاز العددي يرون أن عملهم وحساباتهم واستنباطاتهم العددية هي ما باب التدبر المأمور به، وأن لهم الحقَّ يتأملوا ويجهدوا في اكتشاف هذه الأعداد، وينكرون على مَنْ منَعهم من ذلك أو ردَّ ما يتوصلون به من نتائج من خلال تأملهم وتدبرهم لآيات القرآن الكريم، ويقولون: لم تمنعوننا وتكفرون علينا ما أمرنا به ورعَّبنا فيه؟

(١) التدبر في اللغة: النظر في عاقبة الشيء، انظر معاني القرآن للزجاج ٨٢/٢، وقال الجرجاني: «عبارة عن النظر في عواقب الأمور، وهو قريب من التفكير، إلا أن التفكير تصرف القلب بالنظر في الدليل، والتدبر تصرفه بالنظر في العواقب» التعريفات ص ١٧، وتدبر القرآن: «التفكر في الآيات، والتأمل الذي يفضي بصاحبه إلى النظر في عواقب الأشياء» تفسير أبي حيان ٣٣٨/٩.

والجواب عن ذلك أن يقال: إن كان التدبر فيما دلت عليه الآيات من المعاني الواضحة التي يتوصل إليها من يعرف اللسان العربي، وتشهد لها نصوص الشريعة ومقاصدها وقواعدها، ولا تخالف ما ثبت عن السلف فيها<sup>(١)</sup> فهو أمر مشروع، بل واجب.

وإن كان التدبر فيما خفي عليهم معناه من الآيات، أو نتج عنه استنباط معان باطلة لا تدل عليها اللغة، ولا يشهد لها ظاهر السياق، أو تناقض ما ثبت عن الصحابة والتابعين، أو كان من قبيل التكلف والتعسف في التوصل إلى نتائج ودلائل غير مرادة - فهو غير مشروع، بل هو من القول على الله بغير علم، وذلك من أعظم الذنوب كما تقدم؛ فإن للتدبر شروطاً وقواعد وضوابط يجب الالتزام بها، وعدم الخروج عنها، وليس هذا مقام تفصيلها<sup>(٢)</sup>.

قال الشاطبي: «فإن ظواهر الأدلة إذا اعتبرت من غير اعتماد على الأولين فيها مؤدية إلى التعارض والاختلاف وهو مشاهد معني، ولأن تعارض الظواهر كثير مع القطع بأن الشريعة لا اختلاف فيها.

ولذلك لا تجد فرقة من الفرق الضالة، ولا أحداً من المختلفين في الأحكام لا الفروعية ولا الأصولية يعجز عن الاستدلال على مذهبه بظواهر من الأدلة، وقد مرَّ من ذلك أمثلة، بل قد شاهدنا ورأينا من الفساق من يستدل على مسائل الفسق بأدلة ينسبها إلى الشريعة المنزهة وفي كتب التواريخ والأخبار من ذلك أطراف ما أشنعها في الافتئات على الشريعة»<sup>(٣)</sup>.

(١) ومن المعلوم أن التدبر أمر نسبي يتفاوت بحسب قدر المُتدبِّر في العلم والفهم.

(٢) انظر شروط التدبر للدكتور خالد السبت، بحث مقدم للملتقى التدبر الثاني في الرياض.

(٣) الموافقات ٣/ ٧٦، وانظر شرح مقدمة التفسير لابن تيمية لابن عثيمين ص ١٤٠.

وقال الزركشي: «واعلم أنه لا يحصل للناظر فهم معاني الوحي حقيقة، ولا يظهر له أسرار العلم من غيب المعرفة وفي قلبه بدعة، أو إصرار على ذنب، أو في قلبه كبر أو هوى، أو حب الدنيا، أو يكون غير متحقق الإيمان، أو ضعيف التحقيق، أو معتمداً على قول مفسر ليس عنده إلا علم بظاهر، أو يكون راجعاً إلى معقوله، وهذه كلها حجب وموانع، وبعضها أكد من بعض...»<sup>(١)</sup>.

ثم إن هناك فرقاً بين أن يتدبر الإنسان ويتفكر في بعض الآيات، ويراجع كلام المفسرين حولها، ويسأل أهل العلم عنها، وبين من يسارع إلى إشاعة آرائه وتأملاته، ويجادل عنها، ويخطي من يخالفها ولو كان من السلف أو كبار المفسرين.

وقد وضع العلماء لمن أراد أن يفسر كتاب الله سبحانه وتعالى شروطاً يجب أن تتوفر فيه قبل أن يقدم على هذه المهمة العظيمة، وقد تقدم في المبحث الأول التأكيد على حرمة الإقدام على التفسير من غير معرفة بأصوله وقواعده وتحصيل لأدواته.

قال النووي: «ويجزم تفسيره بغير علم والكلام في معانيه لمن ليس من أهلها والأحاديث في ذلك كثيرة، والإجماع منعقد عليه، وأما تفسيره للعلماء فجائز حسن، والإجماع منعقد عليه فمن كان أهلاً للتفسير جامعاً للأدوات التي يعرف بها معناه، وغلب على ظنه المرادُ فسره إن كان مما يدرك بالاجتهاد كالمعاني، والأحكام الجليلة والخفية، والعموم والخصوص، والإعراب، وغير ذلك، وإن كان مما لا يدرك بالاجتهاد كالأمر التي طريقها النقل، وتفسير الألفاظ اللغوية فلا يجوز الكلام فيه إلا بنقل صحيح من جهة المعتمدين من أهله، وأما من كان ليس من أهله لكونه غير جامع

(١) البرهان ٢/١٨١، وانظر تفسير ابن جرير ٧٦/١.

لأدواته فحرام عليه التفسير، لكن له أن ينقل التفسير عن المعتمدين من أهله»<sup>(١)</sup>. ولو أن المشتغلين بهذه الاستنباطات العديدة جعلوها من اللطائف، أو المُلح، أو الثُكّت، كما يطلق ذلك المفسرون على بعض ما يُستنبط من الآيات من أسرار بلاغية ونحوها، ولم يبالغوا في إثباتها، والتوسع فيها لهان الأمر، فإن باب اللطائف والثُكّت أوسع من غيره، إذ هي في الغالب استنباطات اجتهادية قد تصيب وقد تخطئ، ولا تُبنى عليها قواعد وأحكام، وقد تكون ظاهرةً بيّنة، وقد تكون خفيّةً، وقد يستملحها أحدٌ، ويستغربها آخر، ولا يُقال ذلك في علم إعجاز القرآن فإنه أصل مقطوع به.

أما إطلاق مصطلح الإعجاز على اللطائف العديدة فهو غير صحيح، فإننا حينما نتأمل تعريف المعجزة وشروطها نجد أنها لا تنطبق على ما يسمى الإعجاز العددي، ذلك أن من شروط المعجزة<sup>(٢)</sup>: أن تكون من الأمور الخارقة للعادة، أي أن تكون في أمر لم يعتاده الناس ويألفوه قولاً كان ذلك أو فعلاً، وأن تكون سليمة من المعارضة، أي لا يستطيع أحدٌ من الجنِّ أو الإنس أن يأتي بمثلها، فإن استطاع أحدٌ أن يأتي بمثلها لم تكن معجزةً.

وإذا نظرنا في تطبيقات وأمثلة ما يسمى الإعجاز العددي نجد أن هذين الشرطين لم يتحققا فيه، فهو ليس خارقاً للعادة، فقد اعتاد الناس وعرفوا أمثلة للتناسق العددي قد تكون أضبط وأوضح مما اكتشفوه لاسيما في هذا العصر الذي ظهرت فيه الحوسبة الآلية.

(١) التبيان ١/٦٥، وانظر الإتيان في علوم القرآن ٦/٢٢٧٤، دراسات في علوم القرآن الكريم، ص: ١٦٦، المفسر شروطه وآدابه، لأحمد قشيري سهيل.

(٢) انظر تفسير القرطبي ١/١١٢، ومباحث في إعجاز القرآن ص ١٠٧، وإعجاز القرآن بين الإمام السيوطي والعلماء ص ٣٩، والمدخل الوجيز إلى دراسة الإعجاز ص ٢٨.

ثم إنها ليست سالمة من المعارضة؛ حيث يستطيع كلُّ من لديه علم بالحساب أن يأتي بأمثلة وتطبيقات من قوله أو قول غيره مماثلة لما ذكره الباحثون في هذا المجال، فيمكن للإنسان مثلاً أن يؤلف قصيدةً أو قطعةً نثرية يذكر فيها عدداً من الكلمات بأعداد محددة، ويستخدم فيها حساب الجمل - كما هو واقع في بعض المنظومات - كما يستطيع أن يُوجد علاقةً عددية بين عنوان النصّ وعدد كلماته وحروفه، كما يستطيع أيضاً أن يحدد كلمة معينة في النصّ يكون بين ترتيبها أو عدد حروفها ومعناها علاقة معينة.

## المبحث الخامس

### أثر الاشتغال باللطائف العددية على التدبّر

قد يقول يُقال: لماذا التشدّد في عدم قبول هذا النوع من الإعجاز، وصرف الناس عن التدبّر فيه واستنباط أسراره ومراميه، أليس مجال التدبّر واسعاً ومعاني القرآن وأسراره كثيرة؟

والجواب عن ذلك أن الانشغال بذلك وصرف الجهد والوقت فيه<sup>(١)</sup> له آثار ومآلات غير محمودة، ومن ذلك ما يلي:

(١) قد تكون بعض هذه الاكتشاف والوجوه الرقمية والعددية غير معجزة حقيقةً، بل هي في مقدور البشر - كما تقدم بيانه -، وفي هذا مدخل للطاعنين في القرآن الكريم، والمجاهدين لنزوله من عند الله سبحانه وتعالى، وقد كُتبت بعض الأبحاث حول الإعجاز العددي في التوراة والإنجيل مع أنها محرّفة قطعاً.

(٢) من المعلوم قطعاً أن وجوه الإعجاز الأخرى التي نص عليها عامة أهل العلم كالإعجاز البياني، والغيبى، والتشريعي أظهر وأعظم من هذا النوع، فتعظيم باب اللطائف أو الموافقات العددية وجعلها وجهاً من وجوه الإعجاز قد يُسهم في صرّف بعض الناس عن معرفة تلك الوجوه وتأملها والانتفاع بها.

يقول سيد قطب: «وإني لأعجب لسذاجة المتحمسين لهذا القرآن، الذين يحاولون أن يضيفوا إليه ما ليس منه، وأن يحملوا عليه ما لم يقصد إليه وأن يستخرجوا منه

(١) ذكر عدد من المشتغلين بذلك أنه أمضى سنوات عديدة وسهر الليالي الطوال في استخراج هذه الوجوه العددية، وهذا ظاهر في بعض مؤلفاتهم وأبحاثهم المبنية على التكلف والتعقيد، ولو كان الأمر مقتصرًا على لطيفة عابرة أو موافقة ظاهرة ما كان عليهم من تثريب كما تقدم في المبحث السابق.



جزئيات في علوم الطب والكيمياء والفلك وما إليها.. كأنما ليعظموه بهذا ويكبروه!  
إن القرآن كتاب كامل في موضوعه، وموضوعه أضخم من تلك العلوم كلها...»<sup>(١)</sup>.

ويقول نعيم الحمصي: «ثرى أيهما أهمُّ وأولى لترغيب غير المسلمين في الإسلام،  
أن نعرض سموَّ معانيه وعظمة تشريعاته وصحة مقولاته العلمية التي توافق العلم  
الحديث أم هذا العدد الحرفي الجاف؟»<sup>(٢)</sup>.

٣ إن اكتشاف أمثلة ووجوه الإعجاز العددي مقدورةٌ لكثير من الناس صغاراً  
وكباراً، عواماً ومتعلمين، ولذلك تجرأ بعضهم في الخوض في غمار هذا البحث  
وخرجوا بنتائج غريبة، مخالفة لظاهر القرآن، وأقوال الصحابة والتابعين،  
وأئمة المفسرين<sup>(٣)</sup>.

وهذا الأمر - الخوض في استنباط الإعجاز - لا يحصل في الوجوه الأخرى لإعجاز  
القرآن الكريم، كالإعجاز البياني، والغبي، والتشريحي فإنه لا يُقَدِّم على ذلك في  
الغالب إلا أهل العلم المتخصصون.

٤ إن الأعداد والحسابات ليس لها أثر إيماني روحي يجده المسلم في قلبه ونفسه،  
فيتأثر بذلك وينتفع، بل هو نظر ظاهري جاف، ومن يقرأ الكتب والأبحاث  
والمقالات المكتوبة في هذا المجال أو يسمع المحاضرات والحوارات حوله يجد ذلك  
جلياً، بل إن الإنسان لا يطبق إكمال بعض الأبحاث المؤلفة فيه، بخلاف التدبر  
والتأمل في الأحكام الشرعية والهدايات الإيمانية والمواعظ القرآنية والقصص  
النبوية وما تشتمل عليه من تعظيم للخالق وتذكير بالآخرة، وتسلية للمؤمنين.

(١) في ظلال القرآن ١ / ١٨١.

(٢) فكرة إعجاز القرآن ص ٢٩٢، وانظر في ظلال القرآن ١ / ١٨١.

(٣) انظر أمثلة لذلك في كتابي نقد دعوى الإعجاز العددي في القرآن الكريم ص .

## الخاتمة

وفي الختام، وبعد أن منَّ الله تعالى بكتابة هذا البحث الموجز، هذه بعض النتائج التي ظهرت لي من خلاله، وهي كما يلي:

- ١) علم إعجاز القرآن الكريم من العلوم المهمة الشريفة؛ لتعلقه بكتاب الله تعالى، وكونه مظهراً لعظمة القرآن الكريم، وأنه تنزيل من العزيز العليم.
- ٢) اختلف العلماء في تحديد وجوه إعجاز القرآن الكريم، والأظهر أنه يعمّ ما ذكره العلماء الأجلاء من وجوه مختلفة يصدّق عليها حدُّ المعجزة، وأن أعظم هذه الوجوه وأظهرها الإعجاز البياني.
- ٣) ما يسمّى (الإعجاز العددي) مصطلح حادث، لم يعرف إلا في هذا العصر، وهو تحرّصات مبنية على التكلّف والتعسف الذي ينزّه عنه القرآن الكريم.
- ٤) تدبّر القرآن الكريم، واستنباط أحكامه وهداياته، وتنزيل آياته على الواقع أمر مشروع ومندوب إليه، ولكن ذلك محكوم بضوابط وأصول وقواعد تجب مراعاتها.

وبناءً على ما تقدم، أوصي بما يلي:

- ١) صرف النظر عن هذا الوجه الإعجازي الحادث، والاشتغال بألوان الإعجاز الأخرى التي هي أظهر وضوحاً، وأسلم منهجاً، وأكثر نفعاً.
- ٢) أوصي من وفقه الله تعالى لتدبّر كتابه أن يلتزم بضوابط التدبر، ويتجنّب الخوض فيما لا يعلم، والتكلف في استنباط معاني ولطائف مخالفة لظاهر السياق ودلالة اللغة وفهم السلف.

٣) أُوصي مَنْ لم يكن من المتخصصين في الدراسات القرآنية بعَرْض ما يتوصل إليه من معان واستنباطات على أهل العلم المتخصصين، لمراجعتها وتحكيمها قبل نشرها.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

## فهرس المصادر والمراجع

١. أبحاث في علوم القرآن، لغانم الحمد، دار عمار، عمان، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ.
٢. اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، لفهد الرومي، طبع بإذن رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.
٣. الإلتقان في علوم القرآن، للسيوطي، تحقيق مركز الدراسات القرآنية بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ.
٤. أسرار الحروف وحساب الجُمَّل، لطارق القحطاني، رسالة ماجستير مقدمة في قسم العقيدة، بجامعة أم القرى بمكة .
٥. إشراقات الرقم سبعة في القرآن الكريم، لعبد الدائم الكحيل، نشر جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ.
٦. إعجاز الرقم ١٩ مقدمات تنتظر النتائج، لبسام جرار، المؤسسة الإسلامية، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٩٤م.
٧. الإعجاز العددي في القرآن الكريم بين الحقيقة والوهم، لفتاح حسني محمود، دار جهينة، عمان، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.
٨. الإعجاز العددي في القرآن الكريم دراسة نقدية تأصيلية، لصالح يحيى صواب، بحث مقدم لمؤتمر إعجاز القرآن الكريم، المنعقد بكلية الشريعة في جامعة الزرقاء الأهلية، في المملكة الأردنية .
٩. الإعجاز العددي للقرآن الكريم، لعبد الرزاق نوفل، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الخامسة ١٤٠٧هـ.

١٠. الإعجاز في ترقيم الآيات، لعبد الوهاب أبو صفية، دار عمار، عمان، الطبعة الأولى ١٤٣١ هـ.
١١. إعجاز القرآن بين الإمام السيوطي والعلماء: دراسة نقدية، لمحمد موسى الشريف، دار الأندلس الخضراء، الطبعة الثانية ١٤٢٢ هـ.
١٢. إعجاز القرآن، لأبي بكر الباقلاني، تحقيق: أحمد صقر، دار المعارف، مصر، الطبعة الخامسة ١٩٨١ هـ.
١٣. إعجاز القرآن، لفضل حسن عباس، وسناء فضل عباس، دار النفائس، عمان، الطبعة السابعة ١٤٢٩ هـ.
١٤. البرهان في علوم القرآن، للزرکشي، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ.
١٥. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمحمد بن فيروز آبادي، المكتبة العلمية بيروت.
١٦. البيان في عدّ آي القرآن، لأبي عمرو الداني، تحقيق: غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات، الكويت، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ.
١٧. تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي، دار الهداية.
١٨. التأصيل الشرعيّ للدراسات العددية في القرآن الكريم، لإيمان كامل، بحث مقدم للمؤتمر الدولي الثاني للإعجاز العددي الذي نظمتها الهيئة المغربية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، في الرباط.

١٩. تأصيل فكرة الإعجاز العددي في القرآن الكريم، لحسن عبد الجليل عبد الرحيم علي العبادلة، بحث مقدم للمؤتمر الدولي الثاني للإعجاز العددي الذي نظمتها الهيئة المغربية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، في الرباط.
٢٠. التبيان، للنووي، تحقيق محمد عرقسوسي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.
٢١. تسعة عشر ملكاً بيان أن فرية الإعجاز العددي خدعة بهائية، لحسين ناجي محي الدين، دار الزهراء، القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٨٤م.
٢٢. التعريفات، للجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ.
٢٣. تعظيم القول في التفسير وأثره في دفع القراءات المنحرفة المعاصرة للقرآن الكريم، بحث منشور في مجلة تبيان للدراسات القرآنية، العدد الثاني عشر، ١٤٣٤هـ.
٢٤. تفسير ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق عبد الله التركي، دار هجر القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
٢٥. تفسير ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
٢٦. تفسير الرازي، التفسير الكبير، لفخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

٢٧. تفسير الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم محمود الزمخشري، دار المعرفة .
٢٨. تفسير ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد الله الأنصاري وزملائه، وزارة الأوقاف، قطر، الطبعة الثانية ١٤٢٨هـ.
٢٩. تفسير الشعالي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: محمد علي معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.
٣٠. تفسير الشعلي، الكشف والبيان، تحقيق: أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
٣١. تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ.
٣٢. تهذيب اللغة، للأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
٣٣. الجامع الصحيح، سنن الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر، توزيع دار الباز، مكة.
٣٤. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: علي بن حسن بن ناصر وزميليه، دار العاصمة، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ.
٣٥. دراسات في علوم القرآن، لفهد الرومي، الطبعة الثالثة عشر، ١٤٢٥هـ.

٣٦. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لجلال الدين السيوطي، طبعة دار هجر، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.
٣٧. رسائل النور، المكتوبات لبديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر، تركيا، الطبعة الثانية، ١٩٦٠م.
٣٨. رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية، لغانم قدوري الحمد، دار عمار، عمان، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.
٣٩. رسم المصحف والإعجاز العددي، لأشرف عبد الرزاق قطنة، منار للنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
٤٠. سنن أبي داود، للحافظ أبي داود السجستاني، إعداد وتعليق: عزت الدعاس، دار الحديث، الطبعة الأولى، ١٣٨٩هـ.
٤١. الصحاح، للجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٧.
٤٢. صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، المطبعة الإسلامية، استانبول.
٤٣. ضوابط الإعجاز العددي في القرآن الكريم، لفهد الرومي، بحث مقدم للمؤتمر الدولي الثاني للإعجاز العددي الذي نظمتها الهيئة المغربية للإعجاز العلمي في القران والسنة، في الرباط.
٤٤. ضوابط الإعجاز، لمحمد زكي محمد خضر، بحث منشور على موقعه في شبكة المعلومات الانترنت.



٤٥. فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، دار السلام، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
٤٦. فنون الأفنان، لأبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، دار البشائر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
٤٧. القائد إلى عين العقائد، حميد الدين الفراهي.
٤٨. القاموس المحيط، للفيروز آبادي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
٤٩. كتابة القرآن الكريم بغير الرسم العثماني، دراسة تاريخية وموضوعية، لها بنت عبد الله الهدب، دار كنوز إشبيليا، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ.
٥٠. لسان العرب، لابن منظور، تحقيق: عبد الله علي الكبير وزملائه، دار المعارف.
٥١. لطائف المعارف لابن رجب الحنبلي، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.
٥٢. ما يسمى الإعجاز العددي في القرآن تكلف واضح وتعسف بيّن، لعمر عبد الله الحلبي، دار النهضة، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ.
٥٣. مباحث في إعجاز القرآن، لمصطفى مسلم، دار المنارة جدة، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
٥٤. مباحث في علوم القرآن، لمناع بن خليل القطان، مكتبة المعارف الرياض، الطبعة الثانية ١٤١٧هـ.

٥٥. محاضرات في علوم القرآن، لغانم الحمد، دار عمار، عمان، الطبعة الأولى  
١٤٢٣هـ.

٥٦. المدخل الوجيز إلى دراسة الإعجاز، لمحمود غازي، دار البشائر الإسلامية،  
بيروت، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ.

٥٧. مسند الإمام أحمد، دار الفكر.

٥٨. المصنف، لابن أبي شيبة، اعتنى به محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب  
العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.

٥٩. معترك الأقران، لجلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة  
الأولى ١٤٠٨هـ.

٦٠. معجزة الترتيب القرآني ترتيب سور القرآن وآياته، لعبد الله إبراهيم جلغوم،  
نشر جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ.

٦١. المعجزة القرآنية، لمحمد حسن هيتو، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة،  
١٤١٩هـ.

٦٢. المعجم الوسيط، لإبراهيم أنيس وزملائه، مكتبة الشروق، استانبول، الطبعة  
الرابعة، ١٤٢٦هـ.

٦٣. المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان داوودي، دار  
العلم دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٢.

٦٤. المحلى لابن حزم، تحقيق أحمد شاكر، دار التراث، القاهرة.

٦٥. مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس، اعتنى به: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.
٦٦. مقدمة جامع التفاسير، للراغب الأصفهاني، تحقيق: أحمد حسن فرحات، دار الدعوة، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ.
٦٧. مقالات في علوم القرآن، لمساعد بن سليمان الطيار، دار المحدث، وشبكة التفسير، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.
٦٨. المقتطف من بينات الإعجاز العددي، لبسام نهاد جرار، نشر جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ.
٦٩. مقولة الإعجاز العددي دراسة نقدية، لأحمد خالد شكري، (ضمن أبحاث الندوة الثانية للإعجاز العددي)، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ.
٧٠. الموافقات، للشاطبي، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.
٧١. منهج علماء السلف القدامى والمعاصرين في الإعجاز العددي، لسارة العقلاء، بحث مقدم لمؤتمر الإعجاز العددي الثالث، المنعقد بجامعة ملايا بماليزيا.
٧٢. النبأ العظيم، لمحمد عبد الله دراز، اعتنى به عبد الحميد الداخني، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.
٧٣. نقد دعوى الإعجاز العددي في القرآن الكريم، لإبراهيم بن صالح الحميضي، الناشر: دار ابن الجوزي بالدمام، الطبعة الأولى ١٤٣٥هـ.



# منهج المدرسة الإشـارية فيـه التـدبـر

إعداد

د. نادر السنوسي العمراني

أستاذ الحديث وعلومه، بقسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب - جامعة طرابلس.



## السيرة الذاتية للباحث

« الإسم : د. نادر السنوسي على العمراني.

« تاريخ الميلاد: ١٠ / ١٠ / ١٣٩٢ هجري طرابلس.

« البريد الإلكتروني: ELNADERSENUSSI@YAHOO.COM

« المؤهلات العلمية.

- تحصل على شهادة الليسانس في الحديث وعلومه من كلية الحديث الشريف بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية عام ١٩٩٧م بتقدير عام ممتاز، بنسبة ٩٦,٥٪.

- تحصل على دبلوم الدراسات العليا في الحديث وعلومه من قسم علوم الحديث، بكلية الحديث الشريف بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية عام ١٩٩٨م بنسبة ٩٧,٨٪.

- تحصل على الشهادة العالية (الماجستير) في الحديث وعلومه من قسم علوم الحديث، بكلية الحديث بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية عام ٢٠٠٢م بتقدير ممتاز.

- تحصل على درجة الدكتوراه من قسم الدراسات الإسلامية بجامعة طرابلس ٢٠١٠م بإشراف أ.د. الصادق بن عبد الرحمن الغرياني، مع التوصية بالطبع والتداول بين الجامعات.

« الأعمال:

- أستاذ مساعد بقسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب، جامعة طرابلس.

- وكيل الشؤون العلمية بالمعهد العالي للعلوم الشرعية التابع لدار الإفتاء الليبية.

- عضو هيئة الرقابة الشرعية بعدة مؤسسات مالية إسلامية.  
- نائب رئيس لجنة مراجعة القوانين والتشريعات وتعديلها بما يتوافق مع أحكام  
الشرعية.

- عضو مجلس البحوث والدراسات الشرعية بدار الإفتاء الليبية ٢٠١٣م.

- الأمين العام لهيئة علماء ليبيا.

- نائب رئيس رابطة علماء المغرب العربي.

- عضو رابطة علماء المسلمين.

#### « المؤلفات والبحوث العلمية:

- علوم الحديث عند ابن عبد البر من خلال كتابه التمهيد.

- قرائن الترجيح في المحفوظ والشاذ وفي زيادة الثقة عند ابن حجر من خلال فتح  
الباري.

- النصوص الشرعية بين جمود الظاهرية وخيالات المتعمقة.

- جهود المحدثين في الدفاع عن النبي ﷺ.

- تشريعات التأمين التكافلي في ليبيا قراءة في قرار وزير الاقتصاد رقم (٢٠١) لسنة  
٢٠١٢م.

- الحديث الحسن لذاته وعدم اختصاصه بخفة الضبط.

- الأحاديث المشتهرة على الألسنة وحكم روايتها دون تثبت.

- أثر المعايير الشرعية في كفاءة التدقيق الشرعي.



## المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين؛ نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد أمر الله سبحانه عباده بتدبر كتابه الكريم، فقال سبحانه: ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ [ص: ٢٩]، كما نعى سبحانه على الذين لا يتدبرون القرآن، فقال: ﴿ أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد: ٢٤]، وقال سبحانه: ﴿ أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢].

وقد تعددت مناهج المنسويين للعلم في تدبر كتاب الله سبحانه، بين غالٍ ومُفَرِّطٍ، وبين سائر على طريق هدى وبين مفتتح باب ضلالة كانت سبباً في كثير من التحريف الذي تعرّض له كتاب ربنا.

ومن بين هذه المناهج منهج المدرسة الإشارية، الذي أشكل حكمه على الكثيرين، فمن مُنكِرٍ لهذه الطريقة، مُشْتَعٍ على أهلها، رافضٍ لكل ما يصدر عنها وعنهم. وبين مادح لها، واصفٍ لأهلها بالأولياء المحققين الناظرين بنور الله، داعٍ للتمسك بكل ما يصدر عنها.

فوجب النظر في هذه الطريقة نظرة إنصاف، بعيداً عن التعصب لها أو عليها، للخروج بحكم مناسب، يبيّن ما فيها من صواب أو خطأ، مبيناً إمكانية الاستفادة منها في تدبر كلام الله واستخراج حكمه.

وقد جعلت هذا البحث في ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الأصل الذي قام عليه المنهج الإشاري في التدبر.

المطلب الثاني: تعريف التفسير الإشاري، وشروط قبوله.

المطلب الثالث: أمثلة تطبيقية للتدبر على المنهج الإشاري.

## المطلب الأول

### الأصل الذي قام عليه المنهج الإشاري في التدبر

لقد قام أصل المنهج الإشاري في التدبر على أن الله سبحانه قد اختص عباده المتقين وأوليائه الصالحين بفهم كتابه، وإدراك بعض معانيه الخفية التي لا يدركها غيرهم، ولا يفتح بها إلا عليهم، كل ذلك بسبب اتباعهم لأمره سبحانه، وانتهائهم عن نواهي، فأورثهم ذلك صفاء ونقاءً كشف لهم به عن أسرار كتاب ربهم، وفتحوا معانيه وإشاراته.

ولا شك أن طاعة الله سبحانه من أعظم الوسائل المعينة على العلم والفهم، فإن الله يوفق العبد التقى لما لا يوفق له غيره. وقد دللت على هذا المعنى آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا ۖ وَإِذَا لَأْتَيْنَاهُمْ مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ۖ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [النساء: ٦٦ - ٦٨]، فذكر سبحانه أن من ثمرات الالتزام بأمره الهداية إلى الصراط المستقيم. وقوله سبحانه: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٦]، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد: ١٧].

وفي المقابل، فقد يحجب الله سبحانه المعرفة عن قلب امرئ بسبب معصيته وتركه أمره، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الصف: ٥]، وقال سبحانه: ﴿سَأَصْرِفُ عَن آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْعِغْيِ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٦]. قال ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ):

((أي سأمع فهم الحجج والأدلة على عظمتي وشريعتي وأحكامي قلوب المتكبرين عن طاعتي))<sup>(١)</sup>.

لكن هذا لا يعني أن يُترك سبيل الأخذِ بالأسباب، وأن يُهمَل طلبُ العلم من مظانِّه، فلا يمكن الادعاء بأنَّ تقوى الله جل وعلا وحدها موصلة إلى فهم مراد الله سبحانه، بل على من أراد فهم كلام الله أن يُراعي أصول أهل العلم في التدبُّر، ويستعين على ذلك بطاعة الله سبحانه واتباع أمره؛ ليوافقه في فهمه ويسدِّده في تدبره.

قال ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ): ((والناس في هذا الباب على ثلاثة أقسام؛ طرفان ووسط. فقوم يزعمون أنَّ مجرد الزهد وتصفية القلب ورياضة النفس تُوجب حصول العلم بلا سبب آخر.

وقومٌ يقولون: لا أثر لذلك، بل الموجب للعلم: العلمُ بالأدلة الشرعية أو العقلية. وأمَّا الوسط فهو أنَّ ذلك من أعظم الأسباب معاونةً على نيل العلم، بل هو شرطٌ في حصول كثير من العلم، وليس هو وحده كافياً، بل لا بد من أمر آخر؛ إما العلم بالدليل - فيما لا يُعلم إلا به - وإمَّا التصور الصحيح لطرفي القضية في العلوم الضرورية))<sup>(٢)</sup>.

وهذه بعض نصوص أهل العلم في الدلالة على أهمية البعد عن المعاصي والمداومة على الطاعة في تحصيل العلم والمحافظة عليه.

قال يحيى بن يحيى سأل رجل مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ): ((يا أبا عبد الله، هل يصلح لهذا الحفظ شيء؟ قال: إن كان يصلح له شيء فترك المعاصي))<sup>(٣)</sup>.

(١) تفسير القرآن العظيم (٣/ ٤٧٤-٤٧٥).

(٢) مجموع الفتاوى (١٣/ ٢٤٦-٢٤٧).

(٣) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (رقم ١٧٨٣).

وقال بشر بن الحارث (ت ٢٢٧هـ): ((إن أردت أن تُلَقِّنَ العِلْمَ، فلا تُعْصِ))<sup>(١)</sup>.  
وقال المُرُودِي: سمعت أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) يقول: ((عبد الوهاب الورَّاق رجل صالحٌ، مثله يُوقِّقُ لإصابة الحق))<sup>(٢)</sup>.  
وقال ابن القيم (ت ٧٥١هـ): ((وللمعاصي من الآثار القبيحة المذمومة المضرة بالقلب والبدن في الدنيا والآخرة ما لا يعلمه إلا الله، فمنها: حرمان العلم؛ فإنَّ العلم نور يقذفه الله في القلب، والمعصية تطفئ ذلك النور. ولَمَّا جلس الإمام الشافعي بين يدي مالك وقرأ عليه، أعجبه ما رأى من وفور فطنته وتوقُّد ذكائه وكمال فهمه، فقال: إني أرى الله قد ألقى على قلبك نوراً، فلا تطفئه بظلمة المعصية. وقال الشافعي:

شكوتُ إلى وكيعٍ سُوءَ حِفْظِي  
فأرشدني إلى تَرْكِ المعاصي  
وقال اعلمْ بأنَّ العِلْمَ فضْلٌ  
وفضْلُ الله لا يُؤْتَاهُ عَاصِي))<sup>(٣)</sup>.

(١) المصدر نفسه (رقم ١٧٨٤).

(٢) سير أعلام النبلاء (٢٣ / ٣١١).

(٣) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (ص ٣٤-٣٥).

## المطلب الثاني

### تعريف التفسير الإشاري وشروط قبوله

لقد عرّف التفسير الإشاري بعدة تعريفات متقاربة، فقد عرّفه الشيخ عبد العظيم محمد الزرقاني (ت ١٣٦٧هـ) بقوله: ((هو تأويل القرآن بغير ظاهره؛ لإشارة خفية تظهر لأرباب السلوك والتصوف، ويمكن الجمع بينها وبين الظاهر والمراد))<sup>(١)</sup>.

ووافقه الشيخ محمد حسين الذهبي فقال: ((هو تأويل آيات القرآن الكريم على خلاف ما يظهر منها، بمقتضى إشارات خفية تظهر لأرباب السلوك، ويمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة))<sup>(٢)</sup>.

وعرّفه الصابوني بقوله: ((هو تأويل القرآن على خلاف ظاهره، لإشارات خفية تظهر لبعض أولي العلم، أو تظهر للعارفين بالله من أرباب السلوك والمجاهدة للنفس ممّن نور الله بصائرهم فأدركوا أسرار القرآن العظيم، أو انقدحت في أذهانهم بعض المعاني الدقيقة بواسطة الإلهام الإلهي أو الفتح الرباني، مع إمكان الجمع بينهما وبين الظاهر المراد من الآيات الكريمة))<sup>(٣)</sup>.

والملاحظ في هذه التعاريف أنها اتفقت على أنّ التفسير الإشاري هو (تأويل للقرآن بغير ظاهره) أي بغير ما تقتضيه ألفاظ الآيات بحسب اللغة العربية التي هي لسان القرآن كما قال الله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء: ١٩٣ - ١٩٥].

(١) مناهل العرفان (٢/٦٧).

(٢) التفسير والمفسرون (٢/٢٤٥).

(٣) التبيان في علوم القرآن (ص ١٩١).

(لإشارات خفية) هذا هو الدليل الموجب للعدول عن ظاهر اللفظ. ووُصفت بالخفاء لأنّها لا تظهر لكل أحد، بل (تظهر لأرباب السلوك والتصوف) أي أنّها يختص بإدراكها الحريصون على الالتزام بأمر الله وطاعته، وذُكر التصوف ليس على سبيل الحصر في أهله، وإنّما هو لاشتهارهم به، ولهذا فإنّ تعبير الصابوني أولى حيث قال: (تظهر لبعض أولي العلم، أو تظهر للعارفين بالله من أرباب السلوك والمجاهدة للنفس ممّن نور الله بصائرهم).

(ويمكن الجمع بينها وبين الظاهر والمراد) وهذا هو الفارق بين التفسير الإشاري وتفسير الباطنية القائم على إنكار المعاني الظاهرة للقرآن، وإدعاء معاني أخرى مخالفة له.

ولمّا كان الأصل في فهم كتاب الله التزام ظواهر ألفاظه، وعدمّ تعديها إلى غيرها إلّاّ لدليلٍ يجب المصير إليه<sup>(١)</sup>، وجب النظر في حقيقة هذه الإشارات التي أوجبت العدول عن الظاهر إلى غيره، هل هي معتبرة شرعاً أم لا؟

وللجواب عن هذا السؤال أقول: المراد بالإشارات المذكورة في هذه التعريفات: حالات وجدانية يمر بها المفسر أو المتدبّر حالّ قراءته للقرآن، فتذهبُ نفسهُ إلى معنى يذكره عند قراءة الآية، ليس هو المعنى الذي دلّت عليه ألفاظ الآية بمقتضى معناها اللغوي.

قال الزركشي (ت ٥٧٩٤هـ): ((فأمّا كلام الصوفية في تفسير القرآن، فقيل: ليس تفسيراً، وإنّما هي معاني ومواجيد يجدونها عند التلاوة، كقول بعضهم في ﴿يَا أَيُّهَا

(١) قال ابن جرير في تفسيره (٧/ ٤١): ((فمن ادعى في التنزيل ما ليس في ظاهره، كُلف البرهان على دعواه من الوجه الذي يجب التسليم له)).

الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ﴿ [التوبة: ١٢٣]: إِنَّ المراد النفسُ، فأمرنا بقتال من يلينا؛ لأنها أقرب شيء إلينا، وأقرب شيء إلى الإنسان نفسه))<sup>(١)</sup>.

وقد قسّم الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور هذه المواجيد والإشارات ثلاثة أقسام فقال: ((وعندي أنّ هذه الإشارات لا تعدو واحداً من ثلاثة أنحاء:

الأول: ما كان يجري فيه معنى الآية مجرى التمثيل لحال شبيه بذلك المعنى، كما يقولون مثلاً: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَتَّعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ [البقرة: ١١٤] إنه إشارة للقلوب؛ لأنّها مواضع الخضوع لله تعالى؛ إذ بها يُعرف، فتسجد له القلوب بفناء النفوس. ومنعها من ذكره هو الحيلولة بيّنها وبين المعارف اللدنية، ﴿وَسَعَى فِي خَرَابِهَا﴾ [البقرة: ١١٤] بتكديرها بالتعصبات وغلبة الهوى، فهذا يُشبه ضرب المثل لحال من لا يُزكّي نفسه بالمعرفة، ويمنع قلبه أن تدخله صفات الكمال الناشئة عنها، بحال مانع المساجد أن يُذكر فيها اسم الله، وذكُر الآية عند تلك الحالة كالنطق بلفظ المثل...

الثاني: ما كان من نحو التفاؤل، فقد يكون للكلمة معنى يسبق من صورتها إلى السمع، هو غير معناها المراد، وذلك من باب انصراف ذهن السامع إلى ما هو المهم عنده، والذي يجول في خاطره، وهذا كمن قال في قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] (من ذلّ) ذي إشارة للنفس يصير من المقربين الشفعاء، فهذا يأخذ صدى موقع الكلام في السمع، ويتأوله على ما شغل به قلبه. ورأيت الشيخ محي الدين يُسمّي هذا النوع سماعاً، ولقد أبداع.

(١) البرهان في علوم القرآن (٢/١٨٧).



الثالث: عبرٌ ومواعظٌ، وشأنُ أهل النفوس اليقظى أن ينتفعوا من كل شيء، ويأخذوا الحكمة حيث وجدوها، فما ظنكُ بهم إذا قرؤوا القرآن وتدبروه فاتعظوا بمواعظه، فإذا أخذوا من قوله تعالى: ﴿فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً﴾ [المزمل: ١٦] اقتبسوا أن القلب الذي لم يمتثل رسول المعارف العليا تكون عاقبته وبالاً. ومن حكاياتهم في غير باب التفسير: أن بعضهم مرَّ برجل يقول لآخر: هذا العودُ لا ثمرة فيه، فلم يعد صالحاً إلا للنار. فجعل يبكي ويقول: إذن فالقلب غير المثمر لا يصلح إلا للنار<sup>(١)</sup>.

وهناك قسمٌ رابعٌ شبيهٌ بالقسم الثاني: وهو ما أُخذ من شُكْلِ حروف بعض الكلمات الواردة في القرآن لا من أصواتها، فاستلهموا منها معاني ودلالات. كقولهم: (بِسْمِ اللَّهِ): ابْتُدئَ الكلام بحرف الباء، ونُقِطت من تحت إشارة إلى توحيد الله جل وعلا.

والمأمل في هذه الإشارات يجد أنها لا تخرج عن إحدى حالتين:

الأولى: أن يكون المفسر أو المتدبر قد ذكرها على أنها المراد من كلام الله، وأن الآيات إنما سيقَّت للدلالة على هذا المعنى. وهذا لا شك باطل؛ إذ لو كان المعنى المذكور صحيحاً، لأقام الله سبحانه عليه من الأدلة من خلال اللفظ ما يرشدنا إليه، ولم يقتصر ذلك على أمزجة أهل الإشارة أو وجدانهم.

قال الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور -عقب كلامه السابق-: ((فنسبة الإشارة إلى لفظ القرآن مجازية؛ لأنها إنما تشير لمن استعدت عقولهم وتدبرهم في حال من الأحوال الثلاثة، ولا ينتفع بها غير أولئك، فلما كانت آيات القرآن قد أنارت تدبرهم،

(١) التحرير والتنوير (١/ ٣٥-٣٦).

وأثارت اعتبارهم، نسبوا تلك الإشارة للآية. فليست تلك الإشارة هي حقّ الدلالة اللفظية والاستعمالية حتى تكون من لوازم اللفظ وتوابعه كما قد تبين. وكلُّ إشارة خرجت عن حدِّ هذه الثلاثة الأحوال إلى ما عداها فهي تقترب إلى قول الباطنية رويداً رويداً، إلى أن تبلغ عين مقالاتهم، وقد بصرناكم بالحد الفارق بينهما، فإذا رأيتم اختلاطه فحَقَّقوا مناطه، وفي أيديكم فيصل الحق فدونكم اختراطه<sup>(١)</sup>.

الثانية: أن يكون ذكرهم لهذه الإشارات على سبيل الاعتبار والقياس، والانتقال من معنى مقصود إلى آخر شبيه به؛ إمّا من حيث المعنى، أو الصوت، أو الصورة. وغالباً ما يكون السبب في هذا الانتقال هو تحريك القلوب، وشحن الهمم؛ استجابة للحالة الوجدانية التي يمر بها المتدبر.

قال ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ): ((وهذان قسمان؛ أحدهما: أن يُقال: إنّ ذلك المعنى مرادٌ باللفظ، فهذا افتراءٌ على الله، فمن قال: المراد بقوله: ﴿تَذَبُّحُوا بِقَرَّةٍ﴾ [البقرة: ٦٧] هي النفس. وبقوله: ﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ﴾ [طه: ٢٤] هو القلب. ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ [الفتح: ٢٩]: أبو بكر. ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ [الفتح: ٢٩]: عمر. ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]: عثمان. ﴿تَرَاهُمْ رُكْعاً سُجّداً﴾ [الفتح: ٢٩]: علي. فقد كذب على الله، إمّا متعمداً وإمّا مخطئاً.

والقسم الثاني: أن يُجعل ذلك من باب الاعتبار والقياس، لا من باب دلالة اللفظ، فهذا من نوع القياس، فالذي تسمّيه الفقهاء قياساً هو الذي تسمّيه الصوفية إشارةً، وهذا ينقسم إلى صحيح وباطل، كأنقسام القياس إلى ذلك، فمن سمع قول الله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٩]، وقال: إنّه اللوح المحفوظ أو المصحف. فقال:

(١) المصدر نفسه (١/٣٦).

كما أنَّ اللوحَ المحفوظَ الذي كُتِبَ فيه حروفُ القرآنِ لا يمسه إلا بدنٌ طاهرٌ، فمعاني القرآن لا يذوقها إلا القلوبُ الطاهرةُ وهي قلوبُ المتقين، كان هذا معنى صحيحاً، واعتباراً صحيحاً. ولهذا يُروى هذا عن طائفة من السلف. قال تعالى: ﴿الْمَ ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ١، ٢]، وقال: ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٨]، وقال: ﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ ﴾ [المائدة: ١٦] وأمثال ذلك. وكذلك من قال: (لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب) (١) فاعتبر بذلك أنَّ القلبَ لا يدخله حقائقُ الإيمانِ إذا كان فيه ما يُنجسه من الكبر والحسد فقد أصاب. قال تعالى: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يَطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ ﴾ [المائدة: ٤١]، وقال تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْعُغْيِ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ ﴾ [الأعراف: ١٤٦]، وأمثال ذلك ... فكلُّ معنى يخالف الكتاب والسنة فهو باطل، وحقته داحضة، وكلُّ ما وافق الكتاب والسنة والمراد بالخطابِ غيره إذا فسَّر به الخطاب فهو خطأ، وإن دُكر على سبيل الإشارة والاعتبار والقياس فقد يكون حقاً، وقد يكون باطلاً) (٢).

### شروط قبول التفسير الإشاري:

من خلال الاستعراض السابق لمعنى التفسير الإشاري، يظهر بأنَّه ليس كلُّه مقبولاً،

(١) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق/ باب إذا قال أحدكم: آمين والملائكة في السماء فوافقت إحداها الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه/ رقم ٣٢٢٥)، ومسلم (كتاب اللباس والزينة/ باب تحريم تصوير الحيوان وتحريم اتخاذ ما فيه صورة غير ممتهنة بالفرش ونحوه، وأن الملائكة عليهم السلام لا يدخلون بيتاً فيه صورة ولا كلب/ رقم ٥٤٨١) من حديث أبي طلحة ولفظه: (لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة).

(٢) مجموع الفتاوى (١٣/ ٢٤١-٢٤٣). ونحو في الموافقات للشاطبي (٤/ ٢٣٢).

بل منه ما هو مقبول، ومنه ما هو مردود. وقد وضع أهل العلم شروطاً للمقبول منه، هي:  
 أولاً: أن يكون المعنى المذكور صحيحاً في نفسه؛ بأن يكون له شاهدٌ شرعيٌّ  
 يشهد له، ولا يوجد في الكتاب أو السنة ما يعارضه أو ينفيه. فكلُّ معنىٍ يدَّعيه صاحبه،  
 ويحاول أن يحمَلَ كلامَ الله عليه مع معارضته له معارضة صريحة لاشك في بطلانه<sup>(١)</sup>.

قال ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ): ((وجماع القول في ذلك: أن هذا الباب نوعان:

أحدهما: أن يكون المعنى المذكور باطلاً؛ لكونه مخالفاً لما علِمَ، فهذا هو في نفسه  
 باطلٌ، فلا يكون الدليل عليه إلا باطلاً؛ لأنَّ الباطل لا يكون عليه دليل يقتضى  
 أنَّه حقٌّ.

والثاني: ما كان في نفسه حقاً، لكن يستدلون عليه من القرآن والحديث بألفاظ  
 لم يُردُّ بها ذلك، فهذا الذي يسمونه (إشارات)، وحقائق التفسير لأبي عبد الرحمن فيه  
 من هذا الباب شيءٌ كثير.

وأما النوع الأول، فيوجد كثيراً في كلام القرامطة والفلاسفة المخالفين للمسلمين  
 في أصول دينهم؛ فإنَّ من علِمَ أنَّ السابقين الأولين قد رضي الله عنهم ورضوا عنه،  
 علِمَ أنَّ كلَّ ما يذكرونه على خلاف ذلك فهو باطل<sup>(٢)</sup>. ومن أقرَّ بوجود الصلوات  
 الخمس على كل أحد مادام عقله حاضراً، علِمَ أنَّ من تأوَّل نصّاً على سقوط ذلك عن  
 بعضهم فقد افتري، ومن علِمَ أنَّ الخمر والفواحش محرمةٌ على كل أحد - ما دام عقله

(١) ينظر: الموافقات (٤/٢٣٢).

(٢) من ذلك تفسير الباطنية قوله تعالى: ﴿تبت يد أبي هب وتب﴾ [المسد: ١] بأنها أبو بكر وعمر، وقوله:  
 ﴿فقاتلوا أئمة الكفر﴾ [التوبة: ١١٢] أنهم طلحة والزبير، ﴿والشجرة الملعونة في القرآن﴾ [الإسراء: ٦٠] بأنها بنو  
 أمية، وقوله: ﴿إن الله يأمرك أن تذبحو بقرة﴾ [البقرة: ٦٧] أنها عائشة. ينظر: مجموع الفتاوى (١٣/٢٣٧-  
 ٢٣٨).

حاضرًا- عَلِمَ أَنَّ مِنْ تَأَوَّلِ نَصًّا يَقْتَضِي تَحْلِيلَ ذَلِكَ لِبَعْضِ النَّاسِ أَنَّهُ مُفْتَرٍ<sup>(١)</sup>.

ثانياً: أن يكون المعنى المذكور موافقاً لنظم القرآن على ما تقتضيه اللغة، وفي لفظ الآية إشعاراً به؛ فقد يكون المعنى صحيحاً لدلالة الكتاب والسنة عليه، ولكن هذه الآية بخصوصها لا علاقة لها به.

فالواجب أن يكون فكرُ المتدبر ونظرُهُ تبعاً للقرآن، وأن يكون أصل انفجار المعنى الذي يذكره من الآية لا العكس<sup>(٢)</sup>.

قال أبو حيان الأندلسي (ت ٧٥٤هـ) -وهو يتكلم عن منهجه في تفسيره-: ((وَرَبَّمَا أَلَمَّتْ بَشِيءٌ مِنْ كَلَامِ الصُّوفِيَةِ مِمَّا فِيهِ بَعْضٌ مَنَاسِبَةٌ لِمَدْلُولِ اللَّفْظِ، وَتَجَنَّبْتُ كَثِيرًا مِنْ أَقَاوِيلِهِمْ وَمَعَانِيهِمْ الَّتِي يَحْمِلُونَهَا الْأَلْفَاظَ، وَتَرَكْتُ أَقْوَالَ الْمَلْحِدِينَ الْبَاطِنِيَةِ الْمَخْرُجِينَ الْأَلْفَاظَ الْقَرِيبَةَ عَنْ مَدْلُولَاتِهَا فِي اللُّغَةِ إِلَى هَذَا بَدْوَانِ افْتَرَاهُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَعَلَى عَلِيِّ كَرَمِ اللَّهِ وَجْهَهُ وَعَلَى ذُرَيْتِهِ، وَيَسْمُونَهُ عِلْمَ التَّأْوِيلِ. وَقَدْ وَقَفْتُ عَلَى تَفْسِيرٍ لِبَعْضِ رُؤُوسِهِمْ وَهُوَ تَفْسِيرٌ عَجِيبٌ، يَذْكَرُ فِيهِ أَقَاوِيلَ السَّلَفِ مَزْدَرِيًّا عَلَيْهِمْ وَذَاكِرًا أَنَّهُ مَا جَهَلَ مَقَالَتَهُمْ، ثُمَّ يَفْسِرُ هُوَ الْآيَةَ عَلَى شَيْءٍ لَا يَكَادُ يَخْطُرُ فِي ذَهْنِ عَاقِلٍ، وَيَزْعَمُ أَنَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْمُرَادُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ، وَهَذِهِ الطَّائِفَةُ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا))<sup>(٣)</sup>.

ثالثاً: ألا يدعى أنه المعنى المراد من الآية، دون ظاهرها. وهذا هو الفرق بين تفسير الصوفية المسمى بالتفسير الإشاري، وتفسير الباطنية الملاحدة؛ فإنهم يقولون: إنَّ الظاهر غير مراد أصلاً، ويحمِلون الآية على المعنى الباطن الذي يدعونه، وقصدُهم

(١) مجموع الفتاوى (١٣/٢٤٠-٢٤١).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (١٣/٢٤١)، والموافقات (٤/٢٥٣-٢٥٤).

(٣) البحر المحيط (١/١٣).

بذلك نفي الشريعة.

قال ابن الصلاح (ت ٦٤٣هـ): ((وجدت عن الإمام أبي الحسن الواحدي أنه قال: صنّف أبو عبد الرحمن السلمي (حقائق التفسير)، فإن كان قد اعتقد أنّ ذلك تفسير فقد كفر. وأنا أقول: الظن بمن يوثق به منهم، أنه إذا قال شيئاً من أمثال ذلك، أنه لم يذكره تفسيراً ولا ذهب به مذهب الشرح للكلمة المذكورة في القرآن العظيم، فإنّه لو كان كذلك كانوا قد سلكوا مسالك الباطنية، وإنما ذلك ذكر منهم لنظير ما ورد به القرآن، فإنّ النظير يُذكر بالنظير))<sup>(١)</sup>.

وقال التفتازاني: ((سُميت الملاحدة باطنيةً لادعائهم أنّ النصوص ليست على ظاهرها، بل لها معانٍ لا يعرفها إلاّ المُعلّم، وقصّدهم بذلك نفي الشريعة بالكلية))<sup>(٢)</sup>.  
 رابعاً: ألاّ يكون وراء ذكر هذا المعنى تشويشاً على المفسّر له؛ فإنّ كثيراً ممّا دُكر من تفسير الآيات إشارياً قد فهم على أنّه المراد باللفظ، وسبّب إشكالاً للسامع؛ إمّا بظنّه صحّة هذا التفسير واعتماده له على أنّه المعنى المقصود من الآية. أو بمعرفته ببطلانه وظنّه أنّ المفسر قد ذكره على أنه المراد فيسيء الظنّ به. لذا تمّنى ابن الصلاح أن لو لم يذكر المفسرون هذه المعاني، ولم يُشوّشوا بها، واعتبر ذلك تساهلاً ممّن فعله، فقال -عقب كلامه السابق-: ((فيا ليتهم لم يتساهلوا بمثل ذلك؛ لما فيه من الإيهام والالتباس والله أعلم))<sup>(٣)</sup>.

وقد ذكر ابن القيم (ت ٧٥١هـ) رحمه الله شيئاً من هذه الشروط فقال: ((وتفسير الناس يدور على ثلاثة أصول: تفسير على اللفظ، وهو الذي ينحو إليه المتأخرون

(١) فتاوى ابن الصلاح (ص ١٩٦-١٩٧).

(٢) شرح العقائد النسفية (ص ١٤٢).

(٣) فتاوى ابن الصلاح (ص ١٩٧).

وتفسير على المعنى، وهو الذي يذكره السلف. وتفسير على الإشارة والقياس، وهو الذي ينحو إليه كثير من الصوفية وغيرهم. وهذا لا بأس به بأربعة شرائط: أن لا يناقض معنى الآية. وأن يكون معنى صحيحاً في نفسه. وأن يكون في اللفظ إشعار به. وأن يكون بينه وبين معنى الآية ارتباط وتلازم. فإذا اجتمعت هذه الأمور الأربعة؛ كان استنباطاً حسناً<sup>(١)</sup>.

ومعنى كونه مقبولاً عدم رفضه، لا وجوب الأخذ به، أمّا عدم رفضه؛ فلعدم وجود ما يعارضه أو يقتضي بطلانه، مع احتمال لفظ الآية له في الجملة. وأمّا عدم وجوب الأخذ به؛ فلكونه من قبيل الوجدانيات التي لا تستند على برهان، وإنما هو معنى يجده المتدبر في نفسه لرابط - قياس أو إلهام، أو حالة نفسية - يقع بينه وبين الآية، قد يخالفه فيه غيره أو لا يستطيع إقامة الدليل عليه<sup>(٢)</sup>.

(١) التبيان في أقسام القرآن (ص ٤٩).

(٢) ينظر: التفسير والمفسرون (٢/٢٦٣)، ومناهل العرفان (٧٠/٢).

## المطلب الثالث

### أمثلة تطبيقية للتدبر على المنهج الإشاري

بعد أن تمَّ بيان شروط قبول التفسير الإشاري، نعرض فيما يلي أمثلة تطبيقية، منها ما توفرت فيه تلك الشروط فاستحقَّ القبول، ومنها ما اختلَّ فيه بعضها فاستحق الرد.

أولاً: روى البخاري<sup>(١)</sup> عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((كان عمر رضي الله عنه يدخلني مع أشياخ بدر، فكأنَّ بعضهم وجدَّ في نفسه، فقال: لمَّ تُدخل هذا معنا، ولنا أبناءٌ مثله؟ فقال عمر رضي الله عنه: إنَّه من حيث علمتم. فدعاه ذات يوم، فأدخله معهم، فما رأيت أنه دعاني يومئذ إلا ليربهم، قال: ما تقولون في قول الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: ١]؟ فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نُصرنا وفُتِح علينا. وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً. فقال لي: أكذاك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا. قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له؛ قال: فإذا جاء نصر الله والفتح -وذلك علامة أجلك- فسبِّح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً. فقال عمر رضي الله عنه: ما أعلم منها إلا ما تقول)).

فقد أثبت ابن عباس رضي الله عنهما معنى الآية الظاهر، وهو أمر النبي ﷺ بالتسبيح والاستغفار<sup>(٢)</sup>، وفهم من وراء ذلك قُرب أجل النبي ﷺ، وهو معنى يمكن

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب التفسير/ باب قوله ﴿فسبِّح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً﴾ / رقم ٤٩٧٠)

(٢) أخرج البخاري في صحيحه (كتاب التفسير/ باب / رقم ٤٩٦٨) عن عائشة رضي الله عنها قالت: ((كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي: يتأوَّل القرآن)).



استنباطه من الآية بوضوح؛ فإنَّ مهمة الرسول ﷺ بلاغ رسالة ربه، وإذا أتم الله دينه، وفتح على رسوله ﷺ، فقد انتهت مهمته، وكان ذلك إيذاناً بقرب أجله.

وعليه فهو تفسير واستنباط مقبول، وإن لم يكن هو المراد بلفظ الآية ابتداءً. لذا قال الحافظ ابن حجر (ت ٨٥٢هـ): ((وفيه جواز تأويل القرآن بما يفهم من الإشارات، وإنَّما يتمكن من ذلك من رسخت قدمه في العلم، ولهذا قال علي رضي الله عنه: (أو فهماً يؤتیه الله رجلاً في القرآن))<sup>(١)</sup>.

ثانياً: قول سهل بن عبد الله التستري (ت ٢٨٣هـ) في تفسير قول الله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢] قال: ((أي أصداداً، فأكبر الأصداد: النفس الأمارة بالسوء؛ المتطلعة إلى حظوظها ومناها بغير هدى من الله))<sup>(٢)</sup>.

وهذا المعنى الذي ذكره في نفسه معنى صحيح، ويمكن فهمه من لفظ الآية، ومع ذلك لم يذكره على أنه هو المقصود، بل ذكره من ضمن الأنداد التي يمكن أن تُلحق بالأصنام بما بينها من جامع.

قال أبو إسحاق الشاطبي (ت ٧٩٠هـ): ((يشير إلى أنَّ النفس الأمارة داخله تحت عموم الأنداد، حتى لو فصل كان المعنى: فلا تجعلوا لله أنداداً، لا صنماً، ولا شيطاناً، ولا النفس، ولا كذا، وهذا مشكل الظاهر جداً؛ إذ كان مساق الآية ومحصول القرائن فيها يدل على أنَّ الأنداد الأصنام أو غيرها مما كانوا يعبدون، ولم يكونوا يعبدون

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب الجهاد والسير/ باب فكاك الأسير/ رقم ٣٠٤٧) عن أبي جحيفة رضي الله عنه قال: قلت لعلي رضي الله عنه: هل عندكم شيء من الوحي إلا ما في كتاب الله؟ قال: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، ما أعلمه إلا ففهم يعطيه الله رجلاً في القرآن، وما في هذه الصحيفة. قلت: وما في الصحيفة؟ قال: العقل، وفكاك الأسير، وأن لا يقتل مسلم بكافر.

(٢) فتح الباري (٨/ ٦٠٨-٦٠٩).

(٣) تفسير القرآن العظيم للتستري (ص ١٤).

أنفسهم ولا يتخذونها أرباباً. ولكن له وجه جارٍ على الصحة، وذلك أنه لم يقل: إنَّ هذا هو تفسير الآية، ولكن أتى بما هو نَدُّ في الاعتبار الشرعي الذي شهد له القرآن من جهتين؛ إحداهما: أنَّ الناظر قد يأخذ من الآية معنى من باب الاعتبار؛ فيجربيه فيما لم تنزل فيه؛ لأنه يجامعه في القصد أو يقاربه؛ لأنَّ حقيقة الند أنه المضاد لنده، الجاري على مناقضته، والنفسُ الأمارة هذا شأنها؛ لأنها تأمر صاحبها بمراعاة حظوظها، لاهية أو صادة عن مراعاة حقوق خالقها، وهذا هو الذي عُني به الند في نده؛ لأن الأصنام نصبوها لهذا المعنى بعينه. وشاهد صحة هذا الاعتبار قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]، وهم لم يعبدوهم من دون الله ولكنهم اتتمروا بأوامرهم، وانتهوا عما نهوهم عنه كيف كان، فما حرّموا عليهم حرّموه، وما أباحوا لهم حلّلوه<sup>(١)</sup>.

ثالثاً: قول نجم الدين داية (ت ٦٥٤هـ) في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اعْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾ [البقرة: ٢٤٩] قال: ((والإشارة فيها: أَنَّ الله تعالى ابتلى الخلق بنهر الدنيا، وماء زينتها، وما زُين للخلق فيها؛ لقوله تعالى: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ﴾ [آل عمران: ١٤] ليظهر المحسن من المسيء، وليميز الخبيث من الطيب، والمقبول من المردود، وكما قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِيَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٧]، ثم امتحنهم وقال تعالى: ﴿فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي﴾ [البقرة: ٢٤٩] يعني من أوليائي ومحبي وطلابي، وله اختصاص بقربي وقبولي، والتخلق بأخلاقي، ونيل

(١) الموافقات (٤/٢٤٢-٢٤٤).

الكرامة مني. كان النبي ﷺ يقول: (أنا من الله والمؤمنون مني)<sup>(١)</sup>. ﴿إِلَّا مَنْ اعْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾ يعني من قنع من متاع الدنيا على ما لا بد منه من المأكل والمشروب والملبوس والمسكن وصحبة الخلق على حد الاضطرار، كما كان النبي ﷺ وأصحابه)).

وهذا المعنى الذي ذكره صحيح في نفسه؛ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ ابْتَلَى الْخَلْقَ بِأَنْوَاعٍ مِنَ الْإِبْتِلَاءَاتِ، كما قال سبحانه: ﴿وَتَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥]، فمن نجح كانت له النجاة والنعيم، ومن كان غير ذلك فله الأخرى.

لكنَّ الشَّانَ فِي رِبْطِ هَذَا الْمَعْنَى بِالآيَاتِ الْمَذْكُورَةِ؛ فَإِنَّ سِيَاقَ الْآيَاتِ فِي حِكَايَةِ قِصَّةِ حَقِيقَةِ وَقَعَتْ لَطَالُوتَ وَمِنْ مَعَهُ، وَلَيْسَتْ فِي الْإِبْتِلَاءِ الْعَامِ، لَكِنْ لَمَّا كَانَتْ هَذِهِ الْقِصَّةُ مِنَ الْوَقَائِعِ الَّتِي ابْتَلَى اللَّهُ فِيهَا طَالُوتَ وَمِنْ مَعَهُ، وَنَجَّحَ مِنْ نَجَّحَ مِنْهُمْ، حَسُنَ لِلْمُتَدَبِّرِ أَنْ يَأْخُذَ مِنْهَا الْعِبْرَةَ، وَيَتَذَكَّرُ بِهَا حَالَهُ مَعَ فِتْنِ الدُّنْيَا، حَتَّى تَنْفُطَمَ نَفْسُهُ عَنِ طَلِبِهَا إِلَّا بِالْحَلَالِ.

ومع هذا، فقد نقل أبو عبد الله القرطبي (ت ٦٧١هـ) نحواً من كلام داية في تفسيره، ونسبه إلى بعض من يتعاطى غوامض المعاني، فقال: ((وقال بعض من يتعاطى غوامض المعاني: هذه الآية مثل ضربه الله لدنيا، فشبها الله بالنهر، والشارب منه بالمائل إليها والمستكثر منها، والتارك لشربه بالمنحرف عنها والزاهد فيها، والمغترف بيده غرفة بالأخذ منها قدر الحاجة، وأحوال الثلاثة عند الله مختلفة)).

(١) قال العجلوني في كشف الخفا (١/٢٣٣): ((هو كذب مختلق كما قاله الحافظ ابن حجر وأقال بعض الحفاظ: لا يعرف بهذا اللفظ مرفوعاً، بل الذي ثبت في الكتاب والسنة أن المؤمنين بعضهم من بعض، أما الكتاب ففي قوله تعالى: {بعضكم من بعض}. وأما السنة ففي قوله ﷺ في حيي الأشعرين: (هم مني وأنا منهم). وقوله لعلي رضي الله عنه: (أنت مني وأنا منك). وقوله للحسن: (هذا مني وأنا منه). وكله صحيح)).

ثم ردّه بقوله: ((ما أحسنَ هذا، لولا ما فيه من التحريف في التأويل، والخروج عن الظاهر، لكن معناه صحيح من غير هذا))<sup>(١)</sup>.

قلت: لم يدع نجم الدين داية أن ما ذكره تفسيراً للآية، ولو ذكر ذلك لكان تحريفاً كما قال القرطبي، لكنه ذكره على سبيل الاعتبار والقياس، ولا شك أن أمر التدبير أوسع من التفسير، فيكون ما ذكره مقبولاً والله أعلم.

رابعاً: قول أبي عبد الرحمن السلمي (ت ٤١٢هـ) في تفسير قول الله تعالى: ﴿ألم﴾ في فاتحة سورة البقرة، قال: ((قيل: إنَّ الألف ألفُ الوحدانية، واللام لامُ اللطف، والميم ميمُ الملك، معناه: من وجدني على الحقيقة يسقط العلائق والأغراض تَلَطَّفت له ... فأخرجته من رِقِّ العبودية إلى الملك الأعلى، وهو الاتصال بمالك الملك، دون الاشتغال بشيء من الملك))<sup>(٢)</sup>.

فهذا المعنى المذكور وإن كان صحيحاً في نفسه؛ فإنَّ الله سبحانه واحدٌ لا شريك له، لطيفٌ بعباده، مالكٌ للخلق أجمعين، غير أن ربط هذا المعنى بألفاظ الآية بعيدٌ، ولا يعدو كونه أحاسيس معينة خطرت على قلب المتكلم بهذا الكلام فتحدت بها، وإذا جاز أن يعتبر هذا تفسيراً أو استنباطاً من الآية، فإنه يجوز لغيره أن تخطر له خواطر أخرى في الآية أيضاً.

قال أبو إسحاق الشاطبي (ت ٧٩٠هـ): ((فمن ذلك فواتح السور، نحو: ﴿ألم﴾، و﴿المص﴾، و﴿حم﴾، ونحوها، فسُرت بأشياء، منها ما يظهر جريانه على مفهوم صحيح، ومنها ما ليس كذلك، فينقلون عن ابن عباس في ﴿ألم﴾ أنَّ (ألف) الله،

(١) الجامع لأحكام القرآن (٣/ ٢٢٠).

(٢) حقائق التفسير (ص ٩).

و(لام) جبريل، و(ميم) محمد ﷺ. وهذا إن صحَّ في النقل<sup>(١)</sup>؛ فمشكّل لأنَّ هذا النمط من التصرف لم يثبت في كلام العرب هكذا مطلقاً، وإنما أتى مثله إذا دلَّ عليه الدليل اللفظي أو الحالي ... وأيضاً، فلا دليل من خارج يدل عليه؛ إذ لو كان له دليل لاقتضت العادة نقله؛ لأنه من المسائل التي تتوفر الدواعي على نقلها لو صحَّ أنه مما يفسر ويقصد تفهيم معناه، ولما لم يثبت شيء من ذلك؛ دل على أنه من قبيل المتشابهات، فإن ثبت له دليل يدل عليه صير إليه<sup>(٢)</sup>.

وعليه فسُدَّ باب مثل هذه الإشارات هو الواجب، حتَّى لا يُجَمَّل كتابُ الله ما لا يحتمله.

خامساً: قول سهل التستري (ت ٢٨٣هـ) في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦] قال: ((أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ بَيْتَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِمَكَّةَ. هَذَا هُوَ الظَّاهِرُ. وَباطنُهَا: الرَّسُولُ يُوْمَنُ بِهِ مِنْ أُثْبِتَ اللَّهُ فِي قَلْبِهِ التَّوْحِيدَ مِنَ النَّاسِ))<sup>(٣)</sup>.

وهذا أيضاً معنى صحيح مقررٌ في الكتاب والسنة، وأنَّ الله سبحانه قد أرسل رسوله محمداً ﷺ هدى للناس يهدي به من الظلمات إلى النور، لكن هل في الآية ما يدل على ذلك؟ أم أنَّها مجرد أحاسيس شعر بها المتكلِّم عند تلاوتها للآية يريد أن يحملها عليها؟ وإذا كان كذلك، فلا يحسن أن تُذكر عند الآية إلاَّ إذا كان هناك ما يدل عليها من خلال اللفظ، وهذا غير موجود.

(١) قال المناوي في الفتح السماوي (١/١٢٦): ((هذا لا يعرف عن ابن عباس ولا غيره من السلف)).

(٢) الموافقات (٤/٢٣٥-٢٣٧).

(٣) تفسير التستري (ص ٤١).

قال أبو إسحاق الشاطبي (ت ٧٩٠هـ): ((وهذا التفسير يحتاج إلى بيان؛ فإنَّ هذا المعنى لا تعرفه العرب، ولا فيه من جهتها وضع مجازي مناسب، ولا يلائمه مساق بحال، فكيف هذا؟ والعدر عنه أنه لم يقع فيه ما يدل على أنه تفسير للقرآن، فزال الإشكال إذًا، وبقي النظر في هذه الدعوى ولا بد إن شاء الله من بيانها))<sup>(١)</sup>.

سادساً: قول أبي محمد الشيرازي (ت ٦٦٦هـ) في تفسير قول الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ٩١]، قال: ((وصف الله زمرة أهل المراقبات، ومجالس المحاضرات، والهاثمين في المشاهدات، والمستغرقين في بحار الأزليات، الذين أنحلوا جسومهم بالمجاهدات، وأمروا نفوسهم بالرياضات، وأذابوا قلوبهم بدوام الذكر، وجولانها في الفكر، وخرجوا بعقائدهم الصافية عن الدنيا الفانية بمشاهدته الباقية؛ بأن رفع عنهم بفضل حرج الامتحان، وأبقاهم في مجالس الأئس ورياض الإيقان، وقال: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ﴾ يعني الذين أضعفهم حمل أوقار المحبة، ﴿وَلَا عَلَى الْمَرْضَى﴾ الذين أمرضهم مرارة الصابات ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ﴾ الذين يتجردون عن الأكوان بتجريد التوحيد وحقائق التغريد ﴿حَرَجٌ﴾ عتاب من جهة العبودية والمجاهدة؛ لأنهم مقتولون بسيف المحبة، مطروحون حول باب الوصلة، ضعفهم من الشوق، ومرضهم من الحب، وقرهم من حسن الرضا))<sup>(٢)</sup>.

ولاشك أنَّ ما ذكره بعيدٌ كلَّ البعد عن معنى الآية، بل هو تحميلٌ لها ما لا تحتمله، وهو من قبيل تطويع الآية لاعتقاده؛ إذ الآية تتحدث عن أهل الأعذار في الجهاد

(١) الموافقات (٤/ ٢٤٧).

(٢) عرائس البيان في حقائق القرآن (١/ ٣٣٩).

الذين يحبون الله ورسوله ويتمنون أن لو تمكنوا من المشاركة، وهم على صنفين؛ صنف عذرهم لازم كالأعمى والأعرج، وصنف عذرهم طارئ عارض بسبب مرض ألمَّ بهم أو فقر.

قال ابن كثير (ت ٧٧٤هـ): (( بَيَّنَّ تَعَالَى الْأَعْذَارَ الَّتِي لَا حَرَجَ عَلَيَّ مِنْ قَعْدِ مَعَهَا عَنِ الْقِتَالِ، فَذَكَرَ مِنْهَا مَا هُوَ لِأَزْمٍ لِلشَّخْصِ لَا يَنْفِكُ عَنْهُ، وَهُوَ الضَّعْفُ فِي التَّرْكِيبِ الَّتِي لَا يَسْتَطِيعُ مَعَهُ الْجِلَادُ فِي الْجِهَادِ، وَمِنْهُ الْعَمِيُّ وَالْعَرَجُ وَنَحْوَهُمَا، وَلِهَذَا بَدَأَ بِهِ. وَمِنْهَا مَا هُوَ عَارِضٌ بِسَبَبِ مَرَضٍ عَنَّ لَهُ فِي بَدَنِهِ، شَغَلَهُ عَنِ الْخُرُوجِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ بِسَبَبِ فَقْرِهِ لَا يَقْدِرُ عَلَى التَّجْهِيزِ لِلْحَرْبِ، فَلَيْسَ عَلَى هَؤُلَاءِ حَرَجٌ إِذَا قَعَدُوا وَنَصَحُوا فِي حَالِ قَعُودِهِمْ، وَلَمْ يَرْجِفُوا بِالنَّاسِ وَلَمْ يَثْبُطُوهُمْ، وَهُمْ مُحْسِنُونَ فِي حَالِهِمْ هَذَا، وَلِهَذَا قَالَ: مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ))<sup>(١)</sup>.

سابعاً: ما قاله صاحب جواهر المعاني في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢] قال: ((وحملها الإنسان الكامل الذي يحفظ الله به نظام الوجود، وبه يرحم جميع الوجود، وبه صلاح جميع الوجود، وهو حياة جميع الوجود، وبه قيام جميع الوجود، ولو زال عن الوجود طرفة عين واحدة لصار الوجود كله عدماً في أسرع من طرفة عين، وهو المعبر عنه بلسان العامة قطب الأقطاب، والغوث الجامع))<sup>(٢)</sup>.

وهذا لا شك تفسير باطل، يظهر أنه من الاستدلال بالقرآن على المذهب الباطل؛ بأنَّ للأولياء قدرةً على التحكم في الكون وحفظه من الدمار. وهو مخالف لما تواتر من النصوص بأنَّ الله سبحانه وحده خالق الكون، ومدبرُ أموره، والمتصرفُ في شؤونه، لا

(١) تفسير ابن كثير (٤/١٩٨).

(٢) جواهر المعاني (٢/١٠٦) نقلاً عن كتاب أسباب الخطأ في التفسير (٢/٧٥٧-٧٥٨).

يملك أحد - كائناً من كان - رد أمره، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل. قال تعالى - مخاطباً نبيه -: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [يونس: ٤٩]، وقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ [المائدة: ٢].

ثامناً: قول بعضهم في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [الجن: ٢١، ٢٢] قال: ((لأنهم - يعني الشيوخ - أبواب رحمة الله تعالى دنيا وأخرى، وعلى أيديهم تنزل الرحمة من الرحمن إلى كل مرحوم، وهم الوسائل، ولولاهم لهلك الكل، كما قيل: لولا الوساطة لذهب الموسوط ... وقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ هو طاعة الأكابر من السادات والمشايخ))<sup>(١)</sup>.

وهو أيضاً معنى باطل؛ إذ طاعة المشايخ والكبراء ليست مطلقة، بل منوطة بموافقة كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

(١) رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم لعمر بن سعيد الفوتي (١٧/١) نقلاً عن أسباب الخطأ في التفسير (٧٥٨/٢).



## النتائج والتوصيات

### النتائج:

أولاً/ أن طاعة الله سبحانه وتقواه من أعظم الوسائل المعينة على العلم والفهم.

ثانياً/ أن الإشارات التي يذكرها المفسرون ليست من باب التفسير، وإنما هي حالة وجدانية يمر بها المتدبر حال قراءته للقرآن، فتذهبُ نفسه إلى معنى يذكره عند قراءة الآية، ليس هو المعنى الذي دلّت عليه ألفاظ الآية بمقتضى معناها اللغوي.

ثالثاً/ أن الإشارات التي يذكرها المفسرون هي من باب ذكر الشبيه بشبيهه، والمثيل بمثيله، وسبب التشابه راجع إلى تشابه في المعنى، أو في وقعها على الأسماع، أو في شكل حروفها.

رابعاً/ أن الإشارات التي يذكرها المفسرون ليست مقبولة على الإطلاق، بل منها ما هو مقبول، ومنها ما هو مردود، ويشترط لقبول هذه الإشارات ما يلي:

(١) أن يكون المعنى المذكور صحيحاً في نفسه؛ بأن يكون له شاهد شرعي يشهد له، ولا يوجد في الكتاب أو السنة ما يعارضه أو ينفيه.

(٢) أن يكون المعنى المذكور موافقاً لنظم القرآن على ما تقتضيه اللغة.

(٣) ألاّ يدعى أنّه المعنى المراد من الآية، دون ظاهرها. وهذا هو الفرق بينه وبين تفسير الباطنية الملاحدة.

(٤) ألاّ يكون وراء ذكر هذا المعنى تشويشاً على المفسر له.

خامساً/ معنى كون التفسير الإشاري مقبولاً عدم رفضه، لا وجوب الأخذ به.

### التوصيات:

يوصي الباحث بتتبع نصوص المفسرين من السلف (الصحابة والتابعين وأتباعهم) التي يمكن أن تكون أصلاً للتدبر الإشاري.

## قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

- ١) أسباب الخطأ في التفسير دراسة تأصيلية، لطاهر محمود محمد يعقوب، دار ابن الجوزي، الدمام، السعودية، ط الأولى، ١٤٢٥هـ.
- ٢) البحر المحيط في التفسير، لمحمد بن يوسف أبي حيان الأندلسي (ت ٧٥٤هـ)، مكتبة الإيمان، بريدة، السعودية، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- ٣) البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، خرج أحاديثه وقدم له وعلق عليه مصطفى عبد القادر عطا، دار القلم، بيروت، لبنان.
- ٤) التبيان في أقسام القرآن، لشمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، دار الفكر.
- ٥) تفسير القرآن العظيم، لسهل بن عبد الله التستري (ت ٢٨٣هـ)، دار الكتب العلمية الكبرى (البابي الحلبي)، مصر.
- ٦) تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢٠٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- ٧) التفسير والمفسرون، لمحمد حسين الذهبي، قام بضبط نصوصه وخرج آياته وأحاديثه ووضع فهارسه أحمد الزعبي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت لبنان.

- ٨) جامع البيان في تفسير القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، دار المعرفة، بيروت لبنان، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- ٩) الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت ٦٧١هـ)، تحقيق عماد زكي البارودي وخيري سعيد، المكتبة التوفيقية، القاهرة مصر.
- ١٠) الجامع لأخلاق الراوي، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق د. محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٣هـ.
- ١١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، لشمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ١٢) صحيح البخاري محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ) مع الفتح، قام بإخراجه وتصحيح تجاربه محب الدين الخطيب، دار الريان للتراث، القاهرة، ط الثانية ١٤٠٩هـ.
- ١٣) صحيح مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١هـ) مع شرح النووي، حقق أصوله وخرج أحاديثه على الكتب الستى خليل مأمون شيخا، دار المعرفة، بيروت لبنان، ط ١٥، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- ١٤) فتاوى ومسائل ابن الصلاح في التفسير والحديث والأصول والفقه، لأبي عمرو ابن الصلاح (ت ٦٤٣هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه د. عبد المعطي أمين قلعجي، دار المعرفة، بيروت، ط الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- ١٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر (ت ٨٥٢هـ)، قام بإخراجه وتصحيح تجاربه محب الدين الخطيب، دار الريان للتراث، القاهرة، ط الثانية ١٤٠٩هـ.

- ١٦) الفتح السماوي بتخريج أحاديث القاضي البيضاوي، لزين الدين عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي (ت ١٠٣١هـ)، تحقيق أحمد مجتبي، دار العاصمة، الرياض.
- ١٧) كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، لإسماعيل بن محمد العجلوني (ت ١١٦٢هـ)، تحقيق د. عبد الحميد هندراوي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط الأولى، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
- ١٨) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية أحمد بن عبد الحلیم (ت ٧٢٨هـ) لابن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، ١٤١٦هـ.
- ١٩) مناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد عبد العظيم الزرقاني (ت ١٣٦٧هـ)، تحقيق أحمد بن علي، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.



٤

# منهج المدرسة الإصلاحية في التفسير

إعداد

د. محمد السُّبُي





## السيرة الذاتية للباحث

« الاسم : محمد السبسي.

« مكان وتاريخ الميلاد: المملكة المغربية - إقليم مكناس - ٢٧/٠٨/١٩٤٩م.

« المهنة: أستاذ التعليم العالي.

« الشهادات العلمية:

- الإجازة في الشريعة - الجامعة الإسلامية المدينة المنورة.

- دبلوم الدراسات العليا المعمقة- جامعة محمد الخامس - الرباط.

- شهادة الدراسات الجامعية العليا - جامعة مولاي اسماعيل مكناس

- دكتوراه الدولة في الدراسات الإسلامية- جامعة مولاي اسماعيل - مكناس.

« المهام العلمية والإدارية:

- رئيس شعبة الدراسات الإسلامية كلية الآداب- مكناس سابقاً.

- رئيس وحدة التكوين وبمحث الدرس القرآني وال عمران البشري كلية الآداب

مكناس.

- رئيس الجمعية المغربية للدراسات القرآنية-المملكة المغربية.

- رئيس المجلس العلمي لعمالة مكناس - المملكة المغربية حالياً.

« المؤلفات:

- المدرسة السلفية في التفسير في العصر الحديث.

- الاتجاه الاجتماعي في التفسير في العصر الحديث.

« من المقالات المنشورة:

- السنن الاجتماعية في القرآن الكريم.
- حاجة الأمة إلى القرآن الكريم.
- أثر العقيدة في بناء الشخصية المسلمة.
- مشاركة في عدد من الندوات الوطنية والدولية.

## المقدمة

عرف العالم عدة تحولات معرفية ومتغيرات معيارية في أعقاب الثورة الصناعية التي عرفتها البشرية في العصر الحديث، وعاشت مخاضاً عسيراً لتلد الثورة الصناعية التي قلبت كثيراً من المفاهيم والموازين في العالم الأوربي، ومنه إلى بلدان أخرى عبر قنوات متعددة ومتجددة، ومنها العالم الإسلامي؛ الذي كان يعيش ضعفاً معرفياً واجتماعياً خلال القرون الهجرية: التاسع والعاشر والحادي عشر والثاني عشر في هذا الجو المشحون نشأت حركات علمية وسياسية وقومية في العالم الإسلامي بعضها تأثر بالفكر الإسلامي انطلاقاً من القرآن الكريم، وبعضها الآخر تأثر بالثقافة الغربية. حاملة شعارات مذهبية، ومؤسسةً منطلقات فكرية ومنتخدة مرجعيات عقديّة عليها تبنى فلسفتها ومنهجها في نُصرة المذهب وبناء منهج الاستمداد، وطرائق الخطاب. استنطاقاً للمصادر، واستجابة لضرورات العصر، ومن هذه الحركات: الحركة الإسلامية في العصر الحديث التي اتخذت من «الإصلاح» شعاراً لها انطلاقاً من مفهومه القرآني بما هو مفهوم جامع، يميزه الاتصال المباشر بالوحي كتاباً وسنة، وبهدي السلف الصالح، سعياً إلى فتح باب الاجتهاد وتجديد أمر الدين بإحياء وتجديد مناهج فهم الكتاب العزيز، تأطيراً بالقولة المشهورة في أدبيات الأئمة الأعلام: «لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما صلح به أولها» بنسبتها إلى الإمام مالك<sup>(١)</sup> وقد مثلها ثلثة من العلماء المصلحين والمفسرين المتجددين مثل محمد بن علي الشوكاني<sup>(٢)</sup> ومحمد عبده<sup>(٣)</sup> ورشيد

(١) انظر مشكلات القرآن الكريم للإمام حسن البنا ص: ٥.

(٢) أبو علي بدر الدين محمد بن علي الشوكاني، نشأ في بيت علم وفضل وتأثر بجهاذة العلماء... من أشهر مؤلفاته في التفسير: فتح القدير الجامع بين فني الدراية والرواية ت ١٢٠٥ هـ ن ترجمته في البدر الطالع للشوكاني نفسه.

(٣) محمد عبده بن حسن خير الله من كبار رجال الاصلاح والتجديد في العصر الحديث... سيرته مليئة بالأحداث والمغامرات وعليه مدار «تفسير المنار» الشهير ولد ونشأ وتعلم بمصر ورحل إلى أقطار شتى ت ١٩٠٥ انظر تاريخ الأستاذ الامام الرشيد رضا.

رضا<sup>(١)</sup> والقاسمي<sup>(٢)</sup> ومحمد بن عبد الوهاب<sup>(٣)</sup> وابن باديس<sup>(٤)</sup> وأبي شعيب الدكالي<sup>(٥)</sup>، ومحمد بن العربي العلوي<sup>(٦)</sup>... وغيرهم ممن ربطوا الإصلاح بالاجتماعي والسياسي والمنهجي، تنزيلاً للمفهوم الصحيح للدين والتدين، بدءاً بإصلاح الاعتقاد، وتصحيح مفاهيمه وتصوراتها، ومنه إلى الجوانب العملية في حياة الأمة، مؤسسة بذلك مدرسة فكرية بنت قواعدها ومنهجها في الاستمداد من الوحي على طبيعة الوحي ذاته الذي هو منهاج كما عبر عنه قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨] مصطحبة معها معالم منهج السلف الصالح في تدبر القرآن الكريم وفهمه وبيان معانيه، ومكونة بذلك تياراً فكرياً فاعلاً في العالم الإسلامي بأسره، له خصائصه ومميزاته وأدواته المنهجية في سياق ما وصل إليه الفكر الماتح من منهاج الصدر الأول للإسلام ليتخذ هذا التار الفكري المتميز المشروعية البنائية والدلالية للتسمية

(١) ولد محمد رشيد رضا بطرابلس الشام وتعلم بها وتعلق برواد حركة الاصلاح في العصر الحديث: جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وأنشأ مجلة المنار، ومن رحها ولد «تفسير المنار» الشهير ت ١٣٥٤ هـ بمصر. انظر سيرته في: «رشيد رضا صاحب المنار» لأحمد الشرباصي.

(٢) هو جمال الدين بن محمد بن سعيد بن قاسم امام الشام في عصره... اشتهر بتفسيره: محاسن التأويل ت ١٣٣٢ هـ. انظر ترجمته في كتاب: شيخ الاسلام جمال الدين القاسمي لمحمد مهدي الإستانبولي.

(٣) محمد بن عبد الوهاب من المصلحين المجددين ولد بالعيننة وسط نجد وتعلم على يد أبيه أول الأمر، ثم رجع إلى أقطار من العالم الاسلامي ت ١٢٠٦ انظر ترجمته في موسوعة عباقرة الإسلام ١٣٣٣ لمحمد أمين فروخ.

(٤) عبد الحميد بن حميد بن المصطفى أحد رجال الاصلاح والتجديد بالجزائر، له في التفسير: مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير: على منهج المقالة الأدبية ت ١٣٥٩ هـ أنظر الموسوعة الحركية ١/ ١٣٤.

(٥) هو أبو شعيب بن عبد الرحمن الدكالي الصديقي الفقيه المحدث أسهم في حركة الإصلاح الحديثة ت ١٣٥٦ هـ أنظر سيرته في كتاب: المحدث الحافظ أبو شعيب الدكالي: لعبد الله الجارري.

(٦) العلامة أبو مصطفى محمد بن العربي المدغري الفلالي العلوي له أدوار طلابية في الإصلاح والتربية ت ١٣٨٤ هـ ودفن بمولده.

بهذا المولود المستحدث- المدرسة- الذي تعرّفه شهادة الميلاد في المعاجم الفكرية والفلسفية قائلة: « المدرسة أو المذهب: اتجاه فكري له قواعده ومقوماته ينتمي إليه أنصار وأتباع يحددون قواعده ويتبنون مقوماته ويسعون إلى تحقيقها»<sup>(١)</sup>. ومن هنا قالوا: من مدرسة فلان، أي: على منهجه ورأيه، كما قالوا مدرسة أدبية، أو فقهية، أو حديثة، أو تفسيرية. كما قالوا مذهب فلسفي أو أدبي أو فقهي أو تفسيري، تصنيفاً للاتجاه المعرفي ذي الطابع المشترك في المنهج والمجال العلمي واستعمال أدوات الفهم والتحليل والتنزيل لقضاياها ومباحثه.

### معالم منهج المدرسة الإصلاحية:

الأصل الأساس للإسلام هو القرآن الكريم يَسَّرَ اللهُ عز وجل بلسان الرسول محمد ﷺ - ليبين للناس ما نزل إليهم بالبيان القولي والتطبيق العملي، والرسول ﷺ في كل ذلك متلقٍ عن ربه ومبلغ عنه، ومن ثم كان ما صدر منه - عليه الصلاة والسلام- في مجال التشريع والتكليف أول ما تتلمس فيه معالم المنهج الإصلاحي في تدبر القرآن الكريم وبيانه، رُوَادُهُ الأوائل في التطبيق العملي وتلاميذ المدرسة النموذج وأتباعها المخلصون الصحابة رضوان الله عليهم، بما وعته قلوبهم وعقولهم. وعليه فإن أول ما تتلمس فيه معالم منهج المدرسة في التفسير ما صدر عنه ﷺ، مضافاً إليه الإطار الزمني الذي تُلقِي فيه البيان النبوي وتمت فيه الممارسات الأولى للتفسير، وبرزت فيه المعايير الضابطة لبيان الخطاب التشريعي وقت أن دعت الحاجة إلى ذلك ومن تلك الأوليات تتلمس المعالم الأولى لمنهج التفسير عند المدرسة وحصرها في ثلاث:

(١) المعجم الفلسفي. د. مراد وهبة: ٤٠٠ بتصرف.

(١) منهج البيان النبوي للكتاب المبين من حيث أن البيان النبوي هو الوظيفة الأساسية للنبوة والرسالة ومن حيث كونه ﷺ - قد عالج قضية البيان والتفسير قولاً وعملاً في إطار القيام بمهمة البلاغ. قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

(٢) منهج الصحابة رضوان الله عليهم في هذا البيان لمباشرتهم عملية البيان والتبليغ، إما بتكليف من الرسول ﷺ كإرساله البعثات التعليمية إلى مختلف الجهات يقومون بإقراء الناس وتفقيهمهم في القرآن الكريم<sup>(١)</sup> - أو استجابة لنداء القرآن بالتدبر والتفكير، واستعمال الأدوات المعرفية التي حددها لهذا الغرض في مثل قول الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨].

(٣) توظيف منهج القرآن نفسه في البيان وفق سنن الله في كتابه واقتداء برسول الله ﷺ في منهج بيان القرآن بالقرآن.

تلك هي أهم معالم منهج المدرسة الإصلاحية في التفسير، مستقاة من الواقع العملي لمنهج رجالات المدرسة في التفسير عملياً أو في مقدمات تفاسيرهم أو في مصنفتهم المنهجية في علوم القرآن وأصول التفسير وقواعده<sup>(٢)</sup> توجب علينا طبيعة الموضوع المبحوث تصنيف أصول المنهج وترتيبها أخذاً من أدبيات المدرسة وهي تمارس عملية الإصلاح في بيئة سياسية واجتماعية ومعرفية عَشَّشَتْ وفَرَّخَتْ فيها انحرافات وأمراض عقدية واجتماعية وهيمنت فيها على العالم الإسلامي ثقافات وافدة أحدثت غربة في الدين والتدين، ما كانت لترفع وتصلح إلا بالعودة إلى المنهج الذي صلح به أمر

(١) انظر صحيح مسلم: كتاب الجهاد باب رضا الله عن الشهداء ورضاهم عنه.

(٢) انظر مقدمة تفسير المنار لمحمد رشيد رضا ومقدمة تفسير القاسمي.

الأولين، بل وبتطوير المنهج وفق مبدأ التجديد والإحياء أحد الخصائص الكبرى لهذا الدين، بما هي عليه طبيعته الربانية المستوعبة للإنسان والزمان والمكان والأحداث الكامنة في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩].

### معالم التجديد المنهجي لدى المدرسة:

نعلم من دراسة الوضع العلمي للأمة الإسلامية عامة مطلع العصر الحديث، أن علم التفسير كباقي العلوم كان خاضعاً في أغلب ما ألف فيه إلى وَسْمِ الحقبة الزمنية قبله حيث تجمع الدراسات الاجتماعية والأدبية والتاريخية على أن الحقبة كانت حقبة جمود وضعف علمي، وإن كانت جذوة العلم في الأمة لم تنطفئ انطفاءً كاملاً<sup>(١)</sup>، بحيث لم يخل عصر من عصور الانحطاط والتخلف من قائمين بالأمر يذودون عن الحقيقة العلمية واستمراريتها تحقيقاً لقوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون»<sup>(٢)</sup> وتلك الأيام يداولها الله سبحانه وتعالى بين الناس، حسب سننه في الخلق، إذ بمجرد تحلي الإنسان عن السنة البانية في حياته العملية يكون قد وقع عملياً في قبضة سنن الهدم الحضاري.

ولما كانت سنة الابتلاء والتدافع سنة ملازمة للوجود جعل الله ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧] هو في الرسالة الخاتمة العلماء الوارثون للنبوة<sup>(٣)</sup> الذين يقومون بمهمة الإصلاح والتجديد بتصحيح المفاهيم والتصورات والمناهج. لتبقى ظاهرة التجديد

(١) انظر اتجاهات التجديد في تفسير القرآن في مصر ابراهيم شريف- دار التراث القاهرة ص: ٢٦ ابراهيم شريف ط/ ١٤٠٢م

(٢) صحيح البخاري كتاب الاعتصام عن المغيرة بن شعبة.

(٣) انظر فتح الباري... لابن حجر العسقلاني ١/ ١٩٣ ط ٣/ ١٤٠٧ هـ القاهرة.

في الإسلام وَجْهاً من وجوه الإعجاز المصدق للرسالة الخاتمة، يتجلى في جهد بشري تمثلت مظاهره لدى المدرسة في إعادة النظر في مناهج التفسير فناعة من روادها بأن الاكتفاء بما هو قائم في هذا المجال، أو النَّسْج على منواله يصبح عملاً مستهلكاً لا يساير الخطاب القرآني الموجه إلى كل جيل بعينه، وإلى توعية العقول والأفكار والقضايا الراجحة فيه... لأن ما وصل إليه المفسرون في العصور الماضية رغم أهميته وضرورة الاطلاع عليه لم يعد كافياً وحده للاستنتاج واستخلاص المفاهيم والمعاني المؤيدة لصلاحية القرآن لكل زمان ومكان في إطار التحوُّلات الهائلة التي عرفت مناهج البحث العلمي والتحوُّلات التي حصلت في الحياة العقلية والفكرية والاجتماعية.

من هذا المنطلق حاول أقطاب المدرسة إعادة النظر في مناهج التفسير في ظل معالم المنهج الأصلية لتتبلور هذه المعالم أول ما تبلورت في منهج عرض المادة المفسرة عملياً، استصحاباً للمنهج الأصيل لدى علماء الإسلام، إحياءً له وتأثراً بعرض المادة الأدبية والفكرية عامة في العصر الحديث، تدرعاً إلى ذلك بمبدأ الاجتهاد، باعتباره أصلاً من أصول المنهج العام وقاعدةً أساسية من قواعد التشريع وباعتباره عملية تأمل تستدعيها الأحداث والمشكلات وباعتباره المستجدة يستفزع من توفرت فيه شروط الاجتهاد جهده بتنوير ما يجب تنويره من مصادر تشريعية مُتَوَحِّجاً مقاصد الإسلام وروح التشريع<sup>(١)</sup>.

وعمل المدرسة هذا جاء على خلفية رواج فكرة إغلاق باب الاجتهاد وما تولد عنها من تقلص النشاط العلمي والانحسار الفكري وتولي الأدبار في مواجهة غزو العالم

(١) انظر الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي: ٢ / ٤٦٠ للحجوي محمد بن الحسن دار التراث القاهرة ط ١: ١٣٩٦ هـ.



الإسلامي بكل أشكال الغزو لا تحرفاً لقتال ولا تحيزاً إلى فئة، وإنما توقفاً بالفكر والعقل تحرفاً عما هو من وظيفته وغفلةً عن طبيعة القرآن ووظيفته في حياة الأمة.

يشهد شاهد من أهل فجر التاريخ الحديث قائلاً<sup>(١)</sup>: «ولقد طفت من أقصى المغرب ومن أقصى السودان إلى الحرمين الشريفين فلم ألق أحداً يسأل عن نازلة فيرجع إلى كتاب رب العالمين وسنة سيد المرسلين وآثار الصحابة والتابعين إلا ثلاثة رجال، وكل منهم مقموع محسود من المتفقهين...والعوام والتَّسَمِين بِسَيِّمِ الصَّالِحِينَ»<sup>(٢)</sup> ولما حاجج الإمام الشوكاني أهل عصره في ترك الاجتهاد قالوا: هذا هو الأمر القديم، وعليه أدركنا الشيوخ، ومن عجب أن التقليد إنما حدث بعد مائتي سنة من الهجرة وبعد فناء القرون التي أثنى عليها رسول الله ﷺ<sup>(٣)</sup>.

وقد تبدى أول ما تبدى مبدأ الاجتهاد في قوالب مناهج عرض المادة التفسيرية في أنحاء شتى من العالم الإسلامي، رائدها بلا منازع الشيخ محمد عبده بدروسه في الأزهر التي طارت بها مجلة المنار إلى آفاق شتى من العالم لتتحول إلى كتاب: «تفسير المنار» الرائد في المنهج وقواعده وضوابطه، داعياً المهتمين بأمر البيان من علماء الإسلام إلى «فهم الكتاب- القرآن- من حيث هو دين يرشد الناس إلى ما فيه سعادتهم في حياتهم الدنيا وحياتهم الآخرة»<sup>(٤)</sup>.

(١) هو الإمام صالح بن محمد بن نوح الشهير بالفلاحي سوداني الأصل توفي بالمدينة المنورة عام: ١٢١٨ هـ - أنظر فهرس الفهارس ٢/ ٢٦٤ لعبد الحي الكتاني ط ١ / ٣٤٧.

(٢) إيقاظ همم أولي الأبصار: ٢٨ صالح الفلاحي ط ١ / ١٣٩٨ هـ بيروت.

(٣) الكلمة لمحمد عبده نقلها عنه التلميذ الملازم رشيد رضا وأثبتها في أوائل أجزاء تفسير المنار، وعنه القاسمي في محاسن التأويل.

(٤) الكلمة لمحمد عبده نقلها عنه تلميذه رشيد رضا وأثبتها أوائل أجزاء تفسير المنار وعنه أخذت بعد ذلك في عدد من مقدمات التفاسير كالقاسمي في المحاسن.

## التجديد المنهجي في عرض المادة المفسّرة:

من مقومات المنهج منهج عرض المادة العلمية من حيث البناء الشكلي والموضوعي اجتهاداً في تيسير وتقريب الخطاب من متلقيه إنجازاً للإصلاح المنشود بأقل مجهود وأجدى مردود. لذا عمدت المدرسة إلى ما سجلته أدبياتها في التفسير على النحو الآتي:

(١) التفسير بالمقالة: وقد ظهر هذا المنهج أول ما ظهر في جريدة العروة الوثقى<sup>(١)</sup> وهو أسلوب في البلاغ لم يكن قد عرف قبل في تاريخ التفسير، على هيئة المقال الصحفي مصبوغاً بالأحداث والتقلبات السياسية والقضايا الاجتماعية- ومعالجاً بأدوات منهجية تجمع بين التاريخ والجغرافيا وعلم الأديان وعلم الاجتماع، ونظم العمران وعلم المناهج في محاولة من المدرسة لتنزيل القرآن على واقع المسلمين، ومعالجة مشكلاتهم في ضوء كلياته الكبرى، ومثله العليا وسننه في الاجتماع البشري<sup>(٢)</sup>.

(٢) التفسير بالموضوع: وهو من التجديد المنهجي الذي اضطلع عليه بالتفسير الموضوعي<sup>(٣)</sup> المنبثق أصلاً عن التفسير بالمقالة، ثم استقل منهجاً وشكلاً آخر في التفسير، يؤطر قضايا المجتمع في صورة إشكالات عقديّة واجتماعية وسياسية، جعلت أنظار كثير من المفسرين تتوجه نحو القرآن الكريم بحثاً

(١) ما نصّت عليه الجريدة مقاصد لإنشائها: العمل على إيجاد الجامعة الإسلامية التي تعني بها «إرشاد المسلمين بالقرآن ونشأة الإسلام الأولى ووحدته وسيرة النبي ﷺ وخلفائه الراشدين في إقامته وسيرة حكمته. انظر: تاريخ الأستاذ الإمام ١/٣٠٦.

(٢) أنظر مقالات مجلة العروة الوثقى ومقالات مجلة المنار وإن كان وجودها نادراً في المكتبات العامة.

(٣) ظهر المصطلح أواخر القرن الرابع عشر الهجري عندما قررت هذه المادة ضمن مواد قسم التفسير بكلية أصول الدين بالأزهر. انظر «مباحث في التفسير الموضوعي» لمصطفى مسلم ص: ١٧ دار القلم ط / ١٤١٠هـ.

عن نظرة القرآن إلى هذه المشكلات وغيرها مما أفرزته الوضعية الاجتماعية والثورة الصناعية والطفرة الفكرية في الغرب، وانعكاساتها على العالم الإسلامي<sup>(١)</sup>.

(٣) الاهتمام بمقاصد القرآن: عناية من المفسر بهداية القرآن على الوجه الذي يتفق وما أنزل لأجله من الهداية والإنذار والتبشير والإصلاح، وهذه الوجهة هي ما جعلها صاحب «التحرير والتنوير» منطويةً في المقدمة الرابعة تحت عنوان: «ما يجب أن يكون غرض المفسر»<sup>(٢)</sup> وقبله أدار عليها محمد رشيد رضا كتابه: الوحي المحمدي في مباحثه وقضاياه الأساسية. عنايةً بالمجتمع وإصلاحه، وتقريراً لحقيقة العبودية لله وتحقيقها على أرض الواقع، لأن إقامة المجتمع من أوامر الدين الواجبة التطبيق. ومن هنا نجد أن محمد عبده قد بنى منهجه في تفسير القرآن على إخضاع حوادث الحياة والمجتمع القائمة في عصره على نصوص القرآن ومقاصده، إما بالتوسيع في المعنى أو بحمل الشبيه على الشبيه، واعتبار القرآن كله وحدة متماسكة، لا يصح الإيمان ببعضه دون بعض<sup>(٣)</sup>.

(٤) العناية بالإعجاز: في عقب القومة التي قامها علماء الإصلاح في تاريخ الأمة الحديث يبتغون رفع التحدي المذهبي والحضاري، وإعادة الاعتبار والهوية إلى الأمة، لم يجدوا أقوم لعملهم الإصلاحي من العودة إلى القرآن

(١) انظر قصة التفسير للشرباصي ص: ١١٤ ط / ١٩٧٨ بيروت

(٢) انظر تفسير التحرير والتنوير ١/ ١٨.

(٣) انظر البيقطة الإسلامية ١٣٣ لأنور الجندي ط / ١٣٩٨ هـ مصر.

الكريم لما فيه من عناصر التحدي المستمرة ومن خصوصيات الإحياء والتجديد، فعادوا إليه على هدي السلف الصالح، لَمَّا وجدوا أنفسهم أمام مشكلتين خطيرتين:

الأولى: التطور الثقافي والتقني نتيجة التقدم الصناعي الذي أثر في العقل الإسلامي: سلباً بما أحدث من شبهاتٍ عقديّة واتجاهات فكرية غريبة. وإيجاباً بما أسهم في توسيع الأفق وإثارة الانتباه إلى ما يجري حولهم ويهددهم.

الثانية: ما كتبه المستشرقون عن الإسلام، مستغلين كل أدوات النشر، وخاصة ما كتب حول القرآن والسنة وشخصية الرسول ﷺ، وعموم ما كتبه المستشرقون في هذه الجوانب تطبعه روح التشكيك في النص القرآني وفي ربانية مصدره وحول رسول الإسلام زعزعة للإيمان ونشراً للإلحاد ﴿حَسَبًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩] ليصبح من أسئلة منهج الإصلاح الكبرى: ما هو السلاح الأنجع لرد هجمة الاستشراق ودحض شبهاته؟ وما هو الأسلوب المقنع للعقل الذي يفكر به العالم الإسلامي؟ والحال أن الإعجاز البياني للقرآن الكريم وإن كان قائماً إلى يوم القيامة وله دور الزعامة والريادة في باب الإعجاز، أصبح غير كافٍ وحده لأجيالٍ بعدت صلّتها باللغة العربية وضمرّت ملكتها البيانية. بل وأصابها الاستيلاء الغربي انبهاراً بما وصل إليه التقدم الصناعي والتقني.

واستجابة لهذه التحديات أظهر علماء الإسلام المصلحون توظيفاً لمناهج البحث- وجوهاً أخرى للإعجاز القرآني في عملية كنس العقلية الإسلامية من لوثات الجاهلية الحديثة، متخذين من الدراسات القرآنية ومن علوم القرآن والتفسير وسائلهم موضوعاً ومنهجاً - لما حدوده من أهداف إصلاحية وأذّنوا في عصرهم أن:

انظروا في القرآن الكريم من أيّ النواحي شئتُم؟: من ناحية أسلوبه أو من ناحية علومه أو من ناحية الأثر الذي أحدثه في العالم وغيره وجه التاريخ... هل تجدون فيه إلا قوةً شادةً تغلب كل مغالب. ثم تنقضي الأجيال والأحقاب ولا ينقضي ما فيه من عجائب<sup>(١)</sup>. استيفاءً لحاجات البشر في العقائد والاجتماع والتشريع والأخلاق والسياسة<sup>(٢)</sup>. بعد تقريرهم أن التحدي تبعاً للمنهج الأصيل في البيان والتفسير إنما هو تحدُّ بلفظ القرآن ونظمه وبيانه، وما عداه من وجوه الإعجاز الأخرى هو تابع له، وأن أول من قصد بهذا التحدي هم العرب على ما كانوا عليه من فصاحة وبيان، وأن الإعجاز البياني مصاحب للقرآن. مستمر قائم فيه إلى يوم الدين<sup>(٣)</sup>. وأن هذا التعدد في وجوه الإعجاز يمكن حصره في مجالات ثلاث:

**الأول: الإعجاز اللغوي المتجلي بالذات في الخصائص العليا التي تميز بها أسلوب القرآن ولغته ونظمه وبيانه... وأعيانها مقاويل البلغاء وفحول البيان من أهل صناعة اللسان<sup>(٤)</sup> ولذلك ألتح منهاج المدرسة الإصلاحية في التفسير على تعلم العربية والتعمق في معانيها واستكناه خصوصيتها... وأكدوا أن من قواعد التفسير: العلم باللغة العربية...<sup>(٥)</sup>.**

**الثاني: الإعجاز العلمي، فالقرآن الكريم وإن كان كتاب هداية وإعجاز بياني فإنَّه قد اشتمل أيضاً على علوم ومعارف لهداية الخلق إلى الحق؛ بما فيه من المعاني**

(١) انظر النبأ العظيم: ٧٩ لعبد الله دراز ط / ١٣٩٠ هـ - دار القلم الكويت.

(٢) انظر مناهل العرفان ٢ / ٣٣١ لعبد العظيم الزرقاني مطبعة الباي الحلبي، د.ت.

(٣) الظاهرة القرآنية: ٣١ مالك بن نبي ترجمة عبد الصبور شاهين ١٤٠٢ هـ دمشق.

(٤) مناهل العرفان للزرقاني ٢ / ٢٢٨.

(٥) انظر التحرير والتنوير ١ / ١٠٢.

والإشارات إلى الحقائق العلمية والعقلية... ما لم تبلغ إليه العقول عصر نزول القرآن وفي عصور بعده، مع اشتراط منهج المدرسة عدم تجاوز حدود الهداية والإعجاز. لأن القرآن لم يأت لشرح أو تفصيل الحقائق العلمية في الهيئة أو الفلك أو الطبيعة أو الكيمياء<sup>(١)</sup>. ليقرر منهج المدرسة بذلك إطاراً نظرياً في صورة ضوابط تعصم مقتحم ميدان التفسير من التقول على الله في كلامه وليسخر له ما أشار إليه القرآن من حقائق علمية وعقلية في عملية الهداية والإصلاح.

**الثالث: الإعجاز التشريعي،** وذلك بناءً على أن من مقاصد القرآن الحكيم تنظيم حياة الناس تنظيمياً تكون به خاضعة لأمر الخالق تصوراً وسلوكاً، وهذا يتطلب بالضرورة قواعد وقوانين ضابطة معيارية لا تتحكم فيها الشهوات والنزعات، وإلا ضاعت إنسانية الإنسان بشريعة البشر القاصرة.

وإبرازاً لحقيقة ارتباط المصالح العليا للتشريع القرآني المعجز عمل منهج المدرسة على إظهار خصائص التشريع الرباني في إطار رفع التحدي وإظهاره، لإصلاح إنسان المرحلة... ولا سيما وقد عرفت المرحلة ظهور نظريات قانونية في التشريعات المدنية والجنائية والأسرية والدولية... انبهرت بها الأمة الإسلامية أيما انبهار، وانفصلت بها عن أصول هويتها... واستمسكت بشريعة الغزاة ولغتهم وفكرهم<sup>(٢)</sup> في كثير من مظاهر حياتها.

ولم تكتف المدرسة ببيان وجوه الإعجاز التشريعي في أدبيات التفسير، وإنما ألّفت مؤلفات صاغت فيها نظرية القرآن في التّظم التشريعية إظهاراً للإعجاز القرآني وتكريساً لإيجاد البديل للنظم المستوردة مقرونة بالتحدي: ومن ذلك:

(١) انظر تفسير الظلال لسيد قطب ١/ ٢٥٩ ط ٧. ١٩٧١ م دار إحياء التراث بيروت.

(٢) دفاع عن الشريعة ١٦ لعلال الفاسي منشورات العصر الحديث ببيروت ط / ١٩٧٢ م.

«أسس الاقتصاد في الإسلام» لأبي الأعلى المودودي. وكتاب: دراسات إسلامية لعبد الله دراز، وخصائص التصور الإسلامي لسيد قطب، والإسلام وأوضاعنا القانونية لعبد القادر عودة... إلخ.

وفي تفسير المنار والظلال والتحرير والتنوير ما يمكن تصنيفه في التفسير الموضوعي في إطار التفسير التحليلي العام- اهتماماً بهذا النوع من الإعجاز، طلباً لإحداث عملية الإصلاح بهذا المنهج من البيان للقرآن الكريم.

### الاهتمام بالسنن الاجتماعية في القرآن:

إن من أهم مميزات المدرسة الإصلاحية في التفسير اهتماماً بقضايا المجتمع الإسلامي والنظر إليه بمنظار القرآن الكريم ليكتشفوا بهذا الاهتمام أن أمر المجتمع تحكمه سنن وقوانين صاغها القرآن الكريم من خلال أحداث تاريخ الأمم الغابرة مع أنبيائهم ومع المصلحين. قواعد وكميات ومبادئ أساسية تهدي الإنسان إلى التي هي أقوم بقدر العلم بها، والكشف عن منهجها والعمل على توظيفها في واقعه تسخيراً لها بحسب ما يطلبه واقعه، وفق منهجية القرآن الكريم في حديثه عن المجتمعات والأمم الغابرة، وأثناء ظهور الإسلام؛ يرصد الأحداث ويصف الأعمال والأفعال البشرية الجماعية ويحدد الوقائع.. ثم يعقب عليها بما يؤكد ربط الأعمال والسلوك البشري بالنتائج والأحوال التي يحول إليها وضع المجتمع، فلاحاً أو بواراً، وأن هذه السنن هي قوانين مُطردة وثابتة تشكل ميكانيكية الحركة الاجتماعية وتعين على فهمها<sup>(١)</sup> وأنها لا تخرج عن مشيئة الله وإرادته وقدره وقضائه، عبر عنها القرآن الكريم بتعايير إن

(١) انظر تفسير المنار: ١١/١ و ١٩/١ و ٨٤/٤. وقد أخذها تفسير المنار من مقالات العروة الوثقى التي عنونت بعض مقالاتها ب: سنن الله في الأمم وتطبيقاتها على المسلمين. انظر المقالة ٣، والمقالة ١٠ من المجلة. وانظر الظلال: ٨٢/٢. والتحرير والتنوير ٩٥/٤.

اختلفت في تركيبها اتحدت في دلالتها. مثل قول الله تعالى: ﴿سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ﴾ [غافر: ١٥] وقوله عز وجل: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الفتح: ٢٣] والمدرسة بهذا الكشف المنهجي الذي صاغته التفاسير قبل تفسيراً لغوياً محدود الأثر في المتلقي، قد حققت فتحاً عظيماً في حربها على المفاهيم المثبطة والتصورات الباردة والسلوكات المنحرفة في المجتمع الإسلامي مصنفة هذه السنن إلى:

سنن التأسيس والبناء ومنها سنة الابتلاء إظهاراً لصدق الإيمان وإخلاص العمل<sup>(١)</sup> أخذاً من قوله تعالى: ﴿الْمَ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [٢] ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين [العنكبوت: ١-٣] ومنها سنة التدافع الحضاري أو سنة تنازع البقاء<sup>(٢)</sup>. أخذاً من قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ [البقرة: ٢٥١].

(أ) سنن الإحياء والتمكين: وذلك نقلاً للأمة من حالة الضعف إلى حالة القوة بمثل ما يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أُمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ [٥] وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ [القصص: ٥، ٦]<sup>(٣)</sup>.

(ب) قال ابن باديس في تفسيرها: «السر المتجلي من هذه الآية هو أن الله أراد بما صنع من بني إسرائيل، وبما قال لهم، أن يعلم الانسان من سنن الله في كونه ما لم يكن

(١) انظر العروة الوثقى: ٥٣، ٥٤.

(٢) انظر تفسير المنار: ٤٩١/٩.

(٣) القصص: ٤٥، ٤٩ مجالس التذكير ٦٦٣.



يعلم، وهو إخراج الضد من الضد... وإنقاذ الأمة الضعيفة... من استعباد الأقوياء المتألهين...

(ت) سنن التحصين والتحذير: وذلك اهتماماً من القرآن الكريم بتربية المجتمع الإسلامي على صيانة المكتسبات الحضارية وتحصينها حفظاً له من الآفات والأمراض الاجتماعية التي قد تصيبه وهو في أزهى أحواله، إذا هو غفل عن هذه السنن، واقترف من الأعمال النفسية وال فعلية ما يكون سبباً في أفوله وموته الاجتماعي... ومما يدل على هذه السنن في أدبيات المدرسة التفسيرية ما جاء في بيان قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَأٍ فِي مَسْكِنِهِمْ﴾ [سبأ: ١٥] «ولكن فات القوم أن يحصنوا هذه المدينة الزاخرة بسياج الإيـان والشكر والفضيلة والعدل... فالقرآن الكريم يذكر لنا كثيراً من مصائر الأمم حتى لا نغتر بمظاهرها وحتى نعلم أن سنة الله لا تتخلف في الآخرين كما لم تتخلف في الأولين»<sup>(١)</sup>. ومن هنا وجب الاعتبار بما أخبر به القرآن وأثبتته سنناً وقوانين اجتماعية تسري على المجتمعات الإنسانية بما في ذلك المجتمع الإسلامي إن لم نقل هو المقصود الأول بهذا البيان الرباني الذي تفننت مناهج المدرسة في إخراجه من القرآن الكريم واعتماده في إعادة بناء الأمة، وإقامة هيكلها من جديد ولتوصف أعمالها التفسيرية بمرحلة التفسير التطبيقي لمواجهة قضايا العصر الاجتماعية والثقافية والحضارية بما أودع الله في القرآن الكريم من تعاليم وسنن وقوانين وهدايات، تستوعب كل أحوال الإنسان بما هو القضية الأم في هذا الخطاب الرباني الجامع.

(١) انظر التحرير والتنوير ٣٩/١ والوحي المحمدي ١.

## قواعد منهج البيان عند المدرسة:

مما يعلم من الثروة الكبيرة لعلم التفسير أن هناك مناهج متعددة وطرائق مختلفة لفهم كتاب الله تعالى وتدبره وبيانه وقد شكلت هذه المناهج مدارس واتجاهات ممتدة تاريخياً في علم التفسير بما اعتمدته من قواعد وضوابط لعملية البيان والتفسير، ألفاظاً ومعاني ومضامين ومقاصد وقضايا وإن الدراسة التاريخية والتحليلية لتؤكد لنا أن النشاط التفسيري آل في أمره إلى حالة من الركود أو آخر القرن العاشر الهجري أصبح معها واقع الأمة الاجتماعي والعلمي يطالب بإلحاح شديد بإيجاد طرائق ومناهج تهدي إلى أقوم السبل وأنجح الحلول لهذا الواقع من خلال القرآن الكريم<sup>(١)</sup>. وإن الاكتفاء بما أنتج في مجال علم التفسير أو النسج على منواله أصبح عملاً مستهلكاً لا يستجيب لحاجات الأمة ومن ثم عدم مساندة الخطاب القرآني الموجه إلى كل مصر بعينه... أو على الأقل لم يعد كافياً وحده لاستخلاص واستنباط ما تدعوا إليه ضرورة الإصلاح الذي تدعوا إليه حالة الأمة في عصر عرف تحولات هائلة في الحياة العقلية والفكرية وتطورات باهرة في مناهج البحث العلمي وأساليبه<sup>(٢)</sup>.

ولقد انتبعت المدرسة إلى أن القرآن الكريم فيه من الهداية ما يفي بالحاجة البشرية وفاء لا تحتاج معه إلى أي مبدأ آخر إلا أن توظف مناهج البحث المستحدثة مقارنة بالمنهج الأصيل في قراءة الخطاب القرآني، توظيفاً للنهضة العلمية الحديثة لبيان ما تناوله القرآن وأشار إليه من أصول العلوم الكونية ونواميسها وسنن الكون والاجتماع والاستفادة منها وأساليب الهداية الربانية والاهتداء بها<sup>(٣)</sup> تنزيلاً للهدى

(١) انظر: ما خسر العالم بانحطاط المسلمين ١٥٩ لأبي الحسن الندوي ط ١٠ الدوحة.

(٢) انظر: اتجاهات التجديد في تفسير القرآن في مصر: ١٨٢. إبراهيم محمد شريف ط / القاهرة.

(٣) انظر مقاصد القرآن الكريم: ١٢ للإمام حسن البنا.

في حياة الناس شريعة للحياة. ولما استقام لتلاميذ المدرسة الإصلاحية المنهج في التدبر والبيان ولما استقام لهم المنهج في التدبر والبيان ضمنوا مقدمات ما ألفوه في التفسير مقومات المنهج ومصادره وطرائق أعماله وضوابط تنزيله وتوجوها بإرشادات وتنبهات منهجية مكتملة داخل النص التفسيري العملي، وألفوا في ذلك مؤلفات مستقلة فيما لا بد منه من قواعد وأدوات كصنيع الأستاذ أبي الأعلى المودودي<sup>(١)</sup> في كتابه: «كيف نفهم القرآن» ومقدمة تفسير القاسمي ومقدمة تفسير الطاهر بن عاشور: «التحرير والتنوير» تأطيراً للعمل التفسيري بحقائق الوحي وطبيعته الربانية وكونه المصدر الأساس للمعرفة وموضوعها، وهي في كل ذلك لم تنفصل عن الأصول الأصلية التي بناها المختصون الأوائل بل رجعت إليها لصياغة منهج متجدد يتلاءم وعقلية العصر الذي كلفته الاختراعات العلمية والمذاهب الاجتماعية ومعطيات العلوم الطبيعية.

### قواعد المنهج المصدرية:

وأعني بها القواعد التي تنظم منهجية الرجوع إلى المادة الأساسية للتفسير واعتمادها مصدراً لاستمداد المادة العلمية للتفسير، وبهذا يصف تفسير المنار منهجه قائلاً: «وذلك شأننا في فهم كتاب الله عز وجل... نستعين عليه ببيان سنة رسول الله ﷺ، وما جرى عليه سلف الأمة من الصحابة والتابعين، وبأساليب لغة العرب وسنن الله في خلقه<sup>(٢)</sup>» وبتحديد الطاهر بن عاشور: «المعلومات السابق وجودها

(١) أبو الأعلى المودودي ولد بإقليم حيدرآباد بالهند. اشتهر برأسة وتأسيس الجماعة الإسلامية بالهند، من أعماله في التفسير: تفسير سورة النور، وتفهم القرآن. ت. ١٩٧٩ م. انظر: أبو الأعلى المودودي فكره ودعوته لعبد الحميد ابراهيم.

(٢) تفسير المنار: ١٩٦/٦.

على علم التفسير لتكون عوناً على اتقان التدوين بما تمده من مددٍ يتوقف عليه تقومه»<sup>(١)</sup> وتلك نصوص تجمع لنا أركان المنهج في الاستمداد المصدري لدى الاتجاه الإصلاحي في التفسير في أربعة أركان:

الأول: علم العربية والمراد معرفة لغة القرآن الكريم... حتى تصير ملكة وذوقاً بمعرفة مقاصد العرب من كلامهم وأدبهم ولغتهم... وأساليبهم وتراكيب بلغاتهم، «وكل ما وظفه بناء أصول البيان في فهم معاني الآيات على قوانين استعمالهم للغة. وهذا الركن في منهج المدرسة مما لا يتم التفسير إلا به»<sup>(٢)</sup>. إذ لا يتم إصلاح الأمة إلا بالرجوع إلى هداية القرآن ولا تتم هذه الهداية إلا بالاتفاق على إحياء اللغة العربية<sup>(٣)</sup>.

الثاني: الآثار، والمعني به في منهج المدرسة ما نقل عن الرسول ﷺ في مواضع الإشكال والإجمال... وما نقل عن الصحابة الذين شاهدوا الوحي في كل ما الطريق فيه الرواية عن الرسول ﷺ... بما في ذلك ما تعلق بالمعاني اللغوية أو عمل عصر الصحابة<sup>(٤)</sup>.

الثالث: أصول الدين العقديّة والفقهية :

فالعقدية ما تعلق بالسمعيات والغيبيات مما لا يدخل في حدود نواميس المادة ولا في قوانين عللها، إذ عقل الإنسان عاجز قاصر عن إدراك كنهها بما ركب عليه، والايان يقتضي عدم التكلف في تصور حقيقتها وأن ما يدخل في هذا المجال المرجع فيه القرآن الكريم والنقل الصحيح عن المعصوم ﷺ<sup>(٥)</sup>.

(١) التحرير والتنوير ١٨/١.

(٢) انظر مشكلات القرآن الكريم لمحمد عبده ط: ١٩٧٩ بيروت.

(٣) انظر تفسير المنار ٢٩/١.

(٤) انظر فتح البيان في مقاصد القرآن ١٨/١ لصديق بن حسن خان ط/ بيروت.

(٥) انظر مقاصد القرآن الكريم ٢٣، ٢٤.

وأما أصول الفقه فمن جهة أن كثيراً من مسائلها هي قواعد لضبط الاستنباط وقواعد الإفصاح عن المعاني والأحكام الشرعية من الآيات<sup>(١)</sup>.

الرابع: علم أحوال البشر، ذلك أن الله بين في القرآن كثيراً من أحوال الخلق وطبائعهم والسنن الإلهية في البشر... ومن ثم «فلا بد للناظر في القرآن من النظر في أحوال البشر وأطوارهم وأدوارهم ومناشئ اختلاف أحوالهم من قوة وضعف وعز وذل وعلم وجهل<sup>(٢)</sup>» لفهم ما أوجزه القرآن الكريم من أخبار الأمم... للموعظة والاعتبار. من حيث العلم بوجه هداية البشر كلهم بالقرآن اكتساباً للبرهان ومنهج البيان وما يتبعهما من التشريع والتفريع المنهجي والهدي القرآني<sup>(٣)</sup>. إعمالاً لسنن الاجتماع في القرآن الكريم. وهذا الركن المصدري يذكرنا بما اشترطه الفقهاء من معرفة بالواقع عند تنزيل الأحكام وفهم القضايا في ضوءه. وهي في علم التفسير ما تعلق بالأحداث والملايسات والظروف المصاحبة لتنزيلات القرآن<sup>(٤)</sup> توصلًا بها إلى معرفة أمراض الأمة الحاضرة ومنايع ما تغشى فيها من بدع وانحرافات... لأن خطاب القرآن لمن كان في زمن التنزيل لا لخصوصية في أشخاصه، وإنما لأنهم أفراد النوع الإنساني الذي أنزل القرآن لهديته<sup>(٥)</sup>.

الخامس: العناية بمقاصد القرآن الكريم والمراد أن يوجه المفسر عنايته بالدرجة الأولى إلى هداية القرآن على الوجه التي يتفق وما أنزل لأجله من الإنذار والتبشير

(١) انظر تفسير المنار: ٢٠ / ١.

(٢) نفس المصدر ٢٣ / ١.

(٣) انظر التحرير والتنوير ٢٥ / ١.

(٤) انظر مبادئ أساسية لفهم القرآن ١١ لأبي الأعلى المودودي ط/ الكويت.

(٥) انظر تفسير المنار ٢٠ / ١.

والهداية والإصلاح وقد أفصح عنه صاحب «التحرير والتنوير» في المقدمة الرابعة بعنوان: (ما يجب أن يكون غرض المفسر) إعمالاً للمقصد الأعلى من الكتاب المنزل الذي هو إرشاد الناس إلى ما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة بصلاح أحوالهم الفردية والاجتماعية والعمرانية، وجعل ذلك غاية للمفسرين من التفسير<sup>(١)</sup>.

ذلك أن مُتدبر مواضع القرآن وقضاياه يجد الأحكام العملية التي جرى الإصلاح على تسميتها فقهاً هي أقل ما جاء في القرآن وأن ما فيه من التهذيب ودعوة الأرواح إلى ما فيه سعادتها ورفعها... وإرشادها إلى طريق الحياة الاجتماعية، ما لا يستغنى عنه بحال، وما هو أجدر بالدخول في الفقه الحقيقي الذي لا يكون إلا بكمال العقل وحسن استعماله في الفهم والبحث عن فوائد الأحكام وعللها ودلائل المسائل وبراهينها<sup>(٢)</sup>. تحقيقاً لمقاصد القرآن في البشر التي منها: إصلاح الاعتقاد وإصلاح التشريع وسياسة الأمة، والتعليم بما يناسب حالة العصر وما يؤهل لتلقي الشريعة ونشرها. ردماً للهوة السحيقة التي حدثت بين القرآن الكريم- المنهج الشامل<sup>(٣)</sup> لكل أبعاد الحياة البشرية- وبين واقع الأمة في كل مكوناته الاجتماعية والعقدية، ليضيفوا ما أضافوا من مبادئ وقواعد وضوابط ومصادر للتفسير... صارت في الدراسات القرآنية الحديثة من أهم ما أضيف إلى علوم القرآن ومناهج التفسير في العصر الحديث<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر التحرير والتنوير: ٣٨/١.

(٢) انظر: تفسير المنار ١٠/١-١٧.

(٣) انظر التحرير والتنوير: ٤٠/١-٤٢.

(٤) انظر مقدمة: تفهيم القرآن ٧ لأبي الأعلى المودودي: ط / الكويت.

## قواعد منهج الفهم والتدبير:

إن الحاجة إلى بيان القرآن حاجة مستمرة ومتطورة بتطور الظروف ومدارك البشر وما تتسع له عقولهم وأفهامهم لتحقيق ما يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القمر: ١٧] فالقرآن كتاب الدهر ومعجزته الخالدة، ولا يستقل بتفسيره إلا الزمن بما يحدث فيه من قضايا تحتاج إلى أجوبة... وإن كثيراً من متونه الواردة في معضلات الكون ومشكلات الاجتماع لم تفهم أسرارها ومغازيها إلا بتعاقب الأزمنة وظهور ما يصدقها من الكتاب المسطور انطباقاً على الكتاب المنظور<sup>(١)</sup>. ليظهر للمتأخرين ما لم يظهر للمتقدمين ومن هنا توجهت عناية المصلحين إلى هداية القرآن على الوجه الذي يتفق مع ما أنزل إليه القرآن من الإنذار والتبشير والهداية والإصلاح... تجديداً لما طال عليه الأمد، وبجثاً عن السياسة الرشيدة لدراسة النسق القرآني بما يحقق حاجة العصر بالكيفية المنهجية التي تمكن من قراءة ودراسة الكتاب الكريم قراءة باعثة لروح الأمة. ولقد كانت هذه الكيفية هي القضية المحورية-على المستوى المنهجي-التي شغلت بالمفسري المدرسة وحددت أحد الأغراض الكبرى من التفسير، فتوسلوا إلى ذلك بجملة من المبادئ والضوابط كانت في البدء نظرية توجَّس منها الدرس التفسيري التربوي ابتداءً ثم صاغها قواعد منهجية معينة على الفهم والتدبير، ويمكن تقسيمها من خلال أدبيات المدرسة العملية في التفسير ومقدماتها إلى قواعد منهجية للدراسة العامة وقواعد منهجية للدراسة التفصيلية.

(١) انظر مجالس التذكير ٦٣٦.

## (١) القواعد المنهجية للدراسة العامة:

(أ) فهم طبيعة القرآن وأصله، سواء كان الدارس يؤمن به أو لا يؤمن به كتاباً منزلاً من عند الله<sup>(١)</sup> وذلك باعتماد ما نطق به القرآن نفسه، وما نطق به مبلغه ﷺ، لأننا نقرأ في الكتاب نفسه تحديد مصدره وطبيعته، وطبيعة خطابه والقصد من إنزاله<sup>(٢)</sup> وأن دراسته تستوجب دراسة مصدره قبل دراسة محتواه خلافاً لأي كتاب آخر<sup>(٣)</sup>.

(ب) معرفة موضوعه وبحثه الرئيسي، فلكي تتحقق دراسة جادة لأي كتاب على وجه سليم لا بد من أن يكون الدارس على علم مسبق بموضوع الكتاب ومباحثه الرئيسة مع التنبيه على أن القرآن طراز مختلف تمام الاختلاف عن أي كتاب اسلوباً وموضوعاً وتفرداً بالمنهج، وإن كان موضوع القرآن هو الإنسان من حيث أنماطه وأنواع حياته وما يقوده إليه النجاح واليأس<sup>(٤)</sup>.

(ت) التخلي عما استقر في فهم الدارس من تصورات ونظريات ورغبات مولية أو مناوئة، والانكباب على دراسته بعقل متفتح وقصد نزيه... فإن الذين يدرسونه في ضوء مقاصدهم الشخصية المسبقة، لن يجدوا فيه غير أفكارهم المسبقة<sup>(٥)</sup>.

(ث) العلم بكيفية النزول ومراحله: وذلك فضلاً عن أسباب النزول، فللقرآن خصائص في البيان والترتيب والقلة والكثرة في النازل والانقطاع والاسترسال<sup>(٦)</sup> فهو لم ينزل كاملاً ولم يُلق إلى الرسول ﷺ نسخة واحدة. وإنما اتخذ سياقاً يتناسب

(١) انظر النبأ العظيم ٢٠ لمحمد دراز، ط / الكويت.

(٢) انظر المدخل للقرآن الكريم ١٢٦ لنفس المؤلف: ط / الكويت.

(٣) انظر مبادئ أساسية لفهم القرآن: ١١.

(٤) انظر مقدمة تفهيم القرآن لأبي الأعلى المودودي ١٢.

(٥) نفس المصدر: ٢٧.

(٦) انظر المدخل إلى القرآن الكريم ٦٩.



ومنهجية البلاغ وتطور الدعوة وسيورها إذ القرآن كتاب هداية ودعوة ومنهاج حركة وبناء أمة<sup>(١)</sup>.

## ٢) القواعد المنهجية للدراسة التفصيلية:

من القضايا التي شغلت بال علماء الإسلام والدولة الإسلامية صولتها قضية السفر بالمصحف خارج دار الإسلام، أما في العصر الحديث فقد اختلف الأمر، وأضحت الفتوى بحليته أو حرمة لا موضوع لها، إذ الحدود أصبحت لا معنى لها فيما يتعلق بالأفكار والتصورات. يحدثنا كتاب الوحي المحمدي عن عصره قائلاً: «إن من العلم اليقيني... أن علوم الكون المادية تثبُ في هذا العصر وثوباً يشبه الطفور، وتؤدي من الثمار اليانعة بتسخير الطبيعة للإنسان ما صارت به الدنيا كلها كأنها مدينة واحدة.. وكان شعوبها أسر لأمة واحدة»<sup>(٢)</sup>... وإن نسخ القرآن قد عمت الآفاق وترجمته إلى لغات عالمية قد صارت من الكثرة بمكان وأصبح الاهتمام بالقرآن ودراسته غرض عدد هائل من الدارسين ومع ذلك يقترح أبو الأعلى المودودي اقتراحات منهجية لمن يريد فهم حقيقة القرآن والبحث عن الهدى الذي يحل مشكلات الإنسانية، لأن الخلل كامن في عملية تلقي القرآن، وفي منهج التعامل معه، فوجب رفع العجز عن فقه القرآن بإصلاح منهج التلقي وإعادة بناء العقل على منهج علمي محايد.

ومن قواعد هذه الدراسة:

أ) قراءة القرآن الكريم على الأقل مرتين بهدف فهم نظام الحياة الذي يقدمه لنا القرآن في إطار الاعتقاد والمنهج العام الذي يفاصل عليه الدنيا ومعرفة

(١) أنظر مقدمة تفهيم القرآن: ١٨.

(٢) الوحي المحمدي: ١.

الأسباب التي يقوم عليها النظام من القرآن نفسه<sup>(١)</sup>.

(ب) أن يدرس القرآن كله مرة واحدة على الأقل من الوجة التي يتوجه إليها القصد من الدراسة تحت عناوين محددة في هذا الشأن: العقيدة/ الأخلاق/ الحقوق الواجبات/ الحضارة/ الاقتصاد/ السياسة/ النظام الاجتماعي/ السلام والحرب/ وسائر المشكلات الأخرى<sup>(٢)</sup>.

(ت) أن لا يستعجل البتَّ في أي مشكل استشكل عليه، وإنما يواصل المطالعة والصبر والتأمل، ويستعين على تبيان وجهة النظر القرآنية في المسألة بـ:

- تحديد المسألة وتصنيفها معرفياً.

- مطالعة ما كتب في المسألة بتمعن وتأمل.

- التعرف على ما وصل إليه الفكر الانساني في المسألة عبر التاريخ.

- وبعد ذلك يتحول إلى القرآن ليدرسه بقصد إيجاد الأجوبة<sup>(٣)</sup>.

(ث) تدبر النظم القرآني، فإن للتنجيم القرآني في التنزيل والترتيب أكبر العبر، فمع أن كل نجم رهين بنزول حاجة ملمة أو بسبب عام أو خاص، وحدد له مكان معين داخل السياج الجامع... فإن هناك خطة تفصيلية كاملة قد رسمت فيها المواقع كلها قبل نزولها<sup>(٤)</sup>... ويقترح عليك النبأ العظيم منهجية عملية لدراسة النظم القرآني سماها: «السياسة الرشيدة في دراسة النسق القرآني، وتتمثل في

(١) انظر مبادئ أساسية لفهم القرآن: ٤٩.

(٢) انظر مقدمة في تفهيم القرآن: ٢٨.

(٣) انظر مبادئ أساسية لفهم القرآن: ٤٢.

(٤) انظر النبأ العظيم ١٥٠

أحكام النظر في السورة كلها إحصاءً لأجزائها، وضبط مقاصدها على وجه تتبين به الصلات الموضوعية ومطالعها ومقاصدها<sup>(١)</sup>.

(ج) نزع فكرة القداسة عن فهم البشر، خارج دائرة النقل الصحيح عن رسول الله ﷺ وعن الصحابة، واعتبارها فهوماً بشرية يستعان بها على تقوية وتعزيد وتوسيع البيان والتفسير.<sup>(٢)</sup>

(ح) الخبرة الحية التي يشعر بها ويكتسبها المفسر من حياته الفردية والأسرية والجماعية، فإن تعدد الخبرات، مع استحضار التوجيه القرآني يُحدث تواصلاً جديداً مع المعاني القرآنية في إطار شروط الوعي المتجددة المستوحاة من الواقع الممارس، فالقرآن يفتح أسراره للذي يتحرك به لتحقيق مدلوله في العالم الواقعي... وما نزل إلا ليكون مادة حركة وتوجيه للإنسان في كل مجالات حياته،<sup>(٣)</sup> وهذا الانفتاح المنهجي على القرآن الكريم هو ما جعل صاحب التفسير الحديث يقرر فيما قرر من قواعد منهجية في التفسير: تجلية ما تحتويه الجملة القرآنية من أحكام ومبادئ وتوجيهات أخلاقية واجتماعية وروحية بالاعتداد على النظر وملاحظة تطور الحياة والمفاهيم البشرية ويجعل ذلك نقطة أساسية في تفسيره<sup>(٤)</sup>.

(خ) التطبيق العملي لتعاليم القرآن الكريم: فالمرء لا يتسطيع أن يسبر غور القرآن ويصل إلى لب روحه ما لم ينخرط في تطبيق رسالته تطبيقاً عملياً، فالقرآن ليس كتاب أفكار ونظريات مجددة... وإنما هو كتاب لدعوة الناس لأن يبدؤوا حركة إيمانية ثورية،

(١) انظر النبأ العظيم ١٥٠.

(٢) انظر تفسير المنار ١١/١٠.

(٣) انظر الظلال ٤/٦٥٨.

(٤) انظر التفسير الحديث ٦/١.

وليقود أتباعه إلى إنجاز رسالته بالنزول إلى ميدان معركة الحياة ومجال التدافع<sup>(١)</sup>  
 شرط توفر الآليات المنهجية والقواعد العملية التي تمكننا من الفهم السليم للقرآن  
 الكريم... لترجمة المدلولات القرآنية إلى واقع عملي في حياة البشر...<sup>(٢)</sup>.

وبعد:

فإن الاطلاع على الدرس القرآني وعلى ما استجد من أنماط التفسير والبيان عند  
 المدرسة الإصلاحية في العصر الحديث، وعلى الجهود التي بذلتها من خلال الدرس  
 التفسيري تنبئك أن المدرسة جاهدت جهاداً كبيراً في مجال ربط الصلة بين النص  
 القرآني وبين إنسان العصر، إسهاماً في إيجاد النموذج البشري الصالح عملياً ونظرياً  
 بالبيان من القرآن وبناء منهج البيان لإنسان الزمان عملياً وتنظيراً.

□ عملياً بالجهود التي بذلتها لإصلاح المجتمع انطلاقاً من القرآن الكريم فأدت  
 بذلك مهمة واجب العصر في واقعها الاجتماعي.

□ تنظيراً بما سطرته من ضوابط ومبادئ منهجية لفهم القرآن وتفسيره في ضوء  
 الأصول الأصيلة الثابتة ثبات الوحي، وفي ضوء مستجدات العصر لتخرج لنا  
 تركيباً ثقافياً في الدراسات القرآنية يجمع بين المعرفة والمنهج والإصلاح نجمه  
 في الآتي:

(١) أن أقرب طرائق الفهم والتدبر هي قراءة القرآن بتدبر وخضوع واستلهم  
 الرشد من الله سبحانه مع جمع شوارد الفكر حين التلاوة<sup>(٣)</sup> امثالاً لقوله

(١) انظر مبادئ أساسية لفهم القرآن: ٥٤، ٥٣، وانظر مجالس التذكير: ٧٠٠.

(٢) انظر موسوعة العقاد الإسلامية: ٥ / ٤٦٤ - ط / بيروت.

(٣) أنظر: في التاريخ فكرة ومنهاج: ٣٦ لسيد قطب ط ٥ بيروت.

تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧].

٢) فهم القرآن الكريم في ظل القرآن نفسه والسنة الصحيحة ومن خلال أعمال الصدر الأول ومدلولات اللغة العربية وأصول الدين القطعية.

٣) فهم القرآن متوقف على فهمه من الداخل باعتبار مصدره الإلهي وتفرد نظامه البياني، وتناسب سوره وآياته ووحدته الموضوعية.

٤) الاستفادة في الفهم من الواقع الاجتماعي ومن علوم العصر الذي نعيش فيه ولا سيما العلوم الإنسانية- قصد تجديد الإيمان، وصياغة الحلول العملية للمشكلات والنوازل، دون إغفال المسلمات المنهجية الأصلية في تفسير الوحي، فإن القرآن ما دام المفسر يسأله وهو على الصراط المستقيم والمنهج السليم فإنه يجيبه بما يستجيب للحياة المتجددة ويملاً ما فيها من فراغ تربوي أو تشريعي أو منهجي تنظيري، فمن معاني خلود القرآن الكريم كونه قادراً على الاستجابة لكل التحولات والحالات والظروف والملابسات البشرية<sup>(١)</sup> لإنتاج تعليم صحيح للإسلام وتفسير حكيم للقرآن الكريم وطريق ناهج لقواعد الفهم والتدبر والبيان وبناء إنسان القرآن.

٥) وإن أهم ما يوصى به ختماً العمل على جمع ما أنتجته المدرسة على مستوى مناهج التدبر والبيان إسهاماً في القيام بواجب العصر في بناء علم أصول التفسير وقواعده وضبطاً للقول في كتاب الله، في عصر اشتدت فيه الحاجة واختلطت فيه المناهج وتنوعت إبرازاً للأسس المعرفية للتدبر كما حددته ورقة المؤتمر والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

(١) انظر النظرية القرآنية لتفسير حركة التاريخ ٤٧ لحسن سليمان ط / بيروت.



# تدبر القرآن عند الاثني عشرية نظرة في المصطلح

إعداد

د. عبد العزيز بن عبد الرحمن الضامر

استاذ الدراسات القرآنية المساعد في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية في الأحساء، جامعة  
الإمام محمد بن سعود الإسلامية - السعودية.





## السيرة الذاتية للباحث

« الاسم: عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد الله الضامر.

- من مواليد ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م في مدينة الأحساء من المملكة العربية السعودية.

« المؤهلات:

- بكالوريوس أصول الدين سنة ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية, فرع الأحساء.

- ماجستير في الدراسات القرآنية سنة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م من كلية الدعوة وأصول الدين التابعة لجامعة أمّ القرى بمكة المكرمة.

- دكتوراه في القرآن وعلومه سنة ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م من كلية أصول الدين التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض.

« العضويات:

- عضو هيئة التدريس في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بالأحساء, التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

- عضو اللجنة الاستشارية للملتقى مجمع الملك فهد لأشهر خطاطي المصحف الشريف سنة ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

- عضو مجلس إدارة الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه في دورتها الخامسة.

- عضو الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه, ومدير لجنتها الفرعية في الأحساء.

- مستشار إعلامي في مركز تفسير للدراسات القرآنية في الرياض.

- المدير العام لمؤسسة لقطات للإنتاج الإعلامي.

- عضو لجنة تحكيم في مهرجان خريبكة الدولي للأفلام الوثائقية في دورته

الخامسة سنة (١٤٣٤هـ-٢٠١٣م).

« المشاركات والإنتاجات:

- شارك في العديد من المؤتمرات العلمية داخل وخارج المملكة.

- شارك في العديد من مهرجانات الأفلام الوثائقية في أصيلة، وخريبكة، والدوحة.

- كتب عدداً من الأبحاث والدراسات.

- أنتج عدداً من الأفلام والسلاسل الوثائقية.

« الجوائز:

- حاصل على جائزة التميز البحثي في الدراسات القرآنية سنة (١٤٣٦هـ-٢٠١٥م).

التي تمنحها سنوياً الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه (تبيان).

« العنوان:

- السعودية

- البريد الالكتروني: [dabdalaziz@hotmail.com](mailto:dabdalaziz@hotmail.com)

- جوال: +٩٦٦٥٠٣٩٢٢٤٠١

## ملخص البحث

تقوم فكرة البحث بالتعرف على مصطلح (تدبر القرآن) عند الاثني عشرية، وذلك من خلال الإجابة على سؤالين:

الأول: هل كل الاثني عشرية يدعون إلى التدبر أم أنهم ينقسمون إلى آراء مختلفة؟

الآخر: هل تعريف الاثني عشرية للتدبر كما هو تعريف أهل السنة والجماعة أم لهم تعريف آخر؟

ثم خُتم البحث بأبرز النتائج والتوصيات.



## مقدمة

في الربع الثاني من القرن الخامس عشر الهجري يحظى موضوع التدبر القرآني بأهمية كبيرة على مستوى العلماء والمثقفين والمؤسسات العلمية، فكتبت حوله المؤلفات والرسائل، وأقيمت المؤتمرات والندوات، كما أنشأت من أجله هيئة عالمية مختصة.

وقد شرفني الإخوة في الهيئة العالمية لتدبر القرآن الكريم بالمشاركة معهم ضمن مؤتمر تدبر الثاني (تدبر القرآن..مناهج وأعلام) المنعقد في الدار البيضاء من السنة (١٤٣٧هـ-٢٠١٥م)، وذلك في الكتابة حول (منهج الاثني عشرية في تدبر القرآن الكريم).

ومن خلال تأملي في الموضوع اتضح أنه طويل ويستحق أن يُفرد في رسالة علمية، لذا رأيت أن أتناول في هذا البحث مصطلح التدبر القرآني عند الاثني عشرية؛ لأنَّ الحديث عن المصطلح يُعدُّ الانطلاقة الأولى للموضوع، وهو الأساس الذي تبنى عليه بقية المسائل والقضايا.

وتكمن أهمية البحث في التعرف على مصطلح التدبر عندهم، والفرق بينه وبين التفسير.

وقد قسمت البحث إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة.

البحث الأول: تدبر القرآن بين الأخبارية والأصولية:

البحث الثاني: مصطلح (تدبر القرآن) من خلال أشهر تفاسير الاثني عشرية.

البحث الثالث: مصطلح (تدبر القرآن) من خلال كتب مفردة للاثني عشرية.

المبحث الرابع: الفرق بين التفسير والتدبر.

الخاتمة: وقد بيّنت فيها أبرز النتائج والتوصيات.

وقبل الختام: فإني أحب أن أشير إلى قضية مهمة تتعلق بمنهج البحث وذلك بشأن الأعلام الواردين فيه حيث ترجمت لأعلام الاثني عشرية - المتقدمين والمعاصرين- من خلال كتبهم، وبيان منزلتهم ومكانتهم العلمية عند علماء التراجم لديهم قدر الإمكان؛ لأبين أنّ آرائهم الواردة في البحث صادرة عن علماء كبار عندهم، كما قمت بتجريد الأعلام -السنة والاثني عشرية- من ألقابهم العلمية نحو آية الله، حجة الله، العلامة، شيخ الإسلام، الأستاذ، الدكتور، شيخ ونحو ذلك، -مالم يكن اللقب موجوداً داخل نص منقول- وذلك حرصاً على الاختصار، وحتى يكون البحث أكثر إنصافاً فلا يتم تقدير طرف على حساب آخر

## المبحث الأول

### تدبر القرآن بين الأخبارية<sup>(١)</sup> والأصولية<sup>(٢)</sup>

(١) الأخبارية، والنسبة إليه أخباري، وهي امتداد لمدرسة المحدثين المتقدمة - الكليثي (ت: ٣٢٩هـ)، علي بن الحسين القمي (ت: ٣٢٩هـ)، والصدوق (ت: ٣٨١هـ) - ويرون منع الاجتهاد، والعمل بالأخبار، وأن ما في كتب الأخبار الأربعة عند الاثني عشرية (الكافي، ومن لا يحضره الفقيه، والتهذيب، والاستبصار) كلها صحيحة قطعية الصدور عن الأئمة، ويقتضون على الكتاب والخبر، ولذلك عرفوا بالأخبارية نسبة إلى الأخبار، ويُنكرون الإجماع، ودليل العقل، ولا يرون حاجة إلى تعلم أصول الفقه، ولا يرون صحته.

ومن أبرز شخصياتهم عبر التاريخ: مُحَمَّد أمين الأسترآبادي (ت: ١٠٣٣هـ)، والفَيْض الكَاشاني (ت: ١٠٩١هـ)، والقَمِّي الشيرازي (ت: ١٠٩٨هـ)، وهاشم البَحْراني (ت: ١١٠٧هـ)، ومُحَمَّد باقر المَجْلِسِي (ت: ١١١٠هـ)، ونِعْمَة الله الجزائري (ت: ١١١٢هـ)، وعَبْد الله السَمَاهيجي (ت: ١١٣٥هـ)، ويوسف البَحْراني (ت: ١١٨٦هـ)، والتُّورِي الطُّرسي (ت: ١٣٢٠هـ) وغيرهم.

ويتمركز الأخباريون حالياً في البحرين تحت مظلة أسرة آل عصفور، وقليل منهم في القطيف، وشيخهم محمد أبو المكارم الذي جاء خلفاً لوالده عبد المجيد (ت: ١٤٢٣هـ)، وأفراد منتشرة في العالم.

(٢) الأصولية، والنسبة إليه أصولي، وهي امتداد لمدرسة المجتهدين المتقدمة - الحسن بن أبي عقيل العماني (ت: ٣٦٩هـ)، وابن الجنيد الإسكافي (ت: ٣٨١هـ) - حيث يرون فتح باب الاجتهاد، وبأن أدلة الأحكام هي: الكتاب والسنة والإجماع ودليل العقل، ولا يحكمون بصحة كل ما في الكتب الأربعة (الكافي، والتهذيب، والاستبصار، وما لا يحضره الفقيه)، كما فتحو باب الاجتهاد على مصراعيه، حتى تطور الأمر إلى القول بولاية الفقيه التي ساهم في نشرها الخميني (ت: ١٤٠٩هـ) مطلع القرن الخامس عشر الهجري.

ومن أبرز شخصياتهم عبر التاريخ: زَيْن الدِّين العَاملي (ت: ٩٦٦هـ)، والوحيد البُهْهَاني (ت: ١٢٠٥هـ)، ومُحَمَّد مهدي بَحْر العلوم (ت: ١٢١٢هـ)، جَعْفَر كَاشف الغطاء (ت: ١٢٢٨هـ)، وعبد الله شُبْر (ت: ١٢٤٢هـ) والبلّاعي (ت: ١٣٥٢هـ)، والرُّنْجاني (ت: ١٣٦٠هـ)، ومُحَمَّد حُسَيْن المُظفَّر (ت: ١٣٨١هـ)، ومُحَمَّد باقر الصِّدْر (ت: ١٤٠٠هـ)، ومُحَمَّد هَادِي مَعْرِفَة (ت: ١٤٢٧هـ)، وجَعْفَر السُّبْحاني، والكُوراني وغيرهم. وتشكل الأصولية حالياً الأكثرية في العالم الاثني عشري، وما يوجد من مراجع في العالم هي تبع للأصولية مع التباين في مناهجهم.

وقد حصلت صراعات عنيفة، ونزاعات قوية بين المدرستين (الأخبارية والأصولية)، وذلك عبر التاريخ وصلت نتائجها إلى الإقصاء والقتل والاتهام بالفساد والتكفير، حتى أن بعضهم كان يفتي بتحريم =

من الصعب جداً أن نوجد حكماً قاطعاً للثاني عشرية في موضوع التدبر القرآني بشكل عام، بل ينبغي التنبيه إلى قضية اختلاف مدارسهم تجاه النصوص القرآنية وغيرها.

والذي يظهر أنّ التدبر القرآني غير حاضر عند المدرسة الأخبارية لكونها ترى أنه لا يحق لأحد تفسير القرآن إلا عن طريق المعصوم، فإذا كان هذا في التفسير فإنّ التدبر من باب أولى.

وقد ناقشوا هذه الفكرة تحت مسألة: (حُجِّيَّة ظواهر القرآن)، فذهبوا إلى القول بأنّ ظواهر القرآن غير حجة، وأنه لا يجوز استنباط الأحكام والفوائد منها إلا بعد معرفة تفسيرها من كلام الأئمة<sup>(١)</sup>.

قال مُحَمَّد أمين الأستَرَابَادِي<sup>(٢)</sup> (ت: ١٠٣٣هـ) الذي يُعد من علماء الأخبارية: «القرآن في الأكثر ورد على وجه التعمية بالنسبة إلى أذهان الرعية، وكذلك كثير من السُنن النبوية، وأنه لا سبيل لنا فيما لا نعلمه من الأحكام الشرعية النظرية أصلية كانت أو

= الصلاة خلف البعض الآخر، وورد عن شيوخ الأخبارية أنه كان لا يلمس مؤلفات الأصوليين بيده تحاشياً من نجاستها، وإنما يقبضها من وراء ملابسه. للاستزادة حول أخبار الصراع بين المدرستين ينظر: العباقر العنبرية في الطبقات الجعفرية محمد حسين كاشف الغطاء (ص: ٨٦، ١٨٣، ٢٨٤).

(١) ينظر: وسائل الشيعة للحر العاملي (١٧٨/٢٧)، الحدائق الناظرة، يوسف البحراني (١/٦٤-٦٥)، الإسلام ومتطلبات العصر، مرتضى مطهري (ص: ١٠٣)، مصادر الاستنباط بين الأصوليين والأخباريين، محمد عبد المحسن الغراوي (ص: ١٠٦).

(٢) مُحَمَّد أمين الأستَرَابَادِي: محمد أمين بن محمد شريف، وهو أول من فتح باب الطعن على الأصوليين وجعلهم في قبال الأخباريين، من أهم كتبه: «الفوائد المدنية في الرد على من قال بالاجتهاد والتقليد في الأحكام»، قال عنه الحر العاملي في أمل الأمل (٢/٢٤٦): «فاضل محقق ماهر متكلم فقيه محدث ثقة جليل، له كتب منها: الفوائد المدنية، وذكر فيها أنه شرع في شرح أصول الكافي، وشرح تهذيب الاستبصار...»، جاور مكة وتوفي بها سنة (١٠٣٣هـ). ينظر: معجم المؤلفين (٣/١٤٧)، أعيان الشيعة للأمين (٩/١٣٧).



فرعية إلا السماع من الصادقين، وأنه لا يجوز استنباط الأحكام النظرية من ظواهر كتاب الله، ولا من ظواهر السنن النبوية ما لم يُعلم أحوالهما من جهة أهل الذكر<sup>(١)</sup>.

كما نقل عبد الله السّمَاهيجي<sup>(٢)</sup> (ت: ١١٣٥هـ) الذي يُعد من علماء الأخبارية موقفهم تجاه هذه المسألة فقال: «الأخباريون لا يجوزون الأخذ بظواهر القرآن إلا بما ورد في تفسيره عنهم عليهم السلام، أو ما وافق حديثهم؛ لأنه لا يعرف القرآن إلا من خوطب به، ولأنّ القرآن فيه محكم ومتشابه، والمُحكّم بيّن لا شك فيه، وما عداه متشابه، والمتشابه لا يعلمه إلا الراسخون في العلم وهم الأئمة عليهم السلام»<sup>(٣)</sup>.

ولست هنا بصدد مناقشة هذا الرأي فقد تمت مناقشته من قبل عدد من الأصوليين<sup>(٤)</sup> وكذلك بعض الدارسين من أهل السنة والجماعة<sup>(٥)</sup>، ويكفي في ذلك نصين لأحد المعصومين - كما يعتقدون - الذين يأخذون التفسير منه يدعو إلى التدبر ويحث عليه، فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «ألا لا خير في قراءة ليس

(١) الفوائد المدنية (ص: ١٠٤).

(٢) عبد الله السّمَاهيجي: البحراني، من علماء الشيعة وفقهائهم، من مؤلفاته الكثيرة: البلغة الصافية والتحفة الوافية، منظومة تحفة الرجال وزبدة المقال في علم الرجال، جواهر البحرين في أحكام الثقلين في الفقه وغيرها، قال عنه البرُّوجردي في طرائف المقال (١/٦٩): «هذا الشيخ كان أخبارياً صرفاً كثير الطعن على المجتهدين»، توفي في بههان سنة ١١٣٥هـ. ينظر: أنوار البدرين للبلادي (ص: ١٧٠)، الذريعة (٢٣/٢١٠)، معجم المؤلفين (٢/٢٤٧).

(٣) الفروق الأربعون بين الأخباريين والأصوليين من كتاب منية الممارسين (ص: ٢٩).

(٤) ينظر: حجية ظواهر الكتاب العزيز، وقفان خضير محسن الكعبي، البيان في تفسير القرآن للخوانساري (ص: ٢٦١)، التفسير والمفسرون، محمد هادي معرفة (١/٧٤)، أصول التفسير والتأويل، كمال الحيدري (ص: ١١١).

(٥) ينظر: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية، ناصر بن عبد الله القفاري (١/١٤٢)، مصادر التلقي وأصول الاستدلال العقدية عند الإمامية الاثني عشرية، إيمان صالح العلواني (١/٢٧١)، الصراع بين الأخباريين والأصوليين، أحمد قوشتي عبد الرحيم (ص: ٧٣).

فيها تدبر»<sup>(١)</sup>، وقال جعفر الصادق رضي الله عنه: «لو تدبر القرآن شيعتنا لما شكوا في فضلنا»<sup>(٢)</sup>.

وقد أردت أن أُبين في هذا المبحث أن ثمة فرقاً بين المدرستين الأخبارية والأصولية فيما يتعلق بتدبر القرآن الكريم، فالأولى ترده، والأخرى تدعوا إليه.

ومن ذلك نجد أبا جعفر الطوسي<sup>(٣)</sup> (ت: ٤٦٠هـ) عند قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤] يُفسّر الآية ثم يرد على المدرسة الأخبارية بقوله: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ بأن يتفكروا فيه ويعتبروا به، أم على قلوبهم قفل يمنعهم من ذلك تنبيها لهم على أن الأمر بخلافه. وليس عليها ما يمنع من التدبر والتفكير والتدبر في النظر في موجب الأمر وعاقبته، وعلى هذا دعاهم إلى تدبر القرآن.

وفي ذلك حجة على بطلان قول من يقول: لا يجوز تفسير شيء من ظاهر القرآن إلا بخبر وسمع»<sup>(٤)</sup>.

(١) معاني الأخبار للصدوق (ص: ٦٧)، الكافي للكليني (١/٣٦)، وسائل الشيعة للحر العاملي (١٧٣/٦)، بحار الأنوار للمجلسي (١٩٩/٢١١).

(٢) الهداية الكبرى للخصيبي (ص: ٤١٩)، بحار الأنوار (٣١/٦٢٨).

(٣) الطوسي: محمد بن الحسن بن علي، أبو جعفر، ولد في خراسان سنة (٣٨٥هـ)، ثم انتقل إلى بغداد سنة (٤٠٨هـ)، يعد من فقهاء الشيعة في وقته، قال عنه النجاشي في رجال (ص: ٤٠٣): «شيخ الإمامية، وتلميذ المفيد والمرضى، وهو جليل من أصحابنا ثقة عين»، وقال عنه الحلي في خلاصة الأقوال (ص: ٢٤٩): «ثقة عين صدوق عارف بالأخبار، والرجال، والفقه، والأصول، والكلام، والأدب، وجميع الفضائل تنسب إليه، صنّف في كل فنون الإسلام»، من مؤلفاته: الاستبصار، تهذيب الأحكام، التبيان في تفسير القرآن، الفهرست وغيرها، توفي سنة (٤٦٠هـ). ينظر: نقد الرجال للتفرشي (٤/١٨٠)، طرائف المقال للبروجردي (ص: ١٢٧)، الأعلام (٦/٨٤).

(٤) التبيان في تفسير القرآن (٩/٣٠٣).

## المبحث الثاني

### مصطلح (تدبر القرآن) من خلال أشهر تفاسير الاثني عشرية

بعد الحديث في المبحث الأول حول عدم حضور التدبر القرآني عند المدرسة الأخبارية فهذا يعني أنه ليس ثمة حاجة لتسليط الضوء والبحث في تفاسيرهم؛ لأنها تقوم على الرواية عن المعصومين - كما يعتقدون - بالدرجة الأولى، نحو تفسير علي بن إبراهيم القمي (ت: ق ٣هـ)<sup>(١)</sup>، الذي عدل عن تفسير آيات التدبر الأربع الواردة في القرآن الكريم<sup>(٢)</sup>، حيث نجده قفز عن تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢] وذهب إلى الآية التي بعدها فقال: «وقوله: ﴿أَفَلَمْ يَذَكِّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأُولِينَ﴾ [المؤمنون: ٦٨] ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْحَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ﴾ أي أخبروا به ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾ يعني أمير المؤمنين رضي الله عنه ﴿لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣] أي الذين يعلمون منهم»<sup>(٣)</sup>.

(١) القمي: علي بن إبراهيم، قال عنه النجاشي في رجاله (ص: ٢٦٠): ثقة في الحديث ثبت معتمد، صحيح المذهب، له كتاب التفسير، وفي الذريعة (٤/ ٣٠٢): شيخ الكليني وقد أكثر الرواية عنه في الكافي، كان في عصر الإمام الحسن العسكري، وبقي إلى (٣٠٧هـ)، وجل ما رواه عن والده عن مشايخه، والغالب عن ابن أبي عمير بسنده أو مرسلًا عن الإمام الصادق، أو عن صفوان عن عبد الصمد عن أبي الجارود عن الإمام الباقر.

(٢) ورد لفظ التدبر في القرآن الكريم من خلال أربع آيات:

١ - قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

٢ - قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَذَكِّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأُولِينَ﴾ [المؤمنون: ٦٨].

٣ - قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩].

٤ - قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤].

(٣) تفسير القمي (١/ ١٥٣).

وكذلك فُرَات بن إبراهيم الكوفي<sup>(١)</sup> (ت: ٣٥٢هـ) الذي لم يتطرق على الإطلاق إلى تفسير آيات التدبر الأربع من خلال تفسيره.

كما جعل الفيض الكاشاني<sup>(٢)</sup> (ت: ١٠٩١هـ)، المقدمة الثانية في تفسيره بعنوان: (في نبذة مما جاء في أن علم القرآن كله إنما هو عند أهل البيت عليهم السلام)<sup>(٣)</sup>.

وفي المقدمة الخامسة جعلها بعنوان: (في نبذة مما جاء في المنع من تفسير القرآن بالرأي والسر فيه)<sup>(٤)</sup>.

قال مُرْتَضَى مُطَهَّرِي<sup>(٥)</sup> (ت: ١٤٠٠هـ) الذي يعتبر من الأصوليين: «الأخباريون لا يُجَوِّزُونَ -تفسير القرآن وفهمه- إلاَّ بعد مراجعة الأخبار والأحاديث، وربما تعجبتم

(١) فُرَات بن إبراهيم الكوفي: صاحب التفسير الشيعي المعروف، توفي سنة (٣٥٢هـ). ينظر: الذريعة (٢٩٨/٤)، معجم رجال الحديث (٢٧١/١٤).

(٢) الفيض الكاشاني: محمد محسن بن مرتضى بن محمود، الشهير بالفيض الكاشاني، من أهم مؤلفاته: الصافي في كلام الله، الوافي في التفسير، والوافي في شرح الكافي، قال عنه الحر العاملي في أمل الآمل (٣٠٥/٢): «كان فاضلاً، عالماً، ماهراً، حكيماً، متكلماً، محدثاً، فقيهاً، محققاً، شاعراً، أديباً، حسن التصنيف»، توفي سنة (١٠٩١هـ). ينظر: معجم المؤلفين (٦١٧/٣)، معجم رجال الحديث للخوئي (٢٢٦/١٨).

(٣) تفسير الصافي (١٩/١).

(٤) المصدر السابق (٣٥/١).

(٥) مُرْتَضَى مُطَهَّرِي: ولد في خراسان الإيرانية سنة (١٣٣٨هـ)، عالم دين وفيلسوف شيعي، عضو مؤسس في شورى الثورة الإيرانية، من أبرز تلاميذ محمد حسين الطباطبائي، من مؤلفاته: العدل الإلهي، الإنسان في القرآن، الوحي والنبوة، التعرف على القرآن، في رحاب نهج البلاغة وغيرها، قال عنه الحسيني في تراجم الرجال (٨١٦-٨١٨): «كان الأستاذ المطهري يمتاز بالأخلاق الفاضلة، والتواضع العلمي، والنشاط الدائب في مجال العلم والسياسة والتنظيم المتناهي في أعماله التحقيقية والتأليفية، وكانت نتيجة هذه الصفات أن استفاد من مطالعته ودراساته أكبر فائدة، وخلف ثروة كبيرة من المؤلفات التي لقيت نجاحاً زائداً عند القراء بمختلف مستوياتهم العلمية»، اغتيل سنة (١٣٩٩هـ). ينظر: مستدركات أعيان الشيعة لحسن الأمين (٢٥٢/١).

إذا علمتم أنّ بعض التفسيرات التي كتبت من قبل هؤلاء، إذا رأوا حديثاً في ذيل آية ذكروها، وإن لم يجدوا حديثاً امتنعوا حتى من ذكر الآية، وكأنّ تلك الآية ليست من القرآن»<sup>(١)</sup>.

ويبدو لي أنّ من أوائل من تناول مصطلح التدبر من الاثني عشرية هو أبو جعفر الطوسي (ت: ٤٦٠هـ) الذي يعتبر شيخ الطائفة وذلك من خلال تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢] حيث قال: «والتدبر: هو النظر في عواقب الأمور، وأصله الدبر.

والتدابير: التقاطع؛ لأنّ كل واحد يُولي الآخر دُبْرَهُ، بعداوته له.

وَدَبَرَ القوم يَدْبُرُون دَبَارًا: إذا هلكوا؛ لأنهم يذهبون في جهة الإِدْبَار عن الغرض. وَأَدْبَرَ القوم: إذا ولى أمرهم عن الرشد.

وَالدَّبِيرُ: التَّحْلُ.

وَالدَّبِيرُ: المَال الكثير.

والتدبير: إصلاح الأمر لعاقبة.

وفي الحديث «لا تدابروا»<sup>(٢)</sup> أي لا تكونوا أعداء.

والفرق بين التدبر والتفكر أنّ التدبر تصرف القلب بالنظر في العواقب، والتفكر

(١) التعرف على القرآن (١/٢٧).

(٢) جزء من حديث أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب: ما يُنهى عن التحاسد والتدابير (٨/١٩)، حديث رقم: (٦٠٦٥)، ومسلم في باب: النهي عن التحاسد والتباغض والتدابير (٤/١٩٨٣)، حديث (٢٥٥٨)، عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام».

تصرف للقلب بالنظر في الدلائل»<sup>(١)</sup>.

ومن خلال هذا النص يُلاحظ أنه قد عرّف التدبر من الناحية اللغوية وهو المعروف لديهم في تلك الفترة، إذ لم يحتاجوا إلى إيجاد تعريف اصطلاحى للتدبر القرآني.

كما يُلاحظ أنه فرّق بين التدبر والتفكر، وهو تفريق سبقه إليه أبوهِلال العَسْكَري<sup>(٢)</sup> (ت نحو: ٣٩٥هـ) في الفروق اللغوية<sup>(٣)</sup>.

وقد قام الطَّبْرسي<sup>(٤)</sup> (ت: ٥٤٨هـ) في تفسيره بنقل كلام الطُّوسي<sup>(٥)</sup> (ت: ٤٦٠هـ) السابق دون الإشارة إلى مصدر النقل.

ونجد الطَّبَّاطبائي<sup>(٦)</sup> (ت: ١٤٠٢هـ) الذي يُعدُّ تفسيره من أشهر تفاسير الاثني عشرية

(١) التبيان في تفسير القرآن (٣/ ٢٧١).

(٢) أبوهِلال العَسْكَري: الحسن بن عبد الله بن سهل بن مهران العَسْكَري، عالم بالأدب، له شعر، من مؤلفاته: التلخيص في اللغة، جهرة الأمثال، الفروق في اللغة، توفي بعد سنة (٣٩٥هـ). ينظر: معجم الأدباء لياقوت الحموي (٢/ ٩١٨)، والأعلام للزركلي (٢/ ١٩٦).

(٣) الفروق اللغوية (ص: ٧٥).

(٤) الطَّبْرسي: الفضل بن الحسن بن الفضل أمين الدين، أبو علي الطبرسي، من علماء الشيعة الكبار، من مؤلفاته: مجمع البيان في تفسير القرآن، والوسيط في التفسير، والوجيز وغيرها، قال عنه التفرشي في نقد الرجال (٤/ ١٩): «ثقة، فاضل، دين، عين، من أجلاء هذه الطائفة، له تصانيف حسنة»، توفي سنة (٥٤٨هـ). ينظر: أمل الآمل (٢/ ٢١٦)، معجم المؤلفين (٨/ ٦٦).

(٥) ينظر: مجمع البيان (٣/ ١٤١).

(٦) الطَّبَّاطبائي: محمد حسين الطباطبائي، ولد في تبريز سنة (١٣٢١هـ)، هاجر إلى النجف سنة (١٣٤٤هـ) وتلمذ على علمائها وحصل على درجة الاجتهاد، يعتبر من أعلام المذهب الشيعي في أواخر القرن الرابع عشر الهجري، من مؤلفاته: الميزان في تفسير القرآن، أصول الفلسفة، نهاية الحكمة وغيرها، قال عنه الحسيني في تراجم الرجال (٢/ ٦٦٥): «مدحه ميرزا حشمت بقصائد فارسية كثيرة مثبتة في ديوانه المخطوط، وهي تدل على جلاله شأن الممدوح، وعظيم مكانته العلمية، وقد وصفه بسيد الموحدين»، توفي في قم سنة (١٤٠٢هـ). ينظر: تذكرة الأعيان، جعفر السبحاني (٢/ ٤٣١).

في العصر الحديث يُعرّف التدبر عند قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢] بقوله: «هو أخذ الشيء بعد الشيء وهو في مورد الآية التأمل في الآية عقيب الآية، أو التأمل بعد التأمل في الآية لكن لما كان الغرض بيان أنّ القرآن لا اختلاف فيه وذلك إنما يكون بين أزيد من آية واحدة كان المعنى الأول أعني التأمل في الآية عقيب الآية هو العمدة وإن كان ذلك لا ينفي المعنى الثاني أيضاً»<sup>(١)</sup>.

يُلاحظ على تعريف الطباطبائي (ت: ١٤٠٢هـ) أنه لم يُعرّف التدبر بالمعنى العام، إنما تناول التدبر المراد بالآية، لكن يُفهم منه أنه عرّف التدبر بأحد معانيه المقاربة له في اللغة وهو التأمل.

كما نجد ناصر مكارم الشيرازي<sup>(٢)</sup> يُعرّف التدبر بتعريفه اللغوي فيقول: «التدبر من مادة دَبَر، وهو تحقيق وبحث نتائج الشيء وعواقبه»<sup>(٣)</sup>.

ومن خلال عرض أبرز تعريفات التدبر الواردة في كتب أشهر تفاسير الاثني عشرية يُلاحظ أنهم اعتمدوا التعريف اللغوي أو أحد معانيه الوارد عند أهل السنة والجماعة.

(١) الميزان في تفسير القرآن (١٩/٥).

(٢) ناصر مكارم الشيرازي: ولد في شيراز من إيران سنة (١٣٤٥هـ)، ويعتبر -حالياً- من أشهر المراجع الشيعية في العالم، من مؤلفاته: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، آيات الولاية في القرآن، أمثال القرآن وغيرها. ينظر موقعه الإلكتروني الخاص به: [www.arabic.makarem.ir](http://www.arabic.makarem.ir)

(٣) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل (١٦/٣٧٨).

## المبحث الثالث

### مصطلح (تدبر القرآن) من خلال كتب مفردة للاثنة عشرية

من الواضح جداً أنّ موضوع التدبر القرآني ظهر متزامناً من ناحية تأصيله والتنظير له بين أهل السنة والجماعة<sup>(١)</sup> والاثني عشرية، وذلك في وقت واحد، وبالتحديد في بداية القرن الخامس عشر الهجري<sup>(٢)</sup>.

وقد وقفت على ثلاثة كتب للاثني عشرية تناولت مصطلح التدبر وأبرز موضوعاته وهي الآتي:

**الأول: التدبر في القرآن**، لمحمد رضا الشيرازي<sup>(٣)</sup> (ت: ١٤٢٩هـ): وهو كتاب يشرح كيفية فهم القرآن الكريم مع تفسير سورة الفاتحة والبقرة وآل عمران.

وقال في مقدمة كتابه: «فهذه محاضرات مبسطة تعبر عن تصورات أولية في التفسير، أُلقيت على مجموعة من المؤمنين الكرام، مشفوعة بإضافات وتنقيحات، وقد أدرجت في مقدمتها كتاب: «كيف نفهم القرآن» الذي أُلفته في غابر الزمان».

(١) ينظر: قواعد التدبر الأمثل، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، مفهوم التفسير والتأويل والتدبر...، مساعد الطيار، تدبر القرآن الكريم- مفهومه، أساليبه، أسبابه، آثاره، فهد الوهبي، أبحاث الملتقى العلمي الأول والثاني للتدبر القرآني.

(٢) كتبت مقدمة الطبعة الأولى لكتاب قواعد التدبر الأمثل لعبد الرحمن الميداني في الثاني من شهر رمضان سنة (١٣٩٩هـ)، كما كتبت مقدمة الطبعة الأولى لكتاب: التدبر في القرآن لمحمد رضا الشيرازي في الثاني من شهر شوال سنة (١٣٩٩هـ).

(٣) محمد رضا بن محمد بن المهدي الحسيني الشيرازي، لنجل الأكبر للمجدد الشيرازي الثاني، من أسرة قادت الزعامة والمرجعية في كربلاء، ولد ونشأ في كربلاء سنة (١٩٥٩م)، تتلمذ على والده وعمه صادق الشيرازي، كما سافر إلى إيران سنة (١٩٨٠م) فأكمل تعليمه في الحوزة العلمية بقم حتى أصبح مرجعاً، من مؤلفاته: التدبر في القرآن، الرسول الأعظم، أبحاث أصولية وغيرها، توفي في قم سنة (١٤٢٩هـ). ينظر: الموقع الإلكتروني الخاص به.



وبهذا يتضح أنّ الكتاب عبارة عن تفسير للقرآن الكريم بالدرجة الأولى، إلا أنه عقد فصلاً من الكتاب -وهو الفصل الأول- حول أهمية تدبر القرآن الكريم، والمنهج في ذلك.

ولم أجد ذكر تعريفاً واضحاً لمصطلح التدبر في القرآن سوى أنه يُفَرَّق بينه وبين التفسير<sup>(١)</sup>، فيرى أنّ معرفة معنى الكلمة القرآنية هو من منهج التدبر القرآني ومن ذلك قوله: «يتكون القرآن الكريم من كلمات تماماً: كما يتكون البناء من لبنات، ولذلك فمن الطبيعي: أن تكون الخطوة الأولى لفهم القرآن الكريم هي التدبر في الكلمات القرآنية، ومع الأسف، فإنّ بعضاً ممن يقرؤون القرآن لا يقومون بهذه المهمة، ولذلك فهم: إمّا أن لا يفهموا معاني الكلمات، أو يفهموها بشكل مغلوط، أو بشكل باهت لا يعكس المدلول الدقيق للكلمة»<sup>(٢)</sup>.

ثم قام بذكر بعض الأمثلة منها عند قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهِ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾﴾ [الأعراف: ٥٩، ٦٠] حيث قال: «قد يبدو للنظرة العابرة أنّ كلمة (الملأ) في هذه الآية تعني (الجماهير)، وعلى هذا الأساس فإنّ الذين كفروا بـ(نوح) وغيره من الأنبياء كانوا عامة الناس، وهنا قد يُثار السؤال التالي: لماذا كفرت الجماهير برسالات الأنبياء؟ ألم تكن رسالات الأنبياء تدعو إلى فطرتهم، وضمايرهم؟!»

والحقيقة: إننا لو فتشنا حول مدلول كلمة (الملأ) لوجدنا أنها تعني: أشرف القوم الذين يملؤون العيون والصدور هيبة، كما تؤكد معاجم اللغة وكتب التفسير.

(١) التدبر في القرآن (ص: ٣٥، ٤٧).

(٢) المصدر السابق (ص: ٦٠).

ومن هنا نستنتج: أنّ الذين كفروا برسالات الأنبياء لم يكونوا (الجماهير)، وإنما كانوا (الأشراف) و (الوجهاء).

كما نستنتج من ذلك أنّ رفضهم لرسالات الأنبياء لم يكن من أجل عدم اقتناعهم بها، وإنما من أجل الحفاظ على مصالحهم الشخصية<sup>(١)</sup>.

الثاني: التدبر في القرآن الكريم-لماذا؟ وكيف؟ محمد العوامي<sup>(٢)</sup>: رسالة صغيرة تقع في (١١٦) صفحة، أجب من خلالها على سؤالين:

١. ماذا التدبر؟

٢. كيف تتم عملية التدبر؟

وبعد التمهيد للموضوع تناول تعريف كلمة (تدبر) حيث نقل كلاماً عزاه إلى الطّبرسي (ت: ٥٤٨هـ)، -الذي هو تعريف الطّوسي (ت: ٤٦٠هـ) السابق في التدبر<sup>(٣)</sup>،- وكذلك نقل تعريف الرّاغِب الأصفهاني<sup>(٤)</sup> (ت بعد: ٤٠٠هـ تقريباً): «التدبير: التفكير في دبر الأمور»<sup>(٥)</sup>، كما نقل تعريف الطّباطبائي (ت: ١٤٠٢هـ) السابق<sup>(٦)</sup>، ثم علّق بقوله:

(١) المصدر السابق (ص: ٦٥).

(٢) محمد العوامي: من لم أجد له ترجمة وافية سوى أنه من مشايخ الاثنى عشرية المعاصرين في مدينة سيهات شرقي السعودية، وله اهتمام بالموضوعات القرآنية، من مؤلفاته: التدبر في القرآن الكريم.

(٣) ينظر: مجمع البيان (٣/ ١٤١).

(٤) الرّاغِب الأصفهاني: الحسين بن محمد بن الفضل، أبو القاسم، أديب، من الحكماء العلماء، من أهل أصفهان، سكن بغداد واشتهر، من مؤلفاته: جامع التفاسير، المفردات في غريب القرآن، الذريعة إلى مكارم الشريعة وغيرها، توفي بعد سنة (٤٠٠هـ). ينظر: الأعلام للزركلي (٢/ ٢٥٥)، معجم المفسرين لنويص (١/ ١٥٨).

(٥) المفردات في غريب القرآن (ص: ٣٠٧).

(٦) الميزان في تفسير القرآن (٥/ ١٩).

«وأظن أنّ معنى التدبر أصبح واضحاً بتعريف العلماء الأعلام المتقدم، ولمزيد من التوضيح أقول: إنّ التدبير يعني التفكير والتأمل واستخلاص العبرة ووعي الفكرة وعدم الاقتصار على الفهم السطحي لظاهر الآية وباطنها واكتشاف الإشارات واللطائف وإدراك المعاني واستيعاب الحقائق»<sup>(١)</sup>.

ثم ذكر مثالين يوضحان معنى التدبر لديه منها قوله: «واليك مثال توضيحي للتدبر في آيات الكتاب، والمثال عن هؤلاء المحرومين (أعني المنافقين) يقول الله تعالى عنهم: ﴿كَانَهُمْ حُشْبٌ مُسْنَدَةٌ﴾ [المنافقون: ٤] ما معنى ذلك؟ إننا نمد على هذا التشبيه للمنافقين بالأخشاب المسندة مروراً عابراً، ولا نفهم من ذلك سوى ظاهر العبارة، وهو أنّ المنافقين كالأخشاب المُسْنَدَة، ولكن لا يكفي هذا الفهم العابر والسطحي. فلنتدبر ولنتأمل..ماذا يعني هذا التشبيه؟ وإلى ماذا يُشير؟ ولنتوقف عند هذا الوصف طويلاً لأخذ العبرة.

أي كأنهم أشباح بلا أرواح، شبههم الله في خلوهم من العقول والأفهام بالْحُشْبِ المُسْنَدَةِ إلى شيء لا أرواح فيها، وقيل: إنه شبههم بِحُشْبِ نَخْرَةٍ متآكلة لا خير فيها، ويحسب من رآها أنها صحيحة سليمة من حيث أنّ ظاهرها يروق وباطنها لا يُفيد، فكذلك المنافق ظاهره مُعْجِبٌ رائع، وباطنه عن الخير زائغ هكذا قال العلامة الطَّبْرسي في تفسيره...

وبما ذكرنا يتبين أنّ هذا الوصف هو وصف لباطن المنافقين، فهم في باطنهم كالْحُشْبِ المُسْنَدَةِ، وفي ظاهرهم ما ذكره رب العالمين قبل ذلك في نفس الآية: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ﴾ [المنافقون: ٤].

(١) التدبر في القرآن الكريم - لماذا؟ وكيف؟ (ص: ٤٢)

وبعد فهل نحن استفدنا عبرةً من ذلك؟ وهل استخلصنا فائدة؟ هل هذا التشبيه يصدق علينا أم لا؟ أم أنه يصدق علينا شيئاً ما؟

وهكذا نقف عند عبارات القرآن متأملين متدبرين، لنفهم ونعي ونتحصل العبرة والفائدة<sup>(١)</sup>.

الثالث: التدبر الموضوعي في القرآن الكريم: وهو عبارة عن دروس ألقاها علي آل موسى<sup>(٢)</sup> ثم جمعت في كتاب يقع في (٧٤٩) صفحة، قُسم إلى خمسة فصول.

ومن خلال اطلاعي على هذا الكتاب يتضح أنه ليس فيه من التدبر إلا اسمه، وإلا غالب صفحاته تتأرجح بين قضايا التفسير لا التدبر، خاصة ما يُسمى بالتفسير الموضوعي.

بالرغم أنه جاء في بداية الكتاب نقله لمعنى التدبر من خلال كتب اللغة ثم قال: «وعلى هذا التوضيح يكون معنى التدبر في القرآن: معرفة عواقب الأمور من لزوم العمل بمفاد الآيات ونتائجها»<sup>(٣)</sup>.

وقال أيضاً: «فالتدبر إعمال عميق للعقل في القرآن للحصول على الهدى الإلهي، واستخراج الأفكار، وبناء المواقف»<sup>(٤)</sup>.

(١) التدبر في القرآن الكريم - لماذا؟ وكيف؟ (ص: ٤٣-٤٥).

(٢) علي بن علي آل موسى: لم أجد له ترجمة وافية سوى أنه من مشايخ الاثنى عشرية المعاصرين في مدينة سيهات شرقي السعودية، وله اهتمام بالموضوعات القرآنية، حاصل على درجة الماجستير حول (شعرية القلق في شعر بدر شاكر السياب)، من مؤلفاته: التدبر الموضوعي في القرآن الكريم، القرآن والاستبصار السياسي - تأملات في النماذج القرآنية.

(٣) التدبر الموضوعي في القرآن الكريم (ص: ٢٣).

(٤) المصدر السابق (ص: ٢٣).

وواضح من خلال تعريفه أنه فرَّق بين التدبر بوصفه عملية عقلية، وما ينتج عن ذلك من ثمرة لهذه العملية، وهو تفريق جيد في نظري.

## المبحث الرابع

### الفرق بين التفسير والتدبر

اجتهد بعض علماء الاثني عشرية إلى أهمية التفريق بين التفسير والتدبر، حيث يرى الحُميني<sup>(١)</sup> (ت: ١٤٠٩هـ) أنَّ عدم التفريق بين مصطلح التفسير والتدبر أحال الناس عن الانفتاح على كتاب الله، واعتبر ذلك من الحجب المانعة من الاستفادة منه فقال: «ومن الحجب المانعة من الاستفادة من هذه الصحيفة الثورانية: الاعتقاد بأنه ليس لأحد حق الاستفادة من القرآن الشريف إلا بما كتبه المفسرون أو فهموه.

وقد اشتبه على الناس التفكير والتدبر في الآيات الشريفة بالتفسير بالرأي الممنوع، وبواسطة هذا الرأي الفاسد والعقيدة الباطلة جعلوا القرآن عارياً من جميع فنون الاستفادة واتخذوه مهجوراً بالكلية في حال أنَّ الاستفادة الأخلاقية والإيمانية والعرفانية لا ربط لها بالتفسير، فكيف بالتفسير بالرأي»<sup>(٢)</sup>.

ثم يضرب على ذلك أمثلة منها قوله: «فمثلاً إذا استفاد أحد من كيفية مذاكرات موسى مع الخضر، وكيفية معاشرتهما وشدَّ موسى رحاله إليه مع ما له من عظمة مقام

(١) الحُميني: مصطفى بن أحمد، ولد في حُمَيْنَ بياران سنة (١٣٢٠هـ)، درس في النَّجَفِ وسَامَرَاءَ، وعاد إلى حُمَيْنَ، ومن ثمَّ انتقل إلى قم بعد نقل الحوزة العلمية إليها، وبدأ في تدريس الفلسفة والعلوم العقلية، وانتقلت إليه المرجعية الدينية بعد وفاة البرُّوجَرْدِي، سجن لمدة ثمانية أشهر في سجون إيران، مما أدى إلى قيام ثورة شعبية، فاضطرت الحكومة أن تطلق سراحه، فما أن خرج حتى أخذ بتحريض الشعب ضد حكومة البهلوي إلى أن أطاح بها، وقامت الجمهورية في إيران، من مؤلفاته: كشف الأسرار، رسالة الاجتهاد والتقليد، وكتاب الأربعين وغيرها، توفي في طَهْرَان سنة (١٤٠٩هـ). ينظر: مستدركات أعيان الشيعة (٣/ ٨٠-٨٣)، موقع ويكيبيديا الإلكتروني

(٢) الآداب المعنوية للصلاة (ص: ٣٤٣).

النبوة لأخذ العلم الذي ليس موجوداً عنده وكيفية عرض حاجته إلى الخضر كما ذكرت في الآية الكريمة الشريفة: (هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشداً)، وكيفية جواب الخضر والاعتذارات التي وقعت من موسى عظمة مقام العلم وآداب سلوك المتعلم مع المعلّم ولعلها تبلغ من الآيات المذكورة إلى عشرين أدباً فأبي ربط لهذه الاستفادات بالتفسير فضلاً من أن تكون تفسيراً بالرأي والاستفادة من هذا القبيل في القرآن كثيرة<sup>(١)</sup>.

ومن خلال فهمي لهذا النص فإنه لا غبار عليه ما لم يكن التدبر منفصلاً عن التفسير<sup>(٢)</sup> بل ينبغي أن يكون الأول مبنياً على الآخر، ومنطلقاً من خلاله.

كما عقد علي آل موسى فقرة في كتابه التدبر الموضوعي تبين الفرق بين التفسير والتدبر ولم يُظهر الفرق الجوهرية بين المصطلحين بل فرّق بينهما بقوله:

(١) أنّ التفسير مقصور على فئة خاصة، بينما حثت الآيات على التدبر للجميع.

(٢) يأتي التفسير شاملاً للقرآن المجيد، بينما يقتصر التدبر على سورة أو مقطع أو

عدة مقاطع أو موضوع من المصحف الشريف.

ثم قال: «ومن ثمّ فالعمل الذي نستهدف نحن القيام به هو التدبر، ومحاولة التأمل

في آيات الله، واجتناء شيء من ذخائرها الوفيرة، وليس محاولة كتابة تفسير قرآني»<sup>(٣)</sup>.

(١) المصدر السابق (ص: ٣٤٣).

(٢) يرى الخميني أنّ مصطلح التفسير «ما كان شارحاً لمقاصد الكتاب المُفسَّر... والمُفسَّر إذا فهم لنا المقصد

من النزول فهو مُفسَّر سبب النزول كما هو في التفاسير». الآداب المعنوية للصلاة (ص: ٣٣٣).

(٣) (التدبر الموضوعي في القرآن الكريم (ص: ٢٤).

## الخاتمة

بعد الانتهاء من الحديث حول موضوع مصطلح (تدبر القرآن عند الاثني عشرية) فإنه يجدر بي أن أذكر أبرز النتائج والتوصيات التي خرجت بها وهي الآتي:

« أبرز النتائج:

١. تدبر القرآن ممنوع عند المدرسة الأخبارية بخلاف المدرسة الأصولية التي تجيزه وتدعو إليه.

٢. غالب مفسري الاثني عشرية اعتمدوا في تعريفهم للتدبر القرآني على تعريف الطوسي (ت: ٤٦٠هـ) في تفسيره التبيان، وهو التعريف اللغوي الذي كان معروفاً ومتداولاً عند السابقين، أو أحد معانيه الواردة عند أهل السنة والجماعة.

٣. تتزامن الكتابة حول تنظير موضوع التدبر القرآني بين أهل السنة والجماعة والاثني عشرية في وقت في واحد وهو بداية القرن الخامس عشر الهجري.

٤. وقفت على ثلاثة كتب للاثني عشرية تناولت مصطلح التدبر وأبرز موضوعاته.

٥. يُلاحظ حماس بعض المعاصرين من علماء الاثني عشرية نحو أهمية التدبر القرآني والدعوة إليه<sup>(١)</sup>.

وهذا أمر في غاية الروعة ولكن السؤال:

(١) ينظر: التدبر في القرآن الكريم للشيرازي (ص: ٢٦)، الآداب المعنوية للصلاة (ص: ٣٣٩)، الأمثل في كتاب الله المنزل (١٦ / ٣٧٨)، التدبر الموضوعي في القرآن الكريم (ص: ٢٥)، التدبر في القرآن الكريم للعوامي (ص: ١٨).



هل هذا التدبر سيوصلهم إلى استنطاق بعض آيات القرآن الكريم التي يحاولون الفرار منها؟!

فعندما يتلون قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، هل تدبرهم سيوصلهم إلى بيان فضل أبي بكر الصديق<sup>(١)</sup> رضي الله عنه؟!

وعندما يتلون قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨] هل تدبرهم سيوصلهم إلى بيان منزلة الصحابة رضي الله عنهم عند الله تعالى؟!  
« أبرز التوصيات:

١. الدعوة إلى الكتابة حول موضوع: (منهج الاثني عشرية في تدبر القرآن الكريم).

٢. دعوة الحكومات السنية إلى الاهتمام بإنشاء حلقات لتلاوة القرآن الكريم في أواسط مناطق الاثني عشرية التابعة لهم؛ لما في ذلك من أثر عظيم عليهم نحو معرفة الحقيقة.

(١) تنظر مناقشة أهل السنة والجماعة للاثني عشرية حول هذا الموضوع من خلال: الفصل في الملل والنحل لابن حزم (٤/١١٣)، غرائب التفسير للنيسابوري (٣/٤٧١)، منهاج السنة لابن تيمية (٨/٢٩٧)، تفسير المنار لرشيد رضا (١٠/١٤٥، ٣٨٦).

## ثبت المراجع والمصادر

١. أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية، ناصر بن عبد الله القفاري، ط١، ١٤١٤هـ
٢. الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين - بيروت، ط ١٧، ٢٠٠٧م.
٣. تدبر القرآن الكريم-أساليبه، أسبابه، آثاره، فهد بن مبارك الوهبي، الأمانة العامة لمسابقة القرآن الكريم-السعودية، ط١، (١٤٣٥هـ-٢٠١٤م).
٤. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا (ت:١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (١٩٩٠م).
٥. الصراع بين الأخباريين والأصوليين داخل المذهب الشيعي الاثني عشري- أصوله وأبعاده، أحمد قوشتي عبد الرحيم، تكوين للدراسات والأبحاث-لندن، ط٢، (١٤٣٦هـ-٢٠١٥م).
٦. غرائب القرآن ورجائب الفرقان، الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت:٨٥٠هـ)، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية-بيروت، ط١، (١٤١٦هـ).
٧. الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري (ت نحو: ٣٩٥هـ)، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة.
٨. الفصل في الملل والأهواء والنحل، أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي (ت:٤٥٦هـ)، مكتبة الخانجي-القاهرة.
٩. مصادر التلقي وأصول الاستدلال العقدي عند الإمامية الاثني عشرية، إيمان

- صالح العلواني، دار التدمرية-الرياض، ط١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
١٠. معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، ياقوت الحموي (ت: ٦٢٦هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي-بيروت، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.
١١. معجم المفسرين، عادل نويهض، مؤسسة نويهض للثقافة-بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
١٢. معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.
١٣. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (توفي بعد: ٤٠٠هـ)، تحقيق: صفوان داودي، ط١، ١٤١٢هـ

## ثبت المصادر والمراجع الاثني عشرية

١. الآداب المعنوية للصلاة، الخميني (ت: ١٤٠٩هـ)، تعريب: أحمد الفهري، مؤسسة الأعلمي-بيروت، ط ٢، (١٤٠٦هـ-١٩٨٦م).
٢. أصول التفسير والتأويل، كمال الحيدري، دار فرقد-إيران، (١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م).
٣. أعيان الشيعة، محسن الأمين (ت: ١٣٧١هـ)، تحقيق: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات-بيروت، ١٤٠٦هـ.
٤. الأمثل في تفسير كلام الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، ط ٢.
٥. أنوار البدرين في تراجم علماء القطيف والأحساء والبحرين، علي بن حسن البلادي (ت: ١٣٤٠هـ)، مراجعة: محمد علي محمد رضا الطبسي، مطبعة النعمان-النجف، ١٣٧٧هـ.
٦. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمد باقر المجلسي (ت: ١١١٠هـ)، مؤسسة الوفاء-بيروت، ط ٢، (١٤٠٣هـ).
٧. البيان في تفسير القرآن، أبو القاسم الموسوي الخوئي (ت: ١٤١٣هـ)، مؤسسة إحياء آثار الإمام الخوئي-قم، ط ٣، (١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م).
٨. التبيان في تفسير القرن، محمد بن الحسن الطوسي (ت: ٤٦٠هـ)، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، دار إحياء التراث العربي-قم، ط ١، ١٤٠٩هـ.
٩. التدبر في القرآن، محمد رضا الشيرازي (ت: ١٤٢٩هـ)، دار العلوم-بيروت، ط ٣، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

١٠. التدبر في القرآن الكريم، لماذا؟ وكيف؟ محمد العوامي، مؤسسة القرآن نور، ط١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
١١. تذكرة الأعيان، جعفر السبحاني، مؤسسة الإمام الصادق، ط١، ١٤٢٩هـ.
١٢. التعرف على القرآن، مرتضى مطهري (ت: ١٤٠٠هـ)، دار الكتاب الإسلامي-بيروت، ١٤٠٥هـ.
١٣. التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، محمد هادي معرفة (ت: ١٤٢٧هـ)، الجامعة الرضوية للعلوم الإسلامية-مشهد، ط٢، ١٤٢٥هـ.
١٤. حجية ظواهر الكتاب العزيز، وقفان خضير محسن الكعبي.
١٥. الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة، يوسف البحراني (ت: ١١٨٦هـ) نشره: علي الآخوندي، مؤسسة النشر الإسلامي-قم.
١٦. الذريعة إلى تصانيف الشيعة، أغا بزرك الطهراني (ت: ١٣٨٩هـ)، دار الأضواء-بيروت، ط٣، (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م).
١٧. العبقات العنبرية في الطبقات الجعفرية، محمد حسين آل كاشف الغطاء (ت: ١٣٧٣هـ)، تحقيق: جودت القزويني، بيسان-بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
١٨. فهم القرآن-دراسة على ضوء المدرسة العرفانية، جواد علي كسار، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي-بيروت، ط٢، ٢٠١٠م.
١٩. الفوائد المدنية، الاسترابادي، تحقيق: رحمة الله الرحمتي الأراكي، مؤسسة النشر الإسلامي-قم، ط١، ١٤٢٤هـ.

٢٠. الكافي، محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني (ت: ٣٢٩هـ)، تحقيق: علي أكبر غفاري، مطبعة حيدري، دار الكتب الإسلامية-طهران، ط ٣، ١٣٨٨هـ.
٢١. مجمع البحرين، الطريحي (ت: ١٠٨٥هـ)، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، مكتب النشر الثقافية الإسلامية، ط ٢، (١٤٠٨هـ).
٢٢. مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي (ت: ٥٤٨هـ)، إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية-بيروت، ط ١، (١٤١٨هـ).
٢٣. معاني الأخبار، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الصدوق (ت: ٣٨١هـ)، تحقيق: علي أكبر غضاري، انتشارات إسلامي-إيران، (١٣٦١هـ).
٢٤. معجم رجال الحديث، أبو القاسم الخوئي (١٤١٣هـ)، مركز المعجم الفقهي في الحوزة العلمية-قم، ط، (١٤١٣هـ).
٢٥. الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي (ت: ١٤٠٢هـ) مؤسسة النشر الإسلامي-قم.
٢٦. الهداية الكبرى، الحسين بن حمدان الخصبي (ت: ٣٣٤هـ)، مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع-بيروت، ط ٤، (١٤١١هـ-١٩٩١م).
٢٧. وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، محمد بن الحسن الحر العاملي (ت: ١١٠٤هـ)، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث-قم، ط ٢، ١٤١٤هـ.

الجلسة الرابعة: المؤلفات في التدبر قراءة وتحليل  
(الكتب النظرية)

رئيس الجلسة: أ. د. محمد بن عبد الكريم فيلاي

مفهوم وضوابط التدبر في كتاب معارج التفكير ودقائق التدبر  
للعلامة: عبد الرحمن حبنكة الميداني

محمد بن أحمد بن سعيد مكي

كتب المفاتيح والأسباب والموانع

دراسة وصفية تحليلية

د. أبو بكر بن محمد فوزي البحيت

تحليل المؤلفات في تدبر القرآن

(المقررات والمناهج)

د. فهد بن مبارك بن عبد الله الوهبي

كتب المفاتيح والأسباب والموانع

دراسة وصفية تحليلية

د محمد بن عبد الخواد بن محمد الصاوي







## السيرة الذاتية لرئيس الجلسة الرابعة

« الاسم: محمد بنعبد الكريم فيلاي.

« مكان وتاريخ الميلاد: فاس - المملكة المغربية - ٠٤ / ١٠ / ١٩٥٦ م.

« المؤهلات العلمية:

- الشهادة الثانوية من المعهد الثانوي في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

- الإجازة في الشريعة - كلية الشريعة في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

- شهادة الدراسات المعمقة تخصص العقيدة والفكر كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة محمد الخامس بالرباط.

- شهادة الماجستير تخصص العقيدة والفكر وتاريخ الأديان كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة الحسن الثاني الدار البيضاء الكبرى بميزة ممتاز مع التوصية بالطبع وقد طبعته الجامعة.

- شهادة دكتوراه الدولة تخصص العقيدة والفكر وتاريخ الأديان بميزة ممتاز مع التوصية بالطبع.

« مقر العمل:

- جامعة الحسن الثاني بالدار البيضاء كلية الآداب والعلوم الإنسانية عين الشق شعبة الدراسات الإسلامية. - تاريخ التوظيف: ١٥ / ٠١ / ١٩٨٥ م.

- الإطار: أستاذ التعليم العالي. الدرجة: ج. أعلى درجة (أستاذ كرسي).

- أستاذ مساعد ثم أستاذ التعليم العالي مساعد ثم أستاذ محاضر ثم أستاذ التعليم العالي.

« المهام: التدريس، وهي الوظيفة الرئيسية.

- المواد التي درستها منذ بداية التوظيف: العقيدة الإسلامية، الفقه، علوم القرآن، علوم الحديث،

الموارث، الفكر الإسلامي، تاريخ الأديان، مناظرة الأديان، فقه الدعوة، فقه العقيدة، مدخل لدراسة العلوم الإسلامية.

- منسق وحدات بمسلك الإجازة.

- الإشراف على بحوث الإجازة، والماجستير، والدكتوراه داخل الجامعة وخارجها.

- رئيس شعبة الدراسات الإسلامية.
- منسق مسلك الدراسات الإسلامية.
- رئيس مسلك ماستر في علم العقائد والأديان.
- التأطير بوحدة مسلك الماستر علم العقائد والأديان.
- منسق وحدات بمسلك الماستر.
- مسؤول عن التكوين في الدكتوراه في الدراسات الإسلامية.
- عضو مجلس الكلية.
- رئيس لجنة الشؤون الأكاديمية والبيداغوجية في الكلية.
- عضو في اللجان المنبثقة عن مجلس الكلية.
- عضو المجلس العلمي المحلي لإقليم مديونة بجهة الدار البيضاء الكبرى من طرف الملك.
- منسق لجنة الأبحاث والدراسات وتأطير الوعاظ والخطباء بالمجلس العلمي.
- عضو في لجنة الخبراء في الجامعة لدراسة مشاريع المسالك والوحدات في الدراسات العليا ومشاريع الدكتوراه.
- عضو في لجان المناقشة لرسائل الماجستير والدكتوراه بالجامعات المغربية.
- عضو في لجنة فحص رسائل الدكتوراه المقترحة للطباعة.
- مدير المختبر العلمي الأكاديمي في الفكر والعقائد والأديان والفرق بجامعة الحسن الثاني بالدار البيضاء.
- شاركت في عدة ندوات وطنية ودولية؛ السعودية الأردن بلجيكا فرنسا ألمانيا إسبانيا هولندا تركيا أندونيسيا.
- شاركت في مؤتمرات مختلفة داخل الوطن وخارجه.
- عضو في اللجنة الوطنية العليا للتنسيق بين شعب الدراسات الإسلامية بالجامعات المغربية بالرباط.
- عضو في لجان التوظيف بالدار البيضاء ودار الحديث الحسنية التابعة لجامعة القرويين.

مفهوم وضوابط التدبر في كتاب معارج

التفكر ودقائق التدبر

للعامة: عبد الرحمن حبنكة الميداني

إعداد

محمد بن أحمد بن سعيد مكي



## السيرة الذاتية للباحث

« الإسم: الاسم: مجد بن أحمد بن سعيد مكي.

« مكان وتاريخ الميلاد: ولد في مدينة حلب في شهر رمضان (١٣٧٦) الموافق ١٠/٤/١٩٥٧م.

« المؤهلات العلمية.

- حصل على درجة الماجستير من كلية أصول الدين في جامعة أم القرى بمكة المكرمة، قسم الكتاب والسنة. وكان موضوع رسالته: (أقوال الحفاظ الذهبي النقدية في علوم الحديث من كتابه سير أعلام النبلاء) ونوقشت عام ١٤٠٩هـ

- يحضر الدكتوراه في جامعة الملك محمد الخامس بالرباط في التفسير والحديث الشريف، في موضوع «الاجتهاد المعاصر في علوم القرآن والحديث».

« البحوث العلمية:

- مقدمات الشيخ علي الطنطاوي «جمع وتقديم».

- فتاوى مصطفى الزرقا «جمع وعناية».

- البيان في أركان الإيمان (تأليف).

- الجمان في أصول الإيمان (تأليف).

- العقيدة الإسلامية للمكي بن عزُّوز (شرح ودراسة).

- ردع الإخوان من محدثات آخر جمعة رمضان للكنوي (تحقيق).

- الإنصاف في أحكام الاعتكاف للكنوي (تحقيق).

- جياذ المسلسلات في علوم الحديث، للسيوطي (تحقيق).

- من ذخائر السنة، للعلامة الشيخ طه الساكت، (جمع وترتيب وتحقيق وتقديم) في مجلدين كبيرين.

- التعريف بكتاب معارج التفكير ودقائق التدبر، للميداني (تأليف).

- المعين على تدبر الكتاب المبين، وهو تفسير تدبري مختصر محرر، على حاشية المصحف (تأليف).  
- ياقوتة الصراط في غريب القرآن، لغلام ثعلب (تحقيق وترتيب) في مجلد على حاشية المصحف.  
- إسبال الكساء على تفسير سورة النساء وهو قسم من التفسير المكي الذي راجعه وأعدّه للطباعة  
للشيخ طاهر الكردي المكي (مجلد).

- في الحديث النبوي، للعلامة الشيخ مصطفى الزرقا، تقديم وتعليق.

- أعلام وعلماء، للعلامة محمد أبو زهرة، جمع وتقديم وترتيب.

- رجال فقدناهم: جمع وترتيب التراجم التي وردت في مجلة «حضارة الإسلام» الدمشقية مع  
إضافات مهمات، في مجلدين.

- أولى ما قيل في آيات التنزيل، للعلامة الشيخ محمد رشيد الخطيب الموصلية، تقديم وتحقيق وتعليق،  
في تسع مجلدات.

- مقالات العلامة المؤرخ المحدث الشيخ محمد راغب الطباخ، في مجلدين.

« الأعمال العلمية التي ستصدر قريباً - بعون الله تعالى -:

١. الندوات القرآنية (جمع وترتيب وتحقيق) في أربع مجلدات.

٢. الندوات الفقهية، وهي مجموع الندوات التي كانت تعقد في مجلة «لواء الإسلام» المصرية، في  
ثلاث مجلدات.

٣. جبهة فتاوى محمد أبو زهرة، (جمع وترتيب ودراسة) في خمس مجلدات.

٤. زهرة التفاسير، (تهذيب وترتيب)، وأصل الكتاب للخطاط محمد الطاهر الكردي المكي، في خمس  
مجلدات.

٥. التفسير المكي لمحمد طاهر الكردي أيضاً، (تصحيح وعناية) في عشر مجلدات. (صدر المجلد  
الأول).

وغيرها من المشاريع العلمية المرتقبة، نسأل الله العون والتوفيق على إتمامها على الوجه المرضي.

## المقدمة

دعني الهيئة العالمية لتدبر القرآن الكريم للمشاركة في مؤتمرها الثاني الذي سيعقد بمشيئة الله تعالى في المملكة المغربية، وطلبت مني المشاركة في محور المؤلفات في التدبر (كتب المفهوم والضوابط)، ثم تكرمت بإرسال قائمة كبيرة متنوعة بأسماء الكتب المقترحة والبحوث والدراسات والرسائل العلمية للقراءة والتحليل.

واستحسنت أن أكتب كلمات موجزات عن كتاب شيخنا عبد الرحمن حبنكة الميداني (معارج التفكير) الذي أقامه على أسس علمية دقيقة، وضوابط معرفية صارمة.

ولي صلة بهذا الكتاب وبمؤلفه ويعدُّ شيخني الأول في علم التدبر، مع انتفاعي واستفادتي من علماء كثيرين سابقين ولاحقين.

وأقدّم في هذه الصفحات تعريفاً بجهده، وبياناً للمفاهيم التي أوضحها، والضوابط التي التزمها في تدبره لكتاب الله سبحانه.

قدّم العلامة المفكر المفسر فضيلة الشيخ عبد الرحمن حبنكة الميداني للمكتبة الإسلامية الكثير المبارك من المؤلفات التي تقارب الثلاثين مجلداً في عدة سلاسل علمية: في الدراسات القرآنية، وفي طريق الإسلام، وسلسلة أعداء الإسلام، ومن أدب الدعوة الإسلامية. فضلاً عن غيرها من الكتب والدراسات المتنوعة، ويبلغ عدد صفحات ما كتبه ٢٣٦٤٠ صفحة مطبوعة، وكلُّها من بدائع الأفكار، وروائع الحكم، وأصيل العلم، ودقيق الفهم.

ويأتي في قمة إنتاجه العلمي كتابه الأخير «معارض التفكر ودقائق التدبر»، وهو تفسير تدبري للقرآن الكريم بحسب ترتيب النزول، وفق منهج كتاب «قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل»، وقبل إلقاء بعض الأضواء على منهجه في هذا الكتاب، نشير إلى لمحات موجزة من حياة العالم الرباني القرآني الشيخ عبد الرحمن حبنكة -رحمه الله تعالى-، وأشير قبل ذكر هذه اللمحات في ترجمته أن زوجته ورفيقة دربه العلمي والدعوي الطويل، السيدة عائدة راغب الجراح، التي توفيت قبله بعامين، في مكة المكرمة، ١٤/٥/١٤٢٣هـ، رحمها الله تعالى، الأستاذة بجامعة أم القرى سابقاً، كتبت دراسة موجزة عن زوجها، بعنوان: «عبد الرحمن حبنكة الميداني العالم المفكر المفسر، أو: زوجي كما عرفته»، وهي سابقة نادرة في فن التراجم؛ إذ عرفنا الكثير من التلاميذ الذين يترجمون لشيخوهم، والأبناء الذين يترجمون لآبائهم، وأما ترجمة الأزواج لأزواجهم فهو نادر جداً، وهو دليل تأثرها بمنهج زوجها، وعنوان صدق مودتها له، وخاصةً أنها كانت نعم الزوجة التي هيأت لزوجها ظروف العمل العلمي الكبير الذي قام به، ولذلك كان يثني عليها في الكثير من كتبه، ومن ذلك قوله في ختام كتابه «الأخلاق الإسلامية»: ٢: ٦٦٧: والله أسأل أن ينفع به، ويكتب له القبول في الأرض، ويضاعف به الأجر لي، ولزوجتي التي هيأت لي الجوّ الملائم لكتابته، وكانت خيرَ حاتِّ لي على إتمامه...».

### سيرة حافلة:

وُلد الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن مرزوق حفظه الله في عام ١٣٤٥هـ الموافق لعام ١٩٢٧م في حيّ الميدان من مدينة دمشق لأبٍ من كبار علماء دمشق، هو فضيلة العلامة المجاهد المربي الشيخ حسن حبنكة الميداني.



وقد قام فضيلة الشيخ عبد الرحمن بالتعريف بوالده الداعية الحكيم المعلم المربي المجاهد في كتابٍ حافلٍ واسع، يُعدُّ وثيقة علمية وتاريخية، وصدر في دار القلم بدمشق سنة ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م في أكثر من ٤٠٠ صفحة.

### نشأة مباركة:

نشأ الشيخ في بيت العلم والدعوة في كنف والده الإمام الذي كان له فضل تربيته وتأديبه وتعليمه علوم الإسلام، وانتظامه في سلك طلاب علوم الشريعة الإسلامية في مدرسة والده (معهد التوجيه الإسلامي) التي أسسها ورعاها، وربّى طلابها، وعلمهم بنفسه حتى آتت أكلها طيبة مباركة.

### معهد التوجيه الإسلامي مؤسسة علمية جامعة:

وكان التعليم في تلك المؤسسة العلمية الجامعة على طريقة الأقدمين، في حلقات علمية يتعلم فيها الطلاب ويعلمون، ويستفيد بعضهم من بعض.. وكانوا يتدرّجون في دراسة المواد العلمية بدءاً من جذورها وانتهاء إلى فروعها، من الرسائل العلمية الصغيرة في كلّ فنٍّ من فنون العلم تدرّجاً في المستويات، وارتقاء في التحصيل إلى الكتب العلمية الكبرى، وهذا منهج علميٍّ أصيلٍ دَرَج عليه السلف الصالح بتعلم المسائل الصغار قبل الكبار، والتدرج في طلب العلم مرحلة تلو مرحلة، مع العمل بالعلم، والتحليّ بأخلاق العلماء الربّانيين.

وكان الشيخ الوالد العلامة المجاهد حسن حبنكة الميداني رحمه الله يتعهّد طلابه بالتربية العلمية الدعوية، حيث يكلف طلاب المعهد بإعداد الدروس والخطب، وكتابة المحاضرات وإلقائها في المساجد، مما جعلهم يتمرّسون على مواجهة الناس، وتعليمهم وتربيتهم.

## أبرز خريجي المعهد:

وقد تخرّج في هذه المدرسة نخبة من كبار العلماء، وفي مقدمتهم الشيخ: صادق حبنكة شقيق الشيخ حسن، وحامل لواء مدرسته في دمشق بعد وفاة أخيه رحمهما الله تعالى، والعالم القارئ الخطيب الشيخ حسين خطاب شيخ قراء دمشق رحمه الله تعالى، والشيخ الدكتور مصطفى الخن رحمه الله تعالى، والشيخ كريم راجح حفظه الله تعالى شيخ قراء دمشق بعد وفاة الشيخ حسين خطاب رحمه الله تعالى. وغيرهم من العلماء.

## متابعة الدراسة والتحصيل:

تخرّج الشيخ عبد الرحمن في هذا الصّرح العلميّ الكبير سنة ١٣٦٧هـ، وأسند إليه تدريس مواد مختلفة في الفقه والأصول والتوحيد والمنطق والبلاغة، حتى سنة ١٣٧٤هـ إذ انتسب إلى كلية الشريعة في الأزهر حتى حاز على الشهادة العالية مع إجازة في التدريس.

وبعد تخرّجه في الأزهر درّس في ثانويات دمشق العلوم الشرعية، وعيّن مديراً للتعليم الشرعي في وزارة الأوقاف، وانتقل إلى العمل في المملكة العربية السعودية بعد عام ١٣٨٧هـ = ١٩٦٧م، وعمل أستاذاً في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض لمدة سنتين، ثم انتقل عمله إلى مكة المكرمة فعمل أستاذاً في جامعة أم القرى قرابة ثلاثين عاماً، وأسند إليه تدريس مواد مختلفة في الثقافة الإسلامية، والغزو الفكري، والمذاهب الفكرية المعاصرة..

ولمّا بلغ عمره المبارك سبعين عاماً، أعفي من العمل الرسمي، واختير في هذه الأثناء عضواً في المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، كما اختير عضواً في مجلس هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية.

وبعد تفرغه من العمل الوظيفي الرسمي في الجامعة، أتجه بكل ما يملك من صحة ووقت وقوة وجهد لتدبر كتاب الله الذي سنلّم بأطراف يسيرة منه في هذه الصفحات.

## مع كتاب الله عزّ وجل:

من الجدير بالذكر أن جهود الشيخ العلمية ومؤلفاته الموسوعية، أكثرها يدور حول كتاب الله عز وجل، جمعاً للآيات المتعلقة بموضوع كتابه، وترتيباً لها حسب منهج الشيخ في تتبّع مراحل النزول، وتحليلاً لألفاظ الكلمة القرآنية، واستقراء لها، وانتهاء بالنظرية العلمية الشاملة، والوحدة الموضوعية الجامعة.

وهذا الاهتمام الكبير، والحفاوة العظيمة بكتاب الله عز وجل، يجده المطالع لكتبه واضحاً في أكثر مؤلفاته، كما في كتاب «العقيدة الإسلامية»، و«الأخلاق الإسلامية»، و«الحضارة الإسلامية»، و«فقه الدعوة إلى الله عزّ وجل»، و«بصائر للمسلم المعاصر» و«ظاهرة النفاق وخبائث المنافقين» التي تعدّ جميعها نوعاً فريداً متميّزاً في التفسير الموضوعي لكتاب الله عز وجل.

ويأتي في مقدّمة ثمار جهوده العلمية خلال أربعين عاماً التي بدأ ظهورها منذ سنة ١٣٨٥هـ حتى يومنا هذا، كتابه الفدّ الفريد: «معارج التفكر، ودقائق التدبر»، فهو نتيجة دراسات طويلة متأنية، وبحوث قرآنية متنوعة، وتأمّلات فكرية عميقة.

## مقدّمة وافية وخطة شاملة:

وإذا كانت عادة الكثير من المؤلفين أن يكتبوا مقدّمة كتبهم بعد الانتهاء من تأليفها، ووضح مخطّطها ومعالمها؛ ليذكروا ما توصلوا إليه من نتائج، وما قدّموه من أفكار.. فإنّ الشيخ كالمهندس الخبير، والبنّاء القدير، قد خطّط لكتابته، ورسم منهجه

فيه، وكتب مقدمته الوافية قبل البدء بتدبره العميق لكتاب الله عز وجل، وذلك في كتابه الرائع «قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل»، وهو كتاب مُتميّز فريد في ميدانه، جمع فيه ما استخرجه من قواعد لتدبر كتاب الله، وكان يشتمل في طبعته الأولى سنة ١٤٠٠هـ على سبع وعشرين قاعدة من قواعد التدبر، ثم استخرج قواعد أخرى، فأضافها حتى أصبحت أربعين قاعدةً، وأضاف إليها أمثلةً أخرى استخرجها للقواعد السابقة واللاحقة، وصدرت طبعته الثانية ذات الأربعين قاعدة سنة ١٤٠٩هـ، وكان الشيخ - رحمه الله تعالى - يهيئ لطبعة جديدة فيها زيادة من الأمثلة والشواهد بعد تدبره العميق للكثير من السور القرآنية.

### قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل:

وهذه القواعد في تدبر كتاب الله لم يسبقه إلى استخراج معظمها باحثٌ قبله، وهي نتيجة لدراسة دائبة، وبحوث متواصلة، وتأملات واسعة، وصحبة مستمرة لكتاب الله عز وجل.

ويعدُّ الشيخ بحقٍّ رائد علم التدبر لكتاب الله سبحانه في هذا العصر.

### بين التفسير والتدبير:

وهو - رحمه الله تعالى - لا يرى استخدام كلمة التفسير، التي لا تتعدى بيان المعنى وإيضاحه دون الغوص في دلالات الألفاظ وسبر المعاني، وبيان ارتباط الجملة القرآنية بموضوع السورة، وارتباطها الموضوعي بما تفرَّق في القرآن المجيد.

وقد استغرقت مقدّمة التفسير «قواعد التدبر الأمثل»، أكثر من ٨٠٠ صفحة بعد أن ظهرت نواته في طبعته الأولى في ١٧٤ صفحة من القطع الصغير.. وهي مقدمة مهمة هادية لمن أراد أن يتدبر كلام الله بصورة مثلى، وهي ذات نفع عظيم للمتدبر،

وتصلح أن تكون منهجاً يستفيد منه المتدبرون لكتاب الله تعالى، ويضيفون إليه ما يفتح الله به عليهم.

وقد مهّدت الدراسات السابقة الواسعة، والنشأة العلمية الصالحة، والذكاء الفطري، والنبوغ المبكر، والعمل المتواصل الدؤوب، والمؤهلات العلمية المتنوعة من إمام واسع باللغة العربية، نحوها وصرّفها وبلاغتها للإظهار تفسيره التدبري النافع.

ومن نظر في كتاب الشيخ (البلاغة العربية) في مجلديه الكبيرين، شهد على إمامته في علم البلاغة الذي لا بد منه لمتدبر كتاب الله، وساعده على تميز كتابه التدبري أيضاً: تمكنه من العلوم العقلية، ويشهد له مناقشاته العلمية الرائعة، ومناظراته الفكرية المدحضة لشبهات المغرضين والمشككين، كما تجذ ذلك في (سلسلة أعداء الإسلام) ابتداءً بصراعه مع الملاحدة حتى العظم، وانتهاءً بكشف تحريفات شحور، وتضليله المتعمد في نصوص القرآن والسنة في كتابه: (التحريف المعاصر في الدين)، وقبله: (أجوبة الأسئلة التشكيكية الموجهة من قبل إحدى المؤسسات التبشيرية)، وقد وقّعه الله تعالى بما حباه من فكرٍ نيرٍ، وعقلية ناضجة إلى صياغة علم المنطق، وأصول البحث صياغة متمشية مع الفكر الإسلامي في كتابه: (ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة).

هذه العوامل المتعددة هيأت الشيخ - بفضل الله وتوفيقه - للسمو صعوداً في «معارج التفكير»، وعمقاً في «دقائق التدبر».

وجاء هذا العطاء العلمي الكبير في اكتمال نضج الشيخ، بعد دراسات كثيرة، وبحوث مستفيضة، ولقد سئل الشيخ - رحمه الله تعالى - عن سبب تأخره في كتابة تفسيره وتدبره لكتاب الله، وهو في السبعين من عمره المبارك، وقد يقطع الأجل عن

تحقيق الأمل! فأجاب قائلاً: «لو شرعت في التدبر قبل ذلك لما استطعت أن أكتبه بهذا المنهج». وإنه جواب سديد، وحكمة بالغة، فما أكثر المتعجلين الذين يقدّمون للمكتبة القرآنية دراسات فجّة، وأعمالاً قاصرة.. وما أكثر الذين يخوضون في كتاب الله دون مؤهلات تؤهّلهم، ودون دراسات واسعة توجّههم.. ولكنه حب التكثر والظهور، وتسويد الأوراق.

### تدبر سورة الفرقان:

أصدر الشيخ بعد ثلاث سنوات من صدور كتابه «قواعد التدبر الأمثل»، أنموذجاً علمياً يطبق فيه هذه القواعد التي رسمها وخطّط لها، ودعا إلى العمل بها في كتابه «تدبر سورة الفرقان في وحدة موضوع السورة»، وكان إصداره عام ١٤١٢هـ، وتبلغ صفحاته ٤٥٠ صفحة، بيّن فيه المؤلف الموضوع الذي تدور عليه آيات السورة، وقد اكتشف بعد الدراسة المتأنية أن موضوع سورة الفرقان، تُعبّر عنه الآية الأولى منها: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]. فموضوعها يدور حول أربعة خطوط: (الله، القرآن، الرسول، المرسل إليهم).

### نظام السورة الشجري:

ويرى الشيخ - بعد دراسته الطويلة المتأنية أنّ منهج وحدة موضوع السورة القرآنية منهج شجري، لا يشترط فيه أن تكون كل آية مرتبطة بالتي قبلها، ربّط حلقات السلسلة بعضها ببعض، بل إنّ الارتباط يكون بفرع من فروعها، فقد تكون آية أو اثنتان أو ثلاثة أو أكثر وحدة مرتبطة بفرع أو أكثر من فروع الشجرة، ثم تأتي وحدة أخرى لها ارتباط آخر، وتأتي وحدة ثالثة لها ارتباط ثالث، ثم قد يتكرّر ارتباط الوحدات الجديدة بواحد أو بأكثر من الفروع الأربعة الأصول.

وهذه النظرية في وحدة السورة بالنظام الشجري ممّا فتح الله به عليه، لم يسبق أحد إلى تأصيله قبل المؤلف - رحمه الله تعالى -، إذ إنّ الكثير من المؤلفين يتعاملون مع السورة على طريقة ترابط حلقات السلسلة، وكما هو الشأن في المؤلفات التي تعتمد على الأبواب والفصول والمباحث.. وبذلك وقعوا في واحدٍ من خطّين: إما خطأ انتزاع ارتباط متكلفٍ ممّوج لا يقبله البليغ، وإما خطأ تصوّر أنّ السورة مُفكّكة الموضوعات، ليس لها وحدة موضوعية.

والمتملّ فيما قدّمه الشيخ - رحمه الله تعالى - من تدبّر سورة (الفرقان)، يجد أنه قدّم تدبّراً نافعاً فريداً، وعملاً رائداً مبتكراً، وقد تطلّع طلاب العلم وعلماء التفسير إلى أن يقدّم لهم المزيد من هذه الدراسات القرآنية، فتوجّه الشيخ لكتابة تفسيره التدبّري الذي سنلّم بلمحاتٍ موجزاتٍ حوله.

## معارج التفكير ودقائق التدبر

### تعريف عام:

يقول الشيخ - رحمه الله تعالى - في مقدّمة السّفر الأول من «معارجه» ١: ٥: «وبعد، فقد فتح الله عز وجل عليّ خلال تدبّري الطويل لكتابه المجيد، باستخراج أربعين قاعدة من قواعد التدبّر الأمثل لكتابه، قابلة للزيادة عليها، وهذه القواعد تقدّم للمتدبّرين أصول التفسير الأقوم للقرآن، ولم أجد في المفسّرين من اهتمّ بالتزام مضمونها، ولا بالتزام كثير منها.

وقد رأيتُ من الواجب عليّ أن أقدم ما أستطيع تقديمه من تدبّر لسور هذا الكتاب العزيز المعجز، ملتزماً على مقدار استطاعتي بمضمون القواعد التي فتح الله بها عليّ،

مع الاعتراف بأن التزامها التزاماً دقيقاً وشاملاً عسيرٌ جداً، بل قد يكون بالنسبة إلى متدبرٍ واحد متعذراً».

ويقول - رحمه الله تعالى - : «وإذا لم تُسَعَف القدرات، ولم يسعف العمر باستكمال هذا التدبر لكل القرآن المجيد، فإنَّ من المفيد جداً أن أقدم ما يفتح الله الوهاب لي فيه، عسى أن يتمَّ العمل متدبرون لاحقون مُحْتَدِين أو مَضِيْفِين أو معدِّلين».

### ترتيب النزول:

أقام الشيخ تدبره على وفق ترتيب نزول سور القرآن الذي جعله من أهمِّ قواعد التدبر لكتاب الله عزَّ وجل، كما في القاعدة التاسعة من كتابه «قواعد التدبر الأمثل» في تتبُّع مراحل التَّنْزِيل، معتمداً على ما أثبت علماء القراءات والتفسير منها في الجدول الذي ذكر فيه أسماء السور المكية والمدنية وترتيبها حسب النزول.

يقول رحمه الله تعالى مُبَيِّناً سبب اختياره هذا المنهج في مقدِّمة السُّفْر الأول من «معارج التفكر» ١: ٦ «وقد رأيت بالتدبر الميداني للسور أنَّ ما ذكره المختصُّون بعلوم القرآن الكريم من ترتيب النزول، هو في معظمه حق، أخذاً من تسلسل البناء المعرفي التكاملي، وتسلسل التكامل التربوي، واكتشفت في هذا التدبر أموراً جليلة تتعلَّق بحركة البناء المعرفي لأمر الدين، وحركة المعالجات التربوية الربَّانية الشاملة للرسول ﷺ، وللذين آمنوا به وأتبعوه، وللذين لم يستجيبوا لدعوة الرسول متردِّدين، أو مكذِّبين كافرين».

وقد سبق الشيخ لتتبع مراحل النزول في التفسير عالمان معاصران، أحدهما: محمد



عزة دروزة (١٣٠٥- ١٤٠٤هـ) في «تفسيره الحديث»<sup>(١)</sup>، وثانيهما: الشيخ عبدالقادر ملا حويش (١٨٨٨-١٩٧٨) في تفسيره «بيان المعاني»<sup>(٢)</sup> على ما في عملهما من إعوازٍ وقصور، وعثرات وسقطات.

### المحافظة على ترتيب سور القرآن:

وقد ظنَّ بعض المتعجّلين في إصدار الأحكام، أنّ الشيخ يدعو في تطبيقه هذا المنهج إلى تغيير ما توارث المسلمون عليه من ترتيب سور القرآن !!.

والحق أن هذا الظن عارٍ عن البرهان، فالشيخ يؤكّد على ضرورة المحافظة على ترتيب سور القرآن، التي أجمع عليها الصحابة - رضي الله عنهم -، سواء أكانت بتوقيف من الرسول ﷺ، أو باجتهاد من الصحابة - رضي الله عنهم -، ويرى أن الخروج عن هذا المنهج بدعة في الدين.. ولكن الترتيب الذي أجمع عليه المسلمون، والذي يجب المحافظة عليه في طباعة المصحف وتلاوته التعبدية، لا يمنع من تدبّر القرآن بتتبع مراحل نزوله.

وقد يقول قائل: إنّ ترتيب نزول سور القرآن يعتمد فيه على الأحاديث المروية، لا على كتب التفسير والقراءات، كما أنّ الاختلاف وقع في بعض السور هل هي مكية أم مدنية؟

- 
- (١) صدرت الطبعة الأولى سنة: ١٣٨١هـ = ١٩٦١م في دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة، وصدرت الطبعة الثانية المزيّدة سنة ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م، في دار الغرب الإسلامي. وللدكتور فريد مصطفى سليمان المتوفى سنة ١٤٢٤هـ رحمه الله تعالى دراسة نقدية للتفسير بعنوان: «محمد عزة دروزة وتفسير القرآن الكريم»، وللأخ الكريم الدكتور عبدالحكيم أنيس رسالة ماجستير حول هذا التفسير أيضاً.
- (٢) طبع في مطبعة الترقّي بدمشق سنة ١٣٨٢هـ = ١٩٦٣م، في ستة أجزاء في ٢٦٠٠ صفحة، وينظر نقد مختصر له ضمن كتاب الدكتور فريد سليمان السابق ذكره، ص ١٣٠-١٣٢.

والجواب عن ذلك: أنّ ترتيب السور التي في المصحف الذي أجمع المسلمون عليه، والذي ورّعت نسخٌ منه على معظم أمصار المسلمين في عهد عثمان رضي الله عنه، لم يلتزم مراحل النزول، ومن الثابت قطعاً أن كثيراً من السور مثل: (البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة). هي من التنزيل المدني، وأنّ كثيراً من السور هي من التنزيل المكي قطعاً، مثل: سورة (العلق)، وبعضها مختلف فيه، ويُعتمد فيها على روايات ظنيّة، مثل: سورة الرعد والحج، فإذا اعتمد الشيخ في تتبّع مراحل النزول، وهي في بعضها روايات ظنيّة احتماليّة تُعينه على تسلسل البناء المعرفي، والتكامل التربوي، واكتشف من خلال التدبّر الميداني أن ترتيب مراحلها في معظمه حق. فالأخذ بما يفيد الظن في مراحل النزول لتدبّر القرآن ومحاولة فهمه أولى من الاعتماد في تدبّره على الترتيب الثابت قطعاً بأنه لم يراع مراحل التنزيل. مع التأكيد على احترام هذا الترتيب وضرورة المحافظة عليه في طباعة المصحف الشريف وتلاوته والتعبّد به<sup>(١)</sup>.

ولو أنّ مفسراً انتقى بعض السور، وفسّرها دون مراعاة لترتيبها التوقيفي في المصحف، فابتدأ بجزء (عمّ) مثلاً، ثم (تبارك).. فلا يُنكر عليه اختياره، فَمِنْ باب أولى أن لا ينكر على الشيخ اختياره لترتيب السور حسب النزول، وخاصّة أن التطبيق العمليّ لدراساته العميقة، كشف عن الكثير من الحقائق والمفاهيم العلمية والتربوية

(١) وقد سُئل فضيلة الشيخ أبو اليسر عابدين - رحمه الله تعالى - مفتي سورية عن حكم تفسير القرآن حسب النزول؟ فأجاب رحمه الله تعالى: «إنّ التأليف والتصنيف تابع لأغراض المؤلفين، حسبها يعرض لهم من إشكال، لإظهار الفوائد التي يطلعون عليها، وليس التفسير بقرآن يتلى حتى يراعى فيه ترتيب الآيات والسور، فقد يعنّ للمفسر أن يفسر آية، ثم يترك ما بجانبها لظهور معناها، وقد يفسر سورة، ثم يترك ما بعدها اعتماداً على فهم التالي، ولا مانع من تأليف تفسير على الشكل المذكور» انتهى. ولأستاذنا العلامة المحدث المحقق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله تعالى فتوى محرّرة في جواز تفسير القرآن حسب نزوله، أوردها الأستاذ محمد عزة دروزة، في مقدّمة تفسيره، ولولا خشية الإطالة لنقلتها بتامها، فلتنظر في (التفسير الحديث) ١: ١٠-١٢

والتشريعية التي غابت عن كثير من المفسرين الذين لم يراعوا في تفسيرهم جوَّ السورة الذي نزلت فيه، وتسلسل ترتيبها في التُّزول.

### مصادر التفسير:

يتساءل الكثيرون عن مصادر الشيخ في تفسيره، ويظنُّ بعضهم أنَّ قيمة الكتاب العلمية هي بكثرة مصادره ومراجعته، ومنهم من يمرُّ ببصره على حواشي الكتاب، وكلما رآها مثقلة بالإحالات والتخریجات الطويلة، والمصادر المتعدّدة، ظن أنَّ العمل متقن، وجدير بالتقدير والاهتمام، ومنهم من ينظر في فهرس الكتاب لينظر في أسماء المصادر والمراجع، وكلما رأى القائمة أكثر عدداً حسب أن الكتاب متميِّز ومتفرّد...

والشيخ - رحمه الله تعالى - على صلة وثيقة بكتب التفسير القديمة والمعاصرة على اختلاف مناهجها، وتنوع اهتماماتها، وقد هضم هذه الكتب بحثاً ودراسة.. ولكنه لا يحبُّ التقليد والمحاكاة، وهو يرى أن حشد الأقوال الكثيرة تضيع المتدبِّر لكتاب الله في الوصول إلى مبتغاه.

ويشبهه من يكثر النقول دون بصيرة، ودراسة متأنية، واختيار مناسب، ونقد وتحقيق كمتسوِّق دخل إلى محل تجاري كبير، جمع فيه أنواع المشتريات المختلفة، ورگم بعضها فوق بعض..

ويُعدُّ أستاذنا العلامة الميداني رحمه الله تعالى من أعلى طبقات المؤلِّفين، إذ هم - كما يقول أستاذنا الطنطاوي رحمه الله تعالى - «طبقات فمن المؤلِّفين من يعرض سلعاً مصفوفة، لا يميِّز جيدها من رديئها، كمستودع فيه البضائع مركومة ركماً من كل نوع وكل صنف.

ومن المؤلفين طبقة أعلى من هذه الطبقة، جمع أصحابها قدراً أقل من المعلومات، فرتبوها وصنّفوها، وميّزوا الأصيل منها من المقلّد، وفرّقوا بين المؤتلف والمختلف.

ودرجة أعلى من المصنفين، وهم الذين يأخذون هذه المعلومات، وهذه الرويات، فيدخلها أحدهم ذهنه كما تدخل أبحاث القطن (البالات) إلى مصنع النسيج، فتخرج منه قماشاً عليه شارة المصنع، وذلك مثل الإمام العزالي<sup>(١)</sup>.

والشيخ عبد الرحمن من هذه الطبقة العالية من المؤلفين، وتدبره من أنفع كتب التدبر، لأن مؤلفه أعمل فيه فكره هو، لم يفكر بعقل غيره، وكتبه بأسلوبه، ولم يستعز بأسلوب غيره، ولم يملأه بالنصوص المنقولة عن المفسرين جمعاً أو اختصاراً أو حشواً للأقوال، فتجيء كتبهم - كما يقول أستاذنا الطنطاوي - كمرقعات أدياء الزهد: رقعة كتّان، ورقعة صوف، ورقعة بزّ، بل أخذ نصوص الكتاب والسنة الثابتة، ففهمهما، ثم كتب مافهمه، وأتى بالمفيد الجديد المبتكر.

وأهم المصادر التي يرجع إليها الشيخ في تفسيره في المأثور: تفسير الطبري، وابن كثير، وفتح القدير للشوكاني، وفي التفسير بالدراية والرأي: «الكشاف» للزمخشري، و«البحر المحيط» لأبي حيان، و«أنوار التنزيل» للبيضاوي، و«روح المعاني» للألوسي.

ومن المعاصرين: تفسير «التحرير والتنوير» للطاهر بن عاشور، و«في ظلال القرآن» لسيد قطب، ولكنه - مع استفادته من هذه المصادر - لا يقلّد ولا يحاكي، ولا يحشد الأقوال، بل يقتطف من كل الثمرات، ويخرج منها عسلاً مُصَفًّى فيه شفاء للنفوس، وغذاء للعقول.

(١) مقدمات الشيخ علي الطنطاوي: ص ١٣٢، جمع وترتيب مجد مكّي.

وللشيخ الميداني - رحمه الله تعالى - اختيارات صائبة، وآراء موقفة، واجتهادات مُسَدَّدة.. وإنَّ المقارنة بين ما يكتبه ويقدمه، وبين كتب التفسير المتقدِّمة، تظهر بوضوح اختياراته الراجحة، وإضافاته الكثيرة، وتأملاته الدقيقة<sup>(١)</sup>.

### المنهج السلفي في مسائل العقيدة:

والشيخ في مسائل العقيدة يتبع منهج السلف الصالح، ويكره التوسُّع في التأويل البعيد عن منهجهم، ويقرِّر في كتابه مذهب السلف الصالح لا سيما في باب الأسماء والصفات.

يقول حفظه الله تعالى في «معارج التفكير» ٤: ٢٨٧ عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] «وقد وَصَفَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نفسه بأنه استوى على العرش، وقد كان الله قبل أن يَخْلُقَ الخلق ولم يكن شيءٌ معه، ووصف نفسه أنه استوى إلى السماء فسواهنَّ سبع سموات، استواءً وصف الله به نفسه، فنحن نثبتُه ضمن حدود ما أثبت لنفسه، جَلَّ جلاله، وعظم سلطانه، ونقول: هو استواءٌ يليق بذاته، سبحانه عمَّا وصفه الواصفون، ضمن مدركاتهم الضئيلات التي لا تصل إلى إدراك ذاته، إذ لا تدركه الأبصار، وهو يدرك الأبصار، وهو اللطيف الخبير.

وأحسن بيان حول الاستواء الذي وصف الله عَزَّ وَجَلَّ به نفسه، ما قاله الإمام مالك رحمه الله: «الكيف غير معقول، والاستواء غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة».

(١) موضوع اختيارات الشيخ وترجيحاته ومقارنتها بكتب التفسير، جدير برسالة علمية ضخمة، نسأل الله سبحانه أن يوفق لدراستها بعض طلبة العلم الناهين المجدين.

ويؤكد المعنى نفسه في الآية (٥٩) من سورة الفرقان في «تفسيره» ٦: ٥٩٠، والآية

(٥) من سورة طه في «تفسيره» ٨: ٣٤، والآية (٤) من سورة السجدة في «تفسيره».

ويقول - رحمه الله وأثابه رضاه - في «معارج التفكير» ٦: ٢٠٧ عند تفسير قوله

تعالى: ﴿أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾ [يس: ٧١]:

«ذكر الله عز وجل في هذا النص عبارة ﴿أَيْدِينَا﴾ مبيِّناً أنه خلق الأنعام بها، وأبان جلَّ

جلاله أنه خلق آدم بيديه، فقال تعالى في سورة (ص) في حكاية خطابه لإبليس: ﴿قَالَ

يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإَيْدِيٍّ اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ [ص: ٧٥].

وأبان جلَّ جلاله أنَّ الذين كانوا يبايعون الرسول ﷺ، قد كانت يد الله فوق أيديهم،

فقال تعالى في سورة (الفتح) خطاباً لرسوله ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ

اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ...﴾ [الفتح: ١٠].

وأبان جل جلاله أن يديه مبسوطتان يُنفق كيف يشاء، رداً على اليهود الذين قالوا:

يد الله مغلولة، فقال تعالى في سورة (المائدة): ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ

وُلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ...﴾ [المائدة: ٦٤].

فنسب الله عز وجل إلى نفسه في هذه النصوص الأيدي، واليدين، واليد، ورأى

السلف في مثل هذه الصفات المنسوبة إلى الله عز وجل قد خصه الإمام مالك رحمه

الله بقوله بالنسبة إلى الاستواء: «الكيف غير معقول، والاستواء غير مجهول، والإيمان

به واجب، والسؤال عنه بدعة» انتهى.

وانظر كلامه في تفسير قوله تعالى في سورة (القلم) ١: ٢٥٤: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ

وَيُدْغَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم: ٤٢] واستدلالة بالحديث المتفق عليه من

حديث أبي سعيد الخدري الطويل عن النبي ﷺ. وكل هذه الأمثلة وعشرات أمثالها تبين منهجه حول هذه القضية..

وأما مباحثه الأخرى في العقيدة، ولاسيما مباحث القضاء والقدر، فهي على منهج أهل السنة والجماعة، الذين يمثلون المنهج الوسط بين الجبرية والقدرية وقد استطاع في تفسيره لآيات الهداية والضلال والزيغ أن يخرج بنظرية علمية متكاملة.. ولا تتسع هذه الإمامة اليسيرة لعرض نماذج تبين ثاقب رأيه، ودقة نظره، وحسن تدبره لبعض الآيات التي يفهم منها الجبر، والتي درج بعض المفسرين على تفسيرها بما يوهم الجبر، وسلب الاختيار والإرادة الحرة التي منحها الله للإنسان، لا ابتلاء إرادته وامتحانه في رحلة الحياة الدنيا.

### المنهج العام:

يبدأ الشيخ تفسيره لكل سورة بذكر نصّ السورة من المصحف، ويذكر ما فيها من قرش القراءات معتمداً على كتب القراءات مثل: البدور الزاهرة، والميسر في القراءات العشر. ثم يذكر ما وردَ في السنة بشأن السورة، ثم موضوع السورة، ثم يقسمها إلى دروس متسلسلة مترابطة بالنظام الشجري، ثم التدبر التحليلي.

### معالم وضوابط هذا التفسير التدبري:

(١) وجّه الشيخ العلامة المفسر عبد الرحمن الميداني عنايته العظمى لاكتشاف وحدة موضوع السورة القرآنية، وبيان ارتباط آياتها بهذا الموضوع.

(٢) ومن مزايا هذا التفسير التدبري: تقسيم السورة القرآنية إلى دروس متماسكة الوحدات ضمن وحدة موضوع السورة العام، وإتباعه كل درس بنظرة إجمالية عامة.

٣) ومن مزاياه أيضاً: اهتمامه الكبير في إيضاح المفردات القرآنية، فهو لا يكتفي بنقل ما ذكره المفسرون، بل يُنقّب في أمهات المعاجم العربية تنقيباً دقيقاً ليختار من معاني المفردات ما هو الملائم أو الأكثر ملائمة للسباق والسياق، وفي كثير من الأحيان يلجأ إلى استقراء تامٍّ للكلمة القرآنية ليحدد مدلولها العميق بدقة.

٤) ومن أهم مزاياه: عنايته البالغة بالقراءات القرآنية، يكشف من خلال ذكر القراءات ما فيها من تكاملٍ فكريٍّ، وتكامل في الأداء البياني، وما فيها من تنوع في الأداء الفني الجمالي، وإثبات وجوه عربية متكافئة.

٥) ومن مزاياه: عنايته الكبرى بالجانب المعرفي والتربوي والسلوكي، وإبراز تسلسل البناء الفكري التكاملي للموضوعات التي تشتمل عليها كل سورة، وكذلك التدرُّج التعليمي والتربوي.

٦) الاهتمام بالنظرات التفصيلية للمعلومات والقضايا والأفكار الواردة في كلِّ سورة صراحةً أو في مطويات النص وهو يعدُّ (المثاني) التي وصف بها القرآن الكريم، هي المطويات التي تستخرج من كثير من الآيات القرآنية الكريمة.

٧) من معالم هذا التفسير التدبر: عنايته الفائقة باستخراج البلاغيات من السُّور التي درسها دراسة تدبُّرية، وجعلها في ملحق خاص من ملحقات السُّورة. ولا تكاد تخلو سورة من السُّور التي تدبَّرها من هذه المستخرجات البلاغية الرائعة التي تزيد متدبِّر القرآن فهماً وتدوَّقاً لبلاغته وتمرُّساً بمعرفة أسلوبه.



### ملاحق التفسير التدبري:

اعتنى فضيلة الشيخ لاسيما في المراحل الأولى من تفسيره بجمع الآيات التي تدور في فلك موضوع واحد من القرآن كله، ودرسها دراسةً تكامليةً، وجعلها في ملاحق لتدبر السور.

وبلغ مجموع هذه الملاحقات التدبرية أكثر من خمسين ملحقاً، وكثيراً منها يمكن إفراده في كتاب مستقل، وتعدُّ هذه الملاحق لوناً من ألوان التفسير الموضوعي، الذي يعتمد فيه الشيخ على التسلسل الزمني لنزول الآيات المكية والمدنية، وهو ما غفل عنه الكثير ممن كتب في التفسير الموضوعي وقعد له نظرياً، أو كتب فيه عملياً.

وإليك عناوين هذه الملاحق المهمة حسب منهجه في مراعاة ترتيب النزول في تدبره لكتاب الله تعالى:

في سورة الفاتحة أربعة ملاحق مهمة: أبرزها: نظرات تدبرية حول الآيات التي جاء فيها لفظ: سبيل - طريق - منهاج - صراط ١: ٣١٩ - ٣٧٣.

في سورة الأعلى: التسبيح في القرآن ١: ٤٦٧-٤٨٠.

في سورة الضحى: إسناد فعل (وَجَد - يَجِد) إلى الله في القرآن ١: ٥٧٦-٥٧٩.

في سورة الشرح: فيما يستفاد للدعوة والدعاة من سورتي الضحى والشرح ١: ٥٩٧-٦٠٠.

في سورة العصر: الإنسان مملكة ١: ٦٢٠-٦٢٥.

في سورة الفلق والناس أربعة ملاحق:

الأول: نظرة عامة حول ما جاء في السورتين ٢: ٤٣-٤٤.

- الثاني: فلسفة التمكين من فعل الشر ٢: ٤٥-٥٠.
- الثالث: الاستعاذة بالله في القرآن والسنة ٢: ٥١-٦٢.
- الرابع: حول السحر ٢: ٦٧-٧٣.
- في سورة النجم ملحقان:
- الأول: معالجة المشركين بشأن عقيدتهم في الملائكة ٢: ١٧٢-١٩٢.
- الثاني: سياسة الداعي في أحوال المدعو الذي لم يستجب ٢: ١٩٣-٢٠٦.
- في سورة عبس: وظيفة القرآن والرسول - وظيفة بيان وتذكير ٢: ٢٦١-٢٨٠.
- في سورة الشمس: الشمس والقمر والأرض والليل والنهار في القرآن ٢: ٣٣٢-٣٤٦.
- في سورة التين: الأمن بمكة البلد الحرام ٢: ٤٢١-٤٣٠.
- في سورة المرسلات: الرياح في القرآن المجيد ٢: ٤٢١-٤٣٠.
- في سورة (ق): الوصف بالبركة في القرآن المجيد ٣: ١٤٧-١٧٠.
- في سورة البلد: أصحاب اليمين وأصحاب الشمال في القرآن ٣: ٢٢٠ - ٢٤٨.
- في سورة الطارق ثلاثة ملاحق:
- الأول: بيان بعض أطوار خلق الإنسان في القرآن ٣: ٢٨٧-٢٩٩.
- الثاني: كون الإنسان مُراقبٌ في حياته ومحفوظاً من المخاطر ٣: ٣٠٠-٣٠٣.
- الثالث: كلمة (يوم) في القرآن مراداً بها يوم الحياة الأخرى ٣: ٣٠٤-٣١٢.

في سورة القمر ملحقان:

الأول: إعراض الكافرين عن آيات الله ٣: ٤٤٥-٤٥٢.

الثاني: الحكمة في القرآن المجيد ٣: ٤٥٣-٤٦٢.

في سورة (ص) ملحقان:

الأول: ما جاء في القرآن المجيد عن داود عليه السلام ٣: ٦٤٧-٦٦٧.

الثاني: قصة خلق آدم في القرآن وما رافق خلقه من أحداث ٣: ٦٦٨-٧٢٩.

في سورة الأعراف سبعة ملاحق:

الأول: السؤال في محكمة العدل الربانية ٥: ١٤٧-١٨٠.

الثاني: الوزن في محكمة العدل الربانية ٥: ١٨١-٢٠٤.

الثالث: حول اتخاذ الدين لهواً ولعباً وهزواً، والاعتزاز بالحياة الدنيا ٥: ٢٢٤-٢٧٨.

الرابع: دراسة تكاملية للنصوص بشأن لوط عليه السلام وقومه ٥: ٢٧٩-

٣٥٠.

الخامس: دراسة تكاملية للنصوص بشأن شعيب عليه السلام وقومه ٥:

٣٥١-٤٢٩.

السادس: ما جاء في القرآن بشأن سنن الله في الأمم حتى استحقاق هلاكها

الشامل ٥: ٤٣٠ - ٤٨٧.

السابع: رغبة الكافر أن يقضي الله له باستئناف رحلة امتحانه حتى تمنيه أن

يكون تراباً ٥: ٤٨٨-٥١٦.

في سورة الجن ملحقان:

الأول: نظرة إجمالية عامة إلى وحدة موضوع سورة الجن ٥: ٦٤٧-٦٥٤.

الثاني: نصوص الابتلاء والفتنة في القرآن المجيد ٥: ٦٦٤-٧٠٦.

في سورة يس ثلاثة ملاحق:

الأول: اللوح المحفوظ في القرآن وبعض السنة ٦: ٢٢٨ - ٢٤٧.

الثاني: بيان اعتراض الأمم على بشرية الرسل في القرآن ٦: ٢٦٣-٢٨٠.

الثالث: امتنان الله على العباد بالأنعام في نصوص القرآن ٦: ٢٨١-٢٩٤.

في سورة الفرقان خمسة ملاحق:

الأول: شجرة موضوع السورة ٦: ٦٩١ - ٧١٠.

الثاني: البيان المقرون بالحجة والبرهان والتفسيرات الموضّحات للحكمة من

الاختيار الرباني في السورة ٦: ٧٣٣-٧٣٥.

الثالث: منهاج الدعوة ووسائل التربية ٦: ٧٣٦ - ٧٣٩.

الرابع: ما ينبغي أن يتحلّى به حامل الرسالة ٦: ٧٤٠-٧٤١.

الخامس: من أدب الرسول مع ربه وكيف جاء التعقيب الرباني ٦: ٦٤٢.

في سورة فاطر ملحقان:

الأول: الدعوة في القرآن إلى السير في الأرض والنظر في الآثار للاعتبار ٧: ٢٦٥-

٢٩٠.

الثاني: توحيد الربوبية وتوحيد الإلهية في الدلالات القرآنية ٧: ٢٩١-٣٥٦.

في سورة مريم ثلاثة ملاحق:

الأول: تدبر ما جاء في سائر القرآن بشأن زكريا ويحيى ٧: ٣٩٨-٤١١.

الثاني: التدبر التأملي للنصوص القرآنية بشأن مريم ٧: ٤٢٠-٥٤١. وهذان الملحقان

ضمن السورة.

الثالث: جنات عدن ومستحقّوها في دلالات النصوص القرآنية ٧: ٦٧٩-٦٩٠.

في سورة (طه) ملحق: الشفاعة يوم الدين وأنواعها ٨: ٣٩٢-٤٢٢.

في سورة الواقعة ملحق: شجرة الزقوم في القرآن ٨: ٥٢٥-٥٤٢.

في سورة الشعراء ملحق: الشعر والشعراء في القرآن والسنة ٨: ٧٥٠-٧٧٥.

في سورة النمل: ملحقان:

الأول: تَعَلُّةُ المشركين بالكذب بيوم الدين هي توجيه الاستفهام التعجُّبي ٩: ٢٢٦-

٢٤٤.

الثاني: دراسة تكاملية للنصوص بشأن صالح وقومه ٩: ٢٤٥-٣٢٠.

واقتصر الشيخ - رحمه الله - من سورة القصص وما بعدها - سوى سورة هود - على

ملحق المستخرجات البلاغية، وعاد في المجلد الرابع عشر ليلحق ملحقاً واسعاً حول

إبراهيم عليه السلام في القرآن والسنة من ١٠٠٢٥-١٠١٦٩ في ١٤٤ صفحة حسب ترقيم

المخطوط بيده. وإنما أفرد هذا الملحق بعد توقفه عن إتباع السور بملحقات حرصاً

على إتمام عمله، والإسراع في إنجازها، ولأنه تكلم عن أكثر الأنبياء والمرسلين خلال

تدبره للسور السابقة، في بعض ملاحقها، فاتجهت همّته لكتابة هذا الملحق التدبري

الواسع النافع حول إبراهيم عليه السلام.

## أقسام الكتاب المطبوعة:

صَدَرَ من الكتاب اثنا عشر مجلداً في أربع مجموعات، كل مجموعة في ثلاث مجلدات، وقد صدرت المجلدات الثلاث الأولى (١-٣) من هذا التفسير التدبري عام ١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠م، اشتملت على تفسير ٢٨ سورة من السور المكية ابتداء من سورة العلق، وانتهاء بسورة (ص)، وكان فراغه من كتابة هذه المجلدات في ١٣ من رمضان ١٤١٩هـ. وصدّرت المجلدات الثلاث (٤-٦) من المجموعة الثانية، عام ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م.

وقد اشتمل المجلدان الرابع والخامس من المجموعة الثانية على تفسير سورة الأعراف والجنّ، وكان فراغه من كتابتهما يوم الجمعة ٢٧ من رجب ١٤٢٠هـ.

وأما المجلد السادس فقد اشتمل على تفسير سورتي يس والفرقان التي سبق له إفرادها في التدبر، وهي ذات الرقم ٤٢ من السور المكية حسب التّزول، وكان فراغه من إعداد المجلد السادس يوم الخميس من شهر ذي القعدة ١٤٢٠هـ.

وصدّرت المجلدات الثلاث (٧-٩) من المجموعة الثالثة عام ١٤٢٣ = ٢٠٠٢م، وقد اشتمل المجلد السابع على تفسير سورتي فاطر ومريم، وكان انتهاءه من تحرير المجلد السابع في عُرّة جمادى الأولى ١٤٢١هـ، وقد ابتداء انتشار المرض في جسم الشيخ - رحمه الله تعالى وأعلى مقامه لديه-، وقام بإجراء عملية لإزالة بداية تورّم.

وقال في ختام المجلد السادس ص ٦٩١: «بمعونة من ربي الجليل الوهاب، وبجوله وتوفيق منه جلّ جلاله، وعظم سلطانه ووسعت رحمته كل شيء، أتمّ ربي لي بأسبابه وألطافه الحفيّة هذا المجلد السابع، وأنا على سرير المرض، أعاني من آثار عملية جراحية كبيرة وخطيرة وموجعة مع شيخوختي، وكبر سني، وضعف جسمي، لقد كنت ألتقط

الساعات التي أستطيع أن أعمل فيها التقاطاً من الزمن الذي أكون فيه طريحاً على فراشي أو على البساط، في توجُّع أو سُبات.

وكنت أُلجأ إلى الله بالدعاء أن يعينني ويمدني بمدده، فأجد نفسي معاناً إعانةً عجيبية، أعمل في الساعة ما يعمل الصحيح السليم في الساعات ذوات العدد.

وأما المجلد الثامن، فقد اشتمل على تدبُّر السور الثلاث: طه، والواقعة، والشعراء، وكان فراغه من كتابة هذا المجلد في ٢٢ من شهر رمضان ١٤٢١هـ.

وقال في خاتمة هذا المجلد ٨: ٧٧٦: «كتبت هذا المجلد، وأنا مُنبطح على السرير، أرتقي سُلّم العافية درجةً فدرجة، بعناية ربي وألطفه الخفية، ولساني وقلبي يسألانه تمام العافية، وتمام الشفاء، وأن يمدني بالمعونة، ويهبني القوة والبصيرة النفاذة، والفهم السديد على مراده من آيات كتابه، حتى يهيئ لي بفيض عطائه، تدبُّر سائر سورته...».

وأما المجلد التاسع، فقد اشتمل على تدبُّر السور الثلاث: النمل والقصص والإسراء، وكان فراغه من كتابة هذا المجلد في ٢٥ من شهر ربيع الأول سنة ١٤٢٢هـ.

وصدرت المجلدات الثلاث (١٠-١٢) من المجموعة الرابعة عام ١٤٢٥هـ = ٢٠٠٤م. وقد اشتمل المجلد العاشر على تدبُّر السور الثلاث: يونس، وهود، ويوسف، وكان انتهائه من تسطير هذا المجلد في اليوم الأخير من شهر رمضان، لسنة ١٤٢٢هـ.

وأما المجلد الحادي عشر، فقد اشتمل على تدبُّر السور الأربعة التالية: الحجر، والأنعام، والصافات، ولقمان.

وقد انتهى من تسطير هذا المجلد في يوم الخميس ٢ / ربيع الآخر / ١٤٢٣هـ.

وأما المجلد الثاني عشر، فقد اشتمل على تدبر السور التالية: سبأ، والزمر، وغافر، وفصلت، والشورى، والزخرف، وكان فراغه من كتابة هذا المجلد يوم السبت، ١١/ رمضان/ ١٤٢٣هـ = ١٦/ ١١/ ٢٠٠٢م.

وأما المجلدات الثلاث (١٣-١٥)، من المجموعة الخامسة فقد اشتمل المجلد الثالث عشر على تدبر السور الثمانية التالية حيث ختم الدخان، والجنائية، والأحقاف، والذاريات، والغاشية، والكهف، والنحل، ونوح.

وكان فراغه من كتابة هذا المجلد في يوم الاثنين ٣٠ من رمضان سنة ١٤٢٤هـ، وقال في خاتمته: «مع وخزات الإبر بكراً وعشياً، وكثرة انطراحي على الأرض أو على السرير، قضى الله عزَّ وجل بفضلِه ومَنَّتِه أن ينهي لي كتابة هذا المجلد الرابع عشر المشتمل على تدبر السور التالية: إبراهيم، الأنبياء، المؤمنون، السجدة، الملك، الحاقة، المعارج».

وأما المجلد الخامس عشر فقد أتمَّ فيه التنزيل المكي حسب مراحل النزول.

وبتمام هذا المجلد الخامس عشر الذي بدأ فيه من سورة النبأ ٨٠ نزول، وانتهى بسورة المطففين ٨٦ نزول، يكون الشيخ قد انتهى من ثلثي التفسير، لما في هذه المرحلة المكيَّة من التنزيل من حجاج وجدال للمشركين، وإقامة للحجج والبراهين، وإيراد الكثير من قصص السابقين، ثم بدأ في أول التنزيل المدني بتفسير سورة البقرة، وقد حال الأجل دون تحقيق الأمل.

وهذا التفسير التدبري من خير ما قدَّم للمكتبة القرآنية، ويُعد من الكنوز المدخرة، ويتبوأ الشيخ بحق في طليعة أئمة التفسير في بداية هذا القرن الخامس عشر. وبعد؛ فهذه لمحات موجزات، وقبسات مضيئات، وضوابط هاديات، ومعالم منيرات، تُعرِّف بهذا التفسير التدبري، الذي وقَّق الله الأستاذ الشيخ عبد الرحمن



لكتابته، والذي تابع - رغم أمراضه وشيخوخته - الكتابة فيه.. وهو كما تبين كتاب يرتكز على أسس منهجية، وقواعد دقيقة، وضوابط هادية لتدبر كتاب الله، توصل إليها، ووضحت في فكره، فكانت هادية له في تفسيره، ومنهجاً متميزاً في تدبره، كشف من خلاله عن كنوزٍ عظيمةٍ من كنوز هذا التزليل الرباني العظيم.

والمطالع الجادّ الدؤوب في (تدبره) لكتاب الله، سيردّ قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيِّنَاتٍ﴾ [القيامة: ١٩] بما يتجدد من فهم وبيان لمعاني القرآن الذي لا ينضب عطاؤه، ولا تنتهي عجائبه.

وسيقول كل منصف بعد الاطلاع على تفسير الشيخ ودراسة قواعده وضوابطه:  
(كم ترك الأول للآخر).

وما أصدق كلمة الإمام ابن مالك النحوي في أول كتابه «التسهيل» إذ يقول رحمه الله تعالى: (وإذا كانت العلوم منحةً إلهية، ومواهب اختصاصية، فغير مُستبعد أن يُدّخر لبعض المتأخرين، ما عَسُرَ على كثير من المتقدمين، نعوذ بالله من حسدٍ يسدُّ باب الإنصاف، ويصدُّ عن جميل الأوصاف).

## توصيات ومقترحات عملية

- ١) الاستفادة من هذا الكتاب، وقيام بعض تلاميذ الشيخ المتمكنين في التفسير من إتمام كتابه في المرحلة المدنيّة مع الاستفادة مما كتبه في كتبه الأخرى، وإلحاقها في تمة التفسير.
- ٢) دراسة مستقلة عن منهج الشيخ في نظام السورة القرآنية.
- ٣) دراسة نقدية موضوعية لتفسير القرآن وتدبره حسب ترتيب النزول مقارنة بالكتب الأخرى التي ألفت على هذا المنهج.
- ٤) دراسة ترجيحات الشيخ وما انفرد به عن المفسرين.
- ٥) إبراز المفردات القرآنية التي استقرأها الشيخ ورجحها وخالف فيها ما توارد عليه كثير من المفسرين.
- ٦) إبراز نظرية الشيخ في المطويات والمحذوفات المقدّرة في النص القرآني (علم المثاني).
- ٧) إظهار إضافات الشيخ النوعية الجديدة التي لم يسبق إليها في جميع كتب التفسير.
- ٨) تقديم كتاب منهجي مختصر فيه أهم معالم: «معارج التفكير» يقدم لعموم المثقفين.
- ٩) تقديم موضوعات متنوعة في التفسير الموضوعي يستفاد فيها من: «معارج التفكير».

# كتب المفاتيح والأسباب والموانع

## دراسة وصفية تحليلية

إعداد

د. أبو بكر بن محمد فوزي البخيت

الأستاذ بقسم القرآن وعلومه في جامعة القصيم - السعودية.



## السيرة الذاتية للباحث

« الإسم : د. أبوبكر بن محمد فوزي البخيت.

« المؤهل العلمي: دكتوراه في تفسير القرآن من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

« الجنسية : مصري.

« بلد الإقامة : المدينة المنورة.

« البريد الإلكتروني : madani62@gmail.com

« المؤهلات العلمية.

- الدكتوراه من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة قسم التفسير وعلوم القرآن،  
بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى والتوصية بالطبع والتداول، عام ١٤٣٥هـ

- الماجستير من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة قسم التفسير وعلوم القرآن،  
بتقدير ممتاز.

- إجازة بقراءة عاصم من الشيخ المسند في المسجد النبوي بشير صديق سنة ١٤٢٣هـ

« البحوث العلمية:

- خصائص الأسلوب القرآني (أطروحة الدكتوراه - مطبوع).

- الحكم من المعاملات والمواريث والنكاح والأطعمة في آيات القرآن الكريم  
(أطروحة الماجستير، تحت الطبع).

- تجدد معاني القرآن الكريم وأثره في حياة الأمة (بحث مقدم في المؤتمر العالمي  
الأول لتدبر القرآن عام ١٤٣٤هـ).

## « المشاركات والخبرات:

- الإشراف على ملتقى أهل التفسير على الشبكة العنكبوتية، سنة واحدة.
- تدريس مقررات التفسير، وإعجاز القرآن، و القرآن الكريم في كلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية منذ عام ١٤٢٩هـ.
- تدريس مادة التفسير في مركز التأهيل النسوي بالمدينة المنورة، فصلين دراسيين.
- المشاركة في تحكيم بحوث المؤتمر العالمي الأول لتدبر القرآن الكريم، عام ١٤٣٤هـ.
- تقديم ورقة علمية في المؤتمر العالمي الأول لتدبر القرآن الكريم، بالدوحة، عام ١٤٣٤هـ.
- حضور المؤتمر الدولي للدراسات القرآنية بالرياض عام ١٤٣٤هـ.
- المشاركة مع فريق علمي في وضع منهج لتدبر القرآن الكريم بعنوان: القرآن تدبر وعمل، (مطبوع).
- إدارة الملتقى العلمي الأول لطلاب الدراسات العليا بقسم التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية.
- تقديم بعض الدورات التدريبية وحلقات النقاش.

## « الدورات التعليمية والتربوية والتدريبية:

- برنامج تدريب المدربين، بواقع ٤٠ ساعة تدريبية
- دورة المهارات التربوية والتعليمية لمعلمي الحلقات القرآنية، بواقع ٢٤ ساعة تدريبية.
- دورة استراتيجية بناء وتصحيح القيم التربوية والاجتماعية، بواقع ٨ ساعات تدريبية.
- دورة مهارات التدريس الجامعي، بواقع ١٠ ساعات تدريبية.
- تقديم ورقة علمية في المؤتمر العالمي الأول لتدبر القرآن الكريم، بالدوحة، عام ١٤٣٤هـ.

## المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله .. أما بعد:

فقد شهدت الساحة العلمية في هذا الوقت كثيراً من البرامج والمؤسسات والرسائل التي تعتنى بالقرآن الكريم، خدمة وحفظاً وتفسيراً وتدبراً، وهذا شاهد على رجوع كثير من الناس في مختلف الأقطار إلى القرآن أو الرغبة الصادقة في ذلك، والناس في ورودها لهذا المنهل العظيم ومن خلال تدبر القرآن على وجه الخصوص تحتاج إلى تلمس الطريق الصحيح والمنهجية السليمة الموثوقة حتى لا يسلمون من الزلل ويردون المنهل عذباً فراًتاً دون شائبة تشويه أو تكدر صفوه، فأول ما تبحث عنه أعلام هذا الطريق ومناهجهم فيه حتى يسيروا على نهجهم، وقد وفق الله تعالى اللجنة المنظمة للمؤتمر لأن يكون عنوانه (تدبر القرآن الكريم، مناهج وأعلام)، وتأتي كتب مفاتيح تدبر القرآن الكريم وأسبابه وموانعه كورقة ضمن أحد محاور هذا المؤتمر المبارك وهو: (المؤلفات في التدبر قراءة وتحليل)، حيث أعرض إلى ستة كتب من كتب تدبر القرآن أربعة يدور عليها صلب البحث واثنتان ضمن الدراسة، عرضاً ووصفاً وتحليلاً .

وقد انتظم البحث في المحاور التالية:

التمهيد : وفيه ذكر مصطلحات البحث.

الفصل الأول: الدراسة التفصيلية لكتب المفاتيح والأسباب والموانع، وينتظم

أربعة مباحث:

المبحث الأول: كتاب مفاتيح للتعامل مع القرآن الكريم، للدكتور صلاح بن عبد الفتاح الخالدي.

المبحث الثاني: كتاب تدبر القرآن الكريم، للشيخ سلمان بن عمر السنيدي.

المبحث الثالث: كتاب مفاتيح تدبر القرآن والنجاح في الحياة، للدكتور: خالد اللاحم.

المبحث الرابع: كتاب مدارج الحفظ والتدبر، للأستاذ الدكتور: ناصر بن سليمان العمر.

وقد تم ترتيب الكتب بناء على تاريخ إصدار الكتاب.

الفصل الثاني: تحليل كتب المفاتيح والأسباب والموانع، نحو رؤية جامعة، وينتظم

ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أسباب ومفاتيح تدبر القرآن.

المبحث الثاني: موانع تدبر القرآن.

المبحث الثالث: مقاييس التدبر ومؤثراته.

الفصل الثالث: ماذا بعد حصول الأسباب وانتفاء الموانع؟

الخاتمة: وذكرت فيها أبرز التوصيات والنتائج.

أسأل الله تعالى أن يسهم هذا البحث في بناء منهجية شاملة لتدبر القرآن، إنه على

كل شيء قدير.

وكتبه

أبوبكر بن محمد فوزي البخيت

المدينة المنورة ١٤٣٦/٧/٢٨ هـ



## التمهيد

يجسن قبل البدء في دراسة الكتب، بيان المراد بمصطلحات البحث والتي هي مضامين الكتب المستهدفة بالدراسة.

### أولاً: المفاتيح.

جمع مفّتاح الَّذِي يُفْتَحُ بِهِ الْمِغْلَاقُ، وَيُقَالُ لِلَّذِي يُفْتَحُ بِهِ الْمِغْلَاقُ مِفْتاحٌ بِكسْر الميم ومِفْتاحٍ وجمعهما مَفَاتِحٌ ومَفَاتِيحٌ<sup>(١)</sup>.

### ثانياً: السبب.

هو: ما يتوصل به المرء إلى مقصود ما، قال الله جل وعلا: ﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدَهُ مَا يَغِيظُ﴾ [الحج: ١٥]، والسبب أيضا: كل شيء يتوصل به إلى غيره.

وبهذا نلاحظ أن المفاتيح والأسباب في تدبر القرآن تؤدي إلى معنى واحد وهي الأمور التي يتوصل بها إلى تدبر القرآن الكريم،

### ثالثاً: الموانع.

جمع مانع، وهو: ما يمنع من حصول الشيء، أو: ما يعترض سير العمل وما يحول دون تحقيق شيء أو بلوغه.

وعليه فالموانع في التدبر، هب الأمور التي تعيق عملية التدبر أو تؤثر سلباً في تحقيق مقصوده.

(١) تهذيب اللغة (٤/ ٢٥٨).

## الفصل الأول

### الدراسة التفصيلية لكتب المفاتيح والأسباب والمواع

المبحث الأول: كتاب مفاتيح للتعامل مع القرآن الكريم

مؤلف الكتاب:

هو الدكتور صلاح بن عبد الفتاح الخالدي، أحد أعلام الدراسات القرآنية، في المملكة الأردنية الهاشمية.

وصف الكتاب:

هو عبارة عن كتاب متوسط الحجم يبلغ عدد صفحاته: ١٧٠ صفحة، ذكر فيها المؤلف سبعة وعشرين مفتاحاً للتعامل مع القرآن الكريم.

وقد اشتمل على ما يلي:

١) قدّم بمقدّمة بيّن فيها أهمية هذه المفاتيح في التعامل مع القرآن، لاستخراج كنوزه والاهتداء به، ويُفهم من هذه المقدمة أن تدبر القرآن هو أول ما يدخل في مفهوم التعامل مع القرآن، حيث كرر وأكد على استخراج كنوزه والاهتداء به ومعايشته.

٢) عقد فصلاً في الحديث عن أسماء القرآن وأوصافه ذكر منها عشرة وهي: « القرآن والكتاب والذكر، الروح، النور، والفرقان، البرهان، والموعظة، والشفاء، والبصائر»، وقد قصد المؤلف من خلال عرضه لهذه الأسماء أهمية استحضار



القارئ لها ليجد أثرها على نفسه .

(٣) عقد فصلاً في وصف الرسول ﷺ للقرآن وكذلك الصحابة والتابعين في وصفهم للقرآن، وأراد المؤلف بيان نماذج عملية لمن تدبر القرآن وعايشه وما النتيجة التي وجدها في نفسه، كما يبين منهج السلف في طريقة تعاملهم مع القرآن بين الإفراط والتفريط، فذكر قول عائشة رضي الله عنها: « القرآن أكرم من أن يزيل عقول الرجال » وقد ركز في هذه النقول على علاج مفاهيم مهمة ينبغي تصحيحها، أو التأكيد عليها في التعامل مع القرآن ويمكن تلخيص أبرز هذه المفاهيم التي قصد بها عقد هذا الفصل فيما يلي: (تعاهد القرآن باستمرار وعدم هجرانه، شرف أهل القرآن، تدارس القرآن، أهمية العمل به، أنه المخرج من الفتن، أهمية تثويره واستخراج كنوزه، حقيقة الانتفاع والتأثر دون إفراط أو تفريط، تعظيم القرآن وتعظيم حملته، الاعتزاز بالقرآن، أخلاق حملة القرآن، ثمرة ولذة تدبر القرآن).

ثم عقد جملة من المباحث وهي:

(١) الأول: آداب تلاوة القرآن وذكر فيها ثمانية عشر أدبا أجملها فيما يلي: (اختيار الوقت والمكان، والتهيئة النفسية والجسدية، والطهارة والتطهير، واستحضار النية، والاستعاذة والبسملة، وتفريغ النفس عن شواغلها، وحصر الفكر على الانتفاع بالقرآن، استحضار الخشوع، والبكاء، والوقوف أمام الآيات وتدبرها والتأثر بها، واستشعار أنه مخاطب بالآيات، والتخلي عن موانع الفهم)

والمأمل لهذه الآداب يلاحظ أن عدداً منها هي من مفاتيح وأسباب تدبر القرآن الكريم.

٢) الثاني: نحو نظرة حركية لتدبر القرآن والحياة به، وقد اعتمد في هذا المبحث على ما استفاده من دراسته لكتب الأستاذ سيد قطب من خلال كتبه وتفسيره، وأهم ما خلص به في هذا المبحث أن قارئ القرآن حتى يكون منتفعاً به لا بد أن يستحضر أبعاداً رئيسية وهي:

**البعد الأول:** البعد التاريخي، أي استحضار الجو الذي نزل فيه القرآن وكيف كان الصحابة يتعاملون مع القرآن الكريم.

**البعد الثاني:** استدعاء الجو العملي للقرآن بالدعوة والجهاد والعلم والعمل فمتى ما كان القارئ عاملاً داعياً مجاهداً فسيجد في آيات القرآن وهداياته وتوجيهاته، ما لا يجده القاعد الخامل.

**البعد الثالث:** البعد الواقعي في تنزيل هذه النصوص على واقع قارئ القرآن في المقام الأول، فأيات الوعد لكي يرجو هو، وآيات الوعيد لكي يحذر هو، وآيات التي تبين حال من حاد وتنكب الطريق من الكفار والمنافقين وما عاقبهم الله به، لكي يحذر هو.

٣) الخطوات المتدرجة لفهم القرآن والتعامل معه: ذكر فيها سبع خطوات وهي: (استحضار آداب التلاوة القراءة بتأن وخشوع الوقوف أمام الآية وقفة متأنية فاحصة، النظرة التفصيلية في سياق الآية وتركيبها، ملاحظة البعد الواقعي للآية العود لفتح السلف الاطلاع على بعض آراء المفسرين)، ثم ختم هذا المبحث بـ (أوراد القرآن اليومية) وهي ورد التلاوة وورد الحفظ وورد التدبر، وقصد إلى أمر مهم، وهو أن كل ورد له مقصده، فمن قصد مثلاً ورد التدبر في الحفظ، فلن ينتفع الانتفاع الأمثل، أو قد يؤثر التدبر على الحفظ أو الحفظ على التدبر وهكذا.

ثم عقد الفصل المقصود بالتأليف وهي مفاتيح التعامل مع القرآن الكريم وقد ذكر سبعة وعشرين مفتاحاً وهي:

١. النظرة الكلية الشاملة للقرآن.
٢. الالتفات للأهداف الأساسية للقرآن.
٣. ملاحظة المهمة العملية للقرآن.
٤. المحافظة على جو النص القرآني.
٥. استبعاد المطولات التي تحجب نور القرآن.
٦. تنزيه القرآن عن الإسرائيليات وعدم تعيين المبهمات.
٧. دخول عالم القرآن دون مقرات سابقة.
٨. الثقة المطلقة بالنص القرآني وإخضاع الواقع المخالف له.
٩. معايشة إيماءات النص وظلاله ولطائفه.
١٠. غنى النصوص بالمعاني والدلالات.
١١. الاعتناء بمعاني القرآن التي عاشها الصحابة عملياً.
١٢. تحرير النصوص من قيود الزمان والمكان.
١٣. ملاحظة البعد الواقعي للنصوص القرآنية.
١٤. الوقوف في وجه المادية الجاهلية.
١٥. توسيع التفسير ليشمل سيرة الصحابة والتابعين.

١٦. الشعور بأن الآية موجهة له .
  ١٧. حسن التلقي عن القرآن.
  ١٨. تسجيل الخواطر والمعاني لحظة ورودها.
  ١٩. التمكن من أساسيات علوم التفسير.
  ٢٠. الاستعانة بالمعارف والثقافات الحديثة .
  ٢١. العودة المتجددة للآيات.
  ٢٢. ملاحظة الشخصية المستقلة للسورة.
  ٢٣. متابعة المصطلح القرآني للمصطلح الواحد.
  ٢٤. تجاوز الخلافات بين المفسرين والعودة إلى معين القرآن.
  ٢٥. معرفة الرجال بالحق.
  ٢٦. ترتيب الخطوات في التعامل مع القرآن.
  ٢٧. جني الثمار العملية للتعامل مع القرآن.
- ما امتاز به منهج المؤلف:

- ١) أن هذا المنهج بني من خلال المعاشة والتجربة والعرض والإلقاء المتتابع فجاء نتاج تجربة حياة عاشها المؤلف، ولاشك أن مثل هذه الطريقة في التأليف يظهر أثرها في الكتاب.
- ٢) المقدمات التي قدّمتها مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بمقصود الكتاب وتعتبر مدخلاً مهماً للحديث عن هذه المفاتيح.

٣ . حاول أن يعالج أهم القضايا الفكرية والمنهجية في التعامل مع القرآن في سياق حديثه عن المفاتيح دون أفراد مباحث خاصة بها.

٤ ) عامة هذه المفاتيح واقعية ومهمة.

### مرئيات حول الكتاب:

تكرار كثير من النقاط وتداخلها مع بعضها البعض، فبعض النقاط التي ذكرها في آداب التلاوة والخطوات المتدرجة، والنظرة الحركية لتدبر القرآن أعادها في المفاتيح مرة أخرى.

أن هذه المفاتيح وإن قصد الاستقصاء إلا أن بعض المفاتيح فيها من التكرار أو الارتباط ما يمكن دمجها.

بعض هذه المفاتيح تعتبر كالمفاهيم العامة ولا أرى دخولها في مفاتيح التدبر من وجهة نظري وذلك مثل: (الوقوف في وجه المادية الحديثة معرفة الرجال بالحق).

وبعضها قد تتعدى المفاتيح لتكون طريقة من طرق تدبر القرآن مثل: (ملاحظة الشخصية المستقلة للسورة متابعة الاستعمال القرآن للمصطلح الواحد).

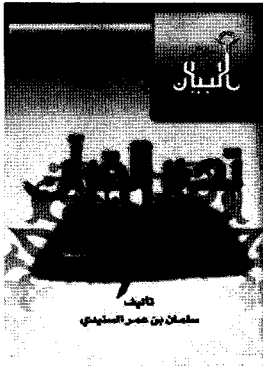
ذكر من المفاتيح: « تنزيه القرآن عن الإسرائيليات وعدم تعيين المبهمات » وهذا المفتاح لا يسلم على إطلاقه، فهو إن أراد ما يجب عن التدبر فهو داخل في المفتاح الذي قبله وهو المحافظة على جو النص القرآني، ثم إننا قد نجد في بعض الإسرائيليات ما يحصل به التدبر، ومن ذلك ما رواه ابن مسعود رضي الله عنه قال: «جَاءَ حَبْرٌ مِّنَ الْيَهُودِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ أَبْلَغَكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَصْضَعُ السَّمَوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أُصْبُعٍ وَالْأَرْضَ عَلَى أُصْبُعٍ وَالْجِبَالَ عَلَى أُصْبُعٍ وَالشَّجَرَ عَلَى أُصْبُعٍ وَالْمَاءَ وَالْتَرَى عَلَى

أُصْبِحُ وَسَائِرَ الْخَلْقِ عَلَى أُصْبُحٍ ثُمَّ يَهْزُهُنَّ وَيَقُولُ أَنَا الْمَلِكُ قَالَ فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِدُهُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الْخُبْرِيِّ ثُمَّ قَرَأَ ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر: ٦٧] (١).

أقترح أن يتم تهذيب الكتاب ووضع المكرر في المكان الأقرب له من جهة التعلق، وضم بعض المفاتيح إلى بعض، وتقسيم المفاتيح حسب متعلقاتها.

(١) أخرجه البخاري: كتاب التفسير، باب قول الله تعالى: (وما قدروا الله حق قدره) برقم (٤٨١١)، ومسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب: وما قدروا الله حق قدره برقم (٢٧٨٦).





## المبحث الثاني: كتاب تدبر القرآن.

مؤلف الكتاب:

الشيخ سلمان بن عمر السنيدي حفظه الله

وصف الكتاب:

هو كتاب متوسط الحجم عدد صفحاته ١٥٥ صفحة.

وقد اشتمل الكتاب على ثمانية مباحث مرتبة كما يلي:

### المبحث الأول: أهمية تدبر القرآن

تكلّم فيه عن: «بركة القرآن حاجة القلب إلى تدبر القرآن - الشناء على من تدبر القرآن وتأثر به ذم من ترك تدبر القرآن ولم يتأثر به التدبر من النصح لكتاب الله)

### المبحث الثاني: أمور شرعت من أجل تدبر القرآن:

حيث جعل التدبر غاية وجميع ما جاء الأمر به في القرآن إنما هو لرعاية هذا المقصد وهذه الأمور هي:

١. إنزال القرآن والتعبد بقراءته

٢. الترتيل والتغني بالقراءة وتحسينها

٣. صلاة الليل والقراءة فيه

٤. سلامة التلاوة وإتقان التجويد

٥. الاستعادة

٦. الإنصات عند سماع القرآن

٧. الجهر بالتلاوة

٨. حسن الابتداء والوقف

المبحث الثالث: أمور متوقفة على تدبر القرآن وفهم معانيه، وذكر فيها:

١. عظم أجر التلاوة

٢. حصول بركة القرآن وانتفاع القلب به

٣. التفضيل بين القراءة من المصحف أو القراءة عن ظهر قلب

٤. التفضيل بين القراءة في الصلاة والقراءة خارجها

٥. التفضيل بين الجهر بالقراءة والإسرار بها

٦. ترتيب أولويات طلب العلوم

٧. قصر المدة التي يختم فيها القرآن

المبحث الرابع: صوارف تحول دون التدبر، وذكر فيها:

١. أمراض القلوب والإصرار على الذنوب.

٢. انشغال القلب وشروء الذهن.

٣. قصر الخشوع على أحوال وآيات معينة.

٤. ترك التدبر تورعاً عن القول في كلام الله بغير علم.

٥. قصر الهمة على كثرة القراءة فقط.

٦. قصر الهمة على تحقيق القراءة وحسن التلاوة مع هجر تدبره وضعف الهمة على العمل به.

٧. تقديم ما دون التدبر من العلم والعمل والاشتغال به عن التدبر.

٨. قصر معاني الآيات على قوم مضوا وأحوال خاصة قد انتهت.

٩. الانشغال بالمبهمات.

١٠. النظر في القرآن من خلال مفهومات قاصرة.

١١. قصر قراءة القرآن على أحوال خاصة.

المبحث الخامس: من درجات التدبر وذكر فيها:

١. التفكير والنظر والاعتبار.

٢. التأثر وخشوع القلب.

٣. الاستجابة والخضوع.

٤. استخراج الحكم واستنباط الأحكام.

المبحث السادس: علاقة القارئ بالقرآن:

ويقصد بها الأمور التي تقوي علاقة القارئ بالقرآن وتسهّل له أمر التدبر والفهم

وذكر منها: (بعد المعاشة، وبعد اللغة).

المبحث السابع: من سبل تدبر القرآن الكريم، وذكر فيها:

١. معايشة معاني الآيات.

٢. تصور حال الدعوة عند نزول الآيات.

٣. فهم المعاني ودلائل الألفاظ.

٤. الوقوف اللفظي عند الآيات.

٥. الوقوف عند المعاني.

٦. معرفة أساليب القرآن.

٧. تدارس القرآن.

المبحث الثامن: صور من تدبر القرآن:

وعقد فيها جملة من الصور والنماذج التي توقف القارئ على طريقة السلف في

تدبر القرآن ومن أهم هذه الطرق:

١. الالتزام بالأمر

٢. تذكر الآية عند وجود المقتضى

٣. التأمل في مقصد السورة وموضوعها وما احتف بها من قرائن

٤. النظر في المناسبات بين الآيات

٥. التأمل في أسماء الله وصفاته

٦. التأمل في الدلالات والتراكيب ومقاصدها

٧. الخوف من العقوبة ورجاء الرحمة

ما امتاز به منهج المؤلف:

طريقة المؤلف في العرض والتأليف طريقة منطقية روعي فيها التسلسل.

الشمول في معالجة المسائل دون إسهاب مع الجمع بين التأصيل والتمثيل.

التفريع والتقسيم عند الحاجة لذلك .

عالج أهم المسائل التي يكثر سؤال الناس فيها عن التفضيل في الأمور المتعلقة بقراءة القرآن.

الواقعية في عرض المسائل التي تحصل لدى عامة الناس وخصوصاً في موانع التدبر وصوارفه، كقصر الخشوع على أحوال وآيات معينة، وترك التدبر تورعاً ونحو ذلك.

عالج في مبحث درجات التدبر بعض المسائل التي يكثر الجدل حولها هل هي من التدبر أم خارجة عنه وهل هي بعد التدبر أم قبله، بأسلوب ذكي بعيد عن الخلاف حيث جعلها متعلقة به وكل مرحلة تقود للأخرى

### مرئيات حول الكتاب:

بعض المسائل بحاجة إلى تحرير والجزم بها فيه نظر من ذلك:

(١) في المبحث الثاني: أمور شرعت من أجل تدبر القرآن والتأثر به، ذكر مثلاً: صلاة الليل والقراءة فيه، ثم ذكر في البحث الثالث: أمور متوقفة على تدبر القرآن، التفضيل بين القراءة في الصلاة والقراءة خارجها، فقصر التشريع على ذلك فيه تكلف والله وأعلم. وقل مثل ذلك في الاستعاذة وحسن الابتداء والوقف، فلا شك أن ذلك مما يعين على التدبر لكن قصر مشروعيته على التدبر يوقع في إشكالات.

(٢) في المبحث الثالث: أمور متوقفة على تدبر القرآن وفهم معانيه، وذكر منها: عظم أجر التلاوة، وقد ذكر في ذلك نقولات، ولكن لو زاد المسألة تحريراً

وذكر حال السلف وتنوع أحوالهم في ختم القرآن ومقصدهم حال ختم القرآن في مدة وجيزة، وحال ختمهم له في مدة طويلة وأنهم تارة ينظرون إلى أجر الأداء وأن في كل حرف عشر حسنات وخصوصاً في المواسم والأوقات الفاضلة كرمضان والعشر الأواخر منها، وتارة ينظرون لأجر التدبر والنظر في المعاني وبهذا تكتمل صورة المسألة والله أعلم.

المبحث الثالث: كتاب مفاتيح تدبر القرآن والنجاح فيه الحياة.



مفاتيح لتحقيق التدبر الأمثل

مؤلف الكتاب:

هو الدكتور خالد بن عبد الكريم اللاحم أستاذ القرآن وعلومه المساعد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

وصف الكتاب:

عبارة عن رسالة صغيرة الحجم تتضمن عشرة مفاتيح توصل القارئ إلى تدبر القرآن وقد جاءت الرسالة في ٨٠ صفحة .

وقد اشتملت على مايلي:

المقدمة: وتحدث فيها عن مقصوده من تأليف الكتاب وأنه قصد إلى خطوات عملية تصل بالقارئ إلى نتيجة عملية في تدبر كلام الله.

كما بين سبب المشكلة التي أراد برسالته معالجتها وهي طريقة وصول المؤثر وهو كلام الله، وطريقة تلقي المتأثر وهو التالي أو الحافظ أو المستمع.

التمهيد وذكر فيه تعريف التدبر وعلاماته وذكر فيه سبع علامات للتدبر وهي:

١. اجتماع القلب والفكر.

٢. البكاء من خشية الله.

٣. زيادة الخشوع.

٤. زيادة الإيمان.

٥. الفرح والاستبشار.

٦. القشعريرة خوفاً من الله.

٧. السجود تعظيماً لله.

وختم التمهيد بمفهوم خاطئ عن التدبر وهو اعتقاد صعوبة فهم القرآن واجاب عنه.

صلب الرسالة وهي المفاتيح العشرة وتتلخص فيما يلي:

١. حب القرآن

٢. أهداف قراءة القرآن .

٣. القيام بالقرآن

٤. أن تكون القراءة في ليل

٥. التكرار الأسبوعي للقرآن أو بعضه

٦. أن تكون القراءة حفظاً.

٧. تكرار الآيات.

٨. ربط الألفاظ بالمعاني.

٩. الترتيل.

١٠. الجهر بالقراءة.



ثم ختم البحث بملاحق ثلاث عن رحلته في التنقل في دروب المعرفة على تنوعها حتى وصل إلى هذه المفاتيح حيث وجد فيها ضالته وبغيته، والملحق الثاني في أهمية التربية على هذه المفاتيح من الأب لأبنائه والمعلم لطلابه، ثم ختم الملاحق بعلاقة القرآن بالصيام وعلاقته بالتدبر.

ما امتاز به منهج المؤلف:

اجتهد المؤلف في الاختصار قدر الإمكان فجاءت رسالة لطيفة الحجم مع ما حوته من الفوائد.

بين المؤلف عند كل مفتاح أهميته، وكيفية تطبيقه، وما يتضمنه من تفرعات وجزئيات إن وُجدت مع الاستدلال لذلك بنص من الكتاب والسنة أو أحدهما، وأثر لأحد السلف قدر الإمكان

بنى الكتاب وقسمه تقسيماً معاصراً يظهر فيه تأثره واستفادته مما كتب في تطوير الذات، قصد به تقريب التدبر والإشارة إلى ما يتضمنه من تطوير الذات والنجاح في الحياة وزيادة.

اهتمامه بالاختصارات والرميزات التي تسهل الحفظ فجمع المفاتيح العشرة في جملة «الإصلاح ترتجي» وجمع أهداف قراءة القرآن في «ثمّ شع».

مرئيات حول الكتاب:

لما كان عنوان الكتاب : مفاتيح تدبر القرآن الكريم والنجاح في الحياة، فلو أنه أفرد مبحثاً حول أثر هذه المفاتيح في النجاح في الحياة، لكان أولى، وهذا وإن كان نتيجة للكتاب كاملاً لكن إفراده مهم في إبراز هذا الجانب والاهتمام به وخصوصاً أنه يعالج مفهوماً عند عامة الناس.

لو تم تقسيم المفاتيح حسب متعلقاتها، فبالنظر للمفاتيح نجد أن هناك مفاتيح تتعلق بما قبل القراءة، ومفاتيح تتعلق بطريقة الأداء، ومفاتيح بالأمر المصاحبة. لو وصف الكتاب: مفاتيح للوصول إلى التدبر الأمثل لكان أدق من تحقيق التدبر.. لما كانت طريقة الكتاب تشابه طريقة الدورات، فلو أضاف للكتاب بعض الشرائح البيانية، فلا شك أنها ستقرّب المعلومة بشكل أكبر للقارئ.

## المبحث الرابع: كتاب مدارج الحفظ والتدبر

أيسر الوسائل لحفظ القرآن الكريم وتدبره

مؤلف الكتاب:

أ.د. ناصر بن سليمان العمر المشرف العام على موقع المسلم، رئيس الهيئة العالمية لتدبر القرآن.

وصف الكتاب:

عبارة عن رسالة لطيفة تبلغ عدد صفحاتها ١٢٠

صفحة

وقد اشتمل الكتاب على ما يلي:

مدخل، ويتضمن أربع مقدمات وهي:

المقدمة الأولى: حقيقة الإيمان وأنه هو الحياة الحقيقية للعبد.

المقدمة الثانية: حقيقة القرآن وأنه كلام الله الذي أنزله إلينا نوراً وهدى.

المقدمة الثالثة: العلاقة بين الإيمان والقرآن، وأن الإيمان إذا كان هو الحياة

فالقرآن هو روح هذه الحياة، وشتان بين مؤمن يقرأ القرآن فهو كالأترجة ذات الريح

الطيب والطعم الطيب، وبين المؤمن الذي لا يقرأ القرآن فهو كالتمرة التي لا ريح لها

وطعمها حلو.

المقدمة الرابعة: فيما يجب على المؤمن تجاه القرآن وجمعها في ثلاث تاءات :

(التعظيم التدبر - التطبيق).



ثم شرع في الشق الأول من صلب الكتاب وهو: حفظ القرآن الكريم، تكلم فيه عن فضله، والخطوات العملية التي تيسر حفظه وذكر فيها سبع عشرة وسيلة وهي:

١. تعاهد النية ومجاهدة النفس في تصحيحها.

٢. الاجتهاد في سلوك سبيل الطاعة والابتعاد عن سبل المعصية.

٣. الدافع الذاتي والعزيمة الصادقة.

٤. اغتنام الشباب وسنوات الصغر.

٥. اغتنام أوقات النشاط والفراغ.

٦. اختيار المكان المناسب عند الحفظ.

٧. الواقعية في مقدار الحفظ اليومي.

٨. مشاركة الحواس عند الحفظ.

٩. تحديد طبعة واحدة للمصحف.

١٠. ضبط النطق.

١١. الحفظ المترابط.

١٢. فهم المعاني.

١٣. الحفظ المتقن.

١٤. التدقيق في الآيات المتشابهات.

١٥. الحفظ الجماعي أدعى للمداومة.

١٦. تعاهد القرآن.

١٧. الحفاظ على الرتبة العالية الشريفة واستحضار عاقبة التفريط.

ثم ختم هذا الفصل بلفتة عن حقيقة الحفظ والبعد عما يشين حامل القرآن من الأخلاق والصفات، وأن الحفظ يراد للعمل به والتدبر.

ثم انتقل للحديث عن الشق الثاني من الكتاب وهو التدبر، عالج فيها جملة من المسائل وهي:

من مدارس التحفيظ إلى مدارج التدبر ومدى تأثير التدبر على الحفظ.

ما الذي لا يجعلنا نتأثر بالقرآن؟ وخلص إلى عدم استحضار أهداف قراءة القرآن والانشغال بالتلاوة عن حقيقة التلاوة.

أهمية تدبر القرآن وذكر فيها ست نقاط وهي:

١. أنه الغاية المقصودة من تدبر القرآن.

٢. أنه منهج النبي ﷺ.

٣. أنه منهج سلف الأمة.

٤. التدبر مطالب به كل مسلم.

٥. أنه العاصم من الشبهات.

٦. أن القرآن مستودع للعلوم والمعارف والتدبر مفتاحه.

العلاقة بين تدبر القرآن وتفسيره، وأن التدبر أعم من حيث حصوله لكل مسلم، والتفسير أخص لمن يملك الأهلية، وأشار إلى الحذر من أن يكون التدبر مدخلاً إلى التفسير بالرأي المذموم والهوى.

العلاقة بين تدبر القرآن وفقه السنة.

هل التدبر خاص بالعلماء ؟

الفرق بين التدبر والتعقل والتفكر ومعرفة المعنى.

ضوابط التدبر وذكر فيها:

١. البعد عن المعاني التي تخالف العقيدة الصحيحة كما يفعل المبتدعة، وأصحاب المدرسة العقلية.

٢. موافقة ما توصل إليه للغة العربية الصحيحة لأن القرآن نزل بلسان عربي مبين.

٣. البعد عن الإغراب والتععر في الاستنباط.

٤. الحذر من التفسيرات الباطنية التي لا يحتملها ظاهر الآية كما هو منهج الرافضة.

٥. الحذر من لي النصوص والتعسف في الاستدلال.

٦. ألا يخالف ما توصل إليه من معان، المعتبر من أقوال أهل التفسير

مقاييس قرآنية للتدبر، وذكر فيها سبع نقاط:

١. اجتماع القلب والفكر حين القراءة.

٢. البكاء من خشية الله.

٣. القشعريرة خوفاً من الله.

٤. زيادة الإيمان والفرح والاستبشار.
  ٥. الإعجاب بما في القرآن من الفصاحة والبلاغة.
  ٦. استخلاص العبر والحكم من القراءة.
  ٧. العمل بما في هذا الكتاب من أعظم الأدلة على تدبر القارئ.
- أسباب تدبر القرآن:

١. تحقيق الإخلاص، وتحقيق التوحيد.
٢. البعد عن المعاصي.
٣. اختيار الوقت والمكان المناسب للتدبر.
٤. استغلال الأوقات السانحة في القراءة والتدبر.
٥. تلاوته يومياً ومصاحبته.
٦. مراعاة أحكام التجويد والوقف والابتداء.
٧. تكرار الآيات المقروءة والتفكر في دلالاتها وسياقاتها.
٨. الاستناد في فهم المعاني على أحد التفاسير.
٩. دعاء الله عز وجل والتضرع له.
١٠. التدرج والتدريب على التدبر.
١١. التدارس مع زملائه.
١٢. تسجيل ما يتوصل إليه من معانٍ تدبرية.

### موانع التدبر:

١. أمراض القلوب
٢. الإعراض عن تلاوة القرآن
٣. الانشغال بالتلاوة أو الحفظ عن التدبر
٤. الاستسلام للشبهات الحائلة دون التدبر

### ثمرات التدبر:

١. تدبر القرآن طريق العمل به.
٢. أثر تدبر القرآن في بناء الفرد المسلم والجماعة المسلمة.
٣. أثر تدبر القرآن على قلب المسلم.
٤. أثر تدبر القرآن على خلق المسلم.
٥. أثر تدبر الإيمان في زيادة الإيمان واليقين.
٦. شحذ إرادة المسلم وهمته إلى الاجتهاد في العمل الصالح.
٧. الثبات عند الفتن.
٨. حسن الظن بالله تعالى والثقة بوعده في التمكين.

### ما امتاز به منهج المؤلف:

أنه اختصر وهذب كثيراً من المسائل التي عرضها في كتابه (أفلا يتدبرون القرآن) مع ما أضافه من مسائل جديدة.



جاءت مقدمة الكتاب لإيصال رسالة مهمة وهو أن العبرة الحقيقية من الحفظ والتدبر هو حصول الإيمان وزيادته في قلب المؤمن وهذه هي حياة روح الإنسان، وأن القرآن روح هذه الحياة الإيمانية، فاستحضار هذا التلازم مهم جداً في الحفظ والتدبر. فكرة الجمع بين الحفظ والتدبر، توصل رسالة مهمة أن الحفظ أول المدارج فلا يتوقف الحافظ الذي يريد الرقي عند ذلك بل ينتقل إلى المنزلة العليا والغاية العظمى من الحفظ ألا وهو التدبر، كما أن بالتدبر تثبيت القرآن في الصدور.

جزء كبير من الكتاب قام على المعاشة والتجربة وسؤال أهل الخبرة والاختصاص، فجاء الكتاب كدراسة علمية عملية استشارية في كتاب واحد.

احتوى الكتاب على مسائل كثيرة متعلقة بتدبر القرآن إضافة إلى الأسباب والمواعز.

### مرئيات حول الكتاب:

الكتاب وإن كان اختصاراً وتهذيباً، فأرى أنه بحاجة كذلك إلى الترتيب التسلسلي والمنطقي وخصوصاً في مسائل التدبر التي سبقت الأسباب والمواعز، فقد جعلت مسأله المتناثرة بحاجة إلى رابط يجمع هذه الدرر المتناثرة.

مسألة علاقة التدبر بفقہ السنة، أرى أنها بحاجة إلى معالجة تدبرية أكثر من جهة بيان العلاقة، وخصوصاً في مسائل أسباب النزول، أو الأحداث والمواقف النبوية، وكذلك المثال الذي ضرب في فقہ السنة وهو حديث «يا أبا عمير ما فعل النغير» وهو وإن قصد به كثرة استخراج الفوائد من السنة، إلا أن المثال لا علاقة له بالتدبر والله أعلم.

الضوابط أغلبها محاذير وبعضها يمكن أن يندرج تحت مواعز تدبر القرآن لو أضيف إلى مقاييس التدبر: الرجوع إليه عند حصول المصائب والمهمات.

## الفصل الثاني

### تحليل كتب المفاتيح والأسباب والموانع، نحو رؤية جامعة

تم حصر جميع الأسباب والموانع التي ذُكرت في الكتب المستهدفة بالبحث، وفرزها ودمج المكرر وحذف ما ليس له تعلق بالأسباب والموانع من وجهة نظر الباحث، ثم تم فرزها وتقسيمها حسب متعلق كل سبب، وحسب متعلق كل مانع، إضافة إلى بعض النقاط المهمة التي يجب إكمالها:

**المبحث الأول: أسباب ومفاتيح تدبر القرآن الكريم.**

**أولاً: أسباب متعلقة بالتهيئة القلبية والنفسية، وهي:**

١. تحقيق الإخلاص، واستحضار أجر تلاوة القرآن وتدبره.

٢. حب القرآن الكريم وتعظيمه.

٣. شعور القارئ للقرآن بأن الآية موجهة له.

٤. البعد عن المعاصي والذنوب.

**ثانياً: أسباب متعلقة بالمفاهيم المرتبطة بالقرآن الكريم.**

١. النظرة الكلية الشاملة للقرآن الكريم.

٢. ملاحظة المهمة العملية للقرآن الكريم، وأنه كتاب عمل وتطبيق.

٣. الثقة المطلقة بالنص القرآني وإخضاع الواقع المخالف له.

٤. ملاحظة البعد الواقعي للنصوص القرآنية.

ثالثاً: أسباب إجرائية وسلوكية، وهي:

١. مراعاة أحكام التجويد والوقف والابتداء.
  ٢. الترتيل.
  ٣. الالتفات إلى الأهداف الأساسية للقرآن.
  ٤. البعد عن الاستطرادات التي تشغل عن التدبر.
  ٥. معايشة إيجازات النص وظلاله ولطائفه من خلال تلاوته يومياً ومصاحبته والتكرار الأسبوعي للقرآن أو بعضه.
  ٦. تسجيل الخواطر والمعاني لحظة ورودها.
  ٧. قراءته ليلاً.
  ٨. قراءته حفظاً.
  ٩. تدارس القرآن.
- رابعاً: أسباب معرفية، وهي:

١. الاعتناء بمعاني القرآن التي عاشها الصحابة عملياً، وتصور حال الدعوة عند نزول الآيات أثناء القراءة.
٢. الوقوف على معاني الآيات.
٣. الاستعانة بالمعارف والثقافات الحديثة - عند الحاجة.
٤. معرفة أساليب القرآن.

## المبحث الثاني: موانع تدبر القرآن الكريم.

أولاً: موانع قلبية، وهي:

١. أمراض القلوب والإصرار على الذنوب.

٢. انشغال القلب وشروء الذهن.

ثانياً: موانع سلوكية:

١. الإعراض عن تلاوة القرآن.

٢. الانشغال بالتلاوة أو الحفظ عن التدبر.

ثالثاً: موانع تتعلق بالمفاهيم.

١. ترك التدبر تورعاً عن القول في كلام الله بغير علم.

٢. قصر معاني الآيات على قوم مضوا وأحوال خاصة قد انتهت.

٣. قصر قراءة القرآن على أحوال خاصة.

٤. النظر في القرآن من خلال مفهومات قاصرة أو مقررات سابقة.

٥. إحاطة القرآن بالقيود الزمانية والمكانية.

## المبحث الثالث: مقاييس لنجاح عملية التدبر.

١. اجتماع القلب والفكر،

٢. البكاء من خشية الله.

٣. زيادة الخشوع.

٤. زيادة الإيمان.
٥. الفرح والاستبشار.
٦. القشعريرة خوفاً من الله.
٧. السجود تعظيماً لله.
٨. الإعجاب بما في القرآن من الفصاحة والبلاغة وما حواه من الحكمة.
٩. استخلاص العبر والحكم من القراء.
١٠. العمل بما في هذا الكتاب.
١١. استحضار آياته عند الفتن والمصائب.

## الفصل الثالث

### ماذا بعد حصول الأسباب، وانتفاء الموانع؟

لا شك أن من اجتهد في تحصيل الأسباب وانتفاء الموانع سيحصل له من الانتفاع بالقرآن والتأثر به شيء كثير، ولكنه قد يشعر بعد الاجتهاد في تحصيل هذه الأسباب أنه لا يتدبر بالشكل المطلوب أو أنه لا يستطيع التدبر، وقد يحصل له الزهد في تحصيل هذه الأسباب أو يظن أنه ليس من أهل التدبر، وهذه نقطة مهمة يجب التنبيه إليها.

ذلك أن ما ذكر من المفاتيح والأسباب والموانع، ثمرتها أن تفتح لقارئ القرآن المجال وتهبّي له الجو المعين على التدبر، وتبعده عن صوارفه، ولكن بقي عليه نقطة مهمة يجب تحصيلها، وهي: كيف يتدبر؟ أو ما هي الطرق المعينة على التدبر؟

وذلك كرجل أراد أن يدخل بستاناً ففك الأقفال وفتح الأبواب، فرأى من جمال الثمار وطيب الرائحة وبهجة المنظر ما يؤنسه ويسرّه، ولكنه لا يستطيع الوصول إلى الثمار وأكلها إلا بطرق وأدوات، حينها يجتمع له الحسنيان.

ولما كان كتاب الله مخاطب به الجميع، وكان من موانع التدبر، قصر التدبر على العلماء تورعاً عن القول في كلام الله بغير علم، كان لزاماً عند الحديث عن طرق التدبر استحضار هذا الجانب، وذلك أن الناظر فيما كتب في طرق تدبر القرآن يرى أنها صالحة لطلبة العلم أو الخواص منهم، فأنى لقارئ غير متخصص أن يدرك ما تدل عليه حروف المعاني أو دلائل التراكيب مثلاً حتى يصل إلى تدبر القرآن، ثم بعد ذلك نأمره بتدبر القرآن؟!

لكننا نستطيع أن ندله على طرق يسيرة يستطيع الثمرن عليها وممارستها ويتحصل له التدبر المقصود بإذن الله، وإذا كان التفسير على أربعة أوجه كما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما: «التفسير على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله»<sup>(١)</sup>، فيمكن أن ننطلق من ذلك في تدبر القرآن، فيكون هناك تدبر للعامة، وتدبر تعرف العرب، وتدبر العلماء، ونجعل لكل وجه من الأوجه الثلاثة جملة من الطرق التي تعين على تدبر القرآن.

ولعلي أضرب أمثلة لبعض طرق التدبر الأولية التي يمكن تطبيقها على ما يفهمه العامة حال قراءتهم للقرآن وتدبرهم.

ومن ذلك:

- (١) التفكير في الآيات القرآنية وظواهرها في الكون، كآيات خلق الإنسان والآيات الكونية، والأمثلة القرآنية التي جاء ضرب المثل فيها بما يشاهده الناس من ماء وشجر ورياح ونحوها.
- (٢) ربط الأسباب بالمسببات التي دل عليها ظاهر القرآن، كأسباب هلاك الظالمين، ونجاة المؤمنين، والأعمال التي تقود إلى الطمأنينة ونحو ذلك مما يستطيع القارئ أن يلتمسه من خلال القراءة المجردة للقرآن.
- (٣) الامتثال المباشر عند قراءة الآيات التي تتضمن ذلك، أو التفاعل مع الآيات التي تتضمن سؤال أو بيان مغفرة الله ورحمته أو شدة عقابه.

(١) جامع البيان ط هجر (١ / ٧٠)

٤) التفكير في عموم الآيات التي تتضمن حثاً أو نهياً، وتطبيقها على النفس بما يناسب حالهما وقدرتها، فمثلاً، قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ [الواقعة: ١٠]، فيمكن للمتدبر أن يختار من الأعمال التي تناسبه ويستطيع بها المسابقة، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١]، فيتأمل في نفسه، ما هي المحاذير والمعاصي التي ينبغي أن يجتنبها حتى يتقي النار، سلمنا الله وإياكم منها.

هذه بعض الأمثلة التي قصدت الاستشهاد بها وفتح الآفاق على أهمية تقريب التدبر لعامة الأمة بطرق يستطيعون التعامل معها واكتسابها.

وتبقى الطرق الأخرى من فهم دلالات الألفاظ والتأمل في خصائص التراكيب وغيرها من طرق التدبر كمرحلة لاحقة لأهل التخصص كل حسب تخصصه، فيستخرجون بهذه الطرق من التدبر على قدر ما تحمّلوه من نفع لأنفسهم ونفع للأمة، ومن الكتب التي عالجت هذه الطرق المتخصصة كتاب: المراحل الثمان لطالب فهم القرآن، للشيخ الفاضل الدكتور: عصام بن صالح العويد، فذكر ثمان طرق للتدبر وهي:

- ١) الوقوف على الآثار الواردة عن رسول الله ﷺ ثم الصحابة ثم التابعين.
- ٢) إدراك المعنى اللغوي للكلمات الواردة في الآية ومقارنتها بما جاء عن السلف.
- ٣) معرفة دلالات الحروف التي تربط بين الكلمات.
- ٤) معرفة دلالات الجملة وما يتعلق بها.
- ٥) فهم دلالة السياق.



(٦) فهم مقصود السورة وما يتعلق بها.

(٧) جمع الآيات التي تتكلم عن موضوع واحد في موضع واحد.

(٨) العناية بتدوين أخبار الأئمة سلفاً وخلفاً مع القرآن ثم الاستشهاد بها في محلها من التفسير.

والملاحظ على هذا الكتاب: أن معالجة الكتاب جاءت معالجة تفسيرية، فبعد أن يذكر النقطة وما يندرج تحتها من أقسام وفروع يبين أثرها في التفسير ثم يورد الأمثلة عليها، ولو أنه بين كيفية التدبر عند كل مرحلة، أو التعقيب على الأمثلة لبيان كيفية استخراج الهدايات أو الاستنباطات أو التدبرات لكان ذلك أقرب للتدبر، هذا إذا اعتبرنا أن المؤلف قصد بكتابه التدبر، فإن كان مؤلفه قصد التفسير وهو ما يدل عليه العنوان، فلا إشكال.

ومن الكتب التي أشارت إلى طرق التدبر وهي أقرب للمتخصصين كذلك، كتاب: (أول تدبر) وهي رسالة مختصر لطيفة للزميل العزيز الشيخ الدكتور: نايف بن سعيد الزهراني حيث لخص طرق التدبر في نقاط أربعة وهي:

(١) التفسير ومعرفة المعاني.

(٢) القياس على المعنى.

(٣) دلالات الألفاظ.

(٤) خصائص التراكيب.

إضافة إلى ما ذكر من السوابق واللواحق لعملية التدبر من وسائل وأسباب وضوابط.

وفي ختام هذه الدراسة، يجدر الإشارة إلى أن كل رسالة من هذه الرسائل لها طابعها الخاص وجوها الذي يميّزها، وداعيتها الذي دعا صاحبها للتأليف، وقد اجتهدتُ في مراعاة ذلك حتى لا أحمل أي مؤلف ما لا يقصده، وأن تكون المرثيات والملاحظات على قدر الحاجة دون تكلف أو تعسف.

فجزاهم الله خيراً على ما بنوه وأسسوه وأضافوه في خدمة كتاب الله وتقريبه للأمة.

## الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى من والاه... أما بعد:  
بعد الجولة الممتعة في هذه الكتب والرسائل، أوصي بما يلي:

- (١) تيسير ما كتب في التنظير لتدبر القرآن من خلال الجمع والاختصار والتقسيم، وإخراج ما فيه استطراد وما كتب في مرحلة معينة، فكثرة المراحل وعدم تنظيمها تشتت المتدبر.
- (٢) رسم مراحل التدبر، رسماً واقعياً حتى يعرف المتدبر من أين يبدأ وأين ينتهي.
- (٣) أقترح وضع معايير لقياس أثر التدبر، وقد أشار لذلك كل من أ.د. ناصر العمر، ود. خالد اللاحم في مقاييس وعلامات التدبر، وأستدل لذلك بما ذكره ابن كثير عند قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَاْمْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ﴾ [المتحنة: ١٠] حيث قال: «فيه دلالة على أن الإيمان يمكن الاطلاع عليه يقيناً»<sup>(١)</sup>. هذا في أثر التدبر على المتدبر، أم قياس أثر التدبر من ناحية صحة المعنى فالأمر فيه جلي وهو مطلب من المطالب في وضع معايير لقياس صحة التدبر.
- (٤) مراعاة شرائح المجتمع عند التأليف أو العرض لطرق التدبر على وجه الخصوص، فحين نأمر الناس بالتدبر يجب أن نضع لكل شريحة ما يناسبها حتى، لا نشق عليهم أو نوقعهم في الزلل والتكلف، فشريحة العامة، غير شريحة المتخصصين، والمتخصصين في مجالات العلوم الدنيوية غير المتخصصين في مجالات العلم الشرعي والدراسات القرآنية على وجه الخصوص.

(١) تفسير القرآن العظيم، دار طيبة (٨ / ٩٣).

٥) الانتقال من التنظير إلى التطبيق بإشاعة ثقافة التدبر من خلال جلسات المدارس القرآنية، والدورات التدريبية في التدبر واستخدام وسائل التقنية التفاعلية في ذلك.

أسأل الله تعالى أن يستخدمنا في طاعته والنصح لكتابه

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

# تحليل المؤلفات فيه تدبر القرآن (المقررات والمناهج)

إعداد

د. فهد بن مبارك بن عبد الله الوهي

أستاذ الدراسات القرآنية المساعد في كلية الآداب والعلوم الإنسانية

جامعة طيبة في المدينة المنورة - السعودية.



## السيرة الذاتية للباحث

« الاسم: د. فهد بن مبارك بن عبد الله الوهبي.

« العمل الإداري: عميد عمادة التعليم عن بعد.

« مكان الميلاد: المدينة المنورة.

« الموقع الإلكتروني: [www.alwahbi.net](http://www.alwahbi.net)

« البريد الإلكتروني: [Dr.Alwahbi@Gmail.com](mailto:Dr.Alwahbi@Gmail.com)

« هاتف محمول: ٠٠٩٦٦٥٥٣٠٨٥٨٨٨

« صندوق البريد: المملكة العربية السعودية - المدينة المنورة : ٢٠٢٩٤ الرمز البريدي ٤١٤٥٥.

« الدراسة والمؤهلات:

- الدكتوراه من جامعة أم القرى في قسم الكتاب والسنة تخصص التفسير وعلوم القرآن بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى مع التوصية بطبع الرسالة ١٤٣١هـ.

- الماجستير من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض قسم القرآن وعلومه تخصص التفسير وعلوم القرآن بتقدير ممتاز عام ١٤٢٧هـ.

- دبلوم تربوي (سنة دراسية) من قسم التربية كلية الدعوة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٤١٨هـ/ ١٤١٩هـ.

- البكالوريوس في الشريعة من كلية الشريعة الجامعة الإسلامية بتقدير ممتاز (٤,٩٠) عام ١٤١٨/١٤١٩هـ  
« المهام الإدارية:

- عميد عمادة التعليم عن بعد من ١/١٢/١٤٣٥هـ وحتى الآن.

« الأبحاث والدراسات:

- المسائل المشتركة بين علوم القرآن وأصول الفقه وأثرها في التفسير (رسالة الدكتوراه منشورة).

- منهج الاستنباط من القرآن الكريم (رسالة ماجستير منشورة).

- أثر القراءات القرآنية في استنباط الأحكام الفقهية والعقدية (بحث محكم).

- تدبر القرآن الكريم: مفهومه ، أساليبه ، أسبابه، آثاره (بحث منشور).

- الإعجاز في المعاني المستنبطة من القرآن الكريم.

- الإسرائيلية وموقف المعاصرين منها (بحث محكم).
- شبهات المستشرقين في التفسير بالمأثور.
- دراسة لأسلوب القرآن في آيات غزوتي بدر وأحد.
- منهج الإصلاح في القرآن الكريم.
- عرائس المروج في أخبار يأجوج ومأجوج.
- آثار الربا الاجتماعية والاقتصادية.
- البيوع المحرمة وأثرها على الفرد والمجتمع.
- نقد منهجي لكتاب نحو تفعيل قواعد نقد متن الحديث.
- نظرة في مصطلح قواعد التفسير.
- من أحكام الصيام.
- معنى النسخ عند السلف والخطأ في فهمه.

« عضوية اللجان العلمية المجتمعية:

- المشاركة في تحكيم البحوث المقدمة لندوة (دور الجامعات العربية في تعزيز مبدأ الوسطية لدى الشباب العربي) المقامة في جامعة طيبة ١٤٣٢هـ
- باحث متعاون مع معهد خادام الحرمين الشريفين بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ١٤٢٨هـ
- المشاركة في تحكيم البحوث المقدمة لمسابقة معهد الإمام الشاطبي في البحث العلمي المتصل بالقرآن وعلومه.
- المشاركة بورقة عمل في اللقاء العلمي الأول لتدبير القرآن ١٤٢٩هـ
- المشاركة ببحث في ندوة الزلازل من منظور شرعي وكوفي ١٤٢٦هـ
- الإشراف العام على مشروع إنتاج فلم وثائقي عن غزوة أحد بالمشروع الخيري للزواج ورعاية الأسرة بالمدينة المنورة.
- المشاركة في النشاط العلمي للمؤسسة الخيرية لوالدة الأمير ثامر بن عبد العزيز آل سعود ١٤٢٨هـ
- باحث مختص في تاريخ ومعالم المدينة المنورة.



## المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،  
وبعد..

فإن من المواضيع الحرة بالدراسة والبحث والتأصيل؛ موضوع تدبر القرآن الكريم، ولقد أحسن القائمون على الهيئة العالمية لتدبر القرآن، في العناية بهذا الموضوع، وعقد المؤتمرات العلمية للمتخصصين في الدراسات القرآنية، ولا يزال الموضوع بحاجة لمزيد من الأبحاث والدراسات التي يمكن أن تؤسس ذلك المنهج الصحيح لتدبر القرآن الكريم.

وتدبر القرآن واجب على الأمتين: أمة الدعوة، وأمة الاستجابة، وقد وردت الأدلة العامة الدالة على ذلك كما قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء] وقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد]، وقال جل وعلا: ﴿ أَفَلَمْ يَذَكِّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾ [المؤمنون]، وقال تعالى: ﴿ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكًا لِيَذَبَّ عَنْ ابْنَيْهِ وَيَذَكِّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [ص]. وقال جل وعلا: ﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الحشر].

وفي هذه الدراسة حاولت الوقوف مع توصيفات المقررات والمؤلفات التي قررت في تدريس تدبر القرآن في الجهات العلمية والأكاديمية، وتحليلها وإبداء الرأي حولها، أسأل الله تعالى أن تكون متقبلة لديه، خالصة لوجهه، إنه جواد كريم.

### أهمية البحث:

- ١) الاطلاع على جهود المؤسسات العلمية في تدريس مقرر تدبر القرآن الكريم.
- ٢) معرفة الآلية المعتمدة لدى الجهات العلمية في تدريس المقرر، ومدى موافقة ذلك لطبيعة المقرر.
- ٣) الاطلاع على مفردات المقررات والمناهج العلمية وصياغتها، وتحليلها.
- ٤) معرفة الأهداف المرسومة للمقررات والمناهج ومدى مواءمتها للمفردات.
- ٥) الوقوف على مصادر المقررات والمناهج التي يرجع إليها الطلبة عند دراستهم للمقرر، ومدى كفايتها للمفردات.

### أهداف البحث:

- ١) معرفة المعايير العلمية لكتابة وتوصيف مقرر دراسي في تدبر القرآن.
- ٢) مقارنة المناهج والمقررات في تدبر القرآن الكريم ببطاقة توصيف المقرر المعتمد من الهيئات المختصة بالجودة.

### خطة البحث:

المبحث الأول: معايير توصيف المقرر الدراسي.

المبحث الثاني: عرض للمقررات وتحليل: وفيه مطالب:

- ١- أصول التدبر وطرق الاستنباط (أكاديمية تفسير للدراسات القرآنية).
- ٢- تدبر القرآن الكريم (معهد أمهات المؤمنين بالأحساء).
- ٣- مقرر التدبر (معهد معلمات القرآن الكريم بمحافظة الزلفي).

٤-مقرر تدبر القرآن الكريم للتعليم العالي.

٥- مخطط عام للتدبر.

المبحث الثالث: التجربة في تدريس مقرر أصول تدبر القرآن الكريم.

## المبحث الأول

### (معايير توصيف وبناء المقرر الدراسي)

إن بناء المقررات الدراسية وتوصيفها لا بد أن يشتمل على عدد من المعايير والأسس المنهجية؛ ليكون المقرر محققاً للأهداف المنشودة منه، ومعرفة تلك المعايير أمر مهم في بناء مقرر تدبر القرآن الكريم، ليكون المقرر منسجماً مع الآليات العلمية التي تُصاغ بها المقررات الدراسية، وبهذه الآليات تتحقق عددٌ من الأهداف العلمية من بناء المقرر ومنها:

- ١) مراقبة جودة تدريس المقرر وضبطها.
  - ٢) التزام أستاذ المقرر بمنهج محدد شامل لعناصر المقرر وآليات تدريسه، والمراجع والصادر التي يُلزم بها الطلبة.
  - ٣) إمكانية تحسين المقرر وتطويره وفق المستجدات العلمية.
  - ٤) ربط أهداف المقرر ونواتجه بأهداف المؤسسة العلمية، بحيث يكون المقرر محققاً لأهداف الجهة العلمية.
- لذلك ينبغي أن تشتمل بطاقة المقرر والمنهج الدراسي على عدد من الأسس ليتم تكوين المقرر بشكل علمي صحيح، ومن تلك الأسس ما يأتي<sup>(١)</sup>:

---

(١) ينظر: نماذج الهيئة الوطنية للتقويم والاعتماد الأكاديمي، منشورة في عدد من المواقع الرسمية منها:

68E5f1/http://goo.gl

### أولاً: التعريف بالمقرر الدراسي ومعلومات عامة عنه:

واشتمال توصيف المقرر على هذه المعلومات أمر مهم للتعريف به، حيث يشتمل التعريف به على عدد من النقاط:

- اسم المقرر ورمزه.
- عدد الساعات المعتمدة للمقرر.
- المستوى الدراسي الذي يُقدم فيه المقرر.
- المتطلبات الدراسية السابقة والآتية لهذا المقرر.

### ثانياً: أهداف المقرر الدراسي:

وينبغي أن يشتمل المقرر الدراسي على أهداف محددة، وأن تكون صياغة هذه الأهداف صياغة صحيحة، بحيث يمكن قياس هذه الأهداف، ومن تلك الأهداف:

#### أولاً: مجال المعرفة:

يراعى في صياغة نواتج تعلم مجال المعرفة (الأهداف السلوكية في مجال المعرفة) أن تستخدم الأفعال التي تعبر عن مستويين فقط من مستويات المعرفة وهما المعرفة والفهم ولكل مستوى أفعال تعبر عنه:

#### (١) المعرفة أو الحفظ:

يسمي	يصف	يعرف	يذكر
يرتب	يختار	يقابل/يزاوج	يتعرف
يسرد	يردد	يكتب	يعطي
يحدد	يعدد	يسترجع	يسمع

(٢) الفهم (الاستيعاب أو الإدراك):

يفسر	يستنتج	يميّز	يترجم
يصنف	يناقش	يوضح	يشرح
يعين	يختصر	يشير	يحول
يتنبأ	يتوقع	يعلل	يستنبط
يستخلص	يشتق	يلخص	يعبر
يفسّر	يكتب	يعمم	يحول
يجد	يؤيد	يفرق	يعطي أمثلة

ثانياً: مجال المهارات الإدراكية:

يراعى في صياغة نواتج تعلم مجال المهارات الإدراكية أن تستخدم الأفعال التي تعبر عن مستويات المعرفة الآتية: التطبيق - التحليل - التركيب - التقويم، ولكل مستوى أفعال تعبر عنه:

(١) التطبيق:

يبرهن	يستخرج	يحسب	يستخدم
يطبق	يوظف	يستعمل	يضرّب
يشغل	يحلّ	يوجد	يصف
يكشف	يرسم	يطور	ينظم
يحضّر	يمثل	يُجري	يعمم

يصنّف	يعدّل	يتنبأ	ينتج
يعالج	يغير	يوضح	يبين

### ٢ التحليل

يحلل	يقارن	يفرق	يفصل
يوازن	يقسّم	يفكّك	يربط
يخطط	يجزئ	يميّز	يفحص
يعزل	يصنّف	يبين	يشير
يرهن	يحدد	يوضح	يستخرج
يضبط	يتعرف	يختار	يفسر

### ٣ التركيب:

يقترح	يؤلف	يكون	يربط
يصوغ	يكتب	يناقش	يتحدث
يضع	يركب	يصمم	يشفق
يكشف	يبتر	يخطط	يعدّل
يصنّف	ينقح	يرتب	يجمع
يشكل	يستخلص	ينتج	يلخص

## ٤) التقويم:

يفند	يحكم	يصدر (حكماً)	ييدي (رأيه)
ينقد	يدافع	يعرب (عن رأيه)	يختار
يجادل	يقوم	يبين	يفاضل
يرتب	يحاور	يدحض	ي ناظر
يقرر	يقدر	يصف	يدعم
يقيم	ي حاجج	يناقش	يوازن
يستخلص	يقارن	يعلل	يبرهن
يميز	يشرح	يبرر	يفسر

## ٥) الابتكار:

كما تم إضافة مجال آخر لمجالات الأهداف السلوكية في الآونة الأخيرة، وهو مجال الابتكار؛ والأفعال التي تعبر عنه هي ما يلي:

يؤلف	يصمم	يكتب موضوعاً	يستحدث
يبتكر	يعدل	يقترح	يخترع

ثالثاً: مجال مهارات التعامل مع الآخرين، والقدرة على تحمّل المسؤولية:

يسهم	يبادر	يتحمّل	يستخدم
يمارس	يتعامل	يتعاون	يتصرف



كما تم تحديد نواتج تعلم محددة في هذا المجال والتي تمثلت في الأهداف السلوكية الآتية لمرحلة البكالوريوس:

□ يسهم في الحلول البناءة للقضايا في المواقف الجماعية سواء أكان في مركز قيادي أم عضواً في جماعة.

□ يمارس قيادة الجماعة في مواقف متنوعة تتطلب استجابات مبتكرة.

□ يبادر في تحديد القضايا التي تتطلب عناية خاصة والتصدي بشكل مناسب لها سواء أكان ذلك بشكل انفرادي أم من خلال العمل الجماعي.

□ يتحمّل مسؤولية تعلمه الذاتي.

□ يحدد وسائل إيجاد المعلومات الجديدة أو أساليب التحليل اللازمة لإنجاز المهام المسندة إليه.

□ يتعامل مع القضايا الأخلاقية والمهنية التي لها علاقة بالقيم والأحكام الأخلاقية بطرق متوافقة مع القيم الأساسية والأخلاقيات المهنية المتعارف عليها.

رابعاً: مجال مهارات الاتصال و المعلومات والمهارات العددية:

يدوم	يعتّن	يتواصل	يحدد
يستعمل	يزاول	يستخدم	يطبق

تم تحديد نواتج تعلم محددة في هذا المجال والتي تمثلت في الأهداف السلوكية الآتية لمرحلة البكالوريوس:

□ يحدد الأساليب الإحصائية والرياضية ذات العلاقة عند دراسة القضايا والمشكلات.

- يطبق الأساليب الإحصائية والرياضية بشكل إبداعي في تفسير المعلومات واقتراح الحلول.
- يتواصل بفعالية شفهاً وكتابياً.
- يستخدم أشكال العرض المناسبة للقضايا المختلفة وللمتلقيين المختلفين.
- يستخدم بشكل معتاد (روتيني) تقنيات المعلومات والاتصالات في جمع، وتفسير، وإيصال المعلومات والأفكار.

خامساً: مجال المهارات الحركية النفسية (إن وجدت):

يقوم	يعمل	يثبت	يؤدي
يقيس	يستخدم	يرسم	يصنع
يبني	يصنع	يحرك	يمثل
يركض	يمدد	يركب	يصلح
ينسق	ينظم	يمسك	يعمل
يستخدم	يعزف	ينفذ	يطبق
يضبط	يطبق	يرتب	يصوب
يجري	يجسّد	يحضّر	يقلد
يشيد	يزن	يفحص	ينفذ
ينشئ	يؤلف	يجمع	يرتب
يخطط	يبدع	يصمم	يُوجد
يصوغ	يجزئ	يركب	يبتكر

ملاحظة:

هناك أفعال ينبغي تجنبها عند صياغة الأهداف السلوكية وهي:

يؤمن	يعتقد	يعرف	يفهم
يعي	يتعلم	يستوعب	يدرك

ثالثاً: توصيف المقرر الدراسي:

وهنا يتم ذكر الموضوعات التي يتناولها المقرر موزعة بحسب الأسابيع الدراسية، والساعات التدريسية لكل لقاء أو محاضرة، مع ذكر تفصيل ما يذكر في كل محاضرة - ويجب أن يكون المقرر أو الكتاب الدراسي موزعاً بهذه الطريقة - كما يتضمن التوصيف إستراتيجية التدريس للمقرر، وطرق التقويم.

رابعاً: مصادر التعلم للمقرر:

وتشتمل على الكتب والمراجع الورقية والإلكترونية والمواد التعليمية التي يتم تدريس المقرر من خلالها.

## المبحث الثاني

### (عرض للمقررات وتحليل)

سيتم في هذا المبحث عرض أهم ما تم الاطلاع عليه من المقررات التي تم اعتماد تدريسها في المؤسسات العلمية، مع مراعاة أن (تدبر القرآن) مقرراً دراسياً لم يعتمد في غالب الجامعات الحكومية، وكثير من المؤسسات التعليمية الخيرية. وقد تم دراسة عدد من المقررات وتحليلها للاطلاع على أهم القضايا التي يجب ملاحظتها في تلك المقررات، كما سيأتي:

## المطلب الأول

### مقرر (أصول التدبر وطرق الاستنباط)

### فيه أكاديمية تفسير للدراسات القرآنية

يُدرس هذا المقرر في المستوى الثاني ضمن برنامج السعدي كأحد البرامج الذي تقدمه الأكاديمية، ويمكن تحليل المقرر كآلي<sup>(١)</sup>:

#### أهداف المقرر:

أولاً: اتساق أهداف المقرر ضمن أهداف البرنامج:

لم أجد أهداف برنامج السعدي منشورة ضمن الموقع الخاص بالبرنامج، حتى يتم تحليل أهداف المقرر ومقارنته بأهداف البرنامج، إلا أن أهداف المقرر تدخل ضمن هدف الأكاديمية العام: (تأهيل مختصين يملكون كفاءة عالية في التفسير وعلوم القرآن الكريم).

#### ثانياً: صياغة الأهداف:

بالنظر إلى أهداف المقرر نجد أن الأهداف هي:

- ١) أن يعرف الطالب معنى مصطلح التدبر والاستنباط.
- ٢) أن يعرف الطالب طرق التدبر وأساليب الاستنباط.
- ٣) يتدرب الطالب على ممارسة التدبر من خلال تطبيق شروط التدبر.

(١) ينظر موقع أكاديمية تفسير على الرابط: <http://tafsiracademy.com/enrol/index.php?id=17>

٤ أن يتدرب الطالب على استنباط المعاني والدلالات من الآيات القرآنية.

٥ أن يتعرف الطالب على الأمور المعينة على التدبر.

٦ أن يعرف الطالب طرق الاستنباط من القرآن الكريم.

٧ أن يكتسب الطالب القدرة على التدبر والاستنباط.

وبتحليل الأهداف نخرج بما يأتي:

□ اشتغال الأهداف على ما لا يمكن قياسه، مثل: (يعرف)، ويمكن الاستعاضة عنه

بـ (يُعرّف)، فيكون الهدف: (أن يُعرّف الطالب مصطلح التدبر والاستنباط)،

فالهدف المشتمل على (يُعرّف) يمكن قياسه، ويمكن سؤال الطالب (عرّف)،

أما (يعرف) فلا يمكن السؤال عنه إلا بـ: (عرّف، عدد، اذكر) مثلاً. فإذا أردنا

أن نقيس إمكانية تحقيق الهدف فإننا نصوغ عليه سؤالاً ثم نجيب، فإذا كان

الجواب هو ما تم تحديده في الهدف الإجرائي فإن الهدف صحيح.

□ اشتملت الأهداف على قياس الفهم والاستيعاب، كما في الهدف الثالث والرابع،

ويمكن صياغة الهدف مباشرة (أن يطبق شروط التدبر)، (أن يستنبط المعاني

والدلالات من الآيات القرآنية).

□ الهدف السادس هدف معرفي، ويمكن جعله هدفاً مهارياً، فيعبر عنه بـ (يطبق)

أو (يبين) طرق الاستنباط.

□ لم تشتمل الأهداف على ما يخص موضوع الانحراف من الاستنباط، ويمكن

إدراج أهداف مهمة في هذا الموضوع، لقياس مهارة التقويم والنقد وغيرها، مثل

أن يقال: (أن يناقش)، أو (أن يفند)، أو (أن ينقد) أسباب الخطأ والانحراف

في الاستنباط.

## توصيف المقرر:

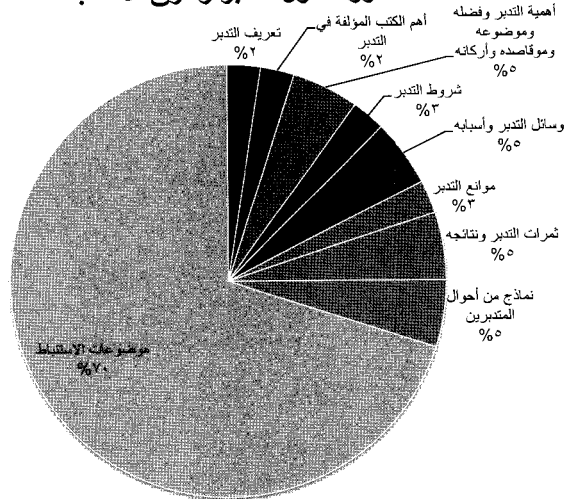
جاء توصيف المقرر بحسب الجدول الآتي:

الموضوع
<ul style="list-style-type: none"> <li>- تعريف التدبير والاستنباط والتفسير لغة واصطلاحاً، وهل هناك فارق بين هذه المصطلحات؟</li> <li>- أهم الكتب المؤلفة في التدبير والاستنباط.</li> <li>- أهمية التدبير، فضله، موضوعه، مقاصده، أركانه.</li> </ul>
<ul style="list-style-type: none"> <li>- هل للتدبير والاستنباط شروط خاصة؟</li> <li>- وسائل التدبير والاستنباط المعينة عليه.</li> <li>- موانع التدبير والاستنباط.</li> </ul>
<ul style="list-style-type: none"> <li>- مظاهر التدبير وعلاماته.</li> <li>- ثمراته ونتائجه.</li> <li>- نماذج من أحوال المتدبرين.</li> </ul>
<ul style="list-style-type: none"> <li>• أقسام الاستنباط.</li> <li>- بالنظر إلى الأمراد والتركيب في النص.</li> <li>- بالنظر إلى المعنى المستنبط.</li> <li>- بالنظر إلى ظهور المعنى وغموضه.</li> </ul>
<ul style="list-style-type: none"> <li>• طرق الاستنباط.</li> <li>- الاستنباط بدلالة الإشارة.</li> <li>- الاستنباط بدلالة النص.</li> <li>- الاستنباط بدلالة المفهوم.</li> <li>- الاستنباط بدلالة الاقتران.</li> <li>- الاستنباط بالمطرود من أساليب القرآن.</li> </ul>
<ul style="list-style-type: none"> <li>• أسباب الانحراف في الاستنباط، مع ضرب الأمثلة عليها:</li> <li>- اعتقاد المعاني ثم حمل الألفاظ عليها.</li> <li>- الخطأ في فهم معنى باطن القرآن.</li> <li>- تقديم العقل على النقل.</li> </ul>

## تحليل الموضوعات:

- اشتملت الموضوعات على مفردات مهمة لموضوع التدبر، بحيث احتوى المقرر على أهم عناصر موضوع التدبر، ويمكن ملاحظة ما يأتي:
- انقسام موضوعات المقرر إلى: (التدبر) و (الاستنباط)، وهو موافق لاسم المقرر: (أصول التدبر وطرق الاستنباط).
- اشتمال الموضوعات على موضوعات تبدأ بصيغة الاستفهام (هل)، والأولى كتابة الموضوع مباشرة، حيث ستقدم المادة العلمية المعدة في هذا الموضوع للطلبة، كبقية عناصر المقرر.
- نصيب موضوع التدبر من المقرر هو النصف تقريباً، بينما يكون النصف الآخر للاستنباط، وهو ذو علاقة قوية بالتدبر.
- الموضوعات المطروحة في التدبر هي:

### مقرر أصول التدبر وطرق الاستنباط





- وهذا يظهر أن موضوعات التدبر للمقرر تشكل تقريباً (٣٠٪) من المقرر، وباقي الموضوعات هو لموضوع الاستنباط.
- كما يلاحظ خلو المقرر من التدريب على التدبر، وهو أمر مهم جداً في التدريب على التدبر، بحيث يُخصص لقاءات للاستماع على نماذج التدبر المعدة من قبل الطلبة، وتقويمها، ليتم التأكد من إدراك الطلبة للموضوع.
- ويلاحظ أن حجم المادة العلمية المقدمة لا يتناسب مع عدد اللقاءات المقررة، فلو استقل موضوع التدبر بمقرر؛ لكان أولى.

#### مصادر التعلم للمقرر:

لم يُنص على المصادر التي يتم استقاء موضوعات المقرر منها، سواءً من المراجع الورقية أو الإلكترونية.

## المطلب الثاني

### مقرر (تدبر القرآن الكريم)

#### معهد أمهات المؤمنين بالأحساء

يُدرس هذا المقرر ضمن مقررات معهد أمهات المؤمنين بالأحساء، ويقبل المعهد خريجات الثانوي والكليات، ويعطي شهادة دبلوم، ومدة الدراسة في المعهد سنتان. ويمكن تحليل المقرر كآتي<sup>(١)</sup>:

#### أهداف المقرر:

لم يُذكر للمقرر أي أهداف! وهو أمر ينبغي علاجه؛ إذ لا يمكن أن يقوم التوصيف إلا بناء على أهداف صحيحة.

#### توصيف المقرر:

جاء توصيف المقرر كآتي:

(مقرر التدبر يسبق الحفظ بحيث تقرأ الآيات أولاً عن طريق القارئ الصوتي ثم يتم بعد ذلك تدبر الربع بالطريقة التالية:

١) مقرر التدبر ليس تفسيراً يرجع فيه لأقوال المفسرين وإنما هو تفعيل للآيات لنقل معانيها للواقع العملي، فكتب التفسير مساعدة وليست أساساً في التدبر.

---

(١) منشور على موقع المعهد في الإنترنت على الرابط:

<http://www.omhat.net/ma3hd/play.php?catsmktba=61>

<http://www.omhat.net/ma3hd/play.php?catsmktba=60>

- ٢) مقرر التدبر يراعى فيه المعنى العام السهل اليسير الذي يظهر عند التأمل والتفكير.
- ٣) تشجيع الدارسة على تدبر القرآن الكريم بتفعيل مشاركتها في استنباط الفوائد، والمشاركة الجماعية في فهم الآيات وإدراك مقاصد السور.
- لتفعيل درس التدبر بطريقة إيجابية تم تقسيم الدارسات إلى مجموعات صغيرة بلغ عددها اثنتي عشرة مجموعة في كل قاعة أربع مجموعات.
- يطلب من كل مجموعة المشاركة في درس التدبر بفوائد تشارك المجموعة في كتابتها وعرضها في درس التدبر.
- لا يطلب من الدارسات الرجوع لشيء من كتب التفسير بل يطلب فهمها وإدراكها السهل لمعاني الآيات.
- الرجوع لكتب التفسير لفهم بيان الكلمات الغريبة، ولمعرفة أسباب النزول، وللتعمق أكثر في فهم الآيات، ويكون ذلك بعد درس التدبر وليس قبله.
- يثار في مقرر التدبر عدد من الأسئلة المحفزة على قوة التدبر ويطلب من المجموعات التفكير الجماعي في الإجابة عنها.
- يعرض على الشاشة أمام الدارسات فوائد عامة من الآيات قبل حفظها لربط الدارسات بالتدبر الحقيقي البعيد عن تعقيدات بعض كتب التفسير والبحوث المطولة البعيدة عن التدبر.
- تقويم مقرر التدبر يعتمد على إجراء بحوث مختصرة تجيب فيه الدارسة عن الأسئلة التي تثار أثناء مقرر التدبر بالرجوع إلى الكتب الآتية<sup>(١)</sup>:

(١) جاء التعريف بطريقة هذه الأبحاث كما يأتي:

- ١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.
- ٢) المفردات في غريب القرآن الكريم.
- ٣) تفسير ابن سعدي، أو غيره من التفاسير المختصرة الميسرة.

### تحليل التوصيف:

بعد النظر في توصيف المقرر يمكن تحليله كما يأتي:

- ليس فيما ذكر توصيفٌ حقيقي للمقرر، وإنما هو ذكر لآلية التدريس في المقرر، وبيان الطريقة التي يتم فيها تناول المقرر بين الطلبة.
- لم يتعرض التوصيف لأي مفردة نظرية في بيان التدبر ومفهومه وأنواعه وغير ذلك من المقدمات النظرية التي تسبق عملية التطبيق والأبحاث من قبل الدراسات.

١. اختيار موضوعات مختصرة ويسيرة.
٢. يعتمد منهج البحث على الاستنباط والفهم والتأمل في الآيات.
٣. تدريب الدارسة على جمع الآيات المتشابهة ودراستها. ٤. جمع الكلمات المتكررة ومعرفة الفرق بينها في المعنى من خلال السياق. ٥. لما كان هدف بحوث مقرر التدبر تكوين ملكة التدبر لدى الدارسة اقتصر في المراجع العلمية على ثلاثة مراجع فقط؛ هي: (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. المفردات في غريب القرآن الكريم. تفسير ابن سعدي، أو غيره من التفاسير المختصرة الميسرة). ٦. تكون مراجعة الكتب السابقة للاستعانة بها في جمع الآيات، ومراجعة ما تم التوصل إليه من فهم الغريب من خلال السياق، ولتقويم ما تم إدراكه وتحصيله. ٧. التركيز على معرفة سياق الآيات من حيث مناسبة الآية لما قبلها، ومناسبتها لموضوع السورة، مع مراعاة السياق العام للآيات؛ وهو هداية الخلق. ٨. تدريب الدارسة على استنباط الفوائد ومعرفة السياق من خلال النظر في الآيات قبل مراجعة أي كتاب من كتب التفسير. ٩. الابتعاد عن الإكثار من النقل عن كتب التفاسير بما لا يحقق الفائدة المرجوة من البحث. انظر الرابط:

60=<http://www.omhat.net/ma3hd/play.php?catsmktba>

□ يتميز المحتوى بالتطبيق والمشاركة والتدريب، فجميع ما تم ذكره عبارة عن تدريب للدراسات وأبحاث يُكلف بها للدراسات، وهو أمر مهم في تعليم التدبر ونشره، إلا أنه يجب أن يسبق ذلك المحتوى النظري للتدبر، الذي يُبنى عليه ذلكم التطبيق والتدريب.

### مصادر التعلم للمقرر:

ذكرت مراجع للأبحاث ولجمع المادة التفسيرية وتقويمها أثناء عملية التدبر، وهي:

- ١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.
  - ٢) المفردات في غريب القرآن الكريم.
  - ٣) تفسير ابن سعدي، أو غيره من التفاسير المختصرة الميسرة.
- وهي مراجع عامة وليست في موضوع التدبر.

## المطلب الثالث

### مقرر (التدبر)

### معهد معلمات القرآن الكريم بمحافظة الزلفي

يُدرس هذا المقرر ضمن مقررات معهد معلمات القرآن الكريم بمحافظة الزلفي. ويمكن تحليل المقرر كآتي<sup>(١)</sup>:

#### أهداف المقرر:

- إدراك أهمية التدبر لكلام الله -جل وعلا-.
- الوقوف على ثمرات التدبر.
- ربط الفوائد والدلالات المستنبطة من الآيات بواقع الدارسات.
- ربط التدبر للآيات بمنهج حفظ القرآن.
- إطلاع الدارسة على أساليب التدبر.

#### تحليل الأهداف:

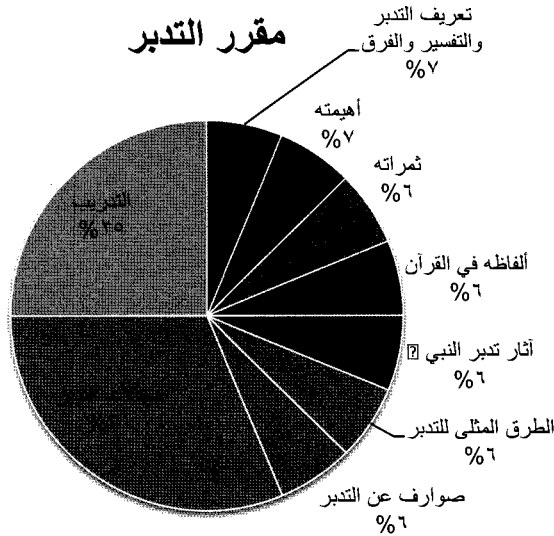
اشتملت الأهداف على ما لا يمكن قياسه، كمثل (إدراك)، (الوقوف)، ولو تم توزيع الأهداف على جميع المجالات المعرفية والمهارية وغيرها لكان أولى، خاصة أن موضوع التدبر بحاجة لعدد من المهارات المتنوعة.

---

(١) منشور على الموقع: <http://www.m3ahed.net/Pages/CenterMethodology>

## توصيف المقرر:

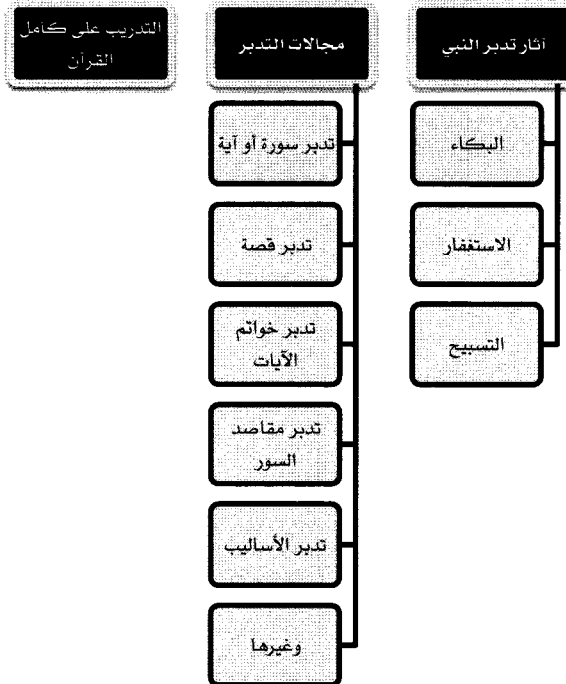
جاء توصيف المقرر كالاتي:



التدريب	مجالات التدبر منها	مقدمات في التدبر
<ul style="list-style-type: none"> <li>- المستوى الأول:</li> <li>• التدبر للآيات من بداية سورة البقرة إلى نهاية سورة الأنعام.</li> </ul>	<ul style="list-style-type: none"> <li>• تدبر السورة كاملة، والآية الواحدة أو أكثر، والموضوع الواحد في السورة الواحدة أو في القرآن كله.</li> </ul>	<ul style="list-style-type: none"> <li>• التدبر، والتفسير، والفرق بينهما.</li> <li>• أهمية تدبر القرآن.</li> <li>• ثمرات تدبر القرآن.</li> </ul>
<ul style="list-style-type: none"> <li>- المستوى الثاني:</li> <li>• التدبر للآيات من بداية سورة الأعراف إلى نهاية سورة الإسراء.</li> </ul>	<ul style="list-style-type: none"> <li>• تدبر القصة القرآنية في سورة واحدة أو في القرآن كله، والأمثال القرآنية، أقسام القرآن، الحوار القرآني.</li> </ul>	<ul style="list-style-type: none"> <li>• ألفاظ التدبر في القرآن.</li> <li>• آثار تدبر النبي ﷺ للقرآن: (بكاؤه، استغفاره، التسبيح،...)</li> </ul>
<ul style="list-style-type: none"> <li>- المستوى الثالث:</li> <li>• التدبر للآيات من بداية سورة الكهف إلى نهاية سورة يس.</li> </ul>	<ul style="list-style-type: none"> <li>• تدبر مواطن الوقف والابتداء، وحواتم الآيات.</li> <li>• تدبر مقاصد السور.</li> </ul>	<ul style="list-style-type: none"> <li>• الطرق المثلى للتدبر ومنها: التكرار، واستجماع الحواطر، والفراغ من الشواغل، واستحضار عظمة منزل القرآن.</li> </ul>
<ul style="list-style-type: none"> <li>- المستوى الرابع:</li> <li>• التدبر للآيات من بداية سورة الصافات إلى نهاية سورة الناس.</li> </ul>	<ul style="list-style-type: none"> <li>• تدبر أساليب القرآن.</li> </ul>	<ul style="list-style-type: none"> <li>• صوارف تحول دون تدبر القرآن.</li> </ul>

## تحليل التوصيف:

- ينقسم التوصيف إلى ثلاثة أجزاء رئيسة هي: (مقدمات التدبر، ومجالاته، والتدريب عليه).
- لم يتم توزيع الجوانب النظرية على المستويات كما فُعل في الجانب التطبيقي، فلا يُعلم ماذا ستدرس الطالبة في المستويات اللاحقة للمستوى الأول سوى التطبيق.
- يُعد التوصيف من أجود التوصيفات التي تُدرس في هيئة علمية، وقد اشتمل على الجانبين: النظري والتطبيقي، وتميز التوصيف بدراسة موضوعات لم تُذكر في توصيفات أخرى، ومنها:





### مصادر التعلم للمقرر:

- ١) مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر.
  - ٢) من أجل تدبر القرآن.
  - ٣) مفاتيح تدبر القرآن.
  - ٤) قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل.
  - ٥) ختم الآيات بأسماء الله الحسنى ودلالاتها.
- والمصادر مفيدة في موضوع التدبر، ولكنها غير مستوفية لجميع المفردات.

## المطلب الرابع

### مقرر تدبر القرآن الكريم للتعليم العالي

#### د. محمد العواجي

ويمكن تحليل المقرر كآلاتي<sup>(١)</sup>:

#### أهداف المقرر:

- ١) أن يتعرف على مفهوم التدبر وعلاقته بالمصطلحات القرآنية الأخرى.
- ٢) أن يتعرف على التدبر الصحيح في القرآن الكريم وثمراته، وعوائق التدبر.
- ٣) أن يكون قادراً على البحث والكتابة وإنتاج مادة في التدبر بأسلوب علمي.
- ٤) أن يستطيع استنتاج مناهج وأساليب العلماء في التدبر، ونقد الخاطئ.
- ٥) أن يتعرف على أساليب القرآن المعينة على التدبر.
- ٦) أن يتقن مهارات التدبر والمدارسة وأنواعها.
- ٧) أن يكون قادراً على ممارسة التربية من خلال المنهج القرآني.
- ٨) أن يمارس تدبر القرآن ويتدارسه مع غيره على بعض السور والآيات.
- ٩) تنمية ملكته وقدرته على التدبر وربط الحياة بمعاني الآيات المباشرة.

---

(١) منشور على الموقع:

## توصيف المقرر:

جاء التوصيف مقسماً على ثلاثة أجزاء، مشتملاً على كم كبير من الموضوعات في مجال التدبر، ويمكن بيان التوصيف في الجدول الآتي<sup>(١)</sup>:

مفهوم التدبر (٨) معايير	منهجية التدبر (٩) معايير	تقويم منهج التدبر (١١) معياراً
١. مفهوم التدبر في اللغة والاصطلاح (٢)	١. المخاطبون بالتدبر (٣)	١. المنهج النبوي في تدبر القرآن. (٦)
٢. مقارنة المفهوم والعلاقة بين المصطلحات والمفاهيم القريبة من معنى (التدبر) (٨)	٢. أنواع تدبر القرآن الكريم (١)	٢. منهج السلف الصالح في تلقي القرآن وتدبره (٩).
٣. حقيقة تدبر القرآن الكريم (٥)	٣. واجبات تدبر القرآن الكريم (١)	٣. من وسائل تدبر القرآن الكريم عند السلف الصالح. (٤)
٤. فضل التدبر (٣)	٤. مراحل التدبر (٤)	٤. من آثار تدبر القرآن الكريم عند السلف الصالح (٥)
٥. حكم تدبر القرآن الكريم (١)	٥. درجات التدبر (٣)	٥. نماذج من تدبر النبي صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح. (٣)
٦. أهمية التدبر (١٢)	٦. وسائل التدبر: أولاً: وسائل التدبر؛ تهئية القلب قبل البدء في التلاوة والتدبر (١٥) ثانياً: وسائل التدبر الإجرائية (٨) ثالثاً: وسائل التدبر المنهجية (١٠)	٦. نماذج عامة للتدبر (٤)
٧. مقاصد التدبر (٦)	٧. رابعاً: طرق التدبر المعينة على تجديد المعاني (٦)	٧. موانع التدبر: أ- موانع شخصية. (١٠) ب- موانع أسرية واجتماعية. (٦) ج- موانع منهجية (٥)
٨. أثر تدبر القرآن (٥)	٨. خامساً: تفعيل وسائل التدبر الإدراكية في النفس (٤)	٨. أسباب الفهم الخاطيء في تدبر القرآن. (١١)
	٩. سادساً: وسائل الحفاظ وتنمية التدبر. (٥)	٩. نتائج الفهم الخاطيء في تدبر القرآن. (٦)
	١٠. الأسباب المعينة على التدبر (٧)	١٠. أمثلة للفهم الخاطيء في تدبر القرآن الكريم. (٥)
	١١. مجالات تدبر القرآن. (٣)	١١. سبل الوقاية والعلاج من الفهم الخاطيء في التدبر (٨)
	١٢. انضباط التدبر من خلال سمات مقاصد القرآن الكريم الأساسية. (٤)	

(١) وضعت أمام كل معيار رقماً يدل على عدد الموضوعات المدرجة تحته.

عدد الموضوعات = ٨٢	عدد الموضوعات = ٧٤	عدد الموضوعات = ٤٢
		مجموع عدد العناصر التي ستدرس = ١٩٨ موضوعاً

### تحليل التوصيف:

□ يشتمل التوصيف على كم كبير من الموضوعات المهمة التي وضعت لتيسير مفهوم التدبر وبيانه، وإيضاح المنهج الصحيح فيه، وتقويمه. بلغ عدد هذه المفردات: (١٩٨) مفردة يدرسها الطالب، موزعة على (١٣) أسبوعاً دراسياً بمعدل (٣) ساعات في كل أسبوع، أي أن على الطالب دراسة (١٥) مفردة من مفردات المقرر في كل أسبوع دراسي، وهو كم كبير يتلقاه الطالب بمعدل (٥) موضوعات جديدة في كل ساعة، وعلى سبيل المثال يدرس الطالب موضوع: (المنهج النبوي في تدبر القرآن) في ساعة واحدة، ويشتمل الموضوع على:

- (١) أهمية المنهج النبوي في التدبر.
- (٢) ترتيب القرآن.
- (٣) الترسل في القراءة.
- (٤) تحسين الصوت بالقرآن.
- (٥) الجهر بالقراءة.
- (٦) إطالة القراءة.

□ وبالنظر إلى طرق التدريس المذكورة في وثيقة المقرر التي تشتمل على عدد من الطرق منها: الحوار والمناقشة، والتدريس عن طريق مجموعات، وعرض بعض التقارير والبحوث، والتعلم الذاتي، والتعلم التعاوني؛ نجد أنه لا يمكن استعراض هذه الموضوعات في لقاء واحد، إلا بالتخلي عن هذه الطرق في التدريس.

□ أقترح أن يتم توزيع المقرر على مقررین لیتم دراسة الموضوعات بحسب طرق التدريس المذكورة.

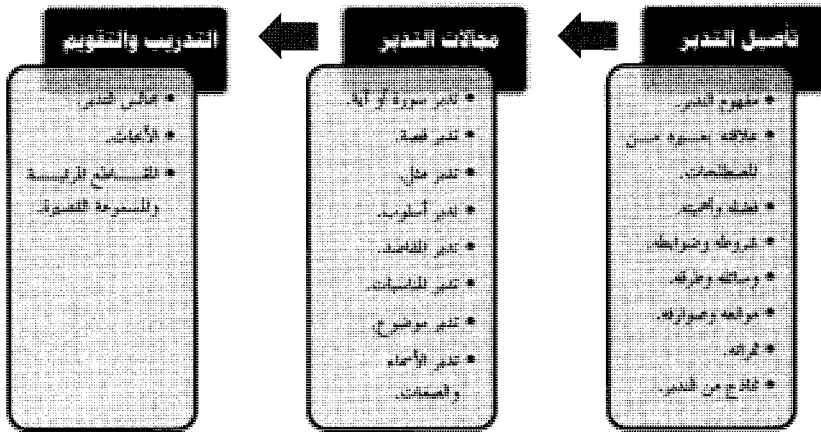
### مصادر التعلم للمقرر:

تنوعت مصادر المقرر في عدد كبير من المراجع ليتناسب مع طبيعة المرحلة التي يتم الدراسة فيها، وهي مرحلة الدراسات العليا.

## المطلب الخامس

### (مخطط عام لمقررات التدبر)

بعد تأمل ما سبق من المقررات والمناهج المصوغة في عدد من المؤسسات التعليمية، فإنه يمكن الخروج بمخطط عام لأهم ما يمكن دراسته في موضوع التدبر، بعيداً عن التفاصيل الداخلية لكل مفردة.



وهذه الأجزاء الثلاثة تجيب على أسئلة مهمة ثلاثة هي:



وعليه فإن المتعلم بحاجة ليتعرف على التدبر وماهيته ومفهومه وكيفية، ثم ينطلق بعد ذلك ليعرف ماذا يتدبر؟ قصة أو موضوعاً أو آية أو سورة، أو غير ذلك، ثم يطبق بنفسه ليلم تقويم تدبره وتوجيهه والتأكد من كونه قد نجح في فهم كيف يتدبر القرآن الكريم؟.

## المبحث الثالث

### تجربة تدريس مقرر أصول التدبر

وفيما يأتي تجربة تدريس مقرر أصول تدبر القرآن الكريم، وهو أول مقرر يُدرس في الجامعات - بحسب علمي، يختص بهذا الموضوع، وبهذا العنوان، حيث تم إقراره ضمن مواد مرحلة الماجستير في قسم الدراسات القرآنية بجامعة طيبة، وأُسندَ إليّ تدريسه أول مُدَرِّسٍ له، مما دعاني إلى بذل الجهد في ابتكار تدريسه بطريقة تحقق الغاية منه، وتُبعده عن كونه مجرد مقرر يحفظ ويمتحن فيه.

وقد كانت الحاجة ماسةً لتأصيل علم تدبر القرآن الكريم، والعناية به مع وجود المؤسسات التي أسست لأجل بثّ مفهوم التدبر، ولفت أنظار الناس للعناية به، وإجراء الأبحاث العلمية لتأصيل مفهومه وتحديدته والتفرقة بينه وبين غيره من المصطلحات كالتفسير والاستنباط والتأويل وغيرها.

وقد رأى قسم الدراسات القرآنية بجامعة طيبة، ضرورة مشاركة المتخصصين في الأقسام الأكاديمية، في العناية بهذا الموضوع، ودراسته دراسة علمية من خلال القاعات الدراسية في مرحلة الماجستير التي تتسم بالنقاش والتشاور العلمي، وقد وافق ذلك توجه الجامعة إلى إعادة صياغة مقررات الأقسام الأكاديمية، فتم اقتراح مادة (أصول التدبر) ضمن مقررات مرحلة.

## مفردات المقرر ومواضيعه:

الجوانب النظرية	التطبيق	نماذج لآيات يتم التطبيق عليها
١ - تعريف التدبر.	يتم التطبيق على آيات مختارة من كتاب الله تعالى بحيث يتناول الأستاذ مع طلابه تحليل هذه الآيات وتدبرها واستخراج ما فيها من حكم وأحكام وعبر وعظات من خلال المحاور التالية:	- التأمل في سورة الفاتحة، وعلاقتها بالكتب السابقة وبالقرآن الكريم وكونها أول سورة في القرآن، وما تضمنته من معان عظيمة مهما تأمل العبد فيها فإنه يعجز عن إدراك بعضها. ويسترشد في ذلك بما كتبه ابن القيم رحمه الله في مدارج السالكين.
٢ - الفرق بين التدبر والتفكير والنظر والاستنباط.	- تفسير الآية بالمأثور ويشمل.	- التأمل في سورة المائدة.
٣ - الفرق بين التدبر والتفسير بالرأي.	- تفسير الآية بالمنقول عن الصحابة والتابعين.	- التأمل في سورة محمد.
٤ - فضل هذا العلم وامتداح الله ورسوله لأهله، فهم أهل التأويل وهم الذين يعقلون الأمثال ويفهمون دقائقها فسامهم العالمون.	- معنى المفردات التي تتكون منها الآية في لغة العرب والرجوع إلى أصل اشتقاق هذه المفردات وأثر العلاقة من حيث المعنى بين الألفاظ المشتقة من هذا الأصل، وأثر ذلك في التفسير، والخروج بطيف واسع من المعاني التي تحتملها الآية، ثم يبدأ الأستاذ مع طلابه بتحرير هذه المعاني المحتملة، وتمييز ما يصلح منها وما لا يصلح حسب الضوابط المعتبرة. على ضوء ما اشترطه أهل العلم للتفسير بالرأي.	- التأمل في سورة الممتحنة.
٥ - الآيات والأحاديث الواردة في التدبر والتفكير.		- التأمل في سورة التغابن.
٦ - أنواع المعاني في القرآن من حيث الخفاء والوضوح والحكمة في ذلك.		- التأمل في سورة المطففين.
٧ - طريقة السلف في التدبر والتفهم وتعلم القرآن. وقصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث تعلم سورة البقرة في عشر سنين، نموذجاً، وعبد الله ابنه في ثماني سنين.		- التأمل في سورة الليل.
٨ - الركائز التي يقوم عليها التدبر:		- التأمل في سورة الإخلاص.
- معرفة الوارد عن السلف في التفسير.	- ما يؤخذ من الآيات من أحكام فقهية.	- التأمل في آيات المنافقين في أول البقرة والنساء والمائدة والتوبة والحشر والمنافقون.
- فهم لغة العرب والأصول التي يتركب منها كلامهم، وتراكيب الجملة، والأدوات التي يستخدمها القرآن ومعانيها.	- ما يؤخذ من توجيهات وآداب وسلوك وأخلاق وقيم.	
- الإدراك الكامل للقواعد الأصولية والترجيحية التفسيرية.	- ما يؤخذ من بلاغة وتركيب.	
- المعرفة بمقاصد الشريعة وكلياتها، وما تقتضيه عومات الأدلة.	- ما يؤخذ من دلائل الإعجاز.	
- معرفة المناسبات وترابط الآيات والصور ومواضيع السور وأثر ذلك في التفسير.	- ما يؤخذ من حكم وأمثال وعظات.	
تحديد المواضيع الرئيسية للقرآن.	- ما يؤخذ من تعظيم وإجلال وصفات أو رغبة أو رهبة لله عز وجل.	



### الطريقة فيه تدريسه وعمل الامتحان الخاص به:

كان من أهم التنبيهات التي ذكرتها للطلاب والطالبات في أولى محاضرات هذا المقرر الخوف من أن يتحول المقرر من كونه جانباً تطبيقياً قلبياً يثمر العمل والاتباع إلى كونه مادة يتم حفظها واستظهارها لأجل الاختبار بها.

ولأجل البعد عن هذا المحذور تم تقسيم طريقة التدريس فيه بالمشاركة مع الطلاب والطالبات، بحيث تكون طريقة التدريس كالاتي:

□ يتم تقديم المواد النظرية التأصيلية الأولى من قبل أستاذ المقرر، ويشارك الطلاب والطالبات في تحرير ما يتم إلقاؤه وإبداء وجهة النظر حوله.

□ يتم التوسع في ضرب الأمثلة لكل جانب نظري من عدد من آيات القرآن الكريم.

□ يتم تكليف الطلاب والطالبات بإعداد مواد تدبرية لآيات يختارونها، ولا يُشترط عدد معين من الآيات، فقد يقتصر طالب على ثلاث آيات، بينما يتناول آخر ما يزيد على عشر آيات.

□ يتم إلقاء المواد التدبرية أثناء المحاضرات، وإعطاء كل مادة (٢٠) دقيقة، ثم يتم التعليق عليها أولاً من قبل أستاذ المادة ببيان أبرز الجوانب التدبرية المذكورة في المادة، وأهم ميزاتهما، والملحوظات العلمية حولها، ثم يتم التعليق عليها من قبل الطلبة لبيان الأمور السابق ذكرها.

□ تم توجيه الطلاب والطالبات للاستعانة بالمواد المرئية والمسموعة وعمل العروض الفلاشية للمساعدة في عملية التدبر للآيات، وعرضها ضمن المادة التي كُلفوا بها.

□ تم توجيه الطلبة لضرورة أن تكون صياغة المادة التدبرية من قبلهم كاملةً وبأسلوبهم الخاص، للتدريب على التدبر، واكتشاف قدراتهم في هذا الموضوع.

□ وقد تم الحفاظ على روح التدبر أثناء المحاضرات، والبعد عن التلقي فقط، مما أثر على الطلاب والطالبات أثناء المحاضرات، وظهر ذلك في التأثر أثناء إلقاءهم لموادهم أو الاستماع لمواد زملائهم، وإبداء ذلك في نهاية المحاضرات.

وأما طريقة الاختبار التي رأيت أنها تحقق المقصود منه:

فقد قسمت الاختبار في المادة إلى قسمين:

الأول: وضع أسئلة عن الجوانب النظرية في أصول التدبر، كتعريفه وشروطه والأسباب المعينة عليه.

الثاني: عمل تطبيق مباشر لآيات لم يتم تحضير تدبرها من قبل الطلاب والطالبات، بحيث يُكتب للطلبة آيات معينة ويُطلب من الجميع كتابة تدبراتهم لهذه الآيات، ويتم تقويم ذلك في ضوء ما درسوه من المقرر ومدى استيعابهم للفرق بين التدبر والتفسير.

**علاقة المقرر بمقررات التخصص الأخرى:**

لا شك أن تدبر القرآن الكريم ذو علاقة وثيقة بمواد التخصص في الدراسات القرآنية. ويمكن الإشارة إلى العلاقة كما يأتي:

- ١) علاقته بالتفسير: فالتدبر الصحيح لا يكون إلا بعد معرفة التفسير.
- ٢) علاقته بعلوم القرآن: فالتدبر هو ثمرة دراسة علوم القرآن وتطبيقها على كتاب الله سبحانه وتعالى.
- ٣) علاقته بالاستنباط: لا يكون الاستنباط إلا بعد التدبر والتأمل للقرآن الكريم. فالاستنباط مبني على التدبر.

## محاذير عند تدريس المقرر:

إن موضوع تدبر القرآن ينبغي أن يُعنى به طلاب العلم تحقيقاً للغرض الذي أنزل لأجله القرآن الكريم: ﴿ كَتَبْنَا إِلَيْكَ مَبْرُوكًا لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [ص]، إذ هو بوابة الإيمان وسبيل الاتباع لشرع الله سبحانه وتعالى، ولأجل ذلك فإنه ينبغي التنبيه والحذر مما يأتي أثناء تدريس المقرر:

(١) الحذر من تحويل المقرر إلى مادة جافة يُقصد منها مجرد الحفظ لأجل الاجتياز فقط. وذلك بأن تكون المحاضرات لمجرد التحرير للمصطلحات والأقسام وذكر الخلافات بينها.

(٢) الحذر من التنظير فقط دون ضرب الأمثلة: فإن مجرد التحليل النظري لهذا المقرر لا يكفي، بل لابد من ذكر الأمثلة سواء كانت منقولة عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم من العلماء رضي الله عنهم ورحمهم، أو كانت أمثلة يتم ضربها من قبل الطلاب والطالبات من باب التدريب على تدبر القرآن الكريم.

(٣) ينبغي أن لا يفهم الدارسون للمقرر أن ما يقومون به من أبحاث؛ هو عبارة عن مسائل يتم تحريرها من كتب التفسير، بل المقصود أن يقف الدارس مع الآيات وقفات تدبرية يصوغها هو بأسلوبه، فتكون نتيجة تأملاته لآيات القرآن الكريم، ثم يقوم بإلقائها أمام زملائه، مستشعراً ضرورة نقل المستمعين بالأساليب المختلفة لتذوق حلاوة تدبر القرآن الكريم، بحيث يستخدم المواد المسموعة والمرئية المناسبة أثناء إلقاءه للمادة المحاضرة.

(٤) ينبغي ألا يُدرّس المقرر إلا من له عناية بالوقوف مع آيات القرآن الكريم، واستلهاهم العبر والعظات منها، وله القدرة في إيصال روح التدبر إلى الدارسين.

## الخاتمة

وفي ختام هذه الورقة المختصرة في هذا الموضوع، أشكر الله سبحانه وتعالى الذي يسر لي تدريس هذا المقرر والعناية به، وكتابة بعض الأبحاث النظرية فيه، إذ هو تحقيق لغاية إنزال كتاب الله سبحانه وتعالى على خلقه، وأوصي بهذه الوصاية العلمية:

(١) عدم الإغراق في الجوانب النظرية في موضوع تدبر القرآن الكريم، فالهدف منه العمل والاتباع، وزيادة الإيمان، وهو المطلوب في كل محاضرة يتم إلقاؤها على الدارسين له.

(٢) الاستفادة من كتب السير والطبقات في استخراج الأمثلة التطبيقية لهذا الموضوع.

(٣) عدم إرهاب الدارسين بالأبحاث الكثيرة أثناء تدريسه، بل المقصود أن يركز الباحث جهده على صياغة مادة تدريبية لآيات هو يختارها، ويحقق معنى التدبر فيها.

(٤) تأخير تكليف الدارسين بالأبحاث إلى ما بعد تحقق التصور الصحيح لديهم لمفهوم التدبر والفرق بينه وبين التفسير حتى لا يتم الخلط بينهما أثناء كتابة الأبحاث التدريبية.

والله سبحانه وتعالى أعلم وهو الموفق لكل خير،،

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين

# المؤلفات فيه التدبر قراءة وتحليل

## الكتب النظرية

نماذج من كتب الإصلاح والتصحيح عرضاً ونقداً

إعداد

د. محمد بن عبد الجواد بن محمد الصاوي

---



## السيرة الذاتية للباحث

- « الإسم: د. محمد بن عبد الجواد بن محمد الصاوي.  
الجنسية: سعودي.  
« المؤهل العلمي: الدكتوراه.  
« التخصص الدقيق: التفسير وعلوم القرآن.  
« المسمى الوظيفي: مستشار وباحث علمي.  
« جهة العمل: حكمة المعرفة للاستشارات - مكتب الفارس للمحاماة - بجدة  
« البريد الإلكتروني: Sawi40@hotmail.com  
« المؤهلات العلمية:
- دكتوراه في التفسير وعلوم القرآن من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - ١٤٣٦ هـ.  
- ماجستير في تفسير وعلوم القرآن من جامعة أم القرى بمكة المكرمة - ١٤٢٩ هـ.  
- بكالوريوس من كلية الشريعة فرع جامعة الإمام محمد بن سعود بالقصيم - ١٤٢١ هـ.  
« الخبرات العملية:
- باحث علمي ومعد مواد علمية - مؤسسة بينات للإنتاج بالقصيم - ١٤٢١-١٤٢٣ هـ.  
- باحث علمي - مؤسسة دار الهداة للنشر والإنتاج - ١٤٢٣-١٤٢٥ هـ.  
- مشرف تربوي - جمعية القرآن الكريم بجدة - ١٤٢٣-١٤٢٥ هـ.  
- مستشار - مجموعة السنيدي للاستشارات والمحاماة - ١٤٣٠-١٤٣٢ هـ.  
- مستشار - حكمة المعرفة للاستشارات - ١٤٣٣-١٤٣٦ هـ

## « البحوث والأنشطة العلمية:

- أقوال عطاء الخراساني في التفسير جمعاً ودراسة مقارنة من الكهف إلى الناس (رسالة ماجستير).
- تدبر القرآن الكريم دراسة تأصيلية (رسالة الدكتوراه).

## « الكتب والمؤلفات:

- تحقيق كتاب: بهجة قلوب الأبرار للشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله.
- أنج بنفسك (٣٠ وسيلة للنجاة من الفتن) قيد النشر.-

## « التدريب والأعمال التطوعية:

- تقديم عدد من الحلقات التلفزيونية الدعوية في قناة دليل عام ١٤٢٩هـ.
- الكتابة الصحفية في جريدة البلاد عام ١٤٢١-١٤٢٢هـ.
- إصدار شريط منوع عنوانه: (من المسؤول؟) يناقش العديد من الأمور التربوية الهادفة.
- الاستشارات المكتوبة لموقع الإسلام سؤال وجواب بإشراف الشيخ/ محمد المنجد
- المشرف على مندوبية الدعوة والإرشاد بحي الشرفية بجدة ١٤٢٥-١٤٢٨هـ.

## « المؤتمرات العلمية والبرامج التدريبية التي شارك فيها:

- الدعم الديني للمرضى بإشراف وزارة الصحة - ١٤٣٤/٢ هـ.
- المؤتمر العالمي الأول لتدبر القرآن الكريم في الدوحة- قطر - ١٤٣٤ هـ.
- دورة تدريب المدربين - مركز كن سعيداً للاستشارات - ١٤٢٩ هـ.
- مهارات القيادة المتميزة - معهد يوسف ناغي للتدريب - ١٤٣١ هـ.
- تحليل الشخصية من خلال الكتابة اليدوية - ١٤٣٢ هـ.



## المقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، والصلاة والسلام  
الأتمان الأكملان على المبعوث رحمة للعالمين، نبينا وقودتنا وإمامنا محمد وعلى آله  
وصحبه أجمعين.. أما بعد:

فإن من تأمل بعين البصيرة في أحوال العرب قبل بعثة سيد ولد آدم نبينا محمد  
ﷺ، وما كانوا عليه من الجهل والقتل والظلم والعدوان، وما عاشوه من انحراف عن  
الفطرة السليمة، وعبودية غير الله، ثم أرجع بصره متأملاً في أحوال أولئك العرب  
أنفسهم بعد برهة زمنية قصيرة حين تنوروا بنور الإسلام، وتخلّقوا بأخلاق القرآن  
عرف البؤس الشاسع، والفرق الهائل الذي أحدثه هذا الكتاب العظيم في نفوسهم، حتى  
صاروا قادة الأمم، وأئمة الدنيا.

ولما كان التدبر عبادة عظيمة الأثر جليلة القدر؛ رتب الله سبحانه عليه الانتفاع  
بالقرآن، والتذكُّر به في نحو قوله تعالى: ﴿ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ  
أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [ص: ٢٩].

ولا زال أهل العلم والفضل من لدن رسول الله ﷺ وحتى يومنا هذا يكتبون عن  
التدبر في كتبهم ومؤلفاتهم في التفسير وغيره.

وقد اعتنى المعاصرون بإفراد موضوع التدبر في دراسات مستقلة، وكتبوا فيه كتباً  
ورسائل نظرية متنوعة، تناولوه من جوانب عديدة، منها: العناية بالتدبر في الإصلاح  
وتصحيح المسار، وربما وقع في هذه المصنفات شيء من التكلف أو عدم وضوح  
المقصود، أو دخل عليها بعض الدخيل؛ مما جعل لزاماً على الباحثين والمعتنين بالتدبر  
دراسة هذا الأمر، والعناية به، وتقويمه، وتصحيح مساره.

وسأتناول في هذه الورقة عرض كتب يسيرة منتقاة من كتب الإصلاح والتصحيح،  
ببيان أبرز الإيجابيات والسلبيات، وملاحظاتي على كل كتاب، من خلال المباحث  
التالية:

المبحث الأول: أهمية كتب التدبر والدراسات فيه.

المبحث الثاني: عرض لأبرز كتب الإصلاح والتصحيح.

المبحث الثالث: توصيات في توجيه التدبر للإصلاح والتصحيح.

أسأل الله أن ينفع بهذا العمل كاتبه وقارئه، وأن يجعله خالصاً صواباً يسرني يوم  
القيامة أن أراه في صحيفة عملي.

والحمد لله رب العالمين..

الباحث

## المبحث الأول

### أهمية كتب التدبر والدراسات فيه

التدبر، هو: التأمل الدؤوب، والنظر الثاقب، والتفكير في الآيات، للاهتمام بما دلّت عليه علماً وعملاً، والارتقاء بذلك<sup>(١)</sup>.

وتبرز أهمية التأليف في التدبر من أهمية الموضوع نفسه.

فلمّا كان القرآن الكريم هو هادي البشرية ومرشدها، ونور الحياة ودستورها، ولم يترك شيئاً يحتاجه البشر وفيه علاج لقلوبهم وأبدانهم؛ إلا وبينه الله فيه نصاً أو إشارة أو إيماءً، علّمه مَنْ علّمه، وجهله من جهله؛ كانت الكتابة في تدبره سبيلاً موصلاً إلى ذلك، وفتحاً لآفاق الفهم والتطبيق والعمل.

ومع ضعف الأمة وتأخرها؛ تراجع الاهتمام بالقرآن وتدبره وانحسر، واقتصر الأمر عند غالب المسلمين على حفظه وتجويده وتلاوته فقط دون تدبر ولا فهم لمعانيه ومراداته، وترتّب على ذلك ترك العمل به أو التقصير في ذلك، فمرّضت القلوب واعتلّت، وظهرت الأمراض النفسية والجسدية التي لم تُعرَف من قبل، مما جعل الكتابة والتأليف في الإصلاح والتصحيح من خلال تدبر القرآن أمراً في غاية الأهمية، ونبراساً يضيء الطريق للبشرية.

وإنّ الهدف من تصنيف أي كتاب يتوقّف على موضوعه، وإنّ موضوع القرآن الأساس هو هداية البشرية إلى منهج الله تعالى الذي اختاره لها، وكانت قراءته من أهم ما حرص المسلمون على تعلّمه وتعليمه والمداومة عليه.

(١) سبق أن اخترت هذا التعريف في أطروحة الدكتوراه: (تدبر القرآن الكريم دراسة تأصيلية).

ومما يبرز أهمية الكتابة في التدبُّر والتأليف فيه:

(١) أنه سبيل وطريق للتفكُّر والتذكُّر بالقرآن الكريم وبأخباره، قال تعالى:

﴿فَأَقْصِبْ أَلْقَصَبَ أَلْعَبِمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (١٧٦) [الأعراف: ١٧٦]، وقال سبحانه:

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا

نَهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (٥٢) [الشورى: ٥٢].

فحثنا على التفكُّر فيه، وحرَّضنا على الاستنباط والتدبُّر، وأمرنا بالاعتبار لنتسابق

إلى إدراك أحكامه، وننال درجة المستنبطين والعلماء الناظرين<sup>(١)</sup>.

(٢) تحصيل الخيرية التي أخبر عنها النبي ﷺ.

فالتأليف في التدبُّر داخل في حديث عُثْمَانَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

«خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»<sup>(٢)</sup>.

والكتابة في التدبُّر سبيل لإصلاح القلوب والأبدان، ووسيلة لأخذ القرآن بحقِّه،

وربط العالم به علماً وعملاً وسلوكاً.

(٣) تحصيل العلم النافع والعمل الصالح: فهذا مقصد مهم، وهو من مقاصد

إنزال القرآن، والأمر بقراءته، بل ومن ترتيب الخواب على القراءة، قال الله

تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (٣٧)

[ق: ٣٧].

(١) انظر: أحكام القرآن للجصاص (٤/٣٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه برقم: (٥٠٢٧) في كتاب فضائل القرآن، باب «خيركم من تعلم القرآن

وعلمه». من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: (إذا أردتم العلم فأثيروا القرآن؛ فإنّ فيه خير الأولين والآخرين)<sup>(١)</sup>.

وتحقيق قراءة القرآن للفقهِ والعمل يحصل بالكتابة فيه ونشر ثقافته؛ فالهدف الأساس من قراءة القرآن؛ التفهّم للمعاني التي تضمّنتها الآيات الكريمة، وتطبيق ما فيها من أحكام.

وقد كان رسول الله ﷺ إذا أسلم الرجل أمره بقراءة القرآن قبل كل شيء<sup>(٢)</sup>، وقال للصحابة: «فَقَهُوا أَحَاكُمُ فِي دِينِهِ وَأَقْرَبُوهُ الْقُرْآنَ»<sup>(٣)</sup>، لأنّ القرآن الكريم هو الأصل الأول لتصحيح العقيدة ومعرفة الأحكام والآداب، والسنة مبينة لما تضمّنه القرآن.

٤) أثير التدبر الواضح في إصلاح الفرد، وتصحيح مساره في الحياة.

فكم أثر القرآن تأثيراً عظيماً في نفوس مستمعيه، وأخذ بنواصي المتدبرين إلى النور والهداية وسلوك الطريق القويم، ومن ذلك:

- حين سمعته الجن: ﴿فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا مَّجْبَاً ۖ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ﴾

[الجن: ١-٢].

- ولما خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه يريد قتل رسول الله ﷺ، سار إلى دار أخته وهي تقرأ سورة طه، فلما وقع في سمعه القرآن لم يلبث أن آمن، قال رضي الله

(١) أخرجه عنه ابن المبارك في الزهد (٢٨٠)، والقاسم بن سلام في فضائل القرآن (٩٦)، والمروزي في مختصر قيام الليل (١٧٣)، والفريابي في فضائل القرآن (١٨١).

(٢) انظر: الوسيلة إلى كشف العقيلة للسخاوي (٣٢)، ولم أقف عليه عند غيره.

(٣) حسن. أخرجه ابن هشام في السيرة (١/٦٦٢)، والطبري في تاريخ الرسل والملوك (٢/٤٧٤)، والطبراني في المعجم الكبير (١٧/٥٨)، وأبو نعيم في دلائل النبوة (١/٤٧٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/٢٨٦): (رواه الطبراني مرسلًا وإسناده جيد).

عنه: (فلما سمعتُ القرآن رَقِّ له قلبي فبكيت، ودخلي الإسلام)<sup>(١)</sup>.

- وبعث الملائكة من قريش عتبة بن ربيعة إلى رسول الله ﷺ ليوافقوه على أمور أرسلوه بها، فقرأ عليه رسول الله ﷺ آيات من حم السجدة، فقام عتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به<sup>(٢)</sup>.

وكلُّ من طالع القرآن الكريم قد أحسَّ بشيء من هذا التأثير والسلطان الآسر لكلام الله عز وجل، وهو سرٌّ من أسرار القرآن باقٍ ما بقيت السماوات والأرض.

قال السعدي رحمه الله (١٣٧٦هـ): (فإنَّ تدبُّر كتاب الله مفتاح للعلوم والمعارف، وبه يستنتج كلُّ خير، وتستخرج منه جميع العلوم، وبه يزداد الإيمان في القلب، وترسخ شجرته، فإنه يعرَّف بالرب المعبود، وما له من صفات الكمال؛ وما ينزه عنه من سمات النقص، ويعرَّف الطريق الموصلة إليه وصفة أهلها، وما لهم عند القدوم عليه، ويعرَّف العدو الذي هو العدو على الحقيقة، والطريق الموصلة إلى العذاب، وصفة أهلها، وما لهم عند وجود أسباب العقاب، وكلما ازداد العبد تأملاً فيه ازداد علماً وعملاً وبصيرة، لذلك أمر الله بذلك وحثَّ عليه وأخبر أنه هو المقصود بإنزال القرآن كما قال تعالى: ﴿ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [ص: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَنْزَلَ عَلَى قُلُوبِ أَقْفَالِهَا ﴾ [محمد: ٢٤]<sup>(٣)</sup>.

إنَّ تدبُّر القرآن الكريم حاجز للإنسان عن أمراض الشبهات والشكوك، وعن مقارفة الشهوات والذنوب والكبائر والموبقات والفواحش، وخير حادٍ للإنسان أن

(١) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (١/٣٤٧)، فضائل الصحابة للإمام أحمد بن حنبل (١/٢٨٣).

(٢) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (١/٢٩٤)، دلائل النبوة للبيهقي (٢/٢٠٥)، السيرة النبوية لابن كثير (١/٥٠٤).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (١٨٩).

يفطم نفسه عنها، ولو وقع فيها ألا يستمرئها؛ بل يسرع النهوض والانفكاك إلى الله؛ لأنَّ الله تعالى وعده على ذلك بأن يعقبه لذة دائمة في الدنيا والآخرة: ﴿وَعَدَّ الصِّدْقَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ [١٦] ﴿[الأحقاف: ١٦].

وتدبر القرآن حاجز مهم عن النفاق، وفاضح لفساد المنافقين وإفسادهم، ومانع للحسد والحقد والغل والكراهية، وسبيل لطهارة القلوب من الضغائن والأحقاد، ومانع من العجب والغرور والكبر، ومن التعلُّق بغير الله، ومن ضعف الهمة والإرادة. كلُّ ذلك وغيره يبرز أهمية الكتابة والتأليف فيه، ويجعلها من الأمور المهمة المؤثرة في تصحيح المسار، وتقويم الطريق.

والمقصود بكتب الإصلاح والتصحيح هنا: ما اعتني في تأليفه في التدبر بما يتعلَّق بإصلاح الأمة أو المجتمعات، أو تصحيح مسارها ومنهجها من خلال التدبر، وهي كتب متخصصة، ظاهر مقصدها التوجيه والإصلاح، وسأتناول بالتفصيل ثلاثة منها.

## المبحث الثاني

### عرض نماذج من كتب الإصلاح والتصحيح.

#### الكتاب الأول:

١- أفلا يتدبرون القرآن - معالم منهجية في التدبر والتدبير - أ.د/ طه جابر العلواني.

#### لمحة فنية:

يقع الكتاب في ٢٣٦ صفحة من القطع الصغير (١٩,٥ سم - ١٢ سم)، ونشرته: دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

قال عنه مؤلفه: (دعوة إلى العودة للنبيع الصافي والمعين الأول، القرآن الكريم، واستلهاهم معانيه وهديه في حلّ مشكلات النفس والمجتمع والعالم، عبر مداخل مقترحة؛ تثور آياته، وتكشف وحدته، لمداومة النظر والتفكير والتدبر والتبصر، ليكون آياتٍ لأولي النهي والألباب).

#### عرض الكتاب:

قسّم المؤلف رسالته إلى مقدمة، وفصلين.

ابتدأ بمقدمة بيّن فيها الجهود المبذولة في خدمة القرآن الكريم ونشره، والعناية بتدبره، وعرّج تاريخياً باختصار على تاريخ العناية بذلك، وخلص إلى ضرورة التدبر لقارئ القرآن، وأنه ليس أمراً يعطى للتلاوة حقها فحسب؛ بل لا تعدُّ التلاوة تلاوة أعطيت حقها إلا إذا اقترنت بالتدبر الواجب، ولا يكون التدبر حقيقياً إلا إذا كان وفق المنهج الذي حاول في الكتاب الكشف عنه، وتوضيح معالمه.



وربط في ختام مقدمته بين التدبر والتدبير، فلا تدبير بدون تدبر، وقد جعل المؤلف التدبير جزء من عنوان هذه الدراسة للتنبيه على أهم مقاصد التدبر؛ وهو تدبير شؤون الحياة، ومعرفة كيف تدار أزماتها من خلال القرآن الكريم.

ثمَّ عرض في الفصل الأول: المقدمات والمعوقات، والفصل الثاني: مداخل التدبر. وقد تضمَّن الفصل الأول الفوائد التالية:

□ [القرآن بين التحدِّي والتيسير] ذكر فيه الإعجاز في تحدي القرآن جميع العقلاء أن يأتوا بمثله، وبين تيسيره للذكر، وكيف أنَّ هذا القرآن يقرؤه أقوام فيشرح صدورهم ويؤثِّر فيهم؛ وهذه حيوية القرآن وفاعليته المتجددة التي لا تستطيع قوى الوعي الإنساني أن تتجاهل تأثيرها.

□ [دعوة القرآن لتدبر آياته] عرَّج فيه على آيات التدبر وخطاباتها وسياقاتها.

□ [التدبر والخشوع] بيَّن فيه كيف أنَّ التدبر علاج مهم يوصل للخشوع والإخبات.

□ [التدبر والزمن وشفاء الأمراض] وكيف عالج القرآن أمراضاً مزمنة، ويضعف طاقات الإنسان العقلية والنفسية، ثمَّ أشار إلى الزمان في القرآن وأنه زمان مفتوح لا تتميز فيه نقطة عن أخرى.

□ [التدبر وقوى الوعي الإنساني] بيَّن فيه أنَّ التدبر يشحذ قوى الوعي الإنساني، ويجعلها قادرة على التفتح بالقرآن على الكون، ويكشف مكنون القرآن الذي يتكشَّف عبر الزمن، والتدبر مفهوم قرآني محوري يستمدُّ أهميته من إضافته للقرآن المجيد، وأنه كتاب كوني يستوعب الكون وحركته.

□ [التدبُّر بين الفهم والمفهوم] وصل فيه إلى أن التدبُّر يمكن إدراكه، وتعلُّم ممارسته من غير حاجة إلى تعريفه بالحدِّ أو بالرسم، لأنَّ التدبُّر فيه من المعاني ما يجمع بين مفاهيم التفكُّر والنظر والتذكُّر والتعقل والعلم، والنظر في مآلات الأمور وعواقبها، وما يستلزمه ذلك من تدبير الأمور في بداياتها بقدر أكبر من العناية والاهتمام لتحسن مآلاتها، وتستقيم خواتيمها.

\* التدبُّر قد يبدأ بمستوى واحد من المستويات المذكورة (التفكُّر والنظر والتذكر...الخ) ثمَّ يتدرج إلى مستويات أعلى، كأن يبدأ بالفهم مطلقاً؛ فإذا ارتقى إلى مستوى فهم الأمور الدقيقة صار فقهياً، وقد يبدأ بالتفكُّر والتأمل، فإذا ارتقى إلى مستوى الفكرة المتكاملة التي يمكن عرضها والاستدلال لها صار نظراً.

\* إنَّ تدبُّر القرآن هو الوسيلة الأساسية لتلاوته حقَّ التلاوة؛ التي تزيد إيمان المؤمن، وتجعل من القرآن مصدر شفاء وعلاج للصدر والعقول والقلوب، وللأسر والمجتمعات، والدول والأوطان، وفاعلية القرآن وتأثيره في تحقيق سائر جوانب الإصلاح لا تظهر ولا تتكشَّف بدون التدبُّر، وفقاً لقواعده وأصوله.

\* تدبُّر القرآن فريضة محتمة، وواجب لازم، والعناية به يجب أن تكون عناية بلفظه ومعناه، ثمَّ اتباعه والعمل به، والذين لا يتدبِّرون القرآن من المؤمنين قد تنغلق قلوبهم عن معاني القرآن واتباعه بعد قطعهم العلاقة بمعانيه، وهناك تلازم لا ينفكُّ بين القراءة والتدبُّر.

□ [مناهج قراءة القرآن] ذكر فيه شيئاً من مقتضيات التلاوة ومراعاتها، من

استحضار اسم الله ومعنيته، ثمّ القراءة المتأنية دون عجلة، واستحضار التلقّي النبوي للقرآن، ومداومة الصلاة به، والتزوّد بالعلم والمعرفة وعرضها عليه، واستحضار أسماء الله وصفاته، ورصد مداخلة قدر المستطاع. ثمّ ذكر بعض مناهج القراءة، وهي:

أ- قراءة يعمد إليها المتعبّدون يرجون ثواب الله بها.

ب- قراءة البحث عن العلم فيه، ومعرفة الحلال والحرام.

ج - قراءة أولئك الذين يريدون أن يعرفوا تاريخ البشرية وتطورها.

د- هناك من يستشرف المستقبل من قراءة القرآن الكريم.

وهذه القراءات المنوّعة هي التي بدأ بها تكوين الفكر الإسلامي في بداياته، وتكوّنت العلوم الشرعية في دوائر تلك القراءات المتعددة.

- [الزمان والمكان والقراءة] القراءة ذات علاقة وثيقة بالزمان والمكان، ولكلّ منهما أثره في عملية القراءة، واختيار نوعها وكيفيةها، والحصول على النتائج المتوخاة منها.
- [حضارة الكلمة وحضارة الصورة] حضارة القرآن كانت حضارة الكلمة مقابل حضارة الصورة والتمثال والصنم، وحضارة الكلمة خصائصها التي لا يمكن معها توثيقها، والكلمة القرآنية ترتقي لمستوى المفهوم، والمفاهيم دعائم تقوم عليها الحقول المعرفية، والقرآن هو مصدر التعريف بكلمات القرآن.
- [امتياز لسان القرآن وتفوقه] فهو لا يخضع لأحكام الألسنيات المعاصرة التي تنطلق من دراسة النصوص وتفكيكها، ثمّ تحليلها.

- [التدبُّر وأسَاء القرآن] لأسَاء القرآن وصفاته أثر في حسن القراءة والفهم والتدبُّر، ولها أهمية في تهيئة قوى الوعي الإنساني.
- [الاستماع للقرآن وآدابه] التلاوة يجب أن تكون حقَّ التلاوة دون ليِّ بالألسن، ولا طعن في الدين، ودون جعل القرآن عضيّن.
- [التدبُّر وتنزيل القرآن على القلوب] التنزيل على القلب هو القراءة الدقيقة السليمة التي تؤدِّي الثمرات التي ورد القرآن المجيد بها، والتنزيل على القلب يحتاج إلى كثير من الاستعداد والمكابدة، مع التوفيق الإلهي، ويستلزم تطهير القلب وتنقيته وتحديد هدفه من القراءة بنية صادقة، والأمة اليوم قدمت خدمات كثيرة في كتابة القرآن وقراءته وتجويده وزخرفة أوراقه، وفي طرق تناقله، وفي إحصاء كثير من الأمور الدقيقة الدائرة حوله، ولكن من المؤسف أنّها لم تستطع رغم ذلك كله؛ أن تقدّم للبشرية القرآن كما ينبغي أن يقدّم، باعتباره كتاب خلافة ودليل عمران، ومصدر تحقيق للشهود الحضاري في هذه الحياة الدنيا، ومعالجة لمشكلات البشرية، وإخراجها من الظلمات إلى النور.
- [مفاهيم تدور حول التدبُّر] مثل: الفكر، والنظر، والبصيرة. فإنّ الفكر يطلق على ترُدّد القوة العاقلة في الإنسان بالنظر والتفكر والتعقل والتدبُّر؛ للوصول إلى معانٍ مجهولة من مقدمات معلومة. وللتفكير مناهجه وقواعده التي تضبط ممارسته، وتوضح علاقة التفكير بالتدبُّر حين ندرك أنّ التدبُّر يبدأ تفكُّراً يؤدي إلى تبصُّر، ويسبقه النظر، حيث يدور القلب بالنظر ليُجعل القلوب تفقه، والأعين تبصر، والأذان تسمع، ثمّ تبدأ القوى الواعية بالتفكر والتعقل، والقيام بسائر العمليات الإدراكية.

وهكذا تقود هذه المفاهيم بعضها إلى بعض لتحقيق حالة التدبر، فالتفكير يؤدي إلى النظر المستبصر، والنظر المستبصر يقود إلى البصيرة، والبصائر والتبصر ثمارها المعارف الناتجة عن التدبر المحاط بكل هذه المفاهيم، وبه تصبح آيات الكتاب بصائر تؤدي إلى مزيد من المعارف الدقيقة الصحيحة، وتجعل المتدبر قادراً على النفاذ إلى البصائر التي تكمن وراء المعاني الظاهرة أو المتبادرة إلى الأذهان البسيطة.

□ [عقبات تحول دون التدبر] منها: ١- الذنوب والمعاصي، ٢- الأحكام المسبقة من خارج القرآن قبل القراءة بإسقاط فهمه السابق على القرآن دون النظر في مصادر تلك الأحكام والمفاهيم ودون تمحيص وتدقيق، ٣- إشكالية الناسخ والمنسوخ، (ردّ فيها المؤلف أحاديث صحيحة، وحكم عليها بأنها مرويات منحولة، ودعا إلى تجديد التراث، ومقاومة الحرب على الإسلام بمثل ذلك). ٤- الاختلاف، ٥- غموض الغاية عند قارئ القرآن، وعدم معرفة ماذا يريد من قراءته.

ثمّ تناول في الفصل الثاني (مداخل التدبر)، ذكر فيه مداخل التدبر لدى السلف الصالح، وبيّن أجيال ذلك؛ الأول: جيل التلقي، والثاني: جيل الرواية والنقل، والثالث: جيل الفقه.

فجيل التلقي؛ وهو جيل الصحابة، تلقى مباشرة عن رسول الله ﷺ وتعلّم منه كيف يتدبرون القرآن، فكان نزول القرآن مفرّقاً، ومعرفتهم بارتباطه بقضايا عصرهم ووسطهم، وحسن مشاهدتهم للرسول ﷺ أثناء نزوله عليه، وسؤالهم له ﷺ عن الإشكالات أو الأزمت التي تعرض لهم، ونزول القرآن جواباً على كثير من تلك الحوادث والإشكالات؛ كل ذلك كان من العوامل المساعدة لهم على حسن التدبر.

الجيل الثاني: جيل الرواية والنقل؛ وهو جيل صغار الصحابة الذين كبروا بعد رسول الله ﷺ، وكبار التابعين، وذا الجيل بدأ يأخذ ما تركه له جيل التلقي، ويحاول استيعابه وتداوله، ومعالجة مستجداته به، ونقله إلى الأجيال الأخرى.

وقد حاول هذا الجيل جمع كل ما استطاع من السنن والآثار والمرويات عن رسول الله ﷺ، والصحابة الذين عايشوه، ليتبعوه ويعملوا به، وكان هذا هو الوسيلة البديلة لهم عن وجوده ﷺ بينهم، فجعلوا من سنته ﷺ سبباً لبناء منهج يقوم بالمهمة.

الجيل الثالث: جيل الفقه، وفي هذا الجيل التفت العلماء إلى عمليات ضبط الحياة بضوابط التشريع، وأسسوا الفقه، واستطاع هذا الجيل أن يغطي متطلبات الحياة بفقه النص، وكان مدخل الفهم والتدبر هو مدخل الأحكام والبحث عنها فقط؛ فجعل النظر والتدبر في القرآن يتجه إلى آيات الأحكام فقط، والنظر إلى ما عداها على أنها آيات جاءت مسوقة للعبارة والاعتاظ، وهذا نظر قاصر؛ فإنَّ القرآن المجيد أعظم من هذا وأوسع، ولو خرج ذلك الجيل عن هذا الحصر لأدرك أنَّ القرآن منشيء بكلِّيته والسنة منهجاً ضابطاً، يعصم الذهن عن الخطأ في فهم القرآن.

ثمَّ تناول بعد ذلك التدبر ومداخله المعاصرة، وذكر فيه من هذه المداخل:

- ١) مدخل التعبد: بأن يقصد القارئ بالتدبر والتلاوة الأجر والثواب.
- ٢) مدخل القيم: ويعنى به القيم التالية: (التوحيد + التزكية + العمران)، وهذه القيم الثلاث بعد استيعابها وفهمها، تجعل المتدبر متزوداً بما يعينه على فهم ما يقرأ، وعلى القدرة على التدبر الذي يجعله قادراً على الوصول إلى كثير من معانيه، في حدود السقف المعرفي الذي يعيشه.

- ٣) مدخل الوحدة البنائية للقرآن: بمعرفة أن القرآن كتاب بمثابة الجملة الواحدة، أو الكلمة الواحدة، وليس كتاباً مجزئاً، تمثل كل آية أو كلمة منه وحدة مستقلة عن الوحدات الأخرى، وهذا مهم في مجال التدبر.
- ٤) مدخل عمود السورة: فلكل سورة عمود، وهو محورها وموضوعها الأهم، وتحيط به موضوعات فرعية، هي بمثابة دعائم أو أوتاد تحيط بهذا العمود الأساس لتتضافر معه في تشكيل بنية السورة.
- ٥) مدخل التصنيف الموضوعي: باستقراء موضوعات القرآن، وتتبعها، ومعرفة سياقاتها، ولهذا علاقته بالوحدة البنائية ووحدة السورة.
- ٦) مدخل البحث في المناسبات: ومقصوده: علم المناسبات وارتباط آيات القرآن بعضها ببعض، حتى تكون كالكلمة الواحدة.
- ٧) مدخل عالم الغيب وعالم الشهادة: بأن يستحضر ذلك المتدبر وهو يتدبر القرآن.
- ٨) مدخل العلاقة بين الله تعالى وبين الإنسان والكون: بتدبر ذلك، ومعرفة الآيات في إطار هذه المداخل.
- ٩) مدخل الإلهية والعبودية: بمعرفة ما يتعلّق بالإلهية والربوبية، من آيات كريمة، وأساليب القرآن في الاستدلال على الإلهية أو الربوبية.
- ١٠) مدخل عوالم الأمر والإرادة والمشیئة: ومما ذكره من الغيب المطلق الحروف المقطعة أوائل السور، وآية الاستواء، وبعض آيات الصفات، وأن هذه تندرج تحت عالم الأمر، وأما عالم الإرادة فيظهر في مثل آيات العهد والاستخلاف

والأمانة، وإعمار الأرض ونحو ذلك، وأما عالم المشيئة فهو عالم الخلق والجعل والتحول والتشيؤ.

١١) مدخل التدافع بين الحق والباطل: من خلال معرفة سنن التدافع بين الحق والباطل، وبين أهل كل منهما، فيكون للمتدبر وعي بمعرفة حقيقة الحق والباطل.

١٢) مدخل تصنيف البشر بحسب مواقفهم من رسالات الأنبياء: فالقرآن صنّف البشر وفقاً لثوابت العلاقة بينهم وبين الله (الإيمان، الكفر).

١٣) مدخل اللغة والسياق وإدراك التناسب: وهذا يقتضي أن يدرك المتدبر الفروق بين اللغة العربية بمستوياتها المتنوعة في الفصاحة والبلاغة، وبين لسان القرآن الأعلى في نظمه وفصاحته وبلاغته. وكذلك معرفة السياق تعين المتدبر على فهم عادات القرآن في التعبير عن مقاصده، ويفتح آفاقاً واسعة للفهم والتعقل والتفكير.

١٤) مدخل قيام الحضارات وتراجعها: بمعرفة عوامل وقواعد وسنن قيام الأمم وتراجعها، بدراسة التاريخ وآثار الأمم بحثاً عن الدروس والعبر.

١٥) مدخل تنزيل القرآن على القلب: فإن ما ينزل على القلب ينزل بالفهم، فيعرف ما يقرأ وإن كان بغير لسانه، ويعرف المعاني والألفاظ.

١٦) مدخل تثوير القرآن: فالقرآن كنز مكنون مفتاحه التدبر، وبابه النظر والتفكير، ومدخله التذكر والتعقل، وغراسه العلم، وشجره المعرفة، وبقدر تثويره يجد المتدبر قصده، ونفعه وفائده منه.



١٧) مدخل الأزمة: وذكر فيها نماذج من الأزمات العالمية المعاصرة، منها: (تفكك الأسرة + تلوث البيئة + الحروب والصراعات + الصراع العربي الإسرائيلي + الانحراف في تسخير العلم والمعرفة + أزمة المنهج العلمي التجريبي + المرض والجهل والفقر وارتفاع معدلات الجريمة + الأزمة المالية المعاصرة).

### أبرز ملاحظات الكتاب:

- أفكار الكتاب واضحة مركزة، غير أنه لم يراعَ في ترتيبها الترتيب الذهني المترابط، فلا يخرج القارئ منه بركيزة واضحة، وحصيلة مركزة، وفق معطيات متسلسلة ذهنياً؛ وإنما هي معلومات عامة مفرقة فيها العديد من المسائل النافعة.
- تضمّن الكتاب مباحث فلسفية عقلانية وإن كانت يسيرة إلا أنها واضحة.
- ربط الكتاب بين التفكير والنظر والتدبّر ربطاً جيداً فيه جمع بين المعاني المتنوعة.
- أدخل الخطأ في الصواب، حين تكلم عن عقبات تحول دون التدبر، وذكر منها الذنوب، ثم ذكر منها: إشكالية الناسخ والمنسوخ، ووقع في ذنب واضح حين اعتبر الناسخ والمنسوخ من العقبات التي تحول دون التدبّر، فأنكر الأحاديث الصحيحة المتواترة في النسخ، وهاجمها بشدة، ولا يخفى ما في ذلك من خلل وزلل، ويظهر في ذلك تأثره بفكر المعتزلة في إنكار النسخ في القرآن وبعض الحقائق الثابتة، وقد بالغ في ردّها، والتنقيص منها، وممن قال بالنسخ في القرآن، وهذا باطل واضح البطلان.
- أدخل خلال البحث الوسائل في المقاصد، والعقبات في المداخل، في شيء من الخلط الذي لا يوضّح المقصود بجلاء.

- جعل الأحرف المقطعة وبعض آيات الصفات من قبيل المتشابه، وهذا يؤخذ عليه ويلتحق بمنهج المفوضة، ويفتح الباب للتفويض في آيات القرآن.
- الأزمات المعاصرة التي أدخلها في نهاية المداخل؛ تناولها بشيء من البعد عن موضوع التدبُّر، وفي ظني هي إدخال لمسائل تفصيلية في نوازل مستجدة، في غير موضعها ومكانها الصحيح. فكان يمكنه الدخول من مدخل الأزمة بذكر نماذج من الأزمات على سبيل الإجمال، دون تفصيل يبعده عن موضوع الكتاب، ويتكلّف من أجله الربط بين المشكلة والعلاج.

## الكتاب الثاني:

٢- القرآن الكريم والأصول في تدبره (تمعنات في تعاليمه وخصائصه)

- أ.د/ محمد حسين صفوري.

### لمحة فنية:

يقع الكتاب في ٦٠٨ صفحة، من القطع العادي (٢٤سم - ١٧سم)، ونشرته: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.

قال عنه مؤلفه: (يسعى لتدبر بعض من تعاليم القرآن وخصائصه، وهو ينطلق إلى ذلك من منطلقات رئيسية ثلاثة: يستند المنطلق الأول إلى ما يردده القرآن مراراً وتكراراً من أنه لن يتدبره إلا العاقلون المتفكرون العالمون: ﴿كَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الروم: ٢٨]، ﴿كَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤]، ﴿كَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٢]، وهكذا فهو يستند في تدبره للقرآن إلى العقل وإلى التفكير وإلى العلم، وعلى وجه الخصوص فهو يرفض الأخذ بمبدأ التأويل الذي أرسى قواعده الطبري، إذ أن حكم القرآن قد أجملته الآية: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧]، أما المنطلق الثاني: فهو يستند إلى آيات عديدة في القرآن يجملها قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ [الرعد: ٣٧]، فتدبر القرآن يجب أن يستند إذاً إلى المعرفة العلمية الصحيحة للبيئة العربية التي نزل فيها القرآن، والتي نما فيها رسول الله، وهذا ما يأخذ به هذا الكتاب. أما المنطلق الثالث: فهو يستند إلى المبدأ الذي أقره علماء هذه الأمة عبر تاريخها الطويل، والقائل: أن تدبر القرآن لا يصح إلا عبر المعرفة الصحيحة لترتيب نزول آياته وسوره، فمجمّل القول إذاً: أن هذا كتاب علمي يهتدي في منهجه بهدي هذه

المنطلقات الرئيسية الثلاثة، ويهدي منطلقات إضافية أخرى تدخل ضمن معالجة المواضيع التي يتطرق إليها الكتاب).

### عرض الكتاب:

قسّم المؤلف رسالته إلى اثنا عشر فصلاً.

**الفصل الأول: القرآن وتسميته، وتضمّن المحاور التالية:** أمر الرسول بتلاوة الوحي، أمر الرسول بالتبليغ تلاوة، كلمة قرآن تعني «قراءة»، القرآن هو اسم الكتاب الذي نزل على محمد، القرآن واشتقاق اسمه، القرآن يمحو ما سبقه، القرآن والأمة والإمام.

**الفصل الثاني: القرآن حكم عربي، وتضمّن المحاور التالية:** القرآن والأمة وأهل البيت، القرآن مهيمن على ما سبقه، القرآن حكم عربي، القرآن يثبت قلب الرسول، القرآن دعوة عربية لقريش، القرآن دعوة للعرب.

**الفصل الثالث: القرآن والأزمات الثلاث الأولى في السيرة، وتضمّن المحاور التالية:** القرآن والأزمات الثلاث الأولى في السيرة، القرآن والأزمة الثانية، القرآن وعزة العرب.

**الفصل الرابع: القرآن وشرعة التوراة، وتضمّن المحاور التالية:** القرآن وخرافة اللغة المباركة من الربّ، القرآن ومؤثّرات النبوة لدى أهل الكتاب، القرآن وعقدة الشّعب المختار، القرآن وأسطورة برج بابل، القرآن وتعدد الأجناس والحضارات، القرآن وشرعة التوراة، القرآن وشرعة الحريم في التوراة.

**الفصل الخامس: القرآن وبدايات تكوين الأمة، وتضمّن المحاور التالية:** القرآن وتعدد الأمم، القرآن وبداية تكوين الأمة، القرآن ودور الرسول في تعليمه، القرآن ومجانبة مدرسة الرسول.

**الفصل السادس: القرآن والأمة والحكم العربي،** وتضمن المحاور التالية: القرآن والاحتكام إلى الطواغيت، القرآن والأمة وتدبرها له، القرآن في تفسيره مغاير للتوراة في تفسيرها، القرآن وتسمية أهل الكتاب.

**الفصل السابع: نزل القرآن ليُدْرَس،** وتضمّن المحاور التالية: نزل القرآن ليُدْرَس، القرآن والصحابة، القرآن وسورة قريش، القرآن وقصص الأنبياء، القرآن وسورة الإخلاص.

**الفصل الثامن: القرآن والإيمان،** وتضمّن المحاور التالية: القرآن وبدايات الوحي، القرآن والمعوذتان، القرآن وإجارة الرسول في قريش، القرآن الإيمان.

**الفصل التاسع: القرآن والشعراء،** وتضمّن المحاور التالية: القرآن والعرب وأهل الكتاب، القرآن والنبذ من العشيرة، القرآن ومفهوم الرهط عند العرب، القرآن والشعراء، القرآن وصلة الرحم.

**الفصل العاشر: القرآن وأمة المصلين،** وتضمّن المحاور التالية: القرآن والقسم، القرآن وسورة التين، القرآن وأمة المصلين.

**الفصل الحادي عشر: القرآن وبيت المقدس،** وتضمّن المحاور التالية: القرآن وبيت المقدس، القرآن والرسول والفرقان، القرآن وموقعة أحد، القرآن ومعركة الخندق.

**الفصل الثاني عشر: القرآن والرسول والإسرائيليات،** وتضمّن المحاور التالية: القرآن وقصة بني قريظة، القرآن وحكم سعد بن معاذ في بني قريظة، القرآن وحرمة الأسرى، القرآن والرسول والإسرائيليات.

ثم ختم الكتاب بقسم الملاحق، وضمَّنه سبع ملاحق، ومنها: أصول تدبر القرآن الواردة في الكتاب، وذكر فيها ثلاث عشرة قاعدة.

### أبرز الملاحظات الكتاب:

□ أفكار الكتاب بعيدة عن التدبُّر الصحيح، وأصول تدبُّره التي عنون المؤلف لها.

□ بنى المؤلف أصول التدبُّر من خلال ترتيب النزول وضبط أحداث السيرة، والتعمُّن في التعاليم والخصائص التي جاء بها القرآن؛ لما لها من انعكاسات لفهمه وتدبُّره، لذلك فهو تركيز على بيئة نزول القرآن، والأحداث التي وقعت فيها ونزل بسببها القرآن، وقد اعتمد ترتيب النزول أصلاً رغم الخلاف الكبير الواقع في ترتيب النزول، وما نزل أولاً، وحصر القرآن في حوادث التاريخ والنزول قصر غير صحيح له تبعاته الكثيرة، ومعلوم أن من القواعد العامة في التفسير: (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب).

□ القواعد التي جعلها أصولاً للتدبر أكثرها قواعد عامة، وخطوط شرعية عريضة في فهم القرآن، وليست قواعد خاصة بالتدبر، ومن هذه القواعد: قاعدة: القرآن دليل القرآن، أي أن القرآن يفسر بعضه بعضاً. وأيضاً قاعدة: تمام القرآن؛ أي أن القرآن تمَّ نصاً وهيئة في حياة الرسول ﷺ، وأنه تركه لنا تاماً في مبادئه وشريعته، فاكتمل الدين به ﷺ.

□ لم يذكر المؤلف خلال كتابه الصلاة على الرسول ﷺ بعد ذكر اسمه، وعلل ذلك في مقدمته بأنه يعتبر أنه أمر يجب أن يبقى مضمراً في صدر القارئ، وأن تكريم الرسول لا يكون بكلمات هي حبر على ورق، وترك أمته في حماة الذلِّ التي أسقطت فيها في القرنين الأخيرين، وكذلك الحال في الترضي عن الصحابة

رضي الله عنهم بعبارة رضي الله عنه، بحجة أن تكريم الصحابة يكون بطرد اليهود من فلسطين التي أورثنا إياها الصحابة، وهذا اجتهاد من المؤلف لا يوافق عليه، وخلط واضح بين الواجب والواقع.

□ نظر المؤلف أثناء بحثه إلى القرآن باعتبار تاريخ القرآن، وهو ممتع في سرده وقراءته التاريخية، ويؤخذ عليه في ذلك عدم توثيق أكثر النصوص والنقول والوقائع التاريخية والعلمية على منهج البحث العلمي الرصين، وتضمينها الغث والسمين.

□ من معايير تحقيق المؤلف للنصوص قبوله العقلي لها، ومن أمثلة ذلك: ما وقع منه بعد نقله قول أبي بكر الصديق رض يالله عنه<sup>(١)</sup>: (أما ما ذكرتكم فيكم من خير فأنتم له أهل، ولن تعرف العرب هذا الأمر، إلا لهذا الحي من قريش هم أوسط العرب نسباً وداراً...).

ولم يذكر تخريجه وسنده، وقال بعد نقل القول: (هذا قول ساذج ينم عن جهل مطبق بالعرف العربي، فهو يقول أنّ العرب ما كانت لتتخلى عن سيادة أممها وتنصهر في أمة واحدة، وتخضع لحكم مركزي واحد لهذه الأمة إلا إذا كان هذا الحكم في قريش...)<sup>(٢)</sup>.

وظلّ يناقشه ويرده باعتباره من كلام ابن هشام، وليس قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

(١) صفحة ٤١.

(٢) الأثر صحيح الإسناد على شرط الشيخين، أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٤٣٩/٥)، وابن حبان في صحيحه (١٥٦/٢).

فانظر كيف ردّه وحكم عليه بالسذاجة لمجرّد عدم قبول عقله له، غفر الله له وهداه.

وكثير مثل ذلك في قلب حقائق تاريخية ثابتة، والعبث بمسلّمات تاريخية دون تحقيق وتمحيص.

□ - المؤلف ضمّن كتابه باطلاً كثيراً استشهد له بالقرآن في غير موضعه، وأراد أن يمرر ما تأثر به من ثقافات دخيلة، وأحداث سياسية؛ ليصحح بها الوقائع التاريخية غير الصحيحة من وجهة نظره، وقد أبعد النجعة في ذلك.

□ ضمّن المؤلف كتابه استشهادات بكثير من الإسرائيليات، ونقولات من كتب تفاسير باللغة الانجليزية لبعض المستشرقين، مثل: تفسير آرثر آربري أستاذ الدراسات العربية في جامعة كامبردج، وتفسير ريتشرد بل، مدرس اللغة العربية في جامعة إدمبره، وغيرهما، وفي هذا خلل لا يخفى على ذي لبّ، فهي مراجع لا يصحُّ الاعتماد عليها في التفسير، مع وجود الثروة العلمية الهائلة التي خلفها علماء الإسلام في تفسير كتاب الله تعالى، وقد أوقعه ذلك في طوام في التفسير لا يسع المجال لذكرها تفصيلاً.

□ ضمّن المؤلف كتابه استشهادات من الإنجيل على وجه التقرير والإثبات، نحو استشهاده بأنه ورد في الإنجيل أنّ المسيح اتهم بالجنون<sup>(١)</sup>، ويؤكد المعنى بالاستشهاد بقوله تعالى: (يبتوك)، وفي هذا خلل وخط واضح، وتنقيص من قدر القرآن أن يقاس بغيره من الكتب السأوية المحرّفة. ومثله استشهاده

(١) صفحة (٨٤).



بالتوراة عن غيض ماء الطوفان<sup>(١)</sup>، وقد أكثر من المقارنات بين الكتب المقدسة المحرفة وبين القرآن الكريم<sup>(٢)</sup>.

وفي تقديري أن ذلك نتيجة البقاء في ديار غير ديار الإسلام، والاختلاط بثقافات الأمم، وتحكيم العقل دون فهم النقل، ولا يخفى موقف الرسول ﷺ من وجود التوراة بيد عمر رضي الله عنه، وكذلك لا يخفى أثر الترجمة في العصر العباسي على العلوم الإسلامية، وخاصة علم الكلام والفلسفة وأثره في العقائد وعلم الأصول ولا زلنا إلى اليوم ويتجرع الناس مرارة المعتزلة والأشاعرة، نسأل الله السلامة والعافية.

□ قارن المؤلف كثيراً بين مكة وأثينا، وادعى أن سقراط رسول، أرسله الله إلى أثينا ليتمم أخلاق أهلها، ولكنهم أعدموه بتهمة إفساد دينهم، ومثل هذه الأساطير التي لا دليل عليها، وقد أكثر من المقارنة بين مكة محمد، وأثينا سقراط، وما كتبه تلميذه أفلاطون، فهو متأثر بالمدرسة الفلسفية، ويقارنها كثيراً بالدين والقرآن، بل وقع في طوأم مثل استشهاده<sup>(٣)</sup> على دعوة سقراط بأنها تجملها خاتمة سورة الفجر، في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَأَدْخِلِي فِي عَبْدِي ﴿٢٩﴾ وَأَدْخِلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾﴾ [الفجر: ٢٧-٣٠].

□ أنكر بعض أحداث السيرة الصحيحة، مثل: دعوة الرسول ﷺ في الأنديّة وتغشيه مجالس القوم، وردّه عقلاً، لأدلة فكرية واهية<sup>(٤)</sup>.

□ خلاصة الأمر: هذا الكتاب كتاب فكري سياسي تاريخي، أراد مؤلفه أن يدخل منه إلى تدبر القرآن بما اعتقده سابقاً، وما ظنَّ به أن هذا هو الحق الذي يجب

(١) صفحة (١١١).

(٢) كما في الصفحات (١٣٣، ١٤٦).

(٣) صفحة (١٧٠).

(٤) صفحة (١٧٨).

أن يكون، وقد تضمّن الكتاب مسائل لطيفة، وإشارات لطيفة، غير أنّ خلفية مؤلفه غير الشرعية، ودراساته الأجنبية كان لها أثر واضح على روح الكتاب، وما يرتبط به.

### الكتاب الثالث:

٣- تدبر القرآن، ودوره في النهوض الحضاري بالمجتمعات الإسلامية - د/فؤاد عبدالرحمن البنا (الأستاذ المشارك للفكر السياسي الإسلامي بجامعة تعز).

#### لمحة فنية:

يقع الكتاب في ٤٠٠ صفحة، من القطع العادي (٢٤ سم - ١٧ سم)، ونشرته: نفت للخدمات العامة، اليمن، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

#### عرض الكتاب:

بدأ المؤلف كتابه بمقدمة بيّن فيها ما وصل إليه حال المسلمين من الضعف والذلة والفقر، وتكالب الأعداء على الأمة، وأشار إلى كيف صنع القرآن الجليل الأول من هذه الأمة من حطام الأمم، واليوم توجد أعداد كبيرة من مدارس تحفيظ القرآن في بلاد المسلمين تشير إلى عودة الاهتمام بالقرآن، لكن الواقع الذي تعانيه المجتمعات يسفر عن خلل المنهج الذي يتعامل فيه مع القرآن.

ويرى المؤلف أنّ أزمة المسلمين اليوم أزمة فكرية في أساسها، وأنّ كل الأزمات فرغ عنها، وأن منبع الضخّ الأساسي لهذه الأزمة هو عدم قراءة القرآن، أو قراءته على غير المنهج النبوي.

ثم ذكر مشكلة الدراسة: وأنها وصول الأمة إلى قاع الانحطاط والتخلف، وعيش كثير من مكوناتها في دائرة انتقام القرآن.

وبيّن دوافع الدراسة وبواعثها في خمسة أمور:

□ ديني: من واجب النصيحة لله ورسوله، فالنصيحة للقرآن داخله في ذلك أساساً.

□ فكري: فالأمم السابقة ضلّت بسبب سوء فهم كتبها، والاستفادة المثلّي من القرآن لا تتمّ إلا بتدبره وفهمه، فالانحراف قد يظهر في طريقة فهم القرآن.

□ علمي: وهو انشغال كثير من الدراسات القرآنية عن المقصد الأساسي للقرآن وهو الهداية، وهذا يقتضي إعادة النظر في منهج قراءة القرآن.

□ واقعي: كثرة الجهود والطاقت المصروفة في اتجاه التعامل مع القرآن، لكن المخرجات لا تزال دون حجم المدخلات بكثير، فلا تزال الأمة القرآنية واضحة.

□ سياسي: تعرض الإسلام والقرآن لهجمة شرسة من خصومه وشائثيه، ومن عوامل هذا العداء أنّ الأعداء لا يقرؤون القرآن إلا من خلال سلوك بعض المسلمين الذين ضلّ سعيهم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

بعد ذلك ذكر المؤلف منهج الدراسة، وهيكلها، وكونها من ثلاثة فصول:

الفصل الأول: القرآن صانع النهضة الإسلامية الأولى، وتضمّن ثلاثة مباحث:

الأول: جاذبية القرآن وتأثيره على الناس، (وفيه مطلبان: الأول: تأثيره على أوائل العرب، والثاني: تأثيره على أواخر الغربيين).

الثاني: التفاعل مع القرآن في المجتمع الإسلامي الأول، (وفيه ثلاثة مطالب: الأول: دور العقل في قراءة القرآن، الثاني: دور القلب في قبول القرآن، الثالث: اتباع طريقة التلقي للتطبيق).

الثالث: انتقال مركز الاهتمام بالقرآن من المعنى إلى المبنى (وفيه ثلاثة مطالب: الأول: الاهتمام العاطفي بالقرآن، الثاني: توسع مساحات الحفظ على حساب الفهم، الثالث: مفتاح الشخصية العربية «فقه القرآن»).

الفصل الثاني: انتقام القرآن من غير الملتزمين بمنهج تلقيه الأول، فيه ثلاثة

مباحث:

الأول: القراءات المنقوصة، (وفيه ثلاثة مطالب: الأول: القراءة الجزئية [١]- النظر إلى الحقائق من وجه واحد، ٢- نشأة الفرق العوراء في الفكر الإسلامي]، المطلب الثاني: القراءة الحرفية الظاهرية [١]- تضييق كثير من الدوائر الإسلامية الواسعة، ٢- التقلُّب مع ظواهر النصوص وإهمال المقاصد، ٣- بروز ظاهرة التشدد والتنطع]. المطلب الثالث: القراءة الباطنية المتكفئة).

المبحث الثاني: مبررات التفسير المكتظة بالاسرائيليات، (١- قنابل اسرائيلية في كتب التفسير، ٢- انتقاص المرأة).

المبحث الثالث: توسع المباني على حساب المعاني (١- توسع الحفظ على حساب الفقه، ٢- الخلط بين التدبر والتكلف، ٣- تحول العلوم الخادمة للقرآن إلى غاية).

الفصل الثالث: التدبر القرآني والنهوض الإسلامي المنشود، وفيه ثلاثة مباحث:

الأول: التدبر فريضة عقلية وضرورة عقلية (وفيه ثلاثة مطالب: الأول: التدبر فريضة عقلية، الثاني: التدبر ضرورة عقلية، الثالث: أسماء القرآن وصفاته تحتمان تدبره).

الثاني: ثمار التدبر بين الإعراض والإقبال (وفيه مطلبان: الأول: ثمار الإعراض عن التدبر، الثاني: ثمار الإقبال على التدبر).

الثالث: منهج التدبر بين الأفعال والمفاتيح (وفيه مطلبان: الأول: أفعال التدبر، الثاني: مفاتيح التدبر).

### أبرز الملاحظات على الكتاب:

- (١) وضع المؤلف عناوين كبيرة، وتحت هذه العناوين نجد كلاماً إنشائياً كثيراً بعيداً عن الموضوع.
- (٢) طباعة البحث وإخراجه غير مرتبة، تضمّنت أخطاء في ترقيم الصفحات.
- (٣) جعل المؤلف الهوامش آخر الكتاب، وقسمها على الفصول، في طريقة بعيدة عن أساليب كتابة البحث العلمي، فلم يجعلها على ترقيم متواصل.
- (٤) أكثر المؤلف من التفرّيعات التي لا داعي لها، والتي تشتت القارئ وتبعده عن العنوان والموضوع.
- (٥) لغة الكتاب غير واضحة، أو ليست بلغة بحث علمي مرتب، بل ربما تجاوز المؤلف ببعض العبارات الإنشائية التي لا تصلح في سياقاتها، ومن أمثلة ذلك وصفه الرسول ﷺ وصحابته بأنهم (لعبوا دوراً كبيراً في الدعوة إلى الإسلام)<sup>(١)</sup>، وقوله: (ومن تدابير القدر)<sup>(٢)</sup>، ونحو ذلك.
- (٦) لم يتناول الكتاب موضوع التدبّر بطريقة منهجية تأصيلية، ولم يؤصل الباحث العلاقة بين التدبّر ودوره في النهوض الحضاري بالمجتمعات الإسلامية، بل اعتمد كثيراً في بحثه على موضوعات إنشائية عامة في أثر القرآن وبركته على الناس.

(١) صفحة (١٥).

(٢) صفحة (٨٣)، (١١٤).

(٧) اعتمد المؤلف في معلومات متخصصة على مصادر غير متخصصة، مثل جمعه لأعداد الكتب القرآنية المتخصصة من كتاب الأعلام للزركلي، وهو ليس كتاباً متخصصاً في علوم القرآن أو نحوها<sup>(١)</sup>.

(٨) تضمّن الكتاب تداخلاً وتكراراً في العديد من المسائل والمباحث، ومن أمثلة ذلك: تكراره الكلام عن: الانشغال بالحفظ عن فهم القرآن وتدبره، وأعاد الكلام عنها بأساليب مختلفة متكررة في ثنايا الكتاب، والفكرة والموضوع واحد<sup>(٢)</sup>.

(٩) المبالغة في أساليب الكتاب، واعتماده كثيراً على أقوال المعاصرين المتأخرين والنقل عنهم في مسائل كثيرة، لهم فيها سلف من أهل العلم الأوائل.

(١٠) الكتاب في مجمله كتاب نافع، تضمّن نقولات ومسائل مفيدة، غير أنّ سوء ترتيبه يشّتت أفكار القارئ، وضعف لغته العلمية، ومنهجه البحثي، ربما أضعفت فائدته، وقد اعتنى إجمالاً بالعقبات والموانع للتدبر، وأفاد في الآثار السلبية المترتبة على هجر التدبر، وفي الأسباب المعينة على التدبر.

وبعد هذا العرض الموجز، أبيّن أنّ ثمة كتب أخرى لم يكفِ البحث لاستعراضها، وأشار إليها إجمالاً، وعامتها كتب جيدة في طرحها، سهلة في أسلوبها، ومن ذلك:

(١) تدبر القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق - د/رقية طه العلواني، من إصدارات جمعية النور للبر، مملكة البحرين، ٢٠٠٢م.

(١) صفحة (٨٧).

(٢) انظر: صفحة (٥٤)، (٨١)، (٨٦)، (١٥٦).

- ٢) مدارج الحفظ والتدبر - أ.د/ناصر العمر، دار الحضارة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م.
  - ٣) مفاتيح تدبر القرآن والنجاح في الحياة - د.خالد بن عبدالكريم اللاحم، الطبعة الثانية، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.
  - ٤) تدبر القرآن الكريم وقفات ولفات - أ.د/عبدالله بن ضيف الله الرحيلي، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.
  - ٥) دعوة إلى تدبر القرآن الكريم (كيف ولماذا؟) - مختار شاکر کمال، دار البشير، الأردن، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
  - ٦) حتى نتدبر منهاج الله - د/عدنان بن علي رضا النحوي، دار النحوي للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
- وهذه الكتب تناولت في غالبها جزئيات تعنى بالتدبر، ووسائله وموانعه، وطرقه، وفيها نفع وفائدة في الإصلاح والتصحيح، والمآخذ عليها يسيرة.



## المبحث الثالث

### توصيات فيه توجيه التدبر للإصلاح والتصحيح.

لعلّ من أبرز التوصايا التي أوصي بها في ختام هذا البحث، ما يلي:

(١) الكلام عن باب التدبر في الإصلاح والتصحيح باب طرقة الجميع، وربما اجتمع حوله مع أهل السنة؛ جماعة من أهل البدع وغيرهم، فأدخلوا الغث في السمين، مما جعل لزاماً على الباحثين والمحققين أن يدققوا ويحققوا في المكتوب في التدبر، ويقوموا بتصفيته من الشوائب والزلل.

(٢) لا يمكن الوقوف على كنوز القرآن إلا بسلوك طريق التدبر؛ فبقدر ما يمنّ الله عليه من تدبر كتابه يكون الوقوف على كنوزه، وأي كنوز أحقّ من أن يُبدل في نيلها نفيس أوقات العمر من كنوز القرآن، وصلاح الأمة وإصلاح مسيرها مرتبط بالتدبر.

(٣) إنّ الكتابة الإصلاحية التصحيحية في تدبر القرآن الكريم سبب للنهوض الحضاري بها، ورجوعها إلى مركزها ومكانها الحقيقي بين الأمم، والارتقاء بها في كافة ميادين الحياة، وجدير بالباحثين أن يعتنوا بهذا الموضوع، ويولوه اهتماماً وعناية كبيرة، ليتحقق الانتفاع بالقرآن، والعمل به، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

(٤) يجدر بالعلماء وطلبة العلم المعتنين بالتدبر المشاركة في القنوات الفضائية، ومواقع التواصل، ومجلات الدراسات القرآنية لمزيد نشر مشروع التدبر،

ونقله من المعرفة والتنظير، إلى العمل والسلوك القويم، لتحقيق الإصلاح والتصحيح.

٥) ضرورة وضع مناهج تدبّرية ميسّرة للقرآن في حلقات تحفيظ القرآن، والمدارس النظامية، والنهوض بهذه المناهج لتشمل الحفظ والتدبر، وتواكب التلاوة والحفظ.

٦) ضرورة إقامة المؤتمرات والملتقيات القرآنية عن التدبر وتأصيله وتيسيره لجميع فئات الناس، ودعم وتشجيع المتطوعين في دعم ذلك.

وبعد... فهذا جهد المقلّ، وهو عمل يحتاج الكثير من التهذيب والتنقيح، وإعادة النظر والسبك، ولا يزال الموضوع -من وجهة نظري- بحاجة إلى دراسات تتناوله بمزيد من التفصيل والبيان، والسير والتقسيم والتوضيح.

اللَّهُمَّ كما مننت على من شئت من عبادك بلذة مناجاتك بتلاوة كتابك، فامن علينا بمنك وكرمك، واجعلنا من أهل القرآن، الذين هم أهلك وخاصتك، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين.. والحمد لله رب العالمين..

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ..

## قائمة المصادر

- المصدر الأول: القرآن الكريم.
- الكتب المطبوعة:
- ١. أحكام القرآن- أحمد بن علي الرازي الجصاص، تحقيق: محمد الصادق القمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ.
- ٢. أفلا يتدبرون القرآن - أ.د/ طه العلواني، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.
- ٣. تاريخ الرسل والملوك- أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
- ٤. تدبر القرآن، ودوره في النهوض الحضاري بالمجتمعات الإسلامية - د/فؤاد عبدالرحمن البنا (الأستاذ المشارك للفكر السياسي الإسلامي بجامعة تعز)- نفت للخدمات العامة، اليمن، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
- ٥. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان- عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبدالرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
- ٦. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة - أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (٥٨هـ)، وثق أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه: د/ عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، دار الريان للتراث، القاهرة، ط١، ١٤٠٨هـ.

٧. الزهد - عبد الله بن المبارك بن واضح المروزي (١٨١هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت.
٨. السيرة النبوية - عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م.
٩. السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير) - أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (٧٧٤هـ)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٦م.
١٠. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان - محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
١١. صحيح البخاري - محمد بن إسماعيل البخاري (٢٥٦هـ)، اعتنى به: محمد زهير بن ناصر الناصر - دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
١٢. فضائل الصحابة - أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل (٢٤١هـ)، تحقيق: د. وصي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣ - ١٩٨٣م.
١٣. فضائل القرآن - أبو بكر جعفر بن محمد بن الحسن بن المُستَفاض الفِرْيَابِي (٣٠١هـ)، تحقيق وتخرّيج ودراسة: يوسف عثمان فضل الله جبريل، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

١٤. فضائل القرآن - أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي (٢٢٤هـ)، تحقيق: مروان العطية، ومحسن خرابة، ووفاء تقي الدين، دار ابن كثير (دمشق - بيروت) الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
١٥. القرآن الكريم والأصول في تدبره (تمعنات في تعاليمه وخصائمه) - أ.د/ محمد حسين صفوري - شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.
١٦. مجمع الزوائد - علي بن أبي بكر الهيثمي (٨٠٧هـ)، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.
١٧. مختصر [قيام الليل وقيام رمضان وكتاب الوتر] - أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المرزوي (٢٩٤هـ)، اختصرها: العلامة أحمد بن علي المقرئ، حديث أكاديمي، فيصل اباد - باكستان، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
١٨. مصنف عبد الرزاق - أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني (٢١١هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٤٠٣هـ.
١٩. المعجم الكبير - سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني (٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مكتبة الزهراء، الموصل، ط ٢، ١٤٠٤هـ.
٢٠. الوسيلة إلى كشف العقيلة - لأبي الحسن علي بن محمد السخاوي، تحقيق: د/مولاي محمد الإدريسي، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ.



الجلسة الخامسة: المؤلفات في التدبر قراءة وتحليل  
(الكتب التطبيقية)

رئيس الجلسة: أ.د. محمد بن عبد الكريم فيلاي

قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل  
لعبد الرحمن حسن حنكة الميداني  
د. يحيى ضاحي علي شطناوي

معالم التدبر فيه كتاب  
المعين على تدبر الكتاب المبين  
د. محمد بن عبد الله بن جابر القحطاني

التدبر في المناهج التعليمية  
أ.د. صالح يحيى صواب

التدبر





## السيرة الذاتية لرئيس الجلسة الخامسة

« الإسم : د. نادر السنوسي على العمراني.

« تاريخ الميلاد: ١٠ / ١٠ / ١٣٩٢ هجري طرابلس.

« البريد الالكتروني: ELNADERSENUSSI@YAHOO.COM

« المؤهلات العلمية.

- تحصل على شهادة الليسانس في الحديث وعلومه من كلية الحديث الشريف بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية عام ١٩٩٧م بتقدير عام ممتاز، بنسبة ٩٦,٥٪.

- تحصل على دبلوم الدراسات العليا في الحديث وعلومه من قسم علوم الحديث، بكلية الحديث الشريف بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية عام ١٩٩٨م بنسبة ٩٧,٨٪.

- تحصل على الشهادة العالية (الماجستير) في الحديث وعلومه من قسم علوم الحديث، بكلية الحديث بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية عام ٢٠٠٢م بتقدير ممتاز.

- تحصل على درجة الدكتوراه من قسم الدراسات الإسلامية بجامعة طرابلس ٢٠١٠م بإشراف أ.د. الصادق بن عبد الرحمن الغرياني، مع التوصية بالطبع والتداول بين الجامعات.

« الأعمال:

- أستاذ مساعد بقسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب، جامعة طرابلس.

- وكيل الشؤون العلمية بالمعهد العالي للعلوم الشرعية التابع لدار الإفتاء الليبية.

- عضو هيئة الرقابة الشرعية بعدة مؤسسات مالية إسلامية.  
- نائب رئيس لجنة مراجعة القوانين والتشريعات وتعديلها بما يتوافق مع أحكام  
الشرعية.

- عضو مجلس البحوث والدراسات الشرعية بدار الإفتاء الليبية ٢٠١٣م.  
- الأمين العام لهيئة علماء ليبيا.  
- نائب رئيس رابطة علماء المغرب العربي.  
- عضو رابطة علماء المسلمين.

#### « المؤلفات والبحوث العلمية:

- علوم الحديث عند ابن عبد البر من خلال كتابه التمهيد.  
- قرائن الترجيح في المحفوظ والشاذ وفي زيادة الثقة عند ابن حجر من خلال فتح  
الباري.

- النصوص الشرعية بين جمود الظاهرية وخيالات المتعمقة.  
- جهود المحدثين في الدفاع عن النبي ﷺ.  
- تشريعات التأمين التكافلي في ليبيا قراءة في قرار وزير الاقتصاد رقم (٢٠١) لسنة  
٢٠١٢م.

- الحديث الحسن لذاته وعدم اختصاصه بخفة الضبط.  
- الأحاديث المشتهرة على الألسنة وحكم روايتها دون تثبت.  
- أثر المعايير الشرعية في كفاءة التدقيق الشرعي.

# قواعد التدبير الأمثل لكتاب الله عز وجل

لعبد الرحمن حسن جنبكة الميداني

إعداد

د. يحيى ضاحي علي شطناوي

أستاذ مشارك في التفسير وعلوم القرآن، جامعة اليرموك - كلية الشريعة - قسم أصول الدين.



## السيرة الذاتية للباحث

« الإسم : د. يحيى ضاحي علي شطناوي.

« الرتبة : أستاذ مشارك.

« مكان وتاريخ الميلاد : حوارة ٢٥/٥/١٩٦٤م.

« البريد الإلكتروني: [shatnawi@yu.edu.jo](mailto:shatnawi@yu.edu.jo)

« المؤهلات العلمية:

- بكالوريوس أصول الدين (السنة وعلومها)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الرياض، السعودية، عام ١٩٨٨ بتقدير ممتاز.

- ماجستير أصول الدين (القرآن وعلومه)، جامعة الإمام، عام ١٩٩٣م بتقدير ممتاز، عنوان الرسالة: (تفسير عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، جمع وتحقيق ودراسة).

- أصول الدين (القرآن وعلومه)، جامعة الإمام، عام ٢٠٠٠م بتقدير ممتاز، عنوان الرسالة: (الانحراف الفكري في التفسير المعاصر - دوافعه ومجالاته وآثاره).

« البحوث العلمية

- تثبيت النبي صلى الله عليه وسلم في ضوء سورة القلم، مجلة دراسات - الجامعة الأردنية - عمان (منشور) ٢٠٠٣م.

- التجديد في التفسير مجلة أبحاث اليرموك جامعة اليرموك - إربد (منشور) ٢٠٠٤م.

- انفراد القرآن الكريم بالتنزيل المنجم، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية - جامعة آل البيت، المفرق، بحث مشترك (منشور) ٢٠٠٦م.

- المجاملات وأثرها على العلاقات بين الناس في ضوء الكتاب والسنة، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية- جامعة آل البيت (منشور) ٢٠٠٨م.
- المقومات المعنوية للمجتمع المسلم في ضوء سورة الحجرات، مجلة جامعة الملك سعود، العلوم التربوية والدراسات الإسلامية- الرياض، السعودية (منشور) ٢٠٠٩م.
- الدوافع والحيل عند المنافقين: دراسة قرآنية نفسية المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية- جامعة آل البيت، بحث مشترك (منشور) ٢٠٠٩م.
- أثر السنة النبوية في بناء الشخصية الإسلامية: دراسة تأصيلية، مجلة دراسات- علوم الشريعة والقانون، الجامعة الأردنية (منشور) ٢٠١٠م.
- فقه التدين في ضوء قوله تعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطا)، مجلة الدراسات الإسلامية- الباكستان، (مقبول للنشر) ٢٠٠٩م.
- تعديل السلوك اللفظي في القرآن الكريم: دراسة قرآنية تربوية، بحث مشترك، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية- جامعة آل البيت، (منشور) ٢٠١٣م.
- ترشيد الإنفاق في ضوء قوله تعالى (إنه لا يحب المرففين) دراسة قرآنية- اقتصادية، مجلة دراسات- علوم الشريعة والقانون، الجامعة الأردنية (منشور ٢٠١٤).
- منهج القرآن الكريم في معالجة تردد الإنسان بين الجد واللهو (بحث مشترك) مقبول للنشر ٢٠١٤م، مجلة دراسات- الجامعة الأردنية.
- الفهم السليم في تفسير بعض آيات الكتاب الكريم، مجلة الدراسات الإسلامية- الباكستان (منشور ٢٠١٤).

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأزكى التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فما أجمل الاشتغال بعلم التفسير كونه يتعلق بكلام الله سبحانه! ومن هذه الأمور القواعد المعينة على فهم ذلك الكلام، والكتب في قواعد التفسير كثيرة في القديم والحديث، ولكن برز كتاب يمكن إدخاله ضمن هذه السلسلة وهو قواعد التدبر للشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، رحمه الله تعالى، فكانت هذه الدراسة المختصرة أملاً في تقديم صورة تقريبية للكتاب الذي يقع في ٨٣٩ صفحة وبيان قيمته العلمية<sup>(١)</sup>، ذكر من خلالها المؤلف أربعين (٤٠) قاعدة من قواعد التدبر.

ويمكن تقسيم البحث إلى ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: وصف عام للكتاب.

المطلب الثاني: نماذج مختارة وافق فيها العلماء.

المطلب الثالث: نماذج مختارة قابلة للنقاش.

(١) اعتمد الباحث على طبعة الكتاب الثانية سنة ١٤٠٩ / ١٩٨٩ دار القلم - دمشق

## المطلب الأول

### وصف عام للكتاب

- هذه القواعد استخرجها المؤلف من خلال ممارسته الطويلة للتدبر في كتاب الله، ويراهما تصلح منهجا يحتذيه المتدبرون للقرآن<sup>(١)</sup>.
- لم يستوعب جميع قواعد التدبر، وهذا ما أشار له المؤلف بنفسه<sup>(٢)</sup>.
- بعض هذه القواعد مسبوق إليه من مؤلفين آخرين وهو شيء طبيعي وقد ذكر ذلك المؤلف<sup>(٣)</sup>.
- صياغة القواعد جاءت على شكل شرح مطول بعيدٍ عن القاعدة المسبوكة المختصرة فهي ليست قواعد تفسيرية محكمة الصياغة في الغالب<sup>(٤)</sup>.
- اختلاط القواعد مع بعضها وحصول التداخل والتكرار<sup>(٥)</sup>، ولعل هذا ما جعل المؤلف يضيف لعنوان كتابه: تأملات.
- غالب الأمثلة من المتشابه اللفظي، ولا تتبع قاعدة معينة.
- لا يذكر مراجع في كتابه إلا نادرا، وإذا ذكر فلا يشير إلى المرجع والصفحة. (ذكر على سبيل المثال: الطبري والزمخشري وابن كثير والزرکشي وكتاب لسان العرب مرات قليلة)<sup>(٦)</sup>.

---

(١) انظر الميداني: قواعد التدبر ص ١٢.

(٢) انظر الميداني: قواعد التدبر ص ١٢.

(٣) انظر الميداني: قواعد التفسير ص ١٢.

(٤) انظر على سبيل المثال القاعدة الثامنة ص ١٣٩.

(٥) انظر مثلا ص ٥٤٠ حيث تكرر التمثيل بقوله تعالى (كونوا قوامين بالقسط)، وقوله (كونوا قوامين لله).

(٦) انظر على سبيل المثال ص ٢٩٦، ٣٥٢، ٣١٨.



- لا يخرج الأحاديث النبوية على قلتها.
- يعتمد ترتيب السور حسب تاريخ نزولها، وهذا مخالف لفتوى العلماء في هذا الشأن<sup>(١)</sup>، من اعتبار ترتيب المصحف.
- تحدث عن القراءات العشر وجعلها من ضمن قواعد التدبر<sup>(٢)</sup>.
- عدم التناسق، فأحيانا يتحدث عن قاعدة بعشرات الصفحات ويحشد لها الأمثلة الكثيرة، وقاعدة يتحدث عنها بشكل مقتضب<sup>(٣)</sup>.
- بعض الفوائد من فهمه وتدبره لكلام الله تعالى أقرب ما تكون للخواطر<sup>(٤)</sup>.
- التطويل في الأمثلة بحيث ينسى القارئ القاعدة، مثل ما ذكره عند القاعدة السادسة، فقد مثل عليها بتسعة أمثلة بإسهاب جاءت في أكثر من ستين صفحة<sup>(٥)</sup>.
- وكذلك ما كتبه حول القضاء والقدر ومحوالي سبع وستين صفحة، مما جعل الأمر يتشعب على القارئ ولم يخرج بفائدة أو الفرق بين هذه المصطلحات.
- وكذا التطويل في التفريق بين الفقير والمسكين، وقد قام بسبر الآيات وهذا شيء طيب، لكن بعد تلك الأمثلة توصل إلى أن بين اللفظين عموماً وخصوصاً<sup>(٦)</sup>.
- سلامة لغة الكتاب وقوة العبارة مع قربها للقارئ، بحيث لا يجد القارئ صعوبة في استيعابها، أو فهم مكنوناتها.

(١) انظر ترتيب السور في الجدول ص ١٧٨-١٨٤.

(٢) انظر ص ٧٠٩.

(٣) انظر على سبيل المثال القاعدة السادسة والعشرين ص ٥٥١.

(٤) انظر على سبيل المثال ص ٢١٦.

(٥) انظر ص ٦٧-١٣١.

(٦) انظر ٢٢٦-٣٤٨.

## المطلب الثاني

### نماذج مختارة وافق فيها العلماء

كثيرة هي الأمثلة التي وافق فيها غيره من العلماء السابقين، ويقره عليها اللاحقون، ونذكر نماذج من ذلك:

القاعدة الثامنة: حول تكافؤ النصوص القرآنية ووجوب الجمع بينها في نسق فكري متكامل وعدم اللجوء إلى الحكم بالنسخ إلا فيما ثبت نسخه بدليل صحيح صريح<sup>(١)</sup>. وهذا صحيح نوافقه عليه، ولكن حبذا لو جاء بأمثلة على آيات منسوخة ثبتت بدليل صحيح صريح.

وجدير بالذكر أن التوسع بالنسخ كان نتيجة توسع المفهوم عند السابقين واختلاف مفهومه عند المتأخرين.

القاعدة الحادية عشرة: «حول النظر فيما ورد من أسباب النزول»<sup>(٢)</sup>، قال: «وكثير مما يذكره المفسرون على أنه سبب لنزول آية من الآيات ليس له سند صحيح يثبتته، كما أنه قد يكون غير صالح لإلقاء الضوء على المعنى المراد، بل قد يحول فكر المتدبر لكلام الله عن الفهم الصحيح المتسق مع جملة ما جاء في كتاب الله، وقد يصادف المطالع في كتب التفسير حادثة مكية ذكر بعض المفسرين أنها سبب لآية مدنية، أو العكس... لذلك لا يصح اعتماد جميع ما ذكره المفسرون على أنه من أسباب النزول، واعتباره أساسا لتحديد معاني النصوص، إلا أن يثبت بسند صحيح، ولا يتنافى مع

(١) ص ١٣٩.

(٢) ص ٢٠٣.

تاريخ نزول النص، أو يكون منسجماً مع دلالات النص الواضحة دون أن يكون فيه ما يחדش اعتباره سبباً لنزول النص الموضوع للتدبر»<sup>(١)</sup>.

وهذا كلام سليم، فينبغي الحذر من خلط أسباب النزول بغيرها، إذ قد يقول القائل: نزلت هذه الآية في كذا، ويكون المراد بيان موضوع الآية، أو ما دلت عليه من الحكم<sup>(٢)</sup>.

قال الزركشي: وقد عرف من عادة الصحابة والتابعين أن أحدهم إذا قال: نزلت هذه الآية في كذا فإنه يريد بذلك أن هذه الآية تتضمن هذا الحكم، لا أن هذا كان السبب في نزولها»<sup>(٣)</sup>.

القاعدة الثانية عشرة: «حول لزوم فهم الآية وفق ترتيب نظمها»<sup>(٤)</sup> وجاء بأمثلة على ذلك، وهذا صحيح فينبغي مراعاة السياق الذي جاءت فيه الآية، وذلك يساعد على تفسيرها.

ولا ننسى أن السياق القرآني من أهم دعائم التفسير؛ فهو يساعد على سلوك السبيل القويم في التفسير، وهو حجة قوية في الرد على كل من فهم الآية حسب فهمه الخاص ويقطعها عن سياقها.

وللسياق أهمية لا تخفى في فهم الكلام، وهو قرينة واضحة تدل على مراد المتكلم من كلامه، فقد يدل على معنى في كلام وعلى معنى مغاير في سياق كلام آخر، وكذلك الآية القرآنية لكي نفهمها الفهم السليم لا بد من ربطها بسياقها وسباقها، مع الأخذ

(١) ص ٢٠٥.

(٢) انظر عتر: نور الدين، علوم القرآن الكريم، ص ٤٩، ط ١٤١٦/١٩٩٦ مطبعة الصلاح - دمشق.

(٣) الزركشي: البرهان ١/٣١-٣٢.

(٤) ص ٢٠٧.

بعين الاعتبار أن هذه الآية هي كلام الله سبحانه الذي يختلف عن كلام البشر<sup>(١)</sup>. قال ابن تيمية: «فمن تدبر القرآن وتدبر ما قبل الآية وما بعدها، وعرف مقصود القرآن تبين له المراد، وعرف الهدى والرسالة، وعرف السداد من الانحراف والاعوجاج»<sup>(٢)</sup>.

وقال الزركشي عن دلالة السياق: «فمن أهمله غلط في تنظيره وغالط، في مناظراته، وانظر إلى قوله تعالى ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩]، كيف تجد سياقه يدل على أنه الدليل الحقيق»<sup>(٣)</sup>.

فتجد من يستدل بالآية أو بجزء منها على أمر معين لتعزيد أمر مقرر في الذهن، دون الالتفات لمكان تلك الآية في السياق، ودون النظر إلى ما يسبقها وما يلحقها، مما يجعل الاستدلال بها بهذا الشكل غير سليم.

القاعدة الرابعة عشرة: حول اقتضاءات النص ولوازمه وروابطه الفكرية ومحاذيفه التي حذفت منه للإيجاز والتضمنيات التي يضمنها<sup>(٤)</sup>، تطرق لآيات كريمة من قبيل أساليب البيان في القرآن، مثل مبحث: المحاذيف<sup>(٥)</sup>، وهذا توسع في قواعد التدبر.

(١) انظر الحسين: عبد القادر، معايير القبول والرد لتفسير النص القرآني، ص ٧١٠-٧١١ الحسين: عبد

القادر محمد، معايير القبول والرد لتفسير النص القرآني، دار الغوثاني، دمشق، ط ١، ١٤٢٨/٢٠٠٨

(٢) ابن تيمية: أحمد بن عبد الحلیم، مجموع الفتاوى ١٥/٩٤ إشراف الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين، بدون تاريخ.

(٣) الزركشي: البرهان ٢/٢٠٠-٢٠١ الزركشي: محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩١/١٩٧٢.

(٤) ص ٢٣٩.

(٥) انظر ص ٢٣٩-٣٠٦.

القاعدة الخامسة عشرة: حول التكرير وأغراضه<sup>(١)</sup>، تكلم عن التكرير الحرفي لبعض الآيات، مثل آية الصف ٨-٩، وآية التوبة ٣٣، وهذا ينطبق عليه الآيات المتشابهة، وقد سبق أن تعرض لهذا الموضوع فكان بالإمكان ضمه للسابق.

القاعدة السادسة عشرة: «حول ضرورة البحث في معاني الكلمات القرآنية بحثاً علمياً لغوياً»<sup>(٢)</sup>، أشار في معرض حديثه إلى ضرورة اعتماد دلالات الكلمات القرآنية في عصر نزول القرآن، لا وفق ما تطورت إليه الكلمة بعد ذلك في العصور الإسلامية، ولا وفق المصطلحات التي تمت بعد عصر التنزيل، كمصطلحات الفقهاء<sup>(٣)</sup>.

وقد مثل على القاعدة بأمثلة منها: ليس كل ظن بمعنى اليقين، وهنا استدرك على بعض المفسرين، وهذا صحيح<sup>(٤)</sup>.

وفي معرض شرحه لمادة قضي، استشهد بقوله تعالى ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الزمر: ٤٢] ، ذكر المعنى العام للآية: «اللَّهُ يتوفى الأنفس حين موتها وحين نومها، فيمسك التي سبق إمضاء إرادته بموتها في ذلك الأجل، فتموت ويرسل التي لم يحن أجل موتها لتعود إلى حياة اليقظة، ويظل أمرها كذلك مناما ويقظة حتى يحين الأجل المسمى لموتها فيمسكها عنده، فالتوفي شيء غير الموت، يحدث عند النوم، ويحدث عند الموت، والذي حدث لعيسى عليه السلام شيء غير الموت، وبهذا تنحل إشكالات كثيرة»<sup>(٥)</sup>.

(١) ص ٣٠٧.

(٢) ص ٣١٧.

(٣) ص ٣١٩.

(٤) انظر ص ٣٢٤.

(٥) ص ٣٦٦.

وبالفعل فهذا يساعد في تفهم قضية توفي عيسى عليه السلام والتي حصل فيها لغط كبير بين المفسرين، فالجمهور على أن عيسى عليه السلام رفع ولم يقع عليه الموت، وسينزل في آخر الزمان<sup>(١)</sup>، بخلاف من أخرج الحادثة عن كونها معجزة ففسروا التوفية بالإماتة، والرفع برفع المكانة لا رفع الجسد، مثل الشيخ محمد عبده<sup>(٢)</sup>، وعبد الجليل عيسى<sup>(٣)</sup>.

القاعدة الثامنة والعشرون: حول استعمال الكلام في أكثر من معنى معاً<sup>(٤)</sup>  
استشهد بأقوال العلماء من الفقهاء والأصوليين، ثم انتهى إلى القول: «فانتهيت إلى أن من الأمثل والأفضل في تدبر كلام الله عز وجل حمل النص على كل المعاني التي يؤيدها الواقع أو العقل، تمشياً مع عطاء القرآن الثر، الذي لا تنضب معانيه، ولا تفتى عجائبه<sup>(٥)</sup>».

(١) انظر الطبري: محمد بن جرير، جامع البيان ٣٨٦/٩، تحقيق: محمود وأحمد شاكر، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، وانظر ابن كثير: إسماعيل بن كثير: تفسير القرآن العظيم ١/٥٩٠، ط ٢، ١٤٠٧/١٩٨٧، دار المعرفة- بيروت، وانظر ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن، زاد المسير ٢/٢٤٧، ط ١، ١٣٨٧/١٩٦٧

(٢) انظر رضا: محمد رشيد: تفسير المنار ٣/٣١٦ (تفسير القرآن الحكيم) ط ٢، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ

(٣) انظر عبد الجليل عيسى: المصحف الميسر، ص ١٣٠، ط ٧، ١٤٠٧/١٩٨٧، دار الكتاب المصري

(٤) انظر ص ٥٦٧

(٥) الميداني ص ٥٧٠

## المطلب الثالث

### نماذج مختارة قابلة للنقاش

هناك أمثلة ذكرها المؤلف، وكونها من تأملاته، فهي قابلة للنقاش يذكر الباحث نماذج مختارة.

القاعدة الأولى: حول ارتباط الجملة القرآنية بموضوع السورة<sup>(١)</sup>، ذكر أن قوله تعالى في سورة القيامة ﴿لَا تُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ [القيامة: ١٦، ١٧] جملة اعتراضية تربوية ليس لها مناسبة فكرية بينها وما سبقها من آيات وما تبعها<sup>(٢)</sup>.

وأعاد ذكر ذلك في القاعدة الثانية: حول وحدة موضوع السورة القرآنية، وعد ذلك درساً اعتراضياً خاصاً بالرسول ﷺ، لا صلة له بموضوع السورة<sup>(٣)</sup>.

ويظهر هذا من أول نظرة، لكن المتأمل في السورة وما حوت وما ذكره جهابذة المفسرين يجد الصلة واضحة، وليست مجرد جملة معترضة، ومن المفسرين الذين ردوا على ذلك وأثبتوا وجود المناسبة الإمام الرازي، حيث ذكر ستة وجوه للمناسبة<sup>(٤)</sup>، وكذلك الإمام الآلوسي<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر ص ١٣.

(٢) انظر ص ١٦.

(٣) انظر ص ٤٣.

(٤) انظر الرازي: فخر الدين محمد بن عمر: التفسير الكبير ٢٩/١٩٦-١٩٧ ط ١٤١١/١٩٩٠م، دار الكتب العلمية - بيروت.

(٥) انظر الآلوسي: روح المعاني ٢٩/١٤٣، ط ٤، ١٤٠٥/١٩٨٥ دار إحياء التراث العربي، بيروت.

القاعدة الثالثة: حول أوجه النص التي يهدف إليها<sup>(١)</sup>، ذكر أمثلة ينطبق عليها قاعدة: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وهي قاعدة أصولية ذكرها جل العلماء<sup>(٢)</sup>.

القاعدة السادسة: حول تكامل النصوص القرآنية في الموضوعات التي اشتمل عليها القرآن، واستبعاد احتمال التكرير لمجرد التأكيد ما أمكن<sup>(٣)</sup>. وهذه ينطبق عليها قاعدة: التأسيس أولى من التأكيد.

ومن ضمن الآيات التي ذكرها قوله تعالى ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمَكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢] للدلالة على أن من اتقى الله فتح الله له أبواب المعرفة<sup>(٤)</sup>.

وللباحث وقفة مع هذا الجزء من الآية التي يستشهد بها البعض على أن فيها وعدا لمن اتقى الله تعالى أن يعلمه<sup>(٥)</sup>، حتى أصبح كالتعليل، فالتقوى سبب للعلم، وعليه، فكل متق لله سيحظى بالعلوم الإلهية ولو بدون تعلم، وهذا ليس بلازم كما هو معلوم، ولا يلائم سياق الآية وارتباط ذيلها بصدرها، لكن الله تعالى يهيئ للمتقين أسباب انشراح الصدر وصفاء النفس فيسهل عليهم تعلم العلوم، فالكلام على عمومته وإجماله قد يقبل، إلا أن جعله لازما وتعليلا غير مقبول نحويا وواقعيًا،

(١) انظر الميداني ص ٤٥.

(٢) انظر السيوطي: عبد الرحمن، الإتيان في علوم القرآن ١/ ١٣٣ وما بعدها، ط ١، ١٤٢٤/٢٠٠٣، مؤسسة النداء - الإمارات، وانظر: الحسين: د. عبد القادر محمد، معايير القبول والرد لتفسير النص القرآني، ص ٤٨٩، ط ١، ١٤٢٨/٢٠٠٨، دار الغوثاني، دمشق.

(٣) انظر ص ٦٧.

(٤) انظر ص ٧٢.

(٥) انظر الشوكاني: فتح القدير ١/ ٣٠٣.



وقد رد صاحب المنار على ذلك الاستدلال من وجهين، الأول من جهة النحو فقال: «لأن عطف «يعلمكم» على «اتقوا الله» ينافي أن يكون جزاء له ومرتباً عليه لأن العطف يقتضي المغايرة، ولو قال «يعلمكم» بالجزم لكان مفيداً لما قالوه، وكذلك لو كان العطف بالفاء أو اتصل بالفعل لام التعليل، والثاني أن قولهم هذا عبارة عن جعل المسبب سبباً والفرع أصلاً والنتيجة مقدمة، فإن المعروف المعقول أن العلم هو الذي يثمر التقوى، فلا تقوى بلا علم، فالعلم هو الأصل الأول وعليه المعول»<sup>(١)</sup> وقال ابن عاشور: وفي عطفه على الأمر بالتقوى إيحاء إلى أن التقوى سبب إفاضة العلوم، حتى قيل: إن الواو فيه للتعليل أي ليعلمكم، وجعله بعضهم من معاني الواو، وليس بصحيح»<sup>(٢)</sup>، فالأولى أن تكون الجملتان مستقلتان، فاتقوا الله في جميع أوامره ونواهيه، ويعلمكم ما يكون إرشاداً واحتياطاً في أمر الدنيا وأمر الدين<sup>(٣)</sup>، ويؤيد هذا تكرار لفظ الجلالة، فإنه لولا كون قوله: «ويعلمكم الله» كلاماً مستأنفاً كان مقتضى السياق أن يقال: يعلمكم باضمار الفاعل<sup>(٤)</sup>.

وقال الكازروني: «قوله تعالى ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ معطوف على قوله (وأشهدوا إذا تبايعتم)، وقوله تعالى ﴿وَيَعْلَمُكُمْ اللَّهُ﴾ هذه الواو ليست عاطفة وإلا لزم عطف الأخبار على الإنشاء، بل واو الاستئناف كما صرح ابن هشام، حيث قال: الثاني من أقسام الواو وهو أن يرفع ما بعدها وهو الواو الاستئنافية نحو لنبين لكم ونقر في الأرحام، ونحو واتقوا الله ويعلمكم الله»<sup>(٥)</sup>.

(١) رضا: محمد رشيد، تفسير المنار ١/١٢٩.

(٢) ابن عاشور: التحرير والتنوير ٣/١١٨.

(٣) انظر الرازي: التفسير الكبير ٧/١٠٤.

(٤) انظر الطباطبائي: محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن ٢/٤٣٥، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط ٣، ١٣٩٣/١٩٧٣.

(٥) الكازروني: حاشية الكازروني على البيضاوي ١/٢٧١.

وقال الدكتور سمير استيتية: «هذا الجزء من الآية من عجائب القرآن الكريم، فهو مكون من ثلاث جمل، فالجملتان الأوليان تبدآن بفعلية، فهما متشابهتان بهذا الاعتبار، لكن هذا التشابه هو سبب التخالف، والتخالف هو الذي جعل كل واحدة من الجملتين مستقلة استقلالاً تاماً عن الأخرى، ولو كانت الجملة الثانية اسمية هكذا: اتقوا الله والله يعلمكم، أي أن المعنى سيظهر فيه أن جملة: الله يعلمكم، دالة على أن الله يعلمكم التقوى، وليس هذا المراد، ولكن المقصود أن الله يعلمكم أحكام دينكم، كما علمكم الدين في هذه الآية، وإنما عرفنا ذلك من كون الجملتين: اتقوا الله، ويعلمكم الله، على فصال تام، وما كان ذلك ليكون إلا بسبب أن الجملتين مختلفتان في الوجهة، فليست ثانيتهما تفرعاً لأولاهما»<sup>(١)</sup>.

ويمكن الاستدلال على المراد بآيات أخرى أكثر صراحة، مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩] وقوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ [الحديد: ٢٨]، وقوله ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢].

القاعدة الثامنة: حول وحدة موضوع السورة القرآنية، ذكر أنه نظر نظرة عامة في سورة البقرة فوجدها كذلك، لكنه لم يكتب دراسة حولها<sup>(٢)</sup>، وكان المأمول لو أنه أشار لدراسة الدكتور محمد عبد الله دراز حول السورة، تحت عنوان: نظام عقد المعاني في سورة البقرة، في كتابه القيم: النبأ العظيم<sup>(٣)</sup>، ويخدم القاعدة التي أشار لها.

(١) استيتية: رياض القرآن ١/ ٨٠٧

(٢) انظر ص ٣٠

(٣) انظر دراز: النبأ العظيم ص ١٥٨

القاعدة العاشرة: حول الحكمة من وضع آيات مدنية التنزيل في سور مكية، ووضع آيات مكية التنزيل في سور مدنية<sup>(١)</sup>.

فإذا جعلنا الهجرة النبوية هي الحد الفاصل، فهل يستقيم مثل هذا؟

فالآيات المكية في السور المدنية أمر نادر- كما ذكر ذلك الحافظ ابن حجر<sup>(٢)</sup>، بل إن الباحث يؤيد ما ذكره الدكتور فضل عباس بأن ذلك لا وجود له، «فلا يعقل أن تنزل الآية في مكة المكرمة وأن تبقى سنين طويلة لا مكان لها إلى أن تنزل السورة في المدينة المنورة، ثم توضع تلك الآيات أو الآية أو الآيتان في تلك السورة»<sup>(٣)</sup>.

القاعدة السادسة والعشرون: حول ضرورة ملاحظة قواعد اللغة العربية ومفاهيم الصيغ الصرفية، ولزوم البحث عن سر مخالفة الإعراب لمقتضى الظاهر<sup>(٤)</sup>، ولم يمثل لذلك إلا بمثال واحد، وكان بالإمكان التمثيل بآيات جرى كلام في إعرابها، مثل قوله تعالى ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ [النساء: ١]، وقوله ﴿إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾ [طه: ٦٣]<sup>(٥)</sup>.

القاعدة السابعة والعشرون: حول رعاية فواصل الآيات اهتماماً بالنسق اللفظي<sup>(٦)</sup>، وهذه مسألة جرى كلام طويل عليها.

(١) انظر ص ١٨٥

(٢) انظر ابن حجر العسقلاني: فتح الباري ٩/ ٥١-٥٢ ط ١، ١٩٩٧، دار السلام، الرياض

(٣) عباس: فضل، اتقان البرهان في علوم القرآن ١/ ٣٨٠ ط ١، ١٩٩٧ دار الفرقان، عمان

(٤) انظر ص ٥٥١

(٥) انظر على سبيل المثال: عباس: فضل، التفسير أساسياته واتجاهاته ص ٣٦٠-٣٧٦، ط ١،

١٤٢٦/ ٢٠٠٥، مكتبة دنديس، عمان

(٦) انظر ص ٥٥٧

## مراجع البحث

١. ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن، زاد المسير، ط١، ١٣٨٧/١٩٦٧.
٢. ابن تيمية: أحمد بن عبد الحلیم، مجموع الفتاوى إشراف الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين، بدون تاريخ.
٣. ابن حجر العسقلاني: فتح الباري ط١، ١٩٩٧، دار السلام، الرياض.
٤. ابن عاشور: محمد الطاهر، التحرير والتنوير، طبعة مصورة، بدون تاريخ.
٥. ابن كثير: إسماعيل بن كثير: تفسير القرآن العظيم، ط٢، ١٤٠٧/١٩٨٧، دار المعرفة- بيروت.
٦. استيتية: سمير شريف، رياض القرآن (تفسير في النظم القرآني ونهجه النفسي والتربوي) جدار للكتاب العالمي، عمان، ط١، ١٤٢٦/٢٠٠٥.
٧. الآلوسي: روح المعاني، ط٤، ١٤٠٥/١٩٨٥، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٨. الحسين: عبد القادر، معايير القبول والرد لتفسير النص القرآني، دار الغوثاني، دمشق، ط١، ١٤٢٨/٢٠٠٨.
٩. دراز: محمد عبد الله، النبأ العظيم، ط٢، ١٣٩٠/١٩٧٠.
١٠. الرازي: فخر الدين محمد بن عمر: التفسير الكبير، ط١، ١٤١١/١٩٩٠، دار الكتب العلمية - بيروت.
١١. رضا: محمد رشيد: تفسير المنار (تفسير القرآن الحكيم) ط٢، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.

١٢. الزركشي: محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٢/١٣٩١.
١٣. السيوطي: عبد الرحمن، الإتقان في علوم القرآن، ط١، ١٤٢٤/٢٠٠٣، مؤسسة النداء- الإمارات، .
١٤. الشوكاني: محمد علي، فتح القدير، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٣/١٤٠٣.
١٥. الطباطبائي: محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط٣، ١٩٧٣/١٣٩٣.
١٦. الطبري: محمد بن جرير، جامع البيان، تحقيق: محمود وأحمد شاکر، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.
١٧. عباس: فضل، اتقان البرهان في علوم القرآن ط١، ١٩٩٧ دار الفرقان، عمان.
١٨. عباس: فضل، التفسير أساسياته واتجاهاته، ط١، ١٤٢٦/٢٠٠٥، مكتبة دنديس، عمان.
١٩. عبد الجليل عيسى: المصحف الميسر، ط٧، ١٤٠٧/١٩٨٧، دار الكتاب المصري.
٢٠. عتر: نور الدين، علوم القرآن الكريم، ط٦، ١٤١٦/١٩٩٦ مطبعة الصلاح- دمشق.
٢١. الكازروني: أبو الفضل القرشي الصديقي الخطيب: حاشية الكازروني على البيضاوي، مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع، بيروت، بدون.
٢٢. الميداني: عبد الرحمن حسن حبنكة، قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل، ط٢، ١٤٠٩/١٩٨٩ دار القلم - دمشق.



# معالم التدبر فيه كتاب المعين على تدبر الكتاب المبين

إعداد

د. محمد بن عبدالله بن جابر القحطاني

عضو هيئة التدريس بقسم القرآن وعلومه، كلية الشريعة وأصول الدين - جامعة الملك خالد.





## السيرة الذاتية للباحث

« الإسم: د. محمد بن عبدالله بن جابر آل مسفر القحطاني.

« تاريخ الولادة: ١٣٩١هـ

« الدراسة: خريج كلية الشريعة وأصول الدين - فرع جامعة الإمام بأبها - قسم القرآن وعلومه عام ١٤١٤هـ.

« العمل الوظيفي:

- أستاذاً مساعداً في قسم القرآن وعلومه بكلية الشريعة وأصول الدين بجامعة الملك خالد.

« المؤهلات العلمية:

- ماجستير في القرآن وعلومه في كلية أصول الدين بالرياض ١٤٢٠هـ، وعنوان البحث: جهود الإمام ابن عبدالبر في علوم القرآن - دراسة وموازنة.

- دكتوراه في القرآن وعلومه من نفس الكلية عام ١٤٢٧هـ وعنوان البحث: ترجيحات الإمام ابن القيم واختياراته في التفسير - من أول القرآن إلى آخر سورة الإسراء - دراسة وموازنة.

« المشاركات والخبرات:

- حاصل على عدد من الدورات التدريبية في مجال التعليم الجامعي والتعليم الإلكتروني.

- عضو الجمعية العلمية السعودية للقرآن وعلومه - ورئيس فرعها في أبها.

- مستشار في ملتقى أهل التفسير.

- معيداً في كلية الشريعة وأصول الدين بأبها بتاريخ: ١ / ١٢ / ١٤١٤هـ.

« البحوث:

- التعامل مع المخالفين لأهل الحسبة في ضوء القرآن الكريم. منشور في العدد الثاني من مجلة بحوث الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المحكمة، في عدده الثاني الصادر شهر ربيع الأول ١٤٣٢هـ.

- التعامل مع أهل الكتاب في ضوء القرآن الكريم - غير منشور.

- الإحسان في القرآن الكريم - دراسة موضوعية - غير منشور.

- تأملات في تفسير النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة للآيات - مقال منشور في مجلة الفرقان الأردنية.

- القول المبين في إثبات نزول القراءات من رب العالمين. بحث منشور في ملتقى أهل التفسير العلمي.

- كتاب: توفيق الرحمن في دروس القرآن ليفصل آل مبارك - دراسة وتقويم.

- مقالات علمية منشورة في ملتقى أهل التفسير العلمي.

- شاركت في مراجعة "المختصر في التفسير" الذي أصدره مركز تفسير للدراسات القرآنية.

## ملخص البحث

تناول بحث: «معالم التدبر في كتاب المعين على تدبر الكتاب المبين» - كما هو ظاهر من عنوانه - كتاب «المعين على تدبر الكتاب المبين» تأليف الأستاذ: محمد مكي، من جهة إبراز معالم تدبر القرآن الكريم الذي اشتمل عليها هذا التفسير.

وقد جاء البحث بعد المقدمة في تمهيد، ومبحثين، وخاتمة.

فأما التمهيد فاشتمل على التعريف بالمؤلف والكتاب.

وأما المبحث الأول فحُصص لمعالم التدبر النظري في كتاب المعين على تدبر الكتاب المبين، وهي خمسة معالم: أهمية التدبر - تعريفه - الآيات التي دلت على أهمية تدبر القرآن الكريم - أنواع التدبر - موانع التدبر. وفيه تعليقات وتعقبات لبعض ما ورد في هذا الكتاب حول هذه المعالم.

وفي المبحث الثاني ذُكرت أبرز معالم التدبر التطبيقي في كتاب المعين على تدبر الكتاب المبين، وهي خمسة معالم أيضاً: حمل النصوص القرآنية على كل المعاني المحتملة - تكثير معاني النصوص بحمل ما يحتمل التأسيس والتوكيد على التأسيس - الاهتمام بما يهدف إليه النص من أغراض تربوية وتعليمية - العناية بخواتم الآيات ومراميها وما تشتمل عليه من قضايا كلية - التنبيه على المعاني العميقة والدلالات الدقيقة للنصوص القرآنية، مع تطبيقات لكل معلم من هذه المعالم.

ثم جاءت الخاتمة، وفيها ذكر تنبهيات عامة حول الكتاب مع نقل فيه إشادة بهذا الكتاب، وتوصية للإفادة منه.

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك الحق المبين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله المصطفى الصادق الأمين، صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين، ورضي الله عن آله الطيبين، وصحابته أجمعين؛ أما بعد:

فإن تدبر القرآن الكريم من أهم مقاصد إنزاله، ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]، ولا سبيل إلى الاهتداء بالقرآن والانتفاع بآياته إلا بتحقيق هذا المقصد الجليل؛ ولذا كان تدبر القرآن من الواجبات المحتمات على كل مسلم ومسلمة، كل بحسب قدرته واستطاعته.

ودليل وجوب تدبر القرآن الصريح أن الله تعالى أنكر على الذين لا يتدبرونه في مواضع متعددة من كتابه، فقال سبحانه وتعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ [النساء: ٨٢] [محمد: ٢٤] في موضعين، وقال جلّ وعلا: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾ [المؤمنون: ٦٨]، إضافة إلى أدلة أخرى من الكتاب والسنة تدل على أن تدبر القرآن الكريم فريضة من فرائض الدين، ليس هذا محل عرضها وتفصيلها.

ولما كان تدبر القرآن بهذه الأهمية والمكانة، ولما كان كثير من الناس لا يحسنون تدبر القرآن، ولا يملكون مفاتيحه؛ حرص أهل العلم على القيام بواجبهم في هذا المجال، واجتهدوا في إعانة الناس على القيام بما أوجبه الله عليهم بطرائق مختلفة، أداءً للأمانة ونصحاً لكتاب الله ولعامّة المسلمين.

ومن الطرائق المسلوكة في هذه الجادة: التصنيف والتأليف والكتابة؛ فهي من خير الطرائق نفعاً، وأدومها تأثيراً، وأحسنها تأويلاً.

ومن الكتب المتميزة في هذا المجال: كتاب «المعين على تدبر الكتاب المبين» تأليف:  
الأستاذ مجد بن أحمد مكي.

وحول هذا الكتاب سيكون هذا البحث، الذي كتبته تلبية للدعوة الكريمة التي  
وُجّهت إلي من اللجنة المنظمة لمؤتمر «تدبر القرآن الكريم: أعلام ومناهج»، ضمن  
محور: «المؤلفات في التدبر: قراءة وتحليل».

وقد رأيت أن يكون عنوان هذا البحث:

«معالم التدبر في كتاب: المعين على تدبر الكتاب المبين».

ونظرًا لطبيعة البحث، وضرورة الاختصار في كتابته؛ فقد ركزت فيه على الإجابة  
عن التساؤلات التالية:

- ما قيمة هذا الكتاب في مجال تدبر القرآن الكريم؟
- ما أبرز معالم تدبر القرآن الكريم التي اشتمل عليها هذا الكتاب؟
- ما مدى تطبيق المؤلف للقواعد التي أُلزم بها نفسه في تأليف هذا التفسير  
التدبري؟

أهداف البحث:

كتب هذا البحث لتحقيق الأهداف التالية:

- (١) التعريف بكتاب «المعين على تدبر الكتاب المبين».
- (٢) إبراز نموذج متميز من جهود العلماء المعاصرين في تدبر القرآن الكريم.
- (٣) تقويم الجهد المبذول في تأليف هذا الكتاب.

## خطة البحث:

ينتظم هذا البحث في مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، مع ملحق بالمصادر والفهارس، وتفصيل ذلك كالتالي:

- المقدمة، وفيها: تساؤلات البحث، وأهدافه، وخطته، ومنهج كتابته.
- التمهيد، وفيه: التعريف بالكتاب ومؤلفه.
- المبحث الأول: معالم التدبر النظري في كتاب «المعين على تدبر الكتاب المبين».
- المبحث الثاني: معالم التدبر التطبيقي في كتاب «المعين على تدبر الكتاب المبين».
- الخاتمة، وفيها: النتائج والتوصيات.

## □ ثبت المراجع

وقد التزمت في كتابة هذا البحث بالطريقة المتبعة المسلوكة في إعداد مثل هذه البحوث العلمية، من عزو للآيات، وتخريج للأحاديث، وتوثيق للمعلومات من مصادرها، مع العناية بحسن الأسلوب، وجودة العرض قدر الإمكان.

ولا شك أن هذا البحث جهد بشري، لن يسلم من الأخطاء، ولن يخلو من النقص، ولكن حسبي أني بذلت في كتابته وإعداده جهدي حسب الوقت المتاح، والقدر المطلوب.

أسأل الله تعالى أن ينفع بهذا البحث، وأن يجعله من العلم النافع الذي أنتفع به في حياتي وبعد مماتي، كما أسأله جلّ وعلا أن يوفقني للسداد في القول والعمل.

وكتبه: د. محمد بن عبدالله بن جابر القحطاني

## التمهيد

أولاً: التعريف بمؤلف الكتاب<sup>(١)</sup>:

اسمه، ومولده:

مجد بن أحمد بن سعيد مكي، أحد أبرز علماء أهل السنة والجماعة ومن المتخصصين بعلوم الحديث النبوي، ولد في مدينة حلب في سوريا في شهر رمضان سنة ١٣٧٦ هـ.

تحصيله العلمي:

انتسب إلى كلية الشريعة بجامعة أم القرى، وتخرج فيها عام ١٤٠٤ هـ.

حصل على درجة الماجستير من كلية أصول الدين في جامعة أم القرى في مكة المكرمة، قسم الكتاب والسنة. وكان موضوع رسالته: «أقوال الحافظ الذهبي النقدية في علوم الحديث من كتابه سير أعلام النبلاء» ونوقشت عام ١٤٠٩ هـ.

أقام في مكة المكرمة منذ عام ١٤٠٠ هـ، وتعرف على كثير من علمائها واستفاد منهم.

جهوده:

انتقل إلى جدة في بداية سنة ١٤١٠ هـ، واستلم الإمامة والخطابة في جامع الرضا بحي

النعيم، وعمل مدرساً لمادة التربية الإسلامية في المرحلة الثانوية، ثم مشرفاً تربوياً بمدرسة جدة الخاصة منذ سنة ١٤١٠ هـ حتى سنة ١٤١٤ هـ.

(١) هذا التعريف منقول باختصار يسير من موقع رابطة العلماء السوريين - التعريف بالمشرف على الموقع:

<http://www.islamsyria.com/portal/page/show> ، ٩

ومنه أخذت ترجمة المؤلف في موقع الموسوعة الحرة «ويكيبيديا»: <https://ar.wikipedia.org/wik>

عمل مصححاً ومراجعاً ومشرفاً على إصدار عشرات الكتب العلمية لمجموعة من دور النشر.

عمل مع الهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم بجدة في قسم المناهج منذ سنة ١٤١٦ هـ حتى سنة ١٤٢٧ هـ، وقد كتب لهم عدة مناهج دراسية معتمدة في العقيدة والتفسير والحديث.

يشرف حالياً على موقع رابطة علماء سوريا.

يعمل الآن كباحث في كلية الدراسات الإسلامية في مؤسسة قطر في الدوحة منذ عام ١٤٢٩ هـ وإلى الآن.

#### مؤلفاته:

وقد صدرت له عدة مؤلفات وتحقيقات منها:

- ١) مقدمات الشيخ علي الطنطاوي «جمع وتقديم».
- ٢) فتاوى مصطفى الزرقا «جمع وعناية».
- ٣) البيان في أركان الإيمان. (تأليف)
- ٤) الجمان في أصول الإيمان. (تأليف)
- ٥) العقيدة الإسلامية للمكي بن عزّوز (شرح ودراسة).
- ٦) ردع الإخوان من محدثات آخر جمعة رمضان للكنوي (تحقيق).
- ٧) الإنصاف في أحكام الاعتكاف للكنوي (تحقيق).



- ٨ جياذ المسلسلات في علوم الحديث، للسيوطي (تحقيق).
  - ٩ من ذخائر السنة، للعلامة الشيخ طه الساكت، (جمع وترتيب وتحقيق وتقديم) في مجلدين كبيرين.
  - ١٠ التعريف بكتاب معارج التفكير ودقائق التدبر، للميداني. (تأليف)
  - ١١ المعين على تدبر الكتاب المبين، وهو تفسير تدبري مختصر محرر، على حاشية المصحف. (تأليف)
  - ١٢ ياقوتة الصراط في غريب القرآن، لغلام ثعلب (تحقيق وترتيب) في مجلد على حاشية المصحف.
- ومن الأعمال العلمية التي ستصدر قريباً-بعون الله تعالى-:
- ١ الندوات القرآنية (جمع وترتيب وتحقيق) في أربع مجلدات.
  - ٢ الندوات الفقهية، وهي مجموع الندوات التي كانت تعقد في مجلة «لواء الإسلام» المصرية، في ثلاث مجلدات.
  - ٣ جمهرة فتاوى محمد أبو زهرة، (جمع وترتيب ودراسة). في ثلاث مجلدات.
  - ٤ زهرة التفاسير، (تهذيب وترتيب)، وأصل الكتاب للخطاط محمد الطاهر الكردي المكي، في خمس مجلدات.
  - ٥ التفسير المكي لمحمد طاهر الكردي أيضاً، (تصحيح وعناية) في عشر مجلدات.

### ثانياً: التعريف بكتاب «المعين على تدبر الكتاب المبين»:

لا شك أن مؤلف الكتاب هو أعلم الناس به، وأقدرهم على التعريف به؛ فتأليف الرجل كأحد أبنائه، وقد قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦].

وقد كفانا المؤلف مؤونة التعريف بكتابه، فذكر في مقدمته ما يُغني ويكفي في هذا الصدد، كما سيأتي تفصيله بعد تعريف مجمل بهذا التفسير.

### تعريف مجمل بهذا الكتاب:

«المعين على تدبر الكتاب المبين» تفسيرٌ مختصرٌ للقرآن، مطبوع على حاشية المصحف الشريف، كتبه مؤلفه « بأسلوب عصريٍّ سهل ميسر واضح العبارة، وجيز لا يُجَل ولا يُمَل، حتى يكون قريباً من القارئ، ويكون كذلك صالحاً لترجمته إلى اللغات الأجنبيةَّة ترجمةً دقيقةً صحيحة»<sup>(١)</sup>.

وقد كتب المؤلف مقدمة نافعة لهذا الكتاب، جاءت في ست عشرة صفحة من الحجم الكبير، وهذه المقدمة تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

**القسم الأول:** تكلم فيه عن تدبر القرآن الكريم: أهميته، وتعريفه في اللغة والاصطلاح، والآيات التي تؤكد أهمية تدبر القرآن الكريم.

**القسم الثاني:** ذكر فيه المؤلف قصته مع هذا الكتاب ابتداء بتوجهه إلى تأليف كتاب في التفسير، ومروراً بمراحل كتابته والمصادر التي اعتمد عليها فيه، وانتهاء بالقواعد التي التزم بها في هذا التفسير والضوابط التي راعاها في كتابته وصياغته. وذكر في ثنايا ذلك بعض التنبيهات والنقول المفيدة.

(١) المعين على تدبر الكتاب المبين [المقدمة: ك].

القسم الثالث: ملحق بالمقدمة بعنوان: «من أجل قراءة مؤثرة للقرآن الكريم»، ذكر فيه اثني عشر توجيهاً لمن أراد أن يتأثر بالقرآن، بدأها بالحث على استحضر عظمة القرآن، وعظمة المتكلم به عز وجل، وختمها بالتأكيد على أهمية حمل رسالة القرآن، وتحقيق أهدافه ومقاصده؛ لأن هذا القرآن لا يمنح كنوزه إلا لمن يعمل به، ويجتهد في تحصيل الزاد العلمي الذي يعينه على فهمه وتدبره. ثم ختم هذا الملحق بقوله: (ولا تنس هذه القاعدة الصادقة: إنَّ القرآن لا يُعطيك بعضه إلا إذا أعطيتَه كلك. فإن أعطيته بعضك لن يعطيك شيئاً. ومعنى أن تُعطي القرآن (كلك): أن تُقصر هدفك وغايتك عليه، وتوجّه همك واهتمامك له، وتملاً أوقاتك به، وتعيش مع القرآن في حياتك).

#### الهدف من تأليف هذا التفسير:

ذكر المؤلف في مقدمة هذا التفسير أن عطاء القرآن مستمر لا ينفد، ومعانيه كثيرة لا تنضب، وأنه ومع كثرة ما ألف في تفسيره وبيان معانيه واستنباط أحكامه؛ إلا أن الحاجة لا تزال قائمة لكتابة تفسير يناسب زماننا، ويلبي احتياجات أهله، مع مراعاة صياغته بأسلوب ملائم لأساليب عصرنا وثقافتنا.

وقد اجتهد في القيام بهذه المهمة الجليلة عدد من العلماء والهيئات والمؤسسات العلمية؛ فأراد المؤلف أن يدلي بدلوه في هذا المضمار، وذلك لأمر أربعة:

الأول: القيام بالواجب نحو القرآن لثلاث تقام علينا الحجة.

الثاني: شدة حاجة المؤلف لتدبر كتاب الله تعالى.

الثالث: الأمل في أن يكون من أهل الله وخاصته.

الرابع: الرغبة في اللحاق بالقافلة المباركة التي خدمت كتاب الله تعالى عبر الأجيال، والانضمام إلى ركبهم<sup>(١)</sup>.

### مصادر هذا التفسير:

ذكر المؤلف الشيخ محمد مكي أنه اعتمد على كتاب شيخه العلامة الجليل عبدالرحمن حبنكة الميداني - (ت: ١٤٢٥) رحمه الله تعالى - «معارج التفكير ودقائق التدبر»<sup>(٢)</sup>.

قال الشيخ محمد - وفقه الله -: (ونظراً لطول الكتاب، وكثرة مباحثه، وسعة موضوعاته أولاً، ولاقتصراره على مرحلة التنزيل المكي ثانياً، أحببتُ أن أقدم للقارئ المعاصر خلاصة وافية مركزة لما كتبه الشيخ في «تفسيره التدبري»...، وقد التمتست خطى الشيخ فيما كتبه في تدبر السور المدنية مستنيراً ببعض «قواعد التدبر الأمثل»<sup>(٣)</sup>، ومُستفيداً ممَّا دَوَّنه في بعض كتبه الأخرى مثل: «ظاهرة النفاق»، و «فقه الدعوة»، و

(١) ينظر المرجع السابق [المقدمة: د - و].

(٢) قال الشيخ محمد: (انتهى الشيخ من تفسير القسم المكي حسب النزول، وصدر في (١٥) مجلداً، ثم شرع بتدبر سورة البقرة من أول التنزيل المدني، وتكلم عن موضوع السورة، ودروسها، وحال الأجل دون تحقيق الأمل، وقد كتبت كلمات في التعريف بتفسيره التدبري في مجلة «هدى القرآن» التي تصدرها الهيئة العالمية لتحفيظ القرآن في العدد الثاني، سنة (١٤٢٥)، ثم صدر سنة (١٤٢٧) عن دار القلم بدمشق بعنوان: «التعريف بكتاب معارج التفكير»).

(٣) كتاب «قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل» كتاب كبير للشيخ عبدالرحمن بن حبنكة الميداني، يقع في ٨٣٩ صفحة، قال مؤلفه عنه: (وخلال ممارستي الطويلة للتدبر في القرآن العظيم، ومطالعتي لتفسير المفسرين على اختلاف مناهجهم، تكشف لي جملة قواعد هادية لمن أراد أن يتدبر كلام الله بصورة فضلى، فأنا أكتبها لمن شاء أن ينتفع بها، فقد وجدت بالممارسة أنها ذات نفع عظيم للمتدبر وتصلح منهجاً يَحْتَدِيهِ المتدبرون للقرآن).

«أمثال القرآن»، و«الأخلاق الإسلامية»<sup>(١)</sup>...<sup>(٢)</sup>.

ثم ذكر المؤلف أنه رجع في تفسيره إلى مصادر كثيرة أُخرى، على سبيل الاستئناس والاسترشاد<sup>(٣)</sup>.

وخلاصة القول في مصادر هذا التفسير: أنه اعتمد في تفسير السور المكية على كتاب شيخه الميداني «معارج التفكير» مع الحرص على الاختصار في اللفظ والاستيفاء للمعاني، وأما السور المدنية فقد استفاد مما كتبه الشيخ الميداني في كتبه الأخرى التي اشتملت على تفسير لبعض هذه السور، وسار في البقية على نفس المنهج الذي سار عليه في السور المكية، مع الرجوع في كل ذلك إلى مصادر أُخرى على سبيل الاستئناس والاسترشاد.

### طريقة كتابة هذا التفسير:

ذكر المؤلف طريقة كتابته لهذا التفسير في المقدمة تحت عنوان «أهم الضوابط التي راعيتها في كتابة هذا التفسير»، وقد أورد تحت هذا العنوان سبعة أمور تبين طريقته التي سلكها في الكتابة والصياغة، وهي مع الاختصار والتصريف:

(١) تفسير كل آية على حدة، وعدم إعادة ألفاظ النص القرآني في التفسير إلا نادراً.

---

(١) ينظر في ترجمة الشيخ الميداني كتاب: «عبدالرحمن حبنكة الميداني: العالم المفكر المسلم» بقلم زوجته: عائدة راغب الجراح، ضمن سلسلة «علماء ومفكرون معاصرون» التي تصدرها دار القلم بدمشق، ولمعرفة أهم مؤلفاته ينظر هذا الرابط: <http://www.ahlalhdeth.com/vb/showthread.php?t=246646>

(٢) المعين على تدبر الكتاب المبين [المقدمة: ز باختصار].

(٣) ينظر لمعرفة هذه المصادر المرجع السابق [المقدمة: ز].

- ٢ الإشارة إلى رقم الآية في بداية تفسيرها.
- ٣ تجنّب ذكر القراءات ومسائل النحو والإعراب.
- ٤ تفسير الآية وفق رواية حفص عن عاصم.
- ٥ التفسير بالقدر الذي تتّسع له حاشية «مصحف المدينة النبوية المنورة».
- ٦ الحرص على أن يكون التفسير في مجلد واحد حتى يسهل الوقوف على معنى الآية أثناء التلاوة دون البحث في عدة مجلدات، ويسهل حمله واقتناؤه كذلك.
- ٧ كتابة التفسير بأسلوب صالح لجميع القراء على اختلاف مستوياتهم الثقافية وفق الأسلوب السهل الممتنع. مع مراعاة صلاحيته للترجمة إلى اللغات الأجنبية<sup>(١)</sup>.

---

(١) ينظر المرجع السابق [المقدمة: ي - ك].

## المبحث الأول

### معالم التدبر النظري في كتاب «المعين علم تدبر الكتاب المبين»

لما كان الغرض من تأليف هذا التفسير هو أن يكون معيّنًا لقارئه على تدبر القرآن الكريم - كما هو واضح من عنوانه -، وكما يظهر من صنيع مؤلفه في مقدمته؛ إذ وصفه بـ«التفسير التدبري»<sup>(١)</sup>، وخصص القسم الأول من مقدمته للحديث عن تدبر القرآن الكريم من حيث: أهميته، وتعريفه، والآيات التي تؤكد على أهميته = لما كان الأمر كذلك رأيت أن تكون دراسة منهج هذا الكتاب متعلقة بمعالم تدبر القرآن الكريم فيه، فجاء هذا المبحث للحديث على الجانب النظري لتدبر القرآن الكريم، وسيكون الحديث عن الجانب التطبيقي في المبحث الثاني - إن شاء الله -.

وهذا بيان لأبرز معالم الجانب النظري في هذا الكتاب:

#### أولاً: أهمية التدبر:

لم يتوسع المؤلف في هذا المعلم رغم أهميته، وإنما اقتصر فيه على قوله: (وتدبر القرآن أولى وأوّل ما يَشْمَرُ له أصحاب الهمم العالية، إذ هو مفتاح سائر علوم الإسلام، ولا يحسن بطالب العلم أن يقدم عليها سواها. قال ابن القيم - (ت: ٧٥١) تعالى -: «فليس شيءٌ أنفع للعبد في معاشه ومعاده، وأقرب

(١) المعين على تدبر الكتاب المبين [المقدمة : ح].

إلى نجاته من تدبُّر القرآن، وإطالة التأمل فيه، وجمع الفكر في معاني آياته»<sup>(١)</sup>...<sup>(٢)</sup>.

وواضح أن ما ذكره هنا غير كافٍ في بيان أهمية التدبر، ولعل المؤلف اكتفى بهذا البيان الموجز لأنه أشار إلى بعض الأمور التي تدل على أهمية التدبر في ثنايا مقدمته، وخاصة عند حديثه عن الآيات التي تدل على تدبر القرآن وأهميته، كما أن المقام ليس مقام تفصيل في هذه القضايا النظرية، لأنها إنما ورت في مقدمة لكتاب تفسير؛ فافتضى المقام الاختصار.

وقد اعتنى المؤلفون في التدبر من المتأخرين بهذه المسألة، وأفردوا لأهمية التدبر فصلاً ومباحث خاصة<sup>(٣)</sup>.

### ثانياً: تعريف التدبر في اللغة والاصطلاح:

أورد المؤلف تحت هذا العنوان ثلاث مسائل:

#### المسألة الأولى: التدبر في اللغة:

خلاصة ما أورده المؤلف في هذه المسألة أن (التدبر مأخوذ من مادة (د ب ر)، وهي آخر الشيء وخلفه، يقال: دبَّرت الأمر وتدبَّرت: نظرت في عاقبته. واستدبره: رأى في عاقبته مالم يَر في صدره. والتدبُّر في الأمر: التفكُّر فيه)<sup>(٤)</sup>.

(١) مدارج السالكين لابن القيم ٢ / ٣٥ [ط: دار طيبة بتحقيق عبدالعزيز الجليل].

(٢) المعين على تدبر الكتاب المبين [المقدمة: أ].

(٣) وممن أفرد «أهمية التدبر» بمبحث مستقل سلمان السندي في كتابه «تدبر القرآن» ص ١٣ - ٢٥، والدكتور ناصر العمر في كتابه «مدارج الحفظ والتدبر» ص ٥٧ - ٦٣، والدكتور هاشم الأهدل في كتابه «تعليم تدبر القرآن الكريم» ص ١٩ - ٢٤.

(٤) المعين في تدبر الكتاب المبين [المقدمة: أ].



وتعريف التدبر في اللغة واضح، لا يحتاج إلى إطالة، لكن؛ يحسن أن يضاف إلى قوله: (والتدبر في الأمر: التفكير فيه) ما يدل على التفريق بين التدبر والتفكير، فيقال مثلاً: التدبر في الأمر: التفكير في عواقبه ومآلاته وما يترتب عليه.

### المسألة الثانية: التدبر في الاصطلاح:

عرف المؤلف التدبر بتعريفين منقولين عن ابن القيم، وعن عبدالرحمن الميداني. وتعريف ابن القيم الذي نقله هو: «تحديق ناظر القلب إلى معاني القرآن، وجمع الفكر على تأمله وتعقله، وهو المقصود بإنزاله لا مجرد تلاوته بلا فهم ولا تدبر»<sup>(١)</sup>. وهذا التعريف لم يعرف به الإمام ابن القيم التدبر، وإنما عرّف به «التأمل»، وبينهما فرق كما تبه المؤلف نفسه عليه - كما سيأتي في المسألة الثالثة -.

ولابن القيم تعريف جيد للتدبر، وهو ما عبّر عنه بقوله:

(وتدبر الكلام أن ينظر في أوله وآخره، ثم يُعيد نظره مرة بعد مرة؛ ولَهَذَا جَاءَ عَلَى بِنَاءِ التَّفْعُلِ، كالتجرع والتفهم والتبين)<sup>(٢)</sup>.

وأما تعريف الشيخ عبدالرحمن بن حبنكة الميداني الذي ذكره المؤلف فهو: (التفكرُ الشامل الواصل إلى أواخر دلالات الألفاظ والكلمات والآيات والسور القرآنية ومراميتها البعيدة)<sup>(٣)</sup>.

(١) مدارج السالكين لابن القيم ٢ / ٣٤ ط: دار طيبة بتحقيق عبدالعزيز الجليل.

(٢) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة لابن القيم ١ / ٥٤٥ [طبعة دار ابن عفان بتحقيق علي بن حسن عبدالحميد].

(٣) قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل ص ١٠ [طبعة دار القلم].

وتعليقاً على ما أورده المؤلف في هذه المسألة أقول: إنه لا يوجد ما يوجب التفريق بين تعريف التدبر في اللغة وفي الاصطلاح، بل ليس هناك اصطلاح للتدبر يخالف تعريفه في اللغة، سوى أن التعريف اللغوي ينظر فيه إلى تعريف اللفظ مطلقاً، ثم عند تعريف «تدبر القرآن» يقيد التعريف بما يتعلق بالقرآن فقط.

ولم يأت في التعريفين الذين نقلهما عن ابن القيم والميداني ما يشير إلى تعريف اصطلاحى للتدبر، بل التعريف الذي نقله عن الميداني جاء في سياق تعريفه اللغوي للتدبر، حيث قال: (والتدبر عند أهل اللغة التفكر، ولكن مادة الكلمة تدور حول أواخر الأمور وعواقبها وأدبارها؛ فالتدبر هو النظر في عواقب الأمور وما تؤول إليه، ومن هذا نستطيع أن نفهم أن التدبر هو التفكر الشامل الواصل إلى أواخر دلالات الألفاظ والكلمات والآيات والسور القرآنية ومراميها البعيدة)<sup>(١)</sup>.

كما أن تعريف ابن القيم جاء موافقاً لمعنى التدبر في اللغة.

والخلاصة أنه لا يوجد تعريف للتدبر في الشرع، لا في الاصطلاح غير التعريف الذي جاء في لغة العرب لهذا اللفظ. والله أعلم

ثم رأيت في كتاب «مفهوم التدبر: تحرير وتأصيل»<sup>(٢)</sup> ما يؤيد ما ذكرت، حيث قال الدكتور فهد الوهبي في ورقته التي كتبها حول تحرير معنى التدبر عند المفسرين: (إن التدبر حقيقة لغوية متفقٌ على معناها ولم ينتقل إلى حقيقة شرعية، وإنما يفسر عند الإضافة بما يناسب المضاف إليه)<sup>(٣)</sup>.

(١) المرجع السابق ص ١٠.

(٢) وهو كتاب أصدره مركز تدبر، جمع فيه أوراق عمل الملتقى العلمي الأول لتدبر القرآن الكريم الذي عقد يوم الخميس ١ / ٦ / ١٤٢٩ هـ في مدينة الرياض.

(٣) كتاب «مفهوم التدبر: تحرير وتأصيل» ص ٨٩.

ومما يؤخذ على المؤلف في هذا المسألة أنه اقتصر على النقل، ولم يبين رأيه وموقفه مما نقله، ولم يذكر تعريفاً واضحاً للتدبر، خاصة أن كتابه أُلّف لهذا الغرض؛ فكان من المهم من الناحية المنهجية أن يُبنى الكتاب على أساس واضح في مفهوم التدبر. كما أن من الإحسان في النقل أن يختار من الأقوال في المسألة أحسنها وأوفاهها، وهذا يحتاج إلى توسيع دائرة البحث، والرجوع إلى مصادر كثيرة، وقد لا يتمكن منه الباحث في كثير من الحالات، لسبب أو لآخر<sup>(١)</sup>.

ومن أحسن ما وجدته في بيان معنى التدبر الشرعي: قول الزمخشري: (وتدبر الآيات: التفكير فيها، والتأمل الذي يؤدي إلى معرفة ما يدبر ظاهرها من التأويلات الصحيحة، والمعاني الحسنة)<sup>(٢)</sup>.

### المسألة الثالثة: الفرق بين التدبر والتفكير والتأمل:

قال المؤلف بعد أن عرّف التدبر في اللغة والاصطلاح: (ومن الكلمات التي بينها وبين التدبر تقارب وتداخل في المعاني: التفكير والتأمل)<sup>(٣)</sup>.

ثم بيّن المراد بكل كلمة منها فقال: (.. فالتدبر يعني النظر العقليّ إلى عواقب الأمور، أي أنه يتجاوز الحاضر إلى المستقبل، والتفكير جولان الفكر في الأمر الذي تكون له صورة عقلية عن طريق الدليل، وأما التأمل فقد روعي فيه إدامة النظر

(١) من المبررات التي لها حظ من النظر في هذه القضية: أن الحرص على تكميل البحث وإتقانه من معوقات الإنجاز، وصدق الأستاذ عبدالفتاح أبوغدة - رحمه الله - عندما قال في مقدمة كتابه «الرسول المعلم» ص ٦: (وكم أماتت رغبة الكمال إنجاز كثير من جليل الأعمال، كما أمات التراخي والتسويف كثيراً من فريد التأليف).

(٢) الكشف للزمخشري ٣ / ٣٢٧ .

(٣) المعين إلى تدبر الكتاب المبين [المقدمة: ب].

والتثبُّت، ومن ثمَّ فلا تكون النظرة الواحدة تأملاً، وإن كان يمكن أن تكون من قبيل التفكُّر.

فهذه المعاني الثلاثة - وإن كانت متقاربة - إلا أنَّها ليست واحدة، وإذا ذكر بعض أهل العلم أنها مترادفة، فإنما يقصد فقط الترادف الجزئي الذي قد يُوجد في بعض الأحيان دون بعضها الآخر<sup>(١)</sup>.

ويلاحظ أن المؤلف هنا انطلق في التفريق بين هذه الكلمات من المعنى اللغوي، وهذا صحيح من حيث المبدأ، ولكنه لا يكفي في الحكم النهائي حتى ينظر في الآيات التي ورد فيها كل من كلمتي «التدبر والتفكر»، وأما التأمل فإنه لم يذكر في القرآن الكريم.

ولو أنه نظر في الآيات التي استعملت فيها الكلمتان لأمكن أن يتوصل إلى نتيجة أدق في التفريق بين الكلمتين.

### ثالثاً: الآيات التي تؤكد على أهمية تدبر القرآن الكريم:

ذكر الأستاذ مجد مي - وفقه الله - في مقدمته لكتابه المعين الآيات الأربع التي تحث على تدبر القرآن الكريم، وتنكر على الذين لا يتدبرونه، وهي الآيات الأربع المعروفة في سور: ص، والمؤمنون، والنساء، ومحمد.

وقد ذكرها حسب ترتيب نزولها، فذكر آية سورة ص: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]، ثم آية سورة «المؤمنون»: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٦٨]، ثم آية سورة النساء: ﴿أَفَلَا

(١) المرجع السابق. وللإمام ابن القيم كلام جيد في التفريق بين هذه الكلمات الثلاث، إضافة إلى كلمات أخرى مقارنة، أورده في كتاب «مفتاح دار السعادة» ١ / ٥٤٤ - ٥٤٥.

يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿ [النساء: ٨٢]، ثم ختم  
بآية سورة محمد: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤].

وقد أفاد في التعليق على هذه الآيات مما ذكره الشيخ عبدالرحمن الميداني في مقدمة كتابه «قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل»<sup>(١)</sup>، مع بعض الزيادات والتنبيهات.  
ومن الفوائد التي يمكن التنويه بها من تعليقاته على الآيات السابقة:

مرحلة التدبر تأتي بعد مرحلة الفهم، إذ لا يمكن أن يُطلب التدبر لكلام لا يُفهم. وهذا يدل على أنه لا يوجد في القرآن ما لا يفهم معناه مطلقاً، وأن التدبر يكون فيما يتعلق بالمعنى المعلوم<sup>(٢)</sup>.

□ آية سورة النساء تدل على أن من تدبر القرآن فسوف يتبين له الحق، ويعلم أن القرآن منزل من عند الله عز وجل<sup>(٣)</sup>. وأقول: وهذا من أعظم مقاصد تدبر القرآن.

□ نفي وجود الاختلاف في الكلام المنزل من عند الله من ثمرات تدبر القرآن، ونفي الاختلاف لا يعني عدم وجود التناقض بين آيات القرآن فقط، بل نفي الاختلاف أوسع من نفي التناقض<sup>(٤)</sup>.

(١) ينظر كتاب «التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل» ص ٩ - ١١ .

(٢) المعين على تدبر الكتاب المبين [المقدمة : ب].

(٣) ينظر المرجع السابق [المقدمة : ج].

(٤) ينظر المرجع السابق [المقدمة : ج-د]. وقد أطال المؤلف في بيان هذا الأمر، وجعل له عنواناً مستقلاً «الاختلاف أوسع من التناقض-، واستطرد ليقرر أن من وجوه إعجاز القرآن الجديدة: (تناول القرآن الكريم كل ميادين التربية الرئيسة في حياة الإنسان على مستوى واحد من توجيه الاهتمام، وعلى مستوى واحد من الإتقان والإحكام...بلا اختلاف!). ثم قال: (وهكذا.. في أيِّ مجال، وعلى أيِّ مستوى تدبَّرت هذا القرآن وجدت أنه يحوي توجيهاً موحداً.. بلا اختلاف! وعلى درجة معجزة في=

## رابعاً: أنواع التدبر:

هذا الموضوع أورده المؤلف في الحاشية تعليقا على فائدة سبق ذكرها في المعلم السابق، وهي: أن التدبر يكون فيما يتعلق بالمعنى المعلوم<sup>(١)</sup>.

وقد أفردتها بمعلمٍ لأهميتها، ولحاجتها إلى تفصيل وبيان.

وخلاصة ما أورده المؤلف حول هذه المسألة أن التدبر نوعان:

**النوع الأول:** التدبر الأولي الذي يتعلق بـ «المتدبر السطحي»<sup>(٢)</sup>، وهو التدبر الذي يتجه إلى آيات القرآن الكريم التي لا يعذر أحد بجهالة معناها.

**النوع الثاني:** التدبر العميق الذي يتعلق بأهل العلم، وهو التدبر الذي يتجه إلى الآيات التي لا يعلم معناها إلا العلماء، وإلى ما تشتمل عليه الآيات عموماً من المعاني العميقة، والدلالات الدقيقة.

وهذا التقسيم يؤخذ من قول المؤلف: (وأما التفسير الذي لا يعذر أحد بجهالته، فالمراد به ما هو بين بنفسه، يفهمه التالي، وهذا هو الأصل؛ لأن أكثر القرآن يعود إليه، ولأجله جاء الأمر بالتدبر، كما قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ [ص: ٢٩]، وقال: ﴿وَلَقَدْ يَسْرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القمر: ١٧].

---

= كل جانب، ثم على درجة أشد إعجازاً في اجتماع كل الجوانب .. وبلا اختلاف فيما بين توجيه لجانب وتوجيه لجانب آخر..

وهذا الكتاب ما يملك أحد أن يتدبره دون أن يرى لونا من الإعجاز فيه .. ولو كان من عند غير الله لوجدوا في اختلافاً كثيراً). قلت: ولم يتبين لي وجه الحجة في هذا الإعجاز - إن صحت تسميته إعجازاً-.

(١) ينظر كتاب المعين على تدبر الكتاب المبين [المقدمة: ب حاشية رقم ٤].

(٢) «المتدبر السطحي» هكذا عبارة المؤلف، و«التدبر الأولي» تعبير من عندي، حسب فهمي لكلام المؤلف وفقه الله.

وأما التفسير الذي يعلمه العلماء، فهو الذي يدركه أهل التدبر العميق، والنظر الدقيق، والبصيرة النافذة الكاشفة. ولا يقتصر على القدر الذي يفهمه المتدبر السطحي، بل يصل إلى ما تشتمل عليه الآيات من معاني عميقة، ودلالات دقيقة<sup>(١)</sup>.

ومعرفة هذا التقسيم تحل الإشكال الذي يقع عند الحديث عن المُخَاطَبِينَ بتدبر القرآن الكريم، حيث يرى فريق من أهل العلم أن تدبر القرآن الكريم واجب على كل مكلف يفهم الخطاب العربي، بينما يرى بعضهم أن التدبر لا يصح إلا من أهل العلم<sup>(٢)</sup>.

فالتدبر من حيث العموم واجب على المكلفين، ولكن وجوبه يختلف من مكلف لآخر بناء على تفاوت مراتبهم في العلم بالقرآن الكريم.

### خامساً: موانع التدبر:

في القسم الثالث من مقدمة كتاب المعين، المعنون له بـ «من أجل قراءة مؤثرة للقرآن الكريم»؛ أوصى المؤلف قارئ القرآن بأن يجتنب موانع التدبر والفهم لمعاني القرآن، ثم نبّه على أن هذه الموانع كثيرة، وذكر منها أربعة موانع، وهي مع التصرف والاختصار:

- ١- الانصراف عند القراءة إلى تحقيق الحروف، دون الوصول إلى فهم المعاني. فمثل من يفعل ذلك مثل من اشتغل بالوسائل، وأعرض عن المقاصد.
- ٢- التقليد والتعصب لمذهب من المذاهب، والجمود عليه.

(١) المعين على تدبر الكتاب المبين [المقدمة: ب حاشية رقم ٤].

(٢) ينظر في بيان هذا الإشكال تفسير أضواء البيان للشنقيطي ٧ / ٤٥٨ - ٤٦٠، وتدبر القرآن للسنيدي

٣- الإصرار على ذنب، أو الاتصاف بِكِبْرٍ وَعُجْبٍ، أو الاتباع لهَوَى في الدنيا تميل إليه النفس؛ فَإِنَّ ذلك سبب ظلمة القلب وصداه.

وكُلَّمَا كانت الشَّهَوَاتُ أَشَدَّ تَرَاكُمًا، وَأَكْثَرَ تَوَارِدًا، كانت معاني الكلام أَشَدَّ احتجابًا، وَأَكْثَرَ اسْتِتَارًا. وكُلَّمَا حَقَّتْ عن القلب أَثْقَالُ الدُّنْيَا، قَرُبَ تَجَلَّى المعنى فيه، فالقلب مثل المرأة المجلَّوة، والشَّهَوَاتُ عليه مثل الصَّدَأِ على المرأة، ومعاني القرآن مثل الصُّورَةِ التي تترأى في المرأة. فما دام صدأ الشَّهَوَاتِ عليها لا تتجلى الصُّور على حقيقتها.

وقد شرط الله تعالى الإنابة في الفهم والتذكر، فقال تعالى: ﴿ تَبَصَّرَةٌ وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴾ [ق: ٨]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ ﴾ [غافر: ١٣]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر: ٩]. والذي آثر غُرُور الدُّنْيَا على نعيم الآخرة فليس من ذوي الْأَلْبَابِ، فلذلك لا تنكشف له أسرار الكتاب، ولا يُفْتَحُ له في تدبُّرها باب.

٤- أن يكون قد قرأ تفسيراً ظاهراً، فاعتقد أنه لا معنى لكلمات القرآن، إلا ما تناوله النقل عن بعض السلف. وأنَّ ما وراء ذلك تفسيرٌ بالرأي، وأنَّ من فسَّر القرآن برأيه فقد تَبَوَّأَ مقعده من النار. فلا طريق لفهم القرآن وتدبُّره إلا بما نُقِلَ عن هؤلاء الأئمة، فهذا أيضاً من الحُجُبِ المانعة عن فهم القلب للمعاني<sup>(١)</sup>.

وهذه الموانع الأربعة نقلها المؤلف من كتاب «إحياء علوم الدين» للإمام الغزالي<sup>(٢)</sup>، دون أن ينبّه على ذلك ويحيل.

والموانع الثلاثة الأولى لا إشكال فيها؛ إذ صرفها عن التدبر والفهم مما لا يخفى.

وأما الرابع؛ ففيه نظر، ويحتاج إلى بيان وتعقيب.

(١) المعين على تدبر الكتاب المبين [المقدمة: ن - س] باختصار وتصرف.

(٢) ينظر كتاب «إحياء علوم الدين» للغزالي ١ / ٢٨٤، ٢٨٥.



فأما البيان فقد ذكره المؤلف في الحاشية، حيث نقل تنمة كلام الغزالي التي فيها زيادة شرح وبيان لمضمون هذا المانع، حيث قال تعليقيًا على هذا المانع: (قال الغزالي في «الإحياء» ١: ٢٩٠: «وليس معنى فهم القرآن: حفظ تفسيره، فإنَّ في معاني القرآن مُتَّسَعًا بالغاً ومجالاً رُحْباً لأرباب الفهم، وإنَّ المنقول من ظاهر التفسير ليس مُنتَهَى الإدراك فيه»، ثم وَجَّه معنى النهي عن تفسير القرآن بالرأي بأنه يُنَزَّل على أحد وجهين: أحدهما: أن يكون له في الشيء غرض، واليه مَيَل من طبعه وهواه، فيتأوَّل القرآن على وَفْق رأيه وهواه، ليحتجَّ به على تصحيح غرضه، فيكون المراد بالرأي: الرأي الفاسد الموافق للهوى دون الاجتهاد الصحيح. والوجه الثاني: أن يُسارع إلى تفسير القرآن بظاهر العربية، من غير استظهار بالسَّماع والتَّقَل، فيما يتعلَّق بغرائب القرآن، وما فيها من الألفاظ المبهمة والمجملّة والمُبدَلَة، وما فيها من الإيجاز والاختصار، والحذف والإضمار، والتقديم والتأخير، وغير ذلك.

فَمَن لم يُحْكِم ظاهرَ التفسير، وبادر إلى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية كَثُرَ غَلَطُهُ، ودَخَلَ في زُمرة من يفسِّر القرآن بالرأي وهوى النفس». انتهى. وقد نقل هذا التوجيه لأحاديث النهي عن التفسير بالرأي ابن الأثير في «جامع الأصول» ٢: ٤، والقرطبي في مقدمة تفسيره ص ٩٢ - ٩٣ دون أن يعزوَّاهُ إلى الغزالي. انتهى<sup>(١)</sup>.

وأما التعقيب؛ فالقول بأن الوقوف على المعاني التي قالها السلف وأئمة التفسير السابقون: يمنع من تدبر القرآن، وأن الاعتقادَ بأنه لا طريق لفهم القرآن وتدبره إلا بما نُقل عن هؤلاء الأئمة: من الحُجُبِ المانعة عن فهم القلب للمعاني = ليس على إطلاقه، بل يحتاج إلى تفصيل.

(١) المعين على تدبر الكتاب المبين [المقدمة : س حاشية رقم ١].

فما ورد عن السلف في التفسير نوعان:

أحدهما: يتعلق ببيان المعنى، سواء كان هذا البيان من جهة اللغة أم من جهة الشرع أم جهة العرف. فهذا لا سبيل للخروج عنه، ولا تصح مخالفته، لأن القول في التفسير -الذي هو بيان المعنى - متوقف على السماع. وقد صرح السيوطي بالإجماع على ذلك، فقال: (وعلم التفسير إنما هو يتلقى من الأخبار، ويسلك فيه مسالك الآثار... وانحصار التفسير في السماع كلمة إجماع، والنهي عن القول في القرآن بالرأي ملأ الأسماع)<sup>(١)</sup>.

والثاني: يتعلق بما وراء المعنى، وما يدل عليه اللفظ، من استنباط حكم أو تنزيل للآية على ما يشملها معناها؛ فهذا الذي لا ينحصر القول فيه على السماع، وهو المقصود بقول علي بن أبي طالب -رضي الله عنه - لما سأله أبو جحيفة السوائي -رضي الله عنه- : هل عندكم شيء من الوحي إلا ما في كتاب الله؟ فقال علي: «لَا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، مَا أَعْلَمُهُ إِلَّا فَهَمَّا يُعْطِيهِ اللَّهُ رَجُلًا فِي الْقُرْآنِ...»<sup>(٢)</sup>.

قال ابن الجوزي: (وقوله: إِلَّا فَهَمَا. يَعْنِي مَا يَفْهَمُ مِنْ فَحْوَى الْكَلَامِ وَيَدْرِكُ مِنْ بَوَاطِنِ الْمَعَانِي)<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن المنير: (فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ كَانَ عِنْدَهُ أَشْيَاءٌ مَكْتُوبَةٌ مِنَ الْفِقْهِ الْمُسْتَنْبَطِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَهِيَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ أَوْ فَهَمٌ أُعْطِيَهُ رَجُلٌ)<sup>(٤)</sup>.

(١) باختصار من مقدمة حاشية السيوطي على البيضاوي المسماة «نواهد الأبيكار وشوارد الأفكار» ٧ / ١ ، وينظر كلامه في اقتصار التفسير على النقل في مقدمة كتابه «قطف الأزهار وكشف الأزهار» ١ / ٨٩ - ٩١ .  
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الجهاد والسير - باب فكاك الأسير - رقم ٣٠٥٩ [طبعة دار التأصيل].

(٣) كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي (١ / ١٩٦).

(٤) فتح الباري لابن حجر (١ / ٢٠٤).

## المبحث الثاني

### معالم التدبر التطبيقي في كتاب «المعين علمه تدبر الكتاب المبين»

هذا المبحث يتناول الجوانب التطبيقية لتدبر القرآن الكريم في كتاب «المعين» من خلال النظر في التطبيقات التفسيرية التي تعين على تدبر القرآن الكريم، بناء على القواعد التي أوردها المؤلف في مقدمة كتابه، وذكر أنه التزم بها في هذا التفسير التدبري.

وهذا بيان لأبرز المعالم المتعلقة بالجانب التطبيقي للتدبر في هذا الكتاب:

#### أولاً: حمل النصوص القرآنية علمه كل المعاني المحتملة:

من المعلوم عند أهل التفسير أنه يرد في القرآن الكريم نصوص وألفاظ تحمل أكثر من معنى، ويُنقل في تفسيرها عن السلف أقوال يختلف معناها دون أن يكون بينها تناقض.

وقد قعد علماء التفسير قاعدة من أهم قواعد التفسير وأوسعها تطبيقاً، وهي: «إذا احتمل اللفظ معاني عدة ولم يمتنع إرادة الجمع، حمل عليها»<sup>(١)</sup>.

قال المؤلف في مقدمة كتابه تحت ما عنون له بـ «أهم القواعد التي التزمت بها في هذا التفسير»: (حمل النص على كل المعاني إذا كانت الكلمات أو الجمل القرآنية تدل

(١) ينظر تفصيل هذه القاعدة وتطبيقاتها في كتاب قواعد الترجيح للدكتور خالد السبت ٢ / ٣٧٧ -

على أكثر من معنى، وعدم قصر النصّ على واحد منها دون غيره، تمشياً مع عطاء القرآن الثّر، الذي لا تنقضي عجائبه، ولا تنضب معانيه<sup>(١)</sup>.

ومن التطبيقات التفسيرية على هذا المعلم:

التطبيق الأول: تفسير قول الله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢].

قال المؤلف في تفسيره المعين: (ذلك الكتاب الكامل في الهداية والحكمة، لا شك في أنه من عند الله، وأنه الحق والصدق)<sup>(٢)</sup>.

فقول الله تعالى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ يحتمل معنيين: أحدهما: لا شك في أنه منزل من عند الله. والثاني: لا يوجد فيه ريب ولا شك، بل كل ما فيه حق وصدق. وقد جمع المؤلف بين هذين المعنيين في تفسيره للآية.

التطبيق الثاني: تفسير ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ في قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩].

قال المؤلف: (ولا يقتل الإنسان نفسه، ولا يقتل بعضكم بعضاً؛ لأن المؤمنين كنفس واحدة، وقتل واحد منكم للآخر قتل لأنفسكم)<sup>(٣)</sup>.

فحمل هذا النهي على المعنيين اللذين يحتملهما.

التطبيق الثالث: تفسير قول الله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ

الْحَمِيدِ﴾ [البروج: ٨].

(١) المعين على تدبر الكتاب المبين [المقدمة: ط].

(٢) المرجع السابق ص ٢.

(٣) المرجع السابق ص ٨٣.

قال المؤلف: (وما علموا فيهم عيبًا، ولا كرهوا منهم إلا إيمانهم بالله القوي الغالب القاهر الذي لا يُغالب ولا يُدافع، المحمود الذي يستحق أن يمدح ويثنى عليه، وهو أهل لذلك، والحمد الذي يمدح عباده على ما يكون منهم مما يستحق الحمد)<sup>(١)</sup>.

وقد اجتمع في هذا التفسير ثلاث تطبيقات لهذا المعلم، وهي:

الأول: تفسير «نقموا»، حيث فسرها بمعنيين يحتملها الفعل «نقم»، وهما: علم، وكره. فأتى بالمعنيين في تفسيره للآية.

الثاني: تفسير «العزیز»، حيث يجمع هذا اللفظ عدة معانٍ صحيحة، وهي: القوة والغلبة والقهر؛ فأتى بها كلها وفسر هذا الاسم بما يقتضيه من المعاني.

الثالث: تفسير «الحميد»، فهو يحتمل أن يكون بمعنى المحمود وبمعنى الحامد؛ فأتى بالمعنيين جميعًا.

وتطبيقات هذا المعلم كثيرة جداً، ولا شك أن مراعاته مما يعين على تدبر القرآن الكريم على الوجه الأكمل والأحسن.

**ثانيًا: تكثير معاني النصوص بحمل ما يحتمل التأسيس والتوكيد علمه التأسيس:**

إذا دار المعنى في لفظ أو آية بين التوكيد والتأسيس؛ فحملة على التأسيس أولى، لأن في ذلك إضافة لمعنى جديد، وتوسيعًا لدلالات الآية.

قال المؤلف مبينًا ما التزم به في تفسيره من القواعد: (استبعاد احتمال التكرير لمجرد التأكيد ما أمكن؛ لتكامل النصوص القرآنية، ولأن التأسيس في كل نص منها

(١) المرجع السابق ص ٥٩٠.

مقدّم على التأكيد)<sup>(١)</sup>.

وهذا المعلم لم يطرد تطبيق المؤلف له في تفسيره هذا، بل طبّقه في مواضع وأهمله في مواضع أخرى. فمن التطبيقات التي التزم فيها بهذا المعلم:

**التطبيق الأول:** تفسير قول الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّه حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنُجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

قال المؤلف في تفسير هذه الآية: (من عمل صالحا ابتغاء مرضاة الله ذكراً كان أو أنثى، وهو مؤمن إيماناً صحيحاً صادقاً، فلنحيينه في الدنيا حياة طيبة بالقناعة، وحلاوة الطاعة، والرزق الحلال، والرضا بما قدر الله له، ولنجزيتهم في الجنة بأحسن ما كانوا يعملون في الدنيا من عمل صالح...)<sup>(٢)</sup>.

فقد حمل المؤلف الحياة الطيبة في الآية على ما يكون في الدنيا، مع حملها على جميع المعاني التي يحتملها لفظ الحياة الطيبة، وذلك لأنها لو حملت على نعيم الجنة لكان ما بعدها تأكيداً لها؛ والتأسيس أولى من التوكيد<sup>(٣)</sup>.

**التطبيق الثاني:** تفسير قول الله تعالى: ﴿أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ ﴿٣٥﴾﴾ [القيامة: ٣٤، ٣٥].

قال المؤلف: (قاربك ما تكره من أنواع العذاب، فيتبعها نوع آخر، ثم يتبعه نوع ثالث من العذاب، فيتبعه نوع رابع في عذاب أبدي في جهنم)<sup>(٤)</sup>.

(١) المرجع السابق [المقدمة: ط].

(٢) المرجع السابق ص ٢٧٨.

(٣) ينظر تقرير هذا القاعدة وتطبيقها على هذا المثال في أضواء البيان للشقيطي ٣/ ٤٢٣ - ٤٢٧.

(٤) المعين على تدبر الكتاب المين ص ٥٧٨.

وهذا الذي قرره المؤلف في تفسير هاتين الآيتين قل من نبه عليه وذكره بهذا التفصيل من المفسرين، وأكثرهم يقول: وعيد بعد وعيد، وتهديد بعد تهديد.

وفي تفسير القرطبي أن هاتين الآيتين اشتملتا على أربعة أنواع من الوعيد، مقابل أربعة أنواع من أعمال أبي جهل المنكرة؛ فقد أخبر الله قبلها عنه بقوله تعالى: ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى ﴿١٣﴾ وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ [القيامة: ٣١، ٣٢]؛ ﴿فَتَرَكُ التَّصَدِيقَ حَٰصِلَةً، وَالتَّكْذِيبُ حَٰصِلَةً، وَتَرَكُ الصَّلَاةَ حَٰصِلَةً، وَالتَّوَلَّى عَنِ اللَّهِ تَعَالَى حَٰصِلَةً، فَجَاءَ الْوَعِيدُ أَرْبَعَةً مُقَابِلَةً لِتِلْكَ الْخِصَالِ الْأَرْبَعَةِ﴾<sup>(١)</sup>.

التطبيق الثالث: تفسير قول الله تعالى: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ [النبا: ٤، ٥].

قال المؤلف في تفسير هاتين الآيتين: (... سيعلمون عند نزع أرواحهم عاقبة تكذيبهم حين تنكشف لهم مقاعدهم في جهنم دار العذاب، ثم عند البعث سيعلمون أن ما كانوا يكذبون به من أحوال الآخرة حق لا ريب فيه)<sup>(٢)</sup>.

فمن المفسرين من جعل «ثم كلا سيعلمون» مؤكدة لـ «كلا سيعلمون»، والراجح ما قرره المؤلف من حمل الآية الثانية على معنى غير المعنى الذي دلت عليه الآية الأولى.

ويؤيد حمل الآية الثانية على التأسيس أنها عطفت على الثانية بـ «ثم» التي تفيد التراخي، فوقت علمهم الثاني، بعد وقت علمهم الأول.

(١) تفسير القرطبي (١٩ / ١١٤).

(٢) المعين على تدبر الكتاب المبين ص ٥٨٢.

وقريب من هذا ما أورده المؤلف في تفسير قول الله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر: ٣، ٤] (١).

ومن المواضع التي لم يطبق عليها هذا المعلم مع وضوحها:

الموضع الأول: في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهَّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [الحج: ٢٦].

جاء في تفسيره لآخر الآية: (... وطمهر بيتي من كل رجس مادي أو معنوي، للطائفين الذين يطوفون حول بيتي، والذين يعبدونني بالصلاة فيه أو عنده، القائمين والراكعين الساجدين) (٢).

فقد فسّر «القائمين» في الآية بالمصلين، مع أن هذا المعنى هو المراد بـ «الركع السجود» بالإجماع، و«القائمين» هنا يمكن تفسيرها بالعاكفين كما دلت على ذلك آية سورة البقرة، ويمكن تفسيرها بالقائمين للدعاء؛ فلو فسرها بأحد هذين المعنيين لكان أولى، وأنسب للقاعدة المذكورة: التأسيس أولى من التوكيد.

الموضع الثاني: في تفسير قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَاتٍ كُلِّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [النور: ٤١].

قال في بيان معنى قوله سبحانه: ﴿كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾: (كل مصلّ ومسيح علم الله صلواته وتسبيحه، والله عليم بما يفعلون، لا يعزب عن علمه شيء) (٣)؛ فجعل مرجع الضمير في «قد علم» إلى الله جل وعلا، مع أنه يحتمل

(١) المرجع السابق ص ٦٠٠.

(٢) المرجع السابق ص ٣٣٥.

(٣) المرجع السابق ص ٣٥٥.



أن يعود إلى «كل» ، ويكون المعنى: كل من المصلين قد علم صلاة نفسه، وكل من المسبحين قد علم تسبيح نفسه.

وهذا المعنى أولى لأنه قد ذُكر علمُ الله لما يفعلون في خاتمة الآية؛ فيكون الإخبار عن علم الله بكل ما تفعل هذا المخلوقات تأسيساً لا توكيداً<sup>(١)</sup>.

### ثالثاً: الاهتمام بما يهدف إليه النص القرآني من أغراض تربوية وتعليمية:

وهذا المعلم من أهم معالم تدبر القرآن الكريم، لأنه يتفق مع مفهوم التدبر وأهدافه؛ فالتدبر هو التفكير في الآية وإعادة النظر فيها لاستخراج أغراضها ومقاصدها.

قال المؤلف في بيان القواعد التي التزم بها عند كتابة هذا التفسير التدبري: (بيان بعض ما يشتمل عليه النص القرآني من أوجه، وما يهدف إليه من أغراض تربوية وتعليمية)<sup>(٢)</sup>.

ومن التطبيقات على هذا المعلم:

**التطبيق الأول:** بعد تفسيره لقول الله تعالى - في سياق ذكر خصال اليهود السيئة وأفعالهم القبيحة - : ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ [البقرة: ٧٨] قال:

(... فطمعكم - أيها المؤمنون - في إيمان جمهور اليهود ... في غير محله، لأن الظاهر الاجتماعية تدلّ على أن هداية جمهورهم أمر ميؤوس منه، ولا مطمع فيه، فوجّهوا جهودكم الدعوية لمجتمعات أخرى يكون بذل المجهود فيها أنفع وأجدى)<sup>(٣)</sup>.

(١) ينظر تفصيل ذلك وتقريره في أضواء البيان للشنقيطي ٦ / ٢٧١-٢٧٢

(٢) المعين على تدبر الكتاب المبين [المقدمة: ط].

(٣) المرجع السابق باختصار ص ١٢.

وهذا البيان والتنبيه من المؤلف له أهمية كبيرة للدعاة والمصلحين والمرين، وهو مما يدخل تحت ما يسمى اليوم بـ «فقه الأولويات»، الذي يعدّ من أعلى صور الفقه وأهمها. وقد جاء التنبيه على هذا التوجيه في صدر سورة «عبس» كما هو معلوم.

التطبيق الثاني: في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣] قال:

(... ولم يذكر موسى في هذه الآية؛ لأن الله أنزل عليه التوراة جملة واحدة.

والمقصود بذكر من ذكر من الأنبياء في الآية أنه لم ينزل على أحد منهم كتاباً جملة واحدة، فلما لم يكن عدم إنزال الكتاب جملة واحدة قادحاً في نبوتهم، فكذلك لم يكن إنزال القرآن على محمد ﷺ مفرقاً قادحاً في نبوته، بل قد أنزل عليه كما أنزل عليهم<sup>(١)</sup>.

وهذا تنبيه لطيف المأخذ في بيان المقصود بالآية، وفيه تقرير مخالف لما اشتهر من كون الكتب السابقة قد نزلت جملة واحدة<sup>(٢)</sup>.

(١) المرجع السابق ص ١٠٤.

(٢) وقد بحث هذه المسألة كل من الباحثين: عايش علي محمد لبانة و يحيى ضاحي شطناوي في بحث بعنوان «انفراد القرآن الكريم بالتنزيل المنجم: دراسة وتحقيق» نشر في المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية - ١٤٢٨هـ وانتهى الباحثان إلى أن الكتب السماوية السابقة قد نزلت منجمة كالقرآن الكريم، وأن منهج التنجيم هو المنهج العام في تنزيل الكتب السماوية لحكم كثيرة مشتركة بين جميع = الرسالات والرسول. تنبيه: ومن قرر ما توصل إليه الباحثان العلامة ابن عاشور، حيث قال: (وأزيد أن التوراة والإنجيل نزلا مفرقين كشأن كل ما ينزل على الرسل في مدة الرسالة، وهو الحق: إذ لا يعرف أن كتابا نزل على رسول دفعة واحدة.) انتهى من تفسيره التحرير والتنوير في تفسيره للآية ٣ من سورة آل عمران.

والعجيب أن المؤلف - وفقه الله - لم يتنبه لما قرره هنا لما فسّر قول الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾ [الفرقان: ٣٢]، بل ذكر ما يفيد نزول الكتب السابقة دفعة واحدة، حيث قال في تفسيره لهذه الآية: (وقال الذين كفروا: هلا أنزل القرآن على محمد دفعة واحدة مجتمع الآيات والسور، كما أنزلت التوراة على موسى، والإنجيل على عيسى، والزبور على داود! قال الله تعالى: أنزلنا ما نزل من القرآن منجماً، وسنزل ما بقي من القرآن منجماً كذلك التنزيل الذي اعترضوا عليه، واقترحوا خلافه لثلاث حكم...)<sup>(١)</sup>.

التطبيق الثالث: في تفسير قول الله تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٢]، نبّه المؤلف على أمور مهمة تهدف إليها هذه الآية، فقال:

(فعلى المؤمن أن يحذر من الاعتماد على الظنون والرجم بالغيب دون تحقيق، ولا يركن إلا إلى علم صحيح يأتيه من طريق صحيح، وأن يعرض عن المماراة والمجادلة فيما لا ينفع، إلا جدالاً هيناً يسيراً لا يوغر صدرًا، ولا تترتب عليه عداوة، ولا يضيع وقتًا. ودلّ النهي عن استفتاء غير المسلمين في شأن أصحاب الكهف وما في معناه ألا يلجأ المؤمن في معرفة الحقائق والمعارف إلى مصدر غير موثوق به، وذلك أن المعارف التي يصلح عليها حال المؤمنين مكفولة بكتاب الله عز وجل، وسنة نبيه - صلى الله عليه وسلم - ففيهما ما يغنيهم عن سواهم)<sup>(٢)</sup>.

(١) المعين على تدبر الكتاب المبين ص ٣٦٢.

(٢) المرجع السابق ص ٢٩٦.

التطبيق الرابع: في تفسير قول الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤]، قال المؤلف بعد أن بين معنى الآية: (وفي هذا التعليم الرباني إلزام للداعي إلى الله أن يعلن عند حوارهِ لغير المؤمنين تجرده عن سوابق أفكاره حول ما يؤمن به، وأن يقدم قضايا موضوعه الذي يدعو إليه للبحث المتجرد على مائدة سواء بين الفريقين؛ فعلى كل منهما أن ينظر بتجرد نظرًا فكريا عقليا علميا، ثم على كل منهما أن يقبل ما يوصل إليه البحث العلمي المتجرد، ويدعن له، ويؤمن به)<sup>(١)</sup>.

**رابعًا: العناية بخواتم الآيات ومراميها، وما تشتمل عليه من القضايا الكلية:**

من الأمور المهمة في التعامل مع آيات القرآن الكريم، والتي لها صلة قوية بالتدبر: الوقوف مع خواتم الآيات وإعادة النظر فيها مرة بعد أخرى.

ووجه صلة الوقوف مع أواخر الآيات بالتدبر أن آخر كل آية هي دبرها، لأن دبر الشيء يطلق على آخره كما يطلق على ما بعده.

فأواخر الآيات، وأواخر السور، وأواخر القرآن من الأهمية بمكان، ولها تعلق كبير بالتدبر من جهة المعنى اللغوي.

قال المؤلف في سياق تعدادهِ للقواعد التي التزم بها في كتابة هذا التفسير: (عُنيت بخواتم الآيات ومراميها، وما تشتمل عليه من قضايا كلية ترتبط بما جاء قبلها بمضمون الآية)<sup>(٢)</sup>.

(١) المرجع السابق ٤٣١.

(٢) المرجع السابق [المقدمة: ط].

ومع هذا؛ فإنني لم أجد في هذا التفسير عناية تتناسب مع أهمية هذا المعلم، وغالب ما أورده من تفسيره لخواتم الآيات لم يخرج عند دائرة التفسير والبيان المعتاد. وسأكتفي بتطبيقين على هذا المعلم:

**التطبيق الأول:** قول الله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنِ اطَّعْتِكُمْ فَلَا تَنْبَغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنِ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٤].

قال المؤلف في بيانه لمعنى الاسمين اللذين ختمت الآية بهما: (... إن الله كان من الأزل إلى الأبد علياً كبيراً، له كمال العلو وكل غاياته، والكبير الذي ليس في الوجود كله مثل وصفه بالكبير؛ فهو سبحانه أعلى منكم سلطاناً، وأكبر قدرة، فإذا تجاوزتم حدودكم فإيمان جعل الله تحت أيديكم، فإن الله أقدر على عقوبتكم، وسلطانه أعلى من سلطانكم)<sup>(١)</sup>.

وقد ذكر الرازي أن ختم الآية بهاتين الصفتين في غاية الحسن، وذكر خمسة وجوه في مناسبة ذكر هذين الاسمين في هذا الموضع<sup>(٢)</sup>.

**التطبيق الثاني:** ما أورده المؤلف في تعليقه على خاتمة قول الله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]، حيث قال عن هذه الآية وما قبلها:

(١) المرجع السابق ص ٨٤.

(٢) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٠ / ٧٣)

(وهذه الآيات وإن نزلت في أهل التوراة والإنجيل، كما تدل على ذلك أسباب النزول، والسياق نفسه، لكن خواتيم الآيات: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ...﴾ جاءت بصيغة العموم؛ فالعبرة بعموم اللفظ، ولا يجوز قصر أحكامها على غير المسلمين من أهل الكتاب)<sup>(١)</sup>.

#### خامساً: التنبيه على المعاني العميقة والدلالات الدقيقة للنصوص القرآنية:

وهذا المعلم يتعلق بالتدبر العميق الذي سبق التعريف به في أنواع التدبر. قال المؤلف عند ذكره للقواعد التي التزم بها في كتابة هذا التفسير التدبري:

(ملاحظة العمق القرآني، والتنبيه إلى كثيرٍ من المعاني العميقة والدلالات الدقيقة التي لم يرد في النص ألفاظ صريحة تدل عليها دلالة واضحة، كالمحاذيف التي تحذف للإيجاز، ويقتضيها معنى النص، واللوازم الفكرية والكنائيات البعيدة، وقد أمعنُ النظر في استنباط المضامين الفكرية التي تستفاد من النَّص عن طريق اللزوم الفكري، أو الإشارات الضمنيَّة للكلام، بما فيها من تلويح، أو تلميح، أو تعريض، أو كناية، أو غير ذلك، إذ أنَّ الكثير من المعاني تُستفاد من النص لزوماً أو يقتضيها النص اقتضاءً، كسؤال دُكر جوابه بدون أن يُذكر، وجواب ذكر سؤاله دون أن يذكر، واعتراض ردِّ النص عليه دون أن يُذكر في اللفظ، لكنه ملاحظٌ ذهنياً، وتتمت استدعيها اللزوم العقلي، وقد سكت النصُّ عنها، كما راعيتُ ظاهرة التضمن، وهو أن تذكر كلمة ذات معنى، وتُضمَّن مع معناها كلمة أخرى، ثم يبني عليها كلامٌ على أساس معنى الكلمة الأخرى)<sup>(٢)</sup>.

(١) المعين على تدبر الكتاب المبين ص ١١٥.

(٢) المعين على تدبر الكتاب المبين [المقدمة: ط].

وهذا المعلم اعتنى به المؤلف كثيراً، وأجاد في تطبيقه، وذكر من الدلالات والاستنباطات ما يستحق الإشادة.

وسأكتفي بذكر نماذج تطبيقية مختارة لهذا المعلم، وأحيل الراغب في الاستزادة إلى الكتاب، فسيجد بغيته في ثنايا تفسيره لكثير من الآيات الكريمات.

التطبيق الأول: قول الله تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٨٢].

استنبط المؤلف من هذه الآية حكيمين، أحدهما دلالة الآية عليه ظاهرة، والثاني في دلالة الآية عليه نوع خفاء.

قال: (وفي الآية دليل على أن من وقف على جور في الوصية - من جهة العمد أو الخطأ - سواء كان وصياً أو حاكماً أو وارثاً أن يردّها إلى العدل. [وهذا الحكم ظاهر] وفيها دلالة على جواز الاجتهاد والعمل بغالب الظن، لأن الخوف من الميل يكون في غالب ظن الخائف)<sup>(١)</sup>.

التطبيق الثاني: تعليقه على قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨]، حيث قال - وما أحسن ما قال -:

(ويدل توجيه هذا الخطاب إلى المؤمنين عامة على أن الجيش في الإسلام هو كل الأمة، ولا يُعفى من الجندية سوى الضعفاء لعجز أو شيخوخة أو مرض. وهذا الإنكار على جماعة المؤمنين في إخلادهم إلى الأرض حين دعوتهم إلى الجهاد = تعليم عام، وإرشاد

(١) المرجع السابق ص ٢٨ .

شامل لجميع المسلمين في كل مكان وفي كل عصر، في وجوب مسارعتهم لدعوة الجهاد، وعدم الإخلاق إلى الأرض. على أن خطاب المؤمنين في ذلك الوقت، وفيهم من لبي الدعوة، وبذل المال دون أن يتناقل، دليل واضح على التضامن الذي يجب أن يكون بين المؤمنين، وعلى أن تتناقل نفر منهم محسوب على الجميع، وأن جماعتهم مسؤولة عن أفرادهم، وهذا هو الشأن العام في التكليف الإلهية. ومقتضى هذا وجوب تعهد الجماعة لمن يبدو عليه من أفرادها شيء من أمارات الضعف والتخاذل بما يقويه ويرفع من معنوياته<sup>(١)</sup>.

**التطبيق الثالث:** لما فرغ المؤلف من تفسير قول الله تعالى - في سياق قصة يوسف عليه السلام -: ﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾ [يوسف: ٢٧]، قال: (لم يشغل السجن وضيقه يوسف عن الدعوة إلى الله تعالى، وهكذا يجب أن يكون الداعي مهتمًا بدعوته، لا يفكر إلا بها، ولا يبخل عليها بشيء من وقته وجهده، ولا يشغله عنها شاغل حتى في أخرج الساعات، وأضيق الحالات، وحتى عند ابتلائه بالمصائب والنكبات)<sup>(٢)</sup>.

وهكذا نرى المؤلف - وفقه الله - يحرص على التنبيه على هذه الدلالات النافعة التي تؤخذ من وراء النص، وتعين المتدبرين على الانتفاع بالقرآن والاهتداء به على الوجه الأكمل والأمثل.

(١) المرجع السابق ص ١٩٣ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٣٩ .



## الخاتمة

وبعد هذه الرحلة العلمية البحثية مع كتاب «المعين على تدبر الكتاب المبين» للأستاذ محمد بن أحمد مكي - وفقه الله - تأتي هذه الخاتمة، التي رأيت أن تكون تنمة للبحث، لا خلاصة له، وسأذكر فيها «تغريدات» سريعة كنت قد كتبتها عن هذا الكتاب قبل كتابة هذا البحث، وازدادت قناعتني بها بعد الفراغ من كتابته، إضافة إلى تركية لهذا الكتاب من أحد المتخصصين، ثم توصية واحدة للدعاة والأئمة والمرين.

أما التغريدات، فهذا ما يناسب المقام منها:

أولاً: أراد المؤلف أن يكون تفسيره هذا خلاصةً وافيةً مركزة لما كتبه شيخه عبدالرحمن حبنكه الميداني في تفسيره التدبري الكبير «معارج التفكير ودقائق التدبر». ثانياً: هذا التفسير مليء بالفوائد والاستنباطات اللطيفة المفيدة، التي يذكرها المؤلف بعد تفسيره للآية بعبارات موجزة. وهذه الفوائد من خير ما يعين على تدبر القرآن المبين.

ثالثاً: حرص المؤلف على أن يربط الآيات بالواقع، ويستثمر توجيهات القرآن في إصلاح الأمة وتربية أفرادها على الاهتداء بالقرآن.

رابعاً: وفي هذا التفسير لفتات بديعة في ربط الآيات ببعضها، وذكر المناسبات بينها. ومنها ما ذكره في تفسير الآية ١٨٨ من س البقرة.

خامساً: في هذا التفسير عناية باختيار القول المناسب في تفسير الآيات التي تحتل أكثر من معنى، خاصة الآيات المشككة. ومن ذلك على سبيل المثال تفسيره لقول الله:

﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]؛ حيث فسر الكتاب هنا بالكتاب الذي تكتب فيه الأعمال.

سادساً: في هذا التفسير عناية جيدة بالإيضاح لمضامين الآيات عن طريق ذكر التقاسيم والأنواع في فقرات مرتبة، وترقيمات متسلسلة لما يرد في الآيات من أوصاف أو شروط أو أقسام. وهذا من خير ما يعين المتدبر على التفاعل مع معطيات الآيات وتوجيهاتها.

وأما تزكية هذا الكتاب والثناء عليه؛ فقد جاءت في مقال كتبه الشيخ الأستاذ الدكتور صلاح بن عبدالفتاح الخالدي، ونشر في صحيفة السبيل الأردنية، وهذا نصها: (وأقولها شهادة صادقة إن شاء الله: إن تفسير «المعين على تدبر الكتاب المبين» هو أهم تفسير معاصر مختصر للقرآن، وإنه لا يستغني عنه أي مسلم - مهما كانت ثقافته وكان تخصصه - وإنه يقدم خلاصة نافعة لمعاني القرآن وحقائقه، ولا مجال للمقارنة بينه وبين كل التفاسير المعاصرة المختصرة ..

أنصح كل مسلم معاصر بأن يستصحب معه هذا التفسير المعين وهو يتلو آيات القرآن يوماً...)<sup>(١)</sup>.

وأما التوصية؛ فهي تنمة للتوصية السابقة التي نصح بها الدكتور صلاح الخالدي كل مسلم، وهي التذكير بأن هذا التفسير مناسب جداً للقراءة على الناس؛ فأسلوبه جيد، وطريقة عرضه للمعلومات ممتعة، وعباراته سهلة؛ فأوصي الأئمة والدعاة والمربين بالإفادة من هذا التفسير، وقراءته على الناس في المساجد والمدارس والمعاهد.

(١) من مقال بعنوان: «المعين: التفسير الأحدث للقرآن»، وهو منقول في ملتقى أهل التفسير على هذا

## أهم المراجع البحث

- ١) القرآن الكريم - طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
- ٢) صحيح الإمام البخاري - طبعة دار تأصيل الأولى.
- ٣) المعين على تدبر الكتاب المبين - تأليف مجد بن أحمد مكي - دار نور المكتبات للنشر والتوزيع - الطبعة الثانية ١٤٣١هـ.
- ٤) الكشاف لأبي القاسم محمود الزمخشري - دار المعرفة - بيروت.
- ٥) التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) للفخر الرازي - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
- ٦) تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) : لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي - ط : دار الكتاب الإسلامي - الطبعة الثالثة .
- ٧) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين الشنقيطي - دار عالم الفوائد.
- ٨) معارج التفكير ودقائق التدبر لعبدالرحمن حبنكة الميداني - دار القلم - دمشق - الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ
- ٩) قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل - عبدالرحمن حبنكة الميداني - دار القلم - دمشق - الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ
- ١٠) كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي - دار الوطن - الرياض.

- ١١) إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد الغزالي - طبعة دار المعرفة - بيروت.
- ١٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين - تحقيق عبدالعزيز ابن ناصر الجليل - دار طيبة - الرياض - الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ.
- ١٣) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة - تحقيق علي بن حسن الحلبي - دار ابن عفان - الطبعة الأولى: ١٤١٦هـ.
- ١٤) تدبر القرآن - تأليف سلمان السندي - طبعة المنتدى الإسلامي الأولى.
- ١٥) مدارج الحفظ والتدبر - تأليف الأستاذ الدكتور ناصر العمر - دار الحضارة للنشر والتوزيع - الطبعة الأولى.

## الفهرس

الصفحة	العنوان
٥	المقدمة
٧	الجلسة الأولى: أعلام المتدبرين (مدرسة المتقدمين) رئيس الجلسة: أ. د. مراد موهوب
١١	ابن عباس رضي الله عنه ومنهجيته فيه تدبر القرآن الكريم د. أحمد بن محمد العمراني
٨٣	الحسن البصري ومنهجه فيه التدبر د. عادل رفوف
١٤٣	ابن جرير الطبري ومنهجيته فيه التدبر فواز بن منصر سالم الشاوش
١٨٣	الإمام القصاب ومنهجه فيه تدبر القرآن من خلال كتابه «مكتب القرآن» أ. د. عبد الرحمن بن معاضة الشهري
٢٣١	الجوانب التدبرية فيه تفسير ابن كثير وطرق استخلاصها د. محمد بن عبد الله الربيعة

٢٦٩

الجلسة الثانية: أعلام المتدبرين (مدرسة المعاصرين)  
رئيس الجلسة: حسن عباس

٢٧٣

مظاهر التدبر عند الشيخ المفسر محمد الأمين رحمه الله تعالى  
أحمد بن محمد الأمين حسن الشنقيطي

٣٠١

وقفات مع مجالس القرآن  
للشيخ الدكتور فريد الأنصاري رحمه الله تعالى  
د. مولاي عمر بن حماد

٣٢٥

منهجية التدبر عند الشيخ ابن عثيمين  
د. عبد الله بن عبد العزيز العواجي

٣٧١

محمد الطاهر بن عاشور ومنهجه في تدبر القرآن  
د. جمال محمود أحمد أبو حسان

٤١٩

الجلسة الثالثة: منهج التدبر قراءة وتقويم  
رئيس الجلسة: د. سعيد محمد بابا سيلا

٤٢٣

جلسة مناهج التدبر.. قراءة وتقويم  
منهج أصحاب القراءة الجديدة للقرآن وأثره على التدبر  
د. حسن بن محمد الأسمرى

الإعجاز العددي  
وتدبر القرآن الكريم  
أ.د. إبراهيم بن صالح الحبيشي  
٤٩٥

منهج المدرسة الإشارية فيه التدبر  
د. نادر السنوسي العمراني  
٥٤٥

منهج المدرسة الإصلاحية فيه التفسير  
د. محمد السبيسي  
٥٧٩

تدبر القرآن عند الاثني عشرية نظرة فيه المصطلح  
د. عبد العزيز بن عبد الرحمن الضامر  
٦١١

الجلسة الرابعة: المؤلفات في التدبر قراءة وتحليل  
(الكتب النظرية)  
رئيس الجلسة: أ.د. محمد بن عبد الكريم فيلاي  
٦٤٣

مفهوم وضوابط التدبر فيه كتاب معارج التفكر ودقائق التدبر  
للعلامة: عبد الرحمن حبنكة الميداني  
مجد بن أحمد بن سعيد مكي  
٦٤٧

كتب المفاتيح والأسباب والموانع  
دراسة وصفية تحليلية  
د. أبو بكر بن محمد فوزي البخيت  
٦٧٩

تحليل المؤلفات فيه تدبر القرآن

٧٢١

(المقررات والمناهج)

د. فهد بن مبارك بن عبد الله الوهبي

كتب المفاتيح والأسباب والموانع

٧٦١

دراسة وصفية تحليلية

د. محمد بن عبد الجواد بن محمد الصاري

الجلسة الخامسة: المؤلفات في التدبر قراءة وتحليل

٨٠٣

(الكتب التطبيقية)

رئيس الجلسة: أ. د. محمد بن عبد الكريم فيلالي

قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل

٨٠٧

لعبد الرحمن حسن جبلة الميداني

د. يحيى ضاحي علي شطناوي

معالم التدبر فيه كتاب

٨٢٧

المعِين علمه تدبر الكتاب المبين

د. محمد بن عبد الله بن جابر القحطاني

التدبر فيه المناهج التعليمية

٨٧٥

أ. د. صالح يحيى صواب

٩١٩

فهرس المحتويات



الإخراج الفني

صلاح الدين الحجري

00966503101038

mr\_salah100@hotmail.com